شرح

عين العلم وزين الحلم

للإمام العلامة والحبر النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
ملا علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية

الجزء الأول

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
المركز الرئيسي : ٥٢٦ شارع بورسعيد . القاهرة
فرع : ١٤ ميدان العتبة بالقاهرة
تليفون : ٩٣٦٢٧٧-٩٢٢٦٢٠



شرح
عين العلم وزين الحلم


iSkysoft

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم العليم ٭ على ما هدانا الى الطريق القويم ٭ والصلاة والتسليم على نبيه الكريم ٭ وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه المقيمين المديمين على الصراط المستقيم ٭

﴿أما بعد﴾ فيقول خادم كلام ربه القديم ٭ وحديث رسوله الفخيم ٭ علي بن سلطان محمد القاري ٭ عاملهما الله الباري ٭ بلطفه الخفي ٭ وكرمه الوفي : إن هذا فتح شرح مجمل بجمل غير مخل. ومطول غير ممل (١) لكتاب عين العلم وزين الحلم الذي من غاية الايجاز ونهاية الالغاز ٭ كاد أن يكون من أنواع الاعجاز ٭ وهو في الحقيقة مختصر احياء علوم الدين (٢) لحجة الاسلام. وبرهان الآنام ٭ رجاء أن أستفيض من بركات كلمات العلماء الأصفياء ٭ وأستفيد من نفحات صفحات (٣) المشايخ الأولياء ٭ وأن أذكر في جملتهم ٭ وأحشر في زمرتهم ٭ وان قصرت في متابعتهم وخدمتهم ٭ اغترارا بمحبتهم ٭ واكتفاء بمودتهم ٭ وأقول كما قال القائل من ذوي الفضائل :

لي سادة من عزهم ٭ أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي ٭ في حبهم عز وجاه

---

(١) في النسخ جميعها مجمل بجمل غير مطل ولا مخل ممل وهو تركيب يفسد المعنى ولعله حصل من النساخ العوام سامحهم الله (٢) في النسخة المطبوعة احياء العلوم وما هنا موافق لتسمية مؤلف الاصل (٣) في بعض النسخ صفائح


iSkysoft

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ ثِقَتِي يَارَبِّ يَارَبَّاهُ بِاسْمِكَ ابْتَدِي. وَبِكَ اقْتَدِي. وَبِنُورِ قُدْسِكَ اهْتَدِي.

قال المصنف رحمه الله ونفعنا ببركات علومه وتقواه ـ وهو من فضلاء الهند وصلحائهم ـ على ماصرح به الشيخ ابن حجر فى شرح مقدمته ، وقيل : انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله أعلم بتصحيح نيته فى تخفية ترجمته : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قد بسطنا الكلام فى غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما وردفيها وسائر متعلقاتها ﴿ وبه ثقتى ﴾ أى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لابغيره اذ لاعبرة بوجوده وشهوده ، وقدا كتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى ﴿ يارب ﴾ أغثنى فى شدتى وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها واشارة اليها ، وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بانه رب العالمين عموما ـ كما يفيد فاتحة الكتاب ورائحة نافحة فصل الخطاب ـ ورب كل فرد من أفراد بنى آدم خصوصا كما يومى اليه حديث « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » (١) وقول بعضهم : حسبي ربى من كل مربى ، ويدل عليه خبر « رضيت بالله ربا » ثم زاد فى مقام التأكيد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله : ﴿ يارباه ﴾ بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى الندبة والمرغوب فى الفجاءة ، والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والأظهر تعلقه بقوله ﴿ باسمك ﴾ أى لابغيره ﴿ أبتدى ﴾ كما هو واجب على المنتهى والمبتدى ﴿ وبك ﴾ أى بحكمك ﴿ أقتدى ﴾ وبعونك اقتدى ﴿ وبنور قدسك ﴾ أى المطهر المصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك اشارة الى قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ﴿ أهتدى ﴾ إيماء الى قوله سبحانه : (من يهد الله فهو المهتدى) وقوله : (قل ان الهدى هدى الله) والمعنى أنه يهدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق

(١) رواه السمعانى فى أدب الاملاء عن ابن مسعود وكذا العسكرى فى الامثال وسنده ضعيف وفيه أيضا غرابة لكن معناه صحيح ، اى علمنى ربى رياضة النفس والتشوف الى معالى الامور ومحاسن الاخلاق وذلك بافضاله على بجميع العلوم الكسبية والوهبية بالاتم ولا يحصل نظير ذلك لاحد من خلق الله على الاطلاق فقد حاز صلى الله عليه وسلم جميع اقسام الادب والآداب قال الله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم)

اللَّهَ اللَّهَ إِلَامَ تَمُدُّ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَيْنَيْكَ

بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل فى اعتقاده وعمله ﴿ الله الله ﴾ أى اتق الله مرة بعد أخرى فى أمر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوى ، والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) أى ظاهرا وباطنا أو التقدير أستغيث بالله وأستعين بطلب رضاه فيما أرجو وأخشاه، والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض أنسه وتبين له الأمر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله: الله الله أى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى : (ويحذركم الله نفسه) ولقوله عزوعلا : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ، ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه أو معاتبا أو خطابا عاما لاسيما اذا كان له مصاحبا: ﴿ إلام ﴾ أصله الى ما بحرف الجار وما الاستفهامية وكتب الى بالألف هنا لشدة الاتصال فى مرتبته النظامية وحذف الألف من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البيانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية، والمعنى الى متى أيها المخاطب المعاتب ﴿ تمد ﴾ أى تطمح وتتوجه ﴿ الى زهرة الحياة الدنيا ﴾ أى بهجتها وزينتها ﴿ عينيك ﴾ وفيه اقتباس من قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقوله سبحانه : (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم) وروى انه عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله تعالى فقال ﷺ : لقد أعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها ، بل لامناسبة بين الأموال الفانية والأحوال الباقية ، ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق : من أوتى القرآن ورأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ، وقال أبو القاسم القشيرى : غار سبحانه على عينه أن يستعملها فى النظر إلى غيره ، ويقال : إذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره الى الدنيا

(١) وَحَتَّامَ تَنْكُصُ بَعْدَ إِينَاسِ نَارٍ عَلَى عَقِبَيْكَ* أَيَجْبَهُكَ الشَّهَوَاتُ الْخَسِيسَةُ لِلْاحْجَامِ. أَمْ يَعُوقُكَ الزَّخَارِفُ الْمُمَوَّهَةُ عَنِ الْاقْدَامِ؟ مَالَكَ تَسْعَى فِي الْمُبَاهَاتِ وَالْمُجَارَاةِ وَجَمْعِ الْحُطَامِ؟ لِنَشْرِ الصِّيتِ وَرَفْعِ الْقَدْرِ

فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى؟ ﴿وحتام﴾ أى وحتى متى ﴿تنكص﴾ أى ترجع عن القيام بالاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه، وفيه تلميح الى فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبيس كما أخبر الله عنه بقوله: (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الى أن قال (نكص على عقبيه) الآية، وتلويح الى قوله سبحانه: (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ﴿بعد ايناس نار﴾ أى بعد ابصار نار. واستيناس أنوار. واحساس أسرار. وأخبار من ديار. ليس بها بعض أغيار ﴿على عقبيك﴾ أى متوجها الى دار أكدارفيها أنواع حجب وأغيار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى: (آنس من جانب الطور نارا) أى نار نور ردارا، والمعنى ابعد ظهور الحق وطريق الصدق آثار وقيل: ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية، وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرف لايناس، وأما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل أهل الارادة الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التى بها من نار جهنم يقينا ﴿أيجبهك﴾ من جبهه بالتخفيف أى رده أو بالتشديد أى نكس رأسه، أى ايبعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول ﴿الشهوات الخسيسة﴾ أى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية ﴿للاحجام﴾ اى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ﴿أم يعوقك﴾ من عاق أو عوق اى او يمنعك ويصدك ﴿الزخارف المموهة﴾ اى الزينات المتوهمة الملفقة ﴿عن الاقدام﴾ على عمل الآخرة الفاخرة المحققة ﴿مالك﴾ أى ما حالك او أى شئ حاصل لك فى مآلك حال كونك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك ﴿تسعى فى المباهات﴾ أى المفاخرة فى غير الحالات الفاخرة التى تنفع فى الآخرة، وفى نسخة المبارات أى المجادلة والمخاصمة ﴿والمجاراة﴾ أى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات ﴿وجمع الحطام﴾ أى من أموال الشبهة والحرام ﴿لنشر الصيت﴾ اى لانتشار الجاه عند العوام كالانعام ﴿ورفع القدر﴾

وَصَرْف وُجُوه الْأَنَام ۞ وَتَنَسِّي نَعِيم جَنَّات وَنَهَر فِي مَقْعَد صِدْق عِنْد مَلِيك مُقْتَدِر، وَمَاشَأْنَكَ تَرْغَب عَنْ عِلْم سَمَّاهُ رَبُّكَ الْأَعْلَى بِالْفِقْه وَالْحِكْمَة وَالنُّور وَالْهُدَى، وَتَرْغَب فِيمَا أَحْدَثَهُ قُرُونٌ فَشَافِيهَا الْكَذِبُ وَالْبِدْعَةُ وَالْهَوَى ۞

اى بالقعود فى مقام الصدر عند معرض القذر ﴿ وصرف وجوه الانام ﴾ اى بالتردد اليك فى الليالى والايام ﴿ وتنسى نعيم جنات ﴾ أى بساتين موعودة للمتقين باقية ﴿ ونهر ﴾ أى وانهار جارية فيها عين عافية من آفات سارية (في مقعد صدق) أى مكان مرضى ومجلس حق (عند مليك مقتدر) اى مقربين فى غاية الاعتبار. عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار. بحيث اهم على ذوى الانهام والاسرار . فهى عندية منزلة ومكانة لاعندية منزل ومكان لعلو شأنه ورفعة برهانه ، قال جعفر الصادق : مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيها الا أهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد أوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه ، وقال الواسطى : ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وأنسه والقيام بامره ونظره الى ربه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وقيل : الصدق فى عبادته من لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعواض والاعراض ﴿ وما شأنك ﴾ اى وماعذرك فى مقام حذرك ﴿ ترغب ﴾ أى تعرض وتبعد ﴿ عن علم سماه ربك الأعلى بالفقه ﴾ حيث قال تعالى : (لعلهم يفقهون) وقال : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) ﴿ والحكمة ﴾ حيث قال عزوجل :(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)، ﴿ والنور ﴾ حيث قال سبحانه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ﴿ والهدى ﴾ حيث قال عز وعلا : (قل ان هدى الله هو الهدى، والسلام على من اتبع الهدى) وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم المعاملة، واما ماسبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف الحق يتعين عليه ان يرغب فى علم المعاملة الذى يعرف به أحكام الله وطريق عبادة مولاه ﴿ وترغب ﴾ أى تميل وتخوض ﴿ فيما أحدثه قرون ﴾ أى طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة والتابعين واتباعهم ﴿ فشافيها ﴾ أى شاع وظهر فيما بينهم ﴿ الكذب ﴾ أى فى حكاياتهم ﴿ والبدعة ﴾ فى اعتقاداتهم ﴿ والهوى ﴾ أى هوى ارباب النفوس

قِفَا نَبْكِ عَلَى رُسُومِ عُلُومِ الدِّينِ ❋ وَأَطْلَالِ أَعْمَالِ اليَقِينِ ❋ وَدِمَنِ كَمَالَاتِ الأَحْوَالِ ❋ وَوَارِدَاتِ مُشَاهَدَاتِ الجَمَالِ ❋ غَدَتِ الدِّيَارُ عَافِيَةً ❋ وَظَلَّتِ الآثَارُ بَاقِيَةً وَأَصْبَحَ الأَصْحَابُ رَاحِلِينَ ❋ وَأَضْحَى الأَعْرَابُ

ومشتهياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة وسائر علوم الفلاسفة ﴿ قفا ﴾ خطاب لصاحبيه كأنه شبه نفسه ان يكون فى سفر يسير مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا فى مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء فى ميدان البيداء فلم يتمالك في مهالك الأزمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال: قفا ﴿ نبك ﴾ بالاتفاق على حزن الفراق ، وقيل . أصله قف قف لحذف الثانى وعوض عنه الالف لان الفاعل كالجزء من الفعل ، وقيل : أصله قفن ابدل نونه ألفا ، والمعنى قفا ايها المخاطب مع الرجل المعاتب نبك ﴿ على رسوم علوم الدين ﴾ اى آثارها المندرسة فى ديارها المنقلبة بعد اقبالها الى أدبارها بقلة علماء الشريعة وأحبارها (١) ﴿ واطلال اعمال اليقين ﴾ اى وعلى أنطماس علامات اعمال أهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو كانوا من المجتهدين فى امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين فى مقام الطريقة والجامعين للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة ﴿ ودمن كمالات الاحوال ﴾ بكسر الدال وفتح الميم وعلى زوال آثار كمال أرباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود فى زوايا المشاهدة الحقيقة والمعارف الدقيقة ﴿ ووارد ات مشاهدات الجمال ﴾ وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة فى مقام التوحيد . واصحاب الجذبة فى مرتبة التأييد ﴿ غدت الديار ﴾ أى صارت ديار العلوم وجدار الفهوم ﴿ عافية ﴾ اى خربة واهية ﴿ وظلت الآثار ﴾ اى وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام ﴿ باقية ﴾ وفيه ايماء الى قوله عليه السلام « يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة » (٢) ﴿ وأصبح الأصحاب ﴾ اى العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم « أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » (٣) ﴿ راحلين ﴾ اى مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى : (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) اى بأخذ العلماء من اكنافها ﴿ واضحى الاعراب ﴾ اى

(١) فى النسخة المطبوعة واخبارها بالخاء المعجمة وهو تصحيف (٢) الحديث رواه الحاكم فى تاريخه باطول من هذا ، والديلمى ولا يخفى عليك مرتبتهما (٣) رواه البيهقى واسنده الديلمى عن ابن عباس

نَازِلِينَ ٭ فَيَاأَسَفِي عَلَى مَنَامِ الْقُلُوبِ وَقِيَامِ الْأَلْسِنَةِ وَمَضَاءِ الْعُلُومِ وَبَقَاءِ الْأَوْعِيَةِ
وَيَالَهَفِي عَلَى صَيْرُورَةِ الحَالِ كُتُباً وَرَسَائِلَ ٭ وَانْقِلَابِ الْعَمَلِ أَجْوِبَةً وَمَسَائِلَ ٭
وَيَاحَسْرَتِي عَلَى انْطِمَاسِ الْمَعْنَى عَنِ الاسْمِ ٭ وَانْدِرَاسِ الحَقِيقَةِ عَنِ الرَّسْمِ ٭
وَيَاسَوْأَتِي عَلَى خُلُوِّ الْقِشْرِ عَنِ اللُّبَابِ ٭ وَاغْتِرَارِ الْقَوْمِ بِلَامِعِ السَّرَابِ :

الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه : (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) ﴿ نازلين ﴾ أي في مقام العلماء العاملين وفيه ايماء الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التي تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد في حديث جبريل « وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » (١) ﴿ فيا أسفي ﴾ اى تأسفي ﴿ على منام القلوب وقيام الألسنة ﴾ اى على غفلة القلوب القاسية وحدة الالسنة الراسية ، وفيه اشارة الى ما ورد في ذم علماء آخر الزمان « ان قلوبهم امر من الصبر وألسنتهم أحلى من العسل » ﴿ ومضاء العلوم ﴾ اى وعلى مضى العلوم الفاخرة وذهاب علماء الآخرة ﴿ وبقاء الأوعية ﴾ أي علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية ﴿ ويالهفي ﴾ بفتحتين اى تعطشي ﴿ على صيرورة الحال ﴾ اى حال ذوى الشمائل ﴿ كتبا ورسائل ﴾ اى مشحونة بقيل وقال واظهار فضال ﴿ وانقلاب العمل اجوبة ومسائل ﴾ اى يبحثون فيها ولا يعملون بما يخوضون فيما ليس تحتها طائل ﴿ ويا حسرتي ﴾ أي تحسرى ﴿ على انطماس المعنى عن الاسم ﴾ أي محو المعنى المراد عن المبنى والمواد ﴿ واندراس الحقيقة عن الرسم ﴾ اى رسم الشرع وهو الطريقة ﴿ ويا سوأتي ﴾ أي فضيحتي ﴿ على خلو القشر ﴾ اى العلوم الآلية من الاعراب . والاعراب ﴿ عن اللباب ﴾ أي لباب العلوم المأخوذة من الكتاب الذي يذكره لاولى الالباب في جميع الفصول والابواب (واغترار القوم) أي أهل الزمان من أرباب الحجاب (بلامع السراب) أي الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال الظاهرة ؛ وفيه تلويح الى قوله سبحانه : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

كذا قال العجلوني في كتابه كشف الخفاء ولم يبين مرتبته ، قال الشوكاني في رسالته القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد . هذا الحديث قد روى من طرق عن جابر . وابن عمر رضي الله عنهما وصرح أئمة الجرح والتعديل بانه لم يصح منه شيء وانه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تكلم عليه الحفاظ بما يشفي ويكفي اه (١) هو قطعة من حديث رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أمّا الخيَامُ فَانّها كَخِيَامهمْ ٭ وَأرَى نسَاءَ الحَيّ غيرَنسَائها

خَطَرَ ببَالى أنْ أُرِيح بلْبَالى بتصفح تلْكَ العُلُوم وَأَسْرارهَا ٭ وتتبّعَ سيَرَ الرّجال وآثارهَا ٭ رجَاءَ أنْ أُحَثَّ عَلَى اتبّاعهمْ ٭ وَانْ ابعثَ فى أشْيَاعهمْ ٭ فَامتريتُ أطْبَاءَ الطّاقَة ٭ وَاحتمَلتُ أعْبَاءَ المَشَقَّة ٭ وَ بالَغتُ فى جَمعهَا وتَهْذيبهَا ٭ وَاستَقصَيْتُ فى ضَبْطها وَتَرْتيبها ٭ مَعَ أنّى سكّيتُ نَادى الْبيَان ٭ وَسُكَيْتُ حلْبَة الرّهَان ٭

الظما ن ماء) ولله در القائل من اعلامهم :

لا والذى حجت قريش بيته ٭ مستقبلين الركن من بطحائها
ما ابصرت عيني خيام قبيلة ٭ الا بكيت احبتى بفنائها

﴿ اما الخيام ﴾ جمع خيمة ﴿ فانها كخيامهم ﴾ أى فى منازل الحى ومقامهم ﴿ وأرى نساء الحى غير نسائها ﴾ اى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة و الحياء والخدمة و السخاء ، والمعنى انه ظهر السفهاء فى صورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ العرفاء ﴿ خطر ببالى ﴾ جواب شرط مقدر اى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى هنالك ﴿ ان أريح بلبالى ﴾ أى أدخل فى الراحة قلبي فى ميدان حب ربى ، وفى نسخة بالزاى اى أزيل حزن قلبي وتشتت بالى وتفرق حالى ﴿ بتصفح تلك العلوم ﴾ أى بتفحص صفحات العلوم النافعة الذاخرة فى الدنيا والآخرة ﴿ واسرارها ﴾ أى ودقائقها وحقائقها الفاخرة ﴿ وتتبع سير الرجال ﴾ أى سلوك أصحاب الحال ، وفى نسخة مسير وفى أخرى « سير » بكسر السين وفتح الياء أى شمائل أرباب الفضائل وأصحاب الفواضل ﴿ وآثارها ﴾ أى اللامعة أنوارها تحت أستارها ﴿ رجاء أن أحث ﴾ أن أحرض وأحرص ﴿ على اتباعهم ﴾ بتشديد التاء أى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا ﴿ وان أبعث فى اشياعهم ﴾ أى أحشر فى أتباعهم فى العقبى ﴿ فامتريت اطباء الطاقة ﴾ أى حاولت وعالجت صرف الوسع والقدرة ﴿ واحتملت أعباء المشقة ﴾ أى تحملت أثقال المشاق في طريق المحبة وسبيل المعذرة ﴿ و بالغت فى جمعها ﴾ أى ضبط افرادها ﴿ وتهذيبها ﴾ أى تنقيتها وحذف زوائدها ﴿ واستقصيت فى ضبطها وترتيبها ﴾ اى ضبط معانيها وحفظ مبانيها ﴿ مع أنى سكيت نادى البيان ﴾ بكسر السين وتشديد الكاف أى كثير السكوت في مجلس التبيان ﴿ وسكيت حلبة الرهان ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف

وَأتحفتُ به الْفَرْعَ الْعَلِيَّ مِنَ الْأَصْلِ الْعَلَوِيّ، وَالغُصْنَ السَّنِيَّ مِنَ الشَّجَرِ الحُسَيْنِيّ، أَرْفَعَ السَّرَاةِ عِمَادًا، وأطْوَلَ الكُمَاةِ نِجَادًا، وَأكْثَرَ الكِرَامِ رَمَادًا، وَأَكْبَرَ العِظَامِ وِسَادًا، وهو ابنُ نَبِيِّ بَنِي عَدْنَان،

المفتوحة ويشدد أى اواخر الخيل فى ميدان المسابقة والجولان والجريان يمتحن فيه الأفراس العشرة على عرف ذلك الزمان، ويرهن للسبق مال يأخذه من سبق فرسه ذلك المكان، وفيه تلويح الى قول من قال: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ﴿ واتحفت به ﴾ أى بتصنيفى هذا ﴿ الفرع العلى ﴾ أى الرفيع ﴿ من الأصل العلوى ﴾ اى المنسوب الى على المنيع ﴿ والغصن السنى ﴾ أى المنسوب الى أهل السنة والجماعة العزيز الوجود فيما بين السادة أو السنى بفتح فكسر أى الشريف الجلى الحسنى ﴿ من الشجر الحسينى ﴾ وفى نسخة الحسنى أى المنسوب الى أحد أولاد فاطمة الزهراء، وفيه تنبيه على أن كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر أولاد على ﴿ ارفع السراة ﴾ جمع السرى ﴿ عمادا ﴾ بكسر العين أى أعلى الأشراف اعتمادا يقال: فلان رفيع العماد اى شريف سنى الذكر على الصيت، وقيل: العماد فى الأصل عيدان يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه، وقيل: بل يراد بها حقيقتها أى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقصدونه وذوو الحاجات فيطلبونه ﴿ وأطول الكماة ﴾ جمع الكمى ﴿ نجادا ﴾ بكسر النون بعده جيم وهو حمائل السيف وهو كناية عن طول قامته وطول شأنه، والمعنى أفضل شجعان زمانه استنادا ﴿ وأكثر الكرام رمادا ﴾ كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيهتدى به الضيفان من العباد ﴿ وأكبر العظام وسادا ﴾ كناية عن كونه معظما موقعا فى قلوب العباد والزهاد ﴿ وهو ابن نبى بنى عدنان ﴾ فانه عليه السلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والى هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه بين العلماء الأعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان، ولذا يروى أن النبي ﷺ كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان أمسك

وَسُمِّيَ جَدُّهُ خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ ، رُكْنَ الدُّنْيَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ ، قُطْبَ الشَّرْعِ الْمَدَارَ عَلَيْهِ ، طَاهِرَ الذَّيْلِ عَنْ دَنَسِ الْهَوَى ، عَازِفَ الْقَلْبِ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، رَاسِخَ الْقَدَمِ فِي شَرِيعَةِ الْمُصْطَفَى ، صَارِفَ الْعِنَانِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُرْتَضَى ، بَلَّغَهُ اللهُ إِلَى الْكَمَالِ الْأَعْلَى ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى السَّعَادَةِ الْقُصْوَى ، وَأَدَامَ الْمَجْدَ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ ، وَأَقَامَ الْكَرَمَ بَيْنَ بُرْدَيْهِ ،

عما بعده من عنان البيان ، وقال: كذب النسابون أي في هذا الشان قال تعالى: (وقرونا بين ذلك كثيرا) قال ابن عباس: ولو شاء الله أن يعلمه لعلمه ، وقال ابن دحية: أجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله ﷺ انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه ، وفي مسند الفردوس عن ابن عباس أنه عليه السلام كان اذا انتسب لم يتجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول: كذب النسابون ، وقال السهيلي: الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره: كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى: (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قال: كذب النسابون (١) يعني أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد في الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون ، وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم؟ فكره ذلك وقال: من أخبره بما هنالك ﴿وسمي جده خليل الرحمن﴾ يعني اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل أبي ولده الجليل اسماعيل جد نبينا ﷺ وشرف وكرم ﴿ركن الدنيا﴾ أي المدار عليه ﴿المشار اليه﴾ المشهود لديه ﴿قطب الشرع﴾ النافع في العقبى ﴿المدار عليه﴾ كالتفسير لما قبله مشيرا الى علمه ومعرفته ، والحاصل أنه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمائل الاخروية ﴿طاهر الذيل عن دنس الهوى﴾ كناية عن صلاحه وديانته ﴿عازف القلب﴾ أي صارفه ﴿عن لذة الدنيا﴾ اشارة إلى ورعه وزهده وحسن رعايته ﴿راسخ القدم في شريعة المصطفى﴾ ايماء إلى ثباته في أمر الدين واستقامته ﴿صارف العنان الى الطريق المرتضى﴾ اشعار بانه على مذهب الصوفي وسلوك طريقته وايماء الى انه (٢) متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء فانه تابع لجده الاعلى والادنى ﴿بلغه الله الى الكمال الاعلى﴾ أي في الدنيا والاخرى ﴿وأوصله إلى السعادة القصوى﴾ أي والسيادة العظمى وهي رضا المولى ﴿وأدام المجد بين ثوبيه﴾ أي العظمة في ذاته ﴿وأقام الكرم بين برديه﴾ أي السخاوة في صفاته ، قال صاحب المفتاح: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه

(١) رواه أيضا ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس (٢) في بعض النسخ وايماء بانه

لَحَصَلَ بِحُسْنِ لُطْفٍ رَحْمَانِيٍّ . وَعَمِيمِ فَضْلٍ رَبَّانِيٍّ. كِتَابٌ حَجْمُهُ عِنْدِي صَغِيرٌ . لِيَسْهُلَ الْحِفْظُ وَالاسْتِصْحَابُ، وَعِلْمُهُ عَلَى ظَنِّي غَزِيرٌ. يُغْنِي عَمَّا عَدَاهُ فِي الْبَابِ * وَأَبْوَابُهُ عِشْرُونَ قَدْ صُدِّرَتْ بِمُقَدِّمَةٍ هِيَ أَحْرَى بِالتَّقْدِيمِ ٭ وَذُيِّلَتْ بِخَاتِمَةٍ حَقٌّ أَنْ يَقَعَ بِهَا التَّتْمِيمُ*

من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، أراد القائل ان لا يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي ٭

وأنا بحمد الله سبحانه لم أجعل تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تآليفي باسم أحد من الامراء والوزراء وانما أردت به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيامة ﴿لحصل بحسن لطف رحماني وعميم فضل رباني﴾ اي بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله ﴿كتاب حجمه عندي صغير﴾ لانه في أوراق معدودات يتم بها الكتاب من غير طريق الاطناب ﴿ليسهل الحفظ﴾ اى بالجنان ﴿والاستصحاب﴾ أي مع الابدان ﴿وعلمه﴾ أي معلوماته ﴿على ظني غزير﴾ أي كثير لاشتماله على جميع ما في الاحياء من أربع مجلدات لكمال الاستقصاء فهو كاللباب . وانما قال : على ظني هضما لنفسه في هذا الباب. ولان صاحب البيت أدرى بما فيه لعدم الحجاب ﴿يغني عما عداه في الباب﴾ أي باب التصوف وفصل الخطاب ﴿وأبوابه عشرون﴾ بابا فيها كفاية لارباب الالباب، فالباب الاول في الورد ٭ والثاني في الانفاق ٭ والثالث في الصوم ٭ والرابع في السفر ٭ والخامس في التزوج ٭ والسادس في الكسب ٭ والسابع في المعيشة ٭ والثامن في الصحبة والتاسع في الصمت ٭ والعاشر في الاناة ٭ والحادي عشر في العزلة، والثاني عشر في التواضع ٭ والثالث عشر في الاخلاص ٭ والرابع عشر في التفويض ٭ والخامس عشر في نفي الخواطر ٭ والسادس عشر في التوبة ٭ والسابع عشر في الصبر والشكر ٭ والثامن عشر في الخوف والرجاء ٭ والتاسع عشر في الفقر والزهد ٭ والعشرون في التوحيد والتوكل واليقين ﴿قد صدرت﴾ اي ابتدأت ﴿بمقدمة﴾ في العلم والمعرفة ﴿هي احرى﴾ اي اليق واولى ﴿بالتقديم وذيلت﴾ اي ختمت واخرت ﴿بخاتمة﴾ في المحبة ﴿حق﴾ أي اجدر واحق ﴿ان يقع بها التتميم﴾ لئلا يحتاج الى الترميم

وَاسْمُهُ الْمُطَابِقُ لِلْمُسَمَّى ـ عَيْنُ الْعِلْمِ وَزَيْنُ الْحِلْمِ ـ وَأَسَاسُهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَشِيَمُ الصَّحَابَةِ الشُّمِّ مُعَرًّى عَمَّا حَدَثَ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ. لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ. لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ ٭

نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ٭ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ٭

﴿ واسمه المطابق للمسمى عين العلم ﴾ الذى نتيجته وثمرته أن يكون ﴿ زين الحلم ﴾ بل هو معدن اسرار الشريعة والطريقة. ومنبع أنوار المعرفة والحقيقة ﴿ وأساسه ﴾ اى مدار بنائه ونبراسه ﴿ الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم ﴾ بضم الشين وتشديد الميم جمع الاشم أى سير الأصحاب الكبار من ذوى الافتخار، وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة وأكثرهم هو الأولى بالاعتبار لانهم من أولى الايدى والأبصار ﴿ معرى ﴾ اى خال ومجرد ﴿ عما حدث ﴾ اى اخترع وابتدع ﴿ من وضع غير مشروع ﴾ كالآراء الفاسدة والأهواء الكاسدة ﴿ لا يسمن ﴾ ذلك الموضوع أو غير المشروع ﴿ ولا يغنى من جوع ﴾ اى لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع حين الافادة والاستفادة ﴿ ليس التكحل فى العينين كالكحل ﴾ بفتحتين اشارة الى ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل صنعة، وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة احد ولو تكلف فى مشقة، وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعته عليه السلام واصحابه الكرام فى جميع أحكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ويدل عليه حديث « أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » وخبر « لا تجتمع أمتى على الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم » (١) والله سبحانه أعلم فالحمد لله أزلا وابدا لا نشرك به أحدا ﴿ نحمده ﴾ فى كل آن ونشكره فى كل زمان ﴿ ونستعينه ﴾ فى كل شأن ﴿ ونتوكل عليه ﴾ فى كل مكان ﴿ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ﴾ اى من الاخلاق الدنيئة ﴿ ومن سيئات أعمالنا ﴾ من الأحوال الرديئة ﴿ ونشهد ان لا إله ﴾ موجودا أو معبودا أو مشهودا ﴿ إلا الله ﴾ أى الذات المستجمع لكمال الصفات فلا نعبد الا اياه ولا نلتفت الى ما سواه ﴿ وحده ﴾ منفردا بالذات ﴿ لا شريك له ﴾ فى كمال

---

(١) الحديث لم يصح لفظه ولا سنده كما قال ابن حزم فى الاحكام لكن معناه صحيح لاخبار أخر

وَنَشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أعطاهُ اللهُ تعالى الوَسِيلَةَ وَالفَضيلَةَ وَالدَّرجَةَ الرَّفيعَةَ وبعثهُ مقاماً محموداً الَّذي وعدهُ *وصلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى أهْلِهِ وَآلِهِ وَسلَّمَ تَسْليماً ٭

الْمُقَدِّمَةُ فِي الْعِلْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٭ وَبِهِ ثِقَتِي

الصفات ﴿ونشهد ان محمدا عبده ورسوله﴾ وحبيبه وخليله ﴿أعطاه الله تعالى﴾ خبر أو دعاء ﴿الوسيلة﴾ وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة ؟ فقال: هي مرتبة لا ينالها الا واحد ارجو ان أكون انا فمن سأل لى الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة ﴿والفضيلة﴾ أى الزيادة فى المرتبة المنيعة ﴿والدرجة الرفيعة﴾ اى فى المنزلة البديعة ﴿وبعثه﴾ اى حشره ونشره ﴿مقاما محمودا﴾ يحمده الأولون والآخرون ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون ﴿الذى وعده﴾ أى بقوله : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر عنه بعسى للاشعار بانه لا يجب على الله سبحانه شيء للعباد وان الأمور انما تكون وفق ما قضاه واراد ٭ وصلى الله عليه اصالة ﴿وعلى أهله﴾ اى اهل بيته من أزواجه وأقاربه واحبابه ﴿وآله﴾ اى من يؤول اليه امره من اتباعه وأصحابه واحزابه ﴿وسلم تسليما﴾ اى يقرنه تعظيم وتكريم ٭ ﴿المقدمة فى العلم﴾ وقد ورد ٭ العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة أو فريضة عادلة ٭ ، والمراد به الاجماع الأمة واتفاق الأئمة رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر . وفى رواية الديلمى عنه ٭ العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدرى ٭ وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب. او السنة ، والحديث رواه أبو داود . وابن ماجه عنه مرفوعا، وقد روى ابو داود. والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ٭ ما أدرى اعزير نبى ام لا ٭ وروى احمد. وابو يعلى . والبزار. والحاكم وصحح اسناده. والطبرانى من حديث جبير بن مطعم، ولابن حبان . والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشرها ؟ قال: لا أدرى حتى نزل جبريل، وفيه تنبيه نبيه على أن العجز عن درك الادراك ادراك ٭ ومنه قول الملائكة (لا علم لنا الا ما علمتنا) وقول الرسل يوم القيامة (لا علم لنا) (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يحيطون به علما

الْعِلْمُ عِلْمَانِ، عِلْمُ الْمُكَاشَفَةِ وَهُوَ نُورٌ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ فَيُشَاهِدُ بِهِ الْغَيْبَ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فَوَرَدَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ مِنْ غَيْرِ الرَّيْبِ وَانْفَسَحَ احْتَمَلَ الْبَلَاءَ وَحَفِظَ السِّرَّ وَلَا يُصَرِّحُ بِهِ لِفَقْدِ الرِّوَايَةِ *

وهو بكل شيء عليم : ﴿العلم علمان﴾ أى علم الآخرة أو المعتبر فى الأحوال الفاخرة او النافع و المرتبة الذاخرة أو علم التصوف، والأحوال الذاخرة نوعان؛ وقد ورد «العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم» رواه ابن ابى شيبة. والحكيم عن الحسن مرسلا. والخطيب عنه عن جابر مرفوعا ﴿علم المكاشفة﴾ وهو مايطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضا. والقبض. والبسط. والمحو. والصحو. والهيبة والأنس والفناء والانتفاء واللوامع والطوالع واللوايح والروايح والاستنار والاستتار، ومقابله المعاملة وهو مايطلب منه مع الكشف العمل به ﴿وهو نور يظهر فى القلب﴾ اما بالجذبة الالهية أو بالرياضة الشرعية عند تطهير القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية . والصفات الردية ﴿فيشاهد به الغيب﴾ اى ماغاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته فى مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عز وجل : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) الآية ﴿وهو متحقق﴾ اى ثابت الى يوم القيامة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة ﴿فورد﴾ دليلا لقوله فيشاهد به الغيب ﴿اذا دخل النور فى القلب انشرح﴾ اى انفتح اى عاين الغيب من غير الريب ﴿وانفسح﴾ اى انبسط واتسع وانفتح اى ﴿احتمل البلاء. وحفظ السر﴾ اى فى مقام الولاء والابتلاء وفى المعالم عند قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى لقبول مافيه من الاحكام، ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عن شرح الصدر؟ قال : نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح، قيل : فهل لذلك امارة؟ اى علامة قال : نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت، وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عز وجل وحكم من حكم الله تعالى يقذفه فى قلب من يشاء من عباده رواه أبو داود والديلمى . وأبو عبد الرحمن السلمى ﴿ولا يصرح به﴾ أى لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة ﴿لفقد الرواية﴾ اى

وَوَرَدَ « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ الَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ» وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ وَعِلْمُ الْمُعَامَلَةِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَا يُقَرِّبُ الَيْهِ تَعَالَى وَمَا يبعد عنه

تصريحا بل روى احيانا تلويحا لانه من الأمور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الايمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الأشارة والغافل مايفيده الاصريح العبارة ، ولذا قيل : العلم نقطة كثرها الجاهلون ، ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى ايداعها فى الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين، وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الأنبياء مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد الى الحق ، واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء * ﴿ وورد إن من العلم ﴾ ، أى من جملته علم خفى فيه الفنون ، ﴿ كهيئة المكنون ﴾ ، من الدر المصون ، ﴿ لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله ﴾ رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة بلفظ « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عزوجل » وفى هذا المقام قيل : من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات تعظم شأنه وتجل برهانه ، وأما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة ، وقيل : من عرف الله كل لسانه فى بيان الذات وطال بيانه فى شأن الصفات ، وقيل : من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه ﴿ وهو ﴾ أى علم المكاشفة ﴿ أفضل ﴾ أى من علم المعاملة لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم أشرفية مايتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما أخبر به من المغيبات ﴿ لانه المقصود ﴾ الا كل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به فى سائر الاوقات ، ولذا ينتهى بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكاليف فيها ﴿ وعلم المعاملة ﴾ أى النوع الثانى ﴿ وهو العلم بما يقرب اليه تعالى ﴾ من المأمورات ﴿ وما يبعد عنه ﴾ من المنهيات ، وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ، ثم الجارى على الجوارح اما عبادة واما

وَهُوَ مُقَدَّمٌ لِأَنَّهُ الشَّرْطُ فَوَرَدَ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أَصَبْتَ فَالْزَمْ حِينَ أَخْبَرَ حَارِثَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِانْكِشَافِ الْغَيْبِ بَعْدَ عُزُوفِهِ عَنِ الدُّنْيَا ،

عادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم ﴿ وهو ﴾ أى علم المعاملة ﴿ مقدم ﴾ أى على العمل أو على علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله ﴿ لانه الشرط ﴾ فتدبر فانه قد تتقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا أن يقال : انه الشرط الغالبي كما يدل عليه استثناؤه الآتي ﴿ فورد ﴾ أى فى كلامه سبحانه ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ أى اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ أى طرق معرفتنا ووصلنا أو المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله ﷺ: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم » ويدل عليه قوله تعالى :(والذين اهتدوا زادهم هدى) ﴿ اصبت ﴾ أى وورد أصبت ﴿ فالزم حين أخبر حارثة رضي الله عنه بانكشاف الغيب ﴾ أى من أحوال العقبى ﴿ بعد عزوفه ﴾ أى بعد صرف السالك قلبه واعراضه ﴿ عن الدنيا ﴾ والحديث فى الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطى عن الحارث بن مالك . وحارثة بن النعمان الانصارى ففي رواية الطبرانى . وأبو نعيم عن الحارث بن مالك الأنصارى قال : « مررت بالنبى ﷺ فقال : كيف أصبحت يا حارث ؟ قلت : أصبحت مؤمنا حقا فقال : انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة و ما حقيقة ايمانك ؟ قلت : قد عزفت نفسي عن الدنيا و اسهرت لذلك ليلي و اظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون ـ وفى رواية ـ يتعاوون فيها فقال : يا حارث عرفت فالزم » قالها ثلاثا . وفى رواية ابن عساكر قال له عليه السلام : « وأنت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم » وفى رواية العسكرى فى الامثال عن أنس « أن النبي ﷺ قال لحارثة بن النعمان : كيف أصبحت ؟ الى أن قال : أبصرت فالزم ثم قال : عبد نور الله الايمان فى قلبه فقال : يا نبى الله ادع لى بالشهادة فدعا له قال فنودى يوما يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب و أول فارس استشهد » وفى رواية ابن النجار « فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان يكن فى الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت فى الدنيا فقال : يا ام الحارث اوحارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنات والحارث فى الفردوس الاعلى فرجعت

إلاَّ إنْ جذبته الْعنايَةُ كَمَا فى سَحرة فرْعون ولَا ينفكُّ عنه فورد «التَّجافى عن دَار الْغُرور والْانَابَة الى دَار الْخُلُود »

وهى تضحك وتقول : بخ بخ ياحارثة» ﴿ الا ﴾ استثناء من قوله مقدم اى لكن قد يؤخر علم المعاملة ﴿ ان جذبته العناية كما فى سحرة فرعون ﴾ فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة فى الطريق فانه روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد «جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين»(١) وورد « ان الله فى ايام دهر كم نفحات الا فتعرضوا لها» والحاصل أن السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه :(الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)والطريق الثانى سلوك الحكماء وأكثر الأولياء والأول مسلك الأنبياء وبعض الأصفياء كما يدل عليه قوله تعالى :(ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) أى تفصيله فى الخطاب ومعرض البيان (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء) أى من أهل العرفان » وابلغ منه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك)﴿ولا ينفك ﴾ أى علم المعاملة ﴿ عنه ﴾ أى عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما مقدما أو مؤخرا ، والحاصل أن بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة ، وأما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة، وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء وأما الدوامه فلا بد منه انتهاء كما أن عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم أيضا لدوام علم المكاشفة، والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والا فصاحب علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا أنها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق ، وقد قال تعالى :(ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ومن هنا قيل : الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا أنها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ، ثم اعلم أنه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس فى المقابلة وزبدته ان كل من سعى لم يدرك ماتمنى لكن ماأدرك ماتمنى إلا من سعى فلله الآخرة والأولى ﴿ فورد ﴾ أى فى الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة ﴿ التجافى عن دار الغرور ﴾ أى التبعد والتزهد عن الدنيا ﴿ والانابة إلى دار الخلود ﴾ أى الرجوع

(١) هذا من الكلام الذى اشتهر على السنة المتصوفة وأصحاب الطرق ولعله من كلام كبار الصوفية المتقدمين رضى الله عنهم وكذلك ما بعده أيضا

حِينَ سُئِلَ عَنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ النُّورِ، هَذَا مَاوَرَدَ بِفَضْلِهِ الشَّرْعُ

إلى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى ﴿ حين سئل ﴾ أى النبي عليه السلام ﴿ عن علامة ذلك النور ﴾ كما قدمنا(١) ﴿ هذا ﴾ اى العلم المنقسم إلى قسمين من المكاشفة والمعاملة ﴿ ماورد بفضله ﴾ اى فضل تعلمه وتعليمه ﴿ الشرع ﴾ اى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة، اما الكتاب فكقوله تعالى (شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم) وقوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) عن ابن عباس « للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » وقوله تعالى :(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله :(انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله :(قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله:(وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا)وقوله:(وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله :(ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقوله :(بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم) .

وأما السنة فكقوله عليه السلام « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » متفق عليه وزاد الطبرانى ويلهمه رشده « العلماء ورثة الأنبياء » أبوداود.والترمذى : وابن ماجه . وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء « ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك » أبو نعيم فى الحلية عن أنس فقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وأبقى « خصلتان لا تجتمعان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين » الترمذى عن أبى هريرة « أفضل الناس المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه » البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء « الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل » الحاكم فى تاريخ نيسابور عن أبى الدرداء « اقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل » ابو نعيم عن ابن عباس « لموت قبيلة ايسر من موت عالم » الطبرانى وغيره عن ابى الدرداء « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا »

(١) ذكره فى ص ١٥

فَالْمُرَادُ الْمُكَاشَفَةُ فيما وَرَدَ «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي»

متفق عليه عن ابى هريرة « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فترجح مداد العلماء » ابن عبد البر عن أبى الدرداء « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » ابن عبد البر عن ابن عمر « من حمل من أمتى أربعين حديثا لقى الله يوم القيامة فقيها عالما » ابن عبد البر عن انس « من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب » الخطيب عن ابن جزء « أوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم » ابن عبد البر تعليقا « العالم أمين الله فى الأرض » ابن عبد البر عن معاذ « صنفان من أمتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء » أبو نعيم عن ابن عباس « اذا اتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » الطبرانى فى لأوسط . وابو نعيم فى الحلية . وابن عبد البر فى العلم عن عائشة « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » ابن ماجه عن عثمان « ما عبد الله بشىء افضل من فقه فى دين » الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه » ابن عبد البر عن انس « اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل » الطبرانى عن حزام بن حكيم عن عمه ، والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقتدى الناس فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقا قيل : يارسول الله أى الاعمال افضل ؟ قال : العلم بالله عز وجل فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقيل : ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثيرا من العمل لا ينفع مع الجهل بالله » ابن عبد البر عن أنس « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول : يامعشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم » الطبرانى عن أبى موسى ﴿ فالمراد ﴾ اى فمراد الشارع ﴿ المكاشفة فيما ورد ﴾ والفاء للتعليل اى ولان المراد علم المكاشفة ﴿ فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى ﴾ بلفظ الترمذى والدارمى عن أبى الدرداء كفضلى على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى اى فى حديث مشهور ورد ورواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى وابن حبان ولفظه « ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر » وفى لفظ الترمذي

اذْ غَيْرُه تبعٌ للعَمَلِ لثبوتِهِ شرطًا لَهُ ، وَالْمُعَامَلَةُ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ لِامْتِنَاعِ ارادَةِ غَيْرِهَا *

عن أبي امامة «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» وقال : حسن صحيح وورد «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة» ابن عدي عن أبي هريرة وأبو يعلى عن عبدالرحمن بن عوف ، وروى الاصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر «بين العالم والعابد سبعون درجة» وكذا في مسند الفردوس عن أبي هريرة وأما ما في الاحياء مائة درجة فلا اصل له ﴿ اذ غيره ﴾ أي غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة ﴿ تبع للعمل لثبوته ﴾ اى العلم ﴿ شرطا له ﴾ أي للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعني انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والا فلو أريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم أو على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه وبيان مرامه ، والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلابد للعالم من العمل وللعابد من العلم ، فالمراد بالعالم في الحديث من يعمل ما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية أوقاته إلى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما أفضل من النوافل كما لا يخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم أيضا عمل اى عمل ، وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل كما يشير اليه قوله عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن عن جابر وعن عمر «من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل» ويؤيده حديث «الدال على الخير كفاعله» رواه الترمذى من حديث أنس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال عطاء : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت : ما يبكيك؟ قال : ليس أحد يسألني عن شيء ﴿ والمعاملة ﴾ أي والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ رواه ابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما ﴿ لامتناع ارادة غيرها ﴾ أي غير المعاملة القلبية . أقول : بل الحمل على المعني الاعم هو

أَمَّاالتَّوحيدُ فَلِلْحصُولِ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلِجَوَازِ أَنْ يَتَأَهَّلَهَا شَخْصٌ وَقْتَ الضُّحَى وَمَاتَ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَأَظْهَرُ ☆

الاثم ليشمل المعاملة القالبية الواجبة وانما يصحح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع فحينئذ يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان، أحدهما ما يكون فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل الرضية، وثانيهما ماهو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء وسائر المعاملات، واما العبد اذا أسلم في وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه أن يعلمها لانه لم يدرك وقتها ومالم يدرك وقتها لا يكون فرضا علمها اذ لو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيامة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما أن يكون متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها أولا يكون فيجب عليه تحصيل علم الباطن أيضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية، فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها فافهم والله أعلم، وهذا بيان ما أجمل بقوله: ﴿ اما التوحيد ﴾ أي علمه ﴿ ف ﴾ ليس المراد به ﴿ للحصول ﴾ أي لحصوله لكل مسلم، وفيه انه لا بد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه ﴿ وأما الصلاة ﴾ اى امتناع ارادة الصلاة به ﴿ فلجواز أن يتأهلها شخص ﴾ أي يصير أهل وجوبها رجل أو امرأة ﴿ وقت الضحى ﴾ بالبلوغ أو الاسلام ﴿ ومات قبل الظهر ﴾ يعنى فلا يجب على كل مسلم ويدفع بأن هذا أمر نادر على أنه مشروط بشرائط فى تعلقها فالحكم بعد تحققها ﴿ وأما غيرهما ﴾ أى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة ﴿ فاظهر ﴾ أى فى امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله أعلم ، وبسط الكلام فى مرام هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذى هو بصدده فقال

وَعِلْمُ الآخِرَةِ مُطْلَقًا فِيمَا وَرَدَ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) لِئَلَّا يُفَضَّلَ عُلَمَاءُ الزَّمَانِ عَلَى الصَّحَابَةِ فَمُجَادَلَةُ الْكَلَامِ وَالتَّعَمُّقُ فِي فَتَاوَى يَنْدُرُ وُقُوعُهَا مُحْدَثٌ، وَمَا وَرَدَ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لِاخْتِصَاصِ الْإِنْذَارِ وَالْحَذَرِ بِهِ، فَالْمُحْدَثُ مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَأَيْضًا وَصَفَ الشَّارِعُ الْفَقِيهَ بِأَنَّهُ يَمْقُتُ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللّٰهِ

المتكلمون هو علم الكلام اذبه يدرك التوحيد و به يعلم ذات الله وصفاته ، وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة اذبهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال الفقهاء : هو علم الفقه اذبه تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات ، وقال المتصوفة : المراد به علم الأخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة ، والتحقيق ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية وأما فرض العين على كل أحد فبعضها مما تجب به الرعاية ﴿ وعلم الآخرة ﴾ أى والمراد علم ينفع فى الآخرة ﴿ مطلقا ﴾ أى مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة ﴿ فيما ورد ﴾ اى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ﴿ لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة ﴾ وفيه أن الظاهر فى معنى الآية عدم استواء العلماء والجهلاء ، وأما مراتب العلماء من الأنبياء والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ الأولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة ﴿ فمجادلة الكلام ﴾ أى علم المنطق والكلام ﴿ والتعمق فى فتاوى يندر وقوعها محدث ﴾ أى بدعة الا أن الأولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة ﴿ وماورد ﴾ أى والمراد علم الآخرة فيما جاء من القرآن (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) ﴿ لاختصاص الانذار والحذر ﴾ فى قوله سبحانه : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ﴿ به ﴾ أى مختص بعلم الآخرة ﴿ فالمحدث مما سبق ذكره يقسى القلب ﴾ أى لعدم مدخليته فى الانذار والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب، ففى العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه أكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد في الدنيا الراغب فى العقبى الطالب للمولى وهو الأعلى ﴿ وأيضا ﴾ أى مما يؤيد ما قدمناه ﴿ وصف الشارع الفقيه بأنه يمقت الناس ﴾ أى يبغضهم بالمعاصى ﴿ فى ذات الله ﴾ أى لاجل رضاه

وَلَمْ يُقَنِّطْهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِهِ وَلَمْ يَرْغَبْ عَنِ القُرْآنِ الى غَيْرِهِ وَيَرَى لَهُ وُجُوهًا كَثِيرَةً ٭

﴿ولم يقنطهم من رحمته﴾ لقوله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله) وقوله : (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ ولم يؤمنهم من مكره ﴾ لقوله سبحانه : (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الأولياء لقوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) والانسان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ﴿ ولم يرغب عن القرآن ﴾ أى وما هو مقتبس منه ﴿ الى غيره ﴾ أى الى غير القرآن من العلوم المحدثة ﴿ ويرى له ﴾ أى للقرآن ﴿ وجوها كثيرة ﴾ أى من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال « الا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يئسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه » أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق . وأبو بكر بن السنى . وابن عبد البر من حديث على ، وقال ابن عبد البر : أكثرهم يوقفونه على على ، وفى حديث آخر « لا يفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس ، وقال : لا يصح مرفوعا ، وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا قلت : فيه ايماء الى ماقيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فظهر أن المراد بالفقه مايحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السنجى الحسن البصرى عن شىء ؟ فاجابه فقال : ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن : ثكلتك فريقدو هل رأيت فقيها بعينك ؟ انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الأخرى البصير بذنبه المداوم على عبادة الله . الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن أحوالهم . الناصح لجماعتهم ٭

ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة ، منها قوله تعالى : (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقوله عليه السلام : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقوله : « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » أحمد . وابن حبان.

والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال، وقوله: «لأن تغدو فتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة» ابن عبدالبر من حديث أبي ذر، والخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر، وقوله: «باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا» ابن حبان في روضة العقلاء. وابن عبدالبر موقوفا على الحسن البصري، وجاء مرفوعا بلفظ «خير له من مائة ركعة» رواه الطبراني في الاوسط من حديث أبي ذر وقوله: «اطلبوا العلم ولو كان بالصين» ابن عدى. والبيهقي في المدخل. والشعب من حديث أنس وقال: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة، وقوله «العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم» رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله «لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت عن علمه» الطبراني في الأوسط. وابن مردويه في التفسير. وابن السني. وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف. وقوله: «ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة» الدارمي. وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن اى ابن علي أو البصري فالحديث مرسل، وأما قول الغزالي في حديث أبي ذر «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل: يارسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر، وقال الحافظ العراقي: ولم أجده من طريق أبي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند أبي ذر «يا أبا ذر لان تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وان تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعا» رواه ابن ماجه. والحاكم في تاريخه عنه، وأما ما ورد في فضيلة التعليم فمنه قوله تعالى: (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وهذا ايجاب للتعليم، وقوله: (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم، وقوله: (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) وقوله: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله: (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ومنه قوله عليه السلام: «ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه» أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وقوله لما بعث معاذا الى اليمن: «لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» أحمد من حديث معاذ. وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي رضي الله عنه * وقوله: «من تعلم بابا

ثُمَّ حَقُّهُ الْعَمَلُ

من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا » الديلمي من حديث ابن مسعود * وقوله « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى: أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » أبو العباس المرهبي من حديث ابن عباس ، وقوله: « ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساجهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ، وقوله « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » أبو داود . والترمذي . وابن ماجه : وابن حبان . والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة » الطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وقوله « الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وما والاه أو معلم أو متعلم » الترمذي . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير » الترمذي من حديث أبي أمامة ، وقوله : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه » ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه . ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى » ورواه البيهقي في الشعب أيضا ، وقوله « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها و يعلمها خير له من عبادة سنة » ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه ، وقوله : « على خلفائي رحمة الله قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله » ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل : هو ابن علي وقيل : ابن يسار البصري فيكون مرسلا ولابن السني . وأبي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه ، « وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال : اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم » ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو ﴿ ثم حقه ﴾ أي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها ﴿ العمل ﴾ والمعنى لابد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة

فَوَرَدَ (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ) الآيَةَ «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ» وَالاحْتِرَازُ عَنِ الْفَتْوَى لِعَدَمِ قِيَامِهِمْ بِهَا إِلَّا بِضْعَةَ عَشَرَ، وَوَرَدَ لَا يُفْتِي إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُتَكَلِّفٌ،

الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل فى قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه التسليم: من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما، وقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» والحاصل أن العالم العامل فى منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم فهو فى مرتبة المرسلين ﴿فورد﴾ فى ذم ترك العمل ﴿كبر مقتا عندالله الآية﴾ والمقت أشد الغضب، تمامها (ان تقولوا مالاتفعلون) وفى معناها (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)؟ وأنشد:

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ٭ عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اعلم أنه كثر فى التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباعث على ذلك اختصار ماهنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على أواخرها وهو محفوظ ومعروف عند أهلها فيذكر صدرها ويشير الى آخرها بقوله الآية. ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ أوخبر كالمورد والمروى والجر على تقدير الى آخر الآية وأمثالها ﴿أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه﴾ أى لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه، والحديث رواه الطبرانى فى الصغير. وابن عدى فى الكامل. والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة، وورد «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات» ﴿والاحتراز﴾ أى وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه ﴿عن الفتوى﴾ اذا لم يتعين لها ﴿لعدم قيامهم﴾ أى الصحابة ﴿بها إلابضعة عشر﴾ بكسر الموحدة مابين الثلاث الى التسع، وكان قبض عليه السلام عن مائة ألف وأربع وعشرين ألفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من أهل التقوى ﴿وورد لايفتى الاأمير أومأمور أومتكلف﴾ الطبرانى عن عبادة بن الصامت، وعن عوف بن مالك أيضا فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون، والمأمور نائبه، والمتكلف غيرهما وهو الذى يتكلف

وَالاسْتِبْصَارُ فَوَرَدَ « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ »

تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغى له الحذر كل الحذر ، وعن حذيفة « انما يفتى أحد ثلاثة من عرف الناسخ والمنسوخ أو رجل ولى سلطان فلا يجد بدا من ذلك أو متكلف » ابن عساكر ، قال الحجة : وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة ، وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال ، وعن أبى حصين قال : ان أحدهم ليفتى فى المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر ابن عساكر ، وعن ابن سيرين أن عمر قال لأبى موسى : اما بلغنى أنك تفتى الناس ولست بأمير قال : بلى قال فول حارها من تولى قارها (١) عبد الرزاق . والدينورى فى المجالسة . وابن عبد البر فى العلم . وابن عساكر ، وعن عبد الله بن بشير أن على بن أبى طالب سئل عن مسألة ؟ فقال : لا علم لى بها ثم قال : وابردها على الكبد سئلت عما لم أعلم فقلت : لا أعلم رواه سعدان ابن نصر ، وسئل مالك عن أربعين مسألة فقال فى ست وثلاثين : لا أدرى ، ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدرى ، وعن أبى يوسف سمعت أبا حنيفة يقول : لولا الخوف من الله تعالى ما افتيت أحدا ليكون الهنا لهم والوزر علينا ، وسئل عن مسألة فقال : سلوا مولاى الحسن ، وذكر الكردرى منه وناهيك عن نهى الفتوى قوله عليه السلام : « اجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » رواه الدارمى عن أبى عبد الله بن أبى جعفر مرسلا ﴿ والاستبصار ﴾ أى وحق علم المعاملة بعد فتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار . وأخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال بالنظر من بين اخيار ﴿ فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون ﴾ أحمد من حديث وابصة . ويؤيده حديث « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » الترمذى وصححه . والنسائى . وابن حبان من حديث الحسن بن على ، وحديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » الترمذى وحسنه . وابن ماجه . والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية السعدى ، وحديث « الاثم حواز القلوب » البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ، وهو بتشديد الزاى جمع حازة وهى الأمور التى تحز فيها أى

---

(١) القار بالقاف البرد فجعل الحر كناية عن الشر والشدة والبرد كناية عن الخير والهين ، والمعنى ول شرها من تولى خيرها وول شديدها من تولى هينها

وَلأَنَّ الْمُقَلِّدَ وِعَاءُ الْعِلْمِ ، وَالشَّفَقَةُ فِي التَّعْلِيمِ فَوَرَدَ أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ

تؤثر كما يؤثر الحز والحك فى الشيء وهو ما يخطر فيها من المعاصي لفقد الطمأنينة اليها ، ويروى بتشديد الواو أي يحوزها أو يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزاءين الأولى مشددة فعال من الحز فيعتمد فى العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما أشار اليه بقوله : ﴿ ولأن المقلد وعاء العلم ﴾ عطف على فورد لأنه فى معنى التعليل ، والمعنى ان الذي يقبل قول الغير ولو كان مجتهداً انما هو وعاء العلم أي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ فى الدراية وانما نصيبه الرواية ، ومن هنا قال أبو حنيفة . وغيره : لا يحل لاحد أن يقول بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا ﴿ والشفقة فى التعليم ﴾ اى ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم ﴿ فورد انا لكم مثل الوالد لولده ﴾ أبو داود . والنسائى . وابن ماجه : وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وقال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وفى قراءة شاذة (وهو اب لهم) بل هو أفضل وأكمل من الوالدين منهم (١) فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد (٢) سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا وأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم (٣) الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه ، والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق ، والتوافق فى الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والتوافق (٤) فى طريقه الأعلى ولا ضيق فى سعادات الآخرة فلذا لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذا لا تنفك عن ضيق التزاحم ، والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) وداخلون فى مقتضى قوله سبحانه : (الأخلاء

(١) سقط لفظ منهم من النسخة المطبوعة (١) فى النسخة المطبوعة «فان الولد» وهو غلط (٢) فى بعض النسخ مقصودهم وماهنا يناسب ما سيأتى بعد (٣) فى بعض النسخ والترافق وما هنا اولى ليناسب ما قبله

فَلَا يَضِنُّ فَوَرَدَ « مَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » إِلَّا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فَوَرَدَ «لَا تَطْرَحُوا الدُّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ» وَالتَّعْرِيضُ بِالْمَنْعِ إِبْقَاءً لِلْهَيْبَةِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ ،

يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ﴿ فلا يضن ﴾ بفتح الضاد وكسرها نفيا أو نهيا أى فلا يبخل على أحد بعلمه لان العلم لا يحل منعه ﴿ فورد من كتم علما ألجم بلجام من نار ﴾ ابن ماجه وغيره من حديث أبى هريرة ﴿ الا ﴾ استثناء من قوله فلا يضن أى فلا يبخل بالعلم الا ﴿ عن غير أهله ﴾ وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه ونحوه ﴿ فورد لا تطرحوا الدر فى أفواه الكلاب ﴾ رواه ابن النجار عن أنس ولفظه «لا تطرحوا الدر فى أفواه الخنازير » وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير ، وقال أيضا : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء ، وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فاعط كل ذى حق حقه وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت ان رسول الله ﷺ قال: « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال: اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمنى » وقوله تعالى :(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) فيه تنبيه نبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق :

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

﴿ والتعريض ﴾ أى لا التصريح ﴿ بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور ﴾ أى فى المنع كما ورد فى الحديث المأثور ، والمعنى ان من حقوق المعلم أن يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة أدب فى القول أو الفعل حال تقرير ولا يصرح ما أمكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرءة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جرير مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال : يافلان مامنعك أن تجمع اليوم معنا فقال :

وَالاقْتِصَارُ عَلَى قَدْرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ « أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » وَقَطْعُ الطَّمَعِ فَوَرَدَ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) وَنِيَّةُ الْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ

يانبي الله انى قدجمعت معكم فقال عليه السلام : أولم أرك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطى بانه يحبط أجر عمله ولم يصرح له مع مافيه من امالة النفوس الذكية والاذهان البهية الى استنباط المعانى الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة فى العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه فى الاصرار على القبيح ، فقدروى لومنع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا : مانهينا عنه الا وفيه شيء يطلب ، وقدقيل : الانسان حريص على مامنع كما يشيراليه قوله تعالى حكاية : (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاأن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ﴿ والاقتصار على قدر الفهم فورد أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ﴾ أبوداود من حديث عائشة بلفظ « أنزلوا الناس منازلهم » وفى رواية عن ابن عمر « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » ويؤيده حديث « كلموا الناس بما تعرفون ودعوا ماتنكرون » البخارى موقوفا على على ، ورفعه أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم ، ويقويه حديث « ماحدث أحدكم قوما بحديث لايفهمونه الا كان فتنة عليهم » العقيلى فى الضعفاء . وابن السنى . وابو نعيم فى الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ، ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه ، وفى رواية « ماأحد يحدث قوما بحديث لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » وفى رواية لأبى نعيم عن ابن عباس « لاتحدثوا أمتى من أحاديث الا بما تحمله عقولهم » وعن على قال : حدثوا الناس بما تعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله البخارى ، وفى رواية عنه أيها الناس تحبون أن يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بماتعرفون ودعوا ماتنكرون الخطيب ، وفى رواية عنه وأشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ، ولقد صدق فقلوب الأبرار قبور الاسرار ﴿ وقطع الطمع ﴾ أى عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو سكون النفس الى منفعة مشكوكة ﴿ فورد ﴾ أى فى آيات كثيرة ﴿ قل لاأسئلكم عليه أجرا ﴾ تمامها (ان اجرى الا على رب العالمين) ولان فساد الدين الطمع كما أن صلاح الدين الورع على ماروى عن الحسن ﴿ ونية العمل ﴾ بنفسه ﴿ والتعليم ﴾ لغيره فى التعلم أى لاقصد المال والجاه والأغراض الفاسدة والأعواض الكاسدة ،

فورد «من تعلّم للمباهاة أو المماراة أو لصرف وجوه النّاس فهو فى النّار» * والانقطاع لشغل العلائق * والتملّق فورد « ليس من أخلاق المؤمن التملّق إلاّ فى طلب العلم » والتّسليم لهلاك مريض لا يسلم للطّبيب * والحضور للانتفاع فورد (إنّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب)

وهذا من حقوق تجب على المتعلم ﴿ فورد من تعلم للمباهاة ﴾ أى للمفاخرة ﴿ أو المماراة ﴾ أى المجادلة ﴿ أو لصرف وجوه الناس ﴾ أى اليه تعظيما وتكريما ﴿ فهو فى النار ﴾ ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ، ولفظه « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار » وفى رواية لابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم » وفى رواية لأبى داود عنه « من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » وفى رواية الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ « من تعلم العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » وقد كثرت طرقه بحيث كاد أن يكون متواترا ﴿ والانقطاع ﴾ عن سائر الأمور التى فيها نوع من النزاع ﴿ لشغل العلائق ﴾ أى العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ، ويشير اليه قوله تعالى : (وتبتل اليه تبتيلا) أى انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وقال بعضهم : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من أعطائه اياك بعضه على خطر ﴿ والتملق ﴾ هو الافراط فى التواضع والتذلل ﴿ فورد ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم ﴾ رواه الخطيب ﴿ والتسليم ﴾ أى تسليم المتعلم للمعلم لأن العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ، ولقوله ﴿ لهلاك مريض لا يسلم ﴾ أى أمره ﴿ للطبيب ﴾ أى فيما يحتميه وفيما يعينه ﴿ والحضور للانتفاع ﴾ أى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع فى مقام الكسب ﴿ فورد ﴾ أى فى قوله تعالى : (ان فى ذلك) أى فيما سبق من أول سورة ق أو فى القرآن ﴿ لذكرى ﴾ أى تذكرة أو منفعة وموعظة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أى حاضر وتمام

وَتَرْكُ الاسْتِنْكَافِ لأَنَّهُ تَكَبُّرٌ. وَالقِيَاسُ لاسْتِبْدَالِهِ الحُضُورَ بِالنَّوَافِلِ وَاحَالَةُ الْبَحْرِ النَّجَاسَةَ مَاءاًدُونَ الْكُوزِ ، وَتَقْدِيمُ الأَهَمِّ فَيَبْدَأُ بِفَرْضِ الْعَيْنِ وَهُوَ عِلْمُ مَايَجِبُ مِنِ اعْتِقَادٍ وَفِعْلٍ وَتَرْكٍ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ثُمَّ عِلْمُ الآخِرَةِ فَهُوَ الْمُقَرِّبُ الَيْهِ تَعَالَى ٭

الآية (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي بجميع حواسه ﴿ وترك الاستنكاف ﴾ أي الأنفة عن الطلب أو المطلوب منه فان العلم يؤتى ولا يأتي ﴿ لأنه تكبر ﴾ أي بغير حق وقد قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) ﴿ والقياس ﴾ أي ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهي في كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة ﴿ لاستبداله ﴾ أي لاختيار المنتهي ﴿ الحضور ﴾ أي مع الله ﴿ بالنوافل ﴾ اذ النهاية رد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيرى الناظر انه كسل وبطالة واهمال وغفلة وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور مع الرب ﴿ واحالة البحر ﴾ أي ولتغييره ﴿ النجاسة ماء دون الكوز ﴾ شبه المنتهي بالبحر والمبتدى بالكوز فلا يقاس الملوك بالحدادين، ومن هنا قال بعض المشايخ: من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا ﴿ وتقديم الأهم ﴾ أي من العلوم تعلما وتعليما ﴿ فيبدأ بفرض العين ﴾ أي المتعين على كل أحد ﴿ وهو علم مايجب من اعتقاد ﴾ أي اجمالا أو تفصيلا تقليدا أو تحقيقا كما بينته في شرح الفقه الأكبر تدقيقا ﴿ وفعل ﴾ أي عمل من صلاة وصوم ونحوهما ﴿ وترك ﴾ أي من قتل نفس وشرب خمر وأمثالهما ومحلهما كتب الفقه ﴿ ظاهرا ﴾ وهو ظاهر ﴿ وباطنا ﴾ كترك ارادة المعصية ﴿ ثم علم الآخرة ﴾ أي معرفة تفاصيل أحوالها ومواقفها وأهوالها أو علم لا ينفع الا في الآخرة وآمالها، والمراد به علم التصوف وتحسين الأخلاق الباطنية وتزيين الأحوال السرية ﴿ فهو المقرب اليه تعالى ﴾ أي ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من أنواع التقصير. وأصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور في التقرير والتحرير، ومن هنا قال الامام مالك: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقال بعض العارفين: من لم يكن له

نصيب من هذا العلم أخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر، وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وأنشد :

وارض لمن غاب عنك غيبته ٭ فذاك ذنب عقابه فيه

هذا ومجمل ما يجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد فى مقام الاستفادة ان تعلم ان لك إلها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا أحدا فردا صمدا لا شريك له ابدا ولا ضد له ولا ند ولا شبيه ليس كمثله شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، متصف بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام ، منزها عن الحدوث متفردا بالقدم خالقا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا تتضمنه الأمكنة والجهات ولا تمر عليه الأزمنة والساعات ولا تحل له الحوادث والعاهات، وان محمدا عبده ورسوله وخليله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من أمر الآخرة وغرائب شأنه ، ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من أن الله سبحانه يرى فى الآخرة لأنه موجود لكنه غير محدود، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا باصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ فى قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا ، ونعتقد أيضا أن لا يقع في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق ارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره وهو العبادة ، ثم من أثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ونعتقد جميع ما ثبت بالسنة من أمور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان٭ فهذه أصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدو الاهواء ٭ وقال الحجة: علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى بالمعرفة الاعتقاد الذى تلقنه العامى رواية بل ذلك نوع يقين من دراية

فَاذَافَرَغَ عَنِ الْقِيَامِ بِفَرْضِ الْعَيْنِ عِلْماً وَعَمَلاً سَاغَ أَنْ يَشْرَعَ فِي فُرُوضِ الْكِفَايَةِ كَالتَّفْسِيرِ. وَالْأَخْبَارِ وَالْفَتَاوَى غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ إِلَى النَّوَادِرِ *

هو ثمرة نور يقذفه الله فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان أبى بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق. ومن أهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجتنبها اذ كيف تقوم الطاعات ولا تعرف ماهى أو كيف يفعلها مع وجود الملاهى أم كيف يجتنب المعاصى من غير أن يعرف أنها من المناهى فيجب عليك أن تحكم أحكام الشرع من الاصل والفرع فربما أنت مقيم على كفر وبدعة أو على غفلة عما يفسد عليك طهارتك أوصلاتك أو يخرجهما عن كونهما على وفق السنة، ثم مدار هذا الشأن أيضا على العبادات الباطنة التى هى من فروض الأعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضاء والقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص فى النية ونحوها مما سيجىء ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المعاصى الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الأمل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتى بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شانها ويكون منعوته بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهى عن اضدادها فى كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم، فقد قال تعالى: (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون). (واصبروا ان الله مع الصابرين). (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ونحو ذلك من الآيات كما نص على الأمر بالصوم والصلاة فما بالك أقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد فى كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها، وعلى الجملة فكل مالا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) أى فعلا وتركا (ساغ أن يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير) أى وما يتعلق به من علم القراءة وأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو (والاخبار) أى الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر أحوالها (والفتاوى) أى فروع الفقه وأصوله (غير متجاوز الى النوادر) أى كما نقل عن السلف

وَلَا مُسْتَغْرِقٍ مُشْتَغِلٍ عَنِ الْمَقْصُودِ ، وَالاقْتِصَارُ عَلَى الْوَاقِعِ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ فِي الْمُنَاظَرَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ ، وَاخْتِيَارُ الْخَلْوَةِ لِقُرْبِهَا الَى جَمْعِ الْهِمَّةِ وَصَفَاءِ الْفِكْرَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ ؞

الأكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى أو الجلالين، ووسطه المدارك أو المعالم ونهايته الدر المنثور فى التفسير المأثور، ومن الحديث يكفيك ما فى الصحيحين والتوسط منه نحو المشكاة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطى، واما الاستغراق فى علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر قصير ﴿ولا مستغرق﴾ أى بكليته فى فرض الكفاية وهى كما قال الحجة: كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان. وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال: ولا يتعجب من قولنا: ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان أصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهى أخس الصنائع فانه لو خلا بلد عن الحجامين لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله، قلت: وأغرب من هذا ان صنعة السراباتية أيضا من فروض الكفاية ﴿مشتغل عن المقصود﴾ أى الذى هو الحضور بين يدى المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود فقد قال الطحاوى: حدثنا ابن أبى عمران قال: حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال: سمعت اسماعيل ابن حماد بن أبى حنيفة يقول: قال محمد بن الحسن: كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن مسألة؟ فان وقع فى قلبه انها مما احتاج اليه لامر دينى اجابنى عنها وان وقع فى قلبه انها على خلاف ذلك تبسم فى وجهى وقال: ان لنا شغلا ﴿والاقتصار﴾ أى ومن حقوق علم المعاملة الاقتصار ﴿على الواقع﴾ أى من القضايا ﴿والقريب منه﴾ أى من الواقع فى البلايا ﴿والمناظرة﴾ اى بطريق المشاورة ﴿فهو المأثور﴾ أى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الا فى مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا ﴿واختيار الخلوة﴾ اى للمناظرة ﴿لقربها إلى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب﴾ لان فى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا

وَسَبِيل التَّشَاوُر وَالتَّعَاوُن فَهُوَ الْمَأْثُور فَيَجِيزُ الانْتِقَالَ عَنْ دَلِيل وَإِشْكَال وَلَا يَدَّعِي عِلْمَ مَجْهُول وَلَا يَسْكُتُ عَنْ مَعْلُوم زَاعِمًا أَنَّهُ عَالِمٌ بَعْدَ لُزُوم الذِّكْر فَهِيَ قَوَاعِد مُحْدَثَة جَاذِبَة إِلَى الْمُهْلِكَات يَحْرُمُ التَّمَسُّكُ بِهَا وَيَشْكُرُ لِلْمُصِيب وَيَعْتَرِفُ بِالْخَطَا

﴿ وسبيل التشاور ﴾ اى واختياره لقوله عز وجل : (وأمرهم شورى بينهم) والحديث « ماخاب [من استخار ولا ندم] (١) من استشار » ﴿ والتعاون ﴾ لقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) ﴿ فهو المأثور ﴾ لا على سبيل المراء والخصومة والرياء ﴿ فيجيز الانتقال ﴾ أي فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة ﴿ عن دليل واشكال ﴾ اى الى دليل آخر واشكال اظهر بان اعتقد اولا انه دليل واشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعد هما انه غير دليل واشكال فينتقل ﴿ ولا يدعى علم مجهول ﴾ كما اذا قال أحد المتناظرين هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو اوضح فاذكره فيصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ماذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمنى ذكره ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وانما يدعيه تعجيزا لخصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول، أو قوله صدق فقد فسق باخفاء ماعرفه من أمر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قد وجب عليه وهذا معنى قوله ﴿ ولا يسكت عن معلوم زاعما ﴾ أى مدعيا ﴿ انه عالم بعد ﴾ أى بعد سؤال المناظرة و ﴿ لزوم الذكر ﴾ كما هو شأن المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على ان الحكم فى الاصل (٢) معلل بهذه العلة؟ فيقول : هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو اوضح وأولى فاذكره الى آخر ماسبق ﴿ فهى ﴾ أى المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت ﴿ قواعد محدثة ﴾ اى اصطلاحات مبتدعة مستقبحة ﴿ جاذبة الى المهلكات ﴾ من الحسد والتكبر وكتمان الحق وأذى المسلم وغير ذلك ﴿ يحرم التمسك بها ﴾ أى ويجب العمل بخلافها ﴿ ويشكر ﴾ أى المناظر ﴿ للمصيب ويعترف بالخطأ ﴾ فعن محمد بن كعب قال : سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل : ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على : أصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم

---

(١) الزيادة من الجامع الصغير ، والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بزيادة فى آخره « ولاعال من اقتصد » وسنده ضعيف (٢) وبعض النسخ الخطية فى الدليل

وَلَا يَهْتَمَّ بِهِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ لأَنَّهُ مُنْشِدُ ضَالَّةٍ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهَا مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُقَدِّمُ إِفْحَامَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لِشِدَّةِ مُعَادَاتِهِمَا ،

أخرجه ابن جرير . وابن عبدالبر ، وقدثبت ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة واخطأ رجل ، واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعرى فقال أبو موسى الأشعرى : لاتسألونى عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال: هو فى الجنة وكان اذذاك أمير الكوفة فقال ابن مسعود : اعده على الأمير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه وأعاد الجواب وقال ابن مسعود : وانا أقول : ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى: الحق ماقال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولوذكر مثل هذا الاقل فقيه لانكره واستبعده وقال: لايحتاج الى أن يقال انه أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة فى تعاونهم على النظر فى الحق ﴿ ولا يهتم به ﴾ أى برأيه الخطأ لان هذا شأن الاجتهاد ولانه اذا أصاب فله أجران واذا اخطأ فله أجر فلا يخلو عن الخير بالكلية ﴿ فهو المأثور ﴾ أى المنقول عن الجمهور قيل: ولا يقدر على هذه الثلاثة الا العالم الربانى أو الولى الصمدانى و ﴿ لانه ﴾ دليل آخر لعدم الاهتمام أى ولان المناظر اذا كان طالب حق ﴿ منشد ضالة فلافرق بين ظهورها منه أو من غيره ﴾ كما يشير اليه قوله عليه السلام: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها» أخرجه الترمذى عن أبي هريرة مرفوعا ﴿ ويقدم ﴾ أى المناظر قبل البحث ﴿ افحام النفس ﴾ اى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء ﴿ والشيطان ﴾ وكذا افحام الشيطان ﴿ لشدة معاداتهما ﴾ قال تعالى: (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقال عليه السلام : «اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك»(١) ومن لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له فلا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى مسائل (٢) المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر

(١) رواه البيهقى فى الزهد باسناد ضعيف وذكره العجلونى فى كتابه بلفظ اعدى اعدائك الخ (٢) فى النسخة المطبوعة فى المسائل

وَالتَّمَسُّكُ فى الأُصول بالكتاب وَالسُّنَّة وَالاجْمَاع، وَالاعْرَاضُ عَن اعْتِرَاض خَاطِرٍ أَوْ نَاظِرٍ لاعْتصَامها عَن الْهَوَى وَالْوَسْوَسَة دُونَ غَيْرِهَا، وَتَأْييد الاعْتقَاد بالْمُعَامَلَة فهو طَرِيقُ الْمُكَاشَفَة وَأَدلَّة الْقُرآن فَبها كَانُوا يُحَاجُّون وَيقَاتلُونَ مَنْ لَمْ يقْنعْه فَلَا بيان بعْدَ بيَانه ،

فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخاصين فى حزب الرحمن والله المستعان ، هذا وقد ورد «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة - أى وسطها - ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة» الترمذى وحسنه من حديث أنس ﴿والتمسك﴾ عطف على اختيار الخلوة أى والاعتصام ﴿فى الأصول﴾ أى الاعتقاديات ﴿بالكتاب﴾ اذا كان مقطوع الدلالة ﴿والسنة﴾ أى المتواترة مبنى أو معنى ﴿والاجماع﴾ أى اجماع الأمة واتفاق الأئمة ﴿والاعراض عن اعتراض خاطر او ناظر﴾ أى ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض فى خاطره أو فى قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلاثة المذكورة ﴿لاعتصامها عن الهوى﴾ أى هوى النفس ﴿والوسوسة﴾ أى وسوسة الشيطان ﴿دون غيرها﴾ أى بخلاف ماعداها من المقايسات العقلية ونحوها ﴿وتأييد الاعتقاد﴾ أى تقويته وتأكيده ﴿بالمعاملة﴾ والمعنى انه اذا علم واعتقد شيئا واجبا أو سنة او مندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما أو مكروها من حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك ﴿فهو﴾ أى تأييده بها ﴿طريق المكاشفة﴾ أى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له أبواب الهداية ومايوصله الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقوله عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم مالا يعلم» ﴿وأدلة القرآن﴾ أى وتأييده بادلة القرآن خصوصا فانها قطعية لامحالة ويرجع الاجماع والسنة اليها ﴿فبها﴾ اى بالادلة القرآنية ﴿كانوا﴾ اى السلف ﴿يحاجون﴾ أى يباحثون من قنعه القرآن ﴿ويقاتلون من لم يقنعه فلا بيان﴾ أى يوجد ﴿بعد بيانه﴾ أى بيان القرآن ، وقد قال تعالى : (هذا بيان للناس) وقال: (هذا بلاغ للناس) اى كفاية لهم فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وفى الحديث «من

وَصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَإِصْغَاءِ الْوَعْظِ اللَّيِّنِ وَتَرْكِ مُجَادَلَةِ الْكَلَامِ فَهُوَ صَنْعَةُ جَدَلٍ لِتَعْجِيزِ الْعَامِّيِّ الَّذِي يُضَرُّ ضَرَرُهُ لِتَشْوِيشِهِ الْحَقَّ بِبَعْثِ الشُّبْهَةِ وَتَحْرِيكِ الْعَقِيدَةِ وَإِزَالَةِ الْجَزْمِ وَتَوْكِيدِهِ الْبَاطِلَ بِتَأْيِيدِ الْإِصْرَارِ لِلْعَنَتِ الْجَدَلِيِّ وَحَمْلِ الْإِفْحَامِ عَلَى قُصُورِ الطَّبْعِ

لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى من لم يستغن به عن غيره ، ويؤيده قوله تعالى : (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) ﴿ وصحبة الصالحين ﴾ أى وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح مالم ينكشف لغيرهم من العلوم ، وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ﴿ واصغاء الوعظ ﴾ أى وتأييده باستماع الوعظ ﴿ اللين ﴾ اى المؤثر للقلوب امامن الوعاظ أو من كتب الصوفية ﴿ وترك مجادلة الكلام ﴾ أى وتأييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام ﴿ فهو صنعة جدل ﴾ بفتح فكسر أى مجادل أو بفتحتين فان المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة خطئه واظهار فضل النفس وهو موضوع ﴿ لتعجيز العامى الذى يضر ﴾ بصيغة المجهول ﴿ ضرره ﴾ أى يضر الجدل مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بأنه يقع فى خاطره ان العلماء لما يترددون فى المسألة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله ﴿ لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم ﴾ فهذا ضرره بالنسبة الى العامى واماضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله ﴿ وتوكيده ﴾ عطف على تعجيزه أى فهو صنعة جدل لتأكيده ﴿ الباطل بتأييد الاصرار ﴾ أى بتقوية الاستمرار على المجادلة فى الآيات والاخبار ﴿ للعنت الجدلى ﴾ أى لطلب زلة من يجادل فى الآيات والاخبار معه ومشقته ﴿ وحمل الافحام ﴾ أى وبحمل الالزام ﴿ على قصور الطبع ﴾ وذلك لأن المماراة تصير عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف البعض منها بالبعض ، ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم

وَمِنْ ثَمَّةَ تُزَعْزِعُ عَقِيدَةُ الْمُتَكَلِّمِ الْمُشْتَغِلِ بِالنَّظَرِ دُونَ الْعَامِّيِّ الْمُتَّقِي إِلَّا فِي عَامِّيٍّ اعْتَقَدَ بِدْعَةً مَسْمُوعَةً وَأَلِفَ الْجَدَلَ حَتَّى لَا يُفِيدُهُ سِوَاهُ فَمِنْ ثَمَّةَ صَارَ مُبَاحًا

خصمون) الترمذى وابن ماجه من حديث أبى امامة قال الترمذى : حديث حسن صحيح وقال عز وجل :(وكان الانسان أكثر شيء جدلا) وفى الحديث فى معنى قوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون) الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى: (فاحذروهم) متفق عليه من حديث عائشة، وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل و يفتح لهم باب الجدل ، وفى بعض الاخبار انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقى لم أجد له أصلا وفى الخبر المشهور «أبغض الخلق الى الله تعالى الألد الخصم» متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) ومن هنا قيل : اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تلقيه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء ﴿ ومن ثمة ﴾ تكتب بالتاء لئلا تشتبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلا وهاء وقفا وخلاف ذلك عدمن غلط العامة كذا فى غاية التحقيق أى ومن أجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك ﴿ تزعزع ﴾ أى تزلزل ﴿ عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر ﴾ أى بالادلة النظرية العقلية فقط ﴿ دون العامى المتقى ﴾ أى المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من أدلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان التبيان وبما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين ﴿ الا ﴾ استثناء من قوله لتعجيز العامى الذى يضر ضرره اى الا ﴿ فى عامى اعتقد بدعة مسموعة ﴾ أى من جماعة مبتدعة ﴿ وألف الجدل حتى لا يفيده سواه ﴾ والغالب انه لا يفيده بل لا يزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومى اليه قوله تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) ﴿ فمن ثمة ﴾ أى من أجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة أو لاقامة الحجة ﴿ صار ﴾ أى علم المناظرة ﴿ مباحا ﴾ عند بعضهم

بَلْ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ فِى زَمَانِ الْبِدَعِ صَوْنًا لِلْعَقَائِدِ عَلَى الذَّكِيِّ الْفَصِيحِ الْمُتَدَيِّنِ الْمُتَجَرِّدِ لَهُ لِيَقْدِرَ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّقْرِيرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالِاسْتِكْمَالِ لِإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّهُ دَوَاءٌ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ فَهُوَ غِذَاءٌ بِكَلَامٍ وَاضِحٍ سَدِيدٍ قَرِيبٍ مِنَ الشَّرْعِ لِيَقْرُبَ مِنَ الْفَهْمِ وَيَبْعُدَ عَنْ وُرُودِ الشُّبْهَةِ وَالْهَوَى وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ التَّعَمُّقِ الْمُشَوِّشِ

﴿ بل من فروض الكفاية ﴾ أى عند بعض أرباب الدراية ﴿ فى زمان البدع ﴾ أى أيام ظهور أنواع البدعة ﴿ صونا للعقائد ﴾ أى عن تزلزلها فى القواعد وهو انما يكون مباحا أو فرض كفاية ﴿ على الذكى ﴾ أى الفطن ﴿ الفصيح ﴾ أى القادر على التقرير والتحرير ﴿ المتدين المتجرد له ﴾ أى لتحصيله فى هذا الفن ﴿ ليقدر على الفهم ﴾ أى أولا ﴿ والتقرير ﴾ أى التفهيم ثانيا ﴿ والثبات على الحق ﴾ اى ثالثا ﴿ والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة ﴾ أى لايباح لعامة الناس أن يخوضوا فى هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامى هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الأمة وسائر الأدلة العقلية والحجج النقلية ﴿ لانه ﴾ أى علم النظر ﴿ دواء ﴾ فيحتاج اليه عند الحاجة كالأدوية والعامى ليس له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه ﴿ بخلاف ماسبق ﴾ أى من الأدلة الثلاثة التى هى الكتاب. والسنة. واجماع الأمة ﴿ فهو غذاء ﴾ اى فانها كالغذاء للبدن فلابد للعامى منها فقد قال فتح الموصلى : أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ فقالوا : بلى فقال: فكذا القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ، وأما دقائق المعتقدات وحقائق المختلفات فيستغنى عنه العامى حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك فقدمات على الاسلام اجماعا ﴿ بكلام واضح ﴾ أى هو من فروض الكفاية على الذكى الفصيح بكلام ظاهر ﴿ سديد ﴾ أى مسدد باهر ﴿ قريب من الشرع ليقرب ﴾ أى ذلك الكلام ﴿ من الفهم ﴾ أى الذى يقتضيه الطبع ﴿ و يبعد عن ورود الشبهة والهوى ﴾ أى هوى النفس أو هوى البدعة ﴿ والوسوسة ﴾ اى الناشئة من النفس والشيطان ﴿ دون التعمق المشوش ﴾ أى ولايباح لمن ينظر فى علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه

وَالتَّجَاوُزِ إِلَى هَذَيَانَاتٍ اخْتَرَعَهَا الْمُبْتَدِعَةُ

مايعنيه ﴿ والتجاوز ﴾ أى دون التعدى ﴿ الى هذيانات ﴾ أى وترهات تؤذى بها الطبائع وتمجها الاسماع ﴿ اخترعها المبتدعة ﴾ أى من الخوارج والروافض والمعتزلة، ثم اعلم أن المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاه فى تفاصيل ماذكره من المرام الاان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على أن علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ماتنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعلم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتمامه اللازمة لديه، فعن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ، وذكر فى غياث المفتى عن أبى يوسف أنه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوزها خلف المبتدع وكان أبو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روى عن أبى يوسف أنه قال: كنا جلوسا عند أبى حنيفة اذ دخل جماعة فى أيديهم رجلان فقالوا : ان أحد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق قال : لاتصلوا خلفهما فقلت : اما الاول فنعم فانه لا يقول بقدم القرآن واما الآخر فاباله لا يصلى خلفه فقال: انهما يتنازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ، ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو يسمى بدهليز الكفر فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة مايدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى :(واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ومنها علم النجوم فقد ورد « تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا » ابن مردويه. والدارقطنى عن ابن عمر « رب معلم حروف أبى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » الطبرانى عن ابن عباس « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس « مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره » الديلمى عن أبى هريرة ، وعن الربيع بن سبرة الجهنى قال لما غزا عمر وأراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما أراد ان يدلج نظرت فاذا القمر

فى الدبران فاردت أن أذكر ذلك لعمر فعرفت أنه يكره ذكر النجوم فقلت له: ياأبا حفص انظر الى القمر ماأحسن استواءه الليلة فنظر فاذا هو فى الدبران فقال قدعرفت ماتريدابن سبرة تقول: ان القمر فى الدبران والله مايخرج شمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر، وعن عبدالله بن عوف بن الاحمران مسافر بن عوف بن الاحمر قال لعلى بن أبى طالب حين انصرف من الانبار الى أهل النهروان ياأمير المؤمنين لاتسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار قال على : ولم ؟ قال: لانك ان سرت فى هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال على: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم مافى بطن فرسى هذه؟ قال: ان حسبت علمت قال: من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله تعالى : (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام) الآية ما كان محمد ﷺ يدعى ما ادعيت عليه تزعم انك تهدى الى علم الساعة التى يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال :من صدقك بهذا القول استغنى عن الله فى صرف المكروه عنه وينبغى للمقيم بامرك أن يوليك الأمر دون الله ربه لانك أنت تزعم هدايته الى الساعة التى ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لاطير الا طيرك ولاخير الا خيرك ولا إله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال ياأيها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا مايهتدى به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس مابقيت وبقيت ولا حرمنك العطاء ما كان لى سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم ثم قال: لو سرنا فى الساعة التى أمرنا بها فظفرنا أوظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى امر بها المنجم ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى ماسواه الحارث والخطيب ،وعن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال ياعلى لاتجالس أصحاب النجوم الخرائطى فى مساوى الاخلاق والديلمى * ومنها علم الرمل والفال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص فى القرآن انه من الحرام،وعن معاوية بن الحكم مرفوعا «كان نبى من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك» أحمد ومسلم وأبوداود، ومنها علم النسب والتوغل فى الصرف والنحو ونحوهما فعن أبى هريرة مرفوعا «تعلموا من انسابكم ماتصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية

ماتعرفون به كتاب الله ثم انتهوا» البيهقي؛ وعن أبي هريرة مرفوعا علم النسب علم لاينفع وجهالة لاتضر ابن عبدالبر ، وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله تعالى : (وقرونا بين ذلك كثيرا) ابن سعد. وابن عساكر ، وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس. وأبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال : ماهذا؟ قالوا: يارسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا أعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبمااختلف فيه العرب فقال النبي ﷺ: هذا علم لاينفع وجهالة لاتضر » الديلمي؛ ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات كالكيمياء والسيمياء وأما المباح فالعلم بالاشعار التي لاسخف فيها وتواريخ الاخبار ومايجرى مجراها؛ ومنها الشطحيات وهي الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد من العينية والحلول وغيرهما من أنواع الاتحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق؛ و بما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني : وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا : ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لايلوح الامن الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة ، واما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ماحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول : انني أنا الله لااله الاأنا فاعبدني فانه كان ينبغي أن يفهم ذلك منه انه على سبيل الحكاية كذا في الاحياء؛ ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على أنواع من كفريات صريحة التي ليس لها تأويلات صحيحة، وقد قال ابن المقرى في الارشاد : ان طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى ، وقد عملت في هذه المسألة رسالة مستقلة ، وقد حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال ، و كذا ينبغي الاحتراز عن

«واضع فى البيضاوى تبع فيـه مذاهب الحـكماء والله سبحانه وتعـالى أعـلم بحقائق الاشياء» ومنهاالطامات وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لاتسبق منهاالى الافهام كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغـير اعتصام فيه بنقـل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ و يسقط بهمنفعة كلام الله تعالىو كلام رسوله ﷺ فان ماسبق منه الىالفهم لايوثق به والباطن لاضبط له بلتتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى،وهذا أيضا من البدعة الشائعةالعظيمة الضرر وانماقصد أصحابهاالاغراب لان النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعـة بتأويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالى من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الردعلى الباطنية ، ومثل تأويل أهل الطاماتقول بعضهم فى تأويل قولهتعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى) اشارة الى قلبه،وقال هوالمراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفىقوله : (وان ألقعصاك) الى كل مايتوكأ عليهومايعتمدهماسوى اللهفينبغى ان يلقيه،وفىقولهعليه السلام: «تسحروا فانفىالسحور بركة» أرادبهالاستغفار فىالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ،وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعونعلى القلب فانفرعون شخص محسوس تواتر الينا النقلبوجوده ودعوة موسىله كابىجهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس منجنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها و كذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام فىالسحركما فىالبخارىويقول:«تسحروا وهلموا الى الغذاءالمبارك» كمارواهأبو داود وغيره، فهذه أمور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لايتعلقبها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلكعن الصحابة ولاعن التابعين ولاعن الحسن البصرى معا كبابهعلى دعوة الخلق ووعظهمفلايظهر لقولهعليه السلام فىالترمذى وسننه «من فسر القرآن برأيهفليتبوأ مقعده منالنار» معنى الاهذا النمط وهوان يكونغرضه ورأيه تقرر امر وتحقيقه فيستجر شهـادة القرآن عليه ويحمله عليه من غـيران يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظيةأونقلية أولغوية ،ولا ينبغى أنيفهم منالحديث انه يجبانلا يفسر

وَفِى الْفُرُوعِ بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ ثُمَّ الْأَحْوَطِ ثُمَّ الْأَوْثَقِ دَلِيلاً ثُمَّ قَوْلِ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ أَفْضَلُ

القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات مانقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة وأكثر ونعلم قطعاان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لاتقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ، ولذا قال عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» كما رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ،ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانه غير مراده بالألفاظ و يزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هو فى نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يرى أنها حق حديثا عن رسول الله ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام فى الصحيحين «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» بل الشر فى تأويلات هذه الالفاظ اطم وأعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية ، وأما اذا أورد الالفاظ والمبانى على مراد الشرع من المعانى بحسب العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ﴿وفى الفروع﴾ عطف على فى الأصول أى ومن حق العلم التمسك فى علم الفروع المسمى بالفقه ﴿ بالمجمع عليه﴾ اى ان وجد اجماعا أو بالمتفق عليه بين الأربعة مثل تعجل صلاة المغرب ﴿ ثم الاحوط ﴾ كمسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع، وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره أو لمس امرأة يتوضأ، واذا كان شافعيا لايتوضأ من القلتين واذا رعف أوافتصد أوفعل نحوه يتوضأ ،وهذه الطريقة السنية طريقة الصوفية حتى قيل : ان هذا مذهب خامس فى القواعد الفقهية ﴿ ثم الاوثق﴾ أى اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالأقوى ﴿ دليلا ﴾ كالاسفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الأدلة بيننا وبين المخالفين معنا فى شرح النقاية والله ولى الهداية فى البداية والنهاية ﴿ ثم قول من ظن ﴾ اى اذا لم يكن مجتهدا او لم يظهر له دليل ولا بدله أن يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه ﴿ انه أفضل ﴾ وفى مقام الفقه أكمل لأن نفسه حينئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه

كَأَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَنَا فَوَرَدَ «أبو حَنِيفَةَ سِرَاجُ أُمَّتِي» وَسُمِع

وتبادر الى امتثال أمره ونهيه ،وزاد ابن حجر فى نسخة أصله قوله والعمل به أكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال،وكل من أبى حنيفة ومالك والشافعي امتاز باقليم لايعرف فيه غير أتباعه او يكون فيه أتباعه أكثر كاقليم الحجاز واليمن . ومصر . والشام . وحلب. وعراق العرب .والعجم بالنسبة للشافعي،وكالغرب على سعته بالنسبة الى مالك ،وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى ه ولايخفى ان المغرب مختص بالامام مالك ،واما ماذكره من اقليم الحجاز ومابعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون فى نجد وتوابعه،وكذا فى البصرة وبغداد واللحصاء ونواحيها ، وأما شمس علم أبى حنيفة فقد أشرق على الشرق وغلب على فرق أكثر الفرق فان كثرة الارواح وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون أضعافا مضاعفة على أتباع مالك . والشافعي وأظن أن الحنفية تكون ثلثى اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثى أهل الجنة فى دار المقام ثم الكثرة أصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ماروى «عليكم بالسواد الاعظم» والله أعلم ﴿كأبى حنيفة عندنا﴾ معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم ﴿فورد﴾ أى من طرق لكنها كلها واهية ﴿أبو حنيفة سراج أمتى﴾ حديث موضوع لما قال الصغانى وغيره بل قال السيوطى : ومايورد فى ذكر أبى حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لاأصل له نعم أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس» قال السيوطى هذا أصل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بأبى حنيفة وفى الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف فى أنه هل روى عن الصحابة أم لا كما بينته فى شرح مسند الامام ، وقد ورد خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» ومما يصلح للاستدلال به على عظم شأن أبى حنيفة ماروى عنه ﷺ انه قال: «ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة» ومن ثمة قال شمس الائمة الكردرى: ان هذا الحديث محمول على أبى حنيفة لأنه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكى فى الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان ، وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبر كة فيه وفى ذريته ﴿وسمع﴾ بصيغة المجهول والمعلوم

فِي الْمَنَامِ أَنَا عِنْدَ عِلْمِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَسَلَّمَ الْمُخَالِفُونَ سَبْقَهُ فِي الْفِقْهِ ۞

﴿ في المنام ﴾ انه عليه السلام قال بعدما قيل : أين أطلبك يارسول الله ؟ ﴿ انا عند علم أبي حنيفة ﴾ وفى شرح ابن حجر وسمع فى المنام البارى تعالى يقول انا عند علم أبى حنيفة أى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفى الآخذين به ﴿ وسلم المخالفون ﴾ كمالك. والشافعي وغيرهما ﴿ سبقه فى الفقه ﴾ أى غلبته فى هذا الفن أصولا وفروعا فقد قال الشافعي قيل لمالك : هل رأيت اباحنيفة قال: نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة فى بلاغة الامام و بيان المرام فى جميع المقام، وقال الشافعي: الخلق كلهم عيال أبى حنيفة فى الفقه وفى رواية عنه من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، وقال أيضا : من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه ذكره ابن حجر، وذكر أيضا أن الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير وفى رواية ان الركعتين كانتا الصبح وانه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد، وقال النصر بن اسمعيل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة، ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا فقال له المنصور: عمن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عمر وعن أصحاب على وعن أصحاب ابن مسعود فقال له المنصور: لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وعن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائيني باسناده الى على بن المدينى وهو من اساتذة البخارى، وهو الذى طعن فى حديث القلتين سمعت عبدالرزاق يقول قال معمر : ما أعرف أحدا بعد الحسن أى البصرى يتكلم فى الفقه أحسن معرفة من أبى حنيفة ، ومجمل الكلام فى مرام هذا المقام أن تقليد الافضل أفضل باتفاق العلماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم فى الاستنباط أولى وأتم فالامام الأعظم والهمام الاقدم هو أبو حنيفة فانه أفضل زمانا وأكمل شأنا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين، ثم انه اقدم برهانا وأتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه أصلا وفرعا فانه صور المسائل وأجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها وبنى مايتفرع عليها فهو الذى أخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط مامن اقلامه سقط ومع هذا ينبغى أن لا يعتقد

وَكَانَ يَقُومُ كُلَّ اللَّيْلِ وَسمعَ هَاتِفًا فِى الْكَعْبَةِأَنْ يَا أَبَاحَنِيفَةَ أَخْلَصْتَ خِدْمَتِيوَأَحْسَنْتَ مَعْرِفَتِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَوَلِمَنْ تَبِعَكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ *

ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم يخطئون جزما فان المجتهد يخطىء ويصيب والحق عندالله واحد على ماذكر فى المصفى وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا فى الفروع نجيب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على ما فى جواهر الفقه وغيره ، وهذا لاينافى قولنا الاجمالى ان مذاهب الاربعة حق لاتفاقهم على مأخذهم من الكتاب والسنة وأما قول بعضهم يجب أن نجيب بما قدمنا فليس فى محله اذلم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغى أن يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم فى الأصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من أهل البدعة لما بذتهم ظواهر الكتاب والسنة ﴿ وكان يقوم كل الليل ﴾ بعد ان كان يحيى نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال: هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد يقوم الليل كله وقال انا استحيى من ان اوصف بعبادة ليست فى يعنى احترازا من دخوله فى قوله تعالى: (يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا)﴿ وسمع هاتفا ﴾ أى فى المنام كما قاله ابن حجر او بين النوم واليقظة كالالهام ﴿ فى الكعبة ﴾ أى بعد ان ختم القرآن فى ركعتين ﴿ ان يا أبا حنيفة اخلصت خدمتى وأحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة ﴾ ذكر فى آخر خزانة المفتين أنه حكى ان أبا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال: الهى ماعبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت وأخلصت المعرفة وخدمت وأحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة انتهى ، ولا يخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل أن تتبين له هذه المسألة أو الكراهة مختصة بالفريضة فان أمر النوافل مبنى على التوسعة ، وههنا اشكال آخر حيث قال الامام: عرفناك حق معرفتك والمشهور على ألسنة العوام وسائر الاعلام ماعرفناك حق معرفتك والجواب أنه أراد حق المعرفة قدر ما أوجبه الله تعالى

وَتَلَمَّذَ لَهُ كِبَارٌ مِنَ الْمَشَايِخِ *

عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم أرادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وأما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالتقوى حق تقاته المعبر بان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ، فكل أحد عاجز عن ذلك كما أخبر الله به عنه بقوله تعالى : (كلا لما يقض ما أمره) فالانسان محل النسيان والمخلوق فى مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه : (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام: « أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » ولذا قيل من تبع عالما لقى الله سالما ﴿ وتلمذ له كبار من المشايخ ﴾ مثل ابراهيم بن أدهم. وفضيل بن عياض. وداود الطائى. وابن المبارك. والليث بن سعد. والامام مالك على ماذكره ابن حجر ونحوهم لكن لايخفى ان تلمذة مالك لأبى حنيفة غير ظاهرة نعم قد يكون كل منهما أخذ عن صاحبه والله أعلم بحقيقة منصبهما ، وأما مشايخه فذكر الكردرى ان أبا حنيفة أدرك الامام محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره فى العلوم وتبحره وكذا أدرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد ابن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الرأى شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذى يقال له أمير المؤمنين فى الحديث، ومنهم الامام الأوزاعى امام أهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثورى أحدهما يقود حماره والآخر يسوقه، ومنهم عطاء بن أبى رباح المكى كان جعد الشعر أسود أفطس أشل أعور ثم عمى بعد ذلك، قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من حماد ولا أجمع من عطاء، ومنهم أبو بكر بن عاصم ابن أبى النجود -بفتح النون وضم الجيم- الامام فى القراءة تابعى جليل القدر، ومنهم عامر ابن شرحبيل الشعبى قال: أدركت خمسمائة من أصحاب النبى ﷺ وكان يعجبه هذا البيت :

ليست الاحلام فى حال النهى * انما الاحلام فى حال الغضب

قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام: « الصبر عند الصدمة الأولى » وفى الجملة بلغ عدد مشايخ امامنا أربعة آلاف وأما أصحابه فلا تعدو لاتحصى بلاخلاف ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للمبنى :

غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه فى خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب

وَتَحَمَّلَ لِتَقَلُّدِ الْقَضَاءِ. مَاتَحَمَّلَ وَمَا خَالَطَ الظَّلَمَةَ وَمَاقَبِلَ مِنْهُمْ شَيْئاً

ثلاثة آلاف وألف شيوخـــه ٭ وأصحـابه مثل النجوم الثواقب

﴿ وتحمل لتقلد القضاء ﴾ بأن يكون قاضى قضاة جميع الدنيا وكذا التولية مفاتيح خزائن بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ﴿ ماتحمل ﴾ أى من الضرب والحبس والشتم إيثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبى من كمال التقوى وعن الامام أحمد أنه ذكر أباحنيفة فقال: كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فأبى، وعن سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا بحذافيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها ولا كثيرها ﴿ وما خالط الظلمة ﴾ أى باختياره ﴿ وما قبل منهم شيئا ﴾ لكمال اقتداره فعن النضر بن محمد الرقى قال: لقيته ببغداد وأنا أريد الكوفة فقال قل لابنى حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد ، وروى أن المنصور كان يريد أن يقرب الامام فيقول الامام لا لانك ان قربتنى افتتنى وان أبعدتنى اخزيتنى وليس عندك ماأرجوك له وليس عندى ماأخافك عليه وأناغنى بمن أغناك فلن أغشاك فيمن يغشاك ،ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن أنه قال لعيسى بن موسى والى الكوفة وزاد فى آخره مما أنشأ قائلا:

كسرة خبز وقعب ماء ٭ وفرد ثوب مع السلامة
خير من العيش فى نعيم ٭ يكون من بعده ندامة

ثم ماذكرنا من أفعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والى الكوفة مثله أيضا فى زمان المراونة كمارواه العسكرى وغيره عن يحى بن أكثم عن أبى داود قال: اراد ابن هبيرة أن يولى الامام قضاء الكوفة فأبى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على أنه لايلى منه فقيل له انه حلف على أن يضر بك قال: ضربه فى الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لاأفعل ولو قتلنى فقيل : إنه حلف لايخليك وانه يريد بناء قصر فتولله عد اللبن فقال: لو سألنى أن أعد له أبواب المسجد مافعلت فذكر للامير فقال أبلغ قدره أن يعارضنى فى اليمين؟ فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال: اذكر مقامك بين يدى الله تعالى فانه أذل من مقامى هذا ولا تهددنى فانى أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله والله يسألك عنى حيث لايقبل منك الجواب الا بالحق فاومأ الى الجلاد أن امسك وبات فى السجن وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب ،وعن ابن المبارك أن

وَمَا اُشْتَغَلَ بِالدَّعْوَةِ الَّا بِالْاشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ فِى الْمَنَامِ بعدما قَصَدَ الْانْزِوَاءَ وَمَا اُسْتَظَلَّ بِحَائِطِ الْمَدْيُونِ حِينَ

الرجال فى الاسم سواء حتى يقعوا فى البلوى فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه فى السجن حتى يدخل فى الحكم فصبر على الذل والضرب فى الحبس طلبا للسلامة فى دينه ، وعن أبى عبد الله بن حفص الكبير البخارى أن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبى ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على أبى حنيفة أن يكون الخاتم فى يده لاينفذ كتابا إلا من تحت أمره فابى فحلف الامير انه ان لم يله نضربه فى كل جمعة سبعة أسواط فقال الفقهاء لأبى حنيفة: أنا اخوانك نناشدك على أن لاتهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال: لو أراد منى ان أعد أبواب مسجد واسط لم أعد له فكيف وهو يريد منى أن يكتب فى دم رجل واختم له والله لا أدخل فى ذلك فقال ابن أبى ليلى: دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطى جمعتين وضربه أربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الأمير فقال : الا ناصح لهذا ان يستمهلنى فأستمهله وقال : أشاور اخوانى فخلاه فهرب الى مكة فى سنة مائة وثلاثين الى أن صارت الخلافة للعباسية أقام بها فقدم الكوفة فى زمن المنصور فعظمه وأمر له بجائزة عشرة آلاف ألف درهم وجارية فلم يقبلها وروى أنه كان يتمثل كثيرا :

اعطاء ذى العرش خير من عطائكم ٭ وسيبه واسع يرجى وينتظر
أنتم يكدر ماتعطون منكم ٭ والله يعطى فلا من ولا كدر

وروى أنه لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه ﴿ وما اشتغل بالدعوة ﴾ أى بدعوة الناس إلى مذهبه ﴿ الا بالاشارة النبوية فى المنام ﴾ اليه ليدعوهم الى مذهبه ﴿ بعدما قصد الانزواء ﴾ أى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينبش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها في موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين المنام ان صاحبها رجل يحيي به الله سنن الاسلام مما أميتت فيما بين الانام والاظهر ان يقال: مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام ورتبها أصولا وفروعا تلتئم به الاحكام على وجه الاحكام ﴿ وما استظل بحائط المديون حين

أَتَاهُ مُتَقَاضِياً، وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالٍ أَتَى بِهِ وَكِيلُهُ لَمَّا خَلَطَ بِهِ ثَمَنَ ثَوْبٍ مَعِيبٍ مَبِيعٍ مَخْفِيًّا، وَتَرَكَ لَحْمَ الْغَنَمِ لَمَّا فُقِدَتْ شَاةٌ فِي الْكُوفَةِ إِلَى مَنَاقِبَ يَعْسُرُ تَعْدَادُهَا ٥

اتاه متقاضيا ﴾ أى طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رأيته يوما بفناء دار غريم له قدقام فى الشمس فانكرت فقال: لى على مالكه مال اخاف ان أجلس فى ظله، ومثله عن يحى ابن زائدة الا أنه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال: أخاف ان يكون قرضا جر منفعة قال وما أراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه أكثر مما يدعو اليه، والمعنى انه ينبغى له أن يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلام: «استفت قلبك وان أفتاك المفتون» وقد أغرب شمس الأئمة حيث رد هذا فى كتاب الصرف وقال: انه من التكلف لا من التزهد انتهى، وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه، ومما يرد عليه ما ذكر فى صفات الصالحين ان امرأة سألت الامام أحمد ان شموع آل طاهر تعبر من محلنا ونغزل فى ضوئه ونحن على السطوح طاقة أو طاقتين فهل يحل لنا من ذلك الغزل فقال الامام أحمد: من أنت قالت: أخت بشر الحافى قال: مازال هذا الورع الصافى يخرج من آل بشر، فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا تقاس الملوك بالحدادين ﴿ وتصدق بجميع مال أتى به وكيله لما خلط به ثمن ثوب معيب مبيع مخفيا ﴾ كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى تجارة وقال له فى ثوب كذا عيب فباعه بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخه الشركة، قال المرغينانى: وكان الربح خمسة وثلاثين ألف درهم، وعن ابن المبيح انه قال الامام ما ملكت أكثر من اربعة آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة الا أخرجتها وانما أمسكتها لقول على رضى الله عنه أربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا انى أخاف ان ألتجىء الى هؤلاء ما تركت واحدا منها ﴿ وترك لحم الغنم ﴾ أى اكله ﴿ لما فقدت شاة فى الكوفة ﴾ فعن ابن المبارك وقعت أغنام من الغارة فى الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل: سبع سنين فما اكل اللحم سبع سنين، وهذه المذكورات بعض مناقبه وندرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة ﴿ الى مناقب ﴾ اى كثيرة ﴿ يعسر تعدادها ﴾ أى قصد استيفاء ايرادها، وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب أصحابه الجلية وذيلته بطبقات اتباعه الحنيفية وسميته بالأثمار الجنية فى الاسمار الحنفية، واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمصنف اختصارا وقد أوردت مناقب الامام فى شرح المشكاة استكثارا ٥

اَلْبَابُ الْأَوَّلُ فِى الْوِرْدِ

وَرَدَ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وَهِيَ أَنْوَاعٌ مِنْهَا الصَّلَاةُ فَوَرَدَ «مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ» «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ» أَيْ قَارَبَ الْكُفْرَ يُقَالُ: دَخَلَ الْبَلْدَةَ لِمَنْ قَارَبَهَا

الباب الاول فى الورد

أصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) والماء المرشح المعد المهيأ للورود ومنه قوله سبحانه: (بئس الورد المورود) ويسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان فى وقت معين على وجه مبين وردا وهو المراد هنا، وأما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل لا أصل له ﴿ورد﴾ أى فى قوله تعالى تعالى: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى ليعرفونى فيعبدونى أو ليعبدونى فيعرفونى كما هو شأن المراد والمريد فى مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك ﴿وهى﴾ أى العبادة المأخوذة من يعبدون ﴿أنواع﴾ أى اصناف ستة ﴿منها الصلاة﴾ وهى أفضلها وأكملها واشملها وأجلها ﴿فورد ما أفترض الله على خلقه بعد التوحيد﴾ أى الايمان بالله ورسوله ﴿أحب اليه من الصلاة﴾ كذا فى الاحياء مع زيادة ولو كان شىء أحب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد، وقال العراقى: لم أجده هكذا، وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر ﴿من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر﴾ البزار من حديث أبى الدرداء باسناد فيه مقال، ذكر العراقى فى رواية الطبرانى عن ابن عباس من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان، وفى الاوسط عن أنس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا ﴿أى قارب الكفر﴾ لان المعاصى بريده ﴿يقال دخل البلدة لمن قاربها﴾ فالمراد به المعنى المجازى المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج ومن تبعهم فى حمله على الكفر الحقيقى أو معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه أو عمل عمل الكفرة أو كفر فى عاقبة أمره أو محمول على مستحل تاركه أو منكر فرضيته، وفى رواية أحمد والبيهقى من حديث أم أيمن ورجال اسناده ثقات من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد ﷺ، وفى رواية الطبرانى فى الأوسط من حديث انس أول ما يحاسب

وَحَقُّهَا أَنْ يُطَهِّرَ الظَّاهِرَ عَنِ الْحَدَثِ .وَالنَّجَسِ .وَالْجَوَارِحَ عَنِ الْجَرِيمَةِ وَالْقَلْبَ عَنِ الذَّمِيمَةِ وَالسِّرَّ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى هَذَا نِصْفٌ وَالْآخَرُ

به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله ، والاحاديث فى هذا الباب كثيرة شهيرة وناهيك فى شرفها قوله تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ﴿ وحقها ﴾ أى حق الصلاة اللائق بها ﴿ أن يطهر الظاهر ﴾ أى ظاهره ﴿ عن الحدث ﴾ أى النجس الحكمى من الاصغر والأكبر بدنا ﴿ والنجس ﴾ أى الحقيقى المسمى بالخبث بدنا وثوبا، والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر المتنجس ﴿ والجوارح عن الجريمة ﴾ أى واعضاءه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة ﴿ والقلب عن الذميمة ﴾ أى الاخلاق الباطنة الدنية والأحوال الواردة الردية ﴿ والسر ﴾ أى الذى لا يطلع عليه الا الله ﴿ عما سواه تعالى ﴾ أى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره فى جنب تجلى نوره وهو الغاية القصوى فى عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة فى السر مالم يرحل ماسوى الله تعالى عنه، ولذا قال عز وجل : (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) لأنهما لا يجتمعان فى قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية وبالشمائل البهية الرضية ولم يتصف بها مالم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والأخلاق الكاسدة ، فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى، وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى أحد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ، وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف الايقان وبهما كمال العرفان ، فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ عن طهارة الظواهر عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هى ؛ وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا، قال تعالى : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) الآية ﴿ هذا ﴾ أى المذكور من الطهارة فى كل رتبة ﴿ نصف ﴾ أى نصف حق عمل الصلاة ﴿ والآخر ﴾ أى النصف

هُوَ الْعِمَارَةُ بِالطَّاعَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً فَوَرَدَ «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» وَالْأَصْلُ طَهَارَةُ الْبَاطِنِ فَهُمْ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِيهَا وَيُسَاهِلُونَ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى كَانُوا يَمْشُونَ حُفَاةً فِي الطِّينِ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَنَعِّلاً فَأُخْبِرَ

الثانى ﴿ هو العمارة بالطاعة ظاهرا وباطنا ﴾ أى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الأحوال المؤتلفة ﴿ فورد الطهور ﴾ بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر أو مايتطهر به ﴿ نصف الايمان ﴾ أحمد ومسلم والترمذى عن أبى مالك الأشعرى فى حديث طويل ، والمعنى أن الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية، وقيل: المراد بالايمان الصلاة كما قال تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها وبعضها فانه اقوى شرطها ﴿ والأصل ﴾ أى فى التطهر الذى عليه مدار العمل ﴿ طهارة الباطن ﴾ لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله لاينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأحوالكم ﴿ فهم ﴾ أى الصحابة ﴿ كانوا يبالغون فيها ﴾ أى فى طهارة الباطن ﴿ ويساهلون فى الظاهر ﴾ أى يتسامحون فى طهارة الظاهر ﴿ حتى كانوا ﴾ أى احيانا ﴿ يمشون حفاة ﴾ أى بلا نعل ﴿ فى الطين ﴾ أى طين الازقة ويجلسون عليها ﴿ ويصلون معه ﴾ أى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيل والحمير مع كثرة تمرغها فى النجاسات، وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يمعن أحدهم فى طهارة الظاهر ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهمم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى أن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم باخمص أقدامهم، وعدوا الاشنان ونحوه من الغسول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء ﴿ وصلى عليه السلام متنعلا ﴾ أى لابسا نعله أى مرة ﴿ فاخبر ﴾ أى اخبره جبريل عليه السلام

بِتَلَطُّخٍ فَنَزَعَ وَأَتَمَّ وَلَـكِنْ لِلظَّاهِرِ أَثَرٌ فِى تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ كَمَا يُصَادِفُ عِنْدَ أَسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِارْتِبَاطِ الْمُلْكِ بِالْمَلَكُوتِ

﴿ بتلطخ ﴾ أى باصابة نجاسة ﴿ فنزع ﴾ أى نعله بعمل قليل ﴿ وأتم ﴾ أى صلاته من غير استئناف ولا اعادة والحديث رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى، وقد قال بعضهم: الصلاة فى النعلين افضل اذ لما نزع رسول الله ﷺ نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله ﷺ: لم خلعتم نعالكم قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا نعالنا، وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال ، وأما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم ونحوه أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذر واستنكفوا من مؤاكلته واستكرهوا من مخالطته فسموا البذاذة التى هى من الايمان قذارة والرعونة نظافة، فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ووسمه ﴿ ولكن للظاهر ﴾ اى لطهارته أيضا ﴿ أثر فى تنوير الباطن ﴾ للارتباط الذى بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى أن المجامع فى حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرف أو حمرة قانية الى أن غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذى غاب عليه وان الجنين اذا تحرك فى البطن وكانت الأم مشاهدة فى تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غابت تلك الصورة الحسية على نفسها فى عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التى شاهدتها أمه، فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر أثرا فى عالم الباطن ﴿ كما يصادف ﴾ أى يوجد أثره ﴿ عند اسباغ الوضوء ﴾ بفتح الواو أو ضمها أى اكماله واسباغه ﴿ وسائر الأعمال الظاهرة ﴾ أى حيث تتأثر بها الأحوال الباطنة ﴿ لارتباط الملك ﴾ أى عالم الظاهر السفلى ﴿ بالملكوت ﴾ وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البرانى فلا شك ان أثر ذلك الترشيح يظهر فى الجدار من جانب الطرف الداخلانى، وقد ورد «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب

وَمِنْ ثَمَّةَ تَصْدُقُ رُؤْيَا مَنِ اُعْتَادَ الصِّدْقَ فَتَدَاوَمْ عَلَى الْوُضُوءِ *

على باب أحد كم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس » أحمد ومسلم عن جابر ، وفى الاحياء أن الانسان اذا أسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره وجد فى قلبه صفاء وانشراحا لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب ، فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذى وصفناه فاعلم أن الجدار الذى استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف والأشياء الخفية ولم يبق فى قوته الادراك الأمور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك أوجب عليك من كل شىء أنت فيه ﴿ ومن ثمة ﴾ أى ومن أجل ارتباط الملك بالملكوت ﴿ تصدق رؤيا من اعتاد الصدق ﴾ أى وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل : كل اناء يترشح بما فيه ﴿ فتداوم ﴾ تفريع على قوله لكن للظاهر أثر فى تنوير الباطن والمعنى اذا كان كذلك فتواظب به ﴿ على الوضوء ﴾ فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق ، بل ينبغى أن يجدد الطهارة لكل صلاة كما كان يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الآية وانما صلى عليه السلام عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعنى ليعرف أنه ليس بفرض فتقدير الآية اذا قمتم الى الصلاة وأنتم محدثون لأن الأصل فى الأمر ان يكون للوجوب ، ولحديث « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقى الضعيف حسنا وفاقا ، وأما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقى : لم أجد له أصلا وتعقبه العسقلانى بقوله رواه رزين فى مسنده وهو حديث ضعيف وينبغى أن يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى والا استعمل رابعة فان أنقى بها والا استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر » متفق عليه من حديث أبى هريرة فيأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أو فى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار جاز له ذلك

وَيَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغِيبَةِ وَالْقَهْقَهَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِى الصَّلَاةِ وَلِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ

الى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بان يفيضه على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له أثر تدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك ينبع للوسواس لا كثر الناس ويقول عند دخوله فى المطهر: بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى؛ واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجى من الفواحش، والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل قباء ما هذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم فقالوا: كنا نجمع بين الماء والحجر كذا فى الاحياء، وقال العراقى: الحديث فى أهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر. البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه. والحاكم وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر، فقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله أعلم ﴿ويتوضأ بعد﴾ نحو ﴿الغيبة﴾ وهى بكسر الغين ان تذكر أخاك بما يكرهه فى الغيبة، وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر، وفى معناها الكذب والنميمة وسائر الأقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ: اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل، يعنى ان الدنيا هى الشهوة الصغرى والعقبى هى الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى، وفى شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلاة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب أو غيبة أو سيئة بها يأثم قلبه فينبغى ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوى بتيممه رفع الاثم، وفى العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ما تيسر والا فمكروه ﴿والقهقهة وان لم تكن فى الصلاة﴾ أى فانها اذا كانت فى الصلاة تنقض الوضوء عندنا ﴿ولكل صلاة قبل الوقت﴾ عملا بقوله تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) الآية فى شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول أو الغائط ان يتيمم الى أن يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله ﷺ، ففى الاحياء فى بيان طول الأمل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة وقال لعلى لا أبلغه، وحكى عن

وَيَمْلأُ الْاِنَاءَ لِلْآتِيَةِ وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَعِينَ بِغَيْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ

ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول: اخاف ان يدركنى الموت قبل ان أتوضأ كما فى شرح السنة ﴿ ويملأ الاناء للآتية ﴾ اى استعدادا للصلاة الآتية ويكره أن يستخلصها لنفسه كذا فى السراجية ﴿ ويطيل الغرة والتحجيل ﴾ أى عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل بياض قوائم الفرس ونحوه، وقد ورد «ان هذه الأمة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء» وقال عليه السلام: «من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» متفق عليه من حديث أبى هريرة، وروى «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» أخرجه مسلم من حديثه ﴿ ويستقبل القبلة ﴾ أى حين الوضوء فورد «اشرف المجالس ما استقبل به القبلة» الطبرانى عن ابن عباس ﴿ ولا يستعين بغيره ﴾ أى مهما امكن فانه افضل اذ الاجر على قدر المشقة ﴿ ولا يتكلم بكلام الدنيا والبشر ﴾ أى فى اثناء الوضوء، وفى فتاوى الحجة التكلم فى أثناء الوضوء مكروه وفى الاغتسال اشد كراهة، وفى العوارف أدب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء، سمعت بعض الصالحين يقول: اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة أو القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذى. وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة، والتسمية فى أول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند أحمد بهذا الحديث، ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول: أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام، ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام: «اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمسن يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان أحدكم لا يدرى أين باتت يده» مالك والشافعى وأحمد والشيخان والاربعة عن أبى هريرة، ويقول عند غسل يده: اللهم انى اسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشوم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا أن يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول: اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك، ويستنشق ثلاثا ويقول: اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح أهل النار، ويستنثر ثلاثا فورد: «اذا استيقظ أحدكم

وَيَفْتَحُ الْعَيْنَ ❁

من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه» الشيخان عن أبي هريرة، ويغسل وجهه ثلاثا ويقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك ﴿ويفتح العين﴾ أي عند غسل الوجه وهو غير معروف بل قيل: انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك أخرج أحمد من حديث أبي امامة كان يتعاهد الماقين، وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف «أشربوا الماء أعينكم» اى حواليها لما تقدم والله أعلم، ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد: «خللوا الحاكم وقصوا أظفاركم فان الشيطان يجري بين اللحم والظفر» الخطيب في الجامع. وابن عساكر عن جابر، ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام: «اذا توضأ خلل لحيته بالماء» رواه أحمد والحاكم عن عائشة، وفي رواية أبي داود والحاكم عن أنس «كان اذا توضأ أخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي» وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر «كان اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها» والعرك المعالجة والدلك، ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا ثلاثا فورد انه عليه السلام: «اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه» الدارقطني عن جابر، وفي رواية ابن ماجه عن أبي رافع «كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول: اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري، ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول: اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اسمعني منادي الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام: «مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة» أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف، ويقول: اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الاقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم اعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في

وَيُسَمِّي فِي كُلِّ عُضْوٍ وَيَتَشَهَّدُ فِيهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ وَيَشْرَبُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ قَائِماً مُسْتَقْبِلاً وَيُسَرِّحُ اللِّحْيَةَ بَعْدَهُ ۞

النار ويخلل باليد اليسرى من أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد: «خلل أصابع يديك ورجليك» أحمد عن ابن عباس وفى رواية الدارقطنى عن أبى هريرة «خللوا بين أصابعكم لا يخللها الله يوم القيامة بالنار» وفى رواية الطبرانى عن واثلة «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة» ﴿ويسمى فى كل عضو﴾ وقيل ويسلم أيضا على النبى ﷺ ﴿ويتشهد فيه﴾ أى فى كل عضو، ففى المحيط من الأدب ان يقول عند كل عضو أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ﴿وبعد الفراغ﴾ أى ويتشهد بعد فراغ الوضوء أيضا فقد ورد: «من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال: أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك وأتوب اليك فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا» يقال: ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة كذا فى الأحياء وقال العراقى حديث: «من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» أبو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع ﴿ويشرب بقية الماء﴾ أى فضل الوضوء كله أو بعضه ﴿قائما مستقبلا﴾ لما ورد فى أثر على موقوفا ومرفوعا، فعن شمس الأئمة الحلوانى وان شاء قائما وان شاء قاعدا، وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما الا فى موضعين أحدهما هذا والثانى عند زمزم والله أعلم ﴿ويسرح اللحية بعده﴾ أى بعد فراغ الوضوء، الترمذى فى الشمائل من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وفى الشمائل أيضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا، وعند أبى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح، وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه

المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب كذا فى الاحياء، والمدرى القرن يقال له: أدرى رأسه حكه قال العراقى حديث كان لا يفارق المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه وسواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة: وفى حديث غريب أنه كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين، وقال العراقى: تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحاكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط، وكان عليه السلام كث اللحية قد ملأت مابين منكبيه، وكذلك كان أبو بكر، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره فى الأحياء، وقال العراقى: حديث كان كث اللحية الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة. وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال: وفى حديث اغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها: اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم فرأيته يتطلع فى الجب يسوى من رأسه ولحيته قلت. أو تفعل ذلك يارسول الله؟ فقال نعم: ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقى ابن عدى وقال حديث منكر هذا، وقيل لداود الطائى: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: انى اذا لفارغ، وفى قوت القلوب قال السرى: فى اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء، وقال: لو دخل على داخل فمسحت لحيتى لأجله لظننت أنى مشرك، وتحقيقه ما قال الحجة: ان الجاهل ربما يظن أن فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على أخلاق غيره فى الدين وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وفى تحسين صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم، وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية فانها فى أنفسها أعمال تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب ومشكور، وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رابح عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره

وَيَجْتَنِبُ اناءاً يَتَأَذَّى من ريحه المَلَائِكَةُ كالصُّفْر وَالمَاءَ المُشَمَّس وَالاسْرَاف

فى المَاءَ وَالضَّرْبَ به وَنَشْفَهُ على وَجْه فهو يُوزَنُ دُون وَجْه فهو مَرْوِيٌّ

ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعث من فى القبور ويحصل ما فى الصدور • فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزى يوم الفزع الأكبر ﴿ ويجتنب اناءاً يتأذى من ريحه الملائكة كالصفر ﴾ ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد أنه عليه السلام: «كان يعجبه أن يتوضأ من مخضب من صفر» ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد بما فى شرح السنة من الادب أن يتوضأ من اناء الخزف ولا يتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهى عنه، وفيه أيضا روى عن ابن عمر أنه كره الوضوء فى اناء صفر، وفى الشرعة لا يتوضأ من اناء نحاس وصفر قالوا الملائكة يفرون من ريحهما ﴿ والماء المشمس ﴾ أى ويجتنبه لأنه يورث البرص اذا كان فى اناء نحو الصفر فى بلاد حارة وهذا فى الأوانى دون الحياض، وفى الاحياء ويكره أن يتوضأ فى اناء صفر وأن يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب، وروى عن ابن عمر. وأبى هريرة كراهية الاناء الصفر، وقال بعضهم: أخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى، وفى الشرعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس، وفى درر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال أبو حنيفة خلافا لمالك وأحمد ولا بماء زمزم وبه قال أبو حنيفة. ومالك خلافا لاحمد ولا بأس بالمشمس فى البرك والبحار والانهار وفاقا ﴿ والاسراف فى الماء ﴾ قال تعالى :(ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وتوضأ عليه السلام ثلاثا وقال: «من زاد فقد ظلم وأساء» أبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده، وقال عليه السلام: «سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور» أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل ﴿ والضرب به ﴾ أى ويجتنب لطم وجهه بالماء ﴿ ونشفه على وجه ﴾ أى قول ﴿ فهو يوزن ﴾ أى فى ميزان العمل ﴿ دون وجه ﴾ أى قول آخر ﴿ فهو مروى ﴾ ففى الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا: الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة أنه كانت له منشفة

وَنَفْضَ الْيَد، وَيُواظِبُ على السِّوَاكِ مِنَ الْأَرَاكِ طُولًا وعَرْضًا فى كُلِّ صلاة ووُضُوء وعِنْدَ قراءة الْقُرْآن وتغْيِيرالفَم بنحوِ الْجُوع والنَّوْمِ

ولـكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة قال العراقى: حديث معاذ الترمذى وقال غريب واسناده ضعيف، وحديث عائشة الترمذى وقال ليس بالقائم قال : ولا يصح عن النبى ﷺ فى هذا الباب شىء ﴿ ونفض اليد ﴾ أى ويجتنبه ففى الاحياء ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء ﴿ ويواظب على السواك ﴾ أى استعماله أو على الاستياك ﴿ من الاراك ﴾ أى خصوصا فهو الافضل الوارد والا فيجوز من كل شجرة مرة لأنه أطيب لنكهة الفم وأكثر ازالة للبلغم وأنقى للصدر وأقوى للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها ﴿ طولا وعرضا ﴾ وان اقتصر فعرضا ﴿ فى كل صلاة ﴾ حتى عند بعض أئمتنا أيضا ﴿ ووضوء ﴾ أى فى كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما فى الاحياء أو حال المضمضة لأنه من تكميلها وقد قال عليه السلام: «صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك» أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة بلفظ من سبعين صلاة وقال: «لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه من حديث أبى هريرة، وفى رواية «لامرتهم بالسواك مع كل وضوء» مالك والشافعى والبيهقى عن أبى هريرة، وفى رواية أحمد والنسائى عن أبى هريرة لامرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك، وفى رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء، وفى رواية الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء، وفى رواية أبى يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وفى رواية أبى نعيم عن ابن عمر لامرتهم أن يستاكوا بالاسحار ﴿ وعند قراءة القرآن ﴾ فقد ورد «أن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك» أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ابن ماجه موقوفا على على وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد ﴿ وتغيير الفم بنحو الجوع والنوم ﴾ ونحوهما من طول الصمت أو اكل ما يكره رائحته، فورد «مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» والقلح محركة صفرة الاسنان البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد

وَيُحافِظُ علىٰ الْجَمَاعَةِ فى أقْرَبِ المساجد إلَّا أنْ يَكُونَ فى الْأبْعَدِنِيَّةِ سَاعِياً

المطالب أحمد والبغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث ابن عباس وهو مضطرب ، وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على أن السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلاة ، وعن ابن عباس انه قال : لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء ورواه أحمد وقال عليه السلام : « عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب » البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا ، وقال على السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم ، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب اسماء من روى عن مالك ، وعند أبى داود والترمذى وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب ، وفى شرح السنة اما كيفية الاستياك فينبغى ان يبدأ بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك بالوتر لان الله وتر يحب الوتر ، وفى الخلاصة كيفيته ان يعالج السواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها ، وفى شرح السنة وأما المنهى فيه فينبغى ان لا يستاك قائما ولا بين القوم ولا فى الحمام ويكره عند الشافعية بالعشى للصائم وتحقيقه فى غير هذا المقام ، وفى الخانية عن ابن المبارك لو أنكر أهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين ﴿ ويحافظ على الجماعة ﴾ عطف على يداوم على الوضوء أى ويراعى صلاة الجماعة فورد : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه من حديث ابن عمر ﴿ فى اقرب المساجد الا أن يكون فى الأبعدنية ﴾ أى صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم أو شيخ واعظ وكونه أقدم المساجد أو عمر بالمال الحلال ونحوه من الأحوال فى الكبرى مسجدان يصلى الرجل فى أقدمهما بناء لان له زيادة حرمة فان كانا سواء فى أقربهما وان استويا فهو مخير لانه لا ترجيح لاحدهما وان كان قوم أحدهما أكثر فان كان هو فقيها يذهب الى الذى قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث أحب رجل فى محلته مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلاة فى مسجده افضل قل أهل مسجده أو كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع ، وفى الخانية اذا كان امام الحى مرابيا يأكل الربا له أن يتحول الى مسجد آخر ﴿ ساعيا

اَلَيْـه بنيَّة اجابة النِّداء خاشعًا غيرَ مُتخطِّ رقبةً ولا مارٍّ بين يدَىْ مُصَلّ ولا يتكلَّم فيه بكلام الدُّنيَا ويُؤَدِّى فى الصَّفِّ الأَوَّل بازَاء الامَام أَوْ عَنْ يمينه ويُتمُّ الأَرْكانَ ويُراعى السُّنن والآدابَ فورد

اليه﴾ أى حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى :(فاسعوا الى ذكر الله) ﴿بنية اجابة النداء ﴾ أى نداء الداعي الى عبادة رب السماء قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الآية فقد قال ابن عباس: من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به ،وقال أبو هريرة: لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه ﴿خاشعا ﴾خاضعا متواضعا متذللا فى طريقه ﴿غير متخط رقبة ﴾ أى عند دخوله ﴿ ولا مار بين يدى مصل﴾ فقد ورد : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خير اله من أن يمر بين يديه » مالك وأصحاب الكتب الستة عن أبى جهيم، وفى رواية ابن أبى شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسلا « لو يعلم المار بين يدى المصلى لاحب أن ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه» والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلى ومسجده سواء كان له سترة أولا، ويحمل عليه ماروى الطحاوى من أن المرور بين يدى المصلى بحضرة الكعبة يجوز أو يحمل على انه فى وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصلى فى طريق الطائفين فانه لاحرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلا بأس لماروى أبو داود والنسائى . وابن ماجه عن المطلب بن أبى وداعة قال: رأيت النبى ﷺ يصلى فى المسجد الحرام مما يلى باب بنى سهم والناس يطوفون بينه و بين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينهما سترة ﴿ ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا ﴾ فروى فى الاثر أو فى الخبر «الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» كذا فى الاحياء وقال العراقى: لم أقف له على اصل قلت: ومعناه صحيح إذ قد ورد : « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة» ابن حبان من حديث ابن مسعود. والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الاسناد ﴿ ويؤدى فى الصف الأول ﴾ فانه الأفضل ﴿ بازاء الامام ﴾ أى بحذائه فهو الأفضل لاخذه الحظ من الجانبين ﴿ أو عن يمينه ﴾ وقد يكون يساره افضل اذا كان الناس هناك اقل ﴿ ويتم الاركان ﴾ أى حد الامكان ﴿ ويراعى السنن ﴾ أى الرواتب أو سنن الصلاة ﴿ والآداب ﴾ أى المستحبات فى جميع الابواب ﴿ فورد

فى ٱلْـكُلِّ فضائل ولا يُدافع الامامة وكان مدافعتُهُمْ لأيثار الأوْلى أوْخَوْف السَّهْو أو التَّشْويش وهى أفْضَلُ منَ الاذان، فهو عليـه السلامُ وخُلفاؤُهُ اخْتاروها، وماورد كُنْ مُؤَذِّنًا فانْ لم تَسْتَطعْ فـكُنْ اماما مَحْمُولٌ على أن الْقوْمَ كانُوا لايَرْضُون امامتَهُ

فى الـكل ﴾ أى فى كل ماذكر ﴿ فضائل ﴾ أى فى الصف الأول لقوله عليه السلام: «لو تعلمون مافى الصف الأول ما كانت الاقرعة» مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة، وأمافى اتمام الاركان فقوله «أتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لاراكم من وراء ظهرى اذاركعتم واذاسجدتم» أحمد والشيخان عن أنس، وأما فى السنن فقوله: «من صلى فى اليوم والليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة» مسلم وغيره عن أم حبيبة وتفصيله ماورد فى حديث آخر «ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء وأربع قبل الظهر» ﴿ ولا يدافع الامامة ﴾ فانه من امارة القيامة فقد ورد: عن سلامة بنت الحرث قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان من اشراط الساعة ان يتدافع أهل المسجد لايجدون اماما يصلى بهم» أحمد وأبو داود وابن ماجه، وروى عبد الرزاق فى مسنده حديثا بلفظ «تنازع ثلاثة فى الامامة فخسف بهم» ومحله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه أحد هو أفضل منه ﴿ وكان مدافعتهم ﴾ أى ممانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى ﴿ لايثار الأولى ﴾ أى بذلك المقام الأعلى ﴿ أو خوف السهو ﴾ أى فى المبنى ﴿ أو التشويش ﴾ أى تشويش الخاطر فى حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه فى تطويل الصلاة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحييا فى تلك الاقامة ﴿ وهى ﴾ أى الامامة ﴿ أفضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه ﴾ أى أصحابه الـكرام ﴿ اختاروها ﴾ أى من بين الانام ﴿ وما ورد ﴾ أى كما رواه البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال له رجل: «يارسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة فقال ﴿ كن مؤذنا فان لم تستطع فـكن إماما ﴾ وفى رواية فقال «لا أستطيع فقال كن إماما فقال لا أستطيع فقال صل بازاء الامام» فلعله ﴿ محمول على أن القوم كانوا لا يرضون إمامته ﴾ اذا الاذان اليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك

فورد فيه «أَنْ لَا تُجَاوِزَ الصَّلَاةُ الرَّأسَ» وَيُرَاعِي الْأَعْمَالَ الْبَاطِنَةَ وَهِيَ الْحُضُورُ وَهُوَ اسْتِغْرَاقُ الْقَلْبِ بِمَا هُوَ فِيهِ وَالْإِفْرَاغُ عَنْ غَيْرِهِ وَهُوَ بِصَرْفِ الْهِمَّةِ الَيْهِ فَهِيَ تَسْتَتْبِعُ الْقَلْبَ وَهُوَ بِذِكْرِ مَنَافِعِهَا كَقُرْبِهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ وَالْمُكَاشَفَةِ عَاجِلًا وَالْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالنَّظَرِ الَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ آجِلًا وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا وَمُهِمَّاتِهَا، وَالْفَهْمُ وَهُوَ اشْتِمَالُهُ عَلَى الْمَعْنَى وَهُوَ بِتَوْجِيهِ الذِّهْنِ الَى الْفِكْرِ وَمُدَاوَمَةِ الْفِكْرِ

توهم أنه ربما يقدر عليها ﴿ فورد فيه أن لا تجاوز الصلاة الرأس ﴾ أصل الحديث هذا «من أم قوما وهم له كارهون فان صلاته لا تجاوز ترقوته أى حلقه ورأسه» رواه الطبرانى عن جنادة وفى رواية العقيلى عن ابن عمر من أم قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل فى سفال إلى يوم القيامة ﴿ ويراعى الاعمال الباطنة ﴾ فانها أهم ونفعها أتم ﴿ وهى ﴾ ستة ﴿ الحضور ﴾ أى مع الرب ﴿ وهو استغراق القلب بما هو فيه ﴾ أى بالركن الذى شرع فيه ﴿ والافراغ ﴾ أى تفريغ القلب وتخليصه ﴿ عن غيره ﴾ أى غير ماهو بصدده مما يوافقه أو ينافيه ﴿ وهو ﴾ أى الافراغ انما يكون ﴿ بصرف الهمة ﴾ أى الاهتمام ﴿ اليه ﴾ أى إلى ذلك الركن الواجب عليه ﴿ فهى ﴾ اى الهمة ﴿ تستتبع القلب ﴾ فى صرفه إلى ذكر الرب ﴿ وهو ﴾ أى صرف الهمة ﴿ بذكر منافعها ﴾ أى فوائد الصلاة ومرافقها ﴿ كقربه تعالى ورضاه ﴾ أى بالمقام الاعلى ﴿ والمكاشفة ﴾ أى القريبة بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى ﴿ عاجلا ﴾ أى فى الدنيا ﴿ والفوز بالسعادة الابدية ﴾ أى والسيادة السرمدية ﴿ والنظر إلى وجهه الكريم ﴾ الذى هو أعلى مراتب النعيم ﴿ آجلا ﴾ أى فى العقبى ﴿ وخساسة الدنيا ومهماتها ﴾ أى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشركاء سريعة الفناء عديمة البقاء ﴿ والفهم ﴾ أى الادراك لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمبنى فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أريد بالتفهم، وهذا معنى قوله ﴿ وهو اشتماله ﴾ أى القلب ﴿ على المعنى وهو ﴾ أى اشتماله ﴿ بتوجيه الذهن إلى الذكر ﴾ من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها ﴿ ومداومة الفكر ﴾ أى فى لفظ الذكر ومبناه

وَدفع الْخَوَاطِر، وَالتَّعْظِيمُ وَهُوَ بذكْرِ عظمته تعالى وحقارة النَّفْس، وَالْهيبةُ وَهِيَ خَوْفٌ يَنْشَأُ من التَّعْظِيمِ وَهُوَ بذكْرِ نفاذ قُدْرَته تَعَالَى وَقَهْره مَعَ عدم الْمُبَالَاة، وَالرَّجَاءُ وَهُوَ بذكْرِ عُمُوم رَحْمَته وَسَبْقِهَا غَضَبَهُ وصدق مَوَاعيده *

ليفهم معناه ﴿ ودفع الخواطر ﴾ أي المانعة عن فهم مقتضاه، وهذا مقام يتفاوت الناس في أدناه وأقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يقيمها المصلي في اثناء صلاته وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء ومانعة عن المنكر فان تفهم تلك الأمور يمنع من الفحشاء لا محالة فقد ورد: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» الطبراني وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عمران بن الحصين . وابن جرير في تفسيره من حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن . وأحمد في الزهد عن ابن مسعود مرفوعا ﴿ والتعظيم ﴾ أي عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة ﴿ وهو بذكر عظمته تعالى ﴾ مع رفعة الجلالة ﴿ وحقارة النفس ﴾ أي مع ردائتها وكمالها في الرذالة والسفالة والجهالة وهو أمر وراء الحضور والفهم إذ الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب في مبناه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم أمر زائد عليهما ﴿ والهيبة وهي خوف ينشأ عن التعظيم ﴾ كما روى أنه عليه السلام من رآه بداهة هابه ومن خالطه أحبه ﴿ وهو ﴾ أي الخوف المسمى بالهيبة ﴿ بذكر نفاذ قدرته تعالى ﴾ وفق مشيئته وحكمته ﴿ وقهره مع عدم المبالاة ﴾ بجميع من في يد قبضته كما ورد « خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي » وتحقيقه أن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخائف من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسية لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، فالهيبة خوف مصدره الاجلال ﴿ والرجاء ﴾ أي الأمل ﴿ وهو ﴾ الوثوق ﴿ بذكر عموم رحمته ﴾ أي شمول رفقه ورأفته ﴿ وسبقها غضبه ﴾ كما ورد « سبقت رحمتي غضبي » وفي لفظ غلبت ﴿ وصدق مواعيده ﴾ أي عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله سبحانه : (ان الله لا يخلف الميعاد) ولا شك انه أمر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه إذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما أنه يخاف بتقصيره عقاب الله، ومنه قوله تعالى: (يدعوننا رغبا ورهبا) (وادعوه خوفا وطمعا)

وَالْحَيَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ الْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ شُكْرِهِ تَعَالَى فَإِنْ تَعَسَّرَتِ الْمُرَاعَاةُ يَجْتَهِدُ فِى قَطْعِ الْعَلَائِقِ فَظَاهِرًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْأَدَاءِ فِى بَيْتٍ مُظْلِمٍ قَرِيبِ الْجِدَارِ وَالْاحْتِرَازِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُنَقَّشِ وَالْفِرَاشِ الْمَصْبُوغِ وَكَوْنِهِ حَاقِنًا وَحَاقِبًا

﴿ والحياء ﴾ وهو انكسار النفس من الخجل وظهور التقصير ، وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير ﴿ وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى ﴾ فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام : «سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير ﴿ فان تعسرت المراعاة ﴾ بان لم تتيسر مراعاة الأعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقائق ﴿ يجتهد فى قطع العلائق ﴾ أى التعلقات ودفع العوائق الشاغلات المتعلقة بالخلائق ليتخلص له حضور القلب مع الخالق ﴿ فظاهرا ﴾ بتسعة اشياء ﴿ بضم العين ﴾ أى فى النوافل دون الفرائض وانما كره فى الفرائض دون النوافل مع أن التغميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز أداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها ﴿ والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار ﴾ ومنه الخلاوى الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار ﴿ والاحتراز عن البيت المنقش ﴾ أى بانواع الزينة والكتابة والآنية ﴿ والفراش المصبوغ ﴾ أى بالالوان والاشكال ، وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه . وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن أبى شيبة : انى نسيت أن اقول لك : تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان الحديث رواه أبو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند أحمد فقوله لعثمان بن أبى شيبة وهم ﴿ وكونه حاقنا ﴾ أى محبوس البول لحديث ابن ماجه من حديث أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن ، ولابى داود من حديث أبى هريرة « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن » ولابى داود والترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ﴿ وحاقبا ﴾

وَحَازِقًا وَجَائِعًا أَوْ غَضُوبًا أَوْ نَحْوِهَا * وَبَاطِنًا بِذِكْرِ الآخِرَةِ وَمَوْقِفِ الْمُنَاجَاةِ وَخَطَرِ الْمَقَامِ وَدَفْعِ الْخَوَاطِرِ وَصَرْفِ النَّفْسِ الَى الْفَهْمِ وَيُبَالِغُ فِيهِ فَكَانُوا يُبَالِغُونَ حَتَّى لَوْ كَانَ يَشْغَلُهُمْ ذِكْرُ مَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهِ تَكْفِيرًا وَانْ كَانَ خَطِيرًا

بالموحدة محبوس الغائط أو الريح لحديث مسلم عن عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان» وأما حديث النهي عن صلاة الحاقب ففي الاحياء ، وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ ﴿ وحازقا ﴾ ضيق الخف وفي معناه السروال ، وقد ورد النهي عن صلاة الحازق وعزاه رزين الى الترمذي لكن قال العراقي : لم أجده عنده والذي ذكره صاحب الغريب حديث لا أرى لحازق وهو صاحب الخف الضيق ﴿ وجائعا ﴾ لحديث «اذا وضع العشاء والعشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء» متفق عليه، وفي معناه اذا كان عطشان وأخس منهما ان يكون شبعان ﴿ وغضوبا ﴾ أي ممتلأ بالغضب بحديث «لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان» كذا في الاحياء وقال العراقي : لم أجده ﴿ ونحوها ﴾ أي من كل فعل خطر المصلي ان يفعله بعد الصلاة فيفعله قبلها ان أمكن ﴿ وباطنا ﴾ بخمسة أشياء ﴿ بذكر الآخرة ﴾ وتصور مواقفها وأحوالها وشدائد أهوالها وتفاوت ما لها في آمالها ﴿ وموقف المناجاة ﴾ أي مع قاضي الحاجات فورد : « المصلي يناجي ربه » ﴿ وخطر المقام ﴾ أي بين يدي الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ ودفع الخواطر ﴾ أي الشاغلة للسرائر والضمائر ﴿ وصرف النفس الى الفهم ﴾ أي ودفعها عن خطرات الوهم ﴿ ويبالغ فيه ﴾ أي في دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته ﴿ فكانوا ﴾ أي السلف ﴿ يبالغون ﴾ أي في تحسين حالاته وتزيين مقاماته ﴿ حتى لو كان يشغلهم ذكر مال ﴾ عن فكر حال ﴿ يتصدقون به تكفيرا وإن كان ﴾ أي المال ﴿ خطيرا ﴾ أي عظيما كثيرا فروى أن أبا طلحة الانصاري صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يذكر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابه من الفتنة ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فأعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال : هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين ألفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة لما جرى

فَالْأَصْلُ عَمَلُ الْبَاطِنِ فَوَرَدَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) أي من حب الدُّنْيَا أَوْمِنْ كَثْرَةِ الْهُمُومِ، لَا يَنْظُرُ اللهُ الَى صَلَاةٍ لَا يُحْضِرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مع بدنه إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَانَّمَا يُكْتَبُ لَهُ مَاعَقَلَ منها

من نقصان الصلاة بسببه فاذا أردت الخلاص من الآفات فاقلع شجرة الشهوات فانها إذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن أن تصفولك لذة المناجاة فى الصلاة مع تلك الشهوات ﴿ فالأصل ﴾ أى في مراتب العبادة ﴿ عمل الباطن ﴾ لأنه النافع فى مقام الزيادة للسعادة ﴿ فورد أقم الصلاة لذكرى ﴾ أى لأجل ذكركم اياى أو لأجل ذكرى اياكم ولذكر الله أكبر فاذكرونى أذكركم أووقت ذكركم صلاتى وفكركم صلاتى ، وفى الاحياء ظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره، وقوله سبحانه : (ولا تكن من الغافلين) نهى وظاهره التحريم ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى من حب الدنيا ﴾ أو حيارى فى غير ذكر المولى ﴿ أو من كثرة الهموم ﴾ فى الأمر المقسوم، وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله : (حتى تعلموا ماتقولون) تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق للهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس ﴿ لا ينظر الله إلى صلاة ﴾ أى نظر قبول ورحمة أو نظر رعاية وعناية ﴿ لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه ﴾ أى عند عبادة ربه لم أجده أصلا بهذا اللفظ قاله العراقى ﴿ ان العبد ليصلى الصلاة وانما يكتب له ماعقل منها ﴾ وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها قال العراقى: لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا «لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه» ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ، ولابن المبارك فى الزهد مرفوعا على عمار «لا يكتب للرجل من صلاته ماسها عنه» والتحقيق فيه أن المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فتى يكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعيا وسائلا إذا كان قلبه ساهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل كذا فى الاحياء، وقال العراقى : رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « رب قائم ليس له من قيامه الا السهر » ولاحمد «رب قائم حظه من صلاته

هَذَا وَإِنَّمَا يَكُونُ الْقَوْلُ وَالْفِعلُ عِبَادَةً لِلْمَعْنَى وَالتَّعْظِيمِ دُونَ اللَّفْظِ وَالْحَرَكَةِ فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى هَذَا تَبْطُلُ دُونَ الْحُضُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ قُلْتُ: إِنَّهُ مَمْنُوعٌ لِبُطْلَانِهَا عِنْدَ سُفْيَانَ فِي رِوَايَةٍ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ قَلْبُهُ

السهر ، واسناده حسن ﴿ هذا ﴾ أى خذ هذا أو الأمر هذا ﴿ وانما يكون القول ﴾ كالقراءة ونحوها ﴿ والفعل ﴾ كالركوع والسجود ﴿ عبادة للمعنى ﴾ فى القول ﴿ والتعظيم ﴾ فى الفعل ﴿ دون اللفظ ﴾ أى غير تلفظ الانسان باللسان ﴿ والحركة ﴾ أى التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض أهل الشان فى معرض هذا البيان:

ان الكلام لفى الفؤاد وانما ٭ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قيل لما سمع الجنيد هذا أعاد صلاة ثلاثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفى الاحياء لو حلف انسان وقال والله لاشكرن فلانا ولاثنين عليه ولا سألنه حاجة ثم جرت هذه الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ؛ وكذا لو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن حاضرا فى قلبه ولو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا أنه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولاشك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لصقل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به اه فهذا مما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب ﴿ فان قلت فعلى هذا ﴾ الذى ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم ﴿ تبطل ﴾ الصلاة ﴿ دون الحضور ﴾ أى عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطا فى صحتها ﴿ وهو خلاف الاجماع ﴾ أى اتفاق الفقهاء لماسيأتى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب فى صحتها إلا عند التكبيرة الأولى المقرونة بالنية الاعلى ﴿ قلت انه ﴾ أى ادعاء الاجماع ﴿ ممنوع ﴾ والاتفاق مدفوع ﴿ لبطلانها عند سفيان ﴾ أى الثورى ﴿ فى رواية ﴾ أى كما نقل بشر بن الحارث فيما روى عنه أبو طالب المكي عن الثورى انه قال ﴿ من لم يخشع قلبه ﴾

فَسَدَتْ صَلاَتُه،وعَنِ الْحَسَنِ إِنَّهَا بلاَ حُضُورِ الْقَلْبِ تُوجِبُ الْعُقُوبَةَ وَأَنَّ كَلاَمَنَا فِى الْمَنْفَعَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ،وعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وُقُوعُ الْاِجْمَاعِ عَلى عَدَمِ النَّفْعِ وَأَنَّ اشْتِرَاطَ الشَّرْعِ إِيَّاهُ ظَاهِرٌ غَيْرَ أَنَّ مَقَامَ الْفَتْوَى فِى تَكْلِيفِ الظَّاهِرِ عَلَى حَسَبِ قُصُورِ الْخَلْقِ فَلَوِ اشْتُرِطَ لِلْجَوَازِ لَوَقَعُوا

فى صلاته ﴿ فسدت صلاته ﴾ قلت، ويؤيده قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ﴿ وعن الحسن ﴾ أى البصرى ﴿ انها ﴾ أى الصلاة ﴿ بلا حضور القلب توجب العقوبة ﴾ قلت وأى عقوبة أقوى من الغفلة وقد قيل : الحجاب أشد العذاب قال تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وفى الاحياء روى عن الحسن إنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع ، وفيه ان الصلاة يشترط فيها النية ولا تحصل النية الا بحضور الطوية وأما استيعاب الحضور فغير مفهوم من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين قول الجمهور ، وعن معاذ بن جبل أنه قال: من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له أى كاملة ، وروى أيضا مسندا كذا فى الاحياء وسكت عنه العراقى وقال عليه السلام: «ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها» أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه ﴿ وان كلامنا فى المنفعة الأخروية ﴾ هذا جواب آخر وبيانه ان الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا مطلع لهم على مافى القلوب ولا يتكلمون فى طريق الآخرة بل يتبعون ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح فظاهر الأعمال كاف بسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه ﴿ وعن عبد الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع ﴾ أى النفع الكامل قال الحجة : فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والآيات والأخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط ، وهذا معنى قوله: ﴿ وان اشتراط الشرع اياه ﴾ أى الحضور ﴿ ظاهر غير ان مقام الفتوى فى تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق ﴾ بفتح الحاء والسين أى بتقييد بقدره ﴿ فلو اشترط أى الحضور ﴾ ﴿ للجواز ﴾ أى لصحة الصلاة ﴿ لوقعوا ﴾ أى

فى حَرَجٍ وَأَدَّى الى تَرْكِهَا رأساً وهو التحقيق ثُمَّ من أمعن فيما ورد ان الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ وانما الصَّلاةُ تَمَسْكُنٌ وتَواضُعٌ وتَضَرُّعٌ عَلِمَ أنّها هُوَ الْحُضُورُ

الجمهور ﴿فى حرج﴾ أى عظيم يؤدى الى المحظور لعجزهم عن كمال الحضور ﴿وأدى﴾ أى ولأفضى اشتراطه ﴿الى تركها رأسا﴾ وهو المحذور ﴿وهو التحقيق﴾ أى فى مقام التدقيق فانه لا يمكن أن يشترط على الناس كلهم احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان فى لحظة واحدة وأولى اللحظات به أول الصلاة فاقتصر على التكليف لذلك، ومع ذلك نرجوان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال تارك الصلاة بالكلية فانه بالجلة أقدم على الفعل ظاهرا فاحضر القلب لحظة وكيف لا والذى يصلى مع الحدث ناسيا فصلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجرما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، وعلى هذا الرجاء فقد يخشى أن يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لا والذى يحضر للخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة، فاذا تعارض أسباب الخوف والرجاء صار الأمر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى ترك الاحتياط أو التساهل ومع هذا فلا مطمع لأحد فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم البلوى، هذا وروى «من أحب غير الله فلا تصفو له صلاة عن الخواطر المذمومة» فان من أحب شيئا أكثر من ذكره كما ورد فى الخبر، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر خذ ما صفا ودع ما كدر ﴿ثم من أمعن﴾ أى أشبع النظر واسبغ الفكر ﴿فيما ورد أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع﴾ حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل ابن العباس باسناد مضطرب ﴿علم انها﴾ أى الصلاة ﴿هو الحضور﴾ أى بكمال الشعور والا فصلاة الغافل لا تمنعه عن الفحشاء، وقد انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها وإلى من يتمها ولم يغب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه، ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من

هَذا والأوْلياءُ إنّما يُكاشِفُونَ فيها لاسِيّما في السُّجُودِ على حَسَبِ الصَّفاءِ.

على يمينه وشماله و كان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم و ترتعد فرائصهم ﴿ هذا ﴾ اى مضى هذا أوخذ هذا ﴿ والأولياء انما يكاشفون فيها ﴾ أى في الصلاة مع حضورها ودوام نورها ﴿ لاسيما في السجود ﴾ فانه أقرب مقام إلى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود ﴿ على حسب الصفاء ﴾ أى على تفاوت درجات أرباب الوفاء، ومن هنا قال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثل هيئاتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه و يموت على ماعاش عليه، وقد قيل كما تعيشون تموتون و كما تموتون تحشرون ، ثم اعلم ان كل مايشغله عن صلاته فهو ضددينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم في مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخميصة (١) التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال: اذهبوا بها إلى أبي جهم فانها ألهتنى عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلاة إذ كان جديدا فأمر أن ينزع عنها ويرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النصر مرسلا باسناد صحيح ، و كان عليه السلام قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد فقال : تواضعت لربي كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما أبو عبدالله بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف ، و كان في يده خاتم ذهب قبل التحريم و كان على المنبر فرماه وقال: شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا في الاحياء، وقال العراقى أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ، وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق ه

والحاصل ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين ولا يحدثون أنفسهم فيها بشيء من أمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لأمثالنا خلاف ماهنالك وليته سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس والخواطر المنقلبة بالرأس فيكون فيمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة في القلب مثل الماء الذى يصب في قدح مملوء فيه خل فبقدر مايدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لامحالة فلا يجتمعان والله

(١) هي ثوب خز اوصوف معلم، وقيل لاتسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة، وابوجهم هذا كان من عظماء قريش ومن العالمين بالنسب ومن المعمرين

وَمِنْهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فَوَرَدَ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وَحَقُّهَا أَنْ يَنْوِيَ إِينَاسَ وَحْشَةِ الدُّنْيَا وَقَضَاءَ حَقِّ الشَّوْقِ إِلَى الْمَوْلَى وَضَبْطَ أَحْكَامِ الْعُبُودِيَّةِ، وَيَتَوَضَّأَ وَيَتَطَيَّبَ وَيَتَأَدَّبَ، وَيَجُوزُ الِاضْطِجَاعُ فَوَرَدَ (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) وَالْأَفْضَلُ فِي اللَّيْلِ فَالْقَلْبُ فِيهِ أَفْرَغُ

المستعان ﴿ و منها ﴾ أى من أنواع الورد ﴿ قراءة القرآن فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ البخارى من حديث عثمان، «ومن قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله» الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه: (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم) ومن هنا قال الفضيل: ينبغى لحامل القرآن ان لا يكون له إلى أحد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم، ويؤيده حديث «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، وورد «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» الترمذى من حديث أبى سعيد وقال: حسن غريب «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن» أبو نعيم من حديث النعمان بن بشير «أهل القرآن أهل الله وخاصته» النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن ﴿ وحقها ﴾ أى القراءة ﴿ أن ينوى ايناس وحشة الدنيا ﴾ أى بذكر العقبى والدرجات الحسنى ﴿ وقضاء حق الشوق الى المولى ﴾ لأن المناجاة والمكالمة معه تعالى تنتهى به الى الشوق وزيادة الذوق الى قربه الأعلى ﴿ وضبط أحكام العبودية ﴾ بحفظ حقوق مقام الربوبية ﴿ ويتوضأ ﴾ أى يتطهر ﴿ ويتطيب ﴾ بأى طيب كان او يتنظف فى جميع الأركان ﴿ ويتأدب ﴾ بقدر الامكان ﴿ و يجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ قال على رضى الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات * وعن على اقرأ القرآن على كل حال الا وأنت جنب أبو الحسن بن صخر فى فوائده ﴿ والافضل فى الليل ﴾ لانه اقرب الى النيل ﴿ فالقلب فيه افرغ ﴾ قال تعالى: (ان ناشئة الليل هى اشد وطئا وأقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى شغلا كثيرا

وفى الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ فَهُوَ يُضَعِّفُ الْأَجْرَ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَيَسْتَظْهِرُهُ فَوَرَدَ فِيهِ «تَخْفِيفُ الْعَذَابِ عَنِ الْوَالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ» وَلَا يَنْسَاهُ فَوَرَدَ أَنَّهُ بِذَنْبٍ

﴿ وفى المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لاعمال الجوارح ﴾ أى من اللسان والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشعوره بكلام الرب، وقد قيل: الختمة فى المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما و كان كثير من الصحابة يقرءون القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرجوا يوما ولم ينظروا فى المصحف، ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى فى السحر و بين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن انى لاصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فلا اطبقه حتى اصبح، وقد ورد اعطوا أعينكم حظها من العبادة النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه الحكيم الترمذى والبيهقى عن أبى سعيد ﴿ ويستظهره ﴾ أى وحقها أى ويحفظه غيبا و يضبطه قلبا كما كان عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر أصحابه رعاية لقوله تعالى: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقد قيل: كن حافظا تقيا لا مصحفيا نقيا: ﴿ فورد فيه ﴾ أى فى الاستظهار ﴿ تخفيف العذاب عن الوالدين وان كانا مشركين ﴾ لم أجده، وقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بما فيه» وفى رواية «ألبس والداه حلة لا تقوم بها الدنيا وما فيها» وورد: «اقرؤا القرآن فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن» تمام فى رواية عن أبى امامة مرفوعا «لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار» أحمد والدارمى والطبرانى ﴿ ولا ينساه فورد انه بذنب ﴾ أى ذنب كبير فهو خبران وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة أليس نسيان القرآن بذنب، ونظيره قوله تعالى: (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر) وقد يقال: انه أطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل أى فورد « انه مذنب » وفى نسخة يذنب أى يصير ذا ذنب عظيم وروى من أعظم الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينساها قيل: و نزل قوله تعالى فى حقه: (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى) مع ان العبرة

وَلَا يَخْتِمُ فِى أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَوَرَدَ إِنَّهُ يَمْنَعُ التَّفَقُّهَ، وَجَاءَ فِى أَرْبَعِينَ وَفِى أُسْبُوعٍ ،وَالْأَحْزَابُ الْمَرْوِيَّةُ سَبْعَةٌ ثَلَاثُ سُوَرٍ ثُمَّ خَمْسٌ ثُمَّ سَبْعٌ ثُمَّ تِسْعٌ ثُمَّ إِحْدَى عَشْرَةَ

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظرا، وعند الشافعي ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا ﴿ ولا يختم فى أقل من ثلاثة أيام فورد أنه يمنع التفقه ﴾ ولفظ الحديث «من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه» رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمرو وصححه الترمذى وذلك لأن الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما فى التنزيل، وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا: ان هذا ما قرأ ولا سكت ﴿ وجاء فى أربعين ﴾ وهو يناسب الاربعينات الصوفية الصفية وقد ورد «اقرءوا القرآن فى أربعين» الترمذى عن ابن عمر ، ومنهم من يختم فى الشهر مرة يقرأ كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وورد «اقرأ القرآن فى كل شهر اقرأه فى عشرين ليلة اقرأه فى عشر اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك» رواه الشيخان وأبو داود عن ابن عمر، وفى رواية الطبرانى عنه «اقرءوا القرآن فى خمس» وبعضهم قرأه فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث ﴿ وفى اسبوع ﴾ وقد أمر النبى ﷺ عبدالله بن عمرو ان يختم القرآن فى كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان . وزيد بن ثابت . وابن مسعود وأبى بن كعب ففى الختم أربع درجات الختم فى كل شهر والختم فى كل يوم وليلة وقد كرهه جماعة وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان اختارهما الابرار احداهما فى الأسبوع مرة وهى الأولى والأحرى والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث وهو الرخصة فى الكثرة ﴿ والاحزاب المروية سبعة ﴾ أى الاوراد المروية المأثورة سبعة أقسام ﴿ ثلاث سور ﴾ وهى بعد الفاتحة البقرة وآل عمران . والنساء ﴿ ثم خمس ﴾ وهى المائدة . والأنعام . والأعراف . والأنفال . والتوبة ﴿ ثم سبع ﴾ وهى يونس . وهود . ويوسف . والرعد . وابراهيم . والحجر . والنحل ﴿ ثم تسع ﴾ وهى سورة بنى اسرائيل . والكهف . ومريم . وطه . والأنبياء . والحج . والمؤمنون . والنور . والفرقان ﴿ ثم إحدى عشرة ﴾ وهى الشعراء . والنمل . والقصص . والعنكبوت . والروم ولقمان والسجدة . والاحزاب .

ثُمَّ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُمَّ الْبَاقِي ، وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْتَدِىءُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيُتِمُّ الْمَائِدَةَ ثُمَّ هُودَ ثُمَّ مَرْيَمَ ثُمَّ طس ثُمَّ ص ثُمَّ الرَّحْمَنَ ثُمَّ الْبَاقِيَ وَهَذَا لِلْعَامِلِ ظَاهِرًا ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ فَعَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَيُرَتِّلُ لِتَوَقُّفِ التَّدَبُّرِ عَلَيْهِ

وسبأ . وفاطر . ويس ﴿ ثم ثلاث عشرة ﴾ وهي والصافات . وص . والزمر . وحواميم السبع . والقتال . والفتح . والحجرات ، ففي كل مرتبة بزيادة سورتين ﴿ ثم الباق ﴾ وهي ق الى الناس وينسب الى على كرم الله وجهه انه أشار إلى هذا الترتيب بطريق الرمز والايما. حيث قال : فمي بشوق ءفالفاء فاتحة والميم مائدة والياء يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصافات والقاف ق ، وقد قال العراقي: تحزيب القرآن على سبعة أحزاب رواه أبو داود . وابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية الطبرانى فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزىء القرآن؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا باسناد حسن ﴿ وكان عثمان رضى الله عنه يبتدىء ليلة الجمعة ﴾ فانها فى الليالى أفضل والقراءة بالليل امثل ﴿ ويتم المائدة ﴾ أى فى ليلته وبقيته يوم جمعته ﴿ ثم هود ﴾ أى يبتدئه فى ليلة السبت أو نهاره ﴿ ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقى ﴾ وهو يحتمل أن يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا أو هو رواية أخرى عنه عليه السلام وان كان فى الظاهر موقوفا ﴿ وهذا ﴾ أى التحزيب بهذا الترتيب ﴿ للعامل ظاهرا ﴾ فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار ﴿ وأما صاحب الباطن ﴾ أى المراعى لأحوال القلب وحضوره مع الرب ﴿ فعلى حسب حاله ﴾ أى ما يقتضيه من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر أفعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة وان كان فاقد الفكر فى معانى القرآن ومبانى الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته لكثرة الترديد والتأمل فى الوعد والوعيد ﴿ ويرتل ﴾ أى يترسل ويتمهل ﴿ لتوقف التدبر عليه ﴾ وقد قال عز وجل: (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

وَكَوْنه أَقْرَبَ إِلَى التَّعظِيمِ وَالتَّأْثِيرِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ ، وَيَبْكِي فورد «اُتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا فَانْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا فاذَا قَرَأْتُموهُ فَتَحَازَنُوا » وَهُوَ بِالتَّأَمُّلِ فِي مَوَاعِيدِهِ وَمَوَاثِيقِهِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهَا

الألباب) ﴿ و كونه أقرب الى التعظيم و التأثير ﴾ أى تعظيم الرب و تأثير القلب قال تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) وهو المستحب فى قراءته وقال عز وعلا :(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴿ وهو المروى ﴾ «فقد نعتت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفا حرفا» أبو داود و النسائى و الترمذى وقال حسن صحيح، وقال ابن عباس: لان اقرأ البقرة و آل عمران أرتلهما واتدبرهما أحب الى من اقرأ القرآن كله هذرمة ، وقال أيضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب الى من أقرأ البقرة و آل عمران مهذرما ﴿ و يبكى ﴾ فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والأصفياء (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا) و قال : (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان ـ الى قوله ـ يبكون و يزيدهم خشوعا) و من هنا قال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه، قلت: و كذا اذا قرأ سجدة مريم و لا بد من البكاء والتباكى أو الحزن على فقدهما ﴿ فورد اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ﴾ ابن ماجه من حديث سعد ابن أبى وقاص ﴿ فاذا قرأتموه فتحازنوا ﴾ صدر الحديث «ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا» . أبو يعلى. و أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر . بسند ضعيف و يقويه حديث ان الله يحب كل حزين . الطبرانى و القضاعى بسندهما الى أبى الدرداء مرفوعا و يؤيده قوله سبحانه : (ان الله لا يحب الفرحين) ويعضده حديث «اقرءوا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن» رواه أبو يعلى. و أبو نعيم فى الحلية. و الطبرانى فى الأوسط عن بريدة و عن الحسن «والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه و قل فرحه و كثر بكاؤه وقل ضحكه و كثر نصبه و مشغله وقلت راحته و بطالته» وقال عليه السلام لابن مسعود: اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى: حسبك الآن ﴿ وهو ﴾ أى وجه احضار الحزن انما يحصل ﴿ بالتأمل فى مواعيده ﴾ من التهديد والوعيد ﴿ ومواثيقه ﴾ من العهد الاكيد ﴿ والتقصير فيها ﴾ أى فى لوازمها من الأوامر

وإلاَّ فيبكي على فقدان بكائه فهو أعظم المصائب ، ويتعوذ في الافتتاح فقد ورد(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله)ويفتتح عند الختم رغماً للشيطان فهو مأثور و يسأل أمراً مرجواً مرَّ عليه ويتعوذ عن مخوف و يوافق ذكراً أو دعاءً

والزواجر فيحزن له لامحالة ويبكي ﴿ والا ﴾ أي فان لم يحضره حزن و بكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية والصدور الوافية ﴿ فيبكي على فقدان بكائه ﴾ أي فليبك على فقد حزنه و بكائه ﴿ فهو أعظم المصائب ﴾ في مقام بلائه ﴿ ويتعوذ في الافتتاح ﴾ أي في ابتداء القراءة مطلقا ، فقد ورد :(فاذا قرأت القرآن)أي أردت قراءته وقيل بعد فراغه ولا منع من الجمع (فاستعذ بالله) أي من الشيطان الرجيم والأمر للاستحباب عند الجمهور وقيل للايجاب ﴿ ويفتتح ﴾ أي يبتدىء ختمة أخرى ﴿ عند الختم أي الختمة الأولى رغما للشيطان ﴾ أي ورضاء الرحمن ولقوله تعالى :(فاذا فرغت)أي عن عبادة (فانصب)أي فاتعب في أخرى وللآخرة خير لك من الأولى ﴿ فهو مأثور ﴾ بل مروي مشهور ، فعن زرارة بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم « انه سئل أي الأعمال أفضل؟ فقال عليه السلام : الحال المرتحل اي عمله فقيل: ما الحال المرتحل؟ فقال الخاتم المفتتح » وفي رواية « فتح القرآن وختمه صاحب القرآن يضرب من أوله الى آخره ومن آخره الى أوله كلما حل ارتحل » ورواه البيهقي في شعب الايمان بسند مرفوعا ولفظه « عليكم بالحال المرتحل » ووافقه الطبراني في مسنده فينبغي انه اذا قرأ سورة الناس ان يقرأ سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون ويدعو بما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن: « اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه مانسيت وعلمني منه ماجهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لي يارب العالمين » أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود ابن قيس معضلا ﴿ ويسأل أمراً مرجوا مر عليه ويتعوذ عن مخوف ﴾ أي اذا وصل اليه أو قرىء لديه ﴿ ويوافق ذكرا ﴾ أي فيذكر نبذة ، وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرأ :(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فيذكر ثلاث مرات أو أكثر ويسبح كذلك ﴿ أو دعاء ﴾ أي دعاء كما اذا قرأ :(ادعوني أستجب لكم ، وأجيب دعوة الداع اذا دعان)و كذا استغفر في مقام يليق به كقوله

فَالْكُلُّ مأْثُورٌ، وَيُسِرُّ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ أَوْ تَشْوِيشَ مُصَلٍّ فَوَرَدَ «يَفْضُلُ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وَإِلَّا فَيَجْهَرُ فَهُوَ يُنَبِّهُ الْقَلْبَ وَيَجْمَعُ الْهِمَّةَ وَيَصْرِفُ السَّمْعَ إِلَيْهِ وَيَنْفِي النَّوْمَ وَالْكَسَلَ وَيَزِيدُ فِى النَّشَاطِ وَيُوقِظُ الرَّاقِدَ

تعالى: (استغفروا ربكم انه كان غفارا) ﴿فالكل مأثور﴾ بل مروى مذكور وقال حذيفة: صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة فكان لايمر بآية عذاب الااستعاذ ولا بآية رحمة الاسأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ ﴿ ويسر ﴾ أي ويخفي القراءة ﴿ان خاف الرياء ﴾ أي على نفسه ﴿أو تشويش مصل﴾ في محضره والا فيجوز الجهر به لتلذذ الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره ﴿فورد يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا ﴾ البيهقي في الشعب من حديث عائشة، وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية، وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أبو داود. والنسائي. والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر، وخير الرزق مايكفي وخير الذكر الخفي. أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص وفي الخبر «لايجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء» كذا في الاحياء وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء. وللبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف، وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال: لغلامه اذهب الى هذا المصلي فقل له: يخفض من صوته فقال الغلام: ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال: يا أيها المصلي ان كنت تريد الله عزوجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ﴿ والا ﴾ أي وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل ﴿ فيجهر ﴾ أي جوازاً أو استحبابا ﴿ فهو ينبه القلب ﴾ أي يوقظ قلب القارئ ﴿ويجمع الهمة﴾ في ذكر الرب الباري ﴿ ويصرف السمع اليه وينفي النوم والكسل ﴾ أي فيتلذذ باستماعه لديه ﴿ ويزيد في النشاط ﴾ أي نشاط النفس اليه ﴿ ويوقظ الراقد﴾ أي

وَ يُرَغِّبُ فِى الْعِبَادَةِ فَوَرَدَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعُمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ » وَالْمُتَعَدِّى أَفْضَلُ، وَتَضَاعُفُ النِّيَّةِ يُضَاعِفُ الْأَجْرَ وَالْأَحَبُّ النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ فَصَوَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَابَكْرٍ فِى الْأَسْرَارِ وَعُمَرَ فِى الْجَهْرِ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ النِّيَّةِ

فى أول الليل وآخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره ودعائه ﴿ و يرغب فى العبادة ﴾ أى من سمعه من أهل الطاعة والسعادة ﴿ فورد ان الملائكة ﴾ صدر الحديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة أى الحفظة ﴿ وعمار الدار ﴾ بضم العين وتشديد الميم جمع عامر أى ساكنوها أى من مسلمى الجن ﴿ يستمعون قراءته ويصلون بصلاته ﴾ رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار. ونصر المقدسى فى المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع، ﴿ والمتعدى ﴾ أى العمل الذى يتعدى ثوابه إلى الغير ﴿ أفضل ﴾ من العمل اللازم القاصر على صاحبه ﴿ وتضاعف النية يضاعف الاجر ﴾ فمهما حضره شيء من النيات المتقدمة فالجهر أفضل وان اجتمعت النيات المتعددة يتضاعف الاجر والمثوبة وبكثرة النيات فى العبادات يزكو عمل الابرار ويزيد فى الدرجات ﴿ والأحب ﴾ فى السر والجهر ﴿ النظر الى صلاح القلب ﴾ أى فى حضوره مع الرب ﴿ فصوب عليه السلام أبا بكر فى الاسرار وعمر فى الجهر بعد الفحص عن النية ﴾ روى أنه عليه السلام «مر على ثلاثة نفر من أصحابه مختلفى الأحوال فمر على أبى بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك؟ فقال: ان الذى أناجيه هو يسمعنى ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه السورة فسأله فقال: اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن» أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد صحيح نحوه، وفى رواية أنه عليه السلام قال لأبى بكر: لم خفضت صوتك؟ فقال: أسمعت من ناجيت وقال لعمر: لم رفعت صوتك؟ قال: أوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لأبى بكر: ارفع قليلا وقال لعمر: اخفض قليلا وهو مناسب دليلا لقوله سبحانه: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ولعله عليه السلام دعاهما لمقام جمع الجمع فان الصديق كان فى جمع الصرف

وَيُحَسِّنُ الصَّوْتَ بِهِ فَوَرَدَ « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ أَذَنَهُ لِشَيْءٍ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ» مُكْتَفِيًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّأْثِيرِ

والفاروق فى منع التفرقة، وقيل: لئلا يكون كل منهما عاملا الا بمتابعته فى جميع حالته ﴿ ويحسن الصوت ﴾ أى بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط بغير النظم ﴿ به ﴾ أى بالقرآن ﴿ فورد ما أذن الله لشىء ﴾ أى ما سمع وقبل وأقبل ﴿ اذنه ﴾ بفتحتين منصوبا ﴿ لشىء ﴾ أى من المسموعات أى مثل سماعه وقبوله واقباله ﴿ حسن الصوت بالقرآن ﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن» زاد مسلم لنبى حسن الصوت وفى رواية « كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن» وقال عليه السلام: « زينوا القرآن بأصواتكم» أبو داود والنسائى . وابن ماجه . والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال: « من لم يتغن بالقرآن فليس منا» أى من لم يترنم وهو أقرب لغة من معنى الاستغناء، وروى « أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال: ما حبسك؟ قالت: يارسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله» ، ابن ماجه من حديث عائشة، ورجال اسناده ثقات، واستمع عليه السلام أيضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر . وعمر فوقفوا طويلا ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن غضا - اى طريا - كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد» احمد والنسائى فى الكبرى من حديث عمر، وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود « ان أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله ﷺ قال: من أحب ان يقرأ القرآن» الحديث قال الترمذى حسن صحيح، وقال عليه السلام لابن مسعود: اقرأ على فقال: يارسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال: انى أحب ان اسمعه من غيرى فكان يقرأ ورسول الله ﷺ عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود، واستمع رسول الله ﷺ الى قراءة أبى موسى فقال: لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبى موسى، وفى الخبر كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقال عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نور يوم القيامة، احمد من حديث أبى هريرة ﴿ مكتفيا على الترغيب ﴾ أى على قدر الرغبة ﴿ والتأثير ﴾ أى وتأثير التسمية : فورد « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم

غَيْرَ مغيِّر نَظْمُه ولاَمُرَاعٍ قواعدَ المُوسيقى فى نَغَمَاتِهَا المَذْمُومَة المَنْسُوبة إلَى المُبْتَدعة وَلاَ مُشْتَغل عن التَّدَبُّر، وَيعظّمُه فورد (لَوْ أَنزلنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَل لَرَأَيْتَهُ خَاشعاً مُتَصدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتىَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِى فَقَد اسْتَصْغَرَ مَاعَظَّمَ اللهُ. وَيُحضِرُ القَلْبَ لِمَا سَبَقَ أَنَّه الأَصْلُ وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ (يَايَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّة)

فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه» وفى بعضها «فاذا اختلفتم فقوموا عنه» كذا فى الاحياء. وقال العراقى: متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى باللفظ الثانى دون قوله «ولانت جلودكم» قلت: ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)، وورد «ان من أحسن الصوت بالقر. ان الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى» ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف «ولا يسمع القرآن من أحد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى» الحاكم أبو عبدالله ﴿ غير مغير نظمه ﴾ أى مبناه بتغيير مخارج حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة فى مدَّاتها وكيفياتها ﴿ ولا مراع قواعد الموسيقى فى نغماتها المذمومة ﴾ فى الشريعة ﴿ المنسوبة الى المبتدعة ﴾ بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى مغنون أو هامدون أو خامدون ﴿ ولا مشتغل عن التدبر ﴾ فى آيه وآلائه وقصص رسله وأنبيائه وأنواع بلائه لاهل ولائه ثم اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل فى أحكامه من أوامره وزواجره والتفكر فى مبدأ أمره ومنتهى عمره ومواقف القيامة وأحوالها ودرجات الجنة وحسن آمالها ومنالها ودركات النار واختلاف أهوالها ﴿ ويعظمه ﴾ أى كما كان عكرمة بن أبى جهل اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربى هو كلام ربى ﴿ . فورد لو أنزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ وتمام الآية (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ﴿ من قرأ القرآن فرأى ان احدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظم الله ﴾ أى واستعظم ماصغره الله، وقد سبق الكلام على مبناه ومعناه ﴿ ويحضر القلب ﴾ فى التلاوة ﴿ لما سبق ﴾ فى حق الصلاة ﴿ انه الاصل ﴾ فى معرفة الرب ﴿ وبه فسر ماورد ﴾ فى التنزيل ﴿ يايحيى خذ الكتاب بقوة ﴾

ويتدبر فورد (ليدبروا آياته) وكان اهتمامهم بالتفقه دون اللقلقه حتى لم يستظهره الا بضعة عشر بل الكثير منهم لم يحفظ إلا سورة أو سورتين

أى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب ﴿ ويتدبر فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ليدبروا آياته ﴾ تمامه (وليتذكر أولوا الالباب) والتدبر سبب التذكر ﴿ وكان اهتمامهم بالتفقه ﴾ أى الدراية ﴿ دون اللقلقة ﴾ اى كثرة القراءة والرواية قال على: لاخير فى عبادة لافقه فيها ولاقراءة لاتدبر فيها ؛ وكان بعضهم يقول: كل آية لاأتفهمها ولا يكون قلبى فيها لاأعد ثوابا لها ، وقد روى عن عامر بن قيس أنه قال الوسواس يعترينى فى الصلاة فقيل له أفى أمر الدنيا؟ فقال لان تختلف فى الأسنة أحب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى وانى أذهب وكيف أنصرف ؟ قال الحجة : فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لايقدر على مثله الا أن يشغله بمهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل ، ولما ذكر ذلك للحسن فقال: ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا، هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه ﴿ حتى لم يستظهره ﴾ أى لم يحفظ جميعه ﴿ الا بضعة عشر ﴾ صحابيا من أكابر الصحابة وأجلائهم فى القراءة كالخلفاء الأربعة. وابى بن كعب. وابن مسعود. وزيد ابن ثابت. وسالم مولى أبى حذيفة، وفى الاحياء مات رسول الله ﷺ عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرءان منهم الاستة اختلف منهم فى اثنين ، قال العراقى: قوله مات عن عشرين ألفا لعله اراد بالمدينة والافقد روينا عن أبى زرعة الرازى أنه قال: قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى ، وأما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب . ومعاذ بن جبل . وزيد . وأبو زيد قلت : من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبى الدرداء. وسعيد بن عبيد، وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو استقرءوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود . وسالم مولى أبى حذيفة . ومعاذ بن جبل . وأبى ابن كعب ﴿ بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة ﴾ كالبقرة ﴿ أو سورتين ﴾ كالزهراوين ، وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، وروى ابن الأنبارى بسنده الى عمر قال : كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة

وَيُرَدِّدُهُ مِرَارًا فَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً بِآيَةٍ وَيَتَفَهَّمُ وَهُوَ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ صَفَاءِ الْبَاطِنِ وَظُهُورِ الْمُكَاشَفَةِ فَوَرَدَ «أَنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا» * «لَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ

من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها الحديث وسنده ضعيف . والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال : ما معك يا فلان ؟ قال : معى كذا و كذا وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : اذهب فأنت أميرهم الحديث ﴿ ويردده مرارا ﴾ أى من حق القرآن أن يكرر المقروء مرة بعد مرة ﴿ فقد قام عليه السلام ليلة بآية ﴾ واحدة يرددها وهى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) النسائى . وابن ماجه بسند صحيح عن أبى ذر ، وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة أبو ذر الهروى فى معجمه عن أبى هريرة بسند ضعيف ، وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ، وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ﴿ ويتفهم ﴾ بأن يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر أحوال أنبيائه وأوليائه وبيان حال أعدائه ، وذكر أوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودركات ناره ﴿ وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن ﴾ وأنواره ﴿ وظهور المكاشفة ﴾ للقلب واسراره ﴿ فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا ﴾ تمامه «وحدا ومطلعا» ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود ؛ وروى عن ابن مسعود مرفوعا أيضا «ان القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع» فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد إحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام ، وأخرج النسائى من رواية أبى جحيفة قال : سألنا عليا رضى الله عنه فقلنا : هل عندكم من رسول الله ﷺ شىء سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرىء النسمة الا أن يعطى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ «هل عندكم شىء ماليس فى القرآن» وقال مرة : ماليس عند الناس ﴿ لا يفقه العبد ﴾

حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً» * «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ»

أى كل الفقه ﴿ حتى يرى للقرءان وجوها كثيرة ﴾ قال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها ، وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والاشارة . واللطائف . والحقائق فالعبارة للعوام. والاشارة للخواص. واللطائف للاولياء. والحقائق للانبياء ، أقول : وفى الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتمامه لأن كلامه الازلى من نعته العلى وكما لا نهاية لذاته ولا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الأسرار ونهرا من أنهار الأنوار ، وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه: (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، وقد قيل: لا يكون المريد حتى يجد فى القرءان كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ، وفى الخبر لولا أن الشياطين يحدقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ، ومبانى القرءان من جملة الملكوت رواه أحمد عن أبى هريرة ﴿ اقرأوا القرءان والتمسوا غرائبه ﴾ ابن أبى شيبة فى مصنفه . وأبو يعلى الموصلى . والبيهقى فى شعبه من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف ، وعن ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور(١) القرءان، هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال: (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقال: (وما يتذكر الا من ينيب) وقال (انما يتذكر أولو الالباب) والذى آثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوى الألباب فلذا لا ينكشف له أسرار الكتاب وأنوار الخطاب ، وقد ورد «اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى» قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرءان كذا فى الاحياء وقال العراقى: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض ، قال : ذكر عن نبى الله ﷺ وقد قال تعالى :(وأوحى الى هذا القرءان لانذركم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرءان فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض أهل الفضائل : هذا القرءان رسائل أتتنا من قبل ربنا بعهوده لنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات وتتعبدها فى الطاعات بالسنن المتبعات ، وكان

(١) هو بالثاء المثلثة أى لينقر عنه ويبحث عن علمه ويخوض فى معانيه

أَمَّا مَا وَرَدَ « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

مالك بن دينار يقول: ماذرع القرءان فى قلوبكم ياأهل القرءان ان القرءان ربيع المؤمن كماأن الغيث ربيع الأرض ، وقال قتادة : لم يجالس هذا القرءان أحد الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى: (وننزل من القرءان ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا) ولذا قيل : من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذاقرأ القرءان ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وأنت معرض عنى ؟دع عنك كلامى اذلم تنب الى ، ومما يدل على أن مدار القرءان على فهمه والعمل بامره ونهيه مارواه أبو داود . والنسائى فى الكبرى . وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو قال : « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : اقرئنى يارسول الله فاقرأه اذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل : والذى بعثك بالحق لاأزيد عليها أبدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام: افلح الرويجل افلح الرويجل » ولاحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال : حسبى لاأبالى ان لاأسمع غيرهذه ، وعن جعفر الصادق والله لقد يحكى الله سبحانه لخلقه فى كلامه ولكنهم لايبصرون ، وقال أيضا وقد سألوه عن حالته الخفية فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : مازلت أردد الآية فى قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدره ، وكان رضى الله عنه تصور أن الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وأنه نودى فى شأنه ماصدر من الكلام فى ذلك المقام وفق المرام ، ومن هنا قال بعض الحكماء : كنت اقرأ القرءان فلم أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى اسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأنى اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما لااصبر عنه، فقال عثمان . وحذيفة: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وعن ثابت البنانى كابدت القرءان عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله سبحانه : (ففروا إلى الله) قيل ليوسف بن اسباط : اذاقرأت القرآن بما تدعو ؟ قال : بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فنستغفر الله مماسواه ولانعبد الااياه ولانقصد فى الدارين ماعداه

﴿اماماورد من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار﴾ أى فليهيء مكانه من

فمحمول على القطع على مراده تعالى والاحتجاج لاثبات الهوى دون الاستنباط لفقد السماع إلا فى بعض آيات واختلافهم على اقوال يمتنع التوفيق بينهما، وورد (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل

نارجهنم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد، وعند النسائى فى الكبرى ﴿ فمحمول ﴾ أى وعيده ﴿ على القطع على مراده تعالى ﴾ أى اذا لم يعلم انه مراده كما فى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات والافن المعلوم ان قوله تعالى: (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أراد الله بهما العبادتين احداهما بدنية والأخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا: المراد بالصلاة وصل الصلات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات ﴿ والاحتجاج لاثبات الهوى ﴾ بان يكون له فى الشيء رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرءان على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لايلوح له من القرءان ذلك المعنى ﴿ دون الاستنباط ﴾ أى لايحمل على استنباط المعانى من مدارك المبانى فى الآيات المحتملات ﴿ لفقد السماع ﴾ أى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله ﷺ فى تفسير السبع المثانى ﴿ الا فى بعض آيات ﴾ تعد نادرات فى واقعات ﴿ واختلافهم ﴾ أى ولاختلاف الصحابة والمفسرين ﴿ على أقوال ﴾ أى مختلفة ﴿ يمتنع التوفيق بينهما ﴾ أى لايمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى ماظهر له باستنباط فى المبنى حتى قالوا فى الحروف التى هى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير مؤتلفة ﴿ وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ الآية، والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فاثبت لاهل العلم استنباطها، ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد أن يستنبط من القرءان بقدر فهمه وحد عقله بشروط تذكر فى محله الاليق به، ومن ذلك استخراج أبى بكر رضى الله عنه موت النبى ﷺ من قوله سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لايفهم من ظاهر المبنى ﴿ اللهم فقهه فى الدين ﴾ أى ابن عباس ﴿ وعلمه التأويل ﴾ البخارى من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فامعنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا فينبغى ان لايقبل مايقوله ابن عباس. وابن مسعود. وغيرهما من قبل انفسهم على

وَيتخلّى عن المَوَانع كتحقيق المَخارِج وَأَدَاء اللفظ وقواعد المُوسيقى وَالاصْرَار عَلَى الذّنْبِ وَالاتِّصَاف بالذَّميمة فورد (تَبْصرَةً وَذكرى لكلِّ عَبْدٍ مُنيب) ويقدِّر فى كل خطاب فورد (وَأُوحِىَ إلىَّ هٰذا القُرآنُ لأنذركُمْ به) «اقرإ القرآنَ مانهاكَ»

قدر فهمهم ، ويقال : هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعوه رسول الله ﷺ وليس كذلك فافهم فان أكثر القرءان ماتبين الا بقوله عليه السلام ثم ماتبين باقوال أصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الأعلام ﴿ ويتخلى عن الموانع ﴾ أى ويجتنب عن موانع الفهم ﴿ كتحقيق المخارج ﴾ أى مخارج الحروف وتدقيق صفاتها ﴿ وأداء اللفظ ﴾ من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر وفق مراعاتها بالمبالغة فى تحسين حالاتها والافهام من الواجبات المتعلقة بالقراءة ﴿ وقواعد الموسيقى ﴾ أى ويتخلى عنها بان لايلحن فى القراءة لحنا جليا كما لاينبغى ان لايلحن فيها لحنا خفيا فى المقدمة الجزرية:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ٭ من لم يجود القرءان آثم
فانه به الاله أنزلا ٭ وهكذا منه الينا وصلا

﴿ والاصرار على الذنب ﴾ أى ويتخلى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لاصغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار، وقد قال تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) ﴿ والاتصاف بالذميمة ﴾ أى من الاخلاق الردية والأحوال الدنية ﴿ فورد ﴾ أى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) والانابة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى والأوبة أخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الأنبياء والأولياء (انه أواب فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ﴿ ويقدر ﴾ أى يفرض القارىء ويقرر انه المراد ﴿ فى كل خطاب ﴾ من الأمر والنهى وغيرهما كالوعد . والوعيد فى كلام البارى ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل (وأوحى الى هذا القرءان لأنذركم به) وقد سبق الكلام عليه وماينا سبه المرام لديه ﴿ اقرأ القرآن مانهاك ﴾ أى مادام ينهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتمام الحديث « واذا لم ينهك فلست تقرؤه » الطبرانى من حديث

وقصة فهي للتنبيه فورد (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ويتأثر باختلاف حال القلب بحسب المعنى فيفرح فيشتاق ويخاف عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها ويترقى فيه فالأدنى تقديرا انه يقرأ بين يديه تعالى، ثم انه تعالى يخاطبه ثم رؤية المتكلم وصفاته وأفعاله والأولان لأصحاب اليمين وغيرهما للغافلين، ويرى دخوله فيما ورد في العاصين

عبدالله بن عمرو بسند ضعيف ﴿ وقصة ﴾ أي ويقدر انه المراد في كل قصة مشتملة على منحة ونعمة أو محنة وغصة ﴿فهي للتنبيه فورد﴾ في التنزيل ﴿ وكلا ﴾ أي وكل ما يحتاج اليه ويصفه بقوله ﴿ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ بدل كل من كل واذا كان قلبه الأعلى يحتاج الى التثبيت فغيره أولى ، وورد «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ﴿ ويتأثر ﴾ أي القارىء ﴿ باختلاف حال القلب ﴾ أي تقلبه ﴿ بحسب المعنى ﴾ أي بتفاوت معنى كلام ربه ﴿ فيفرح فيشتاق ويخاف ﴾ كلها لف ونشرها المرتب ﴿ عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها ﴾ من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار ﴿ ويترقى فيه ﴾ أي في مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى ﴿ فالادنى ﴾ أي في مقام الترقي ﴿ تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى ﴾ أي كما يقرأ بين يدي معلمه قال تعالى: (الرحمن علم القرءان) فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجزي عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال ﴿ ثم انه تعالى ﴾ أي يقدر انه سبحانه ﴿ يخاطبه ﴾ أي من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلما بكتابه أو مستمعا لخطابه أو واقفا بجنابه ومتعلقا ببابه فيفيد التأدب بآدابه ﴿ ثم رؤية المتكلم ﴾ بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق ﴿ وصفاته ﴾ كاسم الحي والعليم والسميع والبصير والقدير ﴿ وافعاله ﴾ أي كأسماء أفعاله مما أثره محسوس في مخلوقاته كالمحيي والخالق والرازق والمصور والوهاب ﴿ والأولان ﴾ أي من الاحوال ﴿ لاصحاب اليمين ﴾ أي المطيعين من المسلمين ﴿ وغيرهما ﴾ أي من المراتب المذكورة من أنواع حالات الترقي ﴿ للغافلين ﴾ وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين ﴿ ويرى ﴾ أي وينبغي ان يرى السالك ولو كان في أعلى المسالك ﴿ دخوله فيما ورد في العاصين

وَالْمُقَصِّرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِى الْيَقِين، وَمِنْهَا الصلاةُ عَلَيْهِ ففيه وعَدُّ صُحْبَته وشفاعته، وورد انها صدقة وَحَقُّها ان تُقْرَنَ بالسلامِ فورد (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) والصلاةِ على سَائِرِ الانبياء وَأَهْلِ الْبَيْت والصحابة فهو الْمَأْثُور

والمقصرين دون المقربين وذوى اليقين﴾ أى المعتبرين فى أمر الدين﴿ومنها﴾ أى من أنواع الورد﴿الصلاة عليه﴾ أى على النبي ﷺ ﴿ففيه وعد صحبته﴾ أى رفقته فى منزلته ﴿وشفاعته﴾ لاهل محبته أما دليل الأول فقوله عليه السلام: «أولى الناس بى أى بقربى فى العقبى أكثرهم على صلاة» أى فى الدنيا الترمذى. وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقى باسناد حسن عن أبى أمامة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة وأما الثانى، فورد «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة» وورد «شفاعتى لاهل الكبائر من امتى» الترمذى وحسنه والبيهقى وصححه ﴿وورد أنها صدقة﴾ رواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بلفظ «اكثروا الصلاة على فانها زكاة لكم» أى بمنزلة زكاة وصدقة لفقرائكم وأغنيائكم «ومن صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب» الطبرانى فى الأوسط. وأبو الشيخ فى الثواب. والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف، وفى رواية ابن أبى حاتم عن أنس مرفوعا «صلوا على فان الصلاة على كفارة لكم فمن صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا» وفى روايته أيضا عن ابى كاهل «من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لى وشوقا الى كان حقا على الله أن يغفر له ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم» ﴿وحقها ان تقرن﴾ أى الصلاة ﴿بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وظاهره الجمع بينهما فى كل موضع لكن لايجب كما توهم النووى اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى فى وقت وسلم فى آخر فقد خرج عن عهدة الامرين كما فى قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقد جعلت فى المسألة رسالة مستقلة ﴿والصلاة﴾ بالخفض أى ويقرن بالصلاة ﴿على سائر الأنبياء﴾ أو بالرفع أى من حق الصلاة على النبى الصلاة على سائر الأنبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة ﴿وأهل البيت والصحابة﴾ أى تبعا ﴿فهو المأثور﴾ وعليه الجمهور، وقيل: يجمع بين الصلاة والسلام لنبينا، ويقتصر على السلام فى الأنبياء والملائكة

وَلَا يُذْكَرُ عِنْدَ الْعَطْسَةِ وَالذَّبْحِ وَالتَّعَجُّبِ «وَمِنْهَا الْأَذْكَارُ الْمَرْوِيَّةُ الْوَارِدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ»

﴿ولا يذكر عند العطسة ﴾ فيه خلاف ﴿ والذبح ﴾ وهو مكروه قال صاحب المحيط: لان فيه ايهام الاهلال له ﴿ والتعجب ﴾ أى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفى فتاوى قاضيخان رجل يقرأ القرءان وسمع اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الناطق انه لا يجب عليه الصلاة لان قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلاة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة إن صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم، والظاهر أنه يستثنى ما إذا قرأ أو سمع آية (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فانه يجب عليه الصلاة والسلام حينئذ ولو فى الصلاة كما صرحوا بذلك فى حال الخطبة، وقد ورد «من ذكرت عنده فليصل على» النسائى. والطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى. وابن السنى ورواه أحمد. وابن حبان. والحاكم وصححه «من ذكرنى فليصل على» أبو يعلى عن أنس والظاهر ان الأمر للوجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل فى المجلس كسجدة التلاوة، ومما يدل على الايجاب حديث «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» أى ذل فى الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى. وابن حبان. والبزار. والطبرانى من حديث أبى هريرة وحسنه الترمذى «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على» الترمذى. والنسائى عن على. وابن حبان. والحاكم عن حسين بن على رضى الله عنهما، والاخبار فى هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة فى شرح الصلاة المحمدية والصلات الأحمدية ﴿ ومنها ﴾ أى من جملة الأوراد بل أجل ورد للعباد والعباد فى جميع البلاد ﴿ الاذكار ﴾ ككلمة التوحيد والتمجيد وأسماء الله والتسبيح والتحميد ﴿ المروية ﴾ فى الاخبار المرضية ﴿ الوارد فيها الفضائل ﴾ أى الكثيرة الشهيرة فى الكتاب والسنة المصطفوية ؛ أما الكتاب فقوله تعالى: (فاذكرونى أذكركم) قال ثابت البنانى: إنى أعلم متى يذكرنى ربى سبحانه وتعالى ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال إذا ذكرته ذكرنى وقوله: (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله حكاية: (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وقوله: (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقوله (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس: أى بالليل. والنهار. والبر. والبحر. والسفر. والحضر: والغنى. والفقر. والمرض. والصحة: والسر والعلانية، وقوله فى ذم المنافقين (ولا يذكرون

وَمِنْهَا الدُّعَاءُ فَوَرَدَ «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»

الله إلا قليلا) وقوله: (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله: (ولذكر الله أكبر) قال ابن عباس: له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه ﴿وأما السنة﴾ فقوله عليه السلام: ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر الغازى رواه البزار والطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود، وقوله تعالى: «انا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه» ابن ماجه. وابن حبان من حديث أبى هريرة والحاكم من حديث أبى الدرداء وقال: صحيح الاسناد، وقوله «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى» ابن أبى شيبة فى مصنفه والطبرانى من حديث معاذ وقوله لما سئل أى الأعمال أفضل قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ، وقوله عز وجل اذا ذكرنى عبدى في نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه وإذا تقرب إلى شبرا تقربت اليه ذراعا وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هرولت اليه» يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه، والحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقوله عز وعلا «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام: «لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل» الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى، وقوله «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت» رواه الشيخان عن أبى موسى الأشعرى وقوله «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يارسول الله وما رياض الجنة قال: حلق الذكر» رواه أحمد والترمذى والبيهقى عن أنس وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعا «اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة؟ قال: المساجد قلت: وما الرتع يارسول الله؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» وقوله ليس يتحسر أهل الجنة الاعلى ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبرانى وابن السنى عن معاذ وقوله «اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن السنى: والحاكم: والبيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى ﴿ومنها﴾ أى من أصناف الورد ﴿الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة﴾ الترمذى من حديث أنس، والدعاء هو العبادة أصحاب السنن الاربعة

وَحقه أَنْ يترصد شرائف الْأَوْقات لما وَرد فيه « فضيلة من يوم وليلة وَسحر وجوف اللّيل وعند الزّوال

والحاكم وقال: صحيح الاسناد وقال الترمذى: حسن صحيح «ليس شىء أكرم عند الله من الدعاء» الترمذى وقال غريب وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وقال صحيح الاسناد «ما من مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة الا أعطاها اياه إما أن يعجلها واما أن يدخرها له» أحمد عن أبى هريرة «الدعاء سلاح المؤمن» أبو يعلى. والحاكم عن على «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء» الترمذى . والحاكم عن أبى هريرة وقال: صحيح الاسناد «من لم يدع الله غضب عليه» ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث أبى هريرة ونعم ما قيل :

الله يغضب ان تركت سؤاله ٭ وبنى آدم حين يسأل يغضب

واختلف هل الافضل هو الدعاء أو السكوت تحت جريان القضاء. مع أن الدعاء لا ينافى الرضاء ؟ فقيل: الأول أفضل لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثانى أكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، ويؤيده قول الخليل عليه السلام علمه بحالى يغنى عن سؤالى ، وقيل يختلف باختلاف الأوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات، وقيل ما كان لنفسه فالسكوت أولى وما كان لغيره فالدعاء أحرى ﴿ وحقه ﴾ أى الدعاء ﴿ أن يترصد ﴾ أى ينتظر ﴿ شرائف الاوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم ﴾ كيوم عرفة ويوم الجمعة ﴿ وليلة ﴾ كليلة الجمعة وليلة القدر ﴿ وسحر ﴾ وهو قبيل الصبح على ما ذكره الجوهرى والسدس الأخير على ماقاله الزمخشرى والثلث الأخير على مايفهم من كلام الغزالى لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له، وقيل إن يعقوب عليه السلام انما قال لبنيه سوف أستغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء، وعن عائشة ماألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى الا نائما متفق عليه ولم يقل البخارى الاعلى ﴿ وجوف الليل ﴾ أى وسطه وأثنائه كله أو نصفه ﴿ وعند الزوال ﴾ أي الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولأنهما غالبا وقت الغفلة أو

وَصُعُودِ الْامَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.وَفِى جَلْسَةِ الْخَطِيبِ.وَغُرُوبِ الشَّمْسِ فِيهَا.
وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْاقَامَةِ.وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ.وَالْأَحْوَالِ.وَنُزُولِ
الْمَطَرِ.وَأَدَاءِ الْفَرْضِ.وَخَتْمِ الْقُرْآنِ

بعد الزوال الأخير لما ورد فيه من فتح أبواب السماء ﴿ وصعود الامام يوم الجمعة وفى جلسة الخطيب ﴾ أى على المنبر ﴿ وغروب الشمس فيها ﴾ أى وعنده فى الجمعة أقوال فى ساعة الجمعة وقد بيناها مع غيرها من الأقوال وما ورد فيما سبق من أوقات الدعاء فى شرح الحصن الحصين ﴿ وبين الأذان والاقامة ﴾ يوم الجمعة أو مطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقد جعله صاحب الحصن فى الأحوال والحديث رواه أبو داود . والترمذى . والنسائى . وابن حبان عن أنس وزاد الترمذى قالوا: فما نقول يارسول الله؟ قال : سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة ﴿ و بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ﴾ لم أجده، وكان حقه أن يذكر رمضان فى أوقات الاجابة فروى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال يوما ـ وحضر رمضان ـ أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء الحديث ﴿ والاحوال ﴾ أى وأن يترصد شرائف الاحوال كالغزو ﴿ ونزول المطر ﴾ رواه الشافعى فى الام مرسلا ، وقال: قد حفظت عن غير واحد جرب الاجابة عنده ﴿ وأداء الفرض ﴾ ظاهره بعد أدائه ويحتمل وقوعه فى اثنائه قال أبو هريرة إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة، وروى أبو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثنتان لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء. وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضا» وفى رواية عنه أيضا مرفوعا قال «ووقت المطر أو تحت المطر» ﴿ وختم القرآن ﴾ خصوصا من القارىء فعن العرباض مرفوعا «من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة» الطبرانى فى الكبير وعن الحكم بن عتيبة قال مجاهد: وعنده ابن أبى لبابة واناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذى أرادوا أن يختموا ارسلوا الى والى سلمة بن كهيل فقالوا: انا كنا نعرض المصاحف فاردنا أن نختم اليوم فاحببنا أن تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه رواه ابن أبى

وَالْمَشْيِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالصَّوْمِ. وَالْإِفْطَارِ، وَالسَّجْدَةِ وَالرِّقَّةِ وَالتَّيَقُّظِ لِجَلَالِهِ تَعَالَى. وَالْمَرَضِ. وَالْغُرْبَةِ وَقِرَاءَةِ الْإِخْلَاصِ. وَالْكَوْنِ فِي الْجَمَاعَةِ تَبْلُغُ مِائَةً وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ. وَالْمُلْتَزَمِ. وَعِنْدَ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ

شيبة فى مصنفه. وأبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف بسند صحيح ﴿ والمشى الى المسجد ﴾، فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلاة قال: اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وخلفى نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس، وفى رواية «كان يقول اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى اليك فانى لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء وانى خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذنى من النار وان تدخلنى فى الجنة مع الأبرار» ﴿ والصوم ﴾ أى حاله فورد «الصائم لاترد دعوته» الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة ﴿ والافطار ﴾ أى وقته فورد «أن للصائم عند فطره لدعوة ماترد» ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ﴿ والسجدة ﴾ اى حال السجود، فورد «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء» رواه مسلم ﴿ والرقة ﴾ أى رقة القلب. ودمعة العين بذكر الرب ﴿ والتيقظ لجلاله تعالى ﴾ فانهما من علامات الاجابة ﴿ والمرض ﴾ فقد ورد اذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أبو الشيخ عن أنس وعن عمر مرفوعا «اذا دخلت على مريض فمره يدعولك فان دعاءه كدعاء الملائكة» كذا فى المشكاة ﴿ والغربة ﴾ فقد روى البزار عن أبى هريرة «ثلاث حق على الله ان لايرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع» ﴿ وقراءة الاخلاص ﴾ لم أجده ﴿ والكون فى الجماعة تبلغ مائة ﴾ ذكر فى الحصن الحصين فى احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال: رواه الجماعة عن أم عطية الأنصارية ﴿ والوقوف بعرفات ﴾ فورد «خير الدعاء دعاء يوم عرفة» الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﴿ والملتزم ﴾ و كذا رؤية الكعبة وعند زمزم ﴿ وعند قبره ﷺ ﴾ وكذا مساجده ومشاهده ﴿ والكل مأثور ﴾ والبعض مشهور، وفى الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه من بيان أماكن الاجابة والذين يرجى لهم الاجابة وقد خلط المصنف بين الأحوال والرجال والأمكنة والازمنة ﴿ ويستقبل القبلة ويرفع يديه ﴾ لما

حَتَّى يُرَى مَاتَحْتَ ابِطَيْهِ ضَاماً كَفَّيْهِ جَاعِلاً بَطْنُهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ وَوَرَدَ « أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَحِي أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفراً » دُونَ الْعَيْنِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَيَفْتَتِحُ بِالتَّحْمِيدِ

روى مسلم عن جابر «انه عليه السلام أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس» وللنسائي من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات ﴿ حتى يرى ماتحت أبطيه ضاما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروى ﴾ أي عن أنس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء، وعن ابن عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف، وعن عمر كان عليه السلام اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرك وسكت عليه ﴿ وورد انه تعالى يستحيي ان يردهما صفرا ﴾ بكسر الصاد أي خاليا، فعن سلمان ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما ﴿ دون العين ﴾ أي لا يرفعهما الى السماء حال الدعاء ﴿ فهو منهي عنه ﴾ فعن أبي هريرة مرفوعا « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » رواه مسلم ولا يبالغ في رفع صوته لما روى أبو موسى الأشعرى قال قدمنا مع النبي ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم « فقال أيها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم » كذا في الأحياء وقال العراقي حديث أبي موسى يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابي داود ؛ وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وفي رواية والطهور أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى :(ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) وورد « اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه» وفي لفظ صوته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسن فالاخفاء في الدعاء أفضل لتلك الآية ولقوله تعالى ثناء على زكريا :(اذ نادى ربه نداء اخفيا) ﴿ ويفتتح ﴾ أي يبتدى الدعاء ﴿ بالتحميد ﴾ كما في سورة الفاتحة وقم الثناء قبل الدعاء، وقال سلمة بن الأكوع: ماسمعت رسول الله

وَالصَّلَاةِ وَيَخْتِمُ بِهِمَا لِكَوْنِهِمَا مَقْبُولَيْنِ فَلَا تُرَدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ، وَيُقَدِّمُ رَبَّنَا خَمْسًا فَوَرَدَ فِيهِ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) وَحَاجَةَ الْآخِرَةِ لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ، وَيَجْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْمُخَافَتَةَ فَوَرَدَ (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا)

ﷺ يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال: سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد ﴿والصلاة﴾ أي على النبي ﷺ فورد من حديث فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي احداهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي كذا في الاحياء، وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبي الدرداء ﴿ويختم﴾ أي الدعاء ﴿بهما﴾ أي بالحمد لقوله تعالى: (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وبالصلاة ﴿لكونهما﴾ يكونان ﴿مقبولين فلا ترد حاجته في البين﴾ قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسئل الله حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم أن يدع ما بينهما ﴿ويقدم﴾ على دعائه ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا ﴿خمسا فورد فيه﴾ أي في حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى: (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) الى قوله: ﴿فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة﴾ أي ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام: اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ﴿لتسارع النجاح﴾ أي الفوز والفلاح ﴿ويجتنب الجهر والمخافتة﴾ أي بل يجعل دعاءه وسط الحالة ﴿فورد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أي بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الآية: (وابتغ بين ذلك سبيلا) لكن الظاهر أن المراد بصلاتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما في التهجد، أو المعنى لا تجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها في تمام الأيام وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح والعشاءين والجمعة والتراويح، وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل، وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا أبو نصر عن أبي هريرة،

وَلَا يَتَكَلَّفُ بِالسَّجعِ فورد « إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِى الدُّعَاءِ » وَالْأَوْلَى أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَأْثُورِ لِئَلَّا يَسْأَلَ مَالَا صَلَاحَ فِيهِ وَيَتَضَرَّعُ وَيُخْفِى فورد (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) وَيُحَقِّقُ الرَّجَاءَ

﴿ ولا يتكلف بالسجع ﴾ فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لايناسبه ﴿ فورد ايا كم والسجع فى الدعاء ﴾ وتمامه « بحسب أحدكم أن يقول اللهم أنى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل » وهو غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لايفعلون الاذلك أى عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف فى السجع بخلاف ماإذا ورد على مقتضى الطبع والافى الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤتلفة الا أنها غير متكلفة كقوله عليه السلام: « اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد » الترمذى من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب » وكقوله « اللهم انى أعوذبك من علم لاينفع وعمل لايرفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع » أحمد. وابن حبان. والحاكم عن أنس وزيد فى رواية « ومن هؤلاء الأربع » وكقوله « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » أحمد فى مسنده عن أبى سعيد مرفوعا ﴿ والاولى أن يقتصر على المأثور لئلا يسأل مالاصلاح فيه ﴾ فانه إذا جاوزه قد يعتدى فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن فى دعوته ولذا روى عن معاذ أن العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلايدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ، ولأنه عليه السلام تعليما لأمته الكرام ماترك شيئا مرغوبا الادعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الاسأل الله وتعوذه » وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الافخم والورد الأعظم ﴿ ويتضرع ﴾ أى بالاستكانة والتذلل عنده ﴿ ويخفى ﴾ أى الدعاء عن غيره ﴿ فورد ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ والقياس على الذكر أولى لانه أحد أنواعه ، وقد ورد (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) وفى الحديث « وخير الذكر الخفى » ﴿ ويحقق الرجاء ﴾ أى فى اجابة الدعاء لحديث « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت

فورد «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» ويلح فورد «إن الله يحب الملحين في الدعاء» وأقله التثليث، ولا يستعجل فورد «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» ولا يذكر الطاعة فهو يورث العجب

اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة والحديث «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء» رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﴿فورد ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة﴾ تمامه «واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة «لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء أشر الخلق ابليس إذ قال رب انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين» وما أحسن من قال من أهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر إلى مكان انظرني ﴿ويلح﴾ أي يكرر الدعاء ﴿فورد إن الله يحب الملحين في الدعاء﴾ الحكيم وابن عدي والبيهقي عن عائشة أما ما روي من حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق في مدح الصحابة لا يسألون الناس إلحافا ﴿وأقله التثليث﴾ فعن ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه ﴿ولا يستعجل﴾ بأن يستبطىء الاجابة ﴿فورد يستجاب لأحدكم ما لم يعجل﴾ تمامه فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقال بعضهم: اني أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني، وقد ورد «اذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال» البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف والبيهقي في كتاب الصفات من حديث حبيب بن أبي ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله ﷺ كان اذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات، ﴿ولا يذكر الطاعة﴾ أي طاعته السابقة عند الدعوة ﴿فهو يورث العجب﴾ أي والمقام يقتضي المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه في صلاة التوبة رواه الأربعة، وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه

وَلَا الْمَعْصِيَةَ فَهُوَ يَنْفِي الايقَانَ وَقَدْجَاءَ النَّذْرُ بِقِصَّةِ مَرْيَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَالاضْطِرَارَ فَوَرَدَ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اِذَا دَعَاه) وَالاصْلُ التَّوْبَةُ.وَرَدُّ الْمَظَالِمِ وَتَوْجِيهِ الْهِمَّةِ إِلَيْهِ تَعَالَى

حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار فى الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم» الحديث الطويل ﴿ ولا المعصية ﴾ أى ولا يذكرها ﴿ فهو ينفى الايقان ﴾ أى بالاجابة وان كان فى حيز الامكان والأولى أن يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة كما ستأتى اليه الاشارة وقد تقدم أيضا فى طى العبارة ﴿ وقد جاء النذر ﴾ أى فى الكتاب والسنة فجاز ان يقول مثلا ان استجاب الله دعائى فلله على أن أصلى كذا أو اصوم كذا او نحو هذا ﴿ بقصة مريم رضى الله عنها ﴾ حيث قالت أمها حنة امرأة عمران : (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) الآيات، وحيث قالت مريم انى نذرت للرحمن صوما ولقوله تعالى فى وصف الابرار : (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا و يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) الآيات ﴿ والاضطرار ﴾ عطف على الرجاء أى ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال الاحتياج والافتقار ﴿ فورد أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ وهو يعم الكفار ﴿ والأصل ﴾ أى فى قبول الاجابة ﴿ التوبة ﴾ أى حصولها بان يجتنب الحرام فى مأكله ومشربه وملبسه ومكسبه لما رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة يرفعه «انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب لذلك» ﴿ ورد المظالم ﴾ فانه من أركان التوبة وقال سفيان الثورى : بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو مشيتم إلى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فانى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم ﴿ وتوجيه الهمة اليه تعالى ﴾ أى تخليص قصد القلب إلى جانب الرب وعدم الالتفات إلى ما سواه فى المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من

فَالنَّافِعُ هُوَ الْحُضُورُ إِذِ الْمَقْصُودُ الْأُنْسُ بِهِ تَعَالَى وَبِهِ يُرْجَى خَيْرُ الْخَاتِمَةِ وَيُلَازِمُهُ فِي الرَّخَاءِ لِيَنْدَفِعَ الْبَلَاءُ، وَيَرْغَبُ فِي دُعَاءِ ذِي فَضِيلَةٍ دِينِيَّةٍ فَوَرَدَ «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ» وَيَتَّقِي دُعَاءَ الْمَظْلُومِ

أركان الدعاء قال تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال:(فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ﴿ فالنافع ﴾ أى من الدعاء ولو من المأثور ﴿ هو الحضور ﴾ أى مع الله فى مجلس الانس والسرور ﴿ اذ المقصود الانس به تعالى ﴾ الموجب للنور فى الصدور وأما الحور والقصور وسائر أنواع الحبور فالالتفات اليها نوع من التقصير والقصور ﴿ وبه ﴾ أى بالانس فى حضرة القدس ﴿ يرجى خير الخاتمة ﴾ اللاحقة التى مدارها على العناية السابقة كما يشير اليه قوله تعالى :(ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) ﴿ ويلازمه ﴾ أى يلازم مطلق الدعاء ﴿ فى الرخاء ﴾ أى فى حال النعماء والآلاء ﴿ ليندفع البلاء ﴾ أى فى السراء والضراء فورد «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء» الترمذى عن أبى هريرة . والحاكم عن سلمان وقال : صحيح الاسناد، وروى البيهقى والخطيب عن جابر مرفوعا «لقد بارك الله فى حاجة أكثر الدعاء فيها أعطيها أو منعها» ﴿ ويرغب فى دعاء ذى فضيلة دينية ﴾ أى من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام ﴿ فورد ثلاثة لا ترد دعوتهم ﴾ وتمامه «الامام العادل . والصائم حتى يفطر. ودعوة المظلوم» وللبيهقى عن أبى هريرة «ثلاثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط» وقد ثبت أنه عليه السلام «قال لعمر حين اعتمر: شاركنى فى دعائك يا أخى» وروى مسلم من حديث عمر «أنه قال لاويس القرنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرىء منه الا موضع درهم له والدة هو لها بر لو أقسم على الله لأبره فلو استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له» ﴿ ويتقى دعاء المظلوم ﴾ فورد «اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين» الطبرانى فى الكبير والضياء عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمرو ولفظه «اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة» وأحمد والطيالسى من حديث أبى هريرة «دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه» واسناده حسن والظاهر أن المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل

وَلَا يَدْعُو عَلَى أَحَد فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ﴿ وَمِنْهَا ﴾ التَّفَكُّرُ فورد «ويَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ» «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً» وهو طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ أَوَّلُهُ التَّذَكُّرُ وهو إِحْضَارُ الْقَلْبِ الْمَعَارِفَ

أن يكون المراد به الكافر لما فى رواية«ولو كان كافرا» رواه أحمد وأبو يعلى والضياء عن أنس «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فانه ليس دونها حجاب» ولابن حبان من حديث أبى ذر الغفارى قلت يارسول الله « ما كانت صحف ابراهيم قال: كانت أمثالا كلها ياأيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها وان كانت من كافر » ﴿ولا يدعو على أحد﴾ لئلا يهلك بسبب دعائه أحد ولو كان ظالما لقوله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ﴿فالكل مأثور﴾ أى وعامله فى كله مأجور ﴿ومنها﴾ أى من جملة الأوراد ﴿ التفكر فورد ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ أى فى مخلوقاتهما أو فى كيفية ايجادهما أو ابقائهما بامدادهما وعنه عليه السلام « ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر» ﴿ تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ﴾ ذكره الفا كهانى من كلام السرى السقطى وقال: قال ابن عباس وأبو الدرداء«فكر ساعة خير من قيام ليلة» انتهى وأخرجه الديلمى عن أنس وفى الجامع الصغير للسيوطى « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة » أبو الشيخ فى العظمة عن أبى هريرة فقيل: هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرحب والرغبة الى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذى يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة ﴿وهو﴾ أى التفكر ﴿طلب المعرفة﴾ بنظر الفكرة ﴿أوله التذكر﴾ أى أول التفكر تذكر مانسى من جهة الغفلة ﴿وهو﴾ أى التذكر ﴿ احضار القلب ﴾ من اضافة المصدر الى فاعله ﴿المعارف﴾ أى معرفة نعمته الظاهرة والباطنة، واعلم أن المواظبة على الأوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لأن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لاسبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لايحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لاتحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفى صفاته وأفعاله وليس فى الوجود سوى ذاته وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر المحبوب والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضروراتها

وَجَدْوَاهُ الْعِلْمُ وَهُوَ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ الْمُثْمِرُ لِلْحَالِ وَهُوَ تَأَثُّرُ الْقَلْبِ الْمُثْمِرُ لِلْعَمَلِ وَهُوَ خِدْمَةُ الْجَوَارِحِ

وكل ذلك لايتم الا باستغراق أوقات الليل وساعات النهار في وظائف الاذكار ولطائف الافكار والنفس لماجبلت عليه من السآمة والملالة لاتصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذاوردت الى نمط واحد من الأفعال والأحوال أظهرت الملال والاستثقال ، وقدورد « ان الله تعالى لايمل حتى تملوا » فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ، ولله در القائل من ذوى الفضائل :

لايصلح النفس اذ كانت مدبرة ٭ الا التنقل هذا الطبع للبشر

فاصله أصلا لايتغير ، واما الملائكة فهم لايسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرون ، ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات أو اكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها فى الطبع والهوى اذالوقتان متساويان فانى يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لامحالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبى ، فمن اراد أن يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق أوقاته فى الطاعة قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون) وورد « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال عز وعلا : (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ومن أراد ان ترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره خطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه ﴿ وجدواه العلم ﴾ أى ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهى العلم والحال والعمل هذا معنى قوله ﴿ وهو ﴾ أى العلم ﴿ حصول المعرفة المثمر للحال وهو ﴾ أى الحال ﴿ تأثر القلب المثمر للعمل وهو ﴾ أى العمل ﴿ خدمة الجوارح ﴾ اى الأعضاء

وَمَجْرَاهُ إِمَّا الْمُعَامَلَةُ وَحَقُّهُ أَنْ يَبْدَأَ فِى مَعَاصِيهِ الظَّاهِرَةِ هَلْ هٰذَا مَحْظُورٌ ثُمَّ هَلْ يُوجَدُ فِيهِ، ثُمَّ مَا التَّدْبِيرُ فِى دَفْعِهِ، ثُمَّ فِى طَاعَتِهِ هَلْ هٰذَا مَنْدُوبٌ؟ ثُمَّ هَلْ هٰذَا مَقْدُورٌ ثُمَّ فِى الْبَاطِنِ كَذٰلِكَ، وَإِمَّا الْمُكَاشَفَةُ فَهُوَ فِى أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَمَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَّا الذَّاتُ الْمُقَدَّسُ فَلَا سَبِيلَ اِلَيْهِ اِلَّا بِالذِّكْرِ

فى الطاعة ، و توضيحه ان ثمرة الفكر ثلاثة العلم و الحال و العمل و لكن ثمرته الخاصة هى العلم نعم اذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب و اذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال و الحال تابع للعلم و العلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ و المفتاح للخيرات ، و هذا يكشف لك عن فضيلة الفكر و انه خير من الذكر لان فى الفكر ذكرا و زيادة، و ذكر القلب خير من عمل الاركان ﴿ ومجراه ﴾ أى مجرى التفكر و مسراه شيئان ﴿ اما المعاملة ﴾ وهو مبدأ السلوك فى طريق المجاملة ﴿ وحقه ﴾ أى حق التفكر فى المعاملة الظاهرة ﴿ أن يبدأ ﴾ اى يبتدىء بالنظر و التأمل ﴿ فى معاصيه الظاهرة ﴾ واحدا بعد واحد و يتفكر فى كل ﴿ هل هذا محظور ﴾ أى حرام او مكروه ﴿ ثم هل يوجد فيه ﴾ أى المحظور المذكور ﴿ ثم ما التدبير فى دفعه ﴾ بالسعى المشكور ﴿ ثم فى طاعته ﴾ أى و بعد ذلك يتفكر فى أنواع طاعته الظاهرة و يتأمل فى كل فرد منها ﴿ هل هذا مندوب ﴾ أى مستحب أو سنة مؤكدة او واجب أو فرض محتم ﴿ ثم هل هذا مقدور ﴾ أى مصور له بانه مستطيع فى تحصيله من الزكاة و الحج و نحوهما المستغنى عن تفصيله ﴿ ثم فى الباطن كذلك ﴾ أى بعد ذلك يتفكر فى المعاصى الباطنية من الاخلاق الردية و الاحوال الدنية هل شىء منها يوجد فيه و ما علاجه و اخراجه حيث يدافع المقصود و ينافيه؟ و كذا فى الطاعات الباطنية من الشمائل المرضية و الفضائل البهية نفيا واثباتا ﴿ و أما المكاشفة ﴾ عطف على المعاملة أى و مجراه الأعلى الأمور المكاشفة المتعلقة بالمولى ﴿ فهو ﴾ أى التفكر الموجب للمكاشفة انما هو ﴿ فى اسمائه الحسنى و صفاته العليا ﴾ الواردة فى الكتاب و السنة ﴿ و ملكوت السموات و الأرض ﴾ أى و بواطنها المملوءة من العجائب و الغرائب فى الطول و العرض ﴿ أما الذات المقدس فلا سبيل اليه الا بالذكر ﴾ لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال على : كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك، وقال عز و علا : (ليس كمثله شىء) وقال بعضهم: كل اسم للتخلق الا اسم الله

فَوَرَدَ . لا تَفَكَّرُوا فى ذاتِ اللهِ والْعَقْلُ يَعْجَزُ عنهُ عَجْزَ الْخُفَّاشِ عَنْ ضَوْءِ النَّهارِ، وَحَقَائِقُ الصِّفَاتِ كَذٰلِكَ فَلا يُطِيقُهُ إلَّا الْخَوَاصُّ أَحْيَانًا ولَا يَذْكُرُونَ لِلْعَوَامِّ إلَّا عَلَى قَدْرِ أَفْهَامِهِمْ، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُدِيمَ الْعِبَادَةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِتَحْصُلَ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى إذْ هِىَ أَهَمُّ *

فانه لمجرد التعلق ﴿ فورد لا تفكروا فى ذات الله ﴾ ابن أبى شيبة فى كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وأبو نعيم فى الحلية عنه مرفوعا بلفظ « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله » ذكره الزركشى، وفى رواية « تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله » وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلانى فى فتح البارى فى كتاب التوحيد وفى الجامع الصغير للسيوطى « تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك » ابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس، وفى رواية له عن أبى ذر بلفظ « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا » وله أيضا عن ابن عباس « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ايماء الى قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته ، وفى رواية « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » أبو الشيخ والطبرانى فى الأوسط وابن عدى والبيهقى عن ابن عمر وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس ولفظه « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » ﴿ والعقل يعجز عنه ﴾ أى عن ادراك ذاته سبحانه ﴿ عجز الخفاش عن ضوء النهار ﴾ أى لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية نوره مخفى عن ظهوره، ومن هنا قيل : العجز عن درك الادراك ادراك ﴿ وحقائق الصفات كذلك ﴾ أى لا يدرك كنهها هنالك ﴿ فلا يطيقه الا الخواص ﴾ من الانبياء وكمل الأولياء ﴿ أحيانا ﴾ فى اعلى مراتب مقامهم ﴿ ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم ﴾ لتقيدهم بتصورات أشكالهم وأمثالهم فى عقولهم وأوهامهم ﴿ فعلى العبد ﴾ السالك طريق الارادة ﴿ أن يديم العبادة ﴾ بالصلاة والتلاوة ﴿ ظاهرا وباطنا ﴾ بالذكر والفكر ويترك المألوف والعادة ﴿ لتحصل محبته تعالى اذ هى أهم ﴾ من المطلوبات وأتم من المقصودات وقد قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) الآيات، وعن عائشة « من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله » رواه ابن السنى فى

فَفِي النَّهَارِ يَشْتَغِلُ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَى الاشْرَاقِ لَازِماً مَكَانَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ الرِّيَاءَ أَوِالتَّشْوِيشَ فَيَرْجِعُ وَيَلْزَمُ زَاوِيَةً فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِي رِعَايَتِهِ وَيَعِيبُونَ الْمُتَكَلِّمَ فِيهِ، وَوَرَدَ أَنَّهُ أَحَبُّ مِنْ عِتْقِ أَرْبَعِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ كَذَلِكَ،وَكَانَ تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ اكْثَرَ

رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقي:وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله فتر له ملالة فلولا المقت والابعاد ماسطت عليه الملالة ﴿فني النهار يشتغل﴾ بالاذكار والافكار ﴿بعدالفجر﴾ أىظهور الصبح والاسفار ﴿الى الاشراق﴾ أى طلوع الشمس وضوء النهار لقوله تعالى : (يسبحن بالعشي والاشراق)﴿لازما مكانه﴾وملازما شأنه ﴿الاأن يخاف الرياء﴾ فيعبادة ربه سبحانه ﴿أوالتشويش﴾ أى تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك ﴿فيرجع ويلزم زاوية﴾ أى معدةلذلك ﴿فكانوا﴾ أى السلف ﴿يبالغون فى رعايته﴾ أى مراعاةهذاالوقت ﴿ويعيبون المتكلم فيه﴾ أى بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت﴿ووردأنه﴾أى احياءه ﴿أحب من عتق أربع رقاب من ولد اسماعيل﴾ بفتح الواو واللام وبضم فسكون أى أولاده واحفاده من العرب ﴿وبعد العصرالى المغرب كذلك﴾أىو يشتغل بعد أداء العصرالى غروب الشمس كاذ كرهنالك،وأصل الحديث «لأن أقعدمع قوم يذ كرون الله من صلاة الغدوة حتى تطلع الشمس أحب الىمن ان اعتق اربعة من ولد اسماعيل ولان أقعدمع قوم يذ كرون الله من صلاةالعصر الى أن تغرب الشمس أحب الى من أن أعتق أربعةمن ولداسماعيل» أبو داود بسند حسن عن أنس وفى روايةله «لأن أقعد فى مجلس ذ كرالله من صلاة الغدوة الى طلوع الشمس أحب الى من ان اعتق أربعةرقاب» وروى أحمد . ومسلم . والترمذى . والنسائى .وابن ماجه عن جابر بن سمرة أنه عليه السلام«كان اذا صلى الغدوة جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس»وفى رواية الترمذى عن أنس «من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذ كر الله تعالى حتي تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» ﴿وكان تعظيمهم﴾ أى السلف﴿اياه﴾ أى مابعد العصر ﴿اكثر﴾ من تعظيم مابعد الفجر اذهو وقت الغفلة وبعدوجود المعصية،ولحديث«الأعمال بالخواتيم» فينبغى قيامه بالاستغفار ودوامه

وورد (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)(وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) « يَابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مُؤْنَةَ مَا بَيْنَهُمَا » وَيَقْرَأُ الْمُسَبِّعَاتِ الْعَشْرَ فِي الْوَقْتَيْنِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْإِشْرَاقِ

بالاذكار والافكار ومحاسبة ماجرى له من اعمال الفجار ، فعن الحسن كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار، وقال بعض السلف : كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للعقبي فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره فى أمره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحياة ولا يكون له بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضى لامحالة جملتها بانقضاء آحادها المحدودة ﴿ وورد ﴾ فى تخصيص فضل هذين الوقتين ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ أى صبحا وعشيا ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وقال تعالى : ﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ ﴿ وسبح بالعشي والابكار ﴾ أى اطراف النهار ﴿ يا ابن آدم اذكرنى بعد ﴾ صلاة ﴿ الفجر ساعة وبعد ﴾ صلاة ﴿ العصر ساعة اكفك مؤنة مابينهما ﴾ ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا عن الحسن ﴿ ويقرأ المسبعات العشر ﴾ فانه المستغاث للعسر ﴿ فى الوقتين ﴾ المذكورين ﴿ ففيه فضل كثير ﴾ كما ذكره فى الاحياء لكن قال العراقى: حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمى أن الخضر علمه المسبعات العشر وقال فى آخرها اعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى ، والعشرة هى فاتحة الكتاب والكافرون والاخلاص والمعوذتان وآية الكرسى والصلاة على النبي عليه السلام واللهم اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ماأنت له أهل ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحدة من العشرة يقرؤها سبع مرات ﴿ وكذلك ﴾ أى يشتغل بالعبادة ﴿ مابين الاشراق ﴾ وهو أول طلوع الشمس

وَالضُّحَى إِنْ كَانَ مُتَجَرِّدًا لَهَا يَشْتَغِلُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْعِبَادَاتِ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعِ عِبَادَةٍ إِلَى أُخْرَى عَلَى حَسَبِ صَلَاحِ قَلْبِهِ قَطْعًا لِلْمَلَالَةِ، وَالْأَفْضَلُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي قِيَامِ الصَّلَاةِ مُتَدَبِّرًا فَفِيهِ الصَّلَاةُ وَالتِّلَاوَةُ وَالتَّعَلُّمُ وَالْحُضُورُ وَالذِّكْرُ وَبِغَيْرِهِ كَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ. وَتَشْيِيعِ الْجَنَازَةِ. وَإِعَانَةِ الْمُسْلِمِ.

﴿ والضحى ﴾ وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى أهل الارادة ﴿ ان كان متجردا لها ﴾ أى للعبادة ﴿ يشتغل بما سبق من العبادات ﴾ يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلاة ونحوها من الطاعات ﴿ ينتقل ﴾ حال أو بدل اشتمال أو بيان انتقال ﴿ من نوع عبادة الى أخرى على حسب صلاح قلبه ﴾ فيما يراه حينئذ أولى وأحرى فى الدنيا والأخرى وانما ينتقل فى تلك الحالة ﴿ قطعا للملالة ﴾ ودفعا للكسالة ورفعا للبطالة فورد «عليكم من الاعمال ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا» الطبرانى عن عمران بن حصين فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنى عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة الى ألف ركعة، واقل مانقل فى أورادهم فى الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن فيختم فى اليوم مرتين أو مرة وكان بعضهم يقضى اليوم والليلة فى التفكر فى آية واحدة، وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان ﴿ والأفضل قراءة القرآن فى قيام الصلاة متدبرا ﴾ أى ليلا ونهارا ﴿ ففيه ﴾ أى فى جميع ما يحصل ﴿ الصلاة والتلاوة والتعلم ﴾ أى تفهم المبنى وتصور المعنى ﴿ والحضور ﴾ أى مع المولى ﴿ والذكر ﴾ أى وانواع الذكر واصناف الفكر فى الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة، وهذا فى حق المنتهى وأما المبتدى ففى حقه دوام الذكر المجرد أفضل والقراءة بالنسبة إلى المتوسط أمثل على ماقاله العارف السهروردى فى المعارف ﴿ وبغيره ﴾ أى ويشتغل بغير ماسبق أيضا من الحسنات ﴿ كعيادة المريض ﴾ لاسيما الفقير والغريب ﴿ وتشييع الجنازة ﴾ خصوصا للعلماء والأولياء ﴿ واعانة المسلم ﴾

وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فَهِيَ عِبَادَاتٌ وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَابَيْنَ الْإِشْرَاقِ وَالضُّحَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَجَرِّدًا فَالْعَالِمُ أَوِ الْمُتَعَلِّمُ يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ فَوَرَدَ «إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ لِمَا سَبَقَ فَيَتَفَكَّرُ فِي حَلِّ الْمُشْكِلِ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ فَالْقَلْبُ فِيهِ أَصْفَى لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ قَبْلَ عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْمُشْتَغِلُ بِأُمُورِ النَّاسِ كَالْقَاضِي وَالْوَالِي أَوْ أُمُورِهِ كَالْكَاسِبِ يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا

واغاثته فى الأمر المهم ﴿ وحضور مجلس العلم فهى عبادات ﴾ أى عظيمة وفيها مثوبات جسيمة ﴿ و كانوا يفعلونها مابين الاشراق والضحى ﴾ اى فى غالب أحيانهم وعرف أهل زمانهم ﴿ وان لم يكن ﴾ أى السالك ﴿ متجردا ﴾ للعبادة ﴿ فالعالم أو المتعلم يشتغل بالعلم ﴾ أى يشتغلان بتعليمه وتعلمه ﴿ فورد انه ﴾ أى الاشتغال بالعلم ﴿ أفضل من صلاة الف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض وقراءة القرآن ﴾ وتقدم ان هذا الحديث لا يصح فالاولى ان يستدل بنحو «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم» ثم قراءة القرآن انما تعد من العبادة اذا كانت بمجرد تلاوة، اما تعلمه ومايتعلق به من أنواع القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم ﴿ غير ان المراد ﴾ أى المقصود هنا ﴿ بالعلم علم الآخرة ﴾ أى علم ينفع فى الآخرة كالكتاب والسنة الفاخرة ﴿ لما سبق ﴾ فى المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الآخرة وان غير علم الآخرة يقسى القلب فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب ﴿ فيتفكر ﴾ أى كل من العالم والمتعلم ﴿ فى حل المشكل بعد الاشراق ﴾ أو قبله بعد اداء الفجر فانه أفضل بالاتفاق ﴿ فالقلب فيه ﴾ أى فى صدور النهار ﴿ اصفى ﴾ أى ابعد من الاكدار ﴿ لكونه بعد الذكر ﴾ أى بعد وقوع الصلاة والاذكار ﴿ قبل عمل الدنيا ﴾ ومايتعلق بهذه الدار المشتملة على انواع من الأوزار، وقد ورد «اللهم بارك لامتى فى بكورها» ﴿ والمشتغل بامور الناس ﴾ أى عموم المسلمين ﴿ كالقاضى والوالى ﴾ وهو الامام والمتولى وكذا المدرس والمفتى ﴿ أو أموره ﴾ أى أمور نفسه ﴿ كالكاسب ﴾ ونحوه ﴿ يشتغل بتلك الأمور مراعيا شروطها ﴾ كما هو المشهور، وقد قيل: لا ينبغى ان يوجد المؤمن الا فى ثلاثة مواطن مسجد يعمره. او بيت

ذَاكِراً فِي أَثْنَائِهَا مُحْضِراً قَلْبَهُ قَاصِراً كَسْبَهُ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَّا لِلصَّدَقَةِ فَقِيلَ هُوَ أَحَبُّ مِنَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ، وَقِيلَ الذِّكْرُ وَالْأَوْلَى النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ وَيُدِيمُ الْوِرْدَ فَوَرَدَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» بَلْ يَزِيدُ فَوَرَدَ «لَا بُورِكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْراً» وَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِيَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ فَوَرَدَ مَنْ جَمَعَهَا فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ أَوْ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ *

يستره أو كسب لابد منه فيحضره «(ذا كراً في اثنائها)» لقوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية ﴿ محضرا قلبه ﴾ مراعيا ربه ﴿ قاصرا كسبه على الحاجة ﴾ أي قدر الضرورة له في أمر المعيشة من النفقة ﴿ الا ﴾ أي لكنه يجوز له الزيادة «(للصدقة)» أي لاجل ان يتصدق على ذي الحاجة «(فقيل هو)» أي الكسب للتصدق ﴿ احب من الذكر لانه ﴾ أي نفقة التصدق ﴿ متعد ﴾ للغير، والذكر قاصر ثوابه على الذاكر ﴿ وقيل الذكر ﴾ هو الافضل من التصدق وهذا هو الظاهر فقد ورد « لو أن رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذاكر الله أفضل » ولقول عيسى عليه السلام «ياطالب الدنيا لتبر » ترك الدنيا ابره وقد اتفق المشايخ على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ﴿ والأولى النظر الى صلاح القلب ﴾ أي والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون أولى في حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون أولى من الكسب للتصدق، ويشير اليه قوله تعالى : (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وحديث « ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله » ومن هنا قال عمر: الفقر والغنى مطيتان لا أبالي ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله أعلم ﴿ ويديم الورد فورد أحب الأعمال أدومها وان قل ﴾ متفق عليه من حديث عائشة ﴿ بل يزيد ﴾ أي المريد في الورد ان كان من أهل المزيد كمية او كيفية ﴿ فورد لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا ﴾ أي علما او عملا والحديث كذا في الاحياء وقال العراقي: ورد « علما بدل خيرا » قلت وأصل الحديث على ما في الجامع الصغير « اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » الطبراني في الأوسط، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية عن عائشة ﴿ ويجمع ﴾ في يوم واحد ﴿ بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها في يوم غفر له أو ادخل الجنة ﴾

أَمَّا فِى اللَّيْلِ فَالْأَحْوَطُ أَنْ يُوتِرَ قَبْلَ النَّوْمِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ أَوْ يَكْرَهُ الْقِيَامَ وَلَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ لَذَهَبَ بِهِ، وَفِيهِ قِصَرُ الْأَمَلِ، وَالْأَقْوَى أَنْ يُؤَخِّرَ الْوِتْرَ لِمَنْ يَأْلَفُ الْقِيَامَ وَيَقْرَأُ يس وَسَجْدَةَ وَلُقْمَانَ وَالدُّخَانَ وَالْمُلْكَ

شك من الراوى قال العراقى: حديث «من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة غفر له» وفي رواية «دخل الجنة» مسلم من حديث أبى هريرة «ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة» انتهى، وفى الجامع الكبير للسيوطى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال أبو بكر انا قال: من عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر انا قال من شيع اليوم منكم جنازة قال أبو بكر انا قال وجبت لك الجنة» رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة ولعله فى رواية أخرى او سقط من الكتاب، وفى الجامع الصغير «من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد أوجب» البيهقى عن أبى هريرة وفى رواية له ولابن عدى والبخارى فى تاريخه عن جابر «من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة» (اما فى الليل) أى فى وروده (فالاحوط أن يوتر) أى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ) اذ النوم أخو الموت (او) يستيقظ و (يكره القيام) لاستثقال المنام فيتركه (ولو ادركه الموت لذهب به) أى بالوتر فيكون آثما فى الفوت (وفيه) أى وفى تقديم العمل (قصر الامل) وفى التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال أبو هريرة: «أوصانى خليلى ان أوتر قبل ان انام» متفق عليه (والأقوى) أى الافضل والأولى (ان يؤخر الوتر لمن يألف) اى يعتاد ويثق (القيام) بعد المنام وقد قالت عائشة «أوتر عليه السلام أول الليل واوسطه وآخره وانتهى فى وتره الى السحر» متفق عليه (ويقرأ يس) فى كل ليلة والأفضل فى التهجد، فلابن حبان من حديث جندب «من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» ولأبى منصور الغزنوى من حديث على «يا على اكثر من قراءة يس» الحديث (وسجدة) الأولى والسجدة فللترمذى من حديث جابر «كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة. وتبارك الذى بيده الملك» (ولقمان) لم أجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فللترمذى من حديث أبى هريرة «من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» (والملك) وقد سبق، ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة «من قرأ فى ليلة الم

وَالزُّمَرَ وَالْوَاقِعَةَ وَالْمُسَبِّحَاتِ السِّتَّ،وَيَنَامُ عِنْدَ الْغَلَبَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ،وَوَرَدَ (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)وَلَا يُصَلِّي بَعْدَهَا فَوَرَدَ .

تنزيل . ويس . وتبارك الذى بيده الملك . واقتربت كن له نورا الحديث ﴿ والزمر ﴾ فللترمذى من حديث عائشة « كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر » وقال: حسن غريب ﴿ والواقعة ﴾ فللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا ﴿ والمسبحات الست ﴾ أى السور المصدرة بالتسبيح وهى الحديد . والحشر . والصف . والجمعة . والتغابن . والأعلى ، فللترمذى وقال حسن . وأبى داود . والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية « كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيهن انها أفضل من ألف آية » ﴿ وينام ﴾ أى بعد القيام ﴿ عند الغلبة ﴾ أى غلبة النوم ﴿ فهو المأثور ﴾ فقد روى أبو داود. والنسائى من حديث عائشة « ما من امرىء تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » وفى رواية النسائى. وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله » ﴿ وورد كانوا قليلا من الليل ﴾ أى من زمانه ﴿ مايهجعون ﴾ أى الذى يرقدون فيه أو كانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل أو كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل أى بعضه أو كله، وقيل : ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أى ينامون فى زمن يسير من الليل ويقومون أكثره ، والآيات والاخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى :(تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآيات وفى الحديث « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم » الترمذى من حديث بلال. والطبرانى. والبيهقى من حديث أبى امامة بسند حسن ، وعن المغيرة بن شعبة « قام النبى ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له: يارسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال: أفلا أكون عبدا شكورا » الترمذى فى الشمائل وأصله فى الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه » متفق عليه من حديث ابن مسعود ﴿ ولا يصلى بعدها ﴾ أى بعد غلبة النوم ﴿ فورد ﴾ « حين قيل إن فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت

«لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ فَاذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ» لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ وَفِيهِ التَّعَبُّدُ عَلَى مَلَالٍ، وَجَاءَ اثْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَتَحَمُّلُ مَالَا يُطَاقُ وَوَرَدَ. «تَكَلَّفُوا مِنَ الدِّينِ مَا تُطِيقُونَ» وَتَبْغِيضُ الْعِبَادَةِ إِلَى النَّفْسِ، وَوَرَدَ «لَا تُبَغِّضْ إِلَيْكَ عِبَادَةَ اللهِ» *

بحبل ه(ليصل أحدكم من الليل ماتيسر فاذا غلبه النوم فليرقد)ه وقد ورد «قيامه عليه السلام أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان» كذا في الاحياء قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أم سلمة «كان يصلي وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح » وللبخاري من حديث ابن عباس «صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام »انتهى وفي الشمائل عن عائشة «كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة »وفي مسلم عنها انه عليه السلام «كان اذا نام من الليل من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى اثنتي عشرة ركعة » أي تداركا لما فاته من التهجد بقوله تعالى : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كان كمن قرأ من الليل» ه(لاتكابدوا الليل)ه أي لاتغالبوه فورد «ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» البخاري والنسائي عن أبي هريرة «عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه» أحمد والحاكم . والبيهقي ه(وفيه)ه أي في التهجد بعد غلبة النوم ه(التعبد على ملال وجاء)ه أي في ذمه ه(اثمه أكبر من نفعه)ه اذ ربما يجرى على لسانه موجب ذمه واثمه ه(وتحمل مالا يطلق)ه أي وفيه تكليف مالا يستطيع وقد قال تعالى : (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به)ه (ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴿ وورد تكلفوا من الدين ﴾ أي الأعمال ﴿ ماتطيقون ﴾ فعن عمران ابن حصين «عليكم من الأعمال ماتطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا» الطبراني ﴿ وتبغيض العبادة ﴾ أي وفيه ابغاضها ﴿ الى النفس ﴾ وفي نسخة بالنون والصاد المهملة أي تمريرها اليها في شدة تكريرها ﴿ وورد لاتبغض ﴾ بالوجهين ﴿ اليك عبادة الله ﴾

وَيَجْتَهِدُ فِى الْقِيَامِ فَوَرَدَ (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) «صَلِّ مِنَ اللَّيلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ» فَالأَوْلَى أَنْ يَقُومَ كُلَّ اللَّيْلِ وَهُوَ لِمَنْ تَجَرَّدَ لَهُ وَقَوِىَ يَقِينُهُ فَيَتَلَذَّذُ بِهِ وَيَتَغَذَّى

لم أجده مبنى ويوافقه ماسبق معنى ﴿ و يجتهد فى القيام ﴾ أى بعد المنام ﴿ فورد ﴾ فى نعت عباد الرحمن ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ صل من الليل ولو قدر حلب شاة ﴾ رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبى الوليد بن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة، ﴿ فالأولى أن يقوم كل الليل ﴾ أى ان قدر عليه وفيه أنه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما تقتضيه الحكمة فى القرآن : (قم الليل الا قليلا) ه (ومن الليل فتهجد) وفى السنة انى أنام وأقوم وأفطر وأصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام انه سهر ليلة كاملة فى جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا أى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) ﴿ وهو ﴾ أى احياء الليل كله ﴿ لمن تجرد له ﴾ أى لقيامه ومنع النفس عن منامه أو جعل المنام فى نهاره بدلا عن قيامه فى مرامه ﴿ وقوى يقينه ﴾ أى وصلب دينه ﴿ فيتلذذ به ويتغذى ﴾ أى روحه بسببه فهون عليه شدة امره ويحلو عليه مرارة صبره ومن الأسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر أمله يحثه على تكثير عمله أو رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس: ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين، وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ، ولذى النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده ❊ مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه ❊ فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

ومن أشرف البواعث الحب لله فانه فى قيامه لايتكلم فى حرف من كلامه الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كل فى محبة ربه احب لا محالة الخلوة به وتلذ له المناجاة بسببه فتحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام، وقال بعض الاعلام: ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل

وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ، ثُمَّ النِّصْفُ وَوَاظَبَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يُحْصَى، ثُمَّ الثُّلُثُ ثُمَّ السُّدُسُ، وَالْأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْجَوْفِ فَوِرْدُ «رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ

التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة، وقال آخر: لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هى من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم، وقال على بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزننى شيء سوى طلوع الفجر، وقال الفضيل: اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على، وقال أبو سليمان: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء. ومنهم أبو حنيفة امام الفقهاء ﴿وهو﴾ أى قيام الليل كله ﴿محكى عن أربعين منهم﴾ أى من التابعين قال أبو طالب المكى: ان ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة منهم سعيد بن المسيب. وفضيل. وطاوس. ووهب ابن منبه. والربيع بن خيثم. وأبو سليمان الدارانى. والخواص. ومالك بن دينار. وسليمان التيمى. ويزيد الرقاشى. ويحيى البكاء. ومحمد بن المنكدر. وكهمس بن المنهال وكان يختم القرآن فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع، وهذا كاد أن يكون من قبيل خرق العادة من طى اللسان أو بسط الزمان والله المستعان ﴿ثم النصف﴾ أى يقوم نصف الليل ﴿وواظب عليه﴾ أى قيام النصف ﴿من لا يحصى﴾ من السلف ﴿ثم الثلث ثم السدس﴾ فعن عائشة «كان يقوم اذا سمع الصارخ» يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث متفق عليه، وفى الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس «نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ» الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه وتعالى: (قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) والموافق لقوله تعالى: (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) فما ثبت انه قام الثلثين، ولابى داود «نام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ» الحديث، ولمسلم من حديث عائشة «فيبعثه الله ما يشاء ان يبعثه من الليل» ﴿والاحب أن يجعل﴾ أى سهره ﴿فى الجوف﴾ أى اوساط الليل ﴿فورد ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها لولا ان أشق

عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهَا» ثُمَّ رَكْعَتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ ثُمَّ إِحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالْقِيَامُ قَبْلَ الصُّبْحِ، وَرُوِيَ الْمَنَامُ كُلَّمَا غَلَبَ وَالْقِيَامُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَشَقُّ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُكْثِرَ الْأَكْلَ فَهُوَ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الشُّرْبِ الْقَائِدِ إِلَى كَثْرَةِ النَّوْمِ

على أمتى لفرضتها ﴾ آدم بن أبى اياس فى الثواب .ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقى : ولا يصح قلت : والضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا ﴿ ثم ﴾ أى بعد السدس ﴿ ر كعتان أو أربع ﴾ وكان الأولى أن يقول أربع ركعات أو ركعتان ولو قعودا فقد ثبت أنه عليه السلام «ما مات حتى كان أكثر صلاته من النوافل جلوسا» ﴿ ثم احياء ما بين العشاءين ﴾ فقيل نزل: فيه قوله تعالى:(تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وعن محمد بن المنكدر «من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلاة الاوابين» وعن أبى هريرة «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة» الترمذى وابن ماجه وفى مسند الفردوس من حديث ابن عباس «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا رفعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى» ولعل الجمع بين الروايتين أن الاربع يراد به المستحب بعد الركعتين المؤكدة، وورد «من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر : اذا تكثر قصورنا يارسول الله فقال عليه السلام الله أكثر» رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا، وقال الأسود: ما أتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا رأيته يصلى فسألته فقال: نعم هى صلاة الغفلة وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى: أصوم النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او أفطر بالنهار واحيي ما بينهما؟ فقال اجمع ما بينهما فقلت: لم يتيسر فقال : افطر وصل ما بينهما ﴿ والقيام قبل الصبح ﴾ أى ليدرك احياء بعض الليل من أوله وآخره فقد ورد « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » أحمد ومسلم عن عثمان ﴿ وروى ﴾ أى فى الحديث ﴿ المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل ﴾ مما ذكر من التقديرات ﴿ لانه اشق ﴾ والحديث فيه قد سبق ﴿ والمعين عليه ﴾ أى على القيام تسعة أشياء ﴿ ان لا يكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم ﴾.

وَلَا يَتَكَلَّفُ فِى أُمُورٍ تُعْنِى الْأَعْضَاءَ وَتُضْعِفُ الْأَعْصَابَ، وَيَقِيلُ وَلَا يُذْنِبُ فَهُوَ سَبَبُ الْحِرْمَانِ، وَيُفَرِّغُ الْقَلْبَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَيُلَازِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ تَعَالَى وَمِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَيَقْصُرُ الْأَمَلَ وَيَذْكُرُ مَا وَرَدَ فِى فَضْلِهِ

وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة فى أمر الدين ويقول: يامعشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا ﴿ولايتكلف﴾ بالنهار ﴿فى أمور تعنى﴾ بالنون من العناء أو بالياء من الاعياء أى يتعب ﴿الأعضاء وتضعف الأعصاب﴾ الاجزاء ﴿ويقيل﴾ بفتح أوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة، والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد « قيلوا فان الشياطين لاتقيل » الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب عن أنس، وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لايقيلون ﴿ ولايذنب﴾ أى فى النهار ﴿فهو﴾ أى الذنب والعصيان ﴿ سبب الحرمان ﴾ فينبغى أن يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار قال رجل للحسن: ياأبا سعيد انى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فمابالى لاأقوم؟ قال: ذنوبك قيدتك وقال الثورى: حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب أذنبته قيل وماهو ذلك الذنب؟ قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مراء، وقال أبو سليمان الدارانى لايفوت أحد صلاة جماعة الابذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الأمور المذكورة من الأسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل، وأما الاسباب الباطنة فقوله ﴿ويفرغ القلب من هموم الدنيا ﴾ فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام بامر العقبى وان قام فى بعض أوقاته فلا يتفكر فى صلاته الا فى تفاريق مهماته، وفى مثل ذلك يقال:

ه وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم ه

بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ﴿ ويلازم الخوف منه تعالى ﴾ أى من مناقشة حسابه ﴿ ومن أليم عقابه ﴾ وحجابه من بابه ﴿ ويقصر الامل ﴾ بان ينتظر الاجل ليكثر العمل ﴿ ويذكر ماورد فى فضله ﴾ أى فضيلة القيام من الآيات والاخبار

وَمَا وَعَدَ عَلَيْه، وَالْأَصْلُ مَحَبَّتُه تَعَالَى وَاسْتِحْكَامُ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ مُتَغَذِّيًا بِه وَيُرَاعِي فَوَاضِلَ اللَّيَالِي كَالْأَوْتَارِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. وَالسَّابِعَةَ عَشَرَ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنَ الْمُحَرَّمِ وَالْعَاشِرَةَ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنْ رَجَب

عنه عليه السلام ﴿ وما وعد عليه ﴾ أى الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه ﴿ والأصل ﴾ أى الذى عليه مدار الاسباب ﴿ محبته تعالى ﴾ والاقبال على المولى والزهد فى الدنيا والاستعداد للعقبى ﴿ واستحكام الايمان ﴾ اى بالعرفان والاتقان ﴿ ليكون متغذيا به ﴾ فى جميع الازمان و كما أن للاشباح غذاء وعشاء فكذا للارواح غذاء ودواء فمن أيقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لا يفوته قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائى عن حميد بن عبد الرحمن «أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ: والله لأرقبن رسول الله ﷺ فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : (ربنا ما خلقت هذا باطلا) حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد، وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام» الحديث وفى رواية «فأخذ سواكه من مؤخرة الرحل» وهذا صريح فى أنه كان فى سفر ﴿ ويراعى فواضل الليالى كالاوتار من العشر الأواخر من رمضان ﴾ اذ فيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فان عليه أكثر الصحابة والتابعين ﴿ والسابعة عشر منه ﴾ فعن ابن الزبير أنها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر ﴿ والأولى من المحرم ﴾ فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم فاسرار البداية تدل على أنوار النهاية ﴿ والعاشرة منه ﴾ أى من المحرم وهى ليلة عاشوراء ﴿ والأولى من رجب ﴾ وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال: اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان و بلغنا رمضان وبلغنى أنه شهر الغفران و يقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام، ثم رأيت المنوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى أشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا «من قال فى شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات أوحى الله تعالى الى الملكين

وَالْخَامِسَةَ عَشَرَ. وَالسَّابِعَةَ عَشَرَ. وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ. وَالْخَامِسَةَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ وَالْعِيدَيْنِ وَالْأَيَّامِ كَالْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ وَمَا يَجِيءُ

الموكلين ان احرق صحيفة ذنوبه ويكفينا فى ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميرى بنقله بخطه سامحنا عنه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام فى هذا الفن واقل مراتبه أن يكون ضعيفا والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا ﴿ والخامسة عشر ﴾ وهى ليلة النصف منه ﴿ والسابعة عشر والعشرين منه ﴾ وفى الاحياء وليلة سبع وعشرين منه قال: وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد «للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله الا أن يدعو فى معصية» قال العراقى: ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام أن أبا محمد الخبازى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا. ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر من جملتها حديث أبى هريرة «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد ﷺ» أبو موسى المدينى من رواية شهر بن حوشب عنه ﴿ والخامسة عشر من شعبان ﴾ وفى الاحياء وأما ليلة النصف من شعبان فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ فى كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا لا يتركونها فقال العراقى: حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث على «اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها» وفى الأثر عن عمر أنه كان يقول فى ليلة النصف من شعبان: اللهم ان كنت كتبتنى من السعداء فاثبتنى وان كنت كتبتنى من الاشقياء فامح واكتبنى فى السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ﴿ وليلة عرفة ﴾ لم أجد له أصلا ﴿ والعيدين ﴾ أى وليلتى العيدين فقد روى «من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» ابن ماجه باسناد ضعيف من حديث أبى امامة ﴿ والأيام ﴾ أى ويراعى فضائل الأيام ﴿ كالعيد ﴾ أى يومى العيدين ﴿ والتشريق ﴾ أى ايامها ولو لم يكن فى منى ﴿ وما يجيء ﴾ أى

إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَالأَفْضَلُ يومُ الْجُمعةِ وليلته فَلَا يعطِّلُ عصرَ الْخَمِيسِ فهو متبرِّكٌ، ويستعدُّ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ بغَسْلِ الثِّيَابِ وَالْاغْتِسَال

في آخر الباب الثالث من الصوم ﴿ ان شاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته ﴾ وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد في الآخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لأهل الولاء، وورد «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة» مسلم عن أبي هريرة «أن لله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار» ابن عدي. وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقيل يوم عرفة أفضل، وقيل يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع ويوم عرفة أفضل أيام السنة، وقد ورد «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر» أبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن عمرو. والحكيم في النوادر، وعن عائشة مرفوعا «اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم وهو ضعيف ﴿ فلا يعطل ﴾ أي من الطاعة ﴿ عصر الخميس فهو متبرك ﴾ أي بقربه لليلة الجمعة وكذا أوله متبرك فلابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعا «اللهم بارك لامتي في بكورها» «يوم الخميس» وفي رواية قال عليه السلام: «اغدوا في طلب العلم فاني سألت ربي ان يبارك لأمتي في بكورها يوم الخميس» واما ما اشتهر في هذا «اللهم بارك لأمتي في سبتها وخميسها» فباطل لا اصل له ﴿ ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب ﴾ أي في أول النهار أو في يوم الخميس وهو الأولى ليقدر على التبكير الاعلى ﴿ والاغتسال ﴾ وهو سنة مؤكدة للصلاة على الاصح ويشهد له ما ورد «من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا» ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عمر، وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» متفق عليه من حديث أبي سعيد، وعن نافع عن ابن عمر «من أتى الجمعة فليغتسل» الشيخان. وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب ما هذه الساعة؟ منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال: والوضوء وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل» متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد علم جواز ترك الغسل بما ورد «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل» أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة «وكان عليه السلام

وَالتَّطَيُّبِ .وَتَفْرِيغِ الْقَلْبِ عَنِ الشَّوَاغِلِ ،وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ وَيُقَلِّمُ الْأَظْفَارَ،

ربما اغتسل يوم الجمعة وربما ترك احيانا » الطبرانى عن ابن عباس، وورد « رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر » أصحاب السنن وحسنه الترمذى. وابن حبان. والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس ﴿ والتطيب ﴾ أى استعمال الطيب المناسب له فورد « طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه » أبو داود. والترمذى وحسنه .والنسائى من حديث أبى هريرة، وقال الشافعى رحمه الله: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله، وورد « حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس أحدهم من طيب أهله فان لم يجد فالماء له طيب » الترمذى عن البراء ﴿ وتفريغ القلب عن الشواغل ﴾ كما يشير اليه قوله تعالى : (اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) وفى معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا ﴿ ومن ثم جاء ﴾ أى من اجل تفريغ القلب ورد ﴿ ان يأتى أهله ﴾ أى يجامع قاصدا الجمعة امرأته أو امته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد أى حمل أهله على الغسل وقال العراقى: ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى الجنابة انتهى، ولا يخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينويهما، وفى الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك انتهى، ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم لا للصلاة ﴿ ويقلم الاظفار ﴾ أى فى اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود « من قلم اظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء » وعن أبى هريرة انه عليه السلام « كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلاة » البيهقى فى الشعب وله أيضا من مرسل أبى جعفر الباقر قال « كان رسول الله ﷺ يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة أو يوم الخميس اذا أراد التبكير » وسئل أحمد عنه؟ فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال العسقلانى :وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج اليه وورد « قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر » الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر، وقد جاء الأمر بتنظيف ماتحت الاظفار فى

وَيَتَعَمَّمُ وَلَا يَرْكَبُ وَيُبَالِغُ فِى التَّبْكِيرِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

رواية الطبرانى من حديث وابصة بن معبد «سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون فى الأظفار؟ فقال: دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وسنده ضعيف وورد انه عليه السلام «استبطأ الوحى فقيل له: يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال: ولم لا يبطىء عنى وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تغسلون براجمكم» أحمد من حديث ابن عباس «والرواجب رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ» والبراجم معاطف ظهور الانامل «قال الغزالى: ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمني وابتدأ باليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه العراقى: بقوله لم أجد له أصلا وقد انكره أبو عبدالله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت: لا تشنيع عليه حيث انه يبنى على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤية رواية خبر مسند اليه» والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه ونتف الابط وحلق العانة يقدم على الغسل ﴿ويتعمم﴾ فعن أبى الدرداء «ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة» الطبرانى. وابن عدى» وعن ابن عمر مرفوعا «صلاة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة» وعن أنس مرفوعا «الصلاة فى العمامة بعشرة آلاف حسنة» الديلمى، وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن فى الجامع الصغير للسيوطى وقد التزم فيه أن لا يورده موضوعا عن ابن عمر برواية ابن عساكر «صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة» ﴿ولا يركب﴾ لأنه أقرب الى حسن الأدب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى: (فاسعوا الى ذكر الله) ولأنه أشق والأجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة ﴿ويبالغ فى التبكير﴾ ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء ﴿فهو المأثور﴾ أى صح فضل البكور فقد ورد «من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة

ليس له من الفضل شيء » متفق عليه من حديث أبي هريرة الا أن قوله: « ورفعت الاقلام » عندالبيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف « اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي تجمع فيها يوم الجمعة وأقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » وورد « أن الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون : اللهم ان كان أخره فقر فاغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك » البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند حسن؛ ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب أهل الحضور فقد ورد « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم » الترمذي . وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس، وروى ابن جريج مرسلا « أن النبي ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ﷺ عارض الرجل حتى لقيه فقال : يافلان مامنعك أن تجمع معنا اليوم ؟ فقال: يانبي الله قد جمعت قال أو لم أرك تخطي رقاب الناس » ابن المبارك في الرقائق ، وفيه اشارة الى أن الله تعالى أحبط عمله ونقص أمله ، وفي حديث مسند أنه قال « مامنعك أن تصلي معنا ؟ قال: أو لم ترني؟ قال : رأيتك أنيت وآذيت » أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه أبو داود. والنسائي . وابن حبان . والحاكم من حديث عبدالله بن بسر مختصرا ، وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال : انما يراد قرب القلوب لاقرب الأجساد فأشار به الى ان ذلك أسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري : أليس في الخبر ادن فاستمع فقال : ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب الى الله تعالى ، وروى عن علي وعثمان رضي الله عنهما « من استمع وانصت فله أجران ومن لم يستمع وانصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران » وورد حديث أبي هريرة « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت » متفق عليه ولأبي داود من حديث علي « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » ، ولاحمد من حديث ابن عباس « والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » وحديث أبي ذر « لما سأل ابيا والنبي ﷺ يخطب وقال: متى أنزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل النبي ﷺ قال له أبي : اذهب فلا جمعة لك فشكاه

وَيُصَلِّي قَبْلَ الْجُلُوسِ فِي الْجَامِعِ أَرْبَعًا بِالْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَفِي الْكُلِّ فَضَائِلُ

أبو ذر الى النبي عليه السلام فقال : صدق أبي واطع أبيا » البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ، ولابن ماجه من حديث جابر « ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر » ولاحمد من حديث أبي الدرداء « انه سأل ابيا » ولابن حبان من حديث جابر « ان السائل عبد الله ابن مسعود » ولأبي يعلى من حديث جابر « قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل: لا جمعة لك فقال له النبي ﷺ: لم ياسعد؟ قال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال: صدق سعد » ﴿ ويصلي قبل الجلوس في الجامع أربعا بالاخلاص ﴾ أي منضمة بقراءة الاخلاص ﴿ خمسين مرة ﴾ بعد الفاتحة ﴿ في كل ركعة ﴾ فقد نقل عن رسول الله ﷺ « ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » كذا في الاحياء ، وقال العراقي: حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة » الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال: غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال: لا يصح ﴿ ففي الكل ﴾ أي في جميع ما سبق من الغسل الى هنا ﴿ فضائل ﴾ لارباب الشمائل، واذا فرغ من الجمعة قرأ الفاتحة سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ، وروى عن بعض السلف « ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم ياغني ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد رأيت الحديث في الجامع الصغير مسندا الى ابن السني عن عائشة بلفظ « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى » فقال: من داوم هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما « انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين » متفق عليه، وروى أبو هريرة « اربعا » رواه مسلم، وروى علي وعبد الله « ستا » البيهقي موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود « أربعا » ، ولابي داود من حديث ابن عمر « قال اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا » والكل صحيح في أحوال مختلفة والاكثر افضل

وَيَشْتَغِلُ بَعْدَ الاقَامَةِ لِصَلَاةِ جَنَازَةٍ أَوْتَعَلُّمٍ أَوْزِيَارَةِ أَخٍ فِيهِ تَعَالَى، فَبِهَا فُسِّرَ مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) لَا بِاسْتِمَاعِ الْقَصَصِ فَهُوَ بِدْعَةٌ فَكَانُوا يُخْرِجُونَ الْقُصَّاصَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيُرَاقِبُ السَّاعَةَ الْمَرْجُوَّةَ الْمَوْعُودَ فِيهَا بِالاجَابَةِ وَاخْتُلِفَ فِيهَا عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالزَّوَالِ وَصُعُودِ الامَامِ وَالْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ وَمُنْتَهَى الاسْتِحْبَابِ فِي الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ

﴿ ويشتغل بعد الاقامة ﴾ أى بعدفراغ اقامة صلاة الجمعة ﴿ لصلاة جنازة أو تعلم ﴾ لعلوم شرعية ﴿ أوزيارة أخ فيه ﴾ أى فى حبه ﴿ تعالى ﴾ شأنه ﴿ فبها ﴾ أى بمثلها ﴿ فسر ماوردوابتغوا من فضل الله ﴾ فقد قال أنس فى قوله تعالى :(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله)اما انه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض أوشهود جنازة أوتعلم علم أوزيارة أخ فى الله ﴿ لا باستماع القصص ﴾ أى من الاخبار التى بينت فى التواريخ ﴿ فهو بدعة فكانوا ﴾ أى الصحابة ﴿ يخرجون القصاص من المسجد ﴾ فقد حضر ابن عمر فى المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص فى موضعه فقال له قم عن مجلسى فقال : لا أقوم فقد جلست وسبقتك فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما فى الصحيحين: « لايقيمن أخاه أحدكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه يعود اليه، وروى « أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فأرسلت الى ابن عمر أن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده » ﴿ ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها ﴾ أى فى تلك الساعة ﴿ بالاجابة ﴾ أى غالبا فى الخبر المشهور « ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا أعطاه اياه » الترمذى وحسنه. وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى وفى خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلى » متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴿ واختلف فيها ﴾ أى فى تعيين تلك الساعة ﴿ على طلوع الشمس ﴾ أى على أقوال قيل عند طلوع الشمس ﴿ والزوال ﴾ أى عنده أو بعده، وقيل بعد الاذان الاول ﴿ وصعود الامام ﴾ أى على المنبر وقعوده ﴿ والقيام للصلاة ﴾ أى صلاة الجمعة كما بيناه ادلتها فى شرح الحصن ﴿ ومنتهى الاستحباب فى العصر ﴾ أى اوله أو آخره ﴿ والغروب ﴾ أى وقته فقيل : هى آخر ساعة

وَرُوِيَ فِيهِ رِعَايَةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَرِوَايَتُهَا تُؤَيِّدُ مَا رُوِيَ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ يُصَلِّي إِلَّا أُسْتُجِيبَ لَهُ وَالْمُبْهَمَةُ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَيَسْتَغْرِقُ الْيَوْمَ لِرِعَايَتِهِ، وَهُوَ أَصْوَبُ

من يوم الجمعة وقيل مابين العصر الى الغروب ﴿ وروى فيه ﴾ أى فى حين الغروب أوفيما ذكر من مابين العصر والغروب والاول انسب لقوله ﴿ رعاية فاطمة رضى الله عنها ﴾ وكانت ترويه عن أبيها عليه السلام ، وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت لتقوم فى طلب المرام، وفى رواية « تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى غروبها» قال العراقى: حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة » رواه الدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعليه الاختلاف ﴿ وروايتها ﴾ أى رواية رعايتها ﴿ تؤيد ماروى لا يوافقها ﴾ أى الساعة، وفى رواية « لا يصادفها » ﴿ عبد ﴾ أى مسلم ﴿ يصلى ﴾ اى يدعو بقرينة قوله ﴿ الا استجيب له ﴾ وقد قال كعب الأحبار: « انها فى آخر ساعة فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة: كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة قال كعب : ألم يقل رسول الله ﷺ: من قعد منتظرا للصلاة فهو فى الصلاة؟ قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة » وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها في كل سنة مرة ثم رجع، والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقى فى الشعب عن فاطمة مرفوعا « ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب » هكذا رأيت فى هامش نسخة والله أعلم ﴿ والمبهمة كليلة القدر ﴾ وكالصلاة الوسطى والاسم الاعظم ﴿ فيستغرق اليوم لرعايته ﴾ أى لمراعاة ادراكها ﴿ وهو ﴾ أى الابهام ﴿ اصوب ﴾ وفى الاحياء قيل انها تنتقل فى ساعات الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان يصدق بما قال عليه السلام « ان لربكم فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى للعبد فى جميع نهاره ان يتعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر

وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الرب والنزوع من وساوس الدنيا وهواجس النفس والهوى فعساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى، والحديث رواه الترمذي والحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ، ولابن عبدالبر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة ﴿ ويكثر الصلاة عليه عليه السلام ﴾ أى فى يوم الجمعة وليلتها فقد ورد « اكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على » البيهقى عن أبى هريرة . وابن عدى عن أنس ، وفى رواية البيهقى عن أنس « أكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة » وفى رواية ابن ماجه عن أبى الدرداء « اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها » وفى رواية للبيهقى عن أبى امامة « اكثروا من الصلاة على فى كل جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة » وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وروى « من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل: يارسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: تقول اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وتعقد واحدة » الدار قطنى من رواية ابن المسيب قال: اظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب، وقال ابن النعمان: حديث حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو اهله واجزه أفضل ماجزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل: من قالها سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان أراد ان يزيد أتى بالصلاة المأثورة فيقول: اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه فيغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله

وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ،وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ،وَيُصَلِّي صَلَاةَ التَّسْبِيحِ.وَفِي الْكُلِّ

أول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع فى اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين » ابن أبي عاصم فى كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود ﴿ وقراءة القرآن ﴾ اى يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن ابى سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ويمسى وعوفى من الداء والدبيلة [اى الداهية] وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال» رواه البيهقى ﴿ ويتصدق ﴾ أي يوم الجمعة فى غير الجامع أو لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود: اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى ﴿ بشيئين مختلفين ﴾ كدرهم ودينار او ثوب وقرص أو خبز وادام أو فاكهتين مختلفتين ، فعن كعب الأحبار «من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذى لا إله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئا الا أعطاه » وفى رواية ابن حبان عن أبى هريرة مرفوعا « من انفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة هذا خير وللجنة أبواب» الحديث، ورواه الخطيب عن أنس بلفظ «ما من مسلم ينفق زوجين فى سبيل الله عز وجل الادعته الجنة هلم هلم » ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين وديناريين وثوبين ، وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام : بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له ﴿ ويصلى ﴾ أى يوم الجمعة ﴿ صلاة التسبيح ﴾ وقد بسطت الكلام عليها فى شرح الحصن رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمها عليه السلام لعمه العباس وقال له: صلها فى كل جمعة الحديث أبو داود. وابن ماجه. وابن خزيمة. والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ﴿ وفى الكل ﴾ أي

فَضَائِلُ وَجَاءَ قِرَاءَةُ يس وَالسَّجْدَةِ وَالدُّخَانِ وَالْمُلْكِ وَالْمُسَبِّحَاتِ السِّتِّ وَالْإِكْثَارُ بِالْإِخْلَاصِ فَقِرَاءَتُهَا أَلْفَ مَرَّةٍ فِي عَشْرِ رَكَعَاتٍ أَوْ عِشْرِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَتْمِ وَلَا يَخُصُّهُ بِالصَّوْمِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَيُحَافِظُ عَلَى الرَّوَاتِبِ وَسَائِرِ السُّنَنِ

في جميع ما تقدم ﴿ فضائل ﴾ أي واردة عن أصحاب الشمائل ﴿ وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك ﴾ أي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها ﴿ والمسبحات الست ﴾ اى المتقدم شأنها ﴿ والاكثار بالاخلاص ﴾ أي بقراءة سورة الاخلاص ﴿ فقراءتها ألف مرة في عشر ركعات أو عشرين افضل من الختم ﴾ أي ختم القرآن بدونها أو في غير الصلاة ، وهذا لم أجده مرويا لكن ورد «من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله» الخرائطي في فوائده عن حذيفة، وأما حديث «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» فرواه مالك واحمد والبخاري وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد وجماعة عن جماعة كاد ان يكون متواترا ، وفي الاحياء الاحسن أن يجعل وقته للصلاة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار وينبغي ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل، ويقال: من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله تعالى مفكرا في آلائه شاكرا لله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغي في الجامع وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام «قال يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عزوجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم» البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا واسنده الحاكم من حديث أنس وصححه، ولابن حبان من حديث ابن مسعود ونحوه ﴿ ولا يخصه بالصوم وقيام الليل فهو ﴾ أي التخصيص ﴿ منهي عنه ﴾ روى مسلم عن أبي هريرة «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا أن يكون في صوم يصومه أحدكم» وفي رواية أحمد عن أبي هريرة «لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم أو بعده يوم» ﴿ ويحافظ على الرواتب ﴾ أي السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها ﴿ وسائر السنن ﴾

كَالتَّهَجُّدِ وَالضُّحَى وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَالْعِيدِ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ كَالْجُمُعَةِ وَيَرْجِعُ مِنَ الْمُصَلَّى فِي غَيْرِ طَرِيقِ الذَّهَابِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ، وَالتَّرَاوِيحِ وَيَخْتِمُ فِيهِ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَخْتَارُ الْانْفِرَادَ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ، وَالْجَمَاعَةَ إِنْ خَافَ الْكَسَلَ

اى المستحبة ﴿ كالتهجد ﴾ فى الليل ﴿ والضحى ﴾ فى النهار ركعتين أو أربعا أو ستا أو ثمانيا أو اثنى عشر ، فورد انه عليه السلام «كان اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا» الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على ﴿ واحياء ما بين العشاءين ﴾ أى بالعبادة أو بعشرين ركعة أو ست ركعات مطلقا فى الكل فضائل و بعضها تقدم ﴿ والعيد ﴾ أى ويراعى عيد فطر أو أضحى بالتكبير ونحوه ﴿ ويستعد له كالجمعة ﴾ من الغسل والتزين والتطيب ﴿ ويرجع من المصلى ﴾ أى مصلى العيد حالة الاياب ﴿ فى غير طريق الذهاب فهو مروى ﴾ أى من فعله عليه السلام رواه مسلم ﴿ والتراويح ﴾ أى ويراعيها وهى عشرون ركعة وأداؤها سنة مؤكدة ﴿ ويختم فيه فهو مأثور ﴾ أى عن الصحابة ﴿ ويختار الانفراد ﴾ عن الجماعة ﴿ ان خاف الرياء والجماعة ﴾ أى ويختارها ﴿ ان خاف الكسل ﴾ وقيل الانفراد أفضل لقوله عليه السلام : «فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت» آدم بن اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى ﷺ موقوفا. وفى سنن أبى داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت «صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة» وعن أنس «صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بالفى ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما الا ما عند الله عزوجل» أبو الشيخ فى الثواب، وذكر أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعى قال : دخلت على يحيى فاسندلى حديثا وهو «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمه الا الله» ، وقيل : ان الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه فانه عليه

وَيَخير انْ أَمنهما التضمن الجماعة البركة والانفراد قوة الحضور، والكسوف وكل ما ورد فيه فضيلة كصلاة الرغائب وليلة النصف من شعبان وهي مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة، وكانوا يواظبون عليها، والاستخارة

السلام قد خرج فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت أن تفرض عليكم، متفق عليه من حديث عائشة، وجمع عمر الناس عليها فى الجماعة حيث أمن الوجوب بانقطاع الوحي ﴿ ويخير ﴾ أي فى صلاة التراويح منفردا أو مع جماعة ﴿ ان أمنهما ﴾ أي الرياء والكسل وانما يخير ﴿ لتضمن الجماعة البركة ﴾ المشتملة على السرور ﴿ والانفراد قوة الحضور ﴾ المتضمن لكثرة النور، والحاصل ان هذه السنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم يشرع فيهما جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم ترككها خشية أن تكتب على الأمة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على إمام واحد وقال نعمت البدعة أي الحسنة وهي الجماعة المجتمعة المشيرة إلى ألفة الأمة ﴿ والكسوف ﴾ أي ويراعى صلاة الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما فى كتب الفقه، وقد ورد « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة » قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام وخسفت الشمس وقال الناس: انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة ﴿ وكل ما ورد ﴾ أي ويراعى جميع ما ورد من السنة ﴿ فيه فضيلة كصلاة الرغائب ﴾ وهي فى أول ليلة جمعة من رجب يصلي ثنتي عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص اثنتى عشرة وبعد الفراغ يصلي على النبي عليه السلام سبعين مرة ويدعو بما يشاء. وهي بدعة منكرة كما صرح به النووي وغيره وكذا حديث « ما من أحد يصوم اول خميس من رجب » الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو موضوع كما قاله العراقي ﴿ وليلة النصف من شعبان وهي ﴾ أي صلاتها ﴿ مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا ﴾ اى بعض السلف ﴿ يواظبون عليها ﴾ قال العراقي: حديث باطل، ولابن ماجه من حديث علي « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » واسناده ضعيف ﴿ والاستخارة ﴾ اى ويراعى صلاة الاستخارة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُهَا تَعْلِيمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَرَكْعَتَيِ الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، وَرَكْعَتَيْ دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السِّرِّ، وَتَحِيَّتَيِ الْوُضُوءِ وَالْمَسْجِدِ، وَلَا يَتَعَيَّنُ لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالدُّخُولِ عَنِ التَّعَطُّلِ بَلِ الْفَرْضُ أَفْضَلُ، وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ بَلْ يُطْلِقُ

اودعاءها بعدها ﴿ وكان عليه السلام يعلمها تعليم سورة من القرآن ﴾ البخاري من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح الحصن ﴿ وركعتي الدخول في المنزل والخروج ﴾ اي وركعتيه ﴿ منه ﴾ من المنزل فعن أبي هريرة قال عليه السلام: « اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء » البيهقي في الشعب. والخرائطي في مكارم الاخلاق. وابن عدي في الكامل، وفي الحديث ايماء الى قوله تعالى : (وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) الآية ﴿ وركعتي دفع النفاق في السر ﴾ أي بالخفية بان يصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد ثم يقول اللهم اني أعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم أجده مرويا ﴿ وتحيتي الوضوء ﴾ أي المسمى بشكر الوضوء وهي قبل جفاف أعضائه ﴿ والمسجد ﴾ اي اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة مقصودها الصلاة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرأ الحدث قبل الصلاة فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوت ولئلا يضيع السعي قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال عليه السلام: « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يا بلال بم سبقتني الى الجنة؟ فقال بلال: لا أعرف شيئا الا أني لا أحدث وضوءا الا صليت عقبه ركعتين » أو كما قال متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط في مذهب الشافعي وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب ، وقد ورد « اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » ابن عدي . والبيهقي عن أبي هريرة ﴿ ولا يتعين لهما التطوع لحصول المقصود في غيره ﴾ اي غير التطوع ﴿ وهو ﴾ أي المقصود ﴿ صون الوضوء والدخول عن التعطل ﴾ اي البطالة عن الطاعة ﴿ بل الفرض افضل ﴾ من النافلة فان ثوابه اكمل ﴿ ولا ينوي الصلاة للوضوء ﴾ أي لا يقول: نويت ان اصلي ركعتين للوضوء ﴿ بل يطلق ﴾ أي ينوي صلاة مطلقة

لِأَنَّ الْوُضُوءَ لِلصَّلَاةِ دُونَ الْعَكْسِ، وَيَحْتَرِزُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ فَفِيهَا تُعْبَدُ الْأَوْثَانُ وَيَنْتَشِرُ الشَّيْطَانُ وَفِي الْكَفِّ يَتَجَدَّدُ الشَّوْقُ إِلَى الْعِبَادَةِ أَمَّا الْعَارِفُ الْمُسْتَغْرِقُ هَمُّهُ فِيهِ تَعَالَى فَوِرْدُهُ الْحُضُورُ بَعْدَ الْفَرَائِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَيَغْرَقُ بِأَنْ لَا يَهُمَّ بِمَعْصِيَةٍ وَلَا يَفْتُرَ بِطَاعَةٍ وَلَا يَنْزَعِجَ بِمُصِيبَةٍ

﴿ لان الوضوء للصلاة دون العكس ﴾ اذ ليست الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد ﴿ ويحترز ﴾ عن النافلة ﴿ فى الأوقات المكروهة ﴾ أى مطلقا عندنا خلافا للشافعى حيث يجيز اداء صلاة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكر ووضوء واستثنى الحرم أيضا ﴿ ففيها تعبد الأوثان ﴾ أى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر النيران ﴿ وينتشر الشيطان ﴾ أى ويكثر الوسواس للانسان ، وقد ورد « ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها » النسائى من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وفى الكف ﴾ أى الامتناع عن الصلاة فى الأوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب ، وكذا الأوقات المحرمة ﴿ يتجدد الشوق الى العبادة ﴾ ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول المسجد على غير وضوء أو تيمم وان دخل لعبور ضرورة أو جلس فى أوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يقولها أربع مرات فيقال : انها عدل ركعتين فى الفضل ولعله مأخوذ مما ورد « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه أعلم ، ثم هذه الأوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد فى استعداد زاد المعاد ﴿ أما العارف المستغرق همه فيه تعالى ﴾ أى فى ورد محبته وورد الحضور فى حضرته ﴿ فورده الحضور ﴾ أى حضور القلب فى ذكر الرب فى جميع المراتب ﴿ بعد الفرائض والرواتب ويغرق ﴾ أى هذا العارف فى علو المناقب ﴿ بان لا يهم بمعصية ﴾ أى لا يقصدها ﴿ ولا يفتر بطاعة ﴾ أى لا يكسلها ﴿ ولا ينزعج بمصيبة ﴾ أى لا يتزلزل ولا يجزع ولا يفزع بموت الأولاد والاحفاد وسائر الأقارب من الاخوان والخلان وذهاب

وَلَا يَنْقَلِبُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ *

أَلْبَابُ الثَّانِى فِى ٱلْإِنْفَاقِ وَٱلْقَنَاعَة

بِسْمِ ٱللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* وَرَدَ (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) • الآيَةَ . (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ) الآيَةَ . « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ ٱللّٰهِ تَعَالَى »

الأموال وتغير الأحوال من الأمراض وسائر شدائد الاهوال ﴿ولا ينقلب﴾ عن حاله ومقامه ﴿بأمر عظيم﴾ كالقحط. وفتنة البلاد. وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم *

﴿الباب الثانى فى الانفاق والقناعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنفق فى الطاعة واعتنق بالقناعة فيما قسم لى الى قيام الساعة ﴿ورد﴾ أى فى التنزيل ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أى يحفظ ويصان بخلها فيما يجب عليها ﴿الآية﴾ وهى (فاولئك هم المفلحون) أى الناجون من النار والفائزون بالجنة اذ مانعون الزكاة هم الظالمون أى الواضعون الأشياء فى غير موضعها ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ أى يجمعونها ﴿ولا ينفقونها فى سبيل الله﴾ أى وزكاتها لايخرجونها ﴿الآية﴾ أى (فبشرهم بعذاب أليم) وفيه تهكم عظيم (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم) لتعبسهم على الفقراء (وجنوبهم) لتكبرهم على الضعفاء (وظهورهم) لاعراضهم عن العلماء والصلحاء. ويقال لهم بلسان المقال او بيان الحال (هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) قال الاحنف بن قيس: كنت فى نفر من قريش فمرّبنا أبو ذر فقال: بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم، وعن أبى ذر انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال: هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت: من هم؟ فقال: الا كثرون أموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه ﴿السخى قريب من الله تعالى والبخيل بعيد من الله تعالى﴾ رواه الترمذى عن أبى هريرة والبيهقى عن جابر والطبرانى فى الأوسط عن عائشة بلفظ «السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة

«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ» وَالْفِقْهُ الابْتِلَاءُ فِي دَعْوَى حُبِّهِ تَعَالَى وَتَرْكُ الدُّنْيَا وَظُهُورُ الْمَرَاتِبِ فِيهَا ،فالسَّابِقُ كَالصِّدِّيقِ حَيْثُ مَا أَبْقَى شَيْئًا. وَالْمُقْتَصِدُ كَالْفَارُوقِ حَيْثُ أَبْقَى النِّصْفَ.وَالْقَاصِرُ هُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى الْوَاجِبِ

بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار» ﴿ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ﴾ أي هلك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية الترمذي عن أبي هريرة بلفظ «لعن» ﴿ والفقه ﴾ أي الحكمة والسر في تشريع الانفاق «﴿ الابتلاء في دعوى حبه تعالى وترك الدنيا ﴾ أي محبتها فانها لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لا تقبل الشركة ولا بقدر المحبة وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والأموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يأنسون بهذا العالم الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وسائر لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم ، ولذا قال تعالى :(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى والمسامحة بالمال أهون فبذله أولى ﴿ وظهور المراتب فيها ﴾ أي دعوى المحبة فقد قيل ما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى ﴿ فالسابق كالصديق حيث ما أبقى شيئا ﴾ أي لا درهما ولا دينارا وتبعه جماعة من أهل التوفيق في إبائهم أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع ما لديهم لئلا ينسب حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال :اما على العوام في حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ﴿ والمقتصد كالفاروق حيث أبقى النصف ﴾ أي وأعطى النصف ، وأصل الحديث «جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر :ماذا ابقيت لاهلك؟ فقال مثله وقال لابي بكر :ماذا أبقيت لاهلك؟ فقال :الله ورسوله» رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن انه قال لهما ما بين صدقتيكما كما بين كلاميكما ﴿ والقاصر هو المقتصر على الواجب ﴾ أي على اعطاء قدره من غير زيادة في أجره ، وفي كلام المصنف تلويح الى قوله تعالى :(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فيحتمل أن يقال . القاصر المقصر انه الظالم

وَتَنْقِيَةُ الْبَاطِنِ عَنِ الْبُخْلِ وَتَحْلِيَتُهُ بِالشُّكْرِ وَهُوَ بِقَلْعِ أَسْبَابِ الْحِرْصِ كَحُبِّ عَيْنِ الْمَالِ وَهُوَ مَرَضٌ مُزْمِنٌ وَالشَّهَوَاتِ

لنفسه وغيره اذا الظالم هو مانع الزكاة ونحوه ، والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا قال تعالى : (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) ومعنى يحفكم يستقصي عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لاجل بخله وهناك درجة أخرى دون الدرجتين الأوليين وهم الممسكون أموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البرة وطريق المسرة ، وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي . والشعبي . وعطاء . ومجاهد . قال الشعبي : بعدان قيل له هل في المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى : (وآتى المال على حبه) الآية تماما (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة) حيث عطف آتى الزكاة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل : (ومما رزقناهم ينفقون) وبقوله : (وأنفقوا مما رزقناكم) وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوى الرحم الحرم والله سبحانه اعلم ﴿ وتنقية الباطن ﴾ أي ومن جملة الحكمة في الانفاق تنظيف القلب وتخليته ﴿ عن البخل ﴾ فورد « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » الطبراني في الأوسط عن أنس ﴿ وتحليته ﴾ أي تزيين الباطن وتحسينه ﴿ بالشكر ﴾ اي بشكر النعمة وقد قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) ﴿ وهو ﴾ اي ما ذكر من التنقية والتحلية ، والانفاق انما يحصل ﴿ بقلع أسباب الحرص كحب عين المال ﴾ لا لغرض يحصل منه ﴿ وهو ﴾ أي حب عين المال ﴿ مرض مزمن ﴾ اي لادواء له في الزمن حيث لا ينفعه لفوات اغراضه واعواضه من المال ﴿ والشهوات ﴾ وكحب سائر الشهوات كما أشار اليه قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

وَطُولِ الْأَمَلِ وَخَوْفِ الْفَقْرِ وَقِلَّةِ الْوُثُوقِ بِمَجِيءِ الرِّزْقِ وَهُمُ الْوَلَدُ فَوَرَدَ «الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ» وَطَرِيقُهُ التَّوَسُّطُ فِي النَّفَقَاتِ فَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى عُدَّ مِنَ الْمُنْجِيَاتِ وَتَقْلِيلِ الشَّهَوَاتِ وَالْوُثُوقِ بِإِصَابَةِ الرِّزْقِ الْمُقَدَّرِ وَمَعْرِفَةِ عِزِّ الْقَنَاعَةِ

المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ﴿وطول الأمل﴾ عطف على حب أي وكطول الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) ﴿وخوف الفقر﴾ قال عز وعلا (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) ﴿وقلة الوثوق بمجيء الرزق﴾ وقد قال سبحانه (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد ورد «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » أحمد والترمذي وابن ماجه . والحاكم عن عمر ﴿وهم الولد فورد الولد مبخلة﴾ «تمامه مجبنة » أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد . وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ، ومعنى مبخلة انه مظنة أن يحمل أبويه على البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لأجله، ومعنى مجبنة أي يحمل أباه على أن يجبن عن الحروب استبقاء لنفسه من أجله ﴿وطريقه﴾ أي الطريق المحمود في الانفاق أحد عشر أو طريق قلع أسباب الحرص ﴿التوسط في النفقات﴾ قال تعالى : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ﴿فالقصد﴾ أي الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات ﴿في الفقر والغنى عد من المنجيات﴾ وورد «ماعال من اقتصد » الديلمي عن أبي امامة مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة» ﴿وتقليل الشهوات﴾ أي الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات ﴿والوثوق باصابة الرزق المقدر﴾ فقد قال تعالى :(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) ه (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وورد في حديث مشهور «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك » ﴿ومعرفة عز القناعة﴾ فورد «القناعة كنز لا ينفد» وفي رواية «مال لا ينفد » وفي أخرى «كنز لا يفنى » القضاعي عن أنس والطبراني في الأوسط من حديث جابر ولفظه «القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى» وفي القناعة أحاديث لا تحصى ، وقد قيل: من قنع شبع ، منها قوله عليه السلام «ابن آدم عندك

وَذُلِّ الطَّمَعِ.وَالتَّأَمُّلِ فِي الْبَخِيلِ.وَمَدْحِ السَّخِيِّ وَمَا وَرَدَ فِيهِمَا

مايكفيك وأنت تطلب مايطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم اذا أصبحت معافى فى سربك آمنا فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء» أى التراب ابن عدى. والبيهقى عن ابن عمر، وفى رواية لهما عن أبى هريرة «اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار» وروى ابن المبارك عن الاوزاعى معضلا ما أبالى مارددت به عنى الجوع وما أحسن مقال بعض أهل الحال:

وما هى الاجوعة قد سددتها ٭ وكل طعام بين جنبي واحد

وعن سمرة مرفوعا «ارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير» العسكرى ولله در الناظم :

عزيز النفس من لزم القناعه ٭ ولم يكشف لمخلوق قناعه

وفى الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى :(فلنحيينه حياة طيبة) بالقناعة والقيام بالطاعة، وقوله «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وقوله «ماقل وكفى خير مما كثر والهى» أبو يعلى والضياء عن أبى سعيد، وقوله «خيار امتى القانع وشرارهم الطامع» القضاعى ﴿ وذل الطمع ﴾ أى ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة ، وقد ورد «لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه» قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه « ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا أيس عن شىء استغنى عنه » أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى القناعة والعسكرى فى المواعظ وروى «أن رجلا من الأنصار قال يارسول الله أوصنى واوجز لى قال: عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر » أبو نعيم ﴿ والتأمل فى ذم البخيل ومدح السخى ﴾ اذهما فى جبلة كل احد من العالى والدنى ﴿ وما ورد فيهما ﴾ أى من احاديث النبى كقوله عليه السلام « السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات فى الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار » الدار قطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن أبى هريرة، وكقوله « خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل » البيهقى عن ابن عمرو، وكقوله تعالى: «مامن العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه

وَأَحوالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَاخْتِيَارُ التَّشَبُّهِ بِهِمْ لَا بِالْمُتَنَعِّمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْحَمْقَى وَالتَّسَخِّي وَخِدَاعِ النَّفْسِ بِالصِّيتِ وَالْمُكَافَأَةِ ثُمَّ إِزَالَةُ الرِّيَاءِ بَعْدَ الاعْتِيَادِ

فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا » ﴿ واحوال الأنبياء والأولياء ﴾ أى وفى أحوالهم واخلاق سائر البخلاء والاسخياء ﴿ واختيار التشبه بهم ﴾ أى بالاصفياء ، فمن تشبه بقوم فهو منهم ، ﴿ لا بالمتنعمين من الكفار والحمقى ﴾ أى من الجهلة والفجار وقد قال تعالى : (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) وورد « اشبعكم فى الدنيا أجوعكم فى العقبى » ﴿ والتسخى ﴾ أى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخى ﴿ وخداع النفس بالصيت ﴾ أى بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة فى مقام الايناس ﴿ والمكافأة ﴾ اى ويتصور المكافاة فورد « تهادوا تحابوا » ﴿ ثم ازالة الرياء بعد الاعتياد ﴾ أى بعد تعوده بالسخاء فان الرياء فى الابتداء قنطرة الاخلاص فى الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة، حكى ان ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس فى ايديهم شيء مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من الفتور فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له : اجب الملك ذا القرنين فقال مالى حاجة اليه فأقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا جئت فقال : لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال ذو القرنين : مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها؟ قالوا : وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء من البناء ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا : انما كرهناهما لأن أحدا لم يعط شيئا منهما الا تاقت نفسه فودعته الى ماهو أفضل منه فقال: مالكم احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها ؟ قالوا أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الى الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال: وأراكم لاطعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البها ثم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وان ماجاوز الحنك لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال : ياذا القرنين اتدرى من هذا؟ قال لا ومن هو؟ قال فذلك ملك من ملوك الأرض أعطاه الله

وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ. وَالاعْتِبَارُ بِالسَّالِفِينَ، وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ. وَالْأَصْلُ فِيهِ. الصَّبْرُ ، وَقِصَرُ الْأَمَلِ، وَالْعِلْمُ بِآفَاتِ الْمَالِ

سلطانا على أهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في الآخرة، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: ياذا القرنين هل تدرى من هذا؟ قال: لا ومن هو؟ قال: هذا الملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وأمر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله فى دنياه حتى يجزيه فى أخراه ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال: هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر ياذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين: هل لك فى صحبتى ما نجدك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال: ما اصلح أنا وانت فى مكان قال ولم؟ قال: من أجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال: ولم يعادونى؟ قال يعادونك على ما فى يدك من الملك والمال ولا احد يعادينى لما عندى من الحاجة وقلة الشيء والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا ومتعظا ﴿ وكثرة ذكر الموت ﴾ فانه يهون السخاوة قبل الفوت ﴿ والاعتبار بالسالفين ﴾ أى الاتعاظ بالسابقين من أهل الاموال فى تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى: (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) ومن هنا قالوا: طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله ﴿ وزيارة القبور ﴾ فانها تذكر العقبى وتزهد فى الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور، وروى « اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا بأهل القبور » ﴿ والاصل فيه ﴾ أى فى طريق الانفاق من توسطه المحمود بالانفاق ﴿ الصبر ﴾ أى عن المستلذات الفانية ﴿ وقصر الامل ﴾ اى باستعداد زاد الدار الباقية، وورد عن على قال: « إنما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » ابن المبارك. وأحمد فى الزهد ﴿ والعلم بآفات المال ﴾ أى وتغيراته فى المآل وانقلاباته فى أسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى عليه السلام فقال أكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شاطىء نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف

وَهِيَ الْإِفْضَاءُ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ كَالْكِبْرِ .وَالْكَذِبِ .وَالْعَدَاوَةِ .وَحُبِّ الدُّنْيَا .وَاقْتِحَامِ الشَّهْوَةِ .وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ .وَالشُّغْلِ عَنِ الطَّاعَةِ بِالْكَسْبِ وَالْحِفْظِ

فقال للرجل : لم أجد الرغيف فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها فدعا أحدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال أسألك بالذى أراك هذه الآية من اخذ الرغيف؟ قال : مادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء ثم جاوزا قال: أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: لادرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال: كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف قال الرجل : فانا أخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه و يقتلاه فقال : هو بيننا أثلاثا قال : فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى طعاما فبعثوا أحدهم فقال : الذى بعث لأى شىء أقاسم هؤلاء فى هذا المال؟ لكن اصنع فى هذا الطعام سما فأقتلهما قال : ففعل ذلك وقال هؤلاء لأى شىء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال : فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام فى تلك الحال فقال لأصحابه : هذه الدنيا وهذا المال فاحذروها والا فتقتلكم فى المال » ﴿ وهى ﴾ أى آفات المال من البليات ﴿ الافضاء الى المهلكات ﴾ أى ايصاله الى مهلكات الأخلاق ﴿ كالكبر ﴾ فانه يغلب على أرباب الأموال ﴿ والكذب ﴾ أى فى معاملتهم وسائر الأحوال ﴿ والعداوة ﴾ أى الناشئة من كثرة القيل والقال ﴿ وحب الدنيا ﴾ «وهو رأس كل خطيئة » كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن الى الحسن البصرى رفعه مرسلا ﴿ واقتحام الشهوة ﴾ وفى نسخة الشبهة أى ودخوله من غير ملاحظة لحصوله فى الأمور المضرة من غير وصول المسرة ﴿ والحاجة الى الناس ﴾ لضرورة الغنى من معاشرة الخلق فى مباشرة أمره بخلاف الفقير فانه غنى بربه عن غيره ﴿ والشغل عن الطاعة بالكسب ﴾ أى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من أرباب الارادة ﴿ والحفظ ﴾ أى و بسبب حفظ

وَدفعِ الْحُسَّادِ مع احْتِمَالِ الْمَشَاقِّ ، وفوائده وهو الانْفَاقُ على النَّفسِ للقيام بالطَّاعَة ، كالْمَطْعَم والْمَلْبَسِ وما يحتاج إليه كالحجِّ والغزو وعلى الْغَيْرِ وهو صدقةٌ للفقير ومروءةٌ للْغَنِيِّ في الضِّيَافَةِ . والْهَدِيَّة . والاعانة فهي تحصل الأُخوَّة

الأموال فانه يضيع به ضبط الأحوال ﴿ ودفع الحساد ﴾ أي ويدفعهم لما فيهم من أنواع الفساد ﴿ مع احتمال المشاق ﴾ في جمعه ومنعه بالانفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها فيه العقاب بل الحجاب الذي هو أشد العذاب ﴿ وفوائده ﴾ أي والعلم بفوائد المال ﴿ وهو الانفاق على النفس للقيام بالطاعة ﴾ فيما لا بد له منه على طريق القناعة ﴿ كالمطعم ﴾ وكذا المشرب ﴿ والملبس ﴾ وكذا المسكن ﴿ وما يحتاج اليه ﴾ أي الى الانفاق الزائد عليه ﴿ كالحج ﴾ وكذا العمرة ﴿ والغزو ﴾ وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة ﴿ وعلى الغير ﴾ من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد « أفضل الدينار دينار ينفقه على عياله » رواه مسلم « وكفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » أبو داود ، وعند مسلم معناه ﴿ وهو ﴾ « أي الانفاق » ﴿ صدقة للفقير ﴾ « أي بأي طريقة مع حصول النية » ﴿ ومروءة ﴾ « أي فتوة » ﴿ للغني ﴾ « في بعض الاحوال الرضية كما بينه بقوله » ﴿ في الضيافة ﴾ « فانها من الشمائل السنية فورد » الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر » القضاعي عن ابن عمر « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة » أحمد . وأبو يعلى عن أبي سعيد « الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم » الطبراني عن طارق بن اشيم « ضاف ضيف رجلا من بني اسرائيل وفي داره كلبة مجح ـ بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم أي قريبة الولادة ـ فقالت الكلبة والله لا أنبح ضيف أهلي فعوى جراوها في بطنها قيل : ماهذا فأوحى الله الى رجل منهم هذا مثل أمة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها » * ﴿ والهدية ﴾ « فانها من الفضائل البهية » وقد ورد « الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر » الطبراني عن عصمة ابن مالك « الهدية تعور عين الحكيم » الديلمي عن ابن عباس « هدية الله الى المؤمن السائل على بابه » الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر « ﴿ والاعانة ﴾ » وكذا الاغاثة قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) وفي الخبر المشهور « من كان في عون أخيه المؤمن كان الله في عونه » وورد « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة » البخاري في تاريخه والبيهقي عن أنس « ﴿ فهي ﴾ » أي المروءة « ﴿ تحصل الاخوة ﴾ » أي في الدين والدنيا ، ورد « المرء كثير بأخيه »

وَالسَّخَاءِ وَالْفُتُوَّةِ ، وورد فيها الأَخْبَارِ، ووقاية لدفع الشر فهو ينفي الغيبة والعداوة فورد أنها صدقة واستخدام لتدبير المعاش فهو يفرغ للعبادة، وفي نحو المسجد . والجسر . والرباط . والحوض . والبئر فهو يبقى الذكر ، ويحصل بركة الدعاء وكل منها عبادة مستقلة

ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد «والمرء مع من أحب وله ما اكتسب» الترمذي عن أنس «والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالله» ﴿والسخاء﴾ لارباب الصفاء وأصحاب الوفاء ﴿والفتوة﴾ وهي كمال الرجولية وجمال الانسانية ﴿وورد فيها﴾ أي في المروءة وما يتعلق بها ﴿الاخبار﴾ فانها من أعمال الابرار، فورد «من المروءة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة أن يقف الأخ لأخيه اذا انقطع شسع نعله» الخطيب عن أنس «المروءة اصلاح المال» الديلمي عن ابن ابان عن أنس «ليس من المروءة الربح على الاخوان» ابن عساكر عن ابن عمر ﴿ووقاية﴾ عطف على صدقة أي محافظة ﴿لدفع الشر﴾ أي من أهل الضر ﴿فهو﴾ أي الانفاق على الغير لدفع الشر ﴿ينفي الغيبة﴾ باللسان ﴿والعداوة﴾ في الجنان ﴿فوردانها﴾ أي وقايته ﴿صدقة﴾ قال عليه السلام «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة» العسكري والقضاعي من حديث جابر ﴿واستخدام﴾ أي أخذ خادم بالشراء أو الكراء ﴿لتدبير المعاش فهو﴾ أي الخادم ﴿يفرغ للعبادة﴾ التي هي زاد المعاد ﴿وفي نحو المسجد﴾ أي الانفاق في نحو عمارة المسجد وترميمه وتنويره ﴿والجسر﴾ أي معبر العامة أو الخاصة فوق البحر أو النهر ﴿والرباط﴾ أي الخانات في البعد عن العمارات أو القلاع دفعا للكفرة وأرباب الغارات ﴿والحوض والبئر﴾ في البلدان والفلوات والكل من الخيرات والمبرات ﴿فهو﴾ أي الانفاق في نحو المسجد ﴿يبقى الذكر﴾ أي الثناء الحسن بعد فناء العمر ﴿ويحصل بركة الدعاء﴾ أي دعوة العامة ﴿وكل منها﴾ أي من فوائد المال ﴿عبادة مستقلة﴾ لاسيما عمارة المساجد فقد قال تعالى: (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية، وورد «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة» ابن ماجه عن علي زاد الطبراني عن أبي امامة «أوسع منه» وفي رواية أحمد عن ابن عباس «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا في الجنة» وفي معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن أبي هريرة «من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا في الجنة من در وياقوت»

ثُمَّ السَّخِيُّ مَنْ لَا يَمْنَعُ مَا يَجِبُ شَرْعًا وَمُرُوءَةً وَمَانِعُ الشَّرْعِ أَبْخَلُ وَالسَّخَاوَةُ تُفَارِقُ الْإِيثَارَ بِأَنَّهُ بَذْلٌ مَعَ الْاحْتِيَاجِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ يُسْتَكْمَلُ بِهِ الْإِيمَانُ ، وَوَرَدَ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) *

الطبرانی فی الاوسط ﴿ ثم السخی ﴾ فی عرف العلماء ﴿ من لا يمنع ما يجب شرعا و مروءة ﴾ أی طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما ﴿ ومانع الشرع ﴾ أی موجبه ﴿ ابخل ﴾ من مانع المروءة ﴿ والسخاوة تفارق الايثار ﴾ وهو اختيار الغير بالبر ﴿ بانه أی ﴾ الايثار ﴿ بذل مع الاحتياج ﴾ أی مع غاية الأفتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا ﴿ وهو ﴾ أی الايثار « (الافضل) » أی افضل من السخاء « (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) » والخصلة الثانية ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه والثالثة ان يأمن جاره بوائقه « (وورد) » فی مدح الانصار « (ويؤثرون على أنفسهم) » تمامه (ولو كان بهم خصاصة) أی شدة حاجة وفاقة أو مجاعة وضرورة الی ما يؤثرون ، وفی البخاری عن أبی هريرة « ان رجلا أتی النبی ﷺ فاستضافه فبعث الی نسائه فقلن: ما معنا الا الماء فقال عليه السلام : من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الانصار : أنا فانطلق به الی امرأته فقال: اكرمی ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا الا قوت للصبيان فقال : هيء طعامك واصبحی سراجك ونومی صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا الی رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما » فأنزل الله عزوجل : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال « اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال : ان اخی فلانا وعياله احوج الی هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحدا الی آخر حتی تناول سبعة أبيات حتی رجع الی الاول » فنزلت الآية، وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن بلال وهو جالس مع أصحابه فقالت: هل فيكم من اسأله عن مسألة؟ فاشاروا الی حبان فقالت: ما السخاء عندكم؟ قال: العطاء والبذل والايثار قالت: هو السخاء فی الدنيا فما السخاء فی الدين؟ قال ان نعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت :أفتريدون على ذلك اجرا قال: نعم قالت لم؟ قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله اذا أعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبای شیء تسخيتم عليه قال : فما معنى السخاء عندك

وَالتَّبْذِيرَ بِأَنَّهُ حَيْثُ يَجِبُ الْإِمْسَاكُ وَهُوَ حَرَامٌ ، فَوَرَدَ (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) لَكِنِ الْبُخْلُ أَفْحَشُ، وَالتَّسَخِّي بِأَنَّهُ مَعَ الْكَرَاهَةِ وَالْمُرُوءَةَ بِتَرْكِ الْمُضَايَقَةِ بِالْمُحَقَّرَاتِ فَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ كَالْغَنِيِّ وَالْفَقْرِ وَالْقَرِيبِ وَالْأَجْنَبِيِّ

يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل مايشاء بكم فى أولاكم واخراكم ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا فى الدنيا لقبيح ، وقال المحاسبي: السخاوة فى الدين أن تسخو نفسك فى محبة ربك ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك مالا يحسن ان تختار لنفسك فى دنياك وآخرتك وفيه تلميح الى قوله سبحانه : اى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الآية ﴿ والتبذير ﴾ أى السخاوة تفارق التبذير ﴿ بانه حيث يجب الامساك ﴾ أى المنع من بذله لكونه اسرافا أو فى غير محله اللائق به ﴿وهو حرام﴾ لقوله تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا) ﴿ فورد ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى اولياءهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جحودا نفورا، والمعنى لاتنفق مالك فى المعصية قال مجاهد: لو انفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدانق فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل : لا سرف فى خير ولا خير فى سرف، وقال: شعبة كنت امشي مع أبي اسحق فى طريق الكوفة فأتى على جدار بنى بجص وآجر فقال : هذا التبذير ﴿لكن البخل أفحش﴾ من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم ﴿ والتسخي ﴾ أى ويفارق السخاوة التسخي ﴿بانه مع الكراهة﴾ أى بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها لاتكون الامع طيبة النفس المحبة ﴿ والمروءة ﴾ أى تفارقها السخاوة ﴿ بترك المضايقة ﴾ وكان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفى نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة ﴿ بالمحقرات فتختلف ﴾ المضايقة ﴿ باختلاف الاشخاص ﴾ أى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة أو معهم المضايقة وأيضا يختلف باختلاف مابه المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات ﴿ كالغنى والفقر ﴾ فان ترك المروءة فى الغنى اقبح من تركها فى الفقر ﴿ والقريب والاجنبي ﴾ فان ترك المروءة

وَالْجَارِ.وَالْأَهْلِ.وَالضَّيْفِ.وَالْمَيِّتِ فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِى أَحَدِهِمْ لَا يُسْتَقْبَحُ فِى الْآخَرِ وَالْأَوْلَى التَّوَسُّطُ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) وَحَقُّ الْعَطَاءِ أَنْ يُعَجَّلَ قَبْلَ الْوُجُوبِ مُبَادَرَةً إِلَى الْائْتِمَارِ وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ

فى حق الأقارب اقبح من تر كما فى حق الاجانب ﴿ والجار والاهل ﴾ من الزوجة والخادم ﴿ والضيف والميت ﴾ فى أمر تكفينه وتجهيزه ودفنه ؛ و كذا فى حال الغلاء والرخاء والسراء والضراء و كذا تختلف باختلاف الشيخ والصبي والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل ﴿ فما يستقبح فى احدهما ﴾ أى الشخصين أو الحالين ﴿ لا يستقبح فى الآخر ﴾ لتفاوت الأمرين ﴿ والاولى ﴾ فى الانفاق ﴿ التوسط ﴾ المحمود فى جميع الاخلاق بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك أولى لان التفريط الذى هو البخل مذموم كالافراط الذى هو التبذير والايثار وان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما تؤدى الى الحجر فكان الاولى هو التوسط ﴿ فورد ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ﴾ اى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ﴿ ولا تبسطها ﴾ أى بالعطاء ﴿ كل البسط ﴾ فتعطى جميع ماعندك ﴿ فتقعد ملوما محسورا ﴾ والملوم الذى أتى مايلوم نفسه ومايلوم غيره ، ومحسورا أى منقطعا بك لاشىء عندك ، وفى المعالم قال : جابر « أتى صبي فقال : يارسول الله ان أمى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله ﷺ الاقيصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر فعدوقتا آخر فعاد الى امه فقالت له : قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا » فأنزل الله الآية ﴿ وحق العطاء ﴾ لاسيما اذا كان فرضا ﴿ أن يعجل قبل الوجوب ﴾ وهو حولان الحول فى الزكاة ودخول عيد رمضان فى صدقة الفطر ﴿ مبادرة الى الائتمار ﴾ أى قبول الأمر لقوله تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) ﴿ واسرارا للمؤمن ﴾ فقد قيل « ادخال السرور على قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين » وعن جابر « أفضل الأعمال سرور تدخله على مسلم » ابن عدى ، وعن ابن عمر « مامن شيء أحب الى الله من ادخالك السرور على قلب أخيك المسلم » ابن النجار

وَتَحَامِيًا عَنْ طُرُوقِ الآفَاتِ وَيُعَيِّنُ لَهُ وَقْتًا فَاضِلًا كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَذِى الْحِجَّةِ وَيُسِرُّ انْ خَافَ الرِّيَاءَ، فَوَرَدَ « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ سِرًّا فَيُكْتَبُ سِرًّا وَانْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ إِلَى الْعَلَانِيَةِ فَانْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ إِلَى الرِّيَاءِ»، وَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِيهِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُهُمُ الْقَابِضُ، وَيُظْهِرُ إِنْ سُئِلَ فِى مَلَأٍ مُعْتَصِمًا عَنْهُ أَوْ أَمِنَهُ

﴿ وتحاميا ﴾ أى تحافظا ﴿ عن طروق الآفات ﴾ أى حدوث طرق الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية ﴿ ويعين له وقتا فاضلا ﴾ أى زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته ﴿ كشهر رمضان ﴾ فعن أنس « أفضل الصدقة فى رمضان » الدارمى فى جزئه، وقد « كان ﷺ أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا » كما فى الصحيحين عن ابن عباس ﴿ وذى الحجة ﴾ فانه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والأيام المعلومات وهى العشر الأول . والأيام المعدودات وهى ايام التشريق وقد قالوا : أفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول ﴿ ويسر ﴾ أى يخفى العطاء ﴿ ان خاف الرياء فورد أن العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان أظهره ﴾ لغيره بعد سره ﴿ نقل الى العلانية ﴾ أى ديوانها ﴿ فان تحدث به ﴾ أى ثالثا ﴿ نقل الى الرياء ﴾ الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف والديلمى عن أبى الدرداء ولفظه « ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محى من السر والعلانية وكتب رياء » وورد « ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة » أبو نعيم من حديث ابن عباس « وصدقة السر تطفىء غضب الرب » الطبرانى من حديث أبى امامة « وسبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴿ وكانوا ﴾ أى السلف ﴿ يبالغون فيه ﴾ أى فى اخفاء الاعطاء ﴿ بحيث لا يعرفهم القابض ﴾ تحاميا عن السمعة والرياء وتحافظا عن المن والأذى فكان بعضهم يلقيه فى يد الأعمى وبعضهم كان يصر فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى، وكان يستكتم المتوسط بشأنه ويوصيه بأن لا يفشيه فى زمانه ﴿ ويظهر ﴾ أى الاعطاء ﴿ ان سئل فى ملأ معتصما عنه ﴾ أى محفوظا عن الرياء ﴿ أو أمنه ﴾ أى أو ان أمن من

وَقَصَدَ التَّرْغِيبَ ، فَوَرَدَ (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) * (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وَلَمْ يَسْتُرِ الْقَابِضُ تَحَامِيًا عَنِ الْهَتْكِ ، فَوَرَدَ « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » ، وَيَجْتَنِبُ الْمَنَّ وَالْأَذَى فَوَرَدَ (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) وَهُمَا الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ

السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخواص فى الاخلاص ﴿وقصد الترغيب﴾ لغيره فى باب الاعطاء من الاقتداء ﴿فورد إن تبدوا الصدقات﴾ اى إن تظهروها ﴿فنعما هى﴾ أى فنعمت الخصلة ابداؤها أى اظهار اعطائها ﴿وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ أى من الابداء بالاعطاء ﴿وأنفقوا﴾ بصيغة الماضى ﴿مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ أى باختلاف الأحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية والسر مختص بالنوافل والاعلان بالفرائض أو تارة وتارة بحسب ما يليق بالاشخاص والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى :(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) روى مجاهد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب رضى الله عنه كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ﴿ولم يستر القابض﴾ أى لم يكتم ما أخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعو لصاحبه، فقد ورد «من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى ترون انكم قد كافأتموه» أبو داود . والنسائى من حديث ابن عمر باسناد صحيح «ومن صنع اليه معروفا فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء» الترمذى. وابن حبان. والنسائى عن أسامة «ومن صنع الى أحد من أهل بيتى يدا كافئته عليها يوم القيامة» ابن عساكر عن على ﴿تحاميا عن الهتك﴾ أى احترازا عن انتهاك حرمة شكر النعمة ﴿فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾ الترمذى وحسنه، وفى رواية عبد الله بن أحمد عن النعمان بن بشير «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر» ﴿ويجتنب المن﴾ أى الامتنان فى الاعطاء والاحسان ﴿والاذى﴾ باليد أو باللسان ﴿فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى﴾ أى بكل منهما ﴿وهما﴾ اى المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب ﴿الذكر بالقلب﴾ أى ذكر الصدقة بقلبه

وَالْإِظْهَارُ بِاللِّسَانِ. وَالِاسْتِخْدَامُ وَالتَّقْرِيعُ بِالْفَقْرِ وَالتَّكَبُّرُ بِالْعَطَاءِ وَالتَّشْدِيدُ بِالْقَوْلِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنُّ أَنْ يَرَاهُ مُحْسِناً إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِقُوَّةٍ اسْتِبْعَادَ جِنَايَةِ الْقَابِضِ بَعْدَ الْعَطَاءِ، وَالْمُحْسِنُ هُوَ الْقَابِضُ لِإِيصَالِهِ إِلَى الثَّوَابِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الْعِقَابِ وَكَوْنِهِ نَائِباً عَنْهُ تَعَالَى فِيهِ، فَوَرَدَ «أَنَّهَا تَقَعُ أَوَّلاً بِيَدِهِ تَعَالَى» وَكَوْنِهَا حَقّاً لَهُ تَعَالَى أَحَالَ عَلَيْهِ الْفَقِيرَ إِنْجَازاً لِمَا وَعَدَهُ مِنَ الرِّزْقِ. *

﴿ والاظهار ﴾ لها ﴿ باللسان ﴾ فى غيبته أو وجهه ﴿ والاستخدام ﴾ للفقير بالعطا. ﴿ والتقريع بالفقر ﴾ أى وتعييره بأنه من الفقرا. ﴿ والتكبر بالعطاء ﴾ أى لانه من الاغنياء ﴿ والتشديد بالقول ﴾ أى بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء ﴿ والاقرب ﴾ أى الى الصواب من بين الاقوال ان يقال ﴿ المن ﴾ أى حد المن ﴿ ان يراه ﴾ أى المعطى ﴿ محسنا اليه ﴾ ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى منه الذى هو طهرته وبه عن النار نجاته وانه لولم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير فى قبضه واخذه بيد لطفه ، ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هى العليا ﴿ ويعرف ﴾ اى المن ﴿ بقوة استبعاد جناية القابض بعد العطاء ﴾ أى بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم فى المحافل والمتابعة فى المجالس والمناهل ، فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك مالم يكن توقعه قبل ذلك ﴿ والمحسن ﴾ أى فى الحقيقة ﴿ هو القابض ﴾ أى للصدقة ﴿ لايصاله ﴾ أى المحسن ﴿ الى الثواب والانجاء ﴾ اى اخلاصه ﴿ عن العقاب وكونه ﴾ أى ولكونه ﴿ نائبا عنه تعالى فيه ﴾ أى فى القبض ﴿ فورد أنها تقع اولا بيده تعالى ﴾ ولفظ الحديث «ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع فى يد السائل» الدار قطنى فى الافراد من حديث ابن عباس والبيهقى فى الشعب ﴿ وكونها ﴾ أى ولكون الصدقة ﴿ حقا له تعالى ﴾ اى خاصة اذ ليس له شريك فى ملكه ﴿ احال عليه الفقير ﴾ على سبيل الرفق ﴿ انجازا لما وعده من الرزق ﴾ أى وقدره ان يكون على يد الخلق فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد

وَالْأَذَى التَّعْيِير . وَالتَّوْبِيخ . وَالْقَوْلُ السَّيِّء . وَالْقُطُوب . وَهَتْكُ السِّتْر . وَالاسْتِخْفَاف . وَالاسْتِحْقَار , وَالسَّبَب اسْتِكْثَارُ الْعَطَاء وَالتَّكَبُّر عَلَى الْقَابِض النَّاشئَان مِنَ الْجَهْل , وَنِسْيَانُ فَضْل الْفَقِير , وَالْمُرَادُ عَدَمُ كَوْن ذٰلكَ الْاعْطَاء صَدَقَةً لَا الْابْطَال فَهو مُمْتنع , و يَسْتَصْغِرُ الْاعْطَاء لِيَعْظُمَ عنْدهُ تَعَالَى

صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده او خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ﴿ والأذى ﴾ أى والأقرب ان حد الاذى ﴿ التعيير والتوبيخ ﴾ عطف تفسير أو احدهما مختص بالغيبة والآخر بالمشاهدة ﴿ والقول السيء ﴾ كالذم والشتم وتخشين الكلام ﴿ والقطوب ﴾ وهو عبوسة الوجه ﴿ وهتك الستر ﴾ أى ببيان اعطائه له فى الملأ حوله ﴿ والاستخفاف ﴾ أى بقوله ﴿ والاستحقار ﴾ بفعله ﴿ والسبب ﴾ أى الباعث على المن والاذى ﴿ استكثار العطاء ﴾ واستثقاله وهو حق لان من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى ألفا فهو شديد الجهل، ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا المولى وللثواب فى دار العقبى فلا وجه لكراهيته أصلا ﴿ والتكبر على القابض الناشئان من الجهل ﴾ الحاصلان الحادثان من جهله ﴿ باستثقال رضائه تعالى على خسيس فان ﴾ أى فى اصل بنائه كما تقدم ﴿ ونسيان فضل الفقير ﴾ أى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغني وعرف خطر الاغنياء وحظ الفقراء لما استحقر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته، فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد « فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » الترمذى عن أبى سعيد ﴿ والمراد ﴾ أى بالبطلان فى قول الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) ﴿ عدم كون ذلك الاعطاء صدقة ﴾ أى مقبولة نافعة كل المنفعة أو صدقة مضاعفة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ﴿ لا الابطال ﴾ أى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان ﴿ فهو ﴾ أى الابطال من جميع الاحوال ﴿ ممتنع ﴾ فى صحيح الاقوال ﴿ ويستصغر ﴾ أى من حق العطاء ان يستحقر ﴿ الاعطاء ليعظم عنده تعالى ﴾ فيصير حبة مثل جبل

وَهُوَ بِذِكْرِ التَّوْفِيقِ وَالثَّوَابِ ، وَيُؤَدِّي مُسْتَحْيِيًا مِنْهُ تَعَالَى لِلْبُخْلِ الْحَامِلِ عَلَى الْحِفْظِ أَجْوَدَ الْمَالِ وَأَبْعَدَهُ مِنَ الشُّبْهَةِ فَوَرَدَ . (أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) *

احدويقال : ان الطاعة كلما استصغرت كبرت و كلما استعظمت صغرت ﴿وهو﴾ أى استصغاره انما يحصل ﴿بذكر التوفيق﴾ بأن يتأمل بعين التحقيق انه من أين له المال والى ماذا يصرفه فى المآل فالمال لله وله المنة اذ اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله فى محبة المولى ﴿والثواب﴾ أى وبالأجر والمثوبة ان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبي فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار مآله، وهذا معنى قوله ﴿ ويؤدى مستحييا منه تعالى ﴾ فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحييا منه سبحانه فى مقام التحقيق ﴿للبخل الحامل على الحفظ ﴾ أى على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه ﴿ اجود المال﴾ مفعول يؤدى أى يعطي احسن المال ﴿وابعده من الشبهة ﴾ أى واقربه الى الحلال ﴿فورد أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ تمامه (ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) أى لا تأخذونه الا مع كراهة وحياء ، وفى الخبر «سبق درهم مائة ألف درهم» النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وذلك بان يخرجه من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح ببذله وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاحد درهمين فاخرج درهما وللآخر سبعمائة ألف درهم فاخرج مائة ألف درهم فيصدق عليه انه غلب درهم مائة ألف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه وتعالى اعلم ، ثم رأيت فى رواية النسائى عن أبى ذر « سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان اخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف درهم فتصدق بها » وفى رواية الطبرانى عن أبى مالك الاشجعى « ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار و كان لآخر عشر أواق فتصدق منها باوقية و كان لآخر مائة أوقية فتصدق

(حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) . وَلأَنَّهُ تَعَالَى يَأْخُذُهَا فَوَرَدَ (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) فَلاَ يَدْخُلُ فِيمَا وَرَدَ (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لِمَنْ يَكْثُرُ بِإِعْطَائِهِ الأَجْرُ بِكَوْنِهِ مُتَّقِياً وَعَالِمًا فَوَرَدَ.(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وَصَادِقًا

منها بعشر اواق هم فى الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله. ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فى قوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فينبغى ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله واطيبه فورد « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » أخرجه مسلم عن أبى هريرة « وطوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية» ابن عدى والبزار ﴿ ولانه تعالى يأخذها فورد يأخذ الصدقات ﴾ أى فى قوله تعالى : (هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات) ﴿ فلا يدخل ﴾ تفريع لقوله يؤدى اجود المال أى حتى لا يدخل فى المال ﴿ فيما ورد ﴾ من ذم الكفار ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون ﴾ أى من البنات حيث قالوا : الملائكة بنات الله وتمامه :(وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) وهى الصبيان ﴿ لمن يكثر ﴾ متعلق يؤدى أى يخص اعطاءه لمن يكثر ﴿ باعطائه الأجر بكونه متقيا ﴾ والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجرون تجارة العقبى فقد قال تعالى: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وورد « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى » أبو داود والترمذى من حديث أبى سعيد « واطعموا طعامكم الاتقياء» ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له فى طاعة المولى ﴿ وعالما ﴾ فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات ﴿ فورد وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ وورد « أحب بطعامك من يحبه الله» وفى لفظ « من تحبه فى الله » ابن المبارك. وأبو جويبر عن الضحاك مرسلا، و كان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال : انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء. فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم فتفريغهم للعلم أفضل ، و كان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالعطاء. دون غيرهم فقيل : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان أفضل فقال: هؤلاء قوم هممهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتتت هممهم أوهم أحدهم فلأن أردهم واحد منهم الى الله أحب الىّ من اعطاء ألف من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال: هذا ولى من أولياء الله ماسمعت مذزمان كلاما أحسن من هذا،وهذا معنى قول المصنف ﴿ وصادقا ﴾

يَرَى النِّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى ،

أي فى تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه ﴿ يرى النعمة منه تعالى ﴾ أى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ماسواه ، فنى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل و يسر له الأسباب فاعطى وهو مقهور .ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عزوجل فى قلبه بأن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى أكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع فى مقام النقصان ، وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء ، وفى هذا المقام قال عليه السلام «لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ: عرف الحق لأهله » أحمد والطبرانى من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف ، ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال : أبو بكر رضى الله عنه : قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أفعل ولا أحمد الا الله عزوجل فقال عليه السلام : «دعها ياأبا بكر» وفى لفظ آخر انها قالت : لأبى بكر «بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك» فلم ينكر رسول الله ﷺ مع أن الوحى وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ كذا فى الاحياء ، وقال العراقى: رواه أبو داود ، ومن حديث عائشة بلفظ «فقال أبواى: قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت: أحمد الله لا اياكما» وللبخارى تعليقا فقال أبواى : قومى فقلت: لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن له» ولمسلم «فقالت لى أمى : قومى اليه فقلت: والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله» وللطبرانى «فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك» وله من حديث ابن عباس فقالت «لا بحمدك ولا بحمد صاحبك» وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر : «قومى فاحتضنى رسول الله فقالت : لا والله لا أدنو منه » الحديث، وفيه «انها قالت للنبى ﷺ بحمد الله لا بحمدك» ثم اعلم أن رؤية الأشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى :(واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون) ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن

وَساتِراً الحَاجتهفورد (يَحسبهم الجَاهِلُ أغنياءَ مِنَ التَّعفُّف) . ومُعيلاً ومَريضاً فورد (لِلفُقرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) وَذَا رَحِمٍ فَجَاءَ أَنَّ الصِّلَةَ بِدرهمٍ

الشرك الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده في مراتبه عن كدورات الشرك الخفي وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة أصلا، وهذا مرتبة جمع الجمع في التحقيق والله ولي التوفيق ﴿ وساترا الحاجته ﴾ أي ومخفيا لفاقته لا يكثر البث والشكوى في مضرة حالته ﴿ فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ﴾ تمامه : (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) أي الحاحا وتصريحا بل تعريضا وتلويحا أو لا يسألون أصلا فالنفي منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) حيث لا شفيع لهم أصلا وقطعا، وذلك لأنهم أغنياء بيقينهم وأعزة بصبرهم وتمكينهم فورد « ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس » متفق عليه من حديث أبي هريرة ﴿ ومعيلا ﴾ بضم الميم أي عاجزا عن نفقة أهله ﴿ ومريضا ﴾ أي محبوسا لمرض مانع له من كسبه ﴿ فورد للفقراء ﴾ أي خصوا صدقاتكم للفقراء ﴿ الذين احصروا في سبيل الله ﴾ أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب في علم وعبادة تمامه (لا يستطيعون ضربا في الأرض) أي سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها، فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها، وكان عليه السلام يعطي العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء ، قال العراقي : لم أجد له أصلا لكن لأبي داود من حديث عوف بن مالك « أن رسول الله ﷺ كان اذا أتى الفيء قسمه في يومه و يعطي الآهل حظين ويعطي العزب حظا » وقال أحمد: حديث حسن، أقول فكأن الغزالي نقله بمعناه لعدم استحضار مبناه أو اطلع على مالم يجده غيره بعده ؛ وورد « ان المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة » الحكيم والحاكم والبزار والبيهقي عن ابن عمر، وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال قلت: وضعف الحال والافار باب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بحباله ما يبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم فصادقهم ﴿ وذا رحم فجاء ان الصلة ﴾ أي صلة الرحم ﴿ بدرهم

أَحَبُّ من التَّصَدُّق بعشرين الى الأَجْنَبِيِّ، والأَوْلَى طَلَبُ الجَامِع ايَّاهَا أوْ أَكْثَرِهَا، ويتصدق كل يوم ولايرد سائلا فيسكت ان لم يقدر وهو المأثور الّا بلطف فورد (قَوْلٌ معروف ومغفرة خيرٌ من صدقة يتبعها أَذًى).

أحب من التصدق بعشرين الى الاجنبي ﴾ فعن علي لأن أصل أخا من اخواني بدرهم أحب الى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب الى من ان اتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب الى من أن أعتق رقبة، وأما الاصدقاء واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الأقارب على الأجانب، وقد ذكر السيوطي في خماسيته ان ثواب الصدقة خمسة أنواع واحدة بعشرة وهي على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهي على الأعمى والمبتلي وواحدة بتسعمائة ألف وهي على ذي قرابة محتاج وواحدة بمائة ألف وهي على الأبوين وواحدة بتسعمائة ألف على عالم أو فقيه ﴿ والاولى طلب الجامع إياها ﴾ أي طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات المسطورة ﴿ أو اكثرها ﴾ فإن مالا يدرك كله لا يترك كله وبقدر مايتغني يحصل له مايتمنى فان وجد من جمع هذه المراتب في أعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ﴿ ويتصدق كل يوم ﴾ أي ليكتب في المتصدقين وقد ورد « باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة » الطبراني في الأوسط عن علي والبيهقي عن أنس ﴿ ولا يرد سائلا ﴾ فورد « ردوا السائل ولو بظلف محرق » مالك وأحمد والبخاري في تاريخه والنسائي عن حواء بنت السكن، وفي رواية العقيلي عن عائشة « ردوا مذمة السائل - أي بغيته وشهوته - ولو بمثل رأس الذباب » العقيلي عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ﴿ فيسكت ان لم يقدر ﴾ على العطاء ﴿ وهو المأثور ﴾ فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه عليه السلام « كان لا يكاد يقول لشيء لا فاذا هو سئل فاراد أن يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت » رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن أنس كان عليه السلام « لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت » ﴿ الا بلطف ﴾ وهو المشهور عن الجمهور ﴿ فورد قول معروف ﴾ أي كلام حسن ورد على السائل مستحسن، وقيل عدة حسنة، وقيل دعوة صالحة ﴿ ومغفرة ﴾ أي ستر خلة أو سد فاقة ورفع حاجة ﴿ خير من صدقة ﴾ يدفعها اليه حال كونه ﴿ يتبعها اذى ﴾ أي يعقبها به لديه أو من عليه، والاولى أن يستدل بقوله تعالى : (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك

وَلَا يَنْهَرُ فَأَوْعَدَ فِيهِ الْعَذَابَ فِي النَّارِ أَلْفَ عَامٍ وَيَغْتَنِمُ السُّؤَالَ وَيُسِيءُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ عِنْدَ فَقْدِهِ، وَلَا يَتَوَقَّعُ جَزَاءً أَوْ دُعَاءً أَوْ شُكْرًا أَوْ ثَنَاءً وَيُكَافِئُ بِمِثْلِهِ إِنْ دَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ أَوْ أَثْنَى وَيَجْعَلُهَا لِوَالِدَيْهِ الْمَاضِيَيْنِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيُقَدِّمُ نَفَقَةَ النَّفْسِ وَالْعِيَالِ فَهُوَ فَرْضٌ

ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) اى ذا يسر ولين وهى العدة أى فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جزيلا نحو يرزقنا الله واياك واعطانا الله وأعطاك ﴿ ولا ينهر ﴾ أى ومن حق العطاء انه لا يزجره ولا يقهره وبه فسر قوله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر) أى اذا سألك فاما ان تطعمه طعاما لينا واما أن ترده ردا هينا ﴿ فأوعد فيه العذاب فى النار ألف عام ﴾ لم أعرف له أصلا ﴿ ويغتنم السؤال ﴾ بالمصدر أى سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله الى جنابه كما ورد فيما تقدم « ويحتمل أن يكون السؤال على وزن الجهال جمع سائل » فعن ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة، وعن ابن عمر مرفوعا « هدية الله الى المؤمن السائل على بابه » رواه الخطيب ﴿ ويسيء الظن بنفسه عند فقده ﴾ أى عند عدم وجدان السائل فى باب أنسه ﴿ ولا يتوقع ﴾ أى لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء أن يجازيه ﴿ جزاء أو دعاء أو شكرا أو ثناء ﴾ قال تعالى حكاية عن الابرار: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ﴿ ويكافيء ﴾ بالهمز أى يجازى المعطى ﴿ بمثله ﴾ بنظير دعاء الفقير ﴿ ان دعا له بالخير ﴾ ونحوه من الجزاء ﴿ أو اثنى ﴾ عليه بأن مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير : « لقد تصدقت بخمسين ألفا وان درعها لمرقع، وكانت هى وأم سلمة اذا أرسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه يشبه المكافأة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما ﴿ ويجعلها ﴾ أى ثواب صدقته ﴿ لوالديه الماضيين ﴾ أى المتوفين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما أو صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ما على أحدكم اذا أراد ان يتصدق أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل اجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء » ابن النجار ﴿ فالكل مأثور ﴾ وفى كتب الحديث مسطور ﴿ ويقدم نفقة النفس والعيال فهو ﴾ أى تقديمها ﴿ فرض ﴾ وقد ورد « ابدأ

وَيُبَاكِرُ لِيُبَادِرَ بِهَا الْبَلَاءَ، وَيَغْتَنِمُ عَلَى مَنْ رَقَّ لَهُ الْقَلْبُ فَهُوَ عَلَامَةُ صِدْقِ السَّائِلِ وَلَا يَحْقِرُ مَا عِنْدَهُ

بمن تعول» متفق عليه «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلأهلك فان فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا» النسائي، وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة «إذا أنعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته» «وقدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم» أبو داود من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه. ورواه النسائي وابن حبان أيضا بتقديم الزوجة على الولد، ويجمع بين الحديثين بأن الولد صغير في الأول وكبير في الثاني، وقال ﷺ يوما لأصحابه: «تصدقوا فقال رجل: عندي دينار فقال: أنفقه على نفسك قال: ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال: ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال: ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال أنت أبصر به» أبو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة (ويباكر) أي يخرج الصدقة أول النهار ليدخل في قوله تعالى: (ويسارعون في الخيرات) (ليبادر بها) أي بالصدقة (البلاء) أي دفعه فورد «الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات» الديلمي عن أنس؛ وفي رواية البيهقي عنه والطبراني في الأوسط عن علي «باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة» وورد «الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهونها الجذام والبرص» الخطيب عن أنس «الصدقة تمنع ميتة السوء» القضاعي عن أبي هريرة (ويغتنم) الصدقة (على من رق له القلب) لأنه من علامة انه رحمه الرب (فهو) أي رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد «لو صدق السائل ما أفلح من رده» العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة، وللطبراني نحوه من حديث أبي امامة. وللبيهقي عن عائشة «لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لا تردوا السائل ولو بشق تمرة» (ولا يحقر ما عنده) لقوله تعالى: (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولقوله تعالى حكاية عن لقمان (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل) الآية قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة، ولقوله سبحانه: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فربما يكون خيره عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا، فورد «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة

وَيُحَصِّلُ أَنْوَاعَهَا كَارْشَادِ الضَّالِ.وقُرْبَانِ الْمَرْأَةِ لِلتَّعفُّفِ ،

من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيبا الا كان الله يأخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله اوفلوه حتى تبلغ الثمرة مثل احد» البخارى تعليقا ومسلم والترمذى . والنسائى فى الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث أبى هريرة « واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم « وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا . ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن « اشتر نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » وللبزار . وأبى يعلى من حديث أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » وقال عليه السلام لأبى ذر : « اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف » رواه مسلم ، وفى رواية العقيلى « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب » ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال: اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين ، وعن على « كم من حور ما كان مهرها الاقبضة من حنطة أو مثلها من تمر » العقيلى عن ابن عمر ، وكان عليه السلام : « لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده » ، الدارقطنى من حديث أنس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البر مرسلا ﴿ ويحصل أنواعها ﴾ أى يجتهد فى تحصيل أنواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما « (كارشاد الضال) » أى دلالته على صاحبه اوورده الى بابه فروى الترمذى وغيره عن أبى ذر مرفوعا « تبسمك فى وجه أخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الأرض الضالة صدقة » الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء « من منح منحة ورق او منحة لبن » أو هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة أو دلالته عن جهله وضلالته فورد « لان يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم » أى من صدقتها ﴿ وقربان المرأة ﴾ اى جماعها ﴿ للتعفف ﴾ اى من اجله أو من اجلها فروى أبو داود عن أبى ذر « يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقى صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الأذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا : يارسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال : أرأيت لو وضعها فى غير حلها

وَالْعَدْل بَيْنَ الْاثْنَيْن وَالْحَمل عَلَى الدَّابَّة وَطيب الْكَلَام . وَالْخطْوَة الَى الصَّلَاة. وَالانْفَاق عَلَى الْعيَال . وَالتَّبَسُّم فى وَجْه أَخيه . وَاطْرَاق الْفَحْل . وَاعَارَة الدَّلْو.

الم يكن يأثم؟ » وفى رواية النسائى. وابن حبان . وغيرهما عن أبي ذر ايضا « ولك فى جماع زوجتك اجر أرأيت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات ا كنت تحتسب به ؟ قال نعم قال: أفانت خلقته وأنت هديته وانت رزقته؟ قال لا قال فضعه فى حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله أحياه وان شاء أماته ولك أجر » ﴿ والعدل بين الاثنين ﴾ من الزوجين وغيرهما فعن أبى هريرة « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة » الحديث. احمد والشيخان. (والحمل على الدابة) . لما سبق من الحديث، والمعنى حمل الغير أو متاعه على دابته أو دابة نفسه ﴿ وطيب الكلام ﴾ فعن ابن عباس « الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة » الطبراني، وفى رواية لمسلم والنسائى عن أبى ذر « فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة » الحديث، وتقدم حديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » ﴿ والخطوة الى الصلاة ﴾ فعن ابى هريرة برواية أحمد. والشيخان « وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة » . (والانفاق على العيال) . فعن جابر « ما أنفق المسلم من نفقة على نفسه واهله الا كتب له بها صدقة » الحديث ابن عساكر، وللحاكم فى مستدركه عن أنس « ان نفقتك على اهلك وخادمك صدقة » وفى رواية الخطيب عنه « كل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة » ، وفى رواية أحمد. وغيره عن أبى أمامة « ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة » ﴿ والتبسم فى وجه أخيه ﴾ وقد تقدم حديث « وتبسمك فى وجه أخيك صدقة » وفى رواية أحمد وغيره عن جابر « كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط » وفى رواية له عن أبى ذر « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » ﴿ واطراق الفحل ﴾ أى من الابل والخيل - يعنى اعارته للضراب وهو نزوه على الأنثى - فى مسند أحمد. والترمذى عن أبى امامة « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله عز وجل أو منيحة خادم فى سبيل الله عز وجل » ﴿ واعارة الدلو ﴾ أى ونحوها الداخلة فى ذم منعها حيث قال تعالى: (ويمنعون الماعون)

وَالنَّفعِ بعلمٍ وغرسٍ وزرعٍ ونهرٍ وبئرٍ ومصحفٍ ومسجدٍ وتخليفِ ولدٍ يستغفر له وأفضلُها في الصحة وللمحتاج فدرهمٌ منه مثلُ سبعين، والقرضُ أفضلُ منها فهو بثمانيةَ عشرَ لوقوعه في كفِّ المحتاج، ولا ينذر فلعله لا يفي ونُهي عنه *

وقد روى البخاري في تاريخه عن أبي ذر «وافراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة» وفي رواية «ولوان تفرغ من دلوك في اناء المستسقى» ﴿والنفع بعلم﴾ أي شرعي فعن ابي هريرة «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم» ابن ماجه ﴿وغرس﴾ فعن أبي الدرداء «من غرس غرسا لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله الا كان له صدقة» أحمد ﴿وزرع﴾ فعن خلاد بن السائب «من زرع زرعا فأكل منه طير أو عافية كان له صدقة» أحمد، والعافية السبع ﴿ونهر وبئر ومصحف ومسجد وتخليف ولد يستغفر له﴾ فعن أبي هريرة «اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله» مسلم وغيره ﴿وأفضلها﴾ أي أفضل الصدقات أن يكون ﴿في الصحة﴾ أي حال العافية، ففي الصحيحين عن أبي هريرة «أفضل الصدقة وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان كذا» ﴿وللمحتاج فدرهم منه﴾ أي من أجله ﴿مثل سبعين﴾ أي درهما من أجل غير المحتاج ويتفرع عليه قوله ﴿والقرض أفضل منها﴾ أي من الصدقة ﴿فهو﴾ أي القرض ﴿بثمانية عشر﴾ أي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة ﴿لوقوعه في كف المحتاج﴾ كما ورد «دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت: ياجبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لأن الصدقة تقع في يد الغني والفقير والقرض لايقع الا في يد من يحتاج اليه» الطبراني عن أبي امامة ﴿ولا ينذر﴾ أي الأولى ان لاينذر فيجب عليه ﴿فلعله لايفي﴾ بنذره أو يفي ولكن مع كرهه ﴿ونهي عنه﴾ ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه عليه السلام «نهى عن النذر» وحمله على أنه من فعل البخلاء اذ السخي اذا أراد أن يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه وأتى به في الحال ولم يتركه الى الاستقبال، وفي مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة مرفوعا «لاتنذروا فان النذر لايغني عن القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل» وورد قال الله تعالى: «لايأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته

ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هو شيء استخرج به من البخيل فيوسى عليه مالم يكن يوسى عليه من قبل » أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة،وأما مامر في آداب الدعاء من الترغيب فى النذر فمحمول على ماإذا كان فى الاعمال الصالحة، والنهى عن النذر ههنا محمول على النذر فى المال لمظنة عدم الوفاء فى المآل بخلاف النذر فى الأعمال فالغالب فيه الوفاء فى الاستقبال ، ثم اعلم أنه ينبغى للقابض أمور ، منها ان يفهم ان الله سبحانه أوجب صرف الزكاة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه،وقد أكثر الله عزوجل الأموال ووضعها فى أيدى عباده من العمال والبطال لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فانفقه فى متن الخطر ومنهم من أحبه فحماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمى الشفيق مريضه مافى أكله من الضرر فيزوى عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجردوا لعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى،فلا يصرف عنهم فضول الدنيا،فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه أكثر مما أعطاه فليأخذ مايأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة،ومنها أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) فلا يأخذ من أموال من أكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الأمر وكان مايسلم اليه لايعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة،ومنها أن يتوقع مواقع الريبة والشبهة فى مقدار مايأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ مايتم به كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن رسول الله ﷺ : « ادخر لعياله قوت سنة» متفق عليه من حديث عمر « كان يعزل نفقة أهله سنة » وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى»،فاذا اقتصر على حاجة شهر أو يوم فهو أقرب للتقوى فى حق الأقوياء ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة،فمن مبالغ فى التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحنظلية انه عليه السلام « نهى عن السؤال مع الغنى فقال «غداؤه وعشاؤه » أبوداود . وابن حبان،وهو محمول عند الجمهور على السؤال لا فى جميع

﴿ الْبَابُ الثَّالِثُ فِى الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»

الأحوال لا ناللفظ الحديث «من سأل وله مايغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم» وقال آخرون : يأخذ على قدر حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذلم يوجب الله عز وجل الزكاة الا على الأغنياء فقالوا : له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وبالغ آخرون فى التوسع فقالوا : له ان يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى بها طول عمره أو يهىء بضاعة ليتجر فيها ويستغنى لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم إلى ان من افتقر فله ان يأخذ مايعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله أعلم بالأحوال، وقد ورد « ما المعطى من سعة بافضل اجرا من الذى يقبل من حاجة » ابن حبان. والطبرانى من حديث أنس، ومنها انه يأخذ مايعطى له حال الخلاء ولا يأخذ فى الملا فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا سرا فقبله فقيل له فى ذلك فقال: ان هذا عمل بالأدب فقبلته وذلك أساء أدبه فى عمله فرددته وأعطى رجل بعض الصوفية شيئا فى الملأ فرده فقال له: لم ترد على الله تعالى ما اعطاك ؟ فقال: انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك، وقبل بعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك قال: عصيت الله فى الجهر فلم اكن لك عونا على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك. فقال الثورى: لو علمت ان احدهم لايذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها، وأيضا فى اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه، وأيضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد «من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها» العقيلى وابن حبان فى الضعفاء. والطبرانى فى الاوسط والبيهقى من حديث ابن عساكر قال الفضيلى: لا يصح فى هذا المتن حديث، واما العارف فلا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد واختلاف الحال شرك فى التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد .

﴿ الباب الثالث فى الصوم وكسر الشهوة ﴾

اى الذى هو مراد القوم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ورد الصوم ﴾ أى فرضه ونفله ﴿ لى ﴾ أى مختص لاجلى لا يتصور كونه لغيرى ﴿ وانا اجزى به ﴾ بصيغة الفاعل وقيل

أَيْ جَزَاؤُهُ لِقَائِي أَوْمَعْرِفَتِي ، وَإِنَّمَا خَصَّ الصَّوْمَ بِالْإِضَافَةِ لِأَنَّهُ خُلُقٌ صَمَدِيٌّ أَوْعَمَلٌ سِرِّيٌّ أَوْ قَهْرُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمُعَامَلَةِ *

بالمفعول في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا أجزى به » وفي رواية لهما عنه « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة أضعاف الا الصيام فانه لي وانا اجزى به » وانما قال: وانا أجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته، ويومى اليه قوله تعالى: (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقد ورد « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذي وحسنه « والصبر نصف الايمان » أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن ﴿ اى جزاؤه لقائي ﴾ يعني رؤيتي في العقبى ﴿ اومعرفتي ﴾ أى في الدنيا ولا منع من الجمع ﴿ وانما خص الصوم بالاضافة ﴾ اى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه *(لانه)* من بين العبادات *(خلق صمدى)* فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية ، وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله، وروى « تخلقوا باخلاق الله » وقد قالوا : كل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله وانما قال : انا اجزى به مع أن جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته، وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته اونفاسته كما يشير اليه قوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) من اخفاء الأعمال ، وحديث « اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » *(او عمل سرى)* فانه قصد قلبي مع ترك المفطر الصورى والملائكة الكتبة لا يطلعون على مالا عمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لا يطلع عليه غيره *(أو قهر النفس والشيطان الذى هو)* أى قهرهما *(اصل المعاملة)* فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة الله ورسوله في حكمهما ، وأيضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين أيضا في قبضة الصائم فصار الصائم حينئذ متخلقا بخلق الحق في الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام، ومن هنا ورد « نوم الصائم عبادة »

وَأَدْنى رُتَبه الْكَفُّ عَن الشَّهوتين وَهُوَ مَناطُ الْجَوَاز عَن الأثْمِ وَهُوَ مَنَاطُ الْقَبُولِ فَوَرَدَ « خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصَّائم الْكَذِبُ وَالْغيبَةُ وَالنَّميمَةُ وَالْيمين الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَة » *

أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس ، « ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى: انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلى فالصيام لى وانا اجزى به ، متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو موعود بلقائه سبحانه فى جزاء صومه اذ ورد « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » متفق عليه أيضا، وفى الاحياء ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات، ولذا قال عليه السلام : « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » ﴿ وادنى رتبه ﴾ أى مراتب الصيام وهو الجواز اعم من أن يكون مقبولا املا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام ﴿ الكف عن الشهوتين ﴾ أى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة فى محله ﴿ وهو مناط الجواز ﴾ أى متعلق جواز الفتوى فى ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم ﴿ ثم كف الجوارح ﴾ اى منع الاعضاء من العين والأذن واللسان وسائر الأعضاء والاركان ﴿ عن الاثم ﴾ اى مطلق العصيان ﴿ وهو مناط القبول ﴾ لقوله تعالى : (انما يتقبل الله من المتقين) وهو صوم الخصوص ﴿ فورد خمس ﴾ أى خصال ﴿ يفطرن الصائم ﴾ بتشديد الطاء أى يجعلنه مفطرا حكما لا حقيقة ﴿ الكذب. والغيبة. والنميمة. واليمين الكاذبة: والنظر بشهوة ﴾ الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقول الحجة فى الاحياء جابر تصحيف، وقال أبو حاتم الرازى: هذا كذب اقول : لكن يقويه رواية الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس ، ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت أو شغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان عند الاعيان، وقد روى ليث عن مجاهد « خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب » وقال سفيان : الغيبة تفسد الصوم ، وورد « انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم » متفق عليه من حديث أبى هريرة، وجاء فى الخبر « ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله ﷺ

«كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَهُوَ الْمُفْطِرُ بِالْحَرَامِ، ثُمَّ كَفُّ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَحَقُّهُ أَنْ يَخَافَ الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ،

فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال عليه السلام : قل لهما : قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما عريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام: هاتان صامتا عما أحل الله سبحانه لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما قعدت احداهما الى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحوم الناس» أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول وكذا حكم غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل مايعرف وينكر والى كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر الرب فورد «النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عز وجل آتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته فى قلبه» الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الاصغاء إلى كل ما يكره من لغو ولهو، وقد ورد (والذين هم عن اللغو معرضون) والمغتاب والمستمع شريكان فى الاثم كذا فى الاحياء وهو غريب نعم للطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف «نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة» ﴿كم من صائم ليس له الا الجوع والعطش﴾ النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ﴿وهو المفطر بالحرام﴾ وقيل: المرتكب للاثم كالكذب والغيبة وسائر الآثام ﴿ثم كف القلب عما سواه تعالى﴾ أي عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به ﴿وهو﴾ اى هذا النوع من الصوم ﴿للانبياء والأولياء﴾ وهم خصوص الخصوص وفصوص الفصوص، وتوضيحه أن يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عن ماسوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر ومقاماته وبالفكر فى أمر الدنيا وشهواته ولهواته إلا دنيا تراد للدين وضروريا ته فان ذلك زاد الآخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره بتدبير مايستعمله فى افطاره كتبت عليه خطيئة من اوزاره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغى ان يكون بحال يصدق ان يقال فى حقه (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) ﴿وحقه﴾ اى الصوم على الصائم ﴿ان يخاف الرد ويرجو القبول﴾

وَيَقُولُ لِمَنْ قَاتَلَ أَوْشَاتَمَ انِّى صَائِمٌ فَهُوَ مَأْثُورٌ *

فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يردعليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها ، وروى عن الحسن بن أبى الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال: ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسىء باساءته وعصيانه اى لكان سرور المقبول بشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك ، وعن الاحنف بن قيس انه قيل له : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال : انى اعده لسير طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفى بابه اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه ، فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ، ومن هنا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ، ولذا قال العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام ﴿ ويقول ﴾ أى فى جنانه اوبلسانه ﴿ لمن قاتل ﴾ اى جادل أوضارب اوخاصم ﴿ أوشاتم انى صائم ﴾ أى فأنا ممسك عما لايليق به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على أن الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام أن لايتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى : (فاما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) ﴿ فهو مأثور ﴾ كما تقدم ، وقد ورد « انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم امانته » الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الأمانة فى الصوم واسناده حسن ، ولما تلا عليه السلام قوله تعالى: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال: السمع أمانة والبصر أمانة ، كذا فى الاحياء قال العراقى: أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة ، ثم لولا أن الصوم أمانة لما قال عليه السلام: « فليقل انى صائم » أى انى أودعت لسانى لاحفظه عن

وَلَا يُسْأَلُ عنه لأَنَّ الْمَسْؤُلَ إِنْ أَقَرَّ أَظْهَرَ وَإِنْ أَنْكَرَ كَذَبَ وَإِنْ سَكَتَ أُسْتَحْقِرَ .وَإِنِ احْتَالَ لِلْمُدَافَعَةِ تَعِبَ،وَلَا يُكْثِرُ الْأَكْلَ تَحَامِيًا عَنِ الْكَسَلِ فِي التَّهَجُّدِ وَبُطْلَانِ سِرِّهِ وَهُوَ قَهْرُ النَّفْسِ،وَطَرِيقُهُ مَعْرِفَةُ فَوَائِدِ الْجُوعِ

الاشتغال بك فكيف أطلقه بجوابك ﴿ ولا يسأل ﴾ بصيغة المجهول ﴿ عنه ﴾ أى عن صومه أوعن حاله بان يقال انك صائم أم لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا ﴿ لأن المسؤل ان أقر أظهر ﴾ وربما يتفرع عليه الرياء ﴿ وان أنكر كذب ﴾ وهو أعظم البلاء ﴿ وان سكت استحقر ﴾ أى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء ﴿ وان احتال للمدافعة تعب ﴾ أى فيما تفكر وتدبر ووقع فى العناء، وورد « لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه » الديلمى عن أبى هريرة مرفوعا ﴿ ولا يكثر الأكل ﴾ أى حال الافطار بحيث يمتلىء فما وعاء أبغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب، وأكلات بضمتين لقيمات كما فى رواية ﴿ تحاميا عن الكسل ﴾ أى فى الطاعة، وقد ورد « أعوذ بك من الكسل » لاسيما ﴿ فى التهجد ﴾ لما تقدم من أنه اذا أكثر الأكل أكثر الشرب واذا أكثر الشرب أكثر النوم واذا أكثر النوم ضيع عمره وفسد أمره وينبغى أن لا يكثر النوم فى النهار أيضا ليحس أثر الجوع والعطش والا فتقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته، وعن بعض الحكماء خمسة من الأشياء ابتلى الناس بها وكان هلاكهم فيها، أولها حب الشبع وفيه قساوة القلب، والثانى حب النوم وفيه نقصان العمر، والثالث حب الراحة وفيه الافلاس، والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل فى المآل، والخامس حب الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الأعمال ﴿ وبطلان سره ﴾ أى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة أمره ﴿ وهو قهر النفس ﴾ أى اذلالها للانقياد فيما خلقت لأجله والا فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاته فى نهاره، ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام ﴿ وطريقه ﴾ أى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم ﴿ معرفة فوائد الجوع ﴾ فقد قيل : الجوع عز له والشبع ذل كله، وورد

وَهِيَ صَفَاءُ الْقَلْبِ فَوَرَدَ « مَنْ أَجَاعَ بَطْنَهُ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفَطِنَ قَلْبُهُ »، وَرِقَّتُهُ فَوَرَدَ « مَنْ شَبِعَ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ » وَالاسْتِلْذَاذُ بِالطَّاعَةِ . وَالانْكِسَارُ . فَالْبَطَرُ سَبَبُ الْمَعْصِيَةِ . وَالْغَفْلَةِ .

« صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » الديلمى عن ابن عمر ؛ وقال بعضهم: « اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة أشياء فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن أشفى الأدوية فقالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الحكماء عن أعون الأشياء على طلب الحكمة ؟ فقالوا : الجوع وقلة الأكل وسالت العباد عن أنفع الأشياء فى العبادة قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الزهاد عن أقوى الأشياء على الزهادة ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت العلماء عن أفضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه؟ قالوا : الجوع وقلة الاكل وسألت الملوك عن أطيب الادام والذ الطعام قالوا : الجوع وقلة الاكل ﴿ وهى ﴾ أى فوائده ثلاثة عشر ﴿ صفاء القلب ﴾ أى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب ﴿ فورد من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ﴾ أى وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت نهمته، والحديث لم أجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه : يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة، وقد ورد « ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت » ابن ماجه عن أنس، وفى رواية البيهقى عن عائشة « أكثر من أكلة كل يوم سرف » وعن سلمان « ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » ابن ماجه . والحاكم ، ومن حديث ابن عباس « ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع فى الآخرة » الطبرانى، وعن يحيى بن معاذ يامعشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع ﴿ ورقته ﴾ أى ورقة القلب وتأثره بذكر الرب ﴿ فورد من شبع ونام قسا قلبه ﴾ لم أعرفه بهذا اللفظ نعم ورد « أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » أبو نعيم وغيره، ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه ﴿ والاستلذاذ بالطاعة ﴾ أى التلذذ بالعبادة كما يعرفه أهل الارادة ﴿ والانكسار ﴾ أى الذل الحاصل من مقام الافتقار ﴿ فالبطر سبب المعصية والغفلة ﴾ والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة، وقد ورد « عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للاشر » أبو نعيم فى الطب عن

وَذِكْرُ عَطَشِ الْعَرَصَاتِ . وَجُوعِ الْجَحِيمِ . وَكَسْرِ شَهْوَةِ الْفَرْجِ فَاسْتِيلَاؤُهَا بِالشِّبَعِ وَدَفْعِ النَّوْمِ فَهُوَ يُكِلُّ الطَّبْعَ وَيُضَيِّعُ الْعُمُرَ . وَيُفَوِّتُ الْقِيَامَ وَالتَّهَجُّدَ . وَيُيَسِّرُ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الطَّاعَةِ لِخِفَّةِ الْبَدَنِ . وَالْفَرَاغِ عَنِ الْاهْتِمَامِ بِالتَّحْصِيلِ . وَالْإِعْدَادِ . وَالْأَكْلِ . وَالْفَرَاغِ . وَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ الشَّاغِلَةِ عَنْهَا فَوَرَدَ « الْمَعِدَةُ بَيْتُ كُلِّ دَاءٍ » وَخِفَّةِ الْمُؤْنَةِ .

شداد بن أوس ﴿ وذكر عطش العرصات ﴾ أي موقف القيامة بحيث تكون الشمس قريبة من رأسه قدر القامة، وفي الخبر « يوضع للصائمين مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون » أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس ﴿ وجوع الجحيم ﴾ كما قال تعالى : (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع) وقد ورد « الصوم يبعد من حر السعير » الطبراني عن أنس ﴿ وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع ﴾ ولذا ورد « من استطاع منكم أن يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه من حديث ابن مسعود ﴿ ودفع النوم ﴾ أى فى الجملة ﴿ فهو ﴾ أى النوم الكثير ﴿ يكل الطبع ﴾ أى يجعله كلا فى فهم الكلام ﴿ ويضيع العمر ﴾ بقدر المنام ﴿ ويفوت القيام ﴾ بمقاصد المرام ومراصد المقام ﴿ والتهجد ﴾ وهو القيام والناس نيام ﴿ وييسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن ﴾ المستلزمة للمواظبة على العبادة كما يعرفه أرباب السعادة ﴿ والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل ﴾ أى تحصيل الكثير فان أمر القليل يسير ﴿ والاعداد ﴾ أى تهيئة ما يحتاج للاكل من نحو الطبخ والنفخ ﴿ والاكل ﴾ أى نفسه من الفعل ﴿ والفراغ ﴾ بالجر أى والفراغ عن الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية ﴿ ودفع الامراض الشاغلة عنها ﴾ أى عن العبادة الكاملة ﴿ فورد المعدة ﴾ بفتح فكسر وبكسر فسكون ﴿ بيت كل داء ﴾ أخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا بلفظ « والازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد » ذكره السيوطى، والازم الحمية. وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت عن وهب بن منبه قال : اجتمع الاطباء على أن رأس الطب الحمية قلت : واجتمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت ﴿ وخفة المؤنة ﴾ فانها مطلوبة فى مقام

وَالاكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ . فَطَلَبُ الزِّيَادَةِ يُورِثُ الْمَذَلَّةَ . وَتَحْصِيلَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ ، وَإِمْكَانُ الْإِيثَارِ بِالْفَاضِلِ لِيَكُونَ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ التَّقْلِيلُ بِالتَّجْرِيدِ الَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْقِوَامُ وَانْ لَمْ يُطِقْ فَالْأَكْلُ بَعْدَ صِدْقِ الشَّهْوَةِ ، وَيُعْرَفُ بِأَنْ لَا يَنْتَظِرَ الأُدَامَ . أَوْلَا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى الْبِزَاقِ . وَالتَّرْكُ مَعَ بَقَائِهِ ، وَالْأَصْوَبُ الاكْتِفَاءُ بِمَا يُقَوِّى عَلَى الْعِبَادَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ ، أَمَّا الْوَقْتُ فَكَانُوا يَطْوُونَ

المعونة ﴿ والاكتفاء بالقليل ﴾ فان الكثير قل ان يكون حلالا ولحديث «قليل يكفيك خير من كثير يطغيك» ﴿ فطلب الزيادة يورث المذلة ﴾ أى فى كسبها ﴿ وتحصيل الحرام ﴾ بسببها ﴿ والشبهة ﴾ أى بلا شبهه فى حبها ﴿ وامكان الايثار بالفاضل ﴾ أى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته ﴿ ليكون فى ظله ﴾ أى ظل ما ينفقه فى سبيل الله ﴿ يوم القيامة ﴾ فروى « ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » القضاعى عن عقبة بن عامر « ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته » ابن زنجويه عن بعض الصحابة ﴿ ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام ﴾ وهو طريق رياضة المشايخ الكرام ، وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع ياصمد من غير شيبه ولا شيء كمثله ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب ﴿ وان لم يطق ﴾ أى التقليل وهو الانسب أو ما يحصل به القوام وهو الاقرب ﴿ فالاكل بعد صدق الشهوة ﴾ أى تحقق الرغبة ﴿ ويعرف ﴾ الصدق ﴿ بان لا ينتظر الادام ﴾ بعد حضور الخبز فى المقام ﴿ ولا يقع الذباب على البزاق ﴾ فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا أو مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة ومعد للخيالات المنكرة ﴿ والترك ﴾ بالرفع اى يترك الاكل ﴿ مع بقائه ﴾ أى بقاء الميل فى اثنائه ﴿ والاصوب ﴾ أى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب ﴿ الاكتفاء بما يقوى على العبادة ﴾ فانها هى المقصودة من اولى الألباب ﴿ فهو المأثور ﴾ عن الجمهور ﴿ وهو ﴾ أى ما يقوى ﴿ يختلف بحسب الاحوال ﴾ وكذا بتفاوت امزجة الرجال ﴿ اما الوقت ﴾ اى قدر زمن الجوع والتقليل ﴿ فكانوا ﴾ اى بعض السلف ﴿ يطوون

يومين فصاعداً الى خمسين، والاقتصاد هو الأكلة فى اليوم والليلة وهو الوسط المروى عنه عليه السلام فورد « ان أكلتين فى يوم من السرف » والأحب التسحر بها ليتهجد على فراغ المعدة . ويتقوى على الصوم وهو المروى وان منع الحضور يفطر بنصف ويتسحر بآخر استعانة على الطاعتين

يومين فصاعدا ﴾ اى ثلاثة ﴿ الى خمسين ﴾ يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد ﴿ والاقتصاد ﴾ فى الاكل بحسب الوقت المناسب لأكثر العباد من الزهاد والعباد ﴿ هو الاكلة فى اليوم ﴾ ان لم يكن صائما ﴿ والليلة ﴾ حين افطاره ﴿ وهو الوسط المروى عنه عليه السلام ﴾ أى فى بعض المقام، وفى الخبر «اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد» أبونعيم فى الحلية عن أبى سعيد ﴿ فورد انا كلتين فى يوم من السرف ﴾ وقد تقدم ما اخرجه البيهقى وضعفه عن عائشة قالت : «رآنى النبى عليه السلام وقد أكلت فى اليوم مرتين فقال ياعائشة اما تحبين ان يكون لك شغل الا فى جوفك الا كل فى اليوم مرتين من الاسراف والله لايحب المسرفين» وفى رواية له أيضا «ياعائشة اتخاذك الدنيا بيطنك اكثر من أكلة كل يوم سرف والله لايحب المسرفين» الا ان المعروف فى شمائله انه عليه السلام كان غالبا يأكل مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء، وفى الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك فى الحديث المشهور وهو المذكور فى قوله سبحانه فى حق أهل الجنة (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على ا كلتين مشبعتين أو على اكلتين فى نهار وا كلة فى ليلة ﴿ والأحب التسحر بها ﴾ اى بتلك الا كلة ان كان يكتفى بها فهو أولى من اول الليلة ﴿ ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروى ﴾ اى مع انضمام الا كلة أول الليلة ، وفى الخبر « تسحروا فان فى السحور بركة » متفق عليه «واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل » ابن ماجه. والحاكم عن ابن عباس، وقيل المروى هو ما ورد فى حديث عائشة « كان عليه السلام يواصل الى السحر» وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة « وقال: ماواصل عليه السلام وصالكم هذا قط غيرانه أخر الا كل الى السحر» ﴿ وان منع ﴾ أى الجوع ﴿ الحضور ﴾ بالطاعة من التهجد وغيره ﴿ يفطر بنصف ﴾ « أى من قرصه أو من قدر عادته فى حال شبعه « (ويتسحر بآخر استعانة على الطاعتين)» أى طاعة الباطن وهو الحضور فى مقام السرور وطاعة الظاهر وهى الطاعة بالجوارح فيبقى نور على

فَالْجُوعُ الشَّاغِلُ عَنْهُ تَعَالَى مَذْمُومٌ ، وَأَمَّا الْجِنْسُ فَالْأَعْلَى مِنَ الْخُبْزِ الْبُرُّ الْمَنْخُولُ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْمَنْخُولُ . وَالْبُرُّ الْغَيْرُ الْمَنْخُولِ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْغَيْرُ الْمَنْخُولِ وَمِنَ الْأَدَامِ اللَّحْمُ

نور ﴿ فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم ﴾ كما أن الشبع الشاغل عنه سبحانه مشؤم وقد ورد « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع . وقد أشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله « فرب مخمصة شر من التخم » ﴿ وأما الجنس ﴾ أى جنس المأكول ﴿ فالاعلى من الخبز البر المنخول ﴾ وفيه سعة ﴿ ثم الشعير المنخول ﴾ وفيه رخصة ﴿ والبر الغير المنخول ﴾ فهو توسط ﴿ ثم الشعير الغير المنخول ﴾ وهوسنة ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام « كان يبيت الليالى المتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أخرجه الترمذى وابن ماجه ، وفى الشمائل عن عائشة انها قالت « ماشبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متابعين حتى قبض رسول الله ﷺ » وفى شمائل الترمذى عن سهل بن سعد انه قيل له : أكل عليه السلام النقى ؟ يعنى الحوارى . فقال سهل : مارأى عليه السلام النقى حتى لقى الله عزوجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام ؟ قال : ما كانت لنا مناخل فقيل كيف تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفخه فيطير ماطار ثم نعجنه ، لايقال المنخل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ فانا نقول : ليس كل ماابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد تكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ، ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) أى المستلذات للخلق ﴿ ومن الادام ﴾ أى والاعلى من الادام ﴿ اللحم ﴾ وقد ورد « سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم » رواه ابن ماجه . وابن أبى الدنيا من حديث أبى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ « سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز » أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى ، وعن صهيب بلفظ « سيد الطعام فى الدنيا والآخرة اللحم ثم الارز » أخرجه الديلمى من جهة الحاكم ، وعن بريدة أيضا مرفوعا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية ، رواه الطبرانى وكذا أبو نعيم لكن بلفظ آخر ، ومما يقويه حديث

وَالْحَلْوَاءُ ثُمَّ الدُّهْنُ . ثُمَّ الْمِلْحُ. وَالْخَلُّ، وَالْمَحْمُودُ الْوَسَطُ فَالطَّرَفَانِ شَاغِلَانِ فَوَرَدَ (وَالَّذِينَ اذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا »

« فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخرجه الترمذى وغيره ، وفى الشمائل انه عليه السلام « أكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشوية وكان يحب الذراع ويقول: ان أطيب اللحم لحم الظهر » وفى الاحياء عن على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه ﴿ والحلواء ﴾ من التمر وغيره فعن عائشة « كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل » رواه أصحاب الكتب الستة « وكان يعجبه الحلو البارد » كما فى الشمائل وأما حديث « المؤمن حلوى والكافر خمرى » فقال ابن حجر العسقلانى : باطل لا أصل له « وكان يحب الدباء » كما فى الشمائل وغيره عن أنس « وكان يحب القثاء » كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ ﴿ ثم الدهن ﴾ وفى معناه السمن فقد ورد « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » وفى لفظ « فانه مبارك » أحمد والترمذى وابن ماجه عن عمر وصححه الحاكم على شرطهما ﴿ ثم الملح ﴾ فعن أنس مرفوعا « سيد ادامكم الملح » ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى ﴿ والخل ﴾ فعن عائشة أنه عليه السلام قال: « نعم الادام الخل » الترمذى ورواه مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ « سأل أهله الادام فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل » وعن أم سعد مرفوعا « نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل ، وفى رواية فانه كان إدام الانبياء من قبلى وفى حديث « لم يفتقر بيت فيه خل » رواه ابن ماجه، وأما حديث « خير خلكم خل خمركم » فرواه البيهقى فى المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوى ﴿ والمحمود الوسط فالطرفان ﴾ أى الاعلى والادنى ﴿ شاغلان ﴾ عن العبادة للمتجرد الزاهد وأما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) ﴿ فورد والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ﴾ أى لم يبذروا ﴿ ولم يقتروا ﴾ أى لم يبخلوا ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ ولا شك ان قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم ﴿ خير الأمور أوساطها ﴾ رواه البيهقى عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله

وَالْأَوْلَى أَنْ لَا يُوَاظِبَ عَلَيْهِ وَيَتْرُكَ الْمُشْتَهَى قَطْعًا لِلْأُنْسِ بِالدُّنْيَا ، وَوَرَدَ
(أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) . «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ
أَجْسَامُهُمْ» وَإِنَّمَا هِمَّتُهُمْ أَنْوَاعُ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّهْوَتَيْنِ قَضَاءً وَلَا بَيْنَ
الشِّبَعِ وَالنَّوْمِ فَهُمَا غَفْلَتَانِ » فَوَرَدَ « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالصَّلَاةِ

تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله: (كنتم خير أمة) ﴿ والاولى أن لا يواظب عليه ﴾ أي على الادام في جميع الليالي والأيام ﴿ ويترك المشتهى ﴾ أي وأن يترك ماتشتهيه النفس ﴿ قطعا للانس بالدنيا ﴾ وطمعا لمجلس القدس في العقبي وفيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وورد « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة » ﴿ وورد ﴾ أي في توبيخ الكفار ﴿ أذهبتم طيباتكم ﴾ أي مستلذاتكم ﴿ في حياتكم الدنيا ﴾ والظاهر انها محمولة على المحرمة اذلا تبعة في المباحات أو مختصة بالكفار لكن قد يقال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه في المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة ﴿ شرار أمتي الذين غذوا ﴾ بصيغة المجهول من الغذاء بالمعجمتين أي تربوا ﴿ بالنعيم ﴾ من غير فرق بين الحلال والحرام ﴿ ونبتت عليه أجسامهم ﴾ وكل جسد نبت من أكل الحرام فالنار أولى به كما في رواية ﴿ وانما همتهم أنواع الطعام واللباس ﴾ أي من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم مايرون من فعل عامة الناس والحديث رواه ابن عدي في الكامل، ومن طريقة البيهقي في شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها ، وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدار قطني في العلل: هو اشبه بالصواب ، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به ﴿ ولا يجمع بين الشهوتين ﴾ اى المشتهاتين كاللحم والفاكهة اوالفا كهتين ﴿ قضاء ﴾ أي اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز ان يجمع بنية ادراك خاطر المضيف وغيره، وقد ثبت في الشمائل انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب، وفي رواية بين الخزير والرطب وفي اخرى بين القثاء والرطب وقال برد هذا بحر هذا ﴿ ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان ﴾ وفي كثرتهما حسرتان وخسارتان ﴿ فورد أذيبوا طعامكم ﴾ اى اهضموه ﴿ بالصلاة

وَالذِّكْرِ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ » وَيَكْتَفِي بِالتَّمْرِ تَحَرُّزًا عَنِ التَّفَكُّهِ ، وَيُؤْلِمُ النَّفْسَ فِي ابْتِدَاءِ الرِّيَاضَةِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ يَجْتَنِبُهُ وَيَأْمُرُ ابْنَهُ بِأَكْلِ الْخُبْزِ يَوْمًا مَعَ اللَّحْمِ ثُمَّ اللَّبَنِ ثُمَّ الدُّهْنِ . ثُمَّ الزَّيْتِ. ثُمَّ الْمِلْحِ ثُمَّ وَحْدَهُ وَلَا يَأْكُلُ فِي الْخَلَاءِ مَا يَتْرُكُهُ فِي الْمَلَأِ فَهُوَ شِرْكٌ خَفِيٌّ *

والذكر ﴾ واعلاه التلاوة ﴿ ولاتناموا عليه ﴾ أى على الشبع من غير طاعة ربكم ◦ (فتقسو قلوبكم﴾ أبونعيم وغيره عن أنس ◦ (ويكتفى بالتمر تحرزا عن التفكه)◦ اى التنعم فعن النعمان بن بشير «رأيته ﷺ وما يجد من الدقل مايملأ بطنه » الترمذى فى شمائله؛ وقيل: معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفى بكل فاكهة اشتهت نفسه من الطعام فيأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم أكل الفاكهة اما اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة ويناسبه ماحكى عن بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابتدىء بالتمر فان قامت به كفايتك والا أخذت من الخبز بقدر حاجتك ﴿ ويؤلم النفس ﴾ اى يؤدبها ويهذبها ◦ (فى ابتداء الرياضة) ◦ قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) * (فكان عليه السلام يحب العسل)◦ أى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وأيضا اراد أن يقتدى به جميع افراد الانسان ◦(وعمر رضى الله عنه يجتنبه)◦ أى العسل او الادام تركا للذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل ◦(ويأمر ابنه)* أى عبد الله على ماهو الظاهر ◦(بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن)◦ اى يوما ◦(ثم الدهن)◦ أى دهن الزيت ونحوه أو السمن ويؤيده قوله ◦ (ثم الزيت)◦ اللهم الا أن يقال المراد به الزيتون مجازا، وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة ◦(ثم الملح ثم وحده)* أى الخبز من غير ادام معه ◦(ولا يأكل فى الخلاء مايتركه)◦ اى شيئا أو قدرا يتركه ◦(فى الملأ)◦ فانه من باب السمعة والرياء، وكذا لا يعبد فى الملأ ما يتركه فى الخلاء فانه من اخلاق أهل النفاق﴿ فهو شرك خفى ﴾ وقد قال سبحانه وتعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفى الحديث القدسى «انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »

وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ بِالتَّقْلِيلِ فَهُوَ أَفْحَشُ مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَيُؤَخِّرُ السَّحُورَ ، وَيُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ ، وَيَبْتَدِيءُ بِالتَّمْرِ أَوِ الْمَاءِ ، وَيُفَطِّرُ صَائِمًا فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَسْتَعِدُّ فِي شَعْبَانَ بِالتَّوْبَةِ ، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ ، وَتَرْكِ الشَّوَاغِلِ ، وَيَخُصُّ رَمَضَانَ بِالصَّدَقَةِ . وَالتِّلَاوَةِ . وَالِاعْتِكَافِ لَاسِيَّمَا الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاظَبَ عَلَيْهِ

مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ﴿ ولا يريد ﴾ أي وينبغي ان لا يريد ﴿ ان يعرف ﴾ بين الناس ﴿ بالتقليل ﴾ أي بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل ﴿ فهو ﴾ أي التقليل رياء ﴿ افحش ﴾ اى أقبح ﴿ من الاكثار ﴾ مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام ﴿ ويؤخر السحور ﴾ وهو بفتح السين مايتسحر به وبالضم التسحر وهو الأكل في السحر وهو السدس الاخير من الليل *(ويعجل الافطار)ه فى كل منهما وردت الآثار فعن ام حكيم « عجلوا الافطار واخروا السحور » الطبراني، وعن أنس « بكروا بالافطار وأخروا السحور » ابن عدى، وعن ابن عباس «انا معاشر الأنبياء امرنا ان نعجل افطارنا و نؤخر سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا فى الصلاة» الطيالسى، وعن أبى ذر « لاتزال أمتي بخير ماعجلوا الافطار وأخروا السحور » رواه أحمد ه(ويبتدىء بالتمر)ه والرطب أفضل ﴿ أو الماء ﴾ عندعدمهما وزمزم أفضل ولا منع من الجمع، وعن أنس « كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء» ﴿ ويفطر صائما ﴾ واقله واحد وورد « من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لاينقص من اجر الصائم شيء » أحمد والترمذى. وابن حبان عن زيد بن خالد ه(فالكل مأثور)ه وفى ضمن الشرح مسطور ه(و يستعد فى شعبان)ه لاستقبال رمضان ﴿ بالتوبة ﴾ أي الاستغفار والندامة ﴿ ورد المظالم ﴾ أي مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله ﴿ وترك الشواغل ﴾ أي الموانع عن الصيام والقيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة ﴿ ويخص رمضان بالصدقة ﴾ أي بزيادتها فانها أقرب الى القبول والغفران ﴿ والتلاوة ﴾ أى قراءتها أو مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن ﴿ والاعتكاف ﴾ أي فى المسجد قال تعالى: (وأنتم عاكفون فى المساجد) ﴿ لاسيما العشر الأواخر ﴾ فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفى غيرها مستحبة ﴿ فهو عليه السلام واظب عليه ﴾ أي على الاعتكاف فى العشر الاخير

وَأَمَرَنَا بِالْتِمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِيهَا، وَيُرَاعِي سَائِرَ الْأَعْمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ كَالْأَشْهُرِ الْحُرُمِ لَاسِيَّمَا عَرَفَةَ . وَعَاشُورَاءَ . وَالْعَشْرَيْنِ .

في الصحيحين عن عائشة « كان إذا دخل العشر الاواخر أحيي الليل وايقظ أهله وجد وشد المئزر وكان لا يخرج الا لحاجته » وفي رواية أبي داود بزيادة « ولا يسأل عن المريض الا مارا » ﴿ وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها ﴾ أي في العشر الأواخر وأوتارها اشبه ، والجمهور على أنها ليلة السابع والعشرين ﴿ ويراعى سائر الاعمال في الايام الفاضلة ﴾ أي بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته ﴿ كالاشهر الحرم ﴾ وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، أما المحرم فورد فيه « ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله » الحديث رواه النسائي عن علي ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وأرجى لدوام البركة ، وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس « من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة » وعن أنس « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة » الأزدي في الضعفاء ، وفي رواية ابن شاهين في ترغيبه . وابن عساكر عن أنس « كتب له عبادة سبعمائة سنة » وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أنس « عبادة سنتين » وأما رجب فورد فيه « صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين . والثاني كفارة سنتين . والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر » رواه أبو محمد الخلال عن ابن عباس ﴿ لاسيما عرفة ﴾ أي يوم عرفة فورد « من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه » ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان وإذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسيء خلقه فالصوم افضل والا فالافطار ، وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكأنه تهوين على الأمة منشؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » أحمد . وأبو داود . وابن ماجه . والحاكم عن أبي هريرة ﴿ وعاشوراء ﴾ والافضل صوم تاسوعاء ﴿ والعشرين ﴾ بالفتحتين أي العشر الأول من ذي الحجة ومن المحرم فورد « ما من أيام العمل فيهن افضل واحب الى الله من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر » الترمذي . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وعند البخاري من حديث ابن عباس « ما العمل في ايام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء »

وَشَعْبَانَ . وَالْأَيَّامَ الْبِيضَ . وَالْجُمُعَةَ . وَالْخَمِيسَ . وَالْاثْنَيْنِ ، وَيُفْطِرُ فِي آخِرِ شَعْبَانَ اسْتِعَانَةً عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ ، ثُمَّ السِّرُّ فِيمَا وَرَدَ « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ » شِدَّةُ انْكِسَارِ النَّفْسِ بِنَقْضِ الْعَادَةِ

﴿ وشعبان ﴾ كله أو أكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان ، متفق عليه من حديث عائشة ﴿ والايام البيض ﴾ أى التى لياليها البيض وهى الثالث عشر . والرابع عشر . والخامس عشر على الاشهر من الاقوال ، أو الايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة و كان قد اسود من جهة الخطيئة ، وعن ابن عباس « كان عليه السلام لايدع صوم أيام البيض فى سفر ولا حضر » الطبرانى ﴿ والجمعة ﴾ والافضل ان لايصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الأزدى « لاتصوموا يوم الجمعة مفردا » أحمد . والنسائى . والحاكم وفى رواية لاحمد عن أبى هريرة « لاتصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم أو بعده يوم » ﴿ والخميس والاثنين ﴾ لانهما يومان متبركان ، وورد « كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول أخروهما » أحمد عن أبى هريرة ﴿ ويفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان ﴾ واستبعادا عن التقدم فى الزمان ، وورد « اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان » الاربعة من حديث أبى هريرة وصححه الترمذى ، وفى رواية « اذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان » أحمد . والدارمى . والأربعة وصححه . وابن حبان . وأبو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان لجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة كما رواه الأربعة من حديث أم سلمة « لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان » ولأبى داود . والنسائى نحوه من حديث عائشة ، وفصل مرارا كثيرة كما رواه أبو داود من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام » واخرجه الدار قطنى وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى ﴿ ثم السر فيما ورد ﴾ من حديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين ﴿ أفضل الصيام صيام أخى داود ﴾ وتمامه كان يصوم يوما ويفطر يوما ﴿ شدة انكسار النفس ﴾ وما لها من الارادة ﴿ بنقض العادة ﴾ فانه لب العبادة ، ومن ذلك ماورد فى الصحيحين أيضا من

بِخِلَافِ صَوْمِ الدَّهْرِ قِيلَ يَجْتَهِدُ أَنْ يَصُومَ نِصْفَ السَّنَةِ أَوْ ثُلُثَهَا مَعَ رِعَايَةِ الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَقِيلَ لَا يُفْطِرُ الَّا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ اعْتِبَارًا بِأَيَّامِ النَّحْرِ وَالتَّشْرِيقِ

منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول: اريد افضل من ذلك فقال ﷺ له: صم يوما وأفطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام: لا افضل من ذلك لانه أشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها أقوى ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام: « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض وقلت اجوع يوما واشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت » الترمذي من حديث أبي امامة وحسنه، وفيه تنبيه على أن الكمال هو التربية بين تجلي صفتي الجمال والجلال، وقد ورد أيضا «الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر » وقال عز وعلا: (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ﴿ بخلاف صوم الدهر ﴾ فانه يصير العبادة له كالعادة على أنه شامل للكل مع الزيادة ، وللسالكين طرق هنالك فنهم من كره ذلك اذ وردت فيه أخبار كثيرة تدل على كراهيته، منها « من صام الابد - أي الدهر فلا صام ولا أفطر » أحمد والنسائي والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن الشخير، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو «لا صام من صام الابد » ولمسلم من حديث أبي قتادة « قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال لا صام ولا أفطر » وللنسائي من حديث عبد الله بن عمر وعمران ابن الحصين، وفي الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما أن يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين ، وقال عليه السلام فيما رواه أبو موسى الأشعري «من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين» معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه أحمد والنسائي في الكبرى وابن حبان وحسنه أبو علي الطوسي ﴿ قيل يجتهد أن يصوم نصف السنة ﴾ وهو صيام داود ويمكن أن يكون غيره ﴿ أو ثلثها ﴾ فاذا صام ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده وأما ﴿ مع رعاية الأيام الفاضلة ﴾ بأن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف ﴿ وقيل لا يفطر الا أربعة أيام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق ﴾

وَالْأَصْلُ الْعَمَلُ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْبَاطِنِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَكَذَا يُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ» *

اَلْبَابُ الرَّابِعُ فِى السَّفَرِ وَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * السَّفَرُ إِمَّادِينِيٌّ وَهُوَ عَلَى قَصْدِ التَّعَلُّمِ فَوَرَدَ

وفى الاحياء كره بعض العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا ان ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات قال: ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم مرتين ﴿ والأصل العمل بحسب صلاح الباطن ﴾ أى اذا صلح باطنه بالصوم صام واذا صلح بالفطر أفطر لأن المقصود صلاح القلب للحضور بين يدى الرب فتارة تقتضى دوام الصوم وأخرى دوام الفطر وأخرى مزجه وهو الأنسب ﴿ فكان عليه السلام يصوم ﴾ أى النفل متتابعا ﴿ حتى يقال ﴾ وفى رواية «حتى نقول» بالنون والغيبة والخطاب ﴿ لا يفطر ﴾ أى أبدا ﴿ وكذا يفطر ﴾ أى مواظبا ﴿ حتى يقال لا يصوم ﴾ بعد هذا أصلا ﴿ ويقوم ﴾ أى فى الليل متواليا ﴿ حتى يقال لا ينام وينام ﴾ أى كثيرا ﴿ حتى يقال لا يقوم ﴾ كذا فى الاحياء، قال العراقى: حديث «كان يصوم حتى يقال لا يفطر» الحديث اخرجاه من حديث عائشة. وابن عباس دون ذكر القيام والنوم، وللبخارى من حديث أنس «كان يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئا وكان لا تشأ تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته» قلت: والحديث أيضا فى شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ماينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات واختلاف الحالات.

﴿ الباب الرابع فى السفر والحج والغزو ﴾

تخصيص بعد التعميم للتتميم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ المعين للمسافر والمقيم ﴿ السفر ﴾ أعم من الشرعى واللغوى ﴿ امادينى وهو على قصد التعلم ﴾ من علماء الشريعة أو من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم فى الحقيقة ﴿ فورد ﴾ أى من رواية

«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ» وَالتَّجَارِبُ لِإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَهُوَ مُهِمٌّ؛

الترمذى والضياء عن أنس ﴿ من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله ﴾ أى الجهاد مع أعداء مولاه أو فى طريق رضاه ﴿ حتى يرجع ﴾ أى من سفره الى حضره قال المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة فى سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان، وعن أنس «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله» الديلمى، وعن جابر بن عبدالله أنه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبدالله بن أنيس يحدث به عن رسول الله ﷺ، وقيل فى تفسير قوله تعالى: (السائحون) انهم طلاب العلم المسافرون، وعن أبى هارون قال: «كنا نأتى أبا سعيد: فيقول مرحبا بوصيته عليه السلام كان يقول: ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» وعن كثير بن قيس قال: كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: ياأبا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ماجئت لحاجة ـ اى غير أن أسمع منك الحديث ـ قال: فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر» رواه احمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى والحديث فى المشكاة وشرحه فى المرقاة ﴿ والتجارب ﴾ أى وقصد التجربة فى اماكن الشدة ﴿ لاصلاح الاخلاق ﴾ أى المستحسنة فى حكم الخلاق ﴿ فهو مهم ﴾ والسالك بسيره متم ومنه قوله عليه السلام «أخبر تقله» ابن عدى من حديث أبى الدرداء مرفوعا، وفى رواية له «وجدت الناس اخبر تقله» أخرجه الطبرانى وأبو يعلى وأبو نعيم، وفى النهاية أى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه أمر ومعناه خبر، أى من جربهم واختبرهم أبغضهم والهاء فى تقله للسكت، ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول، قيل: ويضرب هذا مثلا فى قلة توقع

وَالسَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْهَا لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي لَطَائِفِ أَفْعَالِهِ تَعَالَى * وَالْحَجُّ فَوَرَدَ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) الآيَة « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » * وَالْجِهَادُ فَوَرَدَ « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » وَزِيَارَةُ الْمَدِينَةِ

الخير عند الناس ﴿ والسفر ﴾ وسمى به لأنه ﴿ يسفر عنها ﴾ أى يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية فى اختلاف الحالات ﴿ للبعد عن المألوفات ﴾ وعدم وجود المعروفات ﴿ والتفكر فى لطائف أفعاله تعالى ﴾ فى مصنوعاته ﴿ وعظيم صفاته ﴾ أى الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى :(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم) فهو اما بسير الباطن أو بانضمام سير الظاهر، وقوله عز وعلا : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) وقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) واختلف أحوال الصوفية فى سلوك سير الظاهر، فنهم من سافر فى بدايته وأقام فى نهايته وهو الأظهر ، ومنهم من أقام ولم يسافر وهو الأكثر ، ومنهم من استدام على السفر ﴿ والحج فورد ولله على الناس حج البيت الاية ﴾ أى (من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ﴿ من حج البيت ولم يرفث ﴾ أى لم يجامع فى الاحرام ولم يذكر النساء فى مجامعهن ﴿ ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ﴾ أحمد . والبخارى والنسائى . وابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ « من حج لله فلم يرفث » الحديث « ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا » ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى من حديث على وقال: غريب وفى اسناده مقال « ومن خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيامة » البيهقى فى الشعب ﴿ والجهاد ﴾ مع الكفار ﴿ فورد لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ﴾ أحمد . والشيخان . والترمذى . وابن ماجه عن أنس ﴿ وزيارة المدينة ﴾ ففى الخبر « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ابن عدى . والبيهقى . وابن أبى الدنيا . والطبرانى . والدارقطنى عن ابن عمر وهو فى صحيح ابن خزيمة ، وللطيالسى عن عمر مرفوعا « من زار قبرى كنت له شفيعا أو شهيدا » قال الذهبي : طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا لأن من الرواة من هو متهم بالكذب قال : ومن أجودها اسنادا حديث حاطب « من زارني

وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ،فَوَرَدَ « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ الَّا الَى مَسْجِدِى هٰذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»،وَمُلَاقَاةُ الْكُبَرَاءِ لِلاسْتِفَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَحْوَالِ

بعد موتى فكمن زارنى فى حياتى » أخرجه ابن عساكر وغيره قلت: حديث «من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » رواه ابن عدى . والطبرانى . والدارقطنى . والبيهقى من حديث ابن عمرو « من جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا » الطبرانى من حديث ابن عمرو وصححه ابن السكن « ومن وجد سعة ولم يفر الى فقد جفانى » ابن عدى . والدارقطنى . وابن حبان . والخطيب من حديث ابن عمر، وفى رواية « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس « مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » ﴿ وبيت المقدس ﴾ فعن ابن عمران سليمان بن داود عليهما السلام « لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد اعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة » أحمد . والنسائى . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم ، وقد صح أنه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل فيه وصلى ركعتين ثم رجع. وعن ميمونة مرفوعا « من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليبعث بزيت يسرج فيه » البيهقى ﴿ فورد ﴾ أى فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة . وأبى سعيد ﴿ لا تشد الرحال ﴾ أى لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها ﴿ الا الى مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ﴾ ولا يمنع هذا زيارة قبور الأنبياء والأولياء لأن الحصر فى حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قباء ونحوه فى المدينة من منازل الكرام داخل فى جنس مسجده عليه السلام ، ثم لفظ الحديث على ماهو المشهور عند المحدثين الاعلام « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد فى فضيلة مضاعفة الصلاة فيها ، فعن جابر « صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة فى مسجدى ألف صلاة وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة » البيهقى ﴿ وملاقاة الكبراء ﴾ من المشايخ والعلماء وهم احياء ﴿ للاستفادة من مشاهدة الأحوال ﴾ ومعاينة الأقوال

فَلِسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ ، وَزِيَارَةُ قُبُورِهِمْ ،

﴿ فلسان الحال أفصح ﴾ من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة ؛ وقدورد«أولياءالله الذين اذارأواذكرالله» الحكيم . عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال مالا ينفعه لفظ الرجال ، ومن هنا قيل [من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه] وهذا القول له معنيان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثرما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته و كلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن أفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهواه و نورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة فى طاعة الرب المعبر عنها بالشريعة فى الأعمال الظاهرة و بالطريقة فى الاخلاق الباهرة و بالحقيقة فى الأحوال الذاخرة المستمرة حتى فى الدار الآخرة . والثانى ان نظر العلماء الراسخين و الرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستنشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهالة المواهب لله تعالى الخاصة للموافق فتقع فى قلبه محبة المريد الصادق و ينظر اليه نظرة محبة الله تعالى عن بصيرة فيكتسب بنظره أحوالا سنية و يرى آثارا رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه أن يجعل هذه الخاصية فى نظر بعض خواصه من عباده كما جعل فى بعض الافاعى من الخاصية انه اذا نظر الى انسان يهلكه ، ومما يدل على تأثير الصحبة وا كسير نظر الأثير ماحصل لاجلاف العرب حيث كان أحدهم ممن يبول على عقبيه فينظره صلى الله عليه و آله وسلم وقد آمن به فصار فى لحظة واحدة من كمل الاولياء و الاصفياء حيث لم يبلغه أحد من المشايخ والعلماء ، وأبلغ من هذا قضية كلب أصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى أن ذكره الله فى كتابه القديم مرات بنعت التعظيم و التكريم ، وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول الفقراء ، وذكر صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردى عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف فى مسجد الخيف بمنى و يتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقيل له فى ذلك فقال: ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص اكسبوه السيادة فانا اطلب تلك السعادة، وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفى غير هذا المحل مسطورة ﴿ وزيارة قبورهم ﴾ أى الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء، وقد ورد « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى

وَالفِرَارُ عَمَّا يُشَوِّشُ الْعِبَادَةَ . كَالْجَاهِ . وَالْمَالِ * وَ إِمَّا دُنْيَوِيٌّ كَالْفِرَارِ مِنَ الْفِتْنَةِ . وَالْقَحْطِ إِلَّا عَنِ الطَّاعُونِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ

الدنيا وتذكر الآخرة » ابن ماجه عن ابن مسعود ، وفي رواية الحاكم عن أنس « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة » الحديث ﴿ والفرار عما يشوش العبادة ﴾ أو ينقصها او يمنعها ﴿ كالجاه ﴾ أي الوسيع ﴿ والمال ﴾ أي الكثير ، وعن سفيان هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة، ومن أفضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففي الصحيح « من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه » فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية في جميع الأعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل في رفعة الدرجات الأخروية ﴿ وإما دنيوي كالفرار من الفتنة ﴾ أي الدنيوية ﴿ والقحط ﴾ ونحوه من الغلاء وسائر البلية ﴿ ولا حرج فيه ﴾ أي في هذا النوع بل هو مباح أو مستحب فقد قال أبو نعيم: رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت: الى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: الى بلد أملأ فيها جرابي بدرهم، وفي حكاية أخرى بلغني خبر قرية فيها رخص أقيم فيها فقلت تفعل هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: نعم اذا سمعت برخص في بلدة فاقصدها فانه أسلم لدينك واقل لهمك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شأنه عما شانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى : (ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون) وروى « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله » أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف، وفي الخبر « من رزق من شيء فليلزمه » ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن « واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن ﴿ الا عن الطاعون فهو ﴾ أي الفرار منه ﴿ منهي عنه ﴾ بلفظ « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بارض فلا تخرجوا

أَوطَلَبِ الْمَالِ وَنَحْوِه فَيَنْوِي فِيهِ نَحْوَ التَّعَفُّفِ عَنِ السُّؤَالِ . وَالتَّعَطُّفَ عَلَى الْعِيَالِ لِيَصِيرَ عِبَادَةً ، ثُمَّ إِنْ كَانَ وَاجِباً كَالْحَجِّ . وَطَلَبِ الْعِلْمِ فَيَتَعَيَّنُ وَإِلَّا فَالْاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْحَالِ ، فَالْفَوَائِدُ وَالْآفَاتُ مُتَعَارِضَةٌ ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، وَالْأُنْسُ بِهِ تَعَالَى ، وَالْمُعِينُ فِي الْبِدَايَةِ السَّفَرُ لِلتَّعَلُّمِ ، وَفِي النِّهَايَةِ الْإِقَامَةُ فَفِيهِ شَوَاغِلُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْمَأْلُوفَاتِ ، وَحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَتَاعِ ، وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَالْهُمُومِ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَتُوبَ ، وَيَرُدَّ

منها فرارامنه» أحمد. والشيخان. والنسائي عن أسامة بن زيد ﴿ اوطلب المال ﴾ اى وكطلبه ﴿ ونحوه ﴾ من النكاح وغيره من المباحات ﴿ فينوى فيه ﴾ أى الخيرات والمبرات ﴿ نحو التعفف عن السؤال ﴾ فى طلب المال ﴿ والتعطف على العيال ﴾ فى النكاح ﴿ ليصير عبادة ﴾ لان تصحيح النيات تجعل العادات عبادات كما حقق فى شرح حديث « انما الأعمال بالنيات » ومن هنا ورد « نية المؤمن خير من عمله » ﴿ ثم ان كان ﴾ أى السفر ﴿ واجبا ﴾ أى فرض عين ﴿ كالحج وطلب العلم فيتعين ﴾ أى فعله ﴿ والا ﴾ أى وان لم يكن واجبا ﴿ فالاستفتاء من القلب ﴾ متعين فى فعله وتركه ﴿ بحسب صلاح الحال ﴾ وفساده فى الحضور مع الرب ﴿ فالفوائد ﴾ أى المنافع ﴿ والآفات ﴾ اى المضار ﴿ متعارضة ﴾ فى أمر السفر وغيره من الحالات ﴿ والمقصود ﴾ أى الأعلى ﴿ هو المعرفة والأنس به تعالى ﴾ فى جميع المقامات ﴿ والمعين فى البداية السفر للتعلم ﴾ ان لم توجد العلماء فى بلده اولم يقدر على تحصيله لشغله باهله ﴿ وفى النهاية الاقامة ﴾ لاسيما مع الكبر فانه لايتحمل الضرر ﴿ ففيه ﴾ أى فى السفر ﴿ شواغل ﴾ عن الذكر والفكر «(من النظر الى المألوفات وحفظ النفس والمتاع)» من الآفات «(واحتمال الشدائد والهموم)» باختلاف الحالات. وتفاوت. الاوقات وتباين المقامات، ومن هنا ورد « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فاذاقضى أحدكم نهمته من وجهه ـ أى حاجته ـ من جهته فليعجل الرجوع الى أهله » مالك. وأحمد. والشيخان. وابن ماجه عن أبى هريرة «(وحقه)» أى المسافر ﴿ ان يتوب ﴾ عن الذنوب من الصغائر والكبائر فى الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلاة ونحوهما ﴿ ويرد

الْمَظَالِمَ وَيُؤَدِّي النَّفَقَاتِ وَيَأْخُذَ الزَّادَ ، وَيَطْلُبَ الرَّفِيقَ الصَّالِحَ الْمُعِينَ عَلَى الْخَيْرِ

المظالم ﴾ أى حقوق العباد أو يتحلل من أصحابها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى أربابها ، فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم أحى ام ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد ، وفيه أيضا رجل عليه ديون لأناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر ، وفى فتاوى قاضيخان رجل له خصم فمات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيامة ﴿ ويؤدى النفقات ﴾ أى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعته ﴿ ويأخذ الزاد ﴾ من المال الحلال لذهابه وايابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء ، قيل : وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة ، قال ابن عمر : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول : افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة وأحسنهم يقينا ، وورد « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل : يارسول الله وما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام واطعام الطعام » وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه أمور عديدة ، منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعد فى ذلك ، ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ، ومنها يكلف الناس أن يقوموا بقوته وسقيه وربما آل أمره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين أو طرحى ميتين بعد ان خالفوا أمر الله فى حق أنفسهم وأوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من أهل الركب فى اثمهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشىء لا يكفيهم فى أول امرهم أو يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا أن يعلم ان غيره يغنيهم بشىء يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم ، وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله ﴿ ويطلب الرفيق الصالح المعين على الخير ﴾ المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل : « الرفيق ثم الطريق والله ولى التوفيق » ووصف الرفيق بانه ان نسى الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه

وَيَتَصَدَّقُ قَبْلَ الْخُرُوجِ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيَسْتَخِيرُ فِي غَيْرِ الْوَاجِبِ وَيُوَدِّعُ الْاِخْوَانَ . وَيَرْغَبُ فِي دُعَائِهِمْ . وَيَعْرِضُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمُكْرِي ، وَيُرْضِيهِ ، وَيَخْرُجُ فِي بُكُورِ الْخَمِيسِ وَالسَّبْتِ ، فَوَرَدَ «دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا»

من الاجانب أولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقيعة الموجبة للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال ﴿ ويتصدق قبل الخروج ﴾ ولو بشيء قليل فان الصدقة تدفع البلاء ﴿ ويصلي ركعتين ﴾ للموادعة أو للاستخارة ﴿ ويستخير في غير الواجب ﴾ من السفر وغيره، والتحقيق ان يستخير في الواجب أيضا الا انه لا في فعله وتركه بل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت أو غيره أو في شراء الدابة وكرائها ونحوه ﴿ ويودع الاخوان ﴾ ويقول لهم: استودع الله دينكم واما نتكم وخواتيم عملكم كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث ابن عمر ﴿ ويرغب في دعائهم ﴾ ويستحب لهم ان يقولوا له في حضرته: زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت كما رواه أبو داود والترمذي والطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته « اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر » وفي الخبر « اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا » الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة ﴿ ويعرض الاشياء ﴾ أي جميعها ﴿ على المكرى ﴾ بضم الميم أي المكاري ولو كان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال: حتى استأمر الجمال فاني قد اكتريت منه قال الحجة: فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا انفتح باب يسير انجر الى الكثير، أولا ولا يعدان يراد بالكتاب ماله وزن فحينئذ يجب التوقف على الاذن ﴿ ويرضيه ﴾ بحمله ان كان زيادة على معتاده ﴿ ويخرج في بكور الخميس ﴾ فورد انه عليه السلام « كان يستحب ان يسافر يوم الخميس » الطبراني عن أم سلمة ﴿ والسبت فورد دعاؤه عليه السلام فيهما ﴾ اى في الخميس والسبت اما في مطلق البكور بقوله عليه السلام: « اللهم بارك لامتي في بكورها » اخرجه الاربعة وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا به واما في خصوص الخميس فلابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعا « اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس » وفي رواية « قال: اغدوا في طلب العلم فاني

وَالْاثْنَيْنِ، فهو أيضاً مأثور، وَيُكْثِرُ السَّيْرَ فِي اللَّيْلِ ، فورد « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ . فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَالَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ » وَلَا يَنْزِلُ مَالَمْ يَصِرِ الْيَوْمُ حَارًّا وَيُصَلِّي عِنْدَ الرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ فِيهِ، وَيُكَبِّرُ فِي كُلِّ صُعُودٍ وَيُسَبِّحُ فِي كُلِّ هُبُوطٍ .

سألت ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس » وعن أم سلمة « كان يحب أن يسافر يوم الخميس» الطبراني ، وأما ما اشتهر في هذا « اللهم بارك لامتي في سبتها وخميسها واللهم بارك لامتي في بكورها واجعل ذلك في سبتها وخميسها فباطل لا أصل له كما أفاده الحافظ ابن الملقن في ادلة التنبيه ﴿ والاثنين ﴾ اي ويخرج في الاثنين ﴿ وهو أيضا مأثور ﴾ فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الأثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ﴿ ويكثر السير في الليل ﴾ أي ينبغي ان يكون أكثر سيره بالليل ﴿ فورد عليكم بالدلجة ﴾ بضم فسكون وهي السير في اول الليل وقيل في آخره وهو الاظهر لما في جميع المناسك ويستحب السير في آخر الليل وذكر بعضهم سيره أول الليل انتهى ، ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد والعباد ﴿ فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ﴾ أبو داود والحاكم والبيهقي عن أنس وبدون مالا تطوى بالنهار ، وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا ﴿ ولا ينزل ﴾ أي في المنزل ﴿ مالم يصر اليوم حارا ﴾ فان السير في البرد أيسر ﴿ ويصلي ﴾ استحبابا ﴿ عند الركوب ﴾ من المنزل ﴿ والنزول فيه ﴾ قياسا على الركعتين عند دخوله بيته وخروجه منه ؛ فقد اخرج الطبراني عن فضالة بن عبيد « انه عليه السلام كان اذا نزل منزلا في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين » وللبيهقي عن أنس « كان عليه السلام اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين ويقول عند نزوله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) وعند سيره «بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله» كما رواه ابن ماجه . والحاكم . وابن السني عن أبي هريرة ، وفي رواية للطبراني عن أبي سعيد «بسم الله توكلت على الله » الحديث ﴿ ويكبر في كل صعود ﴾ يصعد عليه من شرف اظهارا لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع شأنه ﴿ ويسبح في كل هبوط ﴾ أي حدر يهبط اليه بأن نزل من علو الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول ، فقد ورد « اذا علا ثنية كبر واذا هبط سبح » البخاري

وَحدوث وَحْشَة، وَيؤمر أَحداً لانتظام الرأى، وَليكن الْأَمير أَحسنهم خلقاً وَمواساة، وَورد «اذا كُنتم ثَلاثَة فى السَّفر فَأمروا أَحدكم» وَيعين الرُّفقة وَيواسى عَليهم، وَيرفق بالرَّاحلة *

والنسائي عن جابر . وأبو داود عن ابن عمر ، وفى رواية لأصحاب الكتب الستة عن أبى موسى اذا أشرف على واد هلل وكبر أى قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وفى رواية لأحمد وأبى يعلى . وابن السنى عن أنس «اذا أشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال» أى لك العلو على كل عال كما قال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده) * (وله الكبرياء فى السموات والأرض) ﴿ وحدوث وحشة ﴾ أى ويسبح عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم أره مأثورا وانما ورد «اذا خاف قوما قال: اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» أبو داود . والنسائى . وابن حبان والحاكم عن أبى موسى الأشعرى، وفى الفردوس للديلمى عن شداد بن أوس مرفوعا «حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل خائف» ﴿ ويؤمر أحدا ﴾ أى يجعل أميرا اذا كان المسافر متعددا ﴿ لانتظام الرأى ﴾ وعدم التنازع فى الأمر ﴿ وليكن الامير أحسنهم خلقا ﴾ بضمتين أى أكثرهم علما وأظهرهم حلما ﴿ ومواساة ﴾ أى أوسعهم موافقة ومداراة وهو بأن يكون أزهدهم فى الدنيا وأشهرهم فى التقوى وأصبرهم على البلوى وأشكرهم فى النعمى وأتمهم مروءة وأعمهم شفقة وأقواهم خدمة ، فقد نقل عبد الله المروزى أن أبا على الرباطى صحبه فقال عبد الله لابى على: على أن تكون أنت الامير أو أنا فقال أبو على بل أنت فيحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره وأمطرت السماء ذات ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال: لا تفعل يقول : ألست الامير وعليك الانقياد والطاعة ﴿ وورد اذا كنتم ثلاثة فى السفر فامروا أحدكم ﴾ عن أبى سعيد «اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالامامة اقرؤهم» أحمد . ومسلم . والنسائى، ولعل قيد الثلاثة للاشعار بأنه أقل الكمال فى الجماعة والرفقة ﴿ ويعين ﴾ أى الأمير ﴿ الرفقة ﴾ بضم فسكون أى رفقاءه بما يقدر عليه من اللطف والرفق ﴿ ويواسى عليهم ﴾ بزيادة الاحسان وسعة الرزق ﴿ ويرفق بالراحلة ﴾ أى الدابة بأن لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضى بأن صاحبها أيضا يحملها فوق طاقتها فى عرفها أو عادتها قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمني الى ربك

وَيَنْزِل أَحْيَاناً فَفِيه اقَامَةٌ للسُّنَّةِ وتَرَفِيهٌ للدَّابَّةِ وَإِسْرَارٌ للمُكَارِي ورِيَاضَةٌ لِلنَّفْسِ، وتَحرزٌ عن ضعفِ الأعصابِ ولَا ينَامُ عَلَيْهَا الَّا نَوْمَةً خَفِيفَةً ولَا يتوقَّفُ، فَوَرَدَ « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَ » وَلَا يَنْفَرِدُ عَنِ الرُّفْقَةِ وَيَحْرُسُ بِالنَّوْبَةِ

فانى لم أكن أحملك، وعلى الجملة فى كل كبد حرأجر فيراعي حق الدابة وحق المكارى جميعا ﴿ وينزل أحيانا ففيه اقامة للسنة ﴾ اذ كان عليه السلام « ينزل أحيانا عن الدابة » فى الأوسط للطبرانى من حديث أنس باسناد جيد أنه عليه السلام « كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى » ورواه البيهقى فى الأدب وقال: مشى قليلا وناقته تقاد وقال علماؤنا: ويستحب أن يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا أطاق وقال الطرابلسي يجب إذا كانت الدابة مستأجرة فى المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول فيها الا أن يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ، ولا يحل له أن يستلقى على ظهر الدابة ولا يتكىء عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة فى مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج ﴿ وترفيه للدابة ﴾ أى تهوين لها عن دوام المشقة ﴿ واسرار للمكارى ﴾ حيث يفرح بالخفة ﴿ ورياضة للنفس ﴾ أى تهذيب لها ليعرف قدر النعمة ﴿ وتحرز عن ضعف الاعصاب ﴾ وما يترتب على دوام الركوب من اليبوسة ﴿ ولا ينام عليها الا نومة خفيفة ﴾ اذا حصلت ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها ، وكان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود ﴿ ولا يتوقف ﴾ راكبا عليها زمانا طويلا ﴿ فورد لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ﴾ والحديث رواه أحمد من حديث سهل بن معاذ، ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه مثل كراسى فى دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة التى هى غير مزملة ، وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة فى الوقفة فانه يستحب الوقوف على الدابة ﴿ ولا ينفرد عن الرفقة ﴾ أى لا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع، وكذا لا ينفرد عنهم فى المنزل ﴿ ويحرس ﴾ أى متاعه وامتعة أصحابه ﴿ بالنوبة ﴾ فاذا نام أحدهم حرس الآخر فهو السنة أخرج البيهقى من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه « فقال الأنصارى للمهاجرين أى الليل احب اليك ان اكفيكه أوله أو آخره؟ فقال: لا بل اكفني أوله فاضطجع المهاجرى » والحديث عند أبى داود أيضا

وَيَنَامُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ جَاعِلاً رَأْسَهُ عَلَى الْعَضُدِ وَفِي آخِرِهِ عَلَى الْكَفِّ وَيُقِيمُ الْعَضُدَ لِئَلَّا يَشْتَدَّ النَّوْمُ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَلَا يَصْحَبُ جَرَسًا وَلَا شَاعِرًا وَلَا سَاحِرًا وَلَا كَاهِنًا وَلَا جَلَّالَةَ

لكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر » ﴿ وينام فى أول الليل جاعلا رأسه على العضد ﴾ بان يفترش ذراعه ﴿ وفى آخره ﴾ أى الليل ﴿ على الكف ويقيم العضد ﴾ بان ينصب ذراعه نصبا ويجعل رأسه فى كفه ﴿ لئلا يشتد النوم ﴾ فتفوت صلاة الصبح ﴿ فهو مأثور ﴾ رواه أحمد. والترمذى فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح، وكذا ابن حبان. والحاكم عنه بلفظ « كان اذا عرس وغلبه ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده » والتعريس النزول فى الليل، قال العراقى وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى مسلم ولم اره فيه ﴿ ولا يصحب جرسا ﴾ لقوله عليه السلام: « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » أحمد . ومسلم. وأبو داود. والترمذى عن أبى هريرة لقوله عليه السلام : « الجرس مزامير الشيطان » أحمد . ومسلم . وأبو داود عن أبى هريرة، وفى رواية لأبى داود عنه « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس » ﴿ ولا شاعرا ﴾ أى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر ﴿ ولا ساحرا ﴾ فانه اما ان يكون فاجرا أو كافرا ﴿ ولا كاهنا ﴾ وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن أو غيره فقد ورد « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فيه برىء بما أنزل على محمد » أحمد. والأربعة عن أبى هريرة، وفى رواية الطبرانى عن واثلة « من أتى كاهنا فسأله عن شىء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » رواه مسلم عن بعض أمهات المؤمنين، وللحاكم. وأحمد عن أبى هريرة « من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ » وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن، وفى معناه المنجم والرمال وسائر أصحاب الفال ﴿ ولا جلالة ﴾ وهى دابة تأكل النجاسة

وَلَا كَلْبًا وَيُؤَذِّنْ إِنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَوَرَدَ « إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمُ الطَّرِيقُ فَعَلَيْكُمْ بِذَاتِ الْيَمِينِ فَإِنَّ عَلَيْهَا مَلَكًا يُسَمَّى هَادِيًا » وَلَا يَدْخُلُ بَلْدَةً لَيْسَ فِيهَا سُلْطَانٌ .وَلَا سَائِسٌ وَمَا فِيهَا طَاعُونٌ، وَيُصَاحِبُ الْمِرْآةَ

فان الملائكة ينفرون من رائحتها،وأخرج الدولابى في الكنى وابن منده والطبرانى وابن عساكر عن أبى رابطة بن كرامة المذحجى «قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم سفر لا يصحبنكم جلالة من هذه النعم ولا يضمن أحدكم ضالة ولا يردن سائلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة» الحديث ﴿ولا كلبا﴾ لما تقدم ﴿ويؤذن ان ضل الطريق﴾ أو غاب عن الرفيق ورأى اشياء منكرة. أو تخيلت له خيالات مستنكرة. أو تلونت له اجسام مكروهة مزورة، فقد ورد « اذا تغولت الغيلان نادى بالاذان » رواه مسلم عن أبى هريرة «فان الجن والشيطان يفرون من الاذان وتحضره الملائكة والابدال من الاعيان واذا انفلتت دابته فليناد اعينوا ياعباد الله » رواه ابن أبى شيبة من قول ابن عباس موقوفا «وان أراد عونا فليقل: ياعباد الله أعينونى ياعباد الله أعينونى ياعباد الله اعينونى » رواه الطبرانى عن زيد بن على عن عقبة بن غزوان عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بارض ليس بها أنيس فليقل ياعباد الله أعينونى ياعباد الله أعينونى ياعباد الله أعينونى فان لله عبادا لا نراهم ﴿ وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين ﴾ اى تيمنا وتحاميا ﴿ فان عليها ملكا يسمى هاديا ﴾ لم أعرف له راويا ﴿ ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان ﴾ أى خليفة أو نائبه من أمير أو قاض ﴿ ولا سائس ﴾ أى شحنة وحاكم سياسة لأنه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة «وفى الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان ظل الله ورمحه فى الأرض» البيهقى عن أنس ﴿ وما فيها ﴾ أى ولا يدخل بلدة فيها ﴿ طاعون ﴾ لما تقدم وروى بعض الصحابة « ان رسول الله ﷺ نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت: ماهذا يارسول الله؟ فقال : ان الناقة تقحمت بى أى رمت بى أو هزت بى » والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف، ﴿ ويصاحب المرآة ﴾ بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية، وكان عليه السلام اذا نظر

وَالْمُكْحُلَةَ . وَالسِّوَاكَ . وَالْمِشْطَ . وَالْمِقْلَمَ . وَالْمُوسَى . وَالرَّكْوَةَ . وَالْحَبْلَ . وَالْإِبَرَةَ . وَخَيْطَهَا، وَيَجْتَنِبُ الْغِرَّةَ فَهُوَ يُذْهِبُ الْبَرَكَةَ وَيَتَبَرَّكُ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَيُعَجِّلُ الْأَوْبَةَ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَوَرَدَ « مَنْ كَانَ مُسَافِراً اذَا قَضَى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَأْتِي بِالتُّحْفَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَقَارِبِ وَلَا يَقْدَمُ بَغْتَةً

الى وجهه فى المرآة قال : اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار البزار عن عائشة ﴿ والمكحلة ﴾ محل الكحل ومروده فانه عليه السلام « كان يكتحل كل ليلة ثلاثا فى كل عين » كما فى شمائل الترمذى وغيره ﴿ والسواك ﴾ للوضوء والصلاة وقد تقدم ﴿ والمشط ﴾ أى لتسريح شعر اللحية والرأس ﴿ والمقلم ﴾ وهو المقص أو السكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب ﴿ والموسى ﴾ لحلق العانة ﴿ والركوة ﴾ أى الدلو ونحوها من المطهرة ﴿ والحبل ﴾ فانهما من ضرورة الشرب والطهارة ﴿ والابرة وخيطها ﴾ لترقيع ثوب يستر العورة ﴿ ويجتنب الغرة ﴾ بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء اى يحترس من أن يغر احدا أو يغره أحد بالمكر والحيلة ﴿ فهو يذهب البركة ﴾ أو المعنى لايصاحب شخصا لايعرفه ولا يسلك طريقا لايعرفه ولا يترك السلاح مواضع المخافة اغترارا بشجاعته ولا يأكل من ثمار البرارى التى ماعهدا كله فى عادته ﴿ ويتبرك بزيارة الاحياء ﴾ من العلماء والأولياء ﴿ والأموات ﴾ من الأنبياء والأصفياء ﴿ ويعجل الأوبة ﴾ أى الرجعة ﴿ بعد قضاء الحاجة ﴾ اسرارا لقلب أهله واظهارا لطيب محله ، وفى نسخة زيادة ﴿ وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى أهله ﴾ لم أجده لكن تقدم مايدل على أصله وورد « اذا قضى أحدكم حجه فليجعل الرجوع الى أهله فانه أعظم لاجره » الحاكم. والبيهقى عن عائشة ﴿ ويأتى بالتحفة ﴾ أى بالهدية ﴿ لأهل البيت والأقارب ﴾ حقيقة وحكما فقد ورد « اذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه أى بهدية ولو يلقى فى مخلاته حجرا » ابن عساكر عن أبى الدرداء ؛ قيل أراد حجر الزناد، وفى رواية البيهقى عن عائشة « اذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهد لأهله فليطرقهم ولو كان حجرا » ﴿ ولا يقدم ﴾ من سفره على أهله ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة فنى الصحيحين من حديث جابر « كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال :

وَلَا لَيْلًا، وَالْأَحَبُّ وَقْتَ الضُّحَى، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ أَوَّلًا وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيُقَدِّمُ لَهُ الضَّحِيَّ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ نَحَرَ جَزُورًا أَوْ بَقَرَةً وَحَقُّ الْحَجِّ أَنْ يُخْلِصَ فِي النِّيَّةِ

أمهلوا حتى تدخلوا ليلا ـ أي عشاء ـ كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » ولأحمد من حديث ابن عمر بسند جيد « انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة : لاتطرقوا أهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره » ﴿ ولا ليلا ﴾ لأنه وقت الوحشة فقد ورد « اذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » أحمد . والشيخان ﴿ والاحب وقت الضحى ﴾ لكمال الظهور وجمال النور ومجال السرور ﴿ ويدخل المسجد ﴾ أى مسجد بلده ﴿ أولا ويصلي ركعتين ﴾ تحية المسجد شكرا لله سبحانه فعن أبي ثعلبة « كان عليه السلام اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم يأتي أزواجه » ﴿ فالكل مأثور ﴾ وفي كتب الحديث مسطور ﴿ ويقدم ﴾ أى من سائر الافعال ﴿ له ﴾ أي لقدومه ﴿ الضحى ﴾ بفتح فكسر فتشديد اى طعام الضحي ولو شاة أو طبخ لحم ومرقة ﴿ فكان عليه السلام اذا قدم نحر جزورا ﴾ أى بعيرا ﴿ أو بقرة ﴾ لم يحضرني الآن مخرجه ﴿ وحق الحج ﴾ أى أداء كماله ﴿ أن يخلص في النية ﴾ ويحسن الطوية بأن يتبرأ من الرياء والسمعة ولا يقصد التجارة والنزهة فقد روى في خبر من أهل البيت « اذا كان آخر الزمان خرج للحج اصناف أربعة سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة » الخطيب من حديث أنس قال علماؤنا : من أتى بعبادة لغرض دنيوي بحيث لو فقد تركها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين والدنيا فان كان باعث الدنيا أقوى أوهما متساويان فهي باطلة وان كان باعث الدين أقوى فذهب بعضهم الى أنها باطلة وجماعة الى أنها صحيحة وهو الأظهر بقوله تعالى :(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أى تبتغوا عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة على ماذكره البيضاوي وغيره ، ثم من حقه أن يعجله بعد الاستطاعة ففي التأخير آفات مانعة عن الطاعة على أن المسألة خلافية في أن الفرضية على التراخي أو فورية ففي الفورية اذا أخره عن أول سني الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الى أن يحج ثم لو حج في آخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقي

وَيَحْتَالُ فِى دَفْعِ تَسْلِيمِ الضَّرِيبَةِ لِقُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَيَرْجِعُ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ فِى النَّفْلِ فَالْإِعَانَةُ عَلَى الْعُدْوَانِ أَفْحَشُ

الله عاصيا بترك حجه و كان الحج فى ذمته عندنا فيجب عليه وصيته، وعند الشافعى فى تركته فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفى حقه ورد وعيدأكيد منه قوله تعالى :(ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج وأدائه لأن منفعته راجعة الى عباده وامائه ، وقد ورد « من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا» رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة مرفوعا ، وقيل فى تفسير قوله تعالى : (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها ، وقال عمر رضى الله عنه ـ وهو يومئذ أمير المؤمنين ـ: لقد هممت ان أكتب الى الولاة فى الامصار أن تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا ، وعن سعيد بن جبير . وابراهيم النخعى . وطاوس . ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه، وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه، و كان ابن عباس يقول: من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى : (رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) وكذا ورد عنه أيضا فى قوله تعالى:(وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت) الآية ﴿ ويحتال فى دفع تسليم الضريبة﴾ أى الأموال المعينة ﴿ لقطاع الطريق ﴾ أى من الاعراب وغيرهم ﴿ ويرجع ﴾ عن طريق الحج ﴿ ان لم يقدر ﴾ على الاحتيال ﴿ فى النفل ﴾ أى لافى الفرض ﴿ فالاعانة على العدوان ﴾ أى الظلم والعصيان ﴿ أفحش ﴾ من الرجوع عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما فى الفرض فلا يرجع اذ الاثم فى مثله على الآخذ لا المعطى على ماعرف من تقسيم الرشوة فى كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص ، وهذا التفصيل حسن خلافا لمن أطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن أسقط الحج ووجوبه اذا كان فى الطريق يؤخذ من ماله ظلما، وفى الاحياء ولا تعاونوا أعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطرق والأبواب فان فى تسليم المال اليهم تيسيرا لأسباب

وَيَمْشي رَاجِلًا انْ قَدَرَ وَالَّا فَالرُّكُوبُ أَفْضَلُ، وَقِيلَ هُوَ الْأَفْضَلُ فَفِيه مَؤُنَة الْانْفَاقِ وَالْبُعْدُ عَنْ تَشْوِيشِ الْهُمُومِ وَالْقُرْبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْاتْمَامِ، وَيَمْشي أَشْعَثَ أَغْبَرَ غَيْرَ مُتَزَيِّنٍ وَلَا مَائِلٍ لِلتَّكَاثُرِ،

الظالم عليهم ﴿ و يمشي راجلا ﴾ أي و يذهب في طريق الحج ماشيا ﴿ ان قدر ﴾ على المشي فانه أفضل قال تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا) أي مشاة فقدمهم سبحانه على قوله (وعلى كل ضامر) أي وركبانا على بعير مهزول ، وقال مجاهد وغيره من العلماء: ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا على ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا، وأوصى عبدالله عباس بنيه عند موته فقال : يابني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل : وما حسنات الحرم؟ قال الحسنة بمائة ألف ﴿ والا ﴾ أي وان لم يقدر على المشي أو يسيء خلقه به أو لم يبق له حضور الذكر بسببه ﴿ فالركوب ﴾ في حقه ﴿ أفضل ﴾ بل هو متعين فتأمل ﴿ وقيل : هو الأفضل ﴾ أي مطلقا لفعله عليه السلام وأصحابه الكرام، ويجاب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الأمة فذهبوا مذهب أضعف القوم في الهمة كما هو شأن الأئمة ﴿ ففيه مؤنة الانفاق ﴾ أي زيادته وفيه انه يمكن للماشي أن ينفقه في سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكتري حمارا؟ فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي وان كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي أفضل، وكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه أولى في مقام الجمع كما لا يخفى ﴿ والبعد عن تشويش الهموم ﴾ أي غموم الخواطر الرديئة الناشئة من اتعاب الأعضاء البدنية ﴿ والقرب من السلامة ﴾ من غير الملامة ﴿ والاتمام ﴾ لخطر الماشي أي يمنعه مانع عن تحصيل المرام الحرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدام ﴿ ويمشي أشعث أغبر ﴾ أي و يذهب حال كونه أشعث الشعر أغبر البدن لكنهما مختصان بحال الاحرام لما ورد أنه عليه السلام « سئل أي الحج أفضل؟ فقال: الشعث التفل » مع ان المسافر لا يخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء فورد « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره » ﴿ غير متزين ﴾ في نفسه ولا في دابته ﴿ ولا مائل للتكاثر ﴾ أي في نعمته والتفاخر في حشمته لخدمته

فهو عليه السلام فعل كذلك،وأخبر عن مباهاته تعالى به ،ويتقرب باراقة دم وإن لم يجب فورد(ومن يعظم شعائر الله) . الآية ولا يماكس فى شراء الهدى والاضحية ٭

﴿فهو عليه السلام فعل كذلك﴾ اى ترك الزينة «فانه عليه السلام حج على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم، وكان عليه السلام فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال :ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا : فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل »أبو داود من حديث رافع بن خديج «وفيه رجل لم يسم » ﴿واخبر﴾ أى النبى عليه السلام ﴿عن مباهاته تعالى به ﴾ أى بالحاج الشعث الاغبر فى الحديث « انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى:انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق » الترمذى. وابن ماجه من حديث ابن عمر ﴿ ويتقرب باراقة دم وان لم يجب ﴾ أى وان لم يكن واجبا عليه ﴿ فورد ومن يعظم شعائر الله ﴾ أى الهدايا التى تذبح فى الحرم وهى جمع شعيرة وهى مايشعر به تعظيم بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله ﴿الآية﴾ أى (فانها من تقوى القلوب) وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها ، وسئل عليه السلام ما بر الحج؟ فقال:العج والثج ، والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن.الترمذى واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر ، وقال الباقون اى الحج أفضل ،وعن عائشة انه عليه السلام قال : « ماعمل ابن آدم يوم النحر احب الى الله سبحانه من إهراقه دما وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله عزوجل بمكان قبل ان يقع فى الأرض فطيبوا بها نفسا » الترمذى وحسنه .وابن ماجه وابن حبان.وابن خزيمة،وفى الخبر «لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا » ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد بن أرقم،وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا عن على « اما انها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقوله عليه السلام » لفاطمة،وفى رواية له من حديث أبى سعيد قال: «لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ماسلف من ذنوبك » يقوله لفاطمة ﴿ ولا يماكس ﴾ أى لايضايق بل يسامح ﴿ فى شراء الهدى والاضحية ﴾ ونحوهما مما يكون فى التقرب اليه بصحة النية فقد كان السلف لايغالون فى

فَالْمَقْصُودُ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَخْلِيَتُهَا وَتَحْلِيَتُهَا بِتَعْظِيمِه تعالى، فورد (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) . الْآيَةَ، وينوي في الذَّبْحِ فِدَاءَ نَفْسِه اقْتِدَاءً بِالذَّبِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَيُنْفِقُ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ مَا اسْتَطَاعَ فَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَبُولِ طِيبُ الْكَلَامِ وَعَدَمُ الاغْتِمَامِ بِه وبما أُصِيبَ فِي الْمَالِ، فَدِرْهَمٌ مِنْهُ يَعْدِلُ سَبْعَمِائَةٍ تُنْفَقُ فِي سَبِيلِه وَتَرْكُ مَعَاصٍ كَانَ يَرْتَكِبُهَا وَتَبْدِيلُ إِخَاءِ الْفُسَّاقِ بِالصُّلَحَاءِ

ثلاث و يكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند الله ثمنا، وروى ابن عمر ان اهدى نجية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ ان يبيعها و يشترى بثمنها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال: بل اهدها » اخرجه أبو داود أو قال: انحرها، وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون، وفى ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد ﴿فالمقصود﴾ الاصلى من الذبح ﴿هو تزكية النفس﴾ أى تطهيرها ﴿وتخليتها﴾ عن رذيلة البخل ﴿وتحليتها﴾ بالحاء المهملة ويحتمل الجيم أى تصفيتها وتزيينها ﴿بتعظيمه تعالى﴾ فانه الفضل فى مقام الفصل ﴿فورد لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية﴾ أى (ولكن يناله التقوى منكم) وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أم قل فتأمل ﴿وينوى فى الذبح﴾ اى اذا كان تطوعا ﴿فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام﴾ وهو اسماعيل أو اسحق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى: (وفديناه بذبح عظيم) ﴿وينفق فى الطريق﴾ أى طريق الحج ﴿ومكة﴾ أى وفى مكة مدة الاقامة ﴿ما استطاع﴾ و يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة و بما أصابه من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فانه من باب الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك ﴿فمن علامات القبول﴾ أى قبول الحج وبره ﴿طيب الكلام﴾ اى واطعام الطعام و كتمان طاعته عن الانام ﴿وعدم الاغتمام به﴾ أى بالانفاق فى ذلك المرام ﴿وبما اصيب﴾ من ضياع وسرقة ﴿في المال﴾ و كذا المصيبة فى البدن وباقى الحال ﴿فدرهم منه﴾ أى من مال المصاب أو من الانفاق فى الحج للاحتساب ﴿يعدل سبعمائة تنفق فى سبيله﴾ أى غير الحج والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله ﴿وترك معاص كان يرتكبها﴾ قبل حجه ﴿وتبديل اخاء الفساق﴾ أى مؤاخاة السفهاء والجهلاء ﴿بالصلحاء﴾ من العلماء

وَمَجَالِسِ اللَّهْوِ بِالذِّكْرِ وَيُلَازِمُ الْخُشُوعَ فِى أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ فَهُوَ الْأَصْلُ لَاسِيَّمَا فِى الطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ فَهُمَا رُكْنَاهُ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ مُسْتَشْفِيًا بِهِ، وَيَصُبُّهُ عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ وَمُسْتَنْجِحًا أَوْطَارَهُ، وَيَغْتَنِمُ الْمَوْتَ فِى طَرِيقِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ الَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَتَلَقَّى الْحَاجَّ بِالتَّرْحِيبِ *

والأولياء ﴿ ومجالس اللهو ﴾ أى وتبديلها ﴿ بالذكر ﴾ اى بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر ﴿ ويلازم الخشوع ﴾ وهو غاية الخضوع ﴿ فى اداء المناسك ﴾ فانه من أدب السالك ﴿ فهو الأصل ﴾ اى المدار عليه فى جميع المسالك ﴿ لاسيما فى الطواف ﴾ فانه بمنزلة الصلاة هنالك ﴿ والوقوف ﴾ بعرفات فانه بمنزلة الوقوف بين يدى رب العالمين يوم اجتماع خلق الأولين والآخرين ﴿ فهما ركناه ﴾ اى الحج باتفاق المجتهدين ﴿ ويشرب من ماء زمزم ﴾ فقد ورد « ماء زمزم لما شرب له » ابن ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه فى فضائل المشاعر الحرام وكذا فى الحرز الثمين شرح حصن الحصين ﴿ مستشفيا به ﴾ أى طالبا شفاء ظاهرا وباطنا قائلا: اللهم انى أسألك رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء» ويتضلع منه فورد « آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم » البخارى فى تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقى بيده ويشرب من مائه فقد قال عليه السلام : «لولا ان تغلبوا النزعت معكم » ﴿ ويصبه على رأسه وجسده متبركا به ﴾ وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام ﴿ ومستنجحا اوطاره ﴾ أى قاضيا حاجاته ﴿ ويغتنم الموت فى طريقه فيكتب له اجره ﴾ أى ثواب الحج على تلك الطاعة ﴿ الى قيام الساعة ﴾ قال تعالى : (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) وورد « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا أجرى له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة » البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة « ومن مات محرما حشر ملبيا » الخطيب عن ابن عباس « ومن مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين » الطبرانى . والبيهقى عن سلمان ، وفى رواية لهما من حديث عائشة « من مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل: له أدخل الجنة » ﴿ ويتلقى الحاج بالترحيب ﴾ أى بالتعظيم والتكريم مع التسليم

وَيُصافحهم متبركا، ويروح الى الْمَدينَة مُكْثِراً الصَّلاة عَلَيْه عَلَيْه السَّلام ويزور قبره عليه السَّلام وقبور الصَّحابة وأهل الْبيت وسائر مشاهدها رضى الله عنهم أجمعين *

المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونبيه الكريم ﴿ ويصافحهم متبركا ﴾ أي بأكفهم التي أصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الأسود الذي ورد في حقه « انه يمين الله في أرضه يصافح بها عباده» فهذه المصافحة الثابتة واما المصافحة التي يذكرها بعضهم عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه ﷺ فلا أصل له ولا في الكيفية التي ذكرها بعض الصوفية نعم ورد في فضل المصافحة عند الملاقاة أخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام ﴿ ويروح الى المدينة ﴾ أي الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة أو بعد وصولها و كال حصولها ﴿ مكثرا ﴾ أي في طريقه ﴿ الصلاة عليه عليه السلام ﴾ فانه كلما كان أقرب اليه كان بالاجابة أنسب لديه ﴿ ويزور قبره عليه السلام ﴾ فانه من شعائر الاسلام. بل هو من واجبات الاحكام. وقد تقدم في فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام « ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته» هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق أهله ووطنه وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهده الكريمة اذا فاته مشاهدة طلعته العظيمة، وقد قال تعالى: (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وروى « ان من توضأ وأتى الروضة وصلى وأتى القبر الشريف وقال: اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في- وسأل حاجته قضيت باذن الله » كذا في الحصن ﴿ وقبور الصحابة ﴾ لاسيما الشيخين الضجيعين ﴿ وأهل البيت ﴾ كفاطمة وعائشة وسائر أزواجه أمهات المؤمنين وصفية عمته وأولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس. والحسن بن علي. وعلي بن الحسين. ومحمد بن علي الباقر. وجعفر بن محمد الصادق في القبة الشريفة والمنزلة المنيفة ﴿ وسائر مشاهدها ﴾ من سائر أهل البقيع وأجلهم عثمان بن عفان ﴿ رضى الله عنهم أجمعين ﴾ ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه، وورد « أحد جبل يحبنا ونحبه » البخاري عن أنس وغيره عن جماعة، وفي رواية زيادة « فاذا جئتموه فكلوا

وَ يُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا *

من شجره ولو من عضاهه، ﴿ ويصلى فى مساجدها ﴾ وأجلها المسجد النبوى مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطواناتها ثم، فورد «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى» متفق عليه من حديث أبى هريرة. وعبدالله بن زيد، ثم مسجد قباء. ومسجد الجمعة. وذى القبلتين. والمساجد الأربع ونحوها، وقد ورد أنه عليه السلام «كان يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وقال: من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء وصلى فيه كان كعدل عمرة» النسائى. وابن ماجه فى حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح، وقد ذكرنا آداب الزيارة فى رسالة مستقلة وسائر ما فيها من أسباب الفضيلة ﴿ ويتبرك بآبارها ﴾ أى التى كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار مشهورة. بئر أريس. و بيرحاء. وبئر رومة. وبئر غرس. وبئر بضاعة. وبئر البصة. وبئر السقياء أو العهن أو بئر جمل، ولله در ناظمها فى قوله:

اذا رمت آبار النبى بطيبة ❊ فعدتها سبع مقالا بلا وهن
أريس وغرس ورومة وبضاعة ❊ كذا بصة قل بيرحاء مع العهن

ومواضعها معروفة وعند أهل المدينة مكشوفة، فحديث بئر أريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديثه منه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ منها، وحديث بير حاء متفق عليه من حديث أنس قال أبو طلحة: أكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث، وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذى. والنسائى من حديث عثمان انه قال: أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذى: حديث حسن، وفى رواية «من يشتريها الشرب رواء فى الجنة» وفى رواية لها «هل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل» الحديث وقال حسن صحيح، وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الأسلمى قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان

يبيع منها القربة بمد الحديث، قيل: انه اشتراها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثانى على صاحبها فباعه أيضا من عثمان بثمن يسير لأنه كان يبيع ماءها فاستكفى الناس بوقف عثمان وهى قديمة قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبعمائة وخمسين، وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس انه قال: « ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ » ولابن ماجه باسناد جيد من حديث على مرفوعا « اذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس، وفى تاريخ المدينة لابن النجار « انه عليه السلام توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى » وفى رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له عسل فصبه فيها وقال: انى رأيت الليلة انى أصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال: ياعلى اذا أنا مت فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحال او كيتهن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة، وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى « انه قيل لرسول الله ﷺ: انتوضأ من بئر بضاعة؟ » وفى رواية « انه نستقى لك من بئر بضاعة فقال: خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ماغير طعمه أولونه او ريحه » الحديث، قال يحيى بن معين: اسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث أبى اسيد « بصق النبى ﷺ فى بئر بضاعة » وفى رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكأنما نشط من عقال، وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال: هل عندكم من سدر اغسل به رأسى؟ فان اليوم الجمعة قال: نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصة » وحديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة « أن النبى ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا » زاد البزار فى مسنده « أو من بئر السقيا » وأحمد من حديث على « خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله ﷺ: ائتونى بوضوء فلما توضأ قام » الحديث وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم « أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر الجمل » الحديث وصله البخارى وعلقه مسلم « قيل وهى بئر العهن بالعالية، وروى « أنها اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها » والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون، وقد روى الدارمى من حديث عائشة « أن النبى ﷺ قال فى مرضه: صبوا على من سبع قرب

وَيَتَصَدَّقَ وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْإِقَامَةُ بِمَكَّةَ مُرَاعِيًا حُقُوقَهَا ، فَوَرَدَ « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ * وَإِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ بِلَادِهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ لَمَا خَرَجْتُ » ، وَبِالْمَدِينَةِ فَوَرَدَ فِي الصَّبْرِ عَلَى لَأْوَائِهَا وَفِي الْمَوْتِ بِهَا شَفَاعَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشَهَادَتُهُ

من آبار شتى ، الحديث ﴿ ويتصدق ﴾ بالمدينة على سكانها ويعظم جيرانها ﴿ ويستحب له الاقامة بمكة ﴾ حال كونه ﴿ مراعيا حقوقها ﴾ من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسآمة مع السلامة منا كل الحزام والشبهة والا فالاقامة بها حرام أو مكروه ﴿ فورد ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ﴾ اى من رحمته الخاصة ﴿ ستون للطائفين ﴾ لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين ﴿ واربعون للمصلين ﴾ لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين ﴿ وعشرون للناظرين ﴾ أى المكتفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى : (أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) فى تقديم الطائفين ايماء الى ما تقدم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه أعلم ، والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد ﴿ وانك ﴾ يا مكة ﴿ لخير أرض الله ﴾ لكونها منشأ حبيبه وفيها قبلة خلقه قريبه و بعيده ﴿ واحب بلاده الى ﴾ لكونها مهبط وحيه ومربط وصله ، وأما حديث « حب الوطن من الايمان » فلا أصل له ﴿ ولولا انى اخرجت منك ﴾ اى امرت بالخروج والهجرة عنك ﴿ لما خرجت ﴾ باختيارى فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها للنفس الشهوة والارادة ، والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عدى بن الحمراء بلفظ « انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا انى أخرجت منك لما خرجت » وقد ورد « من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة » اخرجه العقيلى فى الضعفاء عن ابن عباس ﴿ وبالمدينة ﴾ أى و يستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بآدابها ﴿ فورد فى الصبر على لأوائها ﴾ اى شدة عنائها ومشقة بلائها ﴿ وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام ﴾ الخاصة باهل الاسلام ﴿ وشهادته

يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَمَا نُقِلَ عَنْ إِرْجَاعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَجِيجَ بَعْدَ الْفَرَاغِ إِلَى الْمَسَاكِنِ تَحَامِيًا عَنِ الطَّاعَةِ وَارْتِكَابِ الذَّنْبِ فَالْإِثْمُ فِيهِ مُتَضَاعِفٌ تَضَاعُفَ الثَّوَابِ حَيْثُ عَلَّقَ الْعَذَابَ بِمُجَرَّدِ الْقَصْدِ فِيمَا وَرَدَ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) الْآيَةَ حَتَّى قِيلَ مِنْهُ الاحْتِكَارُ. وَقِيلَ الْكَذِبُ. وَقِيلَ شَتْمُ الْخَادِمِ . وَتَجْدِيداً لِلاشْتِيَاقِ ، وَالْأَوْلَى

يوم القيامة) اى بانه من أهل الاكرام فورد « لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة » مسلم من حديث أبي هريرة. وابن عمر. وأبي سعيد «ومن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانه لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر، وقال الترمذى: حسن صحيح (وما نقل من ارجاع عمر رضى الله عنه) أى رده اوامره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ) من الحج والزيارة (الى المساكن) أى مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم: يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم و يا أهل العراق عراقكم (تحاميا) أى للاحتراز والاحتراس (عن السآمة) أى الملالة فى الاقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن من أهل الاستقامة (فالاثم فيه) أى فى حرم مكة (متضاعف) أى فى العقاب كيفية لا كمية لئلا يناقض اطلاق قوله تعالى : (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) (تضاعف الثواب) أى كتضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب أو العقاب (حيث علق العذاب بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجناب (فيما ورد) فى نص الكتاب (ومن يرد فيه بالحاد) أى يميل عن الجادة فى العصيان والباء صلة فى مقام البيان (الآية) تمامها (بظلم) أى عدوان بدل تفسير وبيان (نذقه من عذاب أليم) أى مؤلم فى مقام الهجران (حتى قيل منه الاحتكار) أى قصد حبس الطعام ليقل فيبيع غاليا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) اى قصده الحاد أيضا (وقيل شتم الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور وجرمه وعدم العمل بعلمه (وتجديدا للاشتياق) عطف على تحاميا أى ولتحصيل حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى

الاسْتِفْتَاء من الْقَلْب . وَالتَّوطُّن فى مَوْضِع أَقْرَب مِن الْخُمُول . وَسَلاَمَة الدِّين . وَفَرَاغ الْقَلْب . وَيُسْر العِبَادَة ، فَوَرَدَ « الْبِلاَدُ بِلاَدُ اللهِ وَالْخَلْق عِبَادُ الله فَأَىَّ مَوْضِع رَأَيْت فيه رِفْقًا فَأَقِم بِه وَاحْمَد اللهَ تَعَالى » وَحَقّ الْجِهَاد أَنْ يَنْوِى نُصْرَة الدِّين . وَبَذْل النَّفْس فى رِضَائه تَعَالَى ، فَوَرَدَ « أَفْضَل الْجِهَاد أَنْ يُعْقَر جَوَادُك وَيُهرَاق دَمُك » وَيَخْرُج لَهُ يَوْم الْخَمِيس . وَلاَ يَغْتَمّ بِمَا يُصِيب

الاستفتاء من القلب ﴾ فى اقامته ورحلته ﴿ والتوطن فى موضع أقرب من الخمول ﴾ فانه أنسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة أهل الفضول وأبعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة ﴿ وسلامة الدين ﴾ لأنها لم توجد مع مسالمة أهل الدنيا فقيل: كن وسطا وامش جانبا ﴿ وفراغ القلب ﴾ أى للذكر والحضور مع الرب ﴿ ويسر العبادة ﴾ أى سهولته لأهل الارادة قال تعالى: (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) ﴿ فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا ﴾ أى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة ﴿ فاقم به ﴾ أى فاختر الاقامة فيها ﴿ واحمد الله تعالى ﴾ على ثباتك عليها والحديث رواه احمد. والطبرانى من حديث ابن الزبير ﴿ وحق الجهاد ﴾ أى القتال مع الكفار ﴿ أن ينوى نصرة الدين ﴾ ومعاونة الابرار قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ﴿ وبذل النفس فى رضائه تعالى ﴾ قال عز وعلا: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ﴿ فورد أفضل الجهاد أن يعقر جوادك ﴾ أى يقتل فرسك أو يهلك ﴿ ويهراق دمك ﴾ أى يصب وتخرج روحك الطبرانى . وأحمد وجماعة عن جابر . والطبرانى عن أبى امامة « أفضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده » وهو فرض عين أن هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدأ ﴿ ويخرج له ﴾ أى للجهاد ﴿ يوم الخميس ﴾ روى كعب بن مالك انه عليه السلام « كان يحب أن يخرج اذا غزا يوم الخميس » أحمد . والبخارى ﴿ ولا يغتم بما يصيب ﴾ أى فى طريق الجهاد من نقص فى ماله أو جرح فى جسده أو فزع فى قلبه وتشويش في

فَفِى الْكُلِّ أَجْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى يَكُونَ عَلَفُ دَابَّتِهِ . وَرَوْثُهَا . وَبَوْلُهَا . وَنَوْمُهُ . وَيَقْظَتُهُ فِى مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَيَجْتَنِبَ فَرَسًا تُخَالِفُ إِحْدَى قَوَائِمِهِ الثَّلَاثَةَ . وَلَا يَتَمَنَّاهُ

حاله ﴿ فى الكل أجر عظيم ﴾ وثواب جسيم، وقد قال تعالى : (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال) الآية ، وورد « اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحاتت عذق النخلة » الطبرانى . وأبو نعيم فى الحلية عن سلمان « ومن راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة » ابن ماجه . والضياء عن أنس « وما من مجروح يجرح فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجرح فى سبيل الله ـ الا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك » ابن ماجه عن أبى هريرة ﴿ حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته فى ميزان حسناته ﴾ فى مسند أحمد . وصحيح البخارى . وسنن النسائى عن أبى هريرة مرفوعا « من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات فى ميزانه » وفى رواية لابن ماجه . وابن حبان عن تميم الدارى « من ارتبط فرسا فى سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة » ﴿ ويجتنب فرسا يخالف إحدى قوائمه الثلاثة ﴾ من القوائم الأربعة فقد روى أحمد . ومسلم : والأربعة عن أبى هريرة انه عليه السلام « كان يكره الشكال » قال أبو داود . والترمذى أى محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، وقال النسائى : محجل ثلاثة قوائم مطلق واحدة أو العكس وليس الشكال الا فى الرجل ، ويؤيده ما رواه الحاكم . والطبرانى . والبيهقى عن عقبة بن عامر « اذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم » وفى رواية أحمد . والترمذى . وابن ماجه . والحاكم عن أبى قتادة « خير الخيل الادهم الاقرح الارثم المحجل الثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن أدهم فكميت على هذه الشية» وفى النهاية ان الادهم الأسود الاقرح ـ بالقاف ـ الذى فى جبهته بياض يسير دون الغرة، والارثم الذى أنفه أبيض وشفته العليا والمحجل الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الاحجال وهى الخلاخيل . والقيود ، والكميت بضم الكاف هو الذى لونه بين السواد والحمرة يستوى فيه الذكر والأنثى ﴿ ولا يتمناه ﴾ أى

وَيَسأَلُه الثَّبَاتَ عِنْدَه فورد «لا تتمنوا لقاءَ العدو فإن لقيتموه فاثبتوا» ويكثر ذكره تعالى . ويكف عن ذكر النساء . والأولاد والأموال والأوطان فهو يفتره . ويغتنم الشهادة فى سبيل الله ، فورد (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح وتأكل من الجنة حيث تشاء وتأوى الى قناديل معلقة من العرش »

الجهاد فالعافية أوسع لا كثر العباد ﴿ ويسأله الثبات عنده ﴾ أى عند وجوبه أو وجوده ﴿ فورد لاتتمنوا لقاء العدو ﴾ وفى رواية زيادة « وسلوا الله العافية » وفى أخرى « فانكم لاتدرون ماتبتلون به » وقال عز وعلا فى مقام التوبيخ : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) ﴿ فان لقيتموه فاثبتوا ﴾ وفى رواية زيادة « واكثروا ذكر الله » وفى أخرى زيادة « فان أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت » النسائى والحاكم . والطبرانى عن ابن عمرو وفى رواية للحاكم عن جابر « فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغشاهم أنت ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا » ﴿ ويكثر ذكره تعالى ﴾ لقوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال تعالى فى الحديث القدسى : « ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه » ﴿ ويكف عن ذكر النساء ﴾ أى ويمتنع عن تذكرهن ﴿ والأولاد والأموال والأوطان ﴾ وسائر تدبرهن وتفكرهن ﴿ فهو يفتره ﴾ أى يجبنه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد « الولد مجبنة » ﴿ ويغتنم الشهادة فى سبيل الله ﴾ فانه من أكبر السعادة عند مولاه ﴿ فورد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية ﴾ أى (بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين) ﴿ ان أرواح الشهداء فى حواصل طير ﴾ أى أجواف طيور ﴿ خضر تسرح ﴾ أى تسير ﴿ وتأكل من الجنة حيث تشاء ﴾ من غير منع لها ﴿ وتأوى الى قناديل معلقة من العرش ﴾ ومع هذا لها تعلق بجسدها فى القبر وأمور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغى أن يستغربها أهل الارادة ، والحديث رواه مسلم . والترمذى عن ابن مسعود بزيادة « فاطلع اليهم

وَيَوَدُّونَ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلاسْتِشْهَادِ وَيَتَمَنَّاهَا فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَنْزِلَتِهِمْ وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَلَا يَخْرُجُ الْمُشْتَغِلُ بِتَعَهُّدِ الْأَهْلِ . وَخِدْمَةُ الْأَبَوَيْنِ فَهُوَ مُقَدَّمٌ ، وَيَخْدُمُ الْغُزَاةَ وَلَوْ كُلَّهُمْ .

ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا : أى شىء نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث شئنا فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا أن يسألوا قالوا: رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأوا ان ليس لهم حاجة تركوا» وهذا معنى قوله ﴿ ويودون الرجوع ﴾ أى يتمنون العود الى الدنيا للاستشهاد ﴾ أى مرة بعد أخرى، وورد «مامن أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع ﴿الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب ان يقتل مرة أخرى » ابن حبان عن أنس ، وفى رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »﴿ ويتمناها ﴾ أى يتمنى السالك الشهادة ولو كان فى موطن العبادة ﴿ فهو سبب نيل منزلتهم ﴾ أى حصول مرتبتهم ﴿ وان مات ﴾ أى المتمنى ﴿ على الفراش ﴾ لان نية المؤمن خير من عمله فعن معاذ « من سأل الله الشهادة مخلصا اعطاه الله أجر شهيد، وان مات على فراشه ﴿ ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل ﴾ أى العيال لاشتغال البال فلا يحصل معه الكمال فى الحال ولضرورة معيشة الاهل من تحصيل المال، وقد ورد «اذا حرم أحدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد» الطبرانى عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه؟ قالوا. لا نعلم ذلك قال: انا أعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه * ﴿ وخدمة الابوين فهو مقدم ﴾ أى على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر « اذا كان الجهاد على باب أحدكم فلا يخرج الا باذن أبويه » رواه ابن عدى ﴿ ويخدم الغزاة ﴾ أى بطبخ طعامهم وغسل ثيابهم وخدمة دوابهم ﴿ ولو كلهم ﴾ وهذا صادق على من يخدمهم وهو معهم كما ورد « سيد القوم خادمهم » ابن ماجه عن أبى قتادة. والخطيب عن ابن عباس، وروى الحاكم فى تاريخه. والبيهقى عن سهل بن سعد ولفظه « سيد القوم فى السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة» وفى رواية الطبرانى عن أبى هريرة « افضل الغزاة فى سبيل الله خادمهم الذى يأتيهم بالاخبار واخصهم عند الله منزلة الصائم اويخلفهم ويخدم أهلهم » فى صحيح مسلم . وأبى داود عن أبى سعيد

وَيُجَهِّزُهُمْ . وَيُعَظِّمُ أَفْرَاسَهُمْ وَيُعِدُّهَا لِيَوْمِ اللِّقَاءِ ، فَفِي الْكُلِّ فَضَائِلُ .
وَيَتَعَلَّمُ الْفُرُوسِيَّةَ . وَالْمُسَابَقَةَ لِامْتِحَانِ الْكَرَمِ . وَالرَّمْيُ فَهُوَ سُنَّةٌ . وَلَا يَتْرُكُ ،
فَوَرَدَ « مَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَمَا عَلِمَهُ فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ كَفَرَهَا »

« أيكم خلف الخارج فى اهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج » ﴿ ويجهزهم ﴾ أى يهيء اسباب سفرهم فورد « من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت أو يرجع » ابن ماجه عن عمر ﴿ ويعظم أفراسهم ﴾ جمع فرس فقد ورد « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم » احمد والشيخان وغيرهما كاد ان يكون متواترا ، وفى رواية لاحمد عن جابر زيادة « واهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار » ﴿ ويعدها ﴾ بضم فكسر فشد اى يربطها ﴿ ليوم اللقاء ﴾ أى لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى : (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية ﴿ ففى الكل فضائل ﴾ لارباب الشمائل ﴿ ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم ﴾ أى الطبع المكرم فى المجاهدة والملاحقة فقد ورد « أحب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى » ابن عدى عن ابن عمر ، وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم الطرفين اركبوا وانتصلوا وان تنتصلوا أحب الى الحديث الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة « لاسبق الا فى خف أو حافر أو نصل » أحمد والاربعة عن أبى هريرة ، فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمى وفى رواية « كانت المسابقة بين الصحابة فى الخيل والابل والرجل » ﴿ والرمى ﴾ أى ويتعلمه ﴿ فهو سنة ﴾ فعن عقبة بن عامر مرفوعا « الاان القوة الرمى الاان القوة الرمى الاان القوة الرمى » أحمد . ومسلم . وأبو داود . وابن ماجه « ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب به فى صنعته الخير . والرامى به . ومنبله » أحمد والثلاثة عن عقبة بن عامر « من رمى بسهم فى سبيل الله كان كمن أعتق رقبة » ابن حبان عن كعب بن مرة ، وفى رواية النسائى عنه « من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن ما بين الدرجتين مائة عام » ﴿ ولا يترك ﴾ أى الرمى لئلا ينسى ﴿ فورد من ترك الرمى بعد ما علمه ﴾ أى رغبة عنه كما فى رواية ﴿ فانما هى نعمة كفرها ﴾ الطبرانى وجماعة عن عقبة بن عامر ، وفى رواية ابن ماجه عنه « فقد عصانى » وفى رواية مسلم عنه « فليس منا » وفى رواية أحمد

﴿ الْبَابُ الْخَامِسُ فِى التَّزَوُّجِ وَالتَّخَلِّى ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * فِى النِّكَاحِ فَوَائِدُ، حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَوَرَدَ « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ »

والترمذى والبيهقى عنه « فقد كفر الذى عليه » وعن أبى هريرة « من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها » ابن النجار .

﴿ الباب الخامس فى التزوج والتخلى ﴾

أى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلى واستيثارا للتجلى، اعلم ان العلماء اختلفوا فى فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه أفضل من التخلى لعبادة الله تعالى؛ وعكس جماعة وقال آخرون: الافضل تركه فى زماننا وقال بعضهم: افضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان للنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال فى الاستقبال ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم ﴿ فى النكاح فوائد ﴾ كثيرة ومنافع شهيرة ذكر منها احدى عشرة ﴿ حفظ النفس من الشيطان ﴾ أى صيانتها عن وسوسته واغوائه ﴿ فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه ﴾ تمامه « فليتق الله فى الشطر الثانى » وفى رواية « فى الشطر الآخر » ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ « استكمل نصف الايمان » وفى المستدرك وصحح اسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه » وهذا لان حفظ أصل الدين غالبا يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج، وقال ابن عباس: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج، وكان ابن مسعود يقول: لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا ألقى الله عزبا، وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال: زوجونى فانى أكره ان القى الله عزبا، وعن أبى هريرة مرفوعا « شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » ابن عدى، ورواه أحمد عن أبى ذر « شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم » وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة، وقيل: لغض البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الأرض ويولد له كذا

وَيَزِيدُ الَى الْأَرْبَعِ انْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِوَاحِدَةِ ،

فى الاحياء ، والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها أحد، قال قتادة: فى قوله تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ان ذلك هو الغلمة وهى غلبة الشهوة، وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا فى معنى قوله: (وخلق الانسان ضعيفا) : انه لا يصبر عن النساء، وقيل فى قوله تعالى : (وان تصبروا خير لكم) ان الصبر عن النساء أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ، وقال ابن نجيح: اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول: ذهب ثلث دينه، وفى نوادر التفسير عن ابن عباس فى قوله: (ومن شر غاسق اذا وقب) قال: قيام الذكر، وفى دعائه عليه السلام « اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبي ومنيتى » أبو داود. والنسائى. والترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال: « اسألك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجى » البيهقى فى الدعوات من حديث أم سلمة، وقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه » رواه أحمد من حديث أبى كبشة الانصارى حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال: وكذلك فافعلوا فانه من أماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد ، فروى جابر انه عليه السلام « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال : ان المرأة اذا أقبلت اقبلت فى صورة شيطان واذا أدبرت ادبرت فى صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذى معها » رواه مسلم. والترمذى واللفظ له وقال: حسن صحيح ، وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال : هل لك من حاجة؟ قال: نعم اردت ان اسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس: ان العالم بمنزلة الأب فما افضيت به الى أبيك فافض به الى فقال: انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال: اف وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا ﴿ ويزيد ﴾ النساء ﴿ الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة ﴾ وكان الأولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو بمعنى او أى اثنتين اثنتين او ثلاثة ثلاثة أو اربعا أربعا ، وعن ابن عباس « خير هذه الأمة اكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم » رواه البخارى، وقال سفيان بن عيينة: كثرة النساء ليست من الدنيا

وَيدُلُّ بِأُخْرَى إِنْ تَنَفَّرَ الطَّبْعُ ، وَزِيَادَةُ الرَّغْبَةِ فِي لَذَّاتِ الْجَنَّةِ فَلَذَّةُ الدُّنْيَا أُنْمُوذَجٌ وَقَطْعُ الْمَلاَلَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ دَوَامِ الْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « لِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى »

لان عليا رضى الله عنه كان ازهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية، وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال، ويحكى عن ابن عمر ـ وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم ـ انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى. وروى انه جامع ثلاثا من جوار يه قبل العشاء فى رمضان قبل العشاء الاخيرة ﴿ ويدل باخرى ان تنفر الطبع ﴾ فان المقصود هو الاعتصام بالشرع ويقال: ان الحسن بن على كان منكاحا نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على أربع فى عقد وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن ﴿ وزيادة الرغبة فى لذات الجنة فلذة الدنيا أنموذج ﴾ بضم الهمزة والميم معرب نمونه أى عينة تدل على صفة بينة، وقد أكثر الله سبحانه فى كتابه مدح الحور العين والأزواج المطهرة فى ذلك المكان الأمين ﴿ وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة ﴾ وذلك بترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والمؤانسة ولذا قال تعالى : (ليسكن اليها) فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت ومنه كلمينى ياحميراء، وعن على روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا كرهت عميت فى الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن الوسواس مايزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغى ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفى الخبر « على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه . وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه » أى ومايقتضى انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث أبى ذر فى حديث طويل « ان ذلك فى صحف ابراهيم » وفى لفظ آخر « لا يكون العاقل العامل ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر الطويل ان ذلك فى صحف ابراهيم ﴿ فورد لكل شرة ﴾ بكسر المعجمة وتشديد الراء أى كد وجد فى طاعة ونشاط ورغبة فى حاجة ﴿ فترة ﴾ أى كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة للاستراحة ﴿ فمن كانت فترته ﴾ من الفرض ﴿ الى سنتي فقد اهتدى ﴾ أحمد. والطبرانى

وَهُوَ لَا يَعُمُّ لِانْقِطَاعِهَا لِلْبَعْضِ بِالْمَاءِ وَالْبُسْتَانِ وَفَرَاغُ الْقَلْبِ مِنْ تَدْبِيرِ الْبَيْتِ لِلْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « زَوْجَاتِى أَعْوَانِى عَلَى الطَّاعَةِ » وَهُوَ يَخُصُّ لِمَنْ لَا يُدَبِّرُ فِيهِ . وَلَا

من حديث عبد الله بن عمر رواه البيهقى «ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك» وللترمذى نحوه من حديث أبى هريرة وقال: حسن صحيح، ولفظه « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة » الحديث، وللترمذى عن أبى هريرة « ان لكل شىء شرة ولكل شرة فترة فان كان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير اليه بالأصابع فلا تعدوه » والحاصل ان لكل نشاط فى العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء أو أثناء فينبغى للسالك أن يصرف تلك الفترة الى عبادة أخرى أو شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها؛ ولذا قال ﴿وهو﴾ أى قطع الملالة بمصاحبة النساء ﴿لا يعم﴾ جميع السالكين ﴿لانقطاعها﴾ أى الملالة ﴿للبعض﴾ أى بعض العاملين ﴿بالماء﴾ أى الجارى ﴿والبستان﴾ أى المشتمل على الخضرة؛ فعن ابن عمر مرفوعا «ثلاث يجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن» أخرجه الديلمى، وعن على أيضا بمعناه. وعن ابن عباس أنه عليه السلام «كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى» أبو نعيم. وابن السنى وفى روايتهما عن على «كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر» وللترمذى عن معاذ انه عليه السلام «كان يستحب الصلاة فى الحيطان أى البساتين المشيرة الى الجنان» ﴿وفراغ القلب﴾ أى لذكر الرب ﴿من تدبير البيت للعبادة﴾ كما هو جار فى العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للبانى وتنظيف الاوانى وتهيئة أسباب المعيشة المعينة للمعانى، وفى الحديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» وقد فسر قوله تعالى: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) بالمرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) بالحور العين (وقنا عذاب النار) بالمرأة السليطة، وقيل: فى تفسير قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) أى نزوجه صالحة، وعنه عليه السلام «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته» الترمذى. وحسنه. وابن ماجه من حديث ثوبان ﴿فورد زوجاتى أعوانى على الطاعة﴾ الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه «فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير» ﴿وهو﴾ أى الفراغ المذكور ﴿يخص لمن لا يدبر فيه﴾ أى فى البيت بنفسه لعجزه ﴿ولا

يُشَوِّشُهُ حَقَّ الزَّوْجِيَّةِ فِي أَمْرِهِ. وَكَثْرَةُ الْعَشِيرَةِ لِيَدْفَعَ بِهِمُ الشَّرَّ فَيَسْلَمَ. وَالرِّيَاضَةُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِنَّ. وَاحْتِمَالُ جَفَائِهِنَّ، فَوَرَدَ فِيمَنِ احْتَمَلَهَا «كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» وَهُوَ يَخُصُّ بِالْمُبْتَدِي لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى الرِّيَاضَةِ وَبِظَاهِرِ الْعَمَلِ فَالْإِنْفَاقُ أَوْلَى لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ بِخِلَافِ صَاحِبِ الْبَاطِنِ فَعَمَلُهُ أَشْرَفُ،

يشوشه حق الزوجية في أمره و كثرة العشيرة ليدفع بهم الشر﴾ أي ضرر أهل الفساد ومنازعة أهل العناد ﴿ فيسلم ﴾ أي فارغ القلب في طلب الخير، ولذا قيل: ذل من لا ناصر له ﴿ والرياضة ﴾ أي تهذيب النفس ﴿ بالقيام بحقوقهن ﴾ من نفقتهن وكسوتهن ﴿ واحتمال جفائهن ﴾ من ايذائهن وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعي في اصلاح أحوالهن وارشادهن الى طريق الدين وا كالهن والقيام بتربية الأولاد وصيانتهم عن الفساد، وفي كل هذه الأحوال فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقد ورد «كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته» متفق عليه من حديث ابن عمر، «ويوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة» الطبراني. والبيهقي من حديث ابن عباس ﴿ فورد فيمن احتملها كان معي في الجنة ﴾ لم أر مخرجه؛ وفي بعض الحواشي «من تحمل كلمات جفاء أهله فله ثواب سبعين شهيدا»، وفي رواية «من تحمل من امرأته كلمة واحدة أعطاه الله ثواب ألف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه»، وذكر في الاحياء ان في اخبار الأنبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال: لا تعجبوا فاني سألت الله فقلت: ما أنت معاقب لي في الآخرة فعجله في الدنيا فقيل: ان عقوبتك بنت فلان فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها ﴿ وهو ﴾ أي الارتياض ﴿ يخص بالمبتدي لاحتياجه الى الرياضة ﴾ أي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة ﴿ وبظاهر العمل ﴾ أي ويخص أيضا بالذي من أهل العمل الظاهر ﴿ فالانفاق أولى ﴾ أي في حق ﴿ لأنه متعد ﴾ أي نفعه والعمل الظاهر نفعه قاصر، ومن هنا قال عليه السلام: «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة» الشيخان عن ابن مسعود «وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته» الشيخان عن سعد بن أبي وقاص ﴿ بخلاف صاحب الباطن فعمله أشرف ﴾ لأنه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال

وَالْوَلَدُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ فَفِيهِ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى بِتَحْصِيلِ حِكْمَتِهِ تَعَالَى . وَهِيَ بَقَاءُ جِنْسِ الْإِنْسِ . وَالتَّحَرُّزُ عَنْ تَعْطِيلِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَقَاصِدِ،

ولكنه نادر بين الرجال،ولذاورد أكثر الأحاديث فى مدح الأعمال ، منها قوله عليه السلام « ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقوله: « اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها » أحمد من حديث عائشة ، وقوله « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » الطبرانى فى الأوسط. وأبونعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة، وقال بعض العلماء: عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال ﴿ والولدوهو المقصود الأصلى ﴾ من هذا الحكم الفرعى ﴿ ففيه ﴾ أى فى تحصيل الولد بالنكاح أربعة أمور ﴿ محبته تعالى ﴾ أى اثر محبته ﴿ بتحصيل حكمته تعالى وهى بقاء جنس الانس ﴾ فى مملكته وفق ارادته ﴿ والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد ﴾ التى خلقت لتلك الأشياء فكل عضو من بنى آدم صالح لطاعته فاللسان للذكر . والقلب للفكر . والاذن للاستماع . والعين للنظر . واليد للبطش والرجل للسعى، وفى الاحياء هذا أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته، وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأله أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعقاب من سيده ، فالله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة فى الفقار وهيأله فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الالباب بتعريف ماعدت له هذه الأسباب هذا ان لو لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالأمر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط الهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ، ولا يخفى ماورد من أمر الشارع حيث قال تعالى :

وَمحبته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالاسْتِنَانِ ، فورد «النِّكَاحُ سُنَّتِي» وَتَكْثِيرُ الْأُمَّةِ ، فورد «تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) وورد «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء» متفق عليه من حديث ابن مسعود « من كان ذا طول فليتزوج » ابن ماجه من حديث عائشة «ومن ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا» الديلمي من حديث أبي سعيد. والدارمي في مسنده . والبغوي في معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى : (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) وقد ورد «التمسوا الرزق بالنكاح» الديلمي وغيره عن ابن عباس مرفوعا، وللثعلبي عن ابن عجلان « أن رجلا أتى النبي ﷺ فشكى اليه الحاجة والفقر فقال له : عليك بالباءة» أي النكاح والله تعالى يقول في كتابه : (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ، وأما الذي يدور على ألسنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله، فانما هو معناه ، وروى الديلمي . والبزار . والدارقطني في العلل. والحاكم. وابن مردويه من حديث عائشة « تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال » وعن الحسن ابن علي رأيت الغنى في النكاح والطلاق أما النكاح فقوله سبحانه: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وأما الطلاق فقوله تعالى: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد قيل في حق بشر: انه تارك للسنة فقال : أنا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة أخرى فقال: ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ﴿ومحبته عليه الصلاة والسلام بالاستنان ﴾ أي بالعمل للسنة ﴿فورد النكاح سنتي﴾ تمامه «فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي » أبو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن ، وفي رواية الشيخين عن أنس « فمن رغب عن سنتي فليس مني » ﴿وتكثير الأمة﴾ أي التي يكثر فيهم الأئمة ﴿فورد تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم ﴾ أي في الكثرة ﴿ يوم القيامة ﴾ ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر . وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن أبي بلال مرسلا ، وفي رواية «تناكحوا تناسلوا أباهي بكم يوم القيامة» وفي رواية أبي داود. والنسائي. والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعا « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم» ولأحمد . والبيهقي وصححه ابن حبان . والحاكم عن أنس « كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول: تزوجوا الولود الودود

وَلَوْ بِالسَّقْطِ،وَبَرَكَةُ الدُّعَاءِ إِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ، فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مِنَ الْعَمَلِ الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ » وَالشَّفَاعَةُ إِنْ مَاتَ قَبْلَهُ، فَوَرَدَ « إِنَّ الطِّفْلَ يَجُرُّ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ » وَآفَاتٌ وَهِيَ كَسْبُ الْحَرَامِ فَالْمُعِيلُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ لِلتَّوَسُّعِ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالُهُ حَسَنَاتِهِ،وَفَوَاتُ الْحُقُوقِ،

فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» (ولو بالسقط) وهو الولد الذى خلق بعضه، وقد ذكر البيهقى هذه الزيادة فى المعرفة عن الشافعى انه بلغه (وبركة الدعاء ان بقى) أى الولد (بعده) أى بعد والده (فعده عليه السلام من العمل الباقى بعد الموت) «أى حيث قال: «كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعو له» رواه مسلم من حديث أبى هريرة «(والشفاعة)» أى وبركة الشفاعة «(ان مات)» الوالد «(قبله)» أى قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع «(فورد أن الطفل يجر بأبويه الى الجنة)» ابن ماجه من حديث على وقال: السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ «ان الطفل ليجر امه بسرره الى الجنة» وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة «يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك» وورد أيضا «ان المولود يقال له: ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا ـ أى ممتلئا غيظا وغضبا ـ ويقول: لا أدخل الجنة الا وأبواى معى فيقال: ادخلوا أبويه معه الجنة» ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وللنسائى من حديث أبى هريرة يقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤها فيقال. ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» واسناده جيد وقد قيل: فى تفسير قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لأنفسكم) تقديم الأطفال للآخرة «(وآفات)» أى كثيرة ذكر منها ثلاث «(وهى كسب الحرام فالمعيل يضطر اليه)» أى الى كسبه أو أكله «(للتوسع)» فى الطعام «(وورد فيه)» أى فى حق من كسب الحرام لعياله «(انه هو الذى أكل عياله حسناته)» قال فى الاحياء فى الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستفرغ بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذى اكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بعمله» قال العراقى: لم أقف له على اصل، وقال بعض السلف: اذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا انيابا تنهشه ـ يعنى العيال ـ (وفوات الحقوق) اى الزوجية بالقصور

فَوَرَدَ « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ » وَالشُّغْلُ عَنْهُ تَعَالَى بِتَدْبِيرِ الْمَعِيشَةِ ، وَجَمْعِ الْمَالِ . وَالِادِّخَارِ وَالتَّفَاخُرِ . وَالِاسْتِغْرَاقِ بِالتَّمَتُّعِ وَالْمُؤَانَسَةِ فَإِنْ تَحَقَّقَتِ الْفَائِدَةُ . وَانْتَفَتِ الْآفَةُ يَتَعَيَّنُ النِّكَاحُ وَإِنِ انْعَكَسَ يَتَعَيَّنُ التَّجَرُّدُ . وَإِنْ تَقَابَلَا

عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن ﴿ فورد كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ﴾ أبو داود والنسائى بلفظ «من يقوت» وهو عند مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لايقبل الله له صلاة ولا صياما حتى يرجع اليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن ؛ وقال تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أمرنا أن نقيهم النار كما نقى أنفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس أخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالبا وبذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال : انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع الفأرة فى جحرها أعلقت المكنس فى دبرها، وكان سفيان يقول : ياحبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لاصخب فيه ولا صياح ﴿ والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ﴾ ومنه قوله تعالى: (شغلتنا أموالنا واهلونا فاستغفر لنا) ﴿ وجمع المال ﴾ فى الحال ﴿ والادخار ﴾ للاستقبال ﴿ والتفاخر ﴾ بالتكاثر بالأموال والأولاد بين الرجال وكل ماشغل عن الله فهو مذموم فى الحال والمآل، ومن هنا قال بعض الفضلاء: ضاع العلم فى أفخاذ النساء، وقال ابن ادهم: من تعود افخاذ النساء لم يجىء منه شيء اى من مقامات الأولياء، وقال أبو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا أي واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى ﴿ والاستغراق بالتمتع ﴾ اى الانتفاع بالنساء ﴿ والمؤانسة ﴾ أي بالاجتماع معهن فى المكالمة والمجالسة اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك ﴿ فان تحققت الفائدة ﴾ بجميع افرادها ﴿ وانتفت الآفة ﴾ بتمام موادها ﴿ يتعين النكاح ﴾ لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين بان لايشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة ﴿ وان انعكس ﴾ بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة ﴿ يتعين التجرد ﴾ فلا يميل اليه ﴿ وان تقابلا ﴾ اى

يأْخُذ بالرَّاجح . فَفوَاتُ الشُّغْل به تَعالَى وطيب اللُّقْمَة أَفْحَش من فَوَات الْوَلَد لأَنَّه لَا يَجبرهمَا ولأنَّه موهوم وهمَا نَاجزَان ، وَكذَا الزِّنَا أَفْحَش من كَسْب الْحَرَام لأَنَّه قَتْل حكْمِيٌّ بتَحْصيل وَلَد لَيْس به من يَقُوم بحَقّه . ولأَنَّه حَرَامٌ لعَيْنه . وَالْكَسْبُ لغَيْره بخلَاف النَّظَر . وَالْهَمّ لدَوَام الْكَسْب وسرَاية شرِّه الى الْغَيْر

الجنسان من الفوائد والآفات ﴿ يأخذ بالراجح ﴾ من الحالات ﴿فقوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة أفحش من فوات الولد ﴾ بترك النكاح ، وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج ﴿لانه﴾ أى وجود الولد على الفرض والتقدير ﴿لا يجبرهما﴾ أى لا يفى بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة ﴿ولانه﴾ أى الولد ﴿موهوم﴾ وجوده ﴿وهما﴾ اى فوتهما ﴿ناجزان﴾ أى نافذ كل واحد فى مرتبة شهوده ﴿و كذا الزنا﴾ أى وقوعه ﴿افحش من كسب الحرام﴾ وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج ﴿لانه﴾ أى الزنا ﴿ قتل حكمى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه ﴾ لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ﴿ولانه﴾ أى الزنا ﴿حرام لعينه﴾ أى لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته ٭(والكسب)٭ اى لان كسب مال الحرام حرام ٭(لغيره)٭ أى لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره ٭والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام ٭(بخلاف النظر والهم)٭ أى القصد بفعل الزنا ٭وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فهما ليسا بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما ٭(لدوام الكسب)٭ أى وندور النظر والهم ٭ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة ٭(وسراية شره)٭ أى شر كسب الحرام ٭(الى الغير)٭ من الزوجة والولد ونحوهما ٭وأيضا النظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من أكل الحرام الا أن يخاف من افضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والهم من حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض

وَعِنْدَ الْأَمْنِ ؛ فَالْأَوْلَى الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ عِنْدَ عِظَمِ الْقُوَّةِ كَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالنِّكَاحُ لِصَاحِبِ الظَّاهِرِ وَالْعُزُوبَةُ لِصَاحِبِ الْبَاطِنِ كَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ ثُمَّ الْأَصْلُ تَرْكُ الشَّاغِلِ عَنْهُ تَعَالَى فَيَنْظُرُ

البصر لكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا تتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه فى العادة ﴿وعند الامن﴾ من الآفات (فالاولى الجمع بينه) أى بين التزوج (وبين العبادة) فانه أكمل الحالات وافضل المقامات (وهو) اى الجمع (عند عظم القوة) فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته (كما كان لرسول الله ﷺ) وصحابته (وان لم يقدر) أى على الجمع بينهما (فالنكاح لصاحب الظاهر) أى لمن يشتغل بالعمل الظاهر أولى ومنهم أرباب العبادة ﴿والعزوبة لصاحب الباطن﴾ اى عمله ومنهم أصحاب المعرفة اقوى (كالمسيح عليه السلام) وتحقيقه ماقاله حجة الاسلام ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتحليا لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له من المرام كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى أنهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلو ماله من الدرجات فى المقام لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فى حالته فلا ينبغى ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه وأما عيسى عليه السلام فانه أخذ بالحزم فى طاعته لا بالقوة فى حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر معهم طلب الحلال أو لا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلى للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم باسرار أحوالهم وأحكام اعصارهم فى مطالب انوارهم ، وسبحان من اقام العباد فيما اراد ﴿ثم الاصل﴾ أى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما ﴿ترك الشاغل عنه تعالى﴾ فقد قال عز وعلا : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون) ﴿فينظر﴾ أى يتفكر ويتأمل

وَيَخْتَارُ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ . وَصَلَاحِ الْقَلْبِ وَيَجْتَهِدُ الْمُتَخَلِّي فِي تَرْكِ أَغْذِيَةٍ تُحَرِّكُ الشَّهْوَةَ وَقَطْعِهَا بِالصَّوْمِ الدَّائِمِ وَالاقْتِصَارُ عِنْدَ الإِفْطَارِ وَغَضِّ الْبَصَرِ وَهُوَ بِالاعْتِزَالِ ، وَوَرَدَ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُلِّ عُضْوٍ زِنًا ، هٰذَا وَالنَّظَرُ يُهَيِّجُ الْوَسَاوِسَ . وَرُبَّمَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ وَيَتَعَذَّرُ الْوُصُولُ فَيُفْضِي إِلَى التَّعَبِ الشَّدِيدِ مَا يَسْتَوْفِي الْقَلْبَ . وَأَيْضًا كُلُّ عُضْوٍ يَصْلُحُ لِنِعْمَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ

﴿ ويختار ﴾ ماهو الاولى من النكاح وتركه ﴿ بحسب الباطن ﴾ أي صفائه ﴿ وصلاح القلب ﴾ أي وضيائه ﴿ ويجتهد المتخلي ﴾ أي المتجرد للعبادة باختيار العزوبة ﴿ فى ترك اغذية ﴾ جمع غذاء وهوما يتغذى به من غذاء وعشاء ﴿ تحرك الشهوة ﴾ اى تقويها من هريسة ونحوها ﴿ وقطعها بالصوم الدائم ﴾ فانه لها وجاء أي دواء كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين ﴿ والاقتصار ﴾ اى بالاختصار ﴿ عند الافطار ﴾ على التوسط فى الاكل ﴿ وغض البصر ﴾ عن المحرمات ﴿ وهو بالاعتزال ﴾ يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر فى جميع الأحوال ﴿ وورد قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ﴾ تمامه (ويحفظوا فروجهم) وفى عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاولى فى المحافظة ﴿ وجعل عليه السلام لكل عضو زنا ﴾ فعن ابن مسعود « العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى » أحمد . والطبرانى ﴿ هذا ﴾ أي خذ هذا أو هذا مضى ﴿ والنظر يهيج الوساوس ﴾ أي يبعثها ويحرك الهواجس ﴿ وربما يتعلق القلب ﴾ بالمنظور اليه ﴿ ويتعذر الوصول ﴾ بما لديه ﴿ فيفضى ﴾ ذلك التعلق ﴿ الى التعب الشديد بما يستوفى القلب ﴾ من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن عيسى عليه السلام انه قال : اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من أهل الفضائل حيث قال :

وانت اذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

﴿ وأيضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية ﴾ فالرجل للمشى فى رياض الجنة وقصورها

فَالْعَيْنُ لِلْقَائِه تَعَالَى لَحَقِيقٌ أَنْ تُصَانَ، ثُمَّ الصَّوَابُ فِى الْكَفِّ إِنْ قَدَرَ وَإِلَّا فَالنَّجَاءُ وَلَا إِثْمَ إِنْ فَقَدَ الْقَصْدَ، فَوَرَدَ «لَكَ الْأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ» وَالضَّرَرُ فِى الْأَمْرَدِ أَشَدُّ لِامْتِنَاعِ الْوُصُولِ فِى الشَّرْعِ، وَيُرَاعِى الْمُتَزَوِّجُ الِاعْتِدَالَ فِى الْوِقَاعِ فَالْإِفْرَاطُ فِى الْجِمَاعِ يَقْهَرُ الْعَقْلَ بِصَرْفِ الْهِمَّةِ إِلَى التَّمَتُّعِ. وَيَحْرِمُ عَنِ الْمَقْصُودِ. وَيُفْضِى إِلَى تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمُقَوِّيَةِ لِلشَّهْوَةِ. وَهُوَ كَتَنْبِيهِ السَّبُعِ الضَّارِى وَالْعِشْقُ وَهُوَ يَجْعَلُهُ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ.

واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها ﴿ فالعين للقائه تعالى لحقيق ان تصان ﴾ أى تحفظ عما ليس فى رضائه، ولله در القائل :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها   سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالكلام وقد جرى   حديث سواها فى خروق المسامع

﴿ ثم الصواب ﴾ أى الطريق العدل للمتخلى ﴿ فى الكف ﴾ أى كف النظر وامتناع البصر ﴿ ان قدر ﴾ على ذلك ﴿ والا فالنجاء ﴾ أى الفرار عما هنالك ﴿ ولا اثم ان فقد القصد ﴾ فى النظر ﴿ فورد ﴾ أى انه عليه السلام قال لعلى : ﴿ لك الأولى وعليك الثانية ﴾ أى لك النظرة الأولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد ﴿ والضرر ﴾ اى ضرر النظر ﴿ فى الأمرد أشد ﴾ أى اقوى من المرأة ﴿ لامتناع الوصول فى الشرع ﴾ وزيادة القبح فى العرف والفرع ﴿ ويراعى المتزوج الاعتدال فى الوقاع ﴾ أى الجماع وهو فى كل اربع من الايام والليالى كما سيأتى ﴿ فالافراط فى الجماع يقهر العقل ﴾ أى يغلبه ﴿ بصرف الهمة ﴾ أى تمامها ﴿ الى التمتع ﴾ بالشهوة ونظامها ﴿ ويحرم عن المقصود ﴾ الذى هو القيام بالعبادة ﴿ ويفضى الى تناول الاشياء المقوية للشهوة ﴾ من المعاجين والأدوية والمركبة والمفردة ﴿ وهو ﴾ أى تناولها ﴿ كتنبيه السبع الضارى ﴾ أى الصائل على من يقربه والراحة فى البعد عنه أو القرب اليه مع نومه ﴿ والعشق ﴾ اى ويفضى اليه ﴿ وهو ﴾ أى العشق المعبر عنه بفرط المحبة ﴿ يجعله اضل من الانعام ﴾ حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما يصير مجنونا فيما بين الانام، وانما قال: اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها فى اى

وَيبلِّغُ الْخِطْبَةَ . وَانْ كَانَ تَزوِيجهَا لِلْوَلِيِّ وَينظُرُها قَبْلَه تَقرِيباً لِلْأُلْفَة . وَ يَعقدُ فِى الْمَسْجِد ، فَوَرَدَ «اجْعَلُوهُ فِى الْمَسَاجِد» وَفِى شَوَّالَ فَفِيه كَانَ نِكَاحُ عَائِشَةَ رَضِىَ اللّهُ عنها

محل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لا يرضى الا فى غير محله ويحصر موضع قصده ولا يميل أبدا الى غيره ﴿ ويبلغ ﴾ عطف على يراعى أى ويوصل ﴿ الخطبة ﴾ بالكسر اى الرسالة باظهار الرغبة لكن لا فى حالة عدة المرأة ولا فى حال سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ، ففى الصحيحين من حديث ابن عمر « ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له » ﴿ وان كان تزويجها للولى ﴾ بان كانت صغيرة ﴿ وينظرها ﴾ أى ويرى وجه المخطوبة ﴿ قبله ﴾ أى قبل العقد ﴿ تقريبا للالفة ﴾ فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ، ففى الخبر « اذا أوقع الله فى نفس احد كم من امرأة فلينظر اليها » ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة ، وللترمذى . وحسنه . والنسائى . وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة « أنه خطب امرأة فقال له النبى ﷺ : انظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما » وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة « ان فى أعين الأنصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن » قيل كان فى أعينهن عمش وقيل صغر أو صفر ، وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر ، وقال الأعمش : كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ، ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لأن الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن » وللنسائى من حديث أبى هريرة بسند صحيح « خير نسائكم التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسه وماله » وفى رواية ولا تخالفها « فى نفسها ولا مالها » ﴿ ويعقد فى المسجد ﴾ مع احضار جمع من أهل الصلاح فى المشهد ﴿ فورد اجعلوه ﴾ أى عقد النكاح ﴿ فى المساجد ﴾ رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا بسند حسن . وابن حبان من حديث عمرو بن أمية الضمرى بلفظ « أعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف » ﴿ وفى شوال ﴾ قد يتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون الأمر به واردا وليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد أى ويعقد فى شوال ردا على من كره العقد بين العيدين ﴿ ففيه ﴾ أى ففى شوال ﴿ كان نكاح عائشة رضى الله عنها ﴾

وَزِفَافُهَا . وَيُقَدِّمُ الْخُطْبَةَ . وَالتَّحْمِيدَ وَالصَّلَاةَ فِي كُلٍّ مِنَ الْإِيجَابِ وَالْقَبُولِ . وَلَا يَتَزَوَّجُ لِعِزِّهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَفِيهِ وَعِيدٌ ، وَيَخْتَارُ الْمُتَدَيِّنَةَ لِئَلَّا تُفْسِدَ الدِّينَ ، فَوَرَدَ « عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ » وَالْحَسَنَةَ الْخُلُقِ

أي عقدها ﴿ و زفافها ﴾ أي وصولها ففي صحيح مسلم عن عائشة « تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني بي في شوال » ﴿ و يقدم الخطبة ﴾ بالضم - يعني المعروفة في السنة - وهي الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) رواه الأربعة . والحاكم . وأبو عوانة عن ابن مسعود ﴿ والتحميد والصلاة ﴾ أي على النبي عليه السلام ﴿ في كل من الايجاب والقبول ﴾ فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة على صداق كذا فيقول الزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق ﴿ ولا يتزوج ﴾ أي امرأة ﴿ لعزها ﴾ أي جاهها ﴿ ومالها وجمالها ﴾ فورد « وتنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين » متفق عليه من حديث أبي هريرة ﴿ ففيه وعيد ﴾ وهو « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » كذا في الاحياء ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن حبان في الضعفاء « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها » ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ﴿ ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين ﴾ على زوجها ﴿ فورد عليك بذات الدين ﴾ كما تقدم ﴿ والحسنة الخلق ﴾ بالضم أي السيرة فانها أحسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو

لِيَحْصُلَ الْفَرَاغُ ، وَالْجَمِيلَةَ فَالصِّيَانَةُ فِيهِ أَكْثَرُ . وَالْمَمْنُوعُ هُوَ الْاكْتِفَاءُ بِالْجَمَالِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَاهِدًا فَيَعْرِضَ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَلِيلَةَ الْمَهْرِ ، فَوَرَدَ « خَيْرُ النِّسَاءِ أَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا » يُمْنُ الْمَرْأَةِ خِفَّةُ مَهْرِهَا وَ يُسْرُ نِكَاحِهَا وَحُسْنُ خُلُقِهَا .

الصورة ».(ليحصل الفراغ)» أى فراغ الخاطر، وهذا اصل مهم فى الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر «(والجميلة)» أى الحسنة الصورة ».(فالصيانة فيه)» أى فى هذا النوع ».(أكثر)» والقناعة فيه أظهر، وقد أخرج الحكيم الترمذى فى نوادره ان زكريا عليه السلام « تزوج فتاة جميلة رائعة قد أشرق لها البيت حسنا فقيل له فى ذلك فقال: أكف بها بصرى واحفظ بها فرجى ».(والممنوع)» على ما تقدم ».(هو الاكتفاء بالجمال)» مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال «(الا أن يكون)» استثناء من قوله ويختار الجميلة ».(زاهدا)» أى غير راغب فى لذات الدنيا ».(فيعرض عنه لأنه من الدنيا)» بل أكبر لهواتها وأعظم شهواتها ولأنه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتها وكان مالك بن دينار يقول: يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فقيرة فيؤجر فيها ان أطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان ـ يعنى أبناء الدنيا ـ فتشتهى عليه الشهوات فتقول : اكسنى كذا وكذا » وقال أبو سليمان الدارانى: الزهد فى كل شيء حتى فى المرأة تزوج الرجل بعجوز ايثارا للزهد فى الدنيا، واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل عن اعقلهما فقيل العوراء فقال : زوجونى اياها ».(وقليلة المهر فورد خير النساء أرخصهن مهورا)» ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه « خيرهن أيسرهن صداقا » ».(يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها)» ابن حبان من حديث عائشة « من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها أى مهرها ، وقد جعل صداق فاطمة أربعمائة درهم وهى أفضل النساء من جهة النسب والحسب اجماعا ».(وحسن خلقها)» يحتمل الضم والفتح وهو أظهر لما روى أبو عمر التوقانى « ان أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها واقلهن مهورا » ولفظ الاحياء « أرخصهن مهورا وأحسنهن وجوها » ولأحمد والبيهقى « ان أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » واسناده جيد، وفى لفظ لهما من حديث عائشة « من يمن المرأة ان تيسر خطبتها وان تيسر صداقها وان تيسر رحمها، قال عروة يعنى الولادة واسناده جيد، وورد أنه عليه السلام « تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم

وَالْوَلُود لأَنَّ الْوَلَد هو الْمَقْصُود، وورد « عَلَيْكُمْ بِالْوَلُود » وَالْبِكْر، فورد « هلَّا بكراً تُلاعبها وتُلاعبك » وفيها شدة الْمَحبة والألفة وَالثَّيب تبغض صفات تُخالف ما ألفتها. ويميل طبعها إلى الأول. وينفر الزوج الثاني لو ذكرته. وَالنَّسيبة من

واثاث بيت و كان رحى يدوجرة ووسادة من أدم حشوها ليف» كذا في الاحياء. وقال العراقي: رواه أبو داود الطيالسي . والبزار من حديث أنس « تزوج رسول الله ﷺ على متاع قيمته عشرة دراهم، قال البزار: روايته في موضع آخر « تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها أربعون درهما » ورواه الطبراني في الأوسط، ولأحمد من حديث على « لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحايين . وسقاء وجرتين » ورواه ابن حبان . والحاكم وصحح اسناده . وابن حبان مختصرا « و كان عمر ينهى عن المغالات ويقول: ما تزوج ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم » رواه أصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذي ، وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم ، وأصل الحديث متفق عليه من حديث أنس وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف لجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها ﴿ والولود لأن الولد هو المقصود ﴾ أي الأعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم ﴿ وورد عليكم بالولود ﴾ أبو داود . والنسائي من حديث معقل بن يسار « تزوجوا الودود الولود » واسناده صحيح . وللبيهقي باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا « خير نسائكم الولود الودود » ولابن حبان من حديث بهز بن حكيم « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » وعن عمر لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لم تلد ﴿ والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ﴾ متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا ﴿ وفيها شدة المحبة والالفة ﴾ لما فيها من عدم الخلطة والكلفة ﴿ والثيب تبغض صفات ﴾ في الزوج الثاني ﴿ تخالف مألوفاتها ﴾ وتباين ما كانت تلقى في أزواجها من معروفاتها ﴿ ويميل طبعها الى الأول ﴾ كما قيل:

* ما الحب الا للحبيب الأول * ولذا قيل: المرأة التي تزوجت بمتعدد تكون في الجنة مع الاول، وقيل مع الثاني، وقيل مع أحسنهم خلقا وهو الأظهر ﴿ وينفر الزوج الثاني لو ذكرته ﴾ أي الزوج الأول ببعض محاسنه كما في العكس ﴿ والنسيبة ﴾ الكائنة ﴿ من

أَهْلِ الدِّينِ لِيَسْرِي الصَّلَاحُ إِلَى الْوَلَدِ ، فَوَرَدَ « إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ » أَيِ الْحَسْنَاءَ مِنْ مَنْبَتِ السُّوءِ . وَغَيْرُ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ فَهِيَ تَنْقُصُ الشَّهْوَةَ ، وَنَهَى عَنْهُ مُعَلِّلًا بِأَنَّ الْوَلَدَ خُلِقَ مَهْزُولًا ، وَجَاءَ الِاجْتِنَابُ عَنِ الطَّوِيلَةِ الْمَهْزُولَةِ . وَالْقَصِيرَةِ الدَّمِيمَةِ . وَالْمُسِنَّةِ . وَالْمِكْثَارَةِ وَذَاتِ وَلَدٍ

أهل الدين ﴾ كبنات العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والأمراء وسائر الأغنياء ﴿ ليسرى الصلاح إلى الولد ﴾ فان الولد سر أبيه ﴿ فورد اياكم وخضراء الدمن ﴾ تمامه « فقيل وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء » الدارقطنى فى الافراد من حديث أبى سعيد الخدرى فقوله: ﴿ أى الحسناء من منبت السوء ﴾ من أصل الحديث لامن تفسير المصنف، وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه « اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل أصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها » و الدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر ، شبهت المرأة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر فى الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد، والاعراق جمع عرق والمراد به الأصل، وقد ورد « تخيروا لنطفكم » ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس ﴿ وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة ﴾ لأن ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية الجديدة فضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد، وهذا معنى قوله ﴿ ونهى عنه معللا بأن الولد خلق مهزولا ﴾ فعن عمر انه قال لآل السائب « قد أضويتم فانكحوا فى الترابع » رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال: معناه تزوجوا الغرائب ويقال: اغتربوا لاتضووا ، وللطبرانى عن طلحة بن عبيدالله « والناكح فى قومه كالمعشب فى داره » ، وفى اسناده سليمان بن أيوب بن سليمان الطلحى ، قال ابن عدى: « عامة احاديثه لايتابع عليه أحد » ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده وقال : أحاديثه عندى صحاح ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة ﴿ وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة الدميمة ﴾ بالمهملة أى القبيحة وبالمعجمة أى المذمومة ﴿ والمسنة ﴾ أى العجوز الكبيرة ﴿ والمكثارة ﴾ أى الكثيرة الكلام ﴿ وذات ولد ﴾ أى من غيره، فى مسند الامام

ثُمَّ رِعَايَةُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِي الزَّوْجِ أَوْلَى

أبي حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال: أخبرني شيخ من أهل المدينة عن زيد بن ثابت أنه جاء الى النبي ﷺ ،فقال له هل تزوجت يا زيد؟ قال: لا قال: تزوج تستعف مع عفتك ولا تتزوجن خمسا قال: ماهن؟ قال لا تتزوجن شهيرة ولا نهيرة ; ولا لهيرة ولا هيدرة . ولا لفوتا قال زيد: يارسول الله لا أعرف شيئا مما قلت قال: بلى أما الشهيرة فالزرقاء البذية وأما النهيرة فالطويلة المهزولة، وأما اللهيرة فالعجوز المدبرة ، وأما الهيدرة فالقصيرة الدميمة وأما اللفوت فذات الولد من غيرك ، قال الشيباني: ضحك أبو حنيفة من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه الديلمي عن أبي هريرة، وقال بعض العرب: لا تنكح من النساء ستا أنانة . ولا منانة . ولا حنانة . ولا براقة . ولا حداقة . ولا شداقة فالانانة التي تكثر الأنين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها أو مالها والحنانة التي تحن الى زوج آخر أولها ولد من زوج آخر والحداقة التي ترمى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لا طاقة له فيه، والبراقة التي تكون طول نهاره في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام، ويحكى ان السائح الأزدي لقى الياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال: لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة، والمبارية المباهية لعزها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في أمرها ونهيها ﴿ثم رعاية تلك الأوصاف في الزوج أولى﴾ فان الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه اقوى كما لا يخفى، وعن عائشة واسماء بنتي الصديق « النكاح رق فلينظر أحد كم أين يضع كريمته » قال البيهقي: روى ذلك مرفوعا والموقوف اصح وورد « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح وروى ان بلالا وصهيبا اتيا أهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما: من انتما؟ فقال بلال انا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله فقالوا : بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال : لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال : اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق، وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل أيضا عن مالها، قال الثوري: اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمرأة فاعلم أنه لص، وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي

وَيهادى ، فورد « تَهادوا تَحابُّوا » وَيولِمُ فهو مَروى عنه عليه السَّلام قولًا وفعلًا ، ويعجل بها فهى فى اليومِ الأَوَّلِ سنّة . وفى الثَّانى متعارف ، وفى الثَّالث رياءٌ ،

جماعة فمن ازوجها؟ قال: ممن يتقى الله فانه ان احبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها ، وعن علي شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب فى حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شىء فلم تخرج من بيتها قبل واذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه . فهى على صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة بهذه الصفات فى قوله: (خيرات حسان) أراد بالخيرات حسن الاخلاق وفى قوله: (قاصرات الطرف) وفي قوله (عربا اترابا) فالعروب هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة، والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين هذا، وفى الحديث « لاتتزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر بكم الأمم » الطبرانى . والحاكم عن عياض بن غنم، وللشيرازى « عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا أى ارحاما واسخن اقبالا » ﴿ ويهادى ﴾ أى كل منهما صاحبه قبل التزوج أو الرجل لانه أولى ان يكون فى هذا الفعل هو البادى ﴿ فورد تهادوا تحابوا ﴾ البخارى فى كتاب الأدب المفرد والبيهقى من حديث أبى هريرة بسند جيد « واذا أهدى شيئا فلا ينبغى ان يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه » وكذا اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط لتطلب أكثر ﴿ ويولم ﴾ أي يصنع الوليمة وهى طعام العرس للمرأة النكيرمة ﴿ فهو مروى عنه عليه السلام قولا ﴾ وهو قوله عليه السلام لابن عوف « أولم ولو بشاة » مالك والجماعة عن أنس والبخارى عن ابن عوف ﴿ وفعلا ﴾ ففى البخارى من حديث عائشة « أولم على بعض نسائه بمدين من شعير » وفى السنن الأربعة من حديث أنس « أولم على صفية بسويق وتمر » ولمسلم فجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين « التمر والاقط والسمن » ﴿ ويعجل بها فهى فى اليوم الأول سنة ﴾ أى مؤكدة قريبة الى الواجب ﴿ وفى الثانى معارف ﴾ اى استحبابه ﴿ وفى الثالث رياء ﴾

وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ فَهُوَ ايذاء ،وَيعلن فَوَرَد « أَعْلِنُوا النِّكَاحَ »

وَينثر السُّكَّر وَاللَّوْز عَلَى رَأْسِهَا . وَيَنْتَهِب القوم فهو سُنَّة

اى وسمعة فى بابه فعن ابن مسعود مرفوعا « طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة » الترمذى والمعنى « اذا أحدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا » واستحب ذلك فى الثانى جبرا لما يقع من النقصان فى اليوم الاول فان السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ،ومن هنا قالوا : تجب الاجابة على المدعو فى الأول وتستحب فى الثانى وتحرم فى الثالث ثم يستحب التهنئة له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير كما رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه عن أبى هريرة ﴿ولا يخطب على خطبة أخيه﴾ وقد تقدم ماورد من نهيه عليه السلام ﴿ فهو إيذاء ﴾ أى للمؤمن وهو حرام قال تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) وورد « من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » الطبرانى فى الأوسط عن أنس ﴿ ويعلن ﴾ اى خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها ﴿ فورد أعلنوا النكاح ﴾ تمامه « واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف » الترمذى من حديث عائشة وحسنه ،وفى صحيح البخارى عن الربيع بنت معوذ « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة ليلة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبائى الى ان قالت احداهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها : اسكتى عن هذا وقولى ما كنت تقولين قبلها »وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت أى فرق مابينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون فى السرائر مع الخاصة، وقال الفقهاء: المراد بالدف مالا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذ لم يكن فى دف زمانه عليه السلام جلاجل وأيضا فهى زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها ﴿ وينثر السكر واللوز على رأسها وينتهب القوم فهو سنة ﴾ فقد أخرج أبو جعفر الطحاوى بسنده، وكذا البيهقى عن معاذ بن جبل « أن رسول الله ﷺ حضر ملاك رجل من الأنصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم أيديهم فقال عليه السلام: لم لا تنتهبون؟ قالوا: انك نهيت عن النهبة قال : أما العرسان فلا قال : فرأيت رسول الله ﷺ يجاذبهم ويجاذبونه» واحتج

وَيَغْسِلُ الزَّوْجُ رِجْلَيْهَا . وَيَرْمِي الْمَاءَ فِي زَوَايَا الْبَيْتِ لِتَدْخُلَهُ الْبَرَكَةُ وَيَنْوِي فِي الْمُبَاشَرَةِ تَحْصِينَ الْفَرْجِ . وَتَفْرِيغَ الْقَلْبِ . وَيُسَمِّي فِي ابْتِدَاءِ الْوِقَاعِ . وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ . وَيَسْأَلُهُ تَعَالَى الذُّرِّيَّةَ الطَّيِّبَةَ . وَمُجَانَبَةُ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ .

به الطحاوي على أن النثار غير مكروه كما ذهب اليه أبو حنيفة وخص به على الاحاديث التي فيها النهي عن النهبة ﴿ ويغسل الزوج رجليها و يرمي الماء في زوايا البيت ليدخله البركة ﴾ لم أجد له أصلا وانما أخرج أحمد في المناقب من حديث أبي يزيد المدني وقال : فأرسل النبي الى علي أي بعد عقد فاطمة لاتقرب حتى آتيك لجاء النبي ﷺ فدعا بماء فقال ماشاء الله أن يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر في ثوبها وربما قال في مرطها من الحياء فنضح عليها أيضاء وفي رواية ابن حبان عن أنس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة : آتيني بماء فقامت الى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها: تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال:(اللهم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ثم قال لها: أدبري فادبرت فصب بين كتفيها وقال:ماقال أولا ثم قال لعلي: آتيني بماء فاتي به فنضح بين ثدييه ثم قال:اللهم اني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم، ثم قال أدبر فأدبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل بأهلك بسم الله والبركة، ﴿ وينوي في المباشرة ﴾ أي المجامعة ﴿ تحصين الفرج ﴾ و كذا العين لقوله سبحانه :(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) ﴿ وتفريغ القلب ﴾ أي عما يشغله عن ذكر الرب ﴿ و يسمي في ابتداء الوقاع ﴾ اي قبيل الجماع ﴿ ويقرأ الفاتحة ﴾ لم أجده الا في الاحياء من غير بيان الانباء ﴿ ويسأله تعالى الذرية الطيبة ﴾ اقتداء بزكريا عليه السلام حيث قال :(قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) ﴿ ومجانبة الشيطان فهو مأمور به ﴾ فروى الجماعة عن ابن عباس «أنه اذا أراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه لو قضي بينهما ولد لم يضره» وفي رواية للبخاري « لم يضره شيطان أبدا» ولابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفا «وقال واذا أنزل قال اللهم لاتجعل للشيطان فيما رزقتني سبيلا » ومن آدابه أن ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي نفسه وأهله بثوب فقد قال عليه السلام: «اذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردا تجرد البعيرين » ابن ماجه

وَيَجْتَنِبُ اللَّيْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ . وَالْآخِرَ . وَالْوَسَطَ فَهُوَ أَوْقَاتُ حُضُورِ الشَّيْطَانِ . وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ . وَيَلْبَثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ لِتَفَرُّغِ ، وَيُبَاشِرُ كُلَّ أَرْبَعِ لَيَالٍ فَهُوَ الاعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِإِبَاحَةِ الْأَرْبَعِ .

من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف، ويقدم المكالمة والملاعبة والقبلة، فللديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل: وما الرسول يارسول الله؟ قال: القبلة والكلام » ﴿ ويجتنب الليل الأول من الشهر والآخر والوسط فهو ﴾ وفى نسخة فهى ﴿ أوقات حضور الشيطان ﴾ ويقال: ان الشياطين يحضرون الجماع فى هذه الليالى ويقال: ان الشياطين يجامعون فيها، وروى كراهية ذلك عن على . ومعاوية . وأبى هريرة كذا فى الاحياء ﴿ وأول الليلة ﴾ أى ويجتنب أول كل ليلة ﴿ ليكون النوم على الطهارة ﴾ فانه أولى من أن يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فيستحب أن يغتسل أو يتوضأ أو يتيمم ثم يرقد، ففى حديث عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم: « أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: نعم اذا توضأ » متفق عليه، وعن عائشة « كان ينام جنبا لم يمس ماء » أبو داود . والترمذى . وابن ماجه ﴿ ويلبث بعد الفراغ ﴾ أى ويمكث الرجل بعد فراغ منيه ﴿ لتفرغ ﴾ أى المرأة من انزال منيها فان انزالها ربما يتأخر فتهييج شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها ﴿ ويباشر كل أربع ليال فهو الاعتدال استدلالا باباحة الأربع ﴾ فقد روى أن امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سور فقالت: ياأمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه فقال عمر: نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لايزيدها على ذلك فقال كعب ياأمير المؤمنين انها تشكو زوجها فى هجرة فراشها فقال له عمر: فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فأرسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب: ماتقولين؟ فقالت :

ياأيها القاضى الحكيم أرشده ❊ ألهى خليلى عن فراشى مسجده

زهده فى مضجعى تعبده ❊ نهاره وليله مايرقده

ولست فى أمر النساء أحمده

فقال لزوجها: ماتقول؟ فقال :

وَيَزِيدُ لِحَاجَتِهَا فَتَحْصِينُهَا وَاجِبٌ، وَيَتَّخِذُ كُلٌّ مِنْهُمَا خِرْقَةً لِإِزَالَةِ الْأَذَى، وَيُضَاجِعُ الْحَائِضَ. وَيُوَاكِلُهَا. وَيُشَارِبُهَا مُخَالَفَةً لِلْمَجُوسِ. وَلَا يَأْتِيهَا جَانِبَ الدُّبُرِ فَهُوَ اللِّوَاطَةُ الصُّغْرَى.

زهد فى فراشها وفى الكلل ٭ انى امرؤ أذهلنى ماقد نزل
فى سورة النجم وفى السبع الطول

فقال له كعب:

ان لها عليك حقا يارجل ٭ نصيبها فى أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل

فقال له عمر من أين لك هذا؟ قال: لأن الله تعالى أباح للحر أربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فأعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية ﴿ ويزيد لحاجتها ﴾ وكذا لحاجته ﴿ فتحصينها واجب ﴾ وكذا تحصينه بل أوجب فى مقام دينه وحال يقينه ﴿ ويتخذ كل منهما خرقة ﴾ أى نظيفة ﴿ لازالة الأذى ﴾ وهو المنى لأنه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع أن الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة ﴿ ويضاجع الحائض ﴾ أى ويرقد معها ولا يجتنب عن ان يعانقها ﴿ ويؤاكلها ويشاربها مخالفة للمجوس ﴾ واخوانهم من الروافض النحوس ﴿ ولا يأتيها جانب الدبر فهو ﴾ وفى نسخة فهى ﴿ اللواطة الصغرى ﴾ ولو جانب لفظ الجانب لكان أحسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات، وللترمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح «ان عمر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله هلكت قال: وما الذى اهلكك؟ قال: حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شىء وأوحى اليه (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله (نساؤكم حرث لكم) الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذى يأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احول، ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد، واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال: اللواطة الصغرى

وَلَا يَدُومُ عَلَى تَرْكِ الْوَطْءِ فَهُوَ يُضْعِفُ الْقُوَّةَ . وَلَا يُبَاشِرُ بَعْدَ مُبَاشَرَةٍ أَوْ أُحْتِلَامٍ إِلَّا أَنْ يَغْسِلَ نَفْسَهُ أَوْ يَبُولَ . وَلَا يَعْزِلُ فَهُوَ كَالْجُلُوسِ فِى الْمَسْجِدِ بِلَا عِبَادَةٍ . وَالْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ بِلَا حَجٍّ . وَلَا يَأْثَمُ بِهِ إِنْ نَوَى اسْتِبْقَاءَ الْمِلْكِ فِى الْجَارِيَةِ . وَالْحُسْنِ . وَالسِّمَانَةِ لِلتَّمَتُّعِ . وَالْحَيَاةِ بِالتَّحَرُّزِ عَنِ الْمَخَاضِ .

فان الكبرى انما هي مع الرجال ، ولا خلاف بين السلف والخلف في ان غشيان المرأة والجارية في دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه امتراء، كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى ، وقد ورد عن أحمد في المسند وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « ملعون من أتى امرأة في دبرها » وفي رواية لاحمد وأصحاب السنن الأربعة عنه أيضا « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول او أتى امرأة حائضا او أتى امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ﴿ ولا يدوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة ﴾ أي على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة ﴿ ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل نفسه ﴾ اي ذكره ﴿ او يبول ﴾ فانهما يقطعان المني فاذا خرج بعدهما شيء يكون مذيا ﴿ ولا يعزل ﴾ والمعتمد ان يستأمر الحرة في العزل دون الأمة وكره جماعة العزل مطلقا لما ورد من قوله عليه السلام : هو الوأد الخفي كما في مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الحكمي ﴿ فهو ﴾ أي العزل ﴿ كالجلوس في المسجد بلا عبادة ﴾ لانه طاعة في موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة ﴿ والاقامة بمكة بلا حج ﴾ أي في كل سنة وكذا بلا طواف في كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الوأد الجلي بان الثاني جناية على موجود أو مشهود ولذا قال علي كرم الله وجهه لا تكون موؤدة الا بعد سبع أي سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح ﴿ ولا يأثم به ﴾ أي بالعزل ﴿ ان نوى استبقاء الملك في الجارية ﴾ بترك الاعتاق ثم اذ قطع اسبابه ليس بمنهي عنه ﴿ والحسن والسمانة للتمتع ﴾ أي واستبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها ﴿ والحياة ﴾ أي واستبقاء الحياة ﴿ بالتحرز عن المخاض ﴾ وهو وجع النفاس حال الطلق، وهذا أيضا

وَالْخَوْفَ مِنَ الْافْضَاء . إِلَى كَسْبِ الْحَرَامِ فَكَانُوا يَعْزِلُونَ وَ مَانُهُوا عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَرْكُ الْفَضِيلَةِ . وَهُوَ التَّوَكُّلُ ، فَوَرَدَ « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » ، وَيَأْثَمُ إِنْ خَافَ وِلَادَةَ الْبِنْتِ فَهُوَ عَادَةُ الْجَاهِلِيَّةِ .أَوْأَرَادَ بِهِ الْمُبَالَغَةَ فِي النَّظَافَةِ فَهُوَ بِدْعَةٌ .

ليس منهيا عنه ﴿ والخوف ﴾ أى وان نوى المخافة ﴿ من الافضاء الى كسب الحرام ﴾ بسبب كثرة الأولاد ومايترتب عليه من كثرة الخروج فى البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة أهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا أيضا ليس بمنهى عنه ﴿ فكانوا ﴾ أى الصحابة ﴿ يعزلون وماهوا عنه ﴾ فى الصحيحين عن جابر « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله فلم ينهنا ، وفى رواية لمسلم من حديث أبى سعيد وانهم سألوه عن العزل فقال: لاعليكم ان لاتفعلوا ، ورواه النسائى من حديث أبى صرمة ، وفى صحيح مسلم عن جابر وأن رجلا أتى النبى ﷺ فقال ان لى جارية وهى خادمنا وسانيتنا فى النخل وانا اطوف عليها واكره أن تحمل فقال: اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ماقدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال: ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم انه سيأتيها ماقدر لها ، وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد « ما من نسمة قدر كونها الا وهى كائنة » ﴿ وان كان فيه ﴾ أى ولو فى العزل خوفا من الافضاء الى كسب الحرام ﴿ ترك الفضيلة وهو التوكل ﴾ والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال : (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) ﴿ فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا ﴾ أى من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه ﴿ ويأثم ان خاف ولادة البنت ﴾ لما فى تزويجهن من المعرة ﴿ فهو ﴾ أى خوفها ﴿ عادة الجاهلية ﴾ فى قتلهم البنات ووأدهن فى حال الحياة كما أخبر الله سبحانه عنهم فى الكتاب (واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) ﴿ أو اراد به المبالغة فى النظافة ﴾ بتعززها و كمال تحرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذا نواها ﴿ فهو ﴾ أى العزل بهذا القصد ﴿ بدعة ﴾ لانها عادة الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة ، وقد استأذنت

وَيفرَح بِالْمولُود، فورَد «انه نورٌ في الدنيا وسرورٌ في الآخرة» وَلَا يغتم بِالْبِنْت لِأَنَّ الصَّلَاح مستورٌ. وَيزْدَاد فرحاً مخالفةً للجاهليّة، وَوَرَد «بركةُ الْمَرْأَة تَبْكِيرهَا بِالْبَنَات مَن ابْتُلِيَ مِنْهُنَّ بِشَيْء فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ ستراً مِنَ النَّار»

واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ﴿ ويفرح بالمولود ﴾ فانه المقصود في ميدان الوجود وايوان الشهود ﴿ فورد انه نور ﴾ أي للعين ﴿ في الدنيا وسرور ﴾ أي للقلب ﴿ في الآخرة ﴾ أي عند شفاعته في العقبى ولم أجد له أصلا، وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع، وقد ورد «الولد ثمرة القلب وانه مجبنة محزنة مبخلة» أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد، وفي رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم «الولد من ريحان الجنة» وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور) ﴿ ولا يغتم بالبنت لان الصلاح مستور ﴾ اذ قد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الأمر بالعكس أو يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو أيضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) ﴿ ويزداد فرحا ﴾ أي لولادة البنت بالتكلف فيه باظهاره ﴿ مخالفة للجاهلية ﴾ حيث قال تعالى: (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) وورد «من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه» الخرائطي بسند ضعيف وفي رواية له «فيبدأ بالاناث قبل الذكور» ﴿ وورد بركة المرأة تبكيرها ﴾ أي اول ولادتها ﴿ بالبنات ﴾ الديلمي عن عائشة وواثلة كلاهما مرفوعا بلفظ «من بركة المرأة تبكيرها بالاناث» وحكاه ابن عطية عن الثعلبي موقوفا على واثلة بلفظ «من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني قوله تعالى (يهب لمن يشاء اناثا)» وعن ابن عباس «ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تدع فان البركة في البنات» ذكره السخاوي ﴿ من ابتلى منهن ﴾ أي بالبنات ﴿ بشيء ﴾ أي قليلا أو كثيرا ﴿ فاحسن اليهن ﴾ بالتربية ﴿ كن له سترا من النار ﴾ أي حجابا أحمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ «من ابتلي من هذه البنات» الحديث، وعن ابن عباس «ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا أدخلتاه الجنة» ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وعن أنس «من كان له ابنتان

وَيُؤَذِّنُ فِى أُذُنِهِ الْيُمنَى . وَيُقِيمُ فِى الْيُسْرَى ، فَوَرَدَ فِيهِ «دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ» وَيَقْطَعُ سُرَّتَهُ . وَيُمِيطُ الْأَذَى . وَتُرْضِعُهُ الْأُمُّ فَهُوَ سُنَّةٌ . وَلَا تَسْأَمُ . وَلَا يَتَبَرَّمُ . وَلَا يَتَضَجَّرُ

أو اختان فاحسن اليهما ماصحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين» الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف، ورواه الترمذى بلفظ «من عال جاريتين» وقال: حديث حسن غريب، وعن ابن مسعود «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعم التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة» الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق، وعن أبى هريرة «من كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يارسول الله قال واثنتان فقال رجل أو واحدة فقال اوواحدة» الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال: صحيح الاسناد ﴿ ويؤذن فى اذنه اليمنى ﴾ أى فى اول مايلد ليكون أول مايقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعى الى طاعته وعبادته ﴿ ويقيم فى اليسرى ﴾ فيكون سببا لحضوره فى المسجد واداء الصلاة بجماعة، وعن أبى رافع «رأيت رسول الله ﷺ اذن فى اذن الحسين حين ولدته فاطمة» أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذى وصححه الا أنهما قالا الحسن مكبرا ﴿ فورد فيه ﴾ أى فيما ذكر من الأذان والاقامة أو فى جمعهما ﴿ دفعت عنه ام الصبيان ﴾ فانها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الأذان لكمال العدوان ، وعن الحسين بن على «من ولد له مولود فاذن فى اذنه اليمنى وأقام فى اذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» أبو يعلى الموصلى وابن السنى «فى اليوم والليلة» والبيهقى فى شعب الايمان ﴿ ويقطع سرته ويميط الأذى ﴾ أى يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه لما سيأتى ﴿ وترضعه الأم ﴾ أى ولو مرة فانه اول تربية فيختص باشفق الناس وارحمها وليصدق على أمه ماقال تعالى : (حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) ولتخرج عن عهدة ظاهر الأمر فى قوله سبحانه: (والوالدات يرضعن أولادهن) الآية، وقوله ﴿ فهو سنة ﴾ لم أجد لها أصلا ﴿ ولا تسأم ﴾ أى لا تمل الأم ، وفى نسخة ولا تتسأم بصيغة المعلوم للمؤنث أو المجهول للمذكر ﴿ ولا يتبرم ولا يتضجر

أَحَدٌ بِبُكَائِهِ فَهُوَ ذِكْرٌ كَمَا وَرَدَ ، وَجَاءَ الاخْتِتَانُ فِى الْيَوْمِ السَّابِعِ ، وَقِيلَ: يُؤَخَّرُ عَنْهُ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ . وَتَحَامِياً عَنِ الْخَطَرِ ، وَوَقْتُهُ سَبْعُ سِنِينَ وَتُخْتَنُ الْأُنْثَى فَوَرَدَ « أَنَّهُ مَكْرُمَةٌ » وَهُوَ يُنَضِّرُ الْوَجْهَ وَيُفَتِّرُ الشَّهْوَةَ . وَيَلَذُّ الْوِقَاعَ . وَيُحَبِّبُ إِلَى الزَّوْجِ . وَلَا يُبَالَغُ فِيهِ . وَيُحَسِّنُ الْاسْمَ ، فَوَرَدَ « حَسِّنُوا أَسْمَاءَ أَوْلَادِكُمْ »

أحد ببكائه فهو ذكر كما ورد ﴾ عن ابن عمر مرفوعا « بكاء الصبى الى شهرين شهادة ان لا إله الا الله والى أربعة أشهر الثقة بالله والى ثمانية أشهر الصلاة على النبى عليه السلام ولسنتين إستغفار لوالديه » أخرجه الديلمى بسند ضعيف ، وفى لفظ لغيره « بكاء الصبى فى المهد أربعة اشهر توحيد وأربعة أشهر صلاة على نبيكم وأربعة اشهر استغفار لوالديه » ذكره السخاوى فى القول البديع ﴿ وجاء الاختتان فى اليوم السابع ﴾ فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا ، وقد روى الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام » ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى من حديث عائشة ﴿ وقيل يؤخر عنه ﴾ أى حتى يصير كبيرا ﴿ مخالفة لليهود ﴾ فانهم يعجلون فى هذا الأمر ﴿ وتحاميا عن الخطر ﴾ أى خطر المولود عن الموت فان الخطر فى حال الصغر اكثر من زمان الكبر « (ووقته) » أى وقت غاية تأخيره « (سبع سنين) » أو عشر سنين أوما يطاق ألمه فيه وقد اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو أول من اختتن ويترك لو ولد شبيها بالمختون « (وتختن الانثى) » أى البنت « (فورد انه مكرمة) » أى سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » الطبرانى « (وهو) » أى اختتان الانثى « (ينضر الوجه) » أى يحسنه ﴿ ويفتر الشهوة ﴾ أى يسكنها ﴿ ويلذ الوقاع ﴾ أى الجماع ﴿ ويحبب الى الزوج ﴾ وهو سبب محبة الزوجة ﴿ ولا يبالغ ﴾ بصيغة المجهول ﴿ فيه ﴾ اى فى الختان أو فى ختانها بالخصوص ﴿ ويحسن الاسم ﴾ أى اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده ﴿ فورد حسنوا اسماء أولادكم ﴾ أبو داود من حديث أبى الدرداء قال النووى باسناد جيد ، وقال البيهقى : انه مرسل ولفظه « انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم

وَالتَّعبِيدُ أَحَبُّ ، فورد « إذا سميتم فعبدوا » وَأَحَبُّ الاسماء إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمن . ولا يجمع بين أسمه عليه السلام و كُنيته ، فهو منهى عنه ، وقيل : كان ذلك فى عهده عليه السلام ، ويبدل الاسم السيء فبدّل عليه السلام اسم العاصي بعبد الله . وبرّة بزينب ، وقال : تزكى نفسها . ونهى عن افلح ، ونافع . وبركة تحاميا عمّا قيل ليس فى الدار بركة ، ويُسمى السقط و إن جُهِل صفته فيما

وورد « حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويزوجه اذا أدرك ويعلمه الكتابة » أبو نعيم والديلمى عن أبي هريرة وفى رواية زيادة « والسباحة والرماية » ﴿والتعبيد﴾ اضافة العبد الى اسماء الرب ﴿احب﴾ أى افضل ﴿فورد اذا سميتم﴾ أى اردتم أن تسموا أولادكم ﴿فعبدوا﴾ الطبرانى من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه ﴿واحب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن﴾ مسلم من حديث ابن عمر ﴿ولا يجمع بين اسمه عليه السلام و كنيته فهو﴾ أى الجمع بينهما ﴿منهى عنه﴾ لحديث « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » متفق عليه من حديث جابر ، وفى لفظ « تسموا » فقيل النهى عن التكنية وحدها ، و كان هذا المنع فى عصره اذا كان ينادى يا أبا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه و كنيته لما رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ، ولأبى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر « من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى » ﴿وقيل كان ذلك﴾ أى النهى عن الجمع بينهما ﴿فى عهده عليه السلام﴾ أى فى زمانه لعلة الالتباس وأما اليوم فلا ﴿ويبدل الاسم السيء﴾ أى يغيره بغيره من الاسم الحسن ﴿فبدل عليه السلام اسم العاص بعبد الله وبرة﴾ بفتح الموحدة ﴿بزينب وقال﴾ باستفهام مقدار انكارا لها ﴿تزكى نفسها﴾ فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن أبى هريرة نحوه ﴿ونهى﴾ أى عليه السلام ﴿عن افلح﴾ أى عن التسمية بافلح ﴿ونافع وبركة﴾ رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة رباحا ﴿تحاميا عما قيل﴾ اى يقال ﴿ليس فى الدار بركة﴾ يعنى أو نافع او افلح وامثال ذلك ﴿ويسمى السقط وان جهل صفته﴾ أى من الذكورة والأنوثة ﴿فيما﴾ أى فيسمى

يَصْلُحُ للذَّكَرِ والانثى. كَحَمْزَةَ. وَطَلْحَةَ. وَلَا يُكَنِّى بأَبِى عيسى إِذْ لَا أَبَ لَهُ. ونُهِىَ عَنْهُ. وَيَعُقُّ عَنِ الابنِ بشَاتَيْنِ. وَعن البنت بشَاةِ فى الْيَوْمِ السَّابعِ. فهو مامورٌ به، وعَقَّ عَنِ الْحَسَنِ بشَاة. وَيَحْلِقُ راسَه. وَيَتَصَدَّقُ على وزن شَعَره ذَهَبًا أَوْفِضَّةً. فَأُمِرَتْ به فاطمةُ فى الحسين فى اليوم السَّابع.

باسم ﴿يصلح للذكر والأنثى﴾ بان يكون فى آخره تاء ﴿كحمزة وطلحة﴾ فعن عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية قال: بلغني ان السقط يوم القيامة وراء والديه يقول: انت ضيعتني أنت تركتني لا اسم لى فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يرى انه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن: من الاسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة ﴿ولا يكنى بابى عيسى اذ لا أب له﴾ أى لعيسى عليه السلام ﴿ونهى عنه﴾ أى عن التكنى المذكور لما يوهم من خلاف المرام فى سمع العوام وفى الاحياء سمى رجل أباعيسى فقال عليه السلام ان عيسى عليه السلام لا أب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه ﴿ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة﴾ ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى ﴿فى اليوم السابع﴾ من الولادة ﴿فهو مأمور به﴾ روت عائشة أنه عليه السلام «أمر فى الغلام بشاتين مكافئتين وفى الجارية بشاة» الترمذى وصححه ﴿وعق عن الحسن بشاة﴾ واحدة وهذا رخصة فى الاقتصار على شاة واحدة، والحديث رواه الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه الا أنه قال حسين، ورواه أبو داو، من حديث ابن عباس الا أنه قال كبشا، وللبخارى من حديث سلمان بن عامر الضبي «مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى» وعن عائشة «لا يكسر للعقيقة عظم» كذا فى الاحياء ولعل وجهه تفاؤل لا بصحة الاعضاء، وقال قتادة «اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستبل بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده» كذا فى الاحياء ﴿ويحلق رأسه﴾ أى فى السابع لما سيأتى أو فى الأربعين كما عليه عمل أهل الحرمين ﴿ويتصدق على وزن شعره ذهبا أو فضة﴾ وهى المعروف كما سيأتى ﴿فأمرت به فاطمة فى الحسين فى اليوم السابع﴾ قال العراقى: حديث أمر فاطمة «يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة» الحاكم وصححه من حديث على وهو عند

وَيُطْلَى السُّكَّرُ . أَو التَّمْرُ الْمَمْضُوغُ فِى لَهَاتِه ففعلَهُ عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين جاءت به امهُ أَسْماءُ بنت ابى بكْر الصديق رضى الله عنهم

﴿ الباب السادس فى الكسب والورع ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد « مَن طلبَ الدُّنيا حلالًا تعفُّفًا عن المسأَلة وسعْيا على عياله . وتعطُّفا على جاره لقى اللهَ ووجهُهُ كالقمر ليلةَ البدر »، ومن طلب الدُّنْيَا مُفاخرًا

الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه أحمد من حديث أبى رافع ﴿ ويطلى السكر ﴾ أى يلطخه ان تيسر أو العسل ﴿ أو التمر الممضوغ فى لهاته ﴾ بفتح اللام أى أقصى خلقه من حنكه ﴿ ففعله عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين جاءت به أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ﴾ فى الصحيحين عن أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتت به رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد فى الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم: ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم، وبقية حقوق الولد ذكرت فى باب الصحبة ❁

﴿ الباب السادس فى الكسب والورع ﴾

أى المترتب عليه قطع الطمع، ولبعض الاكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال: ابتغى الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع فى الجهل والطمع كذا فى ربيع الابرار للزمخشرى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وبه أستعين فى كل أمر كريم، قال تعالى : (وجعلنا النهار معاشا) (وابتغوا من فضل الله) أى رزقه (وانفقوا من طيبات ما كسبتم) الآية ﴿ ورد من طلب الدنيا حلالا ﴾ أى حال كون المطلوب حلالا ﴿ تعففا عن المسألة ﴾ أى لأجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله ﴿ وسعيا على عياله ﴾ من زوجته وأطفاله ﴿ وتعطفا ﴾ أى ترحما وتلطفا ﴿ على جاره ﴾ من الفقراء فى تحسين حاله وتزيين باله ﴿ لقى الله ﴾ أى يوم القيامة فى مآله ﴿ ووجهه كالقمر ليلة البدر ﴾ من حسن جماله وكمال مثاله ﴿ ومن طلب الدنيا مفاخرا ﴾ أى حال كونه

مُكَاثِرًا لَقِيَ اللهَ وهو عَلَيْهِ غَضْبَانُ » فَالْكَسْبُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ . وَالْأَوْلِيَاءِ . وَفِيهِ سَتْرُ الْحَالِ . وَهُوَ أَوْلَى لِظَاهِرِ الْعَمَلِ مِنَ الْأَخْذِ بِالسُّؤَالِ وَبِغَيْرِهِ فَالْفَارِغُ سَائِلٌ بِلِسَانِ الْحَالِ ،

متفاخرا بتحصيل ماله ﴿ مكاثرا ﴾ على أقرانه وأمثاله ﴿ لقى الله وهو عليه غضبان ﴾ والله المستعان، والحديث رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب . وأبو نعيم فى الحلية . والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة « ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة » الطبرانى فى الأوسط . وأبو نعيم فى الحلية ، وعن لقمان الحكيم قال: « لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب لمروءته وأعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به » وكان عمر يقول « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وكان زيد بن سلمة يغرس فى أرضه فقال عمر أصبت استغن عن الناس تكن أصون لدينك وأكرم لوجهك كيف قال صاحبك احيحة :

فلن أزال على الزوراء أعمرها ❊ ان الكريم على الاخوان ذو المال

﴿ فالكسب سنة الأنبياء ﴾ منهم داود عليه السلام لقوله تعالى :(وعلمناه صنعة لبوس لكم) وأول من زرع آدم عليه السلام وأول من نجر نوح عليه السلام، ويقال أول من خط أدريس عليه السلام ﴿ والأولياء ﴾ ومنهم أكثر الصلحاء ﴿ وفيه ﴾ أى فى الكسب ﴿ ستر الحال ﴾ أى بما فيه من العلم والأعمال فيكون من الاتقياء الأصفياء ، وممن قال عز وجل فيهم :(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية ﴿ وهو ﴾ أى الكسب ﴿ أولى لظاهر العمل ﴾ أى للمشتغل بالأعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب فى حقه أحرى ﴿ من الأخذ بالسؤال وبغيره ﴾ كالطمع فى أموال الرجال ﴿ فالفارغ ﴾ من الكسب لتحصيل الحلال ﴿ سائل بلسان الحال ﴾ ان لم يكن سائلا ببيان المقال ، وربما لسان الحال أكشف فى تحصيل المال ، ومن هنا ورد « ان الله يحب أن يرى عبده تعبا فى طلب الحلال » الديلمى عن على ، وفى رواية ابن عدى عن ابن عمر « ان الله يحب المؤمن المحترف » وورد « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى

وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ . وَالْعَالِمُ النَّافِعُ لِلنَّاسِ . وَالْمُشْتَغِلُ بِمَصَالِحِهِمْ كَالْقَاضِى فَإِنْ أُعْطُوا الْكِفَايَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَإِلَّا يُقَابِلُ فَضَائِلَ الْكَسْبِ بِمَا فِيهِ مُمْعِناً وَيَعْمَلُ بِحَسَبِ الصَّلَاحِ * وَحَقُّهُ أَنْ يَنْوِىَ التَّعَفُّفَ . وَالتَّعَطُّفَ .

وقال: حسن صحيح، وعن ابن مسعود « انى لا كره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دينه ولا فى أمر دنياه وجاءت ريح عاصف فى البحر فقال أهل السفينة لابراهيم ابن أدهم: أما ترى هذه الشدة؟ فقال: ماهذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس، وقيل لأحمد ماتقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال: لاأعمل شيئا حتى يأتينى رزقى؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عليه السلام: ان الله جعل رزقى تحت رمحى » وفى مسند أحمد من حديث ابن عمر « جعل رزقى تحت ظل رمحى، واسناده صحيح » اوما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير « فقال تغدو خماصا وتروح بطانا » فذكر انها تغدو فى طلب الرزق » وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ثم قال: أحمد والقدوة بهم، والحديث الثانى رواه الترمذى . وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى: حسن صحيح ﴿ وأما صاحب الباطن ﴾ وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عماسواه ﴿ والعالم النافع للناس ﴾ افتاء . وتصنيفا . وتدريسا ﴿ والمشتغل بمصالحهم كالقاضى ﴾ وفى معناه الخليفة والمؤذن . والامام . وفقيه الأنام ﴿ فان اعطوا الكفاية من بيت المال ﴾ أى من وجه الحلال أو من أيدى الناس من الصدقات أخذوها واشتغلوا بما هو أفضل فى حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال ﴿ والا ﴾ أى وان لم يعطوا ﴿ يقابل ﴾ كل منهم ﴿ فضائل الكسب ﴾ أى الأحاديث التى وردت فى فضائله ﴿ بمافيه ﴾ أى من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال ﴿ ممعنا ﴾ أى حال كونه مبالغا فى تمييز مافيه الفلاح ﴿ ويعمل بحسب الصلاح ﴾ فان فيه النجاح، وقد اشار الصحابة على أبى بكر بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى، نعم لما توفى أوصى برده الى بيت المال، والحاصل انه ان كان الصلاح فى الكسب اختاره وترك ماهو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الأمر المهم اشتغل به وتوكل على الله فى امر رزقه ﴿ وحقه ﴾ أى حق الكسب على ماذكره ثلاثون ﴿ ان ينوى التعفف ﴾ أى عفة نفسه عن المسألة ﴿ والتعطف ﴾

وَ إِقَامَةَ فَرْضِ الْكِفَايَةِ فِى صِنَاعَاتٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعَيْشُ ، وَيُبَاكِرُ فَوَرَدَ « أَنَّ فِى الْغُدُوِّ بَرَكَةً وَنَجَاحًا » ، وَيَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّ النَّاسَ كَالِاحْتِكَارِ ،

أى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع؟ فقال : أتعبد قال: من يعولك؟ قال اخى قال أخوك اعبد منك ﴿ واقامة فرض الكفاية ﴾ أى ينويها ﴿ فى صناعات يتوقف عليها العيش ﴾ أى المعيشة كالزراعة والتجارة والخياطة والنجارة ، ففى الخبر « تسعة اعشار الرزق فى التجارة » الحرب فى الغريب من حديث نعيم بن عبدالرحمن وتقدم نفع الزراعة ، وروى أحمد من حديث أبى هريرة « خير الكسب كسب العامل اذا نصح » واسناده حسن ﴿ ويباكر ﴾ أى و يسعى فى أول النهار ﴿ فوردان فى الغدو بركة ونجاحا ﴾ أى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا ، والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى عن عائشة « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا لو كان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام : لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويبلغهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان ، ﴿ ويجتنب ﴾ أى من الصنائع ﴿ مايضر الناس كالاحتكار ﴾ فبائع الطعام يدخره منتظرا اغلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا ، فورد « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » الحاكم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن ابن عمرو « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس ، وروى أحمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله و برىء الله منه » وعن على انه احرق طعام محتكر بالنار و كذا فى الاحياء ، وفى حديث مسلم « لايحتكر الا خاطىء » . ولابن ماجه « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » قيل ومدته أربعون لما رواه ابن عساكر عن معاذ « من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه » وفى رواية لأحمد . وابن ماجه عن عمر « من احتكر

وَ يلوثُ الْبَاطِنَ كَالْجَزْرِ فهو يقسى الْقَلْبَ وَالصِّيَاغَةِ فهو يزين الدُّنْيَا وَالظَّاهِرَ كَالْحِجَامَةِ . وَالدِّبَاغَةِ .

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس » وفى رواية له وللحاكم عن أبى هريرة « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » وقوله خاطىء بالهمز وفى رواية فهو ملعون، واستدل به مالك بعموم الحديث على أن الاحتكار حرام فى المطعوم وغيره ، وهو رواية عن أبى يوسف والجمهور على أن الاحتكار مختص بالأقوات وحملوا الحديث عليها والله أعلم، وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن مسعود « مامن جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لا يستحب ولذا أوصى بعض التابعين رجلا وقال: لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام . وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة ، وهذا معنى قوله ﴿ ويلوث الباطن ﴾ أى ويجتنب مما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره ﴿ كالجزر ﴾ وهو صنعة الجزار ويقال القصاب ﴿ فهو يقسى القلب والصياغة فهو يزين الدنيا ﴾ وهى مبغوضة الرب ، وأيضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك فى جودته أو حال ضرورته فقد قال أحمد بن حنبل : ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فى الصياغة وأنا أكره الكسر وقال يشترى بالدنانير دراهم ثم يشترى بالدراهم ذهبا و يصوغه أى خروجا عن الربا، وحديث النهى عن كسر الدينار والدرهم رواه أبو داود . والترمذى . وابن ماجه . والحاكم من رواية علقمة ابن عبدالله عن أبيه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة و يكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان ﴿ والظاهر ﴾ أى و يجتنب مايلوث ظاهره ولو لم يلوث باطنه ﴿ كالحجامة والدباغة ﴾ وفى معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدى الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن وقد نهى عليه السلام عن كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود « يحمل على نهى التنزيه لأنه عليه السلام احتجم وأعطى الحجام أجرته ولو كان حراما لما أعطاه و كيف لا

وَمَا يعسرُ فيه رِعَايَةَ الاحْتِيَاط كَالصَّرْفِ . وَالدَّلَالَةِ،وَمَا يُكْرَهُ فِيهِ قَضَاؤُهُ تَعَالَى كَشِرَاءِ الْحَيَوَانِ . وَسَلَامَةُ النَّاسِ :

والحجامة من الصنائع التى عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض بهذه الصناعة لئلا يقع الناس فى ضياعة اذلو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعايش وضاعت الحالات فانتظام أمر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو أقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقى بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام «اختلاف أمتى رحمة» أى اختلاف هممهم فى الصناعات وسبحان من أقام العباد فيما أراد و كل حزب بمالديهم فرحون قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) ولله در القائل :

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

﴿ وما يعسر ﴾ أى ويجتنب مايصعب ﴿ فيه رعاية الاحتياط كالصرف ﴾ لأن الاحتراز فيه عن دقائق الرباعسير علما وعملا ولأنه طالب لدقائق الصفات فيما لا يقصد من أعيانها وانما يقصد رواجها وقل مايتم للصيرفى ربح الا باعتبار جهالة معامليه بدقائق النقد فقل مايسلم الصيرفى من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفى الجملة يجب على الصيرفى ان يجتنب من الفضل فى المتجانسين ومن النسيئة مطلقا ، وورد « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف » الديلمى من حديث أبى سعيد. وأبو يعلى الشطر الأول من حديث أبى بكر ﴿ والدلالة ﴾ بالفتح ويكسر وقد كره ابن سيرين الدلالة و كره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فقد قيل : رأس مال الدلال الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل لا يتقدر فقد يقل و يكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى أن ينظر الى قدر التعب فان الأجر على قدر المشقة كذا فى الاحياء ﴿ وما يكره ﴾ أى و يجتنب مايكره ﴿ فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان ﴾ أى العبيد ونحوه لأجل التجارة فان المشترى يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصدده ولا محالة خلق لأجله ﴿ وسلامة النـاس ﴾

كَبَيْعِ الْكَفَنِ، وَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْأَبْرِيسَمِ. وَآنِيَةِ الذَّهَبِ. وَالْفِضَّةِ. وَالْمِزْمَارِ. وَرَفْعِ الْبِنَاءِ. وَتَزْيِينِهِ بِالْجِصِّ، وَيُعَامِلُ مُتَدَيِّنًا لَا يَسْتَتِرُ حَالُهُ إِعَانَةً عَلَى الْبِرِّ لَا فَاسِقًا لِئَلَّا يُعِينَ عَلَى الْإِثْمِ، وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمَبِيعِ. وَذَمِّ الْمُشْرِي. وَإِنْ صَدَقَ،

أى ويجتنب مايكره فيه عاقبة الناس ﴿ كبيع الكفن ﴾ على ماتقدم وفى معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع الفقراء وأعلامهم وأذكارهم من غير اذكارهم ﴿ وما يحرم ﴾ أى ويجتنب مايحرم ﴿ استعماله كقباء الابريسم ﴾ أى الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء، وفى الخبر « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » رواه الشيخان وغيرهما عن أنس، وفى رواية أحمد عن جويرية « من لبس الحرير فى الدنيا البسه الله يوم القيامة ثوبا من النار » ﴿ وآنية الذهب والفضة ﴾ فانهما يحرمان مطلقا وفى الخبر « ان الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » رواه مسلم عن أم سلمة زاد الطبرانى الا أن يتوب ﴿ والمزمار ﴾ فانه حرام باتفاق الأئمة الأربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية فى القصب ﴿ ورفع البناء ﴾ أى زيادة على قدر الحاجة فانه يقال له: الى اين ياأفسق الفاسقين؟ وذلك لأنه عمل شداد فى بناء قصره وعمل فرعون فى بناء صرحه ﴿ وتزيينه بالجص ﴾ وكذا بالنورة والطين فانهما مكروهان أو حرامان لاسراف المال وتضييع الحال، وروى الدار قطنى عن أبى الدرداء أنه عليه السلام « سئل أن يكحل المسجد - أى بالنورة وغيرها - فقال: لاعرش كعرش موسى» ﴿ ويعامل ﴾ عطف على يجتنب ﴿ متدينا لايستتر حاله ﴾ أى فى التدين فيكون ظاهر الديانة ﴿ اعانة على البر لافاسقا ﴾ وكذا لا ظالما ولا أحدا من أعوانه ﴿ لئلا يعين على الاثم ﴾ فقد قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقد دخل سفيان الثورى على المهدى وبيده درج أبيض فقال: ياسفيان أعطنى الدواة حتى أكتب فقال أخبرنى اى شىء تكتب فان حقا أعطيتك ﴿ ولا يبالغ فى مدح المبيع ﴾ أى ان كان بائعا ﴿ وذم المشرى ﴾ أى المشترى ان كان مشتريا ﴿ وان صدق ﴾ أى ولو كان صادقا فى مدحه وذمه فالمبالغة فيهما مذمومة لأنه مما لايعنيه فهو به ملوم ومذموم، وقد قال تعالى: (مايلفظ من قول

وَلَا يَحْلِف ، فَهُوَ جَعَلَهُ تَعَالَى عُرْضَةً للأَيْمَانِ لِتَرْوِيجِ الدُّنْيَا الْخَسِيسَةِ ، وَوَرَدَ « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مُنَفِّقٍ سِلْعَتَهُ بِيَمِينِهِ ، وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَبِيعِ • وَقَدْرَهُ . وَسِعْرَ الْوَقْتِ ، وَمَا سُوِمِحَ بِهِ فِي الصَّفْقَةِ الْأُولَى فَالْإِخْفَاءُ خِيَانَةٌ ،

الا لديه رقيب عتيد) وقال عز وعلا : (والذين هم عن اللغو معرضون) وورد « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » ﴿ ولا يحلف ﴾ ولو كان صادقا فى يمينه من غير ضرورة فى أمر دينه • (فهو جعله تعالى) • أى جعل الحالف اسمه سبحانه فى هذا الحلف ﴿ عرضة للايمان ﴾ أى كالعرضة التى أعدها القصاب لازالة مايتلوث به يداه أو كالهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه • (لترويج الدنيا الخسيسة) • باسمه الذى هو من الأشياء النفيسة وأما قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فمعناه لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى أحدكم الى بر فيقول حلفت أن لا أفعله بل ينبغى أن يفعله ويكفر عن يمينه • (وورد) • كما فى صحيح مسلم • (لا ينظر الله الى منفق) • بتشديد الفاء المكسورة • (سلعته) • أى مروجها • (بيمينه) • أى بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تترك الديار بلاقع وان كان صادقا فقد أساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفى الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من بعد وغد » كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير اسناده نحوه ، وفى الخبر « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب » متفق عليه ﴿ ويظهر عيب المبيع ﴾ أى فى نفسه خفية وجلية ﴿ وقدره ﴾ أى ويظهر مقداره من الطول والعرض ﴿ وسعر الوقت ﴾ أى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة ، وفى رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود ، وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى الأمتعة ويكذب فى سعر الأزمنة ، وقد ورد « لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق » ﴿ وما سومح به ﴾ أى ويظهر ماسامح بائعه الأول مع الثانى ﴿ فى الصفقة الأولى ﴾ وهى تكون فى بيع التولية ، وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ما سوهل به الشىء معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان فى قدره ووصفه ﴿ فالاخفاء خيانة ﴾ كان الابداء ديانة ، فمن واثلة « لا يحل

وورد «مَنْ غشَّنا فليس منَّا» ، (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) الآيَةَ ، ولا يروج الزَيفَ بَلْ يلقيه في البِئْر .

لاحدان يبيع بيعا الا بين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه » البيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد ﴿وورد من غشنا فليس منا﴾ الترمذى عن أبى هريرة بسند صحيح، وزاد الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود « والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى موضع الظلمة » وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة انه عليه السلام « مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال: ماهذا؟ فقال أصابته السماء. قال فهلا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا » ﴿ويل للمطففين﴾ أى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى أخذ الاحمال من أموال النساء والرجال ﴿الآية﴾ وهى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وفيه وعيد فى غاية التهديد ولقد كان بعضهم يقول لاتشتر الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد حبة ويقول : ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والأرض، ويؤيده انه عليه السلام « اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح » كما رواه أصحاب السنن الأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى افعاله واقواله وخطرات أحواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل ﴿ولا يروج الزيف﴾ وهو مالا نقرة فيه أصلا بل هو مموه عملا أو مالا ذهب فيه من الدنانير اما مافيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى: وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور ، وفيه اعانة على الشر ﴿بل يلقيه فى البئر﴾ فقد قال بعضهم انفاق درهم زائف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين

وَلَا يَخْلِطُ التُّرَابَ بِالطَّعَامِ . وَمَالَا يُعْتَادُ بِاللَّحْمِ فَهُوَ وَأَمْثَالُهُ حَرَامٌ ، وَلَا يَقْدُمُ عَلَى شَيْءٍ لَا يُرِيدُ بِمَا فَوْقَ ثَمَنِهِ تَرْغِيبًا لِلْمُشْتَرِي . وَالْأَصْلُ أَنْ لَا يُرِيدَ لِغَيْرِهِ مَا لَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْخِيَانَةَ لَا تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ . وَالدِّيَانَةَ لَا تَنْقُصُ . وَأَنَّ الْآخِرَةَ

وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسدو نقص من أموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ، ففي صحيح مسلم عن جرير ابن عبد الله مرفوعا « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء » وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم في الأحوال وقد قال بعضهم : لا يغرنك من المرء قميص رقعه أو إزار فوق كعب الساق منه رفعه أو جبين لا ح فيه اثر قد قلعه فلذى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ﴿ ولا يخلط التراب ﴾ أي ونحوه من التبن وغير الجنس ﴿ بالطعام ﴾ أي الحبوب ﴿ ومالا يعتاد ﴾ أي خلطه ﴿ باللحم ﴾ كالدم والغدة والجلد الرقيق و كذا لحم الماعز بالضأن والضعيف بالسمين ﴿ فهو ﴾ أي ماذكر ﴿ وامثاله ﴾ كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل ﴿ حرام ﴾ لانه ظلم في حق الانام ﴿ ولا يقدم على شيء ﴾ أي سوم شيء ﴿ لا يريد ﴾ أي لا يقصد شراءه ﴿ بما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى ﴾ فانه النجش المنهى عنه في المتفق عليه عن ابن عمر ﴿ والأصل أن لا يريد لغيره مالا يريد لنفسه ﴾ كما ورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » أخرجه الشيخان وغيرهما وفي رواية « وحتى يكره لاخيه ما يكره لنفسه » ﴿ وهو ﴾ أي حصول هذا المقام انما يكون ﴿ باعتقاد ان الخيانة لا تزيد في الرزق و الديانة ﴾ أي الموجبة للامانة ﴿ لا تنقص ﴾ أي في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو في غاية من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك مالكها في الدنيا والأخرى صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه في المال وقد قال تعالى : (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وورد « الامانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر » القضاعي عن علي ﴿ وان الآخرة ﴾ أي وباعتقاد ان

أَوْلَى مِنَ الدُّنْيَا ، فَوَرَدَ « لَاتَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سَخَطَ اللَّهِ مَالَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ » وَيُحْسِنُ بِأَنْ لَا يَغْبِنَ غَيْرَ مُعْتَادٍ ، وَإِنْ أَعْطَى الْمُشْتَرِى لِرَغْبَةٍ أَوْ حَاجَةٍ ، وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَعِيفٍ أَوْ فَقِيرٍ ،

العقبى ﴿ أولى من الدنيا ﴾ كما قال تعالى : (والآخرة خير وأبقى) فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا ايثارا لما يبقى على ما يفنى ﴿ فورد لاتزال لا إله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ﴾ أى آثار غضبه ﴿ مالم يؤثروا ﴾ أى مدة لم يختاروا ﴿ صفقة دنياهم على آخرتهم ﴾ أى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى ، والحديث رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب عن أنس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر « حتى نزلوا بالمنزل الذى لايبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم » وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف الا انه يقوى بعضها ببعض ، ويؤيده حديث « من قال لا إله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها؟ قال تحجزه عما حرم الله » الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد حسن ﴿ ويحسن ﴾ أى البائع فى المعاملة ويعنى بالاحسان فعل ماينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات ، ويدرك الاحسان الكامل بستة أمور ﴿ بان لايغبن ﴾ أى المشترى غبنا « (غير معتاد) » سواء كان فاحشا أم لا ﴿ وان اعطى المشترى ﴾ أى ولو دفع ثمنه مع زيادة ﴿ لرغبة ﴾ أى زائدة « (أو حاجة) » أى ملجئة لقوله تعالى : (واحسن كما أحسن الله اليك) وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان أن يحط ذلك الغبن ، وفى الخبر « غبن المسترسل حرام » الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال « ربا بدل حرام » ، وقال الزبير بن عدى : أدركت ثمانية عشر من الصحابة مامنهم من أحد يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان ﴿ ويحتمله ﴾ أى وبان يحتمل الغبن « (من ضعيف) » بائع أو مشتر بان يكون مريضا أو عن الكسب عاجزا « (أو فقيرا) » أى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا وأما ماورد من ان الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال

فورد « رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء » لا من غبن لأنه تضييع للمال اذ لا أجر ولا حمد . ويسامح فى قبض الثمن والدين بنقص بعضه . وترك طلب فقد أحسن : وامهال : وقبول حوالة ، فورد « رحم الله امرءاً سهل القضاء سهل الاقتضاء من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا »

وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع، وكان اياس بن معاوية قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب والخب لا يغبنى ولا يغبن » ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبو يعلى يعنى معاوية ابن قرة قلت: ومقام الحسن أيضا حسن لقوله عليه السلام «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم » أبو داود . والترمذى . والحاكم عن أبى هريرة ، وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال : ان الواهب يهب فضله وان المغبون يغبن عقله ، وقال بعضهم انما أغبن عقلى وبصيرتى فلا أمكن الغابن منه واذا وهبت فأعطى لله ولا استكثر له شيئا ، ﴿ فورد ﴾ فى البخارى عن جابر مرفوعا ﴿ رحم الله امرءاً سهل البيع سهل الشراء ﴾ تمامه سهل القضاء سهل الاقتضاء ﴿ لا من غبن ﴾ أى لا يحتمل الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن منه ليس فى محله ﴿ لأنه تضييع للمال ﴾ وتأسف فى المآل ﴿ اذ لا أجر ﴾ فى العقبى ﴿ ولا حمد ﴾ فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت «ان المغبون لا محمود ولا مأجور » الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده. وأبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه ﴿ ويسامح فى قبض الثمن والدين ﴾ أى وفى قبضه ﴿ بنقص بعضه ﴾ من الثمن والدين «(وترك طلب فقد أحسن وامهال وقبول حوالة ﴾ فورد رحم الله امرءا سهل القضاء سهل الاقتضاء)« وهو تتمة الحديث المتقدم فليغتنم دعاؤه عليه السلام ، وقد ورد أيضا فى هذا المقام « اسمح يسمح لك » الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات «(من أنظر معسرا)« أى أمهله «(أو ترك له)« أى أسقط عنه كله أو بعضه ولو حقيرا «(حاسبه الله)« يوم القيامة «(حسابا يسيرا)« وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله « أحمد

وَيُبَادِرُ فِي إِعْطَاءِ الْأُجْرَةِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ قَبْلَ الْأَجَلِ بِأَحْسَنِ مَاشَرَطَ ٠ وَيَنْوِي الْقَضَاءَ كَذَلِكَ إِنْ عَجَزَ فَوَرَدَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ »

ومسلم باللفظ الثانى من حديث أبي اليسر وهو كعب بن عمرو، وفى رواية الطبرانى عن ابن عباس « انظره الله بدينه الى توبته » وفى رواية لأحمد . وابن ماجه . والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن بريدة « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » وأصله قوله تعالى :(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا) أى بكله أو بعضه : (خير لكم ان كنتم تعلمون) والتصدق سنة وهنا أفضل من الانظار الذى هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس وأقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر ، وفى لفظ آخر « تجاوزوا عن المعسر » فقال الله تعالى (نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له » رواه مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة ﴿ و يبادر فى اعطاء الأجرة ﴾ فى الخبر « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ابن ماجه عن ابن عمر ﴿ وقضاء الدين قبل الأجل ﴾ أى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الأمل ﴿ باحسن ماشرط ﴾ أى فى العقد الأول بأن يؤدى الجيد و كان الشرط مزيوفا فانه يوجب معروفا و يقتضي كون صاحبه مألوفا فورد « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴿ و ينوى القضاء كذلك ﴾ أى باحسن ماشرط ﴿ ان عجز ﴾ مهما قدر ﴿ فورد ان الملائكة يدعون له ﴾ أى لمن ينوى القضاء بأن يقدر الله تعالى له ﴿ حتى يقضيه ﴾ والحديث فى الاحياء بلفظ « من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه و يدعون له حتى يقضيه » ورواه أحمد عن عائشة « مامن عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ » وفى رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفى رواية للطبرانى فى الأوسط « الا معه عون من الله عليه حتى يقضيه » وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت: وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم الا أن يحمل على شراء شيء الى الاجل المقرر

وَيَسْتَدِينُ فِى ضَعْفِ قُوَّةٍ فِى سَبِيلِهِ تَعَالَى . وَتَكْفِينِ مَيِّتٍ مُقِلٍّ . وَنِكَاحٍ يَتَعَفَّفُ بِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ يَقْضِيهَا وَيُقِيلُ اِنْ نَدِمَ الْبَائِعُ فَوَعَدَ عَلَيْهِ اِقَالَتَهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيمَةِ عَثْرَتَهُ » وَيُعَامِلُ الْفَقِيرَ نَسِيئَةً عَلَى عَزْمِ التَّرْكِ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ غِنَاهُ . وَيَكِيلُ الطَّعَامَ أَخْذًا وَإِعْطَاءً ،

فتدبر ﴿ ويستدين ﴾ أي يستقرض ويتدين ﴿ فى ضعف قوة فى سبيله تعالى ﴾ بأن يكون فى حج أو غزوة وفنى زاده أومات مركوبه ﴿ وتكفين ميت مقل ﴾ أى فقير قريبا كان أو بعيدا ﴿ ونكاح يتعفف به ﴾ أى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه ﴿ عليه تعالى ﴾ أى متوكلا عليه ومستندا اليه تحسينا للظن لديه أن يرزقه مايقضيه ﴿ فهو يقضيها ﴾ أى جميع ماعليه من الديون الثلاثة بكرمه اما فى الدنيا واما يرضى صاحبه فى العقبى ﴿ ويقيل ﴾ من الاقالة أى يرد البيعة ﴿ ان ندم البائع ﴾ على شرائها وكذا حكم المشترى وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة مافى الاحياء ويقيل من يستقيله فانه لايستقيل الامتندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار غيره ﴿ فوعد عليه ﴾ أى على اقالته النادم ﴿ اقالته تعالى ﴾ أى عفوه ﴿ يوم القيامة عثرته ﴾ أى ذنوبه وزلته، وكان الاولى ان يقول فورد «من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة » أبو داود . والحاكم من حديث أبى هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم ﴿ ويعامل الفقير نسيئة ﴾ أى صبرا عليه ﴿ على عزم الترك ﴾ أى ترك المطالبة أو الأخذ ﴿ ان لم يظهر غناه ﴾ بأن يحقق فقره اليه فيكون فى هذا محسنا اليه فانه لاينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة اذ مايفوته من الربح فى العقبى لايفى به مايناله فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرى بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شأنه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه صدق يقينه. قال بعض السلف: أولى الاشياء بالعاقل أحوجه اليه في العاجل وأحوج شيء اليه فى العاجل أحمده عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لاتنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة ﴿ ويكيل الطعام ﴾ أى الحبوب ﴿ أخذا واعطاء ﴾ أى حال

فَفِيهِ الْبَرَكَةُ . وَيَخْتَارُ حِرَفَ السَّلَفِ كَالْحَرْثِ . وَالْحَمْلِ . وَالنَّجْرِ . وَالْخِيَاطَةِ وَالْقَصْرِ . وَالْخَصْفِ . وَالرَّعْيِ . وَالْكِتَابَةِ ،

أخذ وحال اعطاء ﴿ ففيه البركة ﴾ وفي الخبر « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » أحمد والبخاري عن المقدام ، وفي رواية ابن النجار عن علي « كيلوا طعامكم فان البركة في الطعام المكيل » وروى البزار عن أبي هريرة أنه عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشترى فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان ، وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولي الهداية ﴿ ويختار حرف السلف ﴾ فكان غالب أعمال الاخيار من السلف عشر صنائع ، الخرز . والتجارة . والحمل : والخياطه . والقصارة . وعمل الخفاف . وعمل الحديد . وعمل المغازل . ومعالجة صيد البر والبحر . والوراقة ﴿ كالحرث ﴾ وهي الزراعة وهي صنعة آدم أولا ، وقد قال عليه السلام : « التمسوا الرزق في خبايا الأرض » والمراد الزرع وانشدوا :

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا

ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى : (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) ولا يبعدان يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه أعلم ﴿ والحمل ﴾ أى حمل الامتعة من محل الى محل بأجرة معينة وبنان الحمال كان من أهل الكمال ! ﴿ والنجر ﴾ أى النجارة ، وفي مسند أحمد وصحيح مسلم عن أبي هريرة كان زكريا نجارا ﴿ والخياطة ﴾ قيل انه من صنعة ادريس ﴿ والقصر ﴾ وهو غسل الثياب ومنه الحواريون ﴿ والخصف ﴾ أى خرز النعل والقربة ونحوهما وصح أنه عليه السلام كان يخصف نعله ﴿ والرعى ﴾ أى رعى الغنم والابل ونحوهما ، وهو من صنعة الأنبياء والأولياء ﴿ والكتابة ﴾ فهى حرفة العلماء والمشايخ الأصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقاء الدين القويم والمنهج المستقيم ، قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل : ماصنعتك ؟ قلت : الوراقة قال : كسب طيب لو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل أن يكون معناها الكتابة أو صنعة الورق بمعنى الكاغد الذى تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة ، وقد ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد

فورد «خَيرُ تِجَارَاتِكُمُ الْبَزُّ وَخَيرُ صِنَاعَاتِكُمُ الْخَرْزُ» وَيَلْزَمُ مَارُزِقَ فيه. وَيَترُكُ مَااتَّجَرَ فيه ثَلاثًا فَلَمْ يُرْزَقْ. وَيَتَّخِذُ الْغَنَمَ. وَالدَّجَاجَ وَنَحْوَهَا لِلدَّرِّ وَالنَّسْلِ فَفِيهَا عُشْرُ الرِّزْقِ،

العلماء ﴿ فورد خير تجاراتكم البز وخير صناعاتكم الخرز ﴾ الديلمي عن علي تعليقا ويقال: أربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول بضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء يزيد في العقل فان الصحبة تؤثر فورد «المرء على دين خليله فلينظر بمن يخالل» وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها، وكره السلف أخذ الأجرة على كل ماهو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الأموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الأذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الأمور احتسابا هنالك ﴿ ويلزم مارزق فيه ﴾ أي من أنواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها، ففي الخبر «من رزق في شيء فليلزمه» البيهقي عن أنس، وفي رواية ابن ماجه من حديث أنس وعائشة «من بورك له في شيء فليلزمه» وفي رواية له عن أنس بلفظ «من أصاب من شيء فليلزمه» ﴿ ويترك مااتجر فيه ثلاثا ﴾ أي ثلاث مرات ﴿ فلم يرزق ﴾ أي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الأمور وتعسيرها، وفي الخبر «اليسر يمن والعسر شؤم» الديلمي عن رجل، وينتقل الى غيره (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) وفي الخبر «ان يغلب عسر يسرين» وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذي ذكره يليق ﴿ ويتخذ الغنم ﴾ ففي مسند الفردوس للديلمي عن أبي هريرة «الغنم أموال الأنبياء» وفي رواية الخطيب عن أبي هريرة «الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها» وفي رواية أبي يعلى عن البراء «الغنم بركة» ﴿ والدجاج ونحوها ﴾ كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام ﴿ للدر ﴾ أي اللبن ﴿ والنسل ﴾ أي النتاج ﴿ ففيها عشر الرزق ﴾ أي ويسر الرفق، وروي «وفي التجارة تسعة أعشار الرزق» وفي سنن ابن ماجه «أن النبي ﷺ أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج» وقال عند

فَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِرَانٌ . وَغَنَمٌ مِنْ لَبَنِهَا قُوتُ أَهْلِهِ وَيَخْتَارُ صِنْفَ. السُّودِ وَالْبِيضِ. وَلَا يَحْرِصُ، فَوَرَدَ «شَرُّ الْبِقَاعِ السُّوقُ وَشَرُّ أَهْلِهَا أَوَّلُهُمْ دُخُولًا وَآخِرُهُمْ خُرُوجًا »

اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بيناوجهه في بهجة الانسان في مهجة الحيوان ﴿ فكان له عليه السلام بعران ﴾ بضم أوله جمع بعير ﴿ وغنم من لبنها قوت أهله ﴾ وفي المواهب اللدنية كانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة أعنز منايح ترعاها أم ايمن، وورد « خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر » أبو داود. وابن ماجه. والحاكم عن معاذ ﴿ ويختار ﴾ أي من الغنم ﴿ صنفا ﴾ أي نوعا مجتمعا فيه ﴿ السود والبيض ﴾ كما حكي في غنم شعيب عليه السلام ورعى الكليم في ذلك المقام ﴿ ولا يحرص ﴾ على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبي فلا يباكر بالسوق ونحوها ﴿ فورد شر البقاع السوق ﴾ لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان وجنوده أعداء الانسان ﴿ وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ﴾ رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ « أبغض البقاع الى الله الأسواق وأبغض أهلها الى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا » وقد تقدم حديث « شر البقاع الأسواق وخير البقاع المساجد » فينبغي أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق العقبي وأسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد، وكان عمر يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم ومابعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان وأهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد، وفي الخبر « أن الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيء الأعمال » أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ويؤيده حديث « تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم : كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله : اشهدكم اني قد غفرت لهم » متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد جاء في تفسير قوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أنهم كانوا حدادين وخرازين

وَلَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا لِحَجٍّ أَوْعُمْرَةٍ أَوْغَزْوَةٍ ، وَيَتَوَرَّعُ ، فَوَرَدَ «أَمَّا الْوَرِعُونَ فَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أُحَاسِبَهُمْ» ،

فكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة، وقد قيل: من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل فى دينه فتاش ﴿ ولا يركب البحر الا لحج أو عمرة أو غزوة ﴾ رواه أبو داود من حديث عبدالله بن عمرو فكان حقه أن يقول ورد و يقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى فى طلب الرزق، والمعنى أنه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة فى أمره فكان من السلف من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل فى الاسبوع الا يوما أو يومين ﴿ ويتورع ﴾ أى عن الشبهات ولا يكتفى بالتحرز عن المحرمات وقد حمل الى رسول الله ﷺ لبن فقال: من أين لكم هذا؟ فقيل من هذه الشاة فقال: ومن أين لكم هذه الشاة؟ فقيل: من موضع كذا فشرب منه ثم قال: انا معاشر الأنبياء امرنا أن لا نأكل الا الطيبا ولا نعمل الا صالحا » الطبرانى من حديث أم عبدالله أخت شداد ابن أوس بسند ضعيف، ويقويه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ويؤيده قوله عليه السلام: « ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين » فقال: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) وعن أبى هريرة « كان اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه » الحديث رواه أحمد من حديث أبى هريرة باسناد جيد، وله من حديث جابر « أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة » الحديث، وفيه فاخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال: هذه شاة ذبحت بغير اذن أهلها » الحديث واسناده جيد، والحاصل انه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل اليه الا اذا ظهر له ما يدل على ريبة لديه، وفى البخارى من حديث عائشة « كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج و كان يأكل أبو بكر من خراجه فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر فقال الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لاناس فى الجاهلية فاعطونى فادخل اصبعه فى فيه وجعل يقىء » وفى بعض الأخبار انه عليه السلام لما أخبر بذلك قال: او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا الطيبا فمعنى قوله ويتورع أى يطلب الورع من نفسه ويبالغ فى ترك حظه فان الورع أصل الدين كما أن الطمع فساده فى مقام المجتهدين ﴿ فورد اما الورعون فانى استحي ان أحاسبهم ﴾ أى

وَأَدْنَى رُتَبِهِ الاحْتِرَازُ عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْوَرَعُ . ثُمَّ عَنِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ التَّقْوَى ، فَوَرَدَ « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » وَهُوَ كُلُّ مَا اخْتُلِفَ فِيهِ وَالْأَخْذُ مِمَّنْ عَلِمَ أَنَّ فِي مَالِهِ حَرَامًا · أَوْ عَلَيْهِ عَلَامَةُ عَدَمِ الْمُبَالَاةِ ، وَصِلَةُ السُّلْطَانِ إِنِ اشْتَبَهَ بَيْتُ الْمَالِ . وَاسْتِحْقَاقُ الْأَخْذِ أَوْ قَدْرِهِ . وَالْأَوْلَى فِي مِثْلِهِ السُّؤَالُ عَنِ الْغَيْرِ · وَالتَّعَلُّلُ كَيْ لَا يَتَأَذَّى فَإِسْرَارُ الْمُؤْمِنِ أَهَمُّ مِنَ الْوَرَعِ

فانهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا الحديث لم أعرفه ﴿ وأدنى رتبه ﴾ أى مراتب التورع ﴿ الاحترازعن الحرام وهو الورع ﴾ المخصوص به فى عرف الاعلام * (ثم عن الشهوة) ه أى شهوة النفس وهواها و كان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو فى النسخة ه (وهو التقوى) * أى كمالها وجمالها ه (فورد دع ما يريبك ه) أى ما يوقعك فى الريبة والشبهة ه (الى ما لا يريبك) ه النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على ه (وهو) * أى المريب ه (كل ما) ه وفى نسخة كما * (اختلف فيه) عند العلماء بالحل والحرمة و الكراهة والخلو عنها كأكل الضب ونحوها ه (والاخذ) ه بالرفع أو الخفض أى ثم الورع عن الأخذ او المريب كالاخذ ه (ممن علم) ه أى ظن ظنا غالبا ه (ان فى ماله حراما) ه بان يكون اكثره حراما ه (أو عليه) ه اى او ان على نفسه ﴿ علامة عدم المبالاة ﴾ فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا فى الاجناد و الظلمة من الأمراء والوزراء وأصحابهم وأعوانهم من العلماء وفى الخبر « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار » الديلمى عن أنس ه (وصلة السلطان) ه اى ثم الورع عن أخذها أو كصلته واعطائه ه (ان اشتبه بيت المال) ه أى التبس مال الحرام بالحلال ه (واستحقاق الأخذ) * أى أخذه فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله * (أو قدره) ه أى من جملة المال ه (والأولى فى مثله) * أى فى مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه ه (السؤال عن الغير) ه أى من أهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها وهواها تميل ه (والتعلل) ه أى والاولى فى مثله حال الامتناع اظهار الاعتذار ه (كيلا يتأذى) ه أى صاحبه فى الاسرار ه (فاسرار المؤمن) ه أى ادخال السرور فى قلبه بقبول ماله ولو بشبهة فى حاله ه (أهم من الورع) ه فى اظهار فعاله فعن ابن عمر

أَمَّا الْوَهْمُ الْغَيْرُ النَّاشِئُ عَنْ دَلِيلٍ كَالاحْتِرَازِ عَنِ الصَّيْدِ لاحْتِمَالِ كَوْنِهِ مِلْكًا لِلْغَيْرِ وَلا أَثَرَ عَلَيْهِ. فَوَسْوَسَةٌ وَيُبْنَى فِيهِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ . فَوَرَدَ (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) ثُمَّ عَمَّا لا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ . وَهُوَ الصِّدْقُ فِي التَّقْوَى كَتَرْكِ الْعَزَبِ الشِّبَعَ وَالْعِطْرَ لِتَحَرُّكِهِمَا الشَّهْوَةَ . ثُمَّ عَمَّا لَيْسَ لَهُ تَعَالَى وَهُوَ الصِّدْقُ الْمُطْلَقُ كَتَرْكِ خَطْوَةٍ أَوْ لُقْمَةٍ لَيْسَ فِيهِمَا نِيَّةٌ

«مامن شيء أحب الى الله من ادخال السرور على أخيك المسلم» ابن النجار ﴿ (اما الوهم الغير الناشيء عن دليل) ﴿ أي عما يشعر بعلة شبهة وريبة ﴿ (كالاحتراز عن الصيد) ﴿ أي مطلقا ﴿ (لاحتمال كونه ملكا للغير) ﴿ أي سببا ﴿ (ولا أثر عليه) ﴿ أي على الصيد من علامة دالة على أنه للغير ﴿ (فوسوسة) ﴿ ويسمى شبهة الشبهة ﴿ (ويبنى) ﴿ أي أمر الورع ﴿ (فيه على ظاهر الحال) ﴿ أي حال المسلم لماورد «نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو أعلم بالضمائر» ﴿ تحسينا للظن ﴾ أي بأخيه المؤمن ﴿ فورد ان بعض الظن اثم ﴾ وهو الذى لا علامة فيه مما يوافقه أو ينافيه، واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على مايوجد فيه امارة وفى الآية أيضا الى هذا المفهوم اشارة، وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل أو تاجر تعارف الربا فدعاك الى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فان الهناء لك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا فى المرابى فالظالم فى معناه ﴿ ثم ﴾ أي ثم الورع ﴿ عما لا بأس به مخافة ما به بأس ﴾ فى سنن ابن ماجه «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس» ﴿ وهو الصدق فى التقوى ﴾ أي المسمى به، ومنه أنه عليه السلام «أرق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يارسول الله؟ فقال: أجل وجدت تمرة فأكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة» احمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن ﴿ كترك العزب الشبع ﴾ أي المفرط ﴿ والعطر ﴾ أي الطيب الكثير وهما مما لا بأس بهما ﴿ لتحريكهما الشهوة ﴾ التى بها بأس فتكون باعثة له على الريبة والشبهة ﴿ ثم ﴾ أي ثم الورع ﴿ عما ليس له تعالى ﴾ أي خالصا لوجهه وان كان مباحا فى أصل أمره ﴿ وهو الصدق المطلق ﴾ وصاحبه الصديق المحقق ﴿ كترك خطوة أو لقمة ﴾ وكذا ترك نظرة . وخطرة . وسكون . وحركة ﴿ ليس فيهما ﴾ وفى أمثالهما ﴿ نية

عِبَادَة فَهُمْ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَى لُقَيْمَاتٍ يَقْوِينَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ كُلَّمَا يُشَدِّدُ فِى الْأَحْتِيَاطِ يَكُونُ سَبَبًا لِلتَّخْفِيفِ، وَالْأَصْلُ الْاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ » *

عبادة ﴾ وقصد سعادة ﴿ فهم ﴾ أى أهل هذا المقام وهم الصديقون ﴿ كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة ﴾ أبدانهم، وروى عن عمر « أنه كان يأكل سبع لقم أو تسعا، وقد أشير اليه بقوله لقيمات فانه أقل جمع القلة وهو مادون العشرة وفى هذا بيان الكمية وفى تصغيرها ايماء الى تقليلها فى الكيفية ﴿ والتحقيق انه كلما يشدد فى الاحتياط يكون سببا للتخفيف ﴾ أى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب ﴿ والأصل الاستفتاء من القلب ﴾ والاستخارة فى كل أمر من الرب فورد « استفت قلبك وان افتاك المفتون وماخاب من استخار » ، ثم اعلم ان أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الاعصار والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز فى الديار ، وقد اختلف الناس فى هذا فقال : قوم كل مالا يتيقن انه حرام فله أن يأخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ مالا يتيقن أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا ، والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا يفتى بحله وحكم الورع بتركه الاان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ، ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم كأبى هريرة . وأبى سعيد الخدرى . وزيد بن ثابت . وأبى أيوب الأنصارى . وجرير ابن عبدالله . وجابر . وأنس . والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد . وأبو هريرة من مروان . ويزيد بن عبدالملك، وأخذ ابن عمر . وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى . وابراهيم . والحسن . وابن أبى ليلى، وأخذ الشافعى من هارون الرشيد ألف دينار فى دفعة، وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال على كرم الله وجهه : خذ ما أعطاك السلطان فان مايعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال أكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا الاترى الى قول أبى ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان أثمان دينكم فدعوه ، وقال أبو هريرة اذا أعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل ، وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة انه كان اذا أعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه ؛ وروى نافع عن ابن عمر أن المختار كان يبعث اليه المال فيقبله

ثم يقول: لا أسأل أحدا ولا أرد مارزقني الله ، وعن نافع أنه بعث ابن معمر الى ابن عمر سبعين ألفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: الا أجيزك بجائزة لم أجزها أحدا من العرب قبلك ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف فأخذها، وعن جعفر عن أبيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية ، وقال حكيم ابن جبير : مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من أسفل الفرات فأرسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل منه وأكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ماينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين . وأبي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى محذور ورعا، وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين ألفا وما نقل عن الحسن انه قال: لا أتوضأ من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلاة لأني لا أدري أصل ماله كله ذلك ورع لا ينكر ، ومن هذا القبيل ان ابا بكر حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرقها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر اصبعه في فيها فاخرجه وطرحه على الخراج وقال أيها الناس: ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم؛ وكشح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر أردت ان لا يبقى من امة محمد ﷺ احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال، وقال عمر: اني لم اجد نفسي في مال بيت المال الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف، وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ماشبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا، وروى عن علي كرم الله وجهه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له: اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه؟ فقال: اما اني لا اختمه بخلا فيه ولكنا كره ان يجعل فيه ماليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب ، وعن ابن المبارك ان الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر. وعائشة مايقتدون بهما لان كلا منهما كان يفرق ما يأخذه في مجلسه وكذا جابر ابن زيد وقيل يتصدق به وكان يقول رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الى من ان ادعها في

ايديهم وهكذا فعل الشافعي بماقبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين ﴿ ثم اعلم ﴾ ان الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر مايدل على ان لكل مسلم حقا فى بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ماكان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به ويتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الأجناد والمرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام من أعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال ، وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوزان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر أيضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فى الاختيار، فله ان يوسع بالعناية ويقتصر على الكفاية بحسب مايقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضى الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثنى عشر ألف نقرة فى السنة واثبت لعائشة وجماعة فى هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة فى جريدة اخرى اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رضى الله عنه فى زمانه فراجعه عمر فقال: انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق كما فى زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال: كل ما يأخذ فالمسلمون فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه درهم أو دانق او حبة فليترك الكل وقيل : له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل: له ان ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل : انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لأن ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم تتفق قسمة حتى مات هؤلاء لم

﴿ اَلْبَابُ السَّابِعُ فِي الاتِّبَاعِ وَالْمَعِيشَة ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ (قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِى)* (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) فَالْاَصْلُ اتِّبَاعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى جَمِيعِ الْاُمُورِ لِاَنَّهُ يُصَيِّرُ الْعَادَةَ عِبَادَةً وَيُنَوِّرُ الْبَاطِنَ وَيُذَكِّرُ الْعُبُودِيَّةَ وَيُقَرِّبُ اِلَى الارْتِيَاضِ ، فَالْمُسْتَرْسِلُ فِى اتِّبَاعِ الْهَوَى يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ ، هٰذَا

يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم، وقد وقع الاطناب فى هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب فى معرفة الخطأ والصواب *

﴿ الباب السابع فى الاتباع فى المعيشة ﴾

أى لاجل المعاش فى أمر الدنيا وأخذ زاد المعاد فى العقبى، وهذا الباب مشتمل على أنواع من الآداب كالأكل . والشرب . واللبس . والمنام . والسلام وما لا يستغنى عنه الانام ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ مفتاح كل كتاب كريم ﴿ ورد قل ان كنتم تحبون الله ﴾ أى وتبتغون رضاه ﴿ فاتبعونى ﴾ فى كل ما قدره وقضاه وأمره ونهاه تمامه (يحببكم الله) أى يثبكم فيما خلقه من دنياه وأخراه (و يغفر لكم ذنوبكم) فى عقباه (والله غفور رحيم) لمن عصاه ثم اتقاه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ أى من أوامره تمامه (وما نهاكم عنه فانتهوا) من زواجره ﴿ فالأصل ﴾ أى الذى عليه نظام الاحكام ﴿ اتباعه عليه السلام فى جميع الأمور ﴾ من أحوال الأنام ﴿ لأنه ﴾ أى اتباعه ﴿ يصير العادة عبادة وينور الباطن ﴾ ونوره يوجب سعادة ﴿ ويذكر العبودية ﴾ أى التى هى القيام بحقوق الربوبية ﴿ ويقرب الى الارتياض ﴾ أى تهذيب الأخلاق عن الأوصاف الذمائم ﴿ فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم ﴾ كما أشار اليه قوله تعالى :(أولئك كالأنعام بل هم أضل) لأنها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تأكل الأنعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام ﴿ هذا ﴾ أى خذ هذا

وَ إِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مُبَاحٍ الَى آخَرَ لِاطِّلَاعِهِ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ فِيهِ فَتَرْكُهُ لِلتَّكْذِيبِ كُفْرٌ . وَدُونَهُ حُمْقٌ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ تَنْظِيفًا وَتَعْظِيمًا ، وَوَرَدَ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَ بَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ »

الكلام ﴿ وانما عدل عليه السلام من مباح الى آخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه ﴾ دون الآخر انتقالا وفق انتفاع الهدى لا استرسالا فى اتباع الهوى ﴿ فتركه ﴾ أى ترك الاتباع ﴿ للتكذيب كفر ﴾ بالاجماع ﴿ ودونه ﴾ أى وتركه بدون التكذيب ﴿ حمق ﴾ أى جهالة وضلالة من غير النزاع ﴿ وحقه ﴾ أى وحق اتباعه عليه السلام فى انتفاعه بالطعام الذى هو أصل معاش الانام ﴿ أن يغسل اليدين ﴾ الى الرسغين فغسل اليد الواحدة أو الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح به فى العوارف. والقنية ﴿ قبل الأكل وبعده ﴾ فهما سنتان كما فى السراجية ولو غسل يديه للطعام أو عنه يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف مالو قصد غسلهما من الوسخ كما فى الجامع الصغير الخانى ﴿ تنظيفا ﴾ أى تطهيرا عن التلوث نظرا الى الثانى ﴿ وتعظيما ﴾ للنعمة نظرا الى الاول فى الكلام لف ونشر مشوش ﴿ وورد الوضوء ﴾ المراد به اللغوى وقيل الشرعى ﴿ قبل الطعام ينفى الفقر ﴾ لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة ﴿ وبعده ينفى اللمم ﴾ أى اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم أو اصابة الحس ذوات السم وقيل صغائر الذنوب ومنه قوله تعالى : (الا اللمم) وقوله عليه السلام: « ان تغفر اللهم فاغفر جما وأى عبد لك لا ألما » وفى نسخة من الاحياء ينفى الهم قال ، وفى رواية « ينفى الفقر قبل الطعام و بعده » قال مخرجه: رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الاول، وللطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس « الوضوء قبل الطعام و بعده مما ينفى الفقر » وهو من سنن المرسلين . ولأبى داود . والترمذى من حديث سلمان « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » انتهى ورواه أحمد . والحاكم فى مستدركه ، وفى رواية الحاكم فى تاريخه عن عائشة « الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان » واغرب سفيان الثورى فى قوله: يكره غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على أنها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل: يد المصلى طاهرة فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد أن يكون مأخذه مارواه الترمذى فى الشمائل

وَيَفْتَتِحُ بِالْمِلْحِ وَيَخْتِمُ بِهِ ، فَفِيهِ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ . وَدَفْعُ سَبْعِينَ بَلَاءً . وَيَأْكُلُ عَلَى السُّفْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَالْخِوَانُ . وَالْمُنْخُلُ . وَالْأُشْنَانُ . وَالشِّبَعُ مِنَ الْبِدَعِ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَذْمُومَاتٍ غَيْرَ الشِّبَعِ

عن ابن عباس أنه عليه السلام «خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا: الا نأتيك بوضوء؟ فقال: انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة» وروى أيضا فيهما أنه عليه السلام «خرج من الغائط فاتى بطعام فقيل له الا نتوضأ؟ فقال عليه السلام : أصلي فأتوضأ» فاخذ بظاهره مالك . وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعى استحب تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعى فلا ينافى الوضوء اللغوى العرفى من غسل اليدين مع أنه عليه السلام أراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما فى الترمذى عن سلمان قال: قرأت فى التوراة ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام وأخبرته بما قرأته فى التوراة فقال عليه السلام: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده» انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم أخلاق الأنام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون أثر الغسل قائما عند الأكل كذا فى الخانية ﴿ ويفتتح ﴾ أى يبتدىء بعد التسمية ﴿ بالملح ﴾ أى الخالص ﴿ ويختم به ففيه ﴾ أى فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به ﴿ مغفرة الذنوب ﴾ أى الصغائر ﴿ ودفع سبعين بلاءا ﴾ أى عن الظواهر أو الضمائر وهذا لم أجد له أصلا ﴿ ويأكل على السفرة ﴾ أى من الجلد أو الخرقة ﴿ الموضوعة على الأرض ﴾ فهو أقرب الى أدبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد «كان اذا أتى بطعام وضعه على الأرض» أحمد فى كتاب الزهد عن الحسن مرسلا. والبزار من حديث أبى هريرة نحوه ،وفى البخارى عن أنس ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ فقال: على السفر وهى جمع السفرة الدالة على السفر المذكر لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة ﴿ فالخوان ﴾ أى استعمال الموائد ﴿ والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن ﴾ أى ولو لم تكن هذه البدع الاربع ﴿ مذمومات غير الشبع ﴾ فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء :ثلاثة يبغضهم الناس البخيل . والمتكبر . والاكول، وقال أبو سلمان الدارانى: من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة . وقصور حفظ الحكمة .

مُتَأَدِّبًا . فَوَرَدَ « لَا آكُلُ مُتَّكِئًا

وحرمان الشفقة على الخلق لأنه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع . ويقل الطاعة : وأن يدور المؤمنون حول المساجد . والمحافل وهو يدور حول المطاهر . والمزابل ويقال ان فى قلة الأكل منافع كثيرة منها أن يكون أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما . وأقل نوما . وأطيب نفسا . وأخف بدنا . وألطف حسنا، وفي كثرة الأكل مضار كثيرة وهى اضداد ماتقدم ويتولد منها الأمراض المختلفة ويقال: اذا كانت العلة من قلة الأكل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الأكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها، ثم ليس كل ماابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة تضاد سنة، قال الحجة: وليس فى المائدة الا رفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، أقول: وانما الكراهة من حيث أنه مخالف للسنة وشعار أهل النعمة وطريق أهل الكبر والنخوة قال والاربعة التى ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان أتم فى التنظيف وكانوا لايستعملونه لانه ربما كان لايعتادعندهم أولا يتيسر وكانوا مشغولين بأمورهى أهم من المبالغة فى النظافة وقد كانوا لايغسلون الايدى أيضا وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لايمنع كون الغسل مستحبا قلت: ثبت الغسل بالاخبار فلاينافى مافعلوه احيانا فى حال الاضطرار، وفى الجملة ليست المبالغة فى النظافة من عمل السلف الاخيار، وفى الخانية عن أبى حنيفة . وأبى يوسف لابأس بغسل اليد بعد الأكل بالعجين والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما أولى فان النظافة بهما انقى، وفى الازهار شرح المصابيح قال العلماء: ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل فى الحالين ، وورد مسح اليدين بالمنديل والحصباء الا أن يريد أكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره، ومن هنا قيل يد المصلى طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الأطعمة والحالات وأكثر أحواله الغسل قبل الطعام وبعده أو الاكتفاء بالغسل فى آخره والله أعلم قال : وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعيم المفرط ، واما الشبع فهو أشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء فى الاعضاء ﴿ متأدبا ﴾ أى يأكل حال كونه متأدبا فى هيئة جلوسه ﴿ فورد لا آكل متكئا ﴾ أى متمكنا فى مقعده سواء يكون مستندا أو متكئا على أحد شقيه أو متربعا أو مضطجعا، والحديث رواه

إنما أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ » إلاَّ الْفَاكِهَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَكُّهِ فيَجُوزُ مُتَّكِئًا · ومُضْطَجِعًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى الرِّجْلِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى ، فَهُوَ مَسْنُونٌ · وَيَنْوِى بِهِ الْقُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ دُونَ التَّلَذُّذِ ، وَيُقَدِّمُهُ عَلَى الصَّلاَةِ إنْ أَمِنَ فَوْتَهَا

البخارى من حديث أبى جحيفة ، وفى السراجية لا بأس بالأكل متكئا اذا لم يكن عن تكبر ، وكذا فى الاختيار مثله ﴿ انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ﴾ البزار من حديث ابن عمر وزاد أحمد فى الزهد من حديث عطاء بن أبى رباح ومن حديث الحسن مرسلا « واجلس كما يجلس العبد » وورد بسند ضعيف انه عليه السلام « زجر أن يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الأكل » ﴿ الا الفاكهة ﴾ استثناء من قوله لا آكل متكئا ﴿ على سبيل التفكه ﴾ أى التنقل من الحبوب ﴿ فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون ﴾ وروى أبو الحسن المقرى فى الشمائل من حديث أنس « كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال : انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وفيه تنبيه نبيه على أن الأكل على المائدة كريه وربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه ، فقد روى أبو داود من حديث عبد الله بن بسر فى أثناء حديث « أتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ » الحديث وله وللنسائى من حديث أنس « رأيته يأكل وهو مقع من الجوع » وفى القاموس أقعى فى جلوسه تساند الى ماوراءه» وروى عن على « انه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال : منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع هنالك ، وأما ماورد من نهيه عليه السلام عن أكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه أبو داود وابن ماجه . والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الأكل قائما ﴿ وينوى به ﴾ أى بالأكل ﴿ القوة على الطاعة دون التلذذ ﴾ وقصد الشهوة ، ومن دعاء السلف بعد الأكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ، ومن ضرورة هذه النية تقليل الأكل فى القضية وفى الخبر « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » الترمذى وقال حسن . والنسائى . وابن ماجه من حديث المقدام بن معدى كرب ﴿ ويقدمه ﴾ أى الأكل ﴿ على الصلاة ان أمن فوتها ﴾

لِئَلَّا يَبْرُدَ وَلَا يَلْتَفِتُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ ، وَوَرَدَ « إذا حَضَرَ الْعَشَاءُ وَالْعِشَاءُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » ، وَيُكْثِرُ الْأَيْدِي ، فَوَرَدَ « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَفِيهِ تَقْلِيلُ الْأَكْلِ وَالْإِنْفَاقُ وَالْجَمْعُ فِي الْقَصْعَةِ الْوَاحِدَةِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

أي بخروج وقتها وانما يقدمه ﴿لئلا يبرد﴾ اذاقعد لديه ﴿ولا يلتفت القلب اليه﴾ فالأكل المخلوط بالصلاة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام ﴿وورد اذا حضر العشاء﴾ بفتح العين أي طعام الليل ﴿ والعشاء ﴾ بكسره أي صلاته ﴿ فابدءوا بالعشاء ﴾ وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهي الشاغلة والحديث كذا في الاحياء قال العراقي في شرح الترمذي: لا أصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ وأصل الحديث في المتفق عليه بلفظ « اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » والجمهور على ان الأمر للندب فقيل: انه مقيد بمن كان محتاجا الى الأكل وهو المشهور وقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة الامام فلا يقوم عن عشائه ، وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابدءوا به قبل أن تصلوا المغرب ولرواية اذا وضع العشاء وأحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغي حملها على العموم نظرا الى العلة وهي التشوق المفضي الى ترك الخشوع وذكر المغرب لا يقتضي الحصر فيها لأن الجائع غير الصائم قد يكون أشوق الى الأكل من الصائم ، ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا في فتح الباري شرح البخاري ﴿ ويكثر الايدي ﴾ أي على الطعام ولو من أهله وولده والخدام ﴿ فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه ﴾ بصيغة المجهول أبو داود . وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن قيل: الأكل مع العيال أفضل من الأكل وحده والأكل مع الغير أفضل من الأكل مع العيال ﴿ وكان عليه السلام لا يأكل وحده ﴾ الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس ﴿ وفيه تقليل الأكل ﴾ أي غالبا ﴿ والانفاق ﴾ أي الايثار المحمود بالاتفاق ﴿ والجمع في القصعة الواحدة أحب الى الله تعالى ﴾ فعنه عليه السلام « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي » كذا في الاحياء سكت عنه مخرجه ، وعن عمر مرفوعا « كلوا جميعا ولا تفرقوا

وَ يَجْتَنِبُ الْقَصْعَةَ الصَّغِيرَةَ فَلَا بَرَكَةَ فِيهَا . وَنَحْوَ الصُّفْرِ . وَالنُّحَاسِ .
وَالْخَزَفِ وَيُسَمِّي فِي الِابْتِدَاءِ . وَالْأَحَبُّ فِي كُلِّ لُقْمَةٍ . وَيَجْهَرُ تَذْكِيرًا لِلْغَيْرِ ، وَلَا
يَعِيبُ مَأْكُولًا فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَلَا يَتَجَاوَزُ عَمَّا يَلِيهِ ، فَوَرَدَ « كُلْ مِمَّا يَلِيكَ إِلَّا
فِي الثِّمَارِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ مُعَلَّلٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ نَوْعًا وَاحِدًا ،

فان البركة مع الجماعة » ابن ماجه ﴿ ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها ﴾ لعدم اتساع الأيدى ﴿ ونحو الصفر والنحاس ﴾ أى ويجتنب الأكل فيهما ﴿ فالمسنون الخشب والخزف ﴾ وأما الصينى فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف ﴿ و يسمى فى الابتداء ﴾ فهو سنة مؤكدة فعن عائشة « اذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسى أن يذكر اسم الله فى أوله فليقل بسم الله على أوله وآخره » أبو داود . والنسائى . والحاكم وقيل: التسمية واجبة ويحمد فى الانتهاء فانه مستحب ﴿ والاحب فى كل لقمة ﴾ أن يسمى فى أولها ويحمد فى آخرها وفى الاحياء يقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم، فعلى هذا يقول مع الأولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم ﴿ ويجهر ﴾ أى بالتسمية ﴿ تذكيرا للغير ﴾ وتحريضا له على الخير ﴿ ولا يعيب مأكولا ﴾ من المباح ﴿ فهو المأثور ﴾ أى المتفق عليه من حديث أبى هريرة انه عليه السلام « كان لا يعيب مأكولا ان أعجبه أكله والا تركه فذهب بعضهم الى أن العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره ، وقال العسقلانى: والذى يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت: لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ، ومن الأدب أن يأكل بيمينه ﴿ ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك ﴾ متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك ﴿ الا فى الثمار ﴾ أى الفواكه ﴿ فهو ﴾ أى استثناؤه ﴿ مروى معلل بأنه ليس نوعا واحدا ﴾ اذ يوجد فيه ماهو نىء ومنضوج وبين ذلك ، وأيضا اذا كان فى الطبق أنواع من الثمار ففى كل نوع له حق فلا يكره أن يأكل من غير ما يليه والحديث رواه الترمذى . وابن ماجه . وابن حبان من حديث عكراش بن ذئب وفيه « جالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت » فانه غير لون واحد

وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذِرْوَةِ الْقَصْعَةِ . وَلَا مِنْ وَسَطِهَا وَوَسَطِ الْخُبْزِ وَلَا بِأُصْبُعَيْنِ فَهُوَ تَكَبُّرٌ . وَلَا بِأَرْبَعٍ فَهُوَ شَرَهٌ وَالسُّنَّةُ بِثَلَاثٍ وَلَا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِهِ وَلَا يَقْطَعُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ بِالسِّكِّينِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِلتَّشَبُّهِ بِالْعَجَمِ فِي التَّرَفُّعِ .

﴿ولا يأكل من ذروة القصعة﴾ أي اعلاها ﴿ولا من وسطها﴾ أي ولو لم يكن مرتفعا بل من جانبها فعن ابن عباس « كلوا في القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها » أحمد . والبيهقي ، وفي رواية أبي داود . وابن ماجه عن عبدالله بن بسر « كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها » وفي رواية لابن ماجه عن واثلة « كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها » ﴿ووسط الخبز﴾ أي ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياسا على القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ﴿ولا باصبعين﴾ أي الا اذا كان لا يحتاج الى ثالثة ﴿فهو تكبر﴾ وكذا باصبع فان الأكل بها مع انه فعل المتكبرين لا يستلذ به الآكل ولا يستمرى به لضعف مايناله منه كل مرة فهو كمن أخذ حقه حبة حبة ﴿ولا باربع فهو شره﴾ أي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين في الأكل برابع أصابعه وكان لا يأكل باصبعين وقال الشيطان يأكل بهما ﴿والسنة﴾ أي المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام ﴿بثلاث﴾ ففي الشمائل للترمذي عن كعب بن مالك أنه عليه السلام يأكل باصابعه الثلاث فقد قال العلماء : يستحب الاكل بثلاث أصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما أخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبي ﷺ كان اذا أكل أكل بخمس فمحمول على القليل النادر لبيان الجواز أو على المائع ﴿ولا بالشمال﴾ أي ولا يأكل بها ﴿فان الشيطان يأكل به﴾ أي بهذا العضو فعن جابر « لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال » ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات ﴿ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منهي عنه للتشبه بالعجم في الترفع﴾ اى التكبر والتنعم في أزمنة جاهليتهم أما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة . وابن حبان من حديث أم سلمة وهو أيضا مناف لا كرامه كما سيأتي بيانه في مقامه ، وأما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه أبو داود . والبيهقي في شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا « لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من

وَيُحضِرُ الْبَقَلَ فَهُوَ يُحضِرُ الْمَلَائِكَةَ . وَيَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَالْخَلَّ فَهُوَ يَنفِي الْفَقْرَ وَيُغَطِّي الْحَارَّ حَتَّى يَبْرُدَ فَهُوَ أَعْظَمُ

صنيع الأعاجم وانهشوه فانه أهنأ وامرأ » وللترمذى . وأحمد . والحاكم من حديث صفوان بن أمية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه أشهى وأهنأ وامرأ وفيه ايماء الى جواز القطع ففى الشمائل عن المغيرة بن شعبة «قال: ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فأتى بجنب مشوى ثم أخذ الشفرة فجزلى بها منه» وفى الصحيحين أنه عليه السلام «احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فالقى السكين التى يحتزبها ثم قام يصلى ولم يتوضأ» وفى البيهقى أن النهى عن قطع اللحم بالسكين فى لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد « اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة » رواه الحاكم عن أنس وفى رواية له ولغيره «فانه أروح لاقدامكم» ﴿ ويحضر البقل ﴾ أى يجعله حاضرا فى السفرة ﴿ فهو يحضر الملائكة ﴾ أى اذا لم يكن له رائحة خبيثة ﴿ ويطرد الشياطين ﴾ لأنهم ما يجتمعون مع الملائكة فى محل واحد لكن لم أعرف له اصلا وفى الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل، وفى الخبر ان المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل . وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان، وعن على رضى الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب، والسفارجات أى السكريات أو المهضمات من المعجونات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بشىء مثل السمن ولن تستشفى النفساء بشىء افضل من الرطب، والسمك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليبا كر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء أى النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين أى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء ﴿ والخل ﴾ أى ويحضره ﴿ فهو ينفى الفقر ﴾ فقد ورد ما افتقر من أدم بيت فيه خل » الطبرانى . وأبو نعيم عن عائشة ﴿ ويغطى الحار ﴾ أى يستره لئلا يقع فيه شىء ولا يلتفت اليه ﴿ حتى يبرد ﴾ أى يسهل أكله ﴿ فهو أعظم

بركة وهو السنة . ويكرم الخبز ، فورد «أكرموا الخبز فان الله أنزله من بركات السماء» فلا يمسح به اليد ولا يضع عليه القصعة . ولا ينظر الادام . ويكسر باليدين ويقدم المكسور على الصحيح . ولا يلتفت يمينا وشمالا . ويصغر اللقمة ويجود المضغ . ويستعين

بركة وهو السنة ﴾ أى ثابت بها لقوله عليه السلام « ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه » رواه الحاكم وغيره ، ولا ينفخ فى الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر الى أن يسهل أكله ، والحديث عند أحمد عن ابن عباس وهو عند أبى داود .والترمذى وصححه . وابن ماجه الا أنهم قالوا فى الاناء وللترمذى وصححه من حديث أبى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب أى لئلا ينفصل من ريقه شىء و يقع فيه فينفر الطبع منه ، ﴿ ويكرم الخبز فورد أكرموا الخبز ﴾ أخرجه الحاكم فى مستدركه عن عائشة، وفى رواية « فان الله أكرمه ومن أكرم الخبز فقد أكرم الله » وفى رواية ﴿ فان الله أنزله من بركات السماء ﴾ أخرجه البغوى فى معجم الصحابة بكماله من حديث عبد الله ابن زيد مرفوعا والطبرانى من حديث أبى سكينة وفى رواية زيادة «وأخرجه من بركات الأرض » رواه الحكيم ﴿ فلا يمسح به اليد ﴾ ولا السكين لأنه نوع اهانة ﴿ ولا يضع عليه القصعة ﴾ ولا المملحة لأنه قلب الموضوع ﴿ ولا ينظر الادام ﴾ لأن العيش به تمام فى مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام، ولله در القائل من الكرام :

وما هى الا جوعة قد سددتها ٭ وكل طعام بين جنبى واحد

﴿ ويكسر باليدين ﴾ لا بيد واحدة كالمتكبرين ﴿ ويقدم المكسور على الصحيح ﴾ أى فى أكله ﴿ ولا يلتفت يمينا وشمالا ﴾ لأنه يوجب اختيالا ﴿ ويصغر اللقمة ﴾ ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفى ابن آدم لقيمات بصيغة التصغير ﴿ ويجود المضغ ﴾ فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يبتلعها فلا يمد يده الى غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل وأما حديث الأمر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال النووى: لا يصح ذكره الزركشى، وكذا حديث « صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه » ضعفه ابن حبان رواه الديلمى بسند عن عائشة مرفوعا ﴿ ويستعين

بِالْيُسْرَى عِنْدَ الْحَاجَةِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْادَامَيْنِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ، وَيَلْعَقُ الْأَصَابِعَ فَلَا يَدْرِى فِى أَىِّ جُزْءٍ مِنْهُ الْبَرَكَةُ . وَالْقَصْعَةَ فَهُوَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ . وَيَأْكُلُ السَّوَاقِطَ فَهُوَ مَأْثُورٌ ، وَوَرَدَ « فَهُوَ مُهُورُ الْحُورِ » وَسَبَبُ سَعَةِ الْعَيْشِ وَالْعَافِيَةِ فِى الْوَلَدِ وَيُخَلِّلُ الْاَسْنَانَ

بالیسری ﴾ أی من الیدین ﴿ عند الحاجة ﴾ أی الملجئة الیها ففی الطبرانی عن عبد الله بن جعفر قال رأیت فی یمین النبی ﷺ قثاء وفی شماله رطبا وهو یأكل من ذا مرة ومن ذا مرة ﴿ ولا یجمع بین الادامین ﴾ فانه نوع من الترفه فالنهی للتنزه وكذا ما فی تحفة الملوك من ان الجمع بین الأطعمة حرام أی ممنوع منع تنزیه عند السلف الكرام والا فقد قال تعالى: (قل من حرم زینة الله التی أخرج لعباده والطیبات من الرزق) وقد ورد «انه جمع التمر والقثاء» كما رواه النسائی ، وأخرج أبو داود . وابن ماجه «قدم علینا رسول الله ﷺ فقدمنا له زبدا وتمرا وكان یحب الزبد والتمر» ﴿ فالكل مأثور ﴾ وعند أهل الأثر مشهور والعامل به ماجور ﴿ ویلعق الاصابع ﴾ ای الثلاث ویبتدیء بالوسطى ﴿ فلا یدری فی ای جزء منه البركة ﴾ ففی صحیح مسلم من حدیث أنس . وجابر ولا یمسح یده بالمندیل حتى یلعق اصابعه فانه لا یدری فی أی طعامه البركة ﴿ والقصعة ﴾ ای ویلحسها ﴿ فهو كعتق رقبة ﴾ ففی الاحیاء یقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة ، ففی الطبرانی عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله فی الدنیا والآخرة ﴿ ویأكل السواقط ﴾ جمع الساقطة ، ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة ﴿ فهو مأثور ﴾ ففی صحیح مسلم «اذا وقعت لقمة احدكم فلیاخذها فلیمط ما كان بها من اذى ولیأكلها ولا یدعها للشیطان» وورد « اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ما سقط فی السفرة غفر له » الطبرانی ﴿ وورد فهو مهور الحور ﴾ ففی الاحیاء یقال التقاط الفتات مهور الحور العین ﴿ وسبب سعة العیش ﴾ أی الرزق فی الدنیا حیث عظم نعمة المولى ﴿ والعافیة فی الولد ﴾ أی ذریته من الفقر والبلاء ، ففی الاحیاء من أكل ما یسقط من المائدة عاش فی سعة وعوفی فی ولده » قال المخرج رواه أبو الشیخ فی كتاب الثواب من حدیث جابر بلفظ « آمن من الفقر . والبرص . والجذام وصرف عن ولده الحمق » وفی روایة « اعطی سعة من الرزق ووقی الحمق فی ولده وولد ولده » ﴿ ویخلل الاسنان ﴾

وَيخرج مابقي منه · ويمضمض فالكل مأثور · ويحمد الله تعالى إن عرى عن الشبهة والا يستغفر ويغتم ويبكى · ويقول: الحمد لله على كل حال . ويقرأ الاخلاص · والقريش · ولا يقوم قبل الرفع . ويدعو لصاحبه ان أكل طعام الغير · ويقدم الافضل فى الغسل · والاكل . والشرب ·

أى تنظيفا ﴿ ويخرج ﴾ أى بالخلال ﴿ مابقى منه ﴾ أى ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه ﴿ ويمضمض ﴾ أى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة ﴿ فالكل مأثور ﴾ وبعضه فيما قدمنا مذكور، وفى الاحياء ففيه أثر من أهل البيت ﴿ ويحمد الله تعالى ﴾ بان يقول « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة وأمثال هذا » مما قد ورد فى السنة ﴿ ان عرى ﴾ أى خلا الطعام ﴿ عن الشبهة ﴾ أى القوية ﴿ والا يستغفر ﴾ ويندم ﴿ ويغتم ﴾ حزنا على ما أكل منه فورد « كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » البيهقى فى شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة ﴿ ويبكى ﴾ فليس من يأكل و يبكى كمن يأكل ويلهى ﴿ ويقول الحمد لله على كل حال ويقرأ الاخلاص ﴾ أى سورة قل هو الله أحد ﴿ والقريش ﴾ صوابه قريش أى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء، ولعل الأولى للايماء الى توحيد الذات و تفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار الى تذكار أوصافه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال :(فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وأقول : وقراءة سورة الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه ﴿ ولا يقوم ﴾ اى عن السفرة ﴿ قبل الرفع ﴾ اى للطعام الا اذا كان عاد ذلك المقام ﴿ ويدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير ﴾ فيقول . اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر عند قوم قال: افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ﴿ ويقدم الأفضل ﴾ أى فى السن والرتبة كالعالم والسيد ﴿ فى الغسل ﴾ أى فى غسل اليد آخرا ويؤخره اولا مراعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس ﴿ والاكل والشرب ﴾

وَ يقبَلُ الْاِكْرام كتقديم الطَّسْت فَالْكَرَامَةُ لاتُرَدُّ ، وَلاَ يُطِيلُ انتِظَارَ الْجَمْعِ ، فوردَ (فَمَالَبِثَ أَنْ جَاءَ بعجلٍ حَنيذ) وَلاَ يَسْكُتُ فَهو سَيرَةُ العَجَمِ • وَ يرَافِقُ الرَّفِيقَ • و يتعهده غَيرَ ملحٍ ولاَيَزيدُ عَلَى ثَلاَثٍ فهومروى .وَلاَيحلِّفُ لِجَاءَ: الطَّعَامُ أَهونُ من

أى ويقدمه فيهما مطلقالقوله عليه السلام: «اذاوضع الطعام فليبدأ أمير القوم أو صاحب الطعام اوخير القوم» ابن عساكر عن أبى ادريس الخولانى مرسلا ﴿ و يقبل ﴾ أى الضيف ﴿ الاكرام كتقديم الطست ﴾ من المضيف أوغيره أصله الطس أبدل من احدى السينين تاءوحكى بالشين المعجمة كذافى القاموس، والظاهر أنه أعجمى ﴿ فالكرامة لاترد ﴾ بل تقبل، وقد اجتمع أنس بن مالك . وثابت البنانى وهو تلميذه التابعى فقدم أنس الطست اليه فامتنع ثابت فقال له أنس : اذاأكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عزوجل ، وروى ان هارون الرشيد دعاأبامعاوية الضرير فصب الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال : ياأبامعاوية أتدرى من صب على يدك الماء؟ فقال : لا فقال: صبه أمير المؤمنين فقال ياأمير المؤمنين انما أكرمت العلم واجللته فاجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله ﴿ولا يطيل انتظار الجمع ﴾ أى اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى له ان لايطول عليهم الانتظار اذااجتمعوا للاكل وتهيئوا له ﴿ فورد فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ﴾ أى مشوى وفيه أنه لم يكن هنالك من ينتظر فالاستدلال به فيه نظر ﴿ ولا يسكت ﴾ • أى حين الاكل • ﴿ فهو سيرة العجم ﴾ • من المجوس لكن لايتكلم كثيرا أيضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البجم بل يتكلم بالمعروف و يتكلم بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها ممايناسب المقام • ﴿ ويرافق الرفيق ﴾ • بان يؤثره أحسن الأطعمة ولايقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا • ﴿ و يتعهده ﴾ • أى يتفقده فى الجملة • ﴿ غير ملح ﴾ • أى فى عزمه على الاكل فيقول له كل • ﴿ ولا يزيد على ثلاث ﴾ • أى ثلاث مرات • ﴿ فهو مروى ﴾ • فقد كان عليه السلام « اذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث » رواه أحمد من حديث جابر واسناده حسن، وفى البخارى من حديث أنس « كان يعيد الكلمة ثلاثا » • ﴿ ولا يحلف ﴾ • بتشديد اللام معلوما أو مجهولا ﴿ لجاء ﴾ اى عن الحسن بن على ﴿ الطعام اهون من

أَنْ يُحلَّفَ عَلَيْهِ . وَلَا يُحْوِجُهُ الَى التَّعَهُّدِ ، وَيَجْمَعُ مَاءُ الْكُلِّ فِى طَسْتٍ مَا أَمْكَنَ فَوَرَدَ « اجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ »

ان يحلف عليه ﴾ لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه ﴿ ولا يحوجه ﴾ اى رفيقه او مضيفه ﴿ الى التعهد ﴾ قال بعض الادباء احسن الآ كلين اكلا من الرفقاء من لا يحوج صاحبه الى تفقده فى أكله وحمل بفعله عن أخيه مؤنة ، قوله و كان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من أكل أكثر اعطيته بكل نواة درهما و كان يعد النوى فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط فى بساط الانبساط ، وقال جعفر بن محمد : أحب اخوانى الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجنى الى تعاهده فى الأكل ﴿ و يجمع ماء الكل فى طست ما أمكن ﴾ أى مهما وسع ﴿ فورد اجمعوا وضوءكم ﴾ بالفتح أى ماء الوضوء وهو يشمل اللغوى والشرعى ﴿ جمع الله شملكم ﴾ أى تفرقكم ، والحديث رواه القضاعى من حديث أبى هريرة باسناد لا باس به ، و كان حق المصنف أن يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق ، والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدى فى الطست الكبير لا باس به اذا كان فى حالة واحدة بل هو أقرب الى التواضع والانكسار وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود : اجتمعوا على غسل الأيدى فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم ، و كتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ولا يرفع طست من بين أيدى القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما أخرجه البيهقى . والخطيب . والديلمى عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء قبل الراء أى املؤها ، والخادم الذى يصب الماء على الأيدى كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا أى باركا ليكون أقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه وأحب قيامه ، وفى الطست آداب وهى أن لا يبصق فيه . وأن يقدم فيه المتبوع . وأن يقبل الا كرام بالتقديم وأن يدارى بمينه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجتمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما مائلا . وأن يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعي في أول نزوله عليه وقال : لا يرعك مني ما رأيته مني فخدمة الضيف فرض .

وَ يحترز عمَّا يكْرَهُ الرَّفيقُ قولاً وفعلاً كالنَّفْخِ . وَالنَّظَرِ الَى أَكْله. وَنفض الْيَد . وَتَقْرِيب الرَّأْس. وَاخْرَاجِ شَيْءٍ من الْفَمِ مُتَوجِّهًا . وَأَخْذه بِالْيَمِين وَجَعْلِ اللُّقْمَة الْمَمْضُوغَة في الْقَصْعَة . وَالدَّهْن في الْخَلِّ وَالْعَكْسِ وَالتَّكَلُّمِ بِالْقَاذُورَاتِ وَالْأَهْوَالِ وَالْاسْتِئْذَانِ وَالْامْتِنَاعِ قَبْلَ امْتِنَاعِه .

قلت:ولعله مأخوذ من قوله تعالى : (وهل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) وقوله عليه السلام : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقوله «اذا جاء كم الزائر فا كرموه» الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس «(ويحترز عما يكره الرفيق قولا) أي مما لا يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره (وفعلا كالنفخ) أي في الطعام او الشراب لما تقدم، و كذا لا يشم الطعام فانه من عمل الأنعام ولا يأكل في الظلمة فهو منهي عنه ولا قائما أو ماشيا لأن فيه دناءة اذا جعله عادة (والنظر الى أكله) أي فيستحيي من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا أكل مع أهله (ونفض اليد) أي في القصعة (وتقريب الرأس) أي وتقديمه عند وضع اللقمة في فمه (واخراج شيء من الفم متوجها) أي الى رفيقه أو طعامه (وأخذه باليمين) فينبغي أن يخرج الشيء من الفم صارفا وجهه وآخذا بيساره (وجعل اللقمة الممضوغة في القصعة) فانه سبب ينفر الطبيعة (والدهين في الخل) أي ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغيره في الخل (والعكس) أي ولا الخل في الدسم فقد يكره غيره وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرقة والخل ونحوهما (والتكلم بالقاذورات) أي الحسية والمعنوية (والاهوال) أي الأحوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر الاموات (والاستئذان) أي طلب الاذن في التقديم أي تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير اليه قوله تعالى : (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين) أي ذهب اليهم بخفية، قال الثوري: اذا زارك أخوك فلا تقل أتأكل أو أقدم اليك ولكن قدم فان أكل والا فارفع (والامتناع) أي امتناع المضيف والرفيق عن الأكل (قبل امتناعه) أي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل ينبغي أن يمد يده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى أن يستوفوا فان كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى اذا توسعوا

وَالرَّفْعِ قَبْلَ اسْتِيفَائِهِ . وَالتَّكَلُّفِ كَالْاسْتِقْرَاضِ .

فى الطعام أكل معهم آخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم ﴿ والرفع ﴾ أى رفع الطعام ﴿ قبل استيفائه ﴾ أى استيفاء الضيف غرضه فى ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الأصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد: اذا قعدتم مع الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لاتحسب عليكم من أعماركم ، وقال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه فى الطعام فان الله يستحيي أن يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدى فى الضعفاء «ثلاثة لا يسألون عن النعيم الصائم . والمتسحر . والرجل يأكل مع ضيفه » وروى الديلمى نحوه من حديث أبى هريرة وقد ورد « لاتزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع » الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة، وفى الاحياء روى عن بعض علماء خراسان « انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لايقدرون على أكل جميعه و كان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فانا أحب ان أستكثره مما أقدمه اليكم لنأخذ فضل ذلك قال العراقى: لم أقف للحديث على أصل وعن على لأن أجمع اخوانى على صاع من طعام أحب الى من ان اعتق رقبة، وقيل: اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد « ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » الترمذى من حديث على، وعنه عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » الطبرانى من حديث ابن عمر ﴿ والتكلف ﴾ أى تكلف المضيف للضيف ﴿ كالاستقراض ﴾ ففى البخارى عن عمر « نهينا عن التكلف » وفى رواية البيهقى عن سلمان مرفوعا « لايتكلفن أحد لضيفه مالا يقدر عليه » والمعنى أنه يقدم له ماحضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجله فيشق على نفسه، وقال بعض السلف فى تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة و كان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه، وقال بعضهم: ما أبالى من أتانى من اخوانى فانى لا أتكلف

وتقديم شيء تحتاج اليه العيال أو لا تسامح النفس به، فهو يورث الانقطاع.

و يقدم ما يشتهي، فورد «من صادف من أخيه شهوة فقضاها غفر له».

له وانما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت صحبته وملته وقال بعضهم كنت ادخل على أخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا اذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك ﴿ وتقديم شيء تحتاج اليه العيال ﴾ أي بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم في مآله، وروى « ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال: أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخرما في البيت ولا تجحف بالعيال » ﴿ أو لا تسامح النفس به ﴾ فانه من جملة التكلف ﴿ فهو يورث الانقطاع ﴾ أي انقطاع الصحبة. والالفة. والاطعام. والضيافة قال الثوري: اذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه منك، وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال: لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم، رواه أحمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبقي ولا تذر « وعن سلمان أمرنا رسول الله ﷺ ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم اليه ما حضرنا » وروى أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه » وعن أنس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون: لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدم ﴿ ويقدم ﴾ أي المضيف ﴿ ما يشتهي ﴾ اي ما يحبه لنفسه لقوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أو ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله، ففي الشمائل انه عليه السلام « زار بعض أصحابه فذبح له شاة فقال اعلموا انا نحب اللحم » ويستحسن أن يشهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح، قال أبو بكر الكناني: دخلت على السدي فجاء بفتيت واحد فجعل نصفه في القدح فقلت: أي شيء تعمل أنا أشربه لك كله في مرة واحدة فضحك فقال: هذا أفضل من حجة ﴿ فورد من صادف ﴾ اي وافق كما في رواية ﴿ من اخيه شهوة ﴾ أي علمها وقدر عليها ﴿ فقضاها ﴾ أي فاطعمها اياه ﴿ غفر له ﴾ البزار. والطبراني من حديث أبي الدرداء، ومما ينبغي للزائر ان لا يقترح بشيء بعينه فربما يشق على المزور »

فروى الأعمش عن أبي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي: لو كان في الملح سعتر لكان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لوقنعت بمارزقت لم تكن مطهرتي مرهونة، هذا وان خيره أخوه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه ففي الخبر «ماخير عليه السلام بين شيئين الا اختار ايسرهما» متفق عليه من حديث عائشة، ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكره وقال: ماأمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه وذلك لانه يدل على صداقته كما يشير اليه قوله تعالى: (أوصديقكم) وقد قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان كما في الشمائل للترمذي وقال حسن صحيح، ومنزل أبي أيوب الأنصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا، والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف، وكان عون بن عبدالله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله اذا أكل من ماله فله أن يأكل بغير اذنه اذ مدار الاذن على الرضا لاسيما في الأطعمة فامره على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فاكل طعامه محبوب، وقد دخل عليه السلام دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال: بلغت الصدقة محلها، وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول: هكذا كنا وروى عن الحسن «انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الخرقة تينة ومن هذه عنبة» فقال له هشام: مابدالك ياأبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه؟ فقال: يالكع اتل على آية الأكل فتلا الى قوله (أوصديقكم) فقال فمن الصديق ياأبا سعيد؟ قال: من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب، وجاء قوم الى منزل

وَيُضِيفُ ، فَوَرَدَ «لَاخَيْرَفِيمَنْ لَايُضِيفُ» وَيَقْصِدُ بِهِ الْاَتْقِيَاءَ اعَانَةً عَلَى الْبِرِّ

سفيان الثوری فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوری فجعل يقول: ذكرتمونی أخلاق السلف هكذا كانوا، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه فی المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله وقدمه الى أصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل: قد أخذه فلان فقال: قد أحسن فلما التقيا قال: ياأخی ان عادوا فعد * هذا ومن الخصال الذميمة أن تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت أكلهم لمرامهم فان ذلك من الفجعة حال الفجاءة فقد قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه) أی غير منتظرين حينه ومتربصين نضجه، وفی الخبر «من مشی الى طعام لم يدع اليه مشی فاسقا وأكل حراما» البيهقی من حديث عائشة. ولأبی داود من حديث ابن عمر «من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا» ﴿ ويضيف ﴾ أی بما قدر عليه وحضر لديه ﴿ فورد لاخير فيمن لايضيف ﴾ احمد من حديث عقبة بن عامر وقال أنس «كل بيت لايدخله ضيف لاتدخله الملائكة» ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام: انظروا اليها انما هذه الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل» رواه الخرائطی فی مكارم الأخلاق من رواية أبی المنهال مرسلا، وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ «نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودی نزل بی ضيف فاسلفنی شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودی: والله لاأسلفه الا برهان فاخبرته فقال عليه السلام والله انی لامين فی السماء أمين فی الأرض ولو أسلفنی لأديته اذهب بدرعی فارهنها عنده» رواه ابن مردويه فی تفسيره. واسحق بن راهويه فی مسنده، فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع؟ قلت محله اذا لم يكن له مايستفكه ويستخلصه فيكون تكلفا زائدا لايحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا أراد أن يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته فی مشهده الى يومنا هذا فی بلده فلا تنقضی ليلة الاويأكل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة ﴿ ويقصد به ﴾ أی باطعامه ﴿ الاتقياء ﴾ من الفقراء ﴿ اعانة على البر ﴾ وزيادة الطاعة فقد ورد فی دعائه عليه السلام «أكل طعامكم الابرار» وفی قوله

دُونَ الْاَغْنِيَاء ، فورد أنّه «شرّ الطَّعَام» ، وَلَا يُهمِل الْاَقْرِبَاء وَالْاِخْوَان : وَلَا يَخُصّ بعضهم تحاميا عن الْوَحْشَة وقطع الرَّحِم . وَ يَنْوِى اسْتِمَالَةَ الْقُلُوب . وَاِقَامَةَ السُّنَّةِ دون الْمُبَاهَاة . وَلَا يدْعُو من يَسْتَثْقِلُ الْحُضُور . وَلَا مَنْ يَتَأَذَّى به الْحَاضِرُونَ . وَلَا الْفَاسِقَ فَاِنَّهُ اِعَانَةٌ عَلَى الْاِثْم ، وَيُجِيبُ نَاوِيًا اِكْرَامَ الْمُؤْمِن ، فورد «مَنْ اَكْرَمَ اَخَاهُ الْمُؤْمِن فَاِنَّمَا يُكْرِمُ الله»

«لا يأكل طعامك إلا تقى» وقد تقدم ﴿دون الأغنياء﴾ ولو كانوا من الصلحاء ﴿فورد أنه﴾ أى عكسه ﴿شر الطعام﴾ يعنى به حديث «شر الطعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء دون الفقراء» متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴿ولا يهمل الاقرباء﴾ أى لا يتركهم فى الطلب لضيافة الغرباء ﴿والاخوان﴾ أى الاحباب من الصلحاء لقوله تعالى : (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ﴿ولا يخص بعضهم﴾ بل يعمهم ﴿تحاميا عن الوحشة﴾ أى النفرة عن الصحبة ﴿وقطع الرحم﴾ لاسيما اذا كان المدعو أبعد فى النسبة ﴿وينوى﴾ اى بالضيافة ﴿استمالة القلوب﴾ اى ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوى اكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام «من أكرم أخاه المؤمن فكأنما يكرم الله» وينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه السلام «من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل» ابن حبان . والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق ﴿واقامة السنة﴾ أى الطريقة الحسنة ﴿دون المباهاة﴾ أى لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض وحمل المنة ﴿ولا يدعو من يستثقل الحضور﴾ أى حضور مجلس الضيافة أو محفل الجماعة لأن الثقيل مليل كالعليل ﴿ولا من يتاذى به الحاضرون﴾ كالمبروص وصاحب الجذام أو من يكثر الضحك والكلام ويبحث بالشدة مع العلماء الاعلام ﴿ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم﴾ بل على الآثام وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ﴿ويجيب﴾ اى دعوة الداعى الى وليمة ونحوها ان قدر ﴿ناويا اكرام المؤمن فورد من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله﴾ لان المؤمن مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر . والعقيلى من حديث أبى بكر

وَاسْرَارُه ، فورد « مَنْ سَرَّ مؤمنا فَقَدْ سرَّ اللهَ » وَالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فورد «مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللهَ » وَاقَامَةَ السُّنَّةِ فَهِيَ مؤكَّدَةٌ ، وَيَتَعَلَّلُ لاسْتِثْقَالِ الدَّاعِي الْاطْعَامَ :وَقَصْدِه الْمُبَاهَاةَ .وَالتَّحَامِي عَنِ ارْتِكَابِ مَعْصِيَةٍ كَكَوْنِ الشُّبْهَةِ فِي الطَّعَامِ وَالْمُنْكَرِ فِي الْمَجْلِسِ ، فَالنِّيَّةُ انَّمَا تُؤَثِّرُ

﴿ واسراره ﴾ اى تفريحه ﴿ فورد من سرمؤمنا فقد سرالله﴾ وقدتقدم ﴿والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله ﴾ اى الله ورسوله كما فى المتفق عليه من حديث ابى هريرة﴿ واقامة السنة فهي مؤكدة﴾اىقريبة للوجوب اوالاول دليل قولى والآخر دليل فعلى فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهى عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة، وقال بعضهم : انتظار المرقة مذلة وقال: آخر اذا وضعت يدى فىقصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى فقيل هذاخلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعى لايفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض الصوفية لاتجب الادعوة من يرى انك أكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى لك فىقبولها الفضل والمنة ، وقال السرى السقطى ألح على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة ﴿ ويتعلل ﴾ أى ويتعذر و يأتى بنوع من العلة اذالم يرد الاجابة وذلك ﴿لاستثقال الداعى الاطعام ﴾ وانما هو حياء من بعض الانام ﴿ وقصده المباهاة ﴾ أى ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا فروى أبو داود من حديث ابن عباس أنه عليه السلام « نهى عن طعام المتباريين» أى المتباهيين كما فى رواية العقيلى،والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله أبو موسى المدينى ﴿ والتحامى ﴾ أى و يتعلل أيضا للاحتراز والاحتراس ﴿ عن ارتكاب معصية ﴾ أى مما يوجد عندالداعى ﴿ ككون الشبهة ﴾ أى القوية ﴿ فى الطعام والمنكر فى المجلس ﴾ أى مناكر الآثام من فرش ديباج أو آنية فضة أو تصوير حيوان على حائط أو سماع شىء من المزامير او الملاهى أو تشاغل بنوع من اللهو والهزو واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها و يوجب تحريمها أو كراهتها و كذلك اذا كان الداعى ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة والرياء والسمعة فلا تجاب له الدعوة ﴿ فالنية ﴾ أى تصحيحها أو تحسينها ﴿انما تؤثر

فِي الْمُبَاحِ لَا لِنُقْصَانِ الْجَاهِ وَلَا لِفَقْرِ الدَّاعِي فَهُوَ تَكَبُّرٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالْفَقِيرِ، وَلَا لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ ان اعْتِيدَتْ ، فَوَرَدَ «لَوْ دُعِيتُ الَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ لَأَجَبْتُ» لَا لِصَوْمٍ فَيُفْطِرُ ان أَلَحَّ فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ يَعْدِلُ الصَّوْمَ ،

فى المباح ﴾ فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر فى تغييرها النية فلا يصح له أن ينوى سرور اخوانه بمساعدتهم فى شرب الخمر أو سماع المزامير ونحوها ﴿لا﴾ أى لا يتعلله ﴿ لنقصان الجاه ﴾ أى فى المدعو ﴿ ولا لفقر الداعى فهو ﴾ أى كل منهما ﴿ تكبر و كان عليه الصلاة والسلام ﴾ مع كمال عزه وجمال جاهه ﴿ يجيب دعوة العبد والفقير ﴾ وفى الاحياء « المسكين بدل الفقير» و كلاهما ليس فى أصل الحديث الذى رواه الترمذى . وابن ماجه من حديث أنس وضعفه الترمذى وصححه الحاكم ، وفى ذكر العبدغنية عنه ولقد أجاب دعوة خياط كما فى الشمائل ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الأرض وهم يأكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا : هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال: نعم ان الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال: قد أجبتكم فاجيبونى فقالوا : نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم ﴿ ولا ﴾ أى لا يتعلل ﴿ لبعد المسافة ان اعتيدت ﴾ أى الدعوة اليه والاجابة لديه ﴿ فورد ﴾ أى فى البخارى من حديث أبى هريرة ﴿ لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت ﴾ وتمامه « ولو أهدى الى ذراع لقبلت » والظاهر أن المراد كراع الشاة لكن فى المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما فى الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور اليها فى الاجابة أو اريد بذكره غاية المبالغة الا أن العراقى قال ذكر الغميم لا يعرف ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذى من حديث أنس لو اهدى الى كراع لقبلت ﴿ لا لصوم ﴾ ولا يتعلل لأجل صومه ﴿ فيفطر ﴾ ان كان نفلا ﴿ ان ألح ﴾ أى قبل الزوال ﴿ فاسرار المؤمن ﴾ أى فرحه بفطره ﴿ يعدل الصوم ﴾ مع ان الصوم

وورده تكلف لك أخوك وتقول انى صائم» والا فضيافته بالعطر. وطيب الكلام والاكتحال . والادهان ونحوها ، ويجلس حيث يجلس فهو تواضع. ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو شره . ولا يطيل انتظار المضيف : ولا يعجل قبل الاستعداد ، ويغير منكرا رأى ان قدر . والا ينكر باللسان . ويرجع و يبتدىء المضيف بالغسل قبل الاكل لانه داع ،

له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء ﴿ وورد تكلف لك أخوك ﴾ أى بطبخ الطعام ﴿ وتقول انى صائم ﴾ قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار للضيف عند الالحاح ، والحديث رواه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فاتى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : انى صائم فقال عليه السلام: «دعاكم أخوكم وتكلف لكم» الحديث وللدارقطنى نحوه من حديث جابر ﴿ والا ﴾ أى وان لم يفطر ﴿ فضيافته بالعطر ﴾ أى طيب المشام ﴿ وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوها ﴾ من أصناف الاكرام ﴿ ويجلس حيث يجلس ﴾ فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لديه تشويش عليه وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع ﴿ فهو تواضع ﴾ فقد ورد « ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس » الخرائطى فى مكارم الأخلاق . وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد، ثم يخص من بجنبه بالسلام والكلام ﴿ ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو شره ﴾ أى دال على حرص فى الاكل ﴿ ولا يطيل ﴾ أى الضيف ﴿ انتظار المضيف ﴾ اذا دعاه فان الانتظار أشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت ﴿ ولا يعجل ﴾ أى الضيف فى المجىء ﴿ قبل الاستعداد ﴾ أى استعداد المضيف للطعام وتهيئته المقام ﴿ ويغير منكرا رأى ان قدر ﴾ أى على تغييره بيده ﴿ والا ﴾ أى وان لم يقدر على تغييره باليد ﴿ ينكر باللسان ويرجع ﴾ أى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من أضعف الايمان حتى قال أحمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض فينبغى ان يخرج وكذا اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج لما تستر الكعبة ﴿ ويبتدىء المضيف بالغسل ﴾ أى بغسل الأيدى تحاميا عن تنفر السآمة ﴿ قبل الأكل لانه داع ﴾ فيكون

وَ يَتَأَخَّرُ بعده انتظارًا للداخل. وتعظيمًا للضيف، ويقدم مايكفي، فَالنقص تَرْكُ الْمُروءة . والزيادة رياء إلا أن يجيز الذهاب به . ويميز اولا نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم : ولا يرفعه الضيف إلا أن يعلم

كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال : الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ، ولا يخفى ان هذا عيب فى عرف زماننا ان كان فى المجلس فالاولى أن يغسل قبل انعقاد المجلس له أو فى آخره تواضعا ﴿ و يتأخر ﴾ أى فى غسل اليد ﴿ بعده ﴾ أى بعد فراغ الا كل ﴿ انتظارا للداخل ﴾ أى من يأكل معه ﴿ وتعظيما للضيف ﴾ أى بالتأخر لانه تواضع معه فى محله ولهذا ينبغى ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب القوم من التمام جثا على ركبتيه ومديده الى طعام بين يديه واكل قال بسم الله ساعدنى بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ٭(ويقدم مايكفى)٭ أى من الطعام ٭(فالنقص)٭ عن قدر الكفاية ٭(ترك المروءة)٭ أى مع وجود القدرة ٭(والزيادة)٭ على قدر الحاجة ٭(رياء الا ان يجيز الذهاب به)٭ أى بطيب نفسه باخذ ما فضل من الطعام أو نوى ان يتبرك بفضلتهم ، وقد احضر ابراهيم بن أدهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان : يا اباسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم: ليس فى الطعام اسراف، ولعل ذلك لانه ليس فى تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لاخير فى سرف ولا سرف فى خير فهو من قبيل المباحاة والمذموم نية المباهاة فان لم تكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع، قال ابن مسعود : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة ٭(ويميز اولا)٭ أى يفرز من الطعام ابتداء ٭(نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم)٭ أى لئلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شىء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم وتقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك خيانة فى حقهم ٭(ولا يرفعه الضيف)٭ أى ما بقى من الاطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة لما فيه نوع من المزلة٭(الا أن يعلم)٭

بِسُرُورِه • وَإِذَا بَاتَ يُرِيهِ القِبْلَةَ : وَالْمُتَوَضَّأَ وَيُكْرِمُه ، فَوَرَدَ« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه » وَهُوَ بِإِظْهَارِ الانْبِسَاطِ وَالسُّرُورِ.

أى الضيف بقرينة الحال •(بسروره)• أى بفرح المضيف اذا أخذه فرفعه حينئذ وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغى ان يوخذ شىء هنالك الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى ان يأخذ كل واحد الا مايخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء لا عن كراهة وحياء ، ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعى فى بيت الزعفرانى •(واذا بات)• أى أقام الضيف عنده فى الليل •(يريه القبلة)• أى يعلمه المضيف جهة الكعبة *(والمتوضأ)* أى محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعى،وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه،وكناية عن قضاء الحاجة فى وقته •(ويكرمه)* أى المضيف الضيف بما أمكن من أنواع الاكرام•(فورد)• اى عنه عليه السلام•(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)•أى بجميع مايجب الايمان به واكتفى بطرفى المؤمن به ﴿فليكرم ضيفه﴾ متفق عليه من حديث ابى شريح •(وهو)•أى اكرامه اولا•(باظهار الانبساط والسرور)* أى الفرح فى مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر أوقات الصحبة،قيل للاوزاعى ما كرامة الضيف؟قال : طلاقة الوجه وطيب الحديث ، وقال زيد بن أبى زياد : مادخلنا على عبد الرحمن بن أبى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو أحد المعنيين فى قوله تعالى (هل أتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه (فمالبث ان جاء بعجل حنيذ) أى مشوى وقوله (فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين) أى ذهب بسرعة أو بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمى عجلا لانه عجله كذا فى الاحياء،والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة، وقد ورد •الاناة من الله والعجلة من الشيطان• لما رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد الا ان أبا داود روى من حديث سعد بن أبى وقاص التؤدة فى كل شىء الا فى

وصب الماء على اليد . والتشييع إلى الباب . وأخذ الركاب فالكل مأثور . ويرجع فرحا وإن قصر فى حقه برضا المضيف، فهو من حسن الخلق. ولا يكون أكثر من ثلاثة أيام تحرزا عن السآمة . وورد الضيافة ثلاثة أيام وما زاد فصدقة» إلا أن يلح : ويعد فراش الضيف . ويستأذن كل صاحبه فى صوم النفل ، فهو مأثور . ويرسل الطعام لأصحاب المصائب ، فأمر عليه السلام به

عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم الا أنه رفعه» (وصب الماء)» أى ويكبه المضيف» (على اليد)» أى يد الضيف وهو أحد المعنيين فى الآية السابقة وقدوفد وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله فقال : انهم كانوا لأصحابى مكرمين وأنا أحب ان أكافأهم ﴿ والتشييع الى الباب ﴾ أى باب الدار قال عليه السلام: من السنة للضيف أن يشيع الى باب الدار ، كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه ﴿ وأخذ الركاب ﴾ أى ركاب الضيف للركوب ﴿ فالكل مأثور ﴾ والاخير مروى عن فعل ابن عباس بزيد بن ثابت ﴿ ويرجع ﴾ أى الضيف ﴿ فرحا ﴾ أى فى نفسه ﴿ وان قصر فى حقه ﴾ أى ولو قصر المضيف فى حق الضيف ﴿ برضاء المضيف ﴾ متعلق بيرجع ﴿ فهو من حسن الخلق ﴾ فى عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن أبى الحسن عن جد الحسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن ﴿ ولا يكون ﴾ أى لا يثبت الضيف ولا يقيم ﴿ أكثر من ثلاثة أيام تحرزا عن السآمة ﴾ الموجبة للملامة ﴿ وورد ﴾ فى الصحيحين من حديث أبى شريح الخزاعى ﴿ الضيافة ثلاثة أيام وما زاد فصدقة ﴾ يعنى ان شاء فعل وان شاء ترك ﴿ الا ان يلح ﴾ أى يبالغ المضيف على الضيف بالقعود عنده زيادة على الثلاثة ويعرف أنه من صميم قلبه وطيب نفسه ﴿ ويعد فراش الضيف ﴾ أى يهيئه «فان رسول الله ﷺ قال : فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان» مسلم من حديث جابر ﴿ ويستأذن كل ﴾ أى من الضيف والمضيف ﴿ صاحبه فى صوم النفل فهو مأثور ﴾ ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء أو نذر، وعن عائشة فى رواية الترمذى « من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم » ﴿ ويرسل الطعام لأصحاب المصائب ﴾ أى بموت بعض الأقارب ﴿ فأمر عليه السلام به ﴾

لآل حَمْزَةَ وَجَعْفَر إلاَّ أَنْ يَكُونَ مُنْكَراً تَحَرُّزاً عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْإِثْمِ .
وَيَجْتَنِبُ طَعَامَ السُّلْطَانِ وَيَقْبَلُ لَوْ أُكْرِهَ : وَلاَ يَقْصِدُ الْأَجْوَدَ ، وَنَحْوَ الثُّوم .
وَالْبَصَلِ : وَالْكُرَّاثِ لاَسِيَّمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِتَنَفُّرِ الْمَلاَئِكَةِ
وَالنَّاسِ عَنْ رِيحِه

أى بارسال الطعام المسمى بالعرقة فى لسان العام ﴿ لآل حمزة ﴾ أى عمه ﴿ وجعفر ﴾ أى ابن عمه وهو أخو على بن أبى طالب من أبيه وأمه فى وقت شهادتهما ﴿ الا أن يكون ﴾ أى هناك ﴿ منكرا ﴾ كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب و كشف العورة ﴿ تحرزا عن الاعانة على الاثم ﴾ ٭ أى المعصية ، وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) والحديث معروف فى جعفر دون حمزة فروى أبو داود . والترمذى . وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن « انه لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال ﷺ : ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون » ٭ (ويجتنب طعام السلطان) ٭ أى أكله فانه لا بد فيه نصيب من الشيطان ٭ (ويقبل) ٭ أى طعامه ٭ (لو اكره) ٭ على قبوله وأكله فقد ورد « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وصححه عن ابن عباس « واذا ابتلى به فليقلل من أكله » ٭ (ولا يقصد الأجود) ٭ أى الاطيب من الأطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال : كنت مكرها فقال : رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل فقال : أما آكل وأخلى التزكية أو أزكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه ، وحكى ان ذا النون المصرى حبس فلم يأكل أياما فى السجن وكانت له أخت فى الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يدى السجان فامتنع من أكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال : كان حلالا ولكنه جاءنى على طبق ظالم واشار به الى يد السجان ، وهذا غاية الورع ٭ (ونحو الثوم) ٭ أى ويجتنبه ٭ (والبصل والكراث) ٭ أى وسائر البقول التى لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة ٭ (لاسيما يوم الجمعة) ٭ لكثرة الجماعة ٭ (فهو منهى عنه لتنفر الملائكة والناس عن ريحه) ٭ ولذا يستحب التطيب فى حضوره

وَالْأَكْلُ فِي السُّوقِ فَهُوَ دَنَاءَةٌ إِلَّا بِنِيَّةِ التَّوَاضُعِ. وَهَضْمِ النَّفْسِ: وَالاحْتِمَاءُ فِي الصِّحَّةِ، فَهُوَ يَضُرُّ كَتَرْكِهِ فِي الْمَرَضِ. وَيُمْقَلُ الذُّبَابُ الْوَاقِعُ، ثُمَّ يُنْقَلُ الذُّبَابُ فَفِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرِ دَوَاءٌ، وَيَذْكُرُ الْجَائِعَ. وَحِسَابَ يَوْمِ الْقِيمَةِ.

(والأكل) أى ويجتنبه *(فى السوق)* وفى معناه محضر جماعة من المسجد وغيره *(فهو دناءة)* أى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن ابراهيم النخعى انه قال: الأكل فى السوق دناءة وفى الاحياء واسند الى رسول الله ﷺ وهو غريب لكن قال مخرجه: رواه الطبرانى من حديث أبى امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة انتهى، وتعدد طرقه مما يرتقيه الى حسنه كما لايخفى، وأما قوله فى الاحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر أنه قال «كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام» رواه الترمذى وصححه فلا يظهر وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام أن يكونا فى غير السوق، وأما قوله تعالى: (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) فانكار منهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما فمعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشى فى الأسواق لاحتياجه الى المبايعة *(الا بنية التواضع وهضم النفس)* وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناءة بأكله فى نظر الجماعة فكيف ترتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح الأئمة بقدح ذلك فى الشهادة *(والاحتماء)* أى ويجتنبه *(فى الصحة فهو يضر)* أى فى الصحة *(كتركه فى المرض)* فان وجرده فيه الدواء من كل الادواء، وقيل: من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى، ومن اللطائف انه رأى رسول الله ﷺ صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال: أتأكل التمر وأنت أرمد فقال: يارسول الله انما أمضغ بالشق الآخر - يعنى الجانب السليم - فضحك رسول الله ﷺ، ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد *(ويمقل)* بضم القاف أى يغمس *(الذباب الواقع)* فى الشراب *(ثم ينقل)* أى يخرج *(الذباب ففى أحد جناحيه داء والآخر دواء)* رواه البخارى. وابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعا «اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم ينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء» *(ويذكر الجائع)* حال أكله ووقت شبعه ويقول: اللهم لاتؤاخذنى بحق الجائعين *(وحساب يوم القيامة)* فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب

وَلَا يُوَاكِلُ الْأَشْرَارَ . وَلَا يُشَارِبُهم بَلِ الْأَتْقِيَاءَ وَالْعُلَمَاءَ . فَهُوَ يُورِثُ الْحِكْمَةَ . وَلَا يُوَاظِبُ عَلَى الْبُرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَهُوَ الْمَرْوِيُّ ، وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ فَهُوَ أَكْثَرُ طَعَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَيَخْلِطُ الْبُرَّ بِهِ فَهُوَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ . وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ الْأَوْتَارَ ، فَوَرَدَ «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ » وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى فِي طَبَقٍ وَكَفٍّ بَلْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْفَمِ فِي ظَهْرِ الْيَدِ فَيُلْقِي ، وَكَذَلِكَ نَحْوُهُ . وَيُقَدِّمُ الثِّمَارَ فَوَرَدَ (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)*

يوجب الملامة والندامة «(ولا يؤاكل الاشرار ولا يشاربهم)» بل ولا يصاحبهم ولا يقاربهم «(بل الاتقياء)» من الابرار «(والعلماء)» من الاخيار «(فهو يورث الحكمة)» أى وأنواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة «(ولا يواظب على البر)» أى أكل عيش الحنطة «(ثلاثة أيام فهو المروى)» أى فى الصحيحين عن أبى هريرة ماشبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض «(ويأكل الشعير فهو أكثر طعام الأنبياء عليهم السلام)» وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وكان خبزهم الشعير» رواه الترمذى وصححه «(ويخلط البر به)» أى بالشعير فى أكله «(فهو سبب البركة ويأكل من التمر الاوتار)» اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا «(فورد من تصبح بسبع تمرات عجوة)» هو جنس من تمر المدينة أوغيرها «(لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر)» أحمد والشيخان وأبو داود عن سعد «(ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق)» أى مشترك بينه وبين رفيقه «(وكف)» أى ولا فى كف لتقذر صاحبه «(بل يجعله)» أى النوى «(من الفم فى ظهر اليد)» أى لا فى بطن الكف وأصابعه «(فيلقى)» أى فى مكان يليق به «(وكذلك نحوه)» أى نحو التمر أو نواته من الخوخ . والعنب وكذا فضلات التين والرطب ، وفى رواية عبدان عن أبى موسى انه عليه السلام «نهى عن فتح التمر وقشر الرطب» «(ويقدم الثمار)» أى أكل الفاكهة الرطبة «(فورد)» أى فى وصف ما فى الجنة «(وفاكهة مما يتخيرون)» أى يختارون «(ولحم طير مما يشتهون)»

فَهُوَ الْمَرْوِىُّ، وَيُجَوِّعُ النَّفْسَ لِوَلِيمَةِ الْفِرْدَوْسِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْقِدُ الْحَجَرَ عَلَى الْبَطْنِ مِنَ الْجُوعِ ،

والاستدلال به من حيث الترتيب الذكرى بينهما وهو أيضا أقرب الى قواعد الطب فانها أسرع استحالة فينبغى أن يقع فى أسفل المعدة، وفيه أيضا اشارة الى تقديم ألطف الالوان من الطعام حتى يستوفى منه من يريده ولا يكثر الأكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الأطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك خلاف السنة لأنه حيلة فى استكثار الأكل والوسعة ، ثم الأفضل بعد ما تقدم الفاكهة اللحم والثريد، وقد ورد «سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى فى وصف الطيبات (وانزلنا عليكم المن والسلوى) فالمن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه فى مقام المرام ، قال أبو سليمان الدارانى اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل من جميع الجهات ، وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات، ولذا ورد فى الدعاء النبوى اجعل حبك أحب الى من الماء البارد، وقال بعضهم: اذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية، وقال آخر: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان ﴿ويأكل ما أصاب﴾ أى من الثمار فى مواسمها ﴿فهو المروى﴾ لانه سبحانه ما خلقها فى تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة فى منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها، وفى الاحياء ويأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر أو شعير اكله وان وجد حلوا أو عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله ﴿ويجوع النفس﴾ أى يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل ﴿لوليمة الفردوس﴾ وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين فى الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضا للمولى، ولله در القائل:

ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ۝ ولذة نفس غيها غير نافع

فقد ورد «اجوعكم فى الدنيا اشبعكم فى العقبى» ﴿فكان عليه السلام يعقد الحجر﴾ أى يربطه ﴿على البطن﴾ أى بطنه ﴿من الجوع﴾ اى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت

وَيَجْتَنِبُ الشُّرْبَ فِى أَثْنَاءِ الْأَكْلِ إِلَّا لِتَعَلُّقِ لُقْمَةٍ أَوْ صِدْقِ عَطَشٍ. وَلَا يُكْثِرُ فَهُوَ يُقَلِّلُ الْهَضْمَ. وَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِالْيَمِينِ. وَيَشْرَبُ فِى ثَلَاثِ أَنْفَاسٍ مُفْتَتِحًا بِالتَّسْمِيَةِ وَمُخْتَتِمًا بِالتَّحْمِيدِ فِى كُلٍّ وَهُوَ السُّنَّةُ، وَوَرَدَ «مُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَعُبُّوهُ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ»

الكلام عليه فى جمع الوسائل شرح الشمائل ﴿ويجتنب الشرب فى أثناء الاكل﴾ أى لمنع أرباب الحكمة ﴿الا لتعلق لقمة أو صدق عطش﴾ أى لكثرة حرارة فقد يقال: ان ذلك مستحب فى الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى: (كلوا واشربوا) وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكرى قد يفيد الترتيب كما حقق فى قوله تعالى: (ان الصفا والمروة) وقوله عليه السلام «ابدءوا بما بدأ الله سبحانه» ﴿ولا يكثر﴾ أى من الشرب بعده ﴿فهو يقلل الهضم﴾ لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة ونحوها ﴿ويأخذ الكوز باليمين﴾ لما ورد من أن الشيطان يشرب بشماله كما فى مسلم وغيره ﴿ويشرب فى ثلاث أنفاس﴾ لما فى الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام «كان اذا شرب تنفس ثلاثا ـ و يقول ـ هو اهنأ وامرأ وابرأ» وفى رواية الترمذى وابن ماجه عن ابن عباس «كان اذا شرب تنفس مرتين» فتحمل القضية على مرتين والأولى أكثر وأظهر وأشهر ﴿مفتتحا بالتسمية﴾ وهو القياس على الأكل، وعن ابن مسعود أنه عليه السلام «كان اذا شرب يتنفس فى الاناء ثلاثا يسمى عند كل نفس ويشكر فى آخرهن» ابن السنى. والطبرانى ويقول: «الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين ﴿ومختتما بالتحميد فى كل﴾ أى فى كل نفس ﴿وهو السنة﴾ أى كما لها والا فالسنة المعروفة هو التسمية فى أول الشرب والتحميد فى آخره ﴿وورد﴾ عن أنس برواية الديلمى مرفوعا ﴿مصوا الماء مصا﴾ أى اشربوه قليلا قليلا يشبه المص وفى رواية أبى داود عن عطاء بن أبى رباح «اذا شربتم فاشربوا مصا» ﴿ولا تعبوه عبا﴾ أى ولا تشربوه كثيرا يشبه الصب ﴿فان الكباد﴾ بالضم وهو وجع الكبد ﴿من العب﴾ أى من هذا النوع فى الشرب، وفى رواية البيهقى عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام

مِنْ آنِيَةِ الْخَزَفِ . وَمِنَ الْخَشَبِ ، ثُمَّ بِيَدِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرْعِ وَغَيْرِهِ لَا قَائِمًا وَلَا مُضْطَجِعًا · وَيَنْظُرُ فِيهِ قَبْلَ الشُّرْبِ . وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيهِ · وَيَحْفَظُ أَسْفَلَهُ عَنِ التَّرَشُّحِ عَلَيْهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَتَبَرَّكُ بِسُؤْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَرَدَ « سُؤْرُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءٌ » وَلَا يَرُدُّ الْمَاءَ . وَلَا يَعْرِضُ · وَيُدَارُ الْكُوزُ · وَالطَّسْتُ

«نهى عن العب نفسا واحدا وقال: ذلك شرب الشيطان» ﴿من آنية الخزف﴾ متعلق يشرب أي من الكوز الفخار ﴿ومن الخشب﴾ وهو القدح وهو الأنسب والى مشرب العرب أقرب ﴿ثم بيده﴾ أي ثم الأفضل أن يشرب بيده ﴿فهو أفضل من الكرع﴾ أي من الشرب بفمه ﴿وغيره﴾ أي وغيره اذ كر كما يشرب من آنية النحاس والصفر وأما من آنية الفضة . والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء ﴿لا قائما﴾ كما في حديث مسلم عن أنس وغيره وروى عنه «أنه شرب قائما» كما في الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر أو بيان جواز أو اختصاص بماء زمزم ﴿ولا مضطجعا﴾ لأنه خلاف السنة والحكمة الا لضرورة ﴿وينظر فيه﴾ أي في الماء والكوز ﴿قبل الشرب﴾ أي قبل أن يشرب منه حتى اذا كان فيه أذى دفعه عنه ﴿ولا يتنفس فيه﴾ أي في داخل الاناء بل يتنفس خارجه في الاثناء كما سبق به الايماء، وورد في الشمائل وغيره ﴿ويحفظ أسفله﴾ أي أسفل الكوز ﴿عن الترشح عليه﴾ أي على بدنه وثوبه وغيره مما يكون مكروها لديه ﴿فالكل مأثور ويتبرك﴾ أي يطلب البركة ﴿بسؤر المسلمين فورد «سؤر المؤمن شفاء»﴾ هكذا اشتهر على الالسنة ويستأنس له بقوله عليه السلام «من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه» رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عباس، وقال القاضي عياض في شرح حديث أم زرع ويروى: عن جرير بن عبدالله أنه قال لبنيه: اذا شربتم فاسأروا أي اتركوا في الاناء سؤرا وهو بقية الشراب، وفي حديث آخر فانه أجمل ويروى عن النبي ﷺ «أنه قال: لا خير في طعام ولا شراب ليس له سؤر» وفي الحلية عن ابن عمر أنه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر ـ أي السقايات ـ فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين، ونظيره ماوقع له عليه السلام عند زمزم والله أعلم ﴿ولا يرد الماء﴾ أي ماء زمزم أو مطلقا تعظيما للنعمة ﴿ولا يعرض﴾ أي الماء على غيره تكثيرا للمنة ﴿ويدار الكوز﴾ وكذا القدح والملعقة في الأكل والشرب ﴿والطست﴾

بِالْأَيْمَن . وَ يَخْتَارُ الثَّوبَ الْأَبْيَضَ . فهو أَحَبُّ الْأَلْوَانِ اليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . وكَانَ يَلْبَسُ الْأَخْضَرَ وَالصُّوفَ. وَيَنْوِي فيه سَتْرَ الْعَوْرَةِ . وَالتَّزَيُّنَ لِتَوَدُّدِ الْمُسْلِمِينَ . وَ يَبْدَأُ بِالْأَيْمَنِ فِي لُبْسِ كُلِّ شَيْءٍ . وَبِالْأَيْسَرِ فِي النَّزْعِ. وَ يَفْتَتِحُ بِالتَّسْمِيَةِ وَيَخْتِمُ بِالتَّحْمِيدِ.

فى وقت غسل اليد ﴿ بالأيمن ﴾ فقد شرب عليه السلام لبنا وأبو بكر عن شماله . وأعرابى عن يمينه . وعمر ناحيته فقال عمر: أعط أبا بكر فناول الاعرابى وقال الأيمن فالأيمن مالك . وأحمد والجماعة عن أنس ﴿ ويختار الثوب الأبيض ﴾ أى للبسه لاسيما يوم الجمعة وأما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة أكثر والزينة أظهر ﴿ فهو ﴾ أى البياض ﴿ أحب الالوان اليه ﷺ ﴾ كما فى شمائل الترمذى وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا « البسوا البياض فانها أطهر وأطيب و كفنوا فيها موتاكم » وعن ابن عباس رفعه « عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياؤكم و كفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » ﴿ و كان يلبس ﴾ الثوب ﴿ الأخضر ﴾ اى احيانا كما فى الشمائل والمراد به البحت لأنه من ثياب اهل الجنة او البرد الذى فيه خطوط خضر ، واما ما ورد « انه لبس الاحمر » فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس « كان احب الثياب الى رسول الله ﷺ يلبسه الحبرة » وهو بوزن العنبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر او خضر او زرق ﴿ والصوف ﴾ اى فى بعض الاحيان باى لون كان من الالوان ﴿ و ينوى فيه ﴾ اى فى اللبس ﴿ ستر العورة ﴾ اى بالازار ﴿ والتزين لتودد المسلمين ﴾ اى يلبس الرداء ونحوه من العمامة . والقباء . والعباء : وقد قال تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ﴿ ويبدأ بالايمن فى لبس كل شىء ﴾ من نحو القميص والخف والنعل وغيرها ﴿ وبالايسر فى النزع ﴾ أى نزع كل شىء كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام « يحب التيامن ما استطاع فى طهوره وتنعله وترجله وفى شأنه كله » رواه أحمد والجماعة عن عائشة ، وفى الترمذى عن أبى هريرة « كان اذا لبس قميصا بدأ بميامنه » ﴿ ويفتتح ﴾ اللبس ﴿ بالتسمية ويختتم ﴾ اللبس ﴿ بالتحميد ﴾ كما هو معروف من شمائله عليه السلام فى الشمائل عن ابى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ « اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اى بعد التسمية والبسملة

وَيَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ قَاعِداً كَيْلَا تُصِيبهُ آفَةٌ . وَلَا يُسْبِلُهُ إِلَى مَا تَحْتَ الْكَعْبِ ، فَفِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّارِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ : وَيَبْدَأُ بِلُبْسِ الْقَمِيصِ : وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ ، فَوَرَدَ « مَنْ رَقَّ ثَوْبُهُ رَقَّ دِينُهُ » وَلَا يَنْزِعُ حَتَّى يُرَقِّعَهُ فَهُوَ السُّنَّةُ »

اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ماصنع له واعوذبك من شره وشر ماصنع له، وفي رواية أبي داود وغيره « من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وما تاخر » ﴿ ويلبس السراويل قاعدا ﴾ اى كالخف ﴿ كيلا تصيبه آفة ﴾ أى من جهة وقوعه على جانب أو دابة ﴿ ولا يسبله ﴾ أى لا يسدل ثوبه من القميص والسروال والازار ونحوها ﴿ الى ماتحت الكعب ففيه ﴾ أى في اسباله اليه ﴿ الوعيد بالنار ﴾ فقد ورد الاسبال في الازار والقميص والعمامة « من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » أبو داود . والنسائي . وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع ﴿ الى نصف الساق ﴾ فهو أفضل بالاتفاق، وفي رواية أحمد عن أنس « الازار الى نصف الساق أو الى الكعبين لاخير في أسفل من ذلك » وفي رواية ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب مرسلا « كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورائه » وفي رواية الترمذي في الشمائل ويقول: « انه اتقى وأنقى وأبقى » ﴿ ويبدأ بلبس القميص ﴾ قبل كل شيء لأنه استر حيث يقوم مقام الازار والرداء فعن أم سلمة « كان أحب الثياب الى رسول الله ﷺ القميص » رواه الترمذي في الشمائل ، وفيه ايضا ان كمه عليه السلام كان الى الرسغ ﴿ ويلبس الخشن ﴾ أى الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة أى فعلا وقولا ، وفي رواية الترمذي والحاكم عن معاذ بن أنس « من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء يلبسها » ﴿ فورد ﴾ اى عن بعض السلف ﴿ من رق ثوبه ﴾ اى لطف ﴿ رق دينه ﴾ اى ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير اليه حديث من أحب آخرته أضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة رواه احمد . وابو داود . وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا، وفي رواية البيهقي عن أبي هريرة وزيد بن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سدادفيما بين ذلك واقتصاد ﴿ ولا ينزع ﴾ أى ثوبه ﴿ حتى يرقعه فهو السنة ﴾ لانه

وَيَكْسُو الْمَنْزُوعَ فَقِيرًا لِيَكُونَ فِى حِرْزِهِ تَعَالَى. وَلَا يَتَّخِذُ ثَوْبَيْنِ. وَيَتَصَدَّقُ بِأَحَدِهِمَا إِنِ اجْتَمَعَا. وَيَتَعَمَّمُ فَالْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ. وَفِيهِ الْوَقَارُ: وَيُرْسِلُ الذَّيْلَ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ إِلَى قَدْرِ الشِّبْرِ أَوْ مَوْضِعِ الْقُعُودِ أَوْ نِصْفِ الظَّهْرِ وَهُوَ وَسَطٌ مَرْضِيٌّ وَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ وَيَسْتَجِدُّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَهَا. وَيَلْبَسُ مَا أَصَابَ.

عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول «من رغب عن سنتي فليس مني» رواه ابن عساكر عن أبي أيوب ﴿ويكسو المنزوع فقيرا ليكون فى حرزه تعالى﴾ فى رواية احمد عن عمر «من استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى اخلق فتصدق به كان فى ذمة الله وفى جوار الله وفى كنف الله حيا وميتا» ﴿ولا يتخذ ثوبين﴾ أى من جنس واحد كازارين ورداءين وقميصين زهدا في الدنيا ﴿ويتصدق باحدهما ان اجتمعا﴾ ميلا الى ثواب العقبى، واما حديث صاحب القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا أصل له ﴿ويتعمم فالعمائم تيجان العرب﴾ أى انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمائم فيهم ﴿وفيه﴾ اى فى لبس العمائم ﴿الوقار﴾ اى ظهور العظمة منهم، ففى مسند الفردوس للديلمى عن ابن عباس العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا اعزهم وفى رواية الماوردى عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا ﴿ويرسل الذيل﴾ اى ذيل العمامة المسمى بالعذبة ﴿بين الكتفين﴾ وجوز فى أحد الشقين مما يلى الاذنين ﴿الى قدر الشبر أو موضع القعود او نصف الظهر وهو وسط مرضى﴾ اى عند المصنف والا فالاول اشهر واكثر واظهر ﴿والكل مروى﴾ وقد جمعته فى رسالة مستقلة ﴿ويستجد﴾ اى يلبس الجديد ﴿ليلة الجمعة او يومها﴾ وهو المعروف من حديث أنس «كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة» رواه ابن حبان ﴿ويلبس ما أصاب﴾ اى وجده من جديد أو غيره من غير تعلق بنوع منه أو تقيد بصنف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر مالم يكن من احد الشهرتين فقد ورد «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» متفق عليه، وفى رواية لاحمد عن جويرية «ألبسه الله يوم القيمة ثوبا من نار» وفى رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا «الحمرة من زينة الشيطان» وفي رواية ابن

وينفض الخف قبل اللبس. ويقعد فى لبسه. ونزعه. ويحتفى أحيانا تواضعا. فهو مأثور ويلبس النعل الأصفر، فهو يوجب السرور ويتطيب ولا يرد الطيب فهو المروى والأحب للرجل ما خفى لونه. وظهر ريحه وللمرأة ما ينعكس.

ماجه عن ابى ذر «من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه» وفى رواية أبى داود. وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر «من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار» ونهى عليه السلام «عن لبستين المشهورة فى حسنها والمشهورة فى قبحها» الطبرانى عن ابن عمر ﴿وينفض الخف قبل اللبس﴾ اى مخافة ان يكون فيه مايؤذيه من دابة أو غيرها ﴿و يقعد فى لبسه ونزعه﴾ خوفا من وقوعه ﴿ويحتفى احيانا تواضعا﴾ اى لله سبحانه لقوله تعالى: (والله جعل لكم الارض بساطا) وقوله تعالى: (الم نجعل الارض مهادا) ﴿فهو﴾ الاحتفاء ﴿مأثور﴾ اى عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الحافى، ومن كراماته ان الدواب فى سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على مماته ﴿ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور﴾ كأنه أخذ من قوله تعالى: (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن على، ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ «لم يزل فى سرور مادام لابسها» بدل قل همه ﴿ويتطيب﴾ اى ويستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود ﴿ولا يرد الطيب﴾ كذا رواه احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن أنس، وفى صحيح مسلم وأبى داود وغيرهم «من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة» والترمذى عن ابن عمر مرفوعا «ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب» (فهو) «أى كل من التطيب وعدم رد الطيب» (المروى) «اى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا اقبل يعنى سواء تطيب او لم يتطيب كما قرر فى محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته فى الطيب كما يدل عليه حديث «حبب الى من دنياكم الطيب والنساء» الحديث ﴿والاحب﴾ من الطيب ﴿للرجل ما خفى لونه وظهر ريحه﴾ كماء الورد والمسك ﴿وللمرأة ما ينعكس﴾ اى ماظهر لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل: وهذا اذا ارادا الخروج والا فلا حرج عليهما فى داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة والطبرانى والضياء عن أنس مرفوعا بلفظ «طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب

وَيَجْتَنِبُ الْحِنَّاءَ فهو تشبه بالنساء لأنه سنتهن وَالنَّمْصَ . وَالانْتِمَاصَ فهو منهى عنهما . وَلَا يَبْنِي أَكْثَرَ من سبعة أذرع، فورد فيه «نُودِيَ الى أين يا فاسق » ويَنْوِي فيه التَّعَبُّدَ وَدَفْعَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَلَا يُبَالِغُ فيه

النساء ماظهر لونه وخفى ريحه، ﴿ ويجتنب الحناء ﴾ اى الخضاب به فى يده ورجله ﴿ فهو تشبه بالنساء لانه سنتهن ﴾ اى عادتهن او لانه سنة فى حقهن فقد ورد « كان يكره أن يرى المرأة ليس فى يدها اثر حناء او خضاب » البيهقى عن عائشة، وفى رواية احمد . وابى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » ﴿ والنمص ﴾ وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير ﴿ والانتماص ﴾ قلعه من وجه نفسه أو طلبه من غيره ، وفى النهاية النامصة التى تنتف الشعر من الجبين والمتنمصة التى تأمر من يفعل بها ذلك ﴿ فهو ﴾ أى ماذكر من الفعلين ﴿ منهى عنهما ﴾ فورد « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » أحمد والستة عن ابن مسعود ﴿ ولا يبنى أكثر من سبعة أذرع ﴾ فى الارتفاع لأنه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة، وفى الخبر « من بنى بناء فوق مايكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله على عاتقه من سبع أرضين » رواه البيهقى فى الشعب : وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد ﴿ فورد فيه ﴾ أى فى حق مخالفيه ﴿ نودى الى أين يا فاسق ﴾ وفى رواية يا أفسق الفاسقين لأن بناء القصر والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذى الاوتاد ، وفى رواية أبى داود عن أنس مرفوعا « من بنى فوق عشرة أذرع نادى مناد من السماء يا عدو الله الى ان تريد » وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت بيدى الى السقف ﴿ وينوى فيه ﴾ أى فى بنائه ﴿ التعبد ﴾ أى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره ﴿ ودفع الحر والبرد ﴾ ففى الخبر « ثلاث لايحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته » أحمد فى الزهد . والبيهقى عن الحسن مرسلا ﴿ ولا يبالغ فيه ﴾ أى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالآجر فرعون وهامان، وقد قال تعالى : (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) أى محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون فى هذه الأمة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى به قول فرعون

فَلَمْ يَضَعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ» وَيَبْدَأُ بِيَوْمِ الْأَحَدِ. وَيَتَّخِذُ مَوْضِعًا لِلْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَمَوْضِعًا لِلْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، وَمَوْضِعًا لِلضِّيَافَةِ، فَوَرَدَ «أَنَّهُ زَكَاةُ الْبَيْتِ» وَلَا يَتَوَطَّنُ فِي دَارِ الْحَرْبِ، فَوَرَدَ «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمُشْرِكِينَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا»

فأوقدلى ياهامان على الطين أراد به الآجر وورد «لدوا للموت وابنوا للخراب» البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة والزبير مرفوعا وأبو نعيم فى الحلية عن أبى ذر موقوفا. وأحمد فى الزهد عن عبدالواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره ﴿ فلم يضع عليه السلام لبنة ﴾ بكسر لام فسكون موحدة ﴿ على لبنة ولا قصبة على قصبة ﴾ أى وانما بنى الحجرات من الحجارة ولكن فى السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات ﴿ ويبدأ بيوم الأحد ﴾ لأنه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والأرض كما حقق فى تفسير قوله تعالى (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ﴿ ويتخذ موضعا للوضوء والغسل ﴾ أى على حدة ﴿ وموضعا للبول والغائط ﴾ أى منفردا وكان مقتضى الترتيب أن يعكس الموضعين لأن القصد بهما قضاء الحاجة وأداء النظافة ﴿ وموضعا للضيافة فورد أنه ﴾ أى بناء موضع الضيافة ﴿ زكاة البيت ﴾ أى صدقته أى زكاته ونماؤه. وبهاؤه. وضياؤه، وقد سبق لاخير فيمن لايضيف وصح فراش للضيف ﴿ ولايتوطن ﴾ أى لايتخذ وطنا ﴿ فى دار الحرب ﴾ أى بلاد الكفر ﴿ فورد أنا برىء من كل مسلم مقيم بين ظهرانى المشركين ﴾ أى فى دار الكافرين بفتح النون ولا يجوز كسرها وأصله بينهم ثم أدخل الظهر مقحما أو اشعارا بأنه مظاهرهم ثم زيدت ألف ونون فى لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما فى الربانى واللحيانى الا أنه أريد هنا به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكفوف من جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين أظهرهم ثم كثر حتى استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا ﴿ تراءى ناراهما ﴾ أى يتراءى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه تنبيه على عذر من سكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من أبعدهما الى اسعدها فقد قال تعالى : (الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الآية

وَيُنَظِّفُ . وَلَا يَكْسُو . وَلَا يُزَخْرِفُ . وَيَقْرَأُ عِنْدَ الدُّخُولِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْإِخْلَاصَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْغِنَى . وَيَغْلِقُ الْبَابَ لَيْلًا مُسَمِّيًا مُيَامِنًا . وَيُرْخِي السِّتْرَ . وَيُطْفِىءُ النَّارَ .

والحديث رواه أبو داود . والترمذى من حديث جرير «انا برىء من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا : يارسول الله ولم؟ قال لا تراءى ناراهما» والمعنى لا ينبغى أن يتقارب نارهما بل ينبغى أن تتباعد داراهما، وأما قوله عليه السلام «لا هجرة بعد الفتح» فمعناه لا هجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام ﴿ وينظف ﴾ أى البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات ﴿ ولا يكسو ﴾ أى جدران البيت بالستارات ﴿ ولا يزخرف ﴾ أى بانواع الزينات فانها من الأمور الفانية الشاغلة عن الأحوال الباقية وقد نهى عليه السلام «أن تستر الجدر» رواه البيهقى عن على بن حسين مرسلا وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) وقد ورد «لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء» الترمذى وغيره عن سهل ابن سعد ﴿ ويقرأ عند الدخول آية الكرسى ﴾ لأنها آية الحفظ ﴿ والاخلاص فانه ﴾ أى فقراءتهما وقراءة كل منهما ﴿ يورث الغنى ﴾ أى عن السوى لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة أنسب فان فيها رائحة الابتداء والحمد والشكر والثناء فاتحة ﴿ ويغلق الباب ليلا ﴾ أى بعد المغرب أو العشاء ﴿ مسميا ﴾ لأن الشيطان لا يفتح بابا أغلق عليه ويسمى لديه ﴿ ميامنا ﴾ أى مبتدأ برد المصراع الأول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير الفلق ﴿ ويرخى الستر ﴾ أى فيما لم يكن له باب يغلق ﴿ ويطفىء النار ﴾ فنى الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا «اذا كان جنح الليل - بكسر الجيم أى أوله - فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم» وفى رواية الطبرانى . والحاكم «اذا نمتم فاطفئوا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت» الحديث ، وفى

وَيَتَوَضَّأُ لِلنَّوْمِ لِتَكُونَ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَيَسْتَاكُ وَبَعْدَ الطَّهُورِ وَالسِّوَاكِ وَيَنْوِي الْقِيَامَ فَلِكُلِّ امْرِيءٍ مَانَوَى ، وَيَسْتَاكُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ فَكَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَيَضَعُ وَصِيَّتَهُ مَكْتُوبَةً تَحْتَ الرَّأْسِ تَحَامِياً عَن هُجُومِ الْمَوْتِ دُونَهَا، وَيَتُوبُ عَن الذُّنُوبِ ، وَيَنْوِي الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَغْفِرَ لَهُ وَلَا يَبْسُطُ الْفِرَاشَ النَّعِيمَ قَطْعًا لِغَلَبَةِ النَّوْمِ وَالْأُنْسِ بِالتَّرَفُّهِ ،

الصحيحين عن ابن عمر «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» ﴿ويتوضأ﴾ أي يتطهر ﴿للنوم﴾ ففي الخبر «اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة» رواه الستة عن البراء ﴿لتكون رؤياه صادقة﴾ وذلك لما ورد «من بات على طهارة بات معه ملك» ﴿ويستاك﴾ أي عند النوم لأنه من كمال الطهارة والنظافة ولأن النوم أخو الموت ويسن للمحتضر أن يستاك كما فعله عليه السلام ﴿ويعد الطهور﴾ بفتح الطاء أي يهيء مايتطهر به ﴿والسواك﴾ أي عند رأسه ﴿وينوى القيام﴾ أي للتهجد في وقته ﴿فلكل امرىء مانوى﴾ ونية المؤمن خير من عمله ﴿ويستاك كلما استيقظ فكانوا﴾ أي بعض السلف ﴿يفعلونه ويضع وصيته﴾ أي بماله وعليه ﴿مكتوبة تحت الرأس﴾ اي قريبا منه ﴿تحاميا عن هجوم الموت﴾ أي مجيئه بغتة ﴿دونها﴾ اى من غير وصية وقد ورد «ماحق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده» رواه الشيخان عن ابن عمر ، وروى «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى» ، وروى «ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في العقبى» ﴿ويتوب عن الذنوب﴾ فلعله يكون آخر حياته فيصير صالحا عند مماته ﴿وينوى الخير للمسلمين﴾ أي ينوى ليستريحوا عن ايذائه ولينفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد «نوم العالم عبادة» ﴿ليغفر له﴾ أي بسبب النية أو التوبة ﴿ولا يبسط الفراش النعيم﴾ أي اللين الناعم ﴿قطعا لغلبة النوم والانس بالترفه﴾ أي بالتنعم الزائد ، ففي الشمائل سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: من ادم حشوه ليف ، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحا بكسر الميم اى فراشا خشنا من صوف نثنيه فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته اربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال مافرشتموني الليلة؟ قلنا هو فراشك

وَلَا يُواظِبُ عَلَيْه فهو الْمَروِى، وينفضه قبلَ الاتيان ويستقبل الْقِبلة ووجهه وَأَخْمَاصه اليها أَوْ يَكُونُ كالملحود ، ويقرأُ آيَةَ الْكرسى وآيتين من آخر الْبَقرة (وشهد الله) الَى (الْاسْلام) . (والهكم اله واحد) الى (يعقلون)

الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو أوطأ لك قال: ردوه لحاله الاولى فانه منعتنى وطأته عن صلاتى الليلة» ﴿ولا يواظب عليه﴾ أى لايداوم النوم على مطلق الفراش بل ينبغى ان ينام تارة على الحصير كما ورد فى السنة وتارة على الارض كما ثبت عن أبى تراب ﴿ فهو المروى﴾ اى عن النبي . والولى ﴿ وينفضه﴾ اى فراشه ﴿قبل الاتيان﴾ اى قبل قعوده لئلا يلقى مايؤذيه فى حال رقوده ففى صحيح مسلم «فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه» وفى اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للمبالغة فى الاحتراس عن المؤذيات ﴿ويستقبل القبلة ووجهه واخماصه﴾ وفى نسخة «وأخمصاه» اى بطن قدميه ﴿اليها﴾ فيكون على هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولايضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم ، واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا ففى سنن ابن ماجه انه عليه السلام «مر برجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال: قم واقعد فانه نومة جهنمية» ولكن المعروف فى كتب الحديث ماذكره بقوله ﴿اويكون كالملحود﴾ وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما فى مسلم وغيره ويقول «بسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» رواه الستة ﴿ويقرأ آية الكرسى﴾ لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو فى صحيح البخارى، ورواه الطبرانى عن ابن مسعود «من قرأ عشر آيات اربع من البقرة وآية الكرسى واثنين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح» ﴿وآيتين من آخر البقرة﴾ فروى الاربعة عن أبى مسعود الانصارى مرفوعا «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه» أى من قيام الليل او من كل مكروه، وقال النووى: فى الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن أبى داود باسناده عن على رضى الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث الاواخر من البقرة، فالابتداء من قوله (لله مافى السموات ومافى الارض) و(شهد الله الى (الاسلام) اى (شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) ه (والهكم اله واحد الى يعقلون) اى

و (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوات) اْلآيَةَ . و (قُلِ ادْعُو الله) اْلآيَة
وعَشْراً منْ أَوَّلِ الْكَهْفِ وعشراً منْ آخرِها ·

(لااله الاهو الرحمن الرحيم) ﴿ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ﴿وان ربكم الله الذى خلق السموات﴾ الآية تمامه (والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين) ﴿وقل ادعوا الله الآية﴾ تمامه (اوادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) ﴿ وعشرا من أول الكهف ﴾ وهى بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) ﴿وعشرا من آخرها﴾ وهى (افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحي الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل

وَالْمعوذتين يقرأهما فينفث على اليدين و يمسح الوجه والبدن ففي الكل فضائل . و يذكر الموت والنشور، وينام على حبه تعالى وذكره . وهكذا كلما يستيقظ وينام فهو علامة حبه تعالى وخير العاقبة ولا ينام وحده

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) ﴿والمعوذتين﴾ بكسر الواو وتفتح ﴿يقرأهما﴾ اى اولا كما في رواية ﴿فينفث على اليدين﴾ بضم الفاء وتكسر اى ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى، وفي رواية البخاري والاربعة عن ابى هريرة « يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل أعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس » ﴿ويمسح الوجه والبدن﴾ وفي رواية الصحيح « ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » ﴿ففي الكل فضائل ويذكر الموت﴾ لان النوم اخوه ﴿والنشور﴾ لانه قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام « اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور » وفى الطبرانى وليقرأ (قل ياايها الكافرون) ثم لينم على خاتمتها وفي رواية احمد وغيره « اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرأ (قل ياايها الكافرون) ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » وفي رواية البزار عن انس « اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت » وفى رواية احمد عن شداد ابن اوس « ما من رجل يأوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب » ﴿وينام على حبه تعالى﴾ أى فى قلبه من غير مشاركة لربه ﴿وذكره﴾ أى بلسانه مقرونا بجنانه ﴿وهكذا﴾ أى فى جميع شأنه ﴿كلما يستيقظ وينام﴾ أى فى زمانه ﴿فهو علامة حبه تعالى﴾ يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع أنهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة ﴿وخير العاقبة﴾ أى وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت فى الحالة السالمة ﴿ولا ينام وحده﴾ أى منفردا عن أهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه أو المعنى لا ينام وحده فى بيت لم يكن فيه غيره ففى مسند احمد عن ابن عمر أنه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده»

إِلَّا لِتَقَوِّى الْحُضُورِ فِى الْقِيَامِ وَلَا عَلَى سَطْحٍ غَيْرِ مَحُوطٍ وَلَا فِيمَا لَا بَابَ لَهُ وَلَا بَعْدَ الصُّبْحِ فَالْأَرْضُ تَشْتَكِى مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اذا أَطَالَ الْقِيَامَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً قَبْلَ الصُّبْحِ . وَفِيهِ تَجَدُّدُ الشَّوْقِ إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ . وَذَهَابُ أَثَرِ الْقِيَامِ عَنِ الْوَجْهِ • وَيَقِيلُ فَهِيَ سُنَّةٌ مُعِينَةٌ عَلَى الْقِيَامِ كَالسَّحُورِ لِلصِّيَامِ

﴿ الا لتقوى الحضور فى القيام ﴾ لان الحضور الكامل انما هو فى الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكائنا بائنا فعن ثوبان لا تسكن الكفور فان ساكن الكفور كساكن القبور البخارى فى تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق بالكلية ﴿ ولا على سطح غير محوط ﴾ اى بسترة لما ورد فيه من النهى وورد « من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة » رواه ابو داود بسند حسن ، وفى رواية الترمذى عن جابر « نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه » ﴿ ولا فيما لا باب له ﴾ اى ولا ستارة فانها تقوم مقام الباب فى هذا الباب عند بعض اولى الباب ﴿ ولا بعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى ﴾ حيث انه صرف وقته الشريف فى غير العبادة وضيعه فى النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقى وغيره « الصبحة تمنع الرزق » اى المعنوى وكذا الحسى لانه عليه السلام « قال بورك لامتى فى بكورها » ﴿ ولا بعد العصر ﴾ لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا) وفى رواية ابى يعلى عن عائشة « من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه » ﴿ وكان عليه السلام اذا أطال القيام ﴾ اى بالصلاة بعد المنام ﴿ ينام نومة خفيفة قبل الصبح ﴾ او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح ﴿ وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرائض وذهاب اثر القيام ﴾ اى من الصفرة ﴿ عن الوجه ﴾ واثر الكسل عن جميع البدن ﴿ ويقيل ﴾ بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة ﴿ فهى سنة ﴾ اى مستحبة لفعله عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال « قيلوا فان الشيطان لا يقيل » ابو نعيم عن أنس ﴿ معينة على القيام كالسحور على الصيام ﴾ وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام فى وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام : « استعينوا

مُتَضَمِّنَةٌ لِلسَّلَامَةِ . وَلْيَكُنِ النَّوْمُ ثُلُثَ اللَّيْلَةِ . وَالْيَوْمِ . وَلَايَقُصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ نَاصِحٍ ، وَلَا بِكُلِّ مَا يَرَى فَإِنْ رَأَى مَكْرُوهاً يَبْزُقُ عَنْ يَسَارِهِ . وَيَتَعَوَّذُ

بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل» رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس ﴿متضمنة للسلامة﴾ اى من ضعف الدماغ وما هو مورث للملالة وموجب للسآمة أو للسلامة من مخالطة اهل الملاقة والتحدث معهم فى البطالة، فعن الثورى كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة، ولذا قيل النوم خير من النميمة ﴿وليكن النوم﴾ اى ليقع مجموعه ﴿ثلث الليلة واليوم﴾ اى والباقى وهو ثلثاهما مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة، وينبغى ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلاة على وجه الكمال ﴿ولا يقص الرؤيا﴾ اى لايحدثها اذا رأى مايحبها ﴿الا على عالم﴾ اى بتعبير الرؤيا ﴿ناصح﴾ اى للرائى بان يكون محباله ومشفقا عليه فان الرؤيا لاتستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم، وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد تقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين فأكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما انزلها فقد ورد «أن امرأة اتت النبى ﷺ وقالت : رأيت كأن صائر بيتى اى عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر فاخبرته فقال : يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل قصصتها على احد؟ قالت: نعم قال: هو كما قال» هذا وما في المتن رواية الترمذى عن أبى هريرة، وفى الصحيحين «واذا رأى فى منامه مايحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولا يحدث بها الا من يحب» وفى رواية الحاكم عن أنس «ان الرؤيا تقع على ماتعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدكم رؤيا فلا يحدث بها الا ناصحا اوعالما» ﴿ولا بكل مايرى﴾ ولا يحدث بجميع ما رأى اى بل بما يحبه من الرؤيا لما سبق ﴿فان رأى مكروها﴾ أى ما يكرهه كما فى الرواية ﴿يبزق عن يساره﴾ أى يبصق ثلاثا كما رواه الستة ﴿ويتعوذ﴾ اى بالله من الشيطان ومن شرها اى شر الرؤيا التى يكرهها ثلاثا كما رواه الستة ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لاتضره كما فى الصحيحين

وَيَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ وَيَقُومُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْءٍ وَيَرُدُّ الْمُعَبِّرَ إِلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلٍ . وَلَا يَقْتَنِي كَلْبًا فَالْمَلَائِكَةُ تَنْفِرُ عَنْهُ إِلَّا لِمَاشِيَةٍ . أَوْ صَيْدٍ . أَوْ زَرْعٍ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فَهُوَ دَاءٌ . وَيَسْتَدْبِرُهَا فَهُوَ دَوَاءٌ ، وَيَخْرُجُ مُسَمِّيًا مُتَعَوِّذًا قَارِئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ .

وغيرهما ﴿ويتحول عن جنبه﴾ الذي كان عليه ﴿ويقوم ويصلي﴾ كما رواه مسلم فيصلي ﴿ركعتين﴾ فانها اقل مما يطلق عليه الصلاة للنهي عن البتيراء خلافا للشافعي في نحو تجويزه الركعة المنفردة ﴿ويتصدق بشيء﴾ لان الصدقة تدفع البلاء ﴿ويرد المعبر الى احسن تأويل﴾ لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين أو أكثر كما تقدم ولا يبعد أن يكون المعنى يعبر المعبر أحسن تعبير من أنواع العبارة فقد حكى أنه كان لسلطان معبران وظيفة احدهما ألف وللآخر نصفه مع انهما متساويان في الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الآخر؟ لأن الحكيم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال: رأيت اسناني وقعت قدامي فحكيت لهما فقال صاحب الالف : ابشر فان عمرك اطول من أعمار اقاربك وقال الآخر : يموت جميع أقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند ذويهما ﴿ولا يقتني كلبا﴾ اى لا يحفظه ولا يمسكه عنده ﴿فالملائكة﴾ أي النازلة للرحمة ﴿تنفر عنه﴾ أي دون الحفظة لكنهم يتأذون أيضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه ﴿الا الماشية﴾ من غنم وابل وبقر ونحوها ﴿أو صيد﴾ اذا كان معلما ﴿أو زرع﴾ لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخبر «من اقتنى كلبا الا كلب ماشية اوضاريا أي كلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان» رواه الشيخان عن ابن عمر، والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه ﴿ولا يستقبل الشمس﴾ أي في قعوده وقت الشتاء ﴿فهو داء، ويستدبرها فهو دواء﴾ أي للاستدفاء ونهى عليه السلام «ان يقعد الرجل بين الظل والشمس» الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجه عن بريرة ﴿ويخرج﴾ أي من داره ﴿مسميا متعوذا﴾ فيقول «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني اعوذبك من ان ازل اوازل اواضل أواضل اواجهل اويجهل علي» رواه ابن ماجه وغيره ﴿قارئا آية الكرسي﴾ أي للحفظ

وَيُسْرِعُ فِى الْمَشْىِ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَا يَمْشِى بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ ، وَيَتْرُكُ الطَّرِيقَ لِلنِّسَاءِ . وَيُمِيطُ الْأَذَى ، فَفِيهِ أَجْرٌ جَزِيلٌ . وَلَا يَخْتَالُ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا) « مَنْ تَعَظَّمَ فِى نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِى مِشْيِهِ لَقِىَ اللّٰهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » وَيَأْخُذُ الْعَصَا فِى الْكِبَرِ فَهُوَ سُنَّةٌ .

عن شياطين الانس والجن ﴿ ويسرع فى المشى الى البيت ﴾ أى حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى أن يموت ﴿ ولا يمشى بين المرأتين ﴾ فانه ابعد من العصيان ، وقيل يورث النسيان ففى ابى داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه السلام « نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين » وروى البيهقى عنه مرفوعا واذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنة أويسرة ، وهذا معنى قوله ﴿ ويترك الطريق للنساء ﴾ أى اللاتى ليس لهن شئ من الحياء والا فالاليق بهن أن يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال ﴿ ويميط الاذى ﴾ أى ويزيل ما فيه الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق ﴿ ففيه اجر جزيل ﴾ وثناء جميل لاهل التوفيق فورد « الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق » رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة ، وعن معقل بن يسار مرفوعا « من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة » رواه البخارى فى تاريخه ﴿ ولا يختال ﴾ أى يتبختر ماشيا ﴿ فورد ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ تمامه (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وفى آية اخرى (واقصد فى مشيك) اى توسط ، وفى اخرى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين لينين متواضعين متخاشعين ﴿ من تعظم فى نفسه ﴾ أى تكبر ﴿ واختال فى مشيه ﴾ أى تبختر ﴿ لقى الله وهو عليه غضبان ﴾ رواه احمد وغيره عن ابن عمر ، وكأنه مقتبس من قوله سبحانه (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ﴿ ويأخذ العصا فى الكبر ﴾ وابتداؤه من الار بعين ﴿ فهو سنة ﴾ أى للانبياء كما بينت فى رسالة الانبياء ، وقد قال الحسن فى العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون

وَيُبْعِدُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ عَنِ الْأَعْيُنِ فِي الصَّحْرَاءِ . وَلَا يَكْشِفُ الْعَوْرَةَ قَبْلَ الانْتِهَاءِ الَى مَوْضِعِهِ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ النَّيِّرَيْنِ . وَلَا الْقِبْلَةَ . وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا يَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ . وَلَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ .

الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين، ويقال اذا كان المؤمن معه العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيا ، وفيها منافع كثيرة كما قال موسى (ولى فيها مآرب اخرى) كذا فى البستان ، واما ما اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا أصل له (ويبعد) بضم اوله ﴿فى قضاء الحاجة﴾ الانسانية من البول والغائط ﴿عن الاعين﴾ أى أعين الناظرين ان وجدوا ﴿فى الصحراء﴾ كما ورد به السنة وان يستتر بشيء ان وجده من شجر أو حجر ولو استتر براحلته أو ذيله جاز كما فى بعض الروايات، واما فى البنيان فالغالب عليه أن يكون مستترا مكان الخلاء ﴿ولا يكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه﴾ أى محل جلوس القضاء فى الخلاء والفضاء اذ ليس من الأدب كشفها قبل الحاجة اليه ﴿ولا يستقبل النيرين﴾ أى الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يجرونهما او لانهما آيتان عظيمتان وهو لا ينافى قوله عليه السلام «شرقوا أو غربوا» كما لا يخفى على الاعلام ﴿ولا﴾ يستقبل ﴿القبلة ولا يستدبرها﴾ فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون فى الصحراء أو فى البناء ، وفى رواية احمد وغيره انه عليه السلام «نهى أن يستقبل القبلتين ببول أو غائط» وفى الصحيحين «اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا» وهذا أمر لأهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو فى جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته فى جهة الشرق أو الغرب فلا يجوز له أن يشرق ولا يغرب وانما يجتنب أو يشتمل كذا فى النهاية ﴿ولا يبول فى الماء الراكد﴾ أى الواقف سواء كان ماؤه قليلا أو كثيرا، وكذا لا ينبغي أن يبول فى الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجارى فى الحرمين حينئذ، ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر «أنه عليه السلام نهى أن يبال فى الماء الراكد» وفى رواية الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه «أنه نهى أن يبال فى الماء الجارى» وفى الاحياء قال ابن المبارك: ان كان الماء جاريا فلا بأس به، وقد يقال : اذا كان الراكد عشرا فى عشر فلا بأس به والأولى لعموم النهى على مالا يخفى ﴿ولا تحت الشجرة المثمرة﴾ فروى ابن عدي عن ابن

ولا فى الْجُحْر . ولا مَوْضِعٍ صُلْبٍ . ولا مَهابِّ الرِّيحِ . ولا الْمُغْتَسَلِ ويَتَّكِئُ على الرِّجْلِ الْيُسْرَى . ويُقَدِّمُهَا دَاخلاً . ويُؤَخِّرُهَا خَارِجاً . ولا يَبُولُ قَائِماً، ولا يَسْتَصْحِبُ شَيْئاً عليهِ اسْمُهُ تعالى او اسْمُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ . ولا يَدْخُلُ حَاسِرَ الرَّأْسِ.

عمر أنه عليه السلام «نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة» ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار أى حافته وهو بكسر أوله وفتحه ، وكذا لا ينبغى أن يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين، ولذا ورد النهى أن يبال فى قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود فى مراسيله ﴿ ولا فى الجحر ﴾ بضم الجيم وسكون المهملة أى ثقب الجدار أو الأرض مخافة أذى الدابة ،فروى أبو داود والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن سرجس أنه عليه السلام «نهى أن يبال فى الجحر» وقد قالوا لقتادة: ما يكره من البول فى الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن ﴿ ولا ﴾ فى ﴿ موضع صلب ولا مهاب الريح ﴾ أى فى حال الريح استنزاها من رشاشه ، فروى أبو داود. والبيهقى عن أبى موسى اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله مكانا لينا أى ليطلبه وروى أبو يعلى بسنده مرفوعا «اذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجى بيمينه ﴿ ولا المغتسل ﴾ أى ولا يبول فى مغتسله لأنه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ، ولورود النهى فى السنة ﴿ ويتكىء على الرجل اليسرى ﴾ أى فى جلوسه ﴿ ويقدمها داخلا ﴾ فى الخلاء ﴿ ويؤخرها خارجا ﴾ عنه اذا كان فى بنيان مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه ﴿ ولا يبول قائما ﴾ فعن عائشة «من حدثكم أنه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه» الترمذى وغيره وقال عمر: «رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما» ابن ماجه باسناد ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر ، وفيه رخصة اذ روى حذيفة «أنه عليه السلام بال قائما» وهو اما لعذر أو لبيان الجواز و كذا لا يبول فى المغتسل فانه عليه السلام قال: «عامة الوسواس منه» أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى ﴿ ولا يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى أو اسمه عليه السلام ﴾ والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام ﴿ ولا يدخل ﴾ أى بيت الخلاء ﴿ حاسر الرأس ﴾ أى كاشفه قيل فيغطيه بمئزر حياء من الله تعالى وملائكته

وَيَتَعَوَّذُ قَبْلَ الدُّخُولِ. وَيَحْمَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ. وَيَعُدُّ النَّبْلَ قَبْلَ الْجُلُوسِ. وَلَا يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ. وَيُزِيلُ وَسَخَ الشَّعْرِ وَدُودَهُ بِالْادِّهَانِ وَالتَّسْرِيحِ، فَوَرَدَ « ادَّهِنُوا غِبًّا مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيُكْرِمْهَا »

فكان أبو بكر يفعله لذلك ﴿ ويتعوذ قبل الدخول ﴾ فيقول بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث ﴿ ويحمد بعد الخروج ﴾ فيقول «غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى مايؤذينى وابقى على ماينفعنى» رواهما النسائى وغيره ﴿ و يعد النبل ﴾ بضم النون وفتحها أى يهيء الحجر أو المدر للاستنجاء ﴿ قبل الجلوس ﴾ فهو سنة والايثار مستحب وقيل واجب ﴿ ولا يستنجي بالماء فى موضعه ﴾ أى محل الغائط والبول الا اذا كان محفورا بحيث لا يصل اليه أثرهما ﴿ فالكل مأثور ﴾ وينبغى أن يستبرىء بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب ثم يستنجي فاذا وجد من بلل فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه بالوسواس، وفى الخبر «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله» اعنى رش الماء كذا فى الاحياء وقال مخرجه : حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح رواه ابو داود : والنسائى وابن ماجه وكان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه ، وقد قدمنا كيفية الاستنجاء فى ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب ﴿ ويزيل وسخ الشعر ﴾ اى شعر لحيته ورأسه ﴿ ودوده ﴾ اى من القمل ونحوه ﴿ بالادهان ﴾ بتشديد الدال أى استعمال الدهن للطيب وغيره او بالادهان جمع دهن ﴿ والتسريح ﴾ فى شمائل الترمذى من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وعند أبى داود والترمذى من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام «نهى عن الترجل الاغبا» ﴿ فورد ادهنوا ﴾ بتشديد الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء ﴿ غبا ﴾ أى يوما بعد يوم اووقتا دون وقت، ومنه حديث « زرغبا تزدد حبا » اخرجه جماعة وقيل الغب فى الادهان ان يكون فى كل اسبوع مرة والحديث ذكره فى الاحياء، وقال ابن الصلاح لم اجد له اصلا، وقال النووى : غير معروف ذكره العراقى ﴿ من كان له شعرة فليكرمها ﴾ كذا فى النسخ تبعا للاحياء ولا معنى للوحدة على مالا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية ابى داود عن ابى هريرة «وقد دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن بها شعره ثم قال يدخل احدكم على كأنه شيطان»

وَمَا فِي الْأَنْفِ وَالْأُذُنِ لِئَلَّا يُصَمّ · وَتَحْتَ الْأَظْفَارِ . وَيَدْخُلُ الْحَمَّامَ فَهُمْ دَخَلُوهُ وَيَصُونُ عَوْرَتَهُ عَنْ نَظَرِ

أبوداود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط فى سفر ولا حضر ، وقد بسطت الكلام عليه فى رسالة سميتها بالتصريح فى التسريح ﴿ وما فى الانف ﴾ أى ما يجتمع من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار ﴿ والاذن ﴾ أى وما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح مايزيل مايظهر منه وما يجتمع فى قعر صماخى اذنيه فينبغى ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام ﴿ لئلا يصم ﴾ فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع ، وأما ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال والمضمضة والاستياك وقد ورد «مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا» البزار والبيهقى من حديث العباس ، والقلح محركة صفرة الاسنان ﴿ وتحت الاظفار ﴾ ففى الطبرانى عن وابصة بن معبد سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال «دع ما يريبك الى مالا يريبك» وقد امر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر «نقوا براجمكم» ولمسلم من حديث عائشة «عشر من الفطرة» وفيه غسل البراجم ، ولاحمد من حديث ابن عباس «انه قيل يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لا يبطئ عنى وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم» فالاول معاطف ظهور الانامل والثانى رؤس الانامل ، وقيل الأف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن ، وقوله تعالى (ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما) أى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتأذ بهما كما يتأذى بما تحت الظفر من الوسخ ؛ واما الدرن الذى يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزال بالحمام أو بالاستحمام ﴿ ويدخل الحمام ﴾ أى ويجوز دخوله ﴿ فهم ﴾ أى السلف من الصحابة والتابعين ﴿ دخلوه ﴾ أى دخلوا حمامات الشام ، فعن ابن عباس «اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر» الطبرانى والبيهقى والحاكم وقال بعضهم «نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار» روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى وقال بعضهم «بئس البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء» فهذا بيان آفته وما سبق اظهار فائدته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله ﴿ ويصون عورته ﴾ وهى ما بين سرته وركبته ﴿ عن نظر

الْغَيْرِ وَنَظَرِهِ عَنْ عَوْرَةِ الْغَيْرِ. وَلَا يَكْشِفُهَا. وَيَنْوِي التَّنْظِيفَ لِلصَّلَاةِ. وَيُعْطِي الْأُجْرَةَ قَبْلَهُ إِسْرَارًا لِلْحَمَّامِي. وَإِعْلَامًا بِالْعِوَضِ، وَيَتَعَوَّذُ وَلَا يُسَلِّمُ وَيَدْعُو بِالْمُعَافَاةِ لِمَنْ سَلَّمَ. وَلَا بَأْسَ بِالْبُدَاءَةِ بِهِ وَلَا بِالْمُصَافَحَةِ. وَلَا يُكْثِرُ التَّكَلُّمَ. وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِلَّا فِي النَّفْسِ،

الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها﴾ أي ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه فى خلوة من خلواته، ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا أقبح فى الأمرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة، ثم من الواجب أن ينهى عن كشف العورة لأن النهى عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب أو شتم وأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيده ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار ويفتح الأمر الا لأهل الجهل وعديم العقل وفاقد الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الأيام أو تخليته عن الأنام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لاسيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة لاختلاف العلماء فى كونها عورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحريم لها، وروى ابن عمر فى الحمام ووجهه فى الحائط وقد عصب عينه بعصابة ﴿وينوى﴾ بدخول الحمام ﴿التنظيف للصلاة﴾ لا لعاجل الدنيا من اللذات ﴿ويعطى الأجرة قبله﴾ أى قبل دخوله ﴿اسرارا للحمامى﴾ بعدم انتظاره وتطييبا لنفسه ﴿واعلاما بالعوض﴾ لرفع الجهالة من أحد العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد « اذا استأجر أحد كم أجيرا فليعلمه أجره » الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود ﴿ويتعوذ﴾ أى يقول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخوله ﴿ولا يسلم﴾ اى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره ﴿ويدعو بالمعافاة﴾ اى يقول عافاك الله ﴿لمن سلم﴾ أى عليه ولم يجب عنه غيره ﴿ولا بأس بالبداءة به﴾ أى يقول عافاك الله ونحوه ﴿ولا بالمصافحة﴾ أى بان يصافح الداخل أحد أصحابه ﴿ولا يكثر التكلم﴾ بل لا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام فى الحمام ﴿ولا يقرأ القرآن الا فى النفس﴾ أى

وَلَا بَأْسَ بِإِظْهَارِ التَّعَوُّذِ . وَيَجْتَنِبُهُ وَقْتَ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَهُوَ وَقْتُ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ . وَعَلَى الرِّيقِ فَهُوَ يُورِثُ الْمَوْتَ . وَلَا يُسْرِفُ فِي الْمَاءِ . وَلَا بَأْسَ بِالدَّلْكِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ . وَيَذْكُرُ ظُلْمَةَ اللَّحْدِ . وَحَرَارَةَ جَهَنَّمَ . وَيَحْمَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ فَالْمَاءُ الْحَارُّ فِي الشِّتَاءِ مِنْ نَعِيمٍ يُسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَدْخُلُهُ الْمَرْأَةُ، فَوَرَدَ «لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُدْخِلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ » وَيَحْلِقُ الرَّأْسَ إِنْ أَرَادَ التَّنْظِيفَ

سرا ﴿ولا بأس باظهار التعوذ﴾ أى من الشيطان الرجيم ومن الحميم فى دار الجحيم ﴿ ويجتنبه ﴾ أى دخول الحمام ﴿ وقت الغروب ﴾ أى قريب المغرب ﴿ وبين العشاءين فهو وقت انتشار الشياطين﴾ خصوصا فى الحمام ونحوه ﴿وعلى الريق فهو يورث الموت﴾ أى سريعا فعن الشافعى عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج منه كيف لايموت انتهى، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق أولا ﴿ولا يسرف فى الماء﴾ أى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فانه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لوعلمه الحمامى لم يرض به لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة ﴿ولا بأس بالدلك﴾ أى من غيره ﴿ فهو مروى﴾ أى عن بعض الصحابة «ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبدأ سود يغمز ظهره فقلت : ماهذا يارسول الله؟ فقال ان الناقة تقحمت بى» رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمر بسند ضعيف ﴿ويذكر ظلمة اللحد﴾ فى مكان ظلمته ﴿وحرارة جهنم﴾ عند حرارته ﴿ويحمد بعد الخروج فالماء الحار فى الشتاء من نعيم يسأل عنه﴾ يوم القيامة كالماء البارد فى الصيف، وقال ابن عمر : الحمام من النعيم الذى احدثوه ﴿ ولا تدخله المرأة ﴾ أى النساء ﴿ فورد لايحل للرجل أن يدخل حليلته﴾ أى زوجته أو امته ﴿الحمام﴾ روى الترمذى وحسنه والنسائى والحاكم وصححه من حديث جابر «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام» وللحاكم من حديث عائشة «الحمام حرام على نساء أمتى» وقال صحيح اسناده، ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر «فلا يدخلها الرجال الا بالازر وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء» ﴿ويحلق الرأس﴾ أى شعره ﴿ان أراد التنظيف﴾ أى

وَالاحْتِيَاطُ فِى الْغُسْلِ وَلَا يُرْسِلُ بِحَيْثُ يُشْبِهُ بِالشَّرِيفِ وَ يَقُصُّ الشَّارِبَ ،

فَوَرَدَ « قُصُّوا الشَّوَارِبَ » وَلَا بَأْسَ بِإِبْقَاءِ السِّبَالِ ،

زيادته ﴿ والاحتياط فى الغسل ﴾ كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم «يقول تحت كل شعرة جنابة» ولذا قال ومن ثم عاديت رأسي فان بقاء الشعر على الرأس أنفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر أصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من أحد النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع أنه قال عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا أى قطعا فهو دأب أهل الشطارة ومنهى عنه للصغار والكبار، ولا عبرة بقول من يقول : ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخباع وتسويل للشيطان فى مقام الخداع ﴿ ولا يرسل ﴾ أى شعر الذوائب ﴿ بحيث يشبه بالشريف ﴾ فانه نوع من التلبيس والتزييف ﴿ ويقص الشارب ﴾ أى فى كل جمعة ﴿ فورد قصوا الشوارب ﴾ وهذا لفظ احمد من حديث أبى هريرة ، ولمسلم من حديث أبي هريرة «جزوا» أى اقطعوا ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » فالاحفاء يشعر بالاستقصاء ومنه قوله تعالى: (فيحفكم تبخلوا) أى يستقصي عليكم ، وفى رواية «حفوا» أى اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وأما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة، ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه ايماء الى أن مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير «مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاه» وأما قوله عليه السلام «اعفوا اللحى» أى كثروها ولا تقصوها، وفى الخبر « أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم» وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة ﴿ ولا بأس بابقاء السبال ﴾ أى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ماروا‌ه احمد من حديث ابى امامة قلنا يارسول الله « ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب» وفى صحيح ابن

وَلَا يُؤَخِّرُ حَلْقَ الْعَانَةِ وَنَتْفَ الْإِبْطِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَهُوَ الْمَأْثُورُ. وَيُزِيلُ الْعَانَةَ بِالطِّلَاءِ إِنِ اعْتَادَ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ. وَالتَّحَامِي عَنِ الْإِيلَامِ. وَيَبْتَدِىءُ بِتَقْدِيمِ مُسَبِّحَةِ الْيُمْنَى. أَوْ خِنْصَرِ الْيُسْرَى. وَخِنْصَرِ الرِّجْلَيْنِ: وَلَا مُسَبِّحَةَ فِيهِمَا وَيَخْتِمُ بِالْإِبْهَامِ فِي الْكُلِّ فَهُوَ الْمَرْوِيُّ.

حبان من حديث ابن عمر فى المجوس «أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم» اللهم ألا أن يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهى جمع العثنون بمعنى اللحية وورد «احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذى فى الاناف» ابن عدى والبيهقى عن عمرو بن شعيب، والقص يقوم مقام النتف فى الاتف ﴿ ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط ﴾ وتقليم الظفر ﴿ اكثر من اربعين يوما فهو المأثور ﴾ أى المذكور فى صحيح مسلم من حديث أنس أنه عليه السلام «وقت لنا فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما» وورد «قص الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة» الديلمى عن على، ويحلق الابط ان لم يقدر على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ فى خلاله والمقصود النظافة فى جميع حاله ﴿ ويزيل العانة ﴾ أى شعرها ﴿ بالطلاء ﴾ أى النورة ﴿ ان اعتاد لحصول المقصود ﴾ وهو فقد الأذى الموجود «(والتحامى عن الايلام)» أى مع تحصيل المرام «(ويبتدىء بتقديم مسبحة اليمنى أو خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما)» أى فى الرجلين ﴿ ويختم بالابهام فى الكل ﴾ أى فى جميع اليدين والرجلين ﴿ فهو المروى ﴾ قال العراقى: لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت: لاوجه للتشنيع عليه حيث قال: ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام، أنه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام، ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من الالهام لما بسط عليه الكلام هذا وفى حديث جابر «قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر» الخطيب فى الجامع بسند ضعيف لكن روى أحمد ومسلم والاربعة عن عائشة «عشر من الفطرة» أى سنة الانبياء التى أمرنا أن نقتدى بهم فيها «قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الابط

وَيَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ فَهُوَ مَرْوِيٌّ ، وَرُوِيَ ثِنْتَانِ فِي الْيُسْرَى كَمَا وَرَدَ ، وَوَرَدَ « عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ مِمَّا يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ » وَلَا يُكْثِرُ التَّزَيُّنَ . وَالْاِكْتِحَالَ وَالْاِدِّهَانَ . وَيَقْطَعُ اللِّحْيَةَ الطَّوِيلَةَ فَالْمُفْرِطُ يُرَى سَمِجًا . وَيَفْتَحُ بَابَ الْغِيبَةِ . وَيُبْقِي قَدْرَ الْقَبْضَةِ فَهُوَ الْوَسَطُ

وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء به» قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة، وذكر عمار بن ياسر الاختتان فى العاشرة ﴿ويكتحل بالاثمد﴾ أى فى كل ليلة ﴿ثلاثا﴾ أى ثلاث مرات متوالية ﴿فى كل عين﴾ ويبتدىء باليمنى ﴿فهو مروى﴾ أى فى الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذى ﴿وروى﴾ أى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف الطبرانى ﴿ثنتان فى اليسرى﴾ أى وثلاث فى اليمنى فالايتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما فى الاول فتأمل فانه الأولى قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها فى رواية لتعظيمها فهى أحق به «وان الله تعالى وتر يحب الوتر» ﴿كما ورد وورد عليكم بالاثمد﴾ وهو حجر يكتحل به أى الزموه ولا تتركوه ﴿عند مضجعكم﴾ أى مرقدكم بالليل ﴿فانه مما يزيد فى البصر﴾ أى فى قوته ﴿وينبت الشعر﴾ أى شعر الاجفان فى طرف العين والحديث رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس بلفظ «عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر» وفى رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر «عليكم بالاثمد عند النوم» الحديث، وفى رواية الطبرانى وغيره عن على «عليكم بالاثمد فانها منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر» ، وفى رواية احمد «اكتحلوا بالاثمد المروح» أى المطيب بالمسك ﴿ولا يكثر التزين﴾ بالتسريح ونحوه ﴿والاكتحال والادهان﴾ فانه دأب المترفين ، وقد نهى عليه السلام عن الترجل الا غبا ﴿ويقطع اللحية الطويلة﴾ أى زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب ﴿فالمفرط﴾ منها فى الطول أو العرض ﴿يرى﴾ بصيغة المجهول أى يظهر ﴿سمجا﴾ بفتح فكسر الجيم أى قبيحا فانه يشوه الخلقة ﴿ويفتح باب الغيبة﴾ اى فى الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية ﴿ويبقى قدر القبضة﴾ فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين ﴿فهو الوسط﴾ أى المتوسط المعتدل المحمود فى كل شيء قال النخعى

الْمَسْنُونُ ، وَقِيلَ يَبْقَى بِحَالِهِ ، فَوَرَدَ « اعْفُوا اللِّحَى » وَلَا يَجُوزُ تَصْفِيرُهَا وَتَحْمِيرُهَا لَا خْفَاءِ الشَّيْبِ الَّا فِي الْغَزْوِ ، فَوَرَدَ « هُمَا خِضَابُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ » وَيُكْرَهُ تَسْوِيدُهَا ، فَوَرَدَ « هُوَ خِضَابُ أَهْلِ النَّارِ »

عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لايأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ماطالت اللحية الا وقد نقص العقل *(المسنون)* فانه عليه السلام «كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا» كما رواه الترمذى عن ابن عمرو *(وقيل تبقى بحالها فورد اعفوا اللحى)* أى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا: تركها عافية أحب للحديث المتقدم *(ولا يجوز تصفيرها وتحميرها)* بالحناء وغيرها *(لاخفاء الشيب)* أى يتوهم ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور *(الا فى الغزو)* فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث «الحرب خدعة» *(فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين)* لافرق بين المسلم والمؤمن فى عرف الشرع وانما هو التفنن فى العبارة كما وقع اليه الاشارة فى قوله تعالى: ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وأما فى أصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى (قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) ويقويه حديث جبريل «ان الاسلام هو ان تشهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة» الخ «والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله الخ» ولما كان الانقياد الظاهر لاينفع بدون الانقياد الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن بدون الانقياد الظاهر كما فى أبى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين فى استحكام الاعتقادين ، وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل واحد من الحمرة والصفرة خضاب أهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ماذكره فى الاحياء من قوله عليه السلام «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين» بناء على الفرق بينهما لغة ، أو اشعارا بان نعت الايمان أكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر *ثم هما جائزان تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم ﴿ويكره تسويدها فورد هو خضاب أهل النار﴾ كذا فى الاحياء قال وفى لفظ «خضاب

وَتَبْيِيضُهَا بِالْكِبْرِيتِ إِظْهَارًا لِلْكِبَرِ تَرَفُّعًا وَنَتْفُهَا عَبَثًا وَتَشَبُّهًا بِالْمُرْدِ فَهُوَ مُنْكَرٌ وَتَزْيِينُهَا لِلنَّاسِ بِالتَّدْوِيرِ وَالتَّسْرِيحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْعَارِضَيْنِ بِإِرْسَالِ الصُّدْغِ الْمُتَجَاوِزَةِ عَنْ عَظْمِهَا ، وَلَا يَأْكُلُ الْجُنُبُ وَلَا يَنَامُ دُونَ الْوُضُوءِ .

الكفار» قال مخرجه رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل وأول من خضب بالسواد فرعون ذي الاوتاد وورد «من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة الطبراني عن أبي الدرداء ﴿ وتبييضها بالكبريت ﴾ أي ويكره أيضا ﴿ اظهار الكبر ﴾ أي لكبر السن ﴿ ترفعا ﴾ على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شأنه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الأيام تقطعه فضلا بين الأنام ولم يعرف أن الفضل بقلة الآثام وأمثال ذلك من الأغراض الفاسدة والأعراض الكاسدة كما بينتها في التصريح بشرح التسريح ﴿ ونتفها عبثا ﴾ أي بلا منفعة ﴿ وتشبها بالمرد فهو منكر ﴾ أي بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء في جميع الأحوال أو استنكافا من الشيبة فقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال « هو نور المؤمن » رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﴿ وتزيينها للناس بالتدوير ﴾ وهو تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير ».(والتسريح)» أي بالتكثير وقد قال بشر: في اللحية شركان تسريحها للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد «(والزيادة)» أي وبزيادة الشعر ﴿ في العارضين ﴾ أي الخدين «(بارسال الصدغ)» بضم فسكون ما بين العين والأذن والشعر المتدلي عليه وهو من شعر الرأس ﴿ المتجاوزة عن عظمها ﴾ أي عظم اللحى المنتهية الى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام ﴿ ولا يأكل الجنب ﴾ أي لا ينبغي أن يأكل وهو جنب فاذا أراد أن يأكل فيغسل فمه أولا وكذا اذا اراد أن يشرب ﴿ ولا ينام ﴾ أي الجنب ﴿ دون الوضوء ﴾ أي أوما يقوم مقامه من التيمم فعن عمر « قلت للنبي ﷺ أينام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ » متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام « ينام وهو جنب ولا يمس ماء » كما رواه أحمد وغيره عن عائشة ، وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الأمة

وَلَا يَنقُصُ مِنَ الْبَدَنِ شَعرًا وَلَا ظُفْرًا وَلَا دَمًا ، فَأَجزَاءُ الْبَدَنِ تُعَادُ فِى الآخِرَةِ · وَالْمَزَالُ جُنُبًا يَكُونُ كَذَلِكَ ، وَيَكْنُسُ الْمَسْجِدَ وَيُنَوِّرُهُ وَيَفرِشُهُ فَفِيهَا فَضَائِلُ ، وَلَا يُزَخرِفُهُ وَلَا يَنقُشُهُ وَلَا يُصَوِّرُهُ فَهُوَ مِنَ الْبِدَعِ · وَيَتَعَهَّدُ النَّعلَ . وَيَمسَحُ مَا بِهِ مِن أَذًى · وَيُقَدِّمُ الرِّجْلَ الْيُمْنَى دَاخِلًا فِيهِ

﴿ ولا ينقص من البدن ﴾ أى لا يقطع الجنب ﴿ شعرا ولا ظفرا ولا دما ﴾ مادام جنبا ﴿ فاجزاء البدن ﴾ أى جميعها ﴿ تعاد فى الآخرة ﴾ أى كما كانت فى الدنيا قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وقال عز وعلا (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أى حفاة عراة غرلا ﴿ والمزال جنبا يكون كذلك ﴾ وهو نقصان فى المرتبة هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين مالا يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حياض وأنهار في باب الجنة قبل الدخول عليها ، وقد ورد انه عليه السلام « كان يأمر بدفن الشعر والاظفار » الطبرانى عن وائل بن حجر ، وفى رواية الحكيم عن عائشة « كان يأمر بدفن سبعة أشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة » ﴿ ويكنس المسجد ﴾ أى ينظفه من القمامة فانه أفضل أنواع الاماطة وقد قال تعالى : (وطهر بيتى) وورد « ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا فى الجنة ، واخراج القمامة منها مهور الحور العين » رواه الطبرانى وغيره ﴿ وينوره ﴾ بالسرج ونحوها فقد قال أنس بن مالك : « من أسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه » رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف ، والحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال ﴿ ويفرشه ﴾ بالحصر وأمثالها ﴿ ففيها ﴾ أى فى الثلاثة ﴿ فضائل ﴾ فانها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله) ﴿ ولا يزخرفه ﴾ أى لا يبالغ فى زينته ﴿ ولا ينقشه ﴾ بحيث يشغل المصلى فى احدى هيئته ﴿ ولا يصوره ﴾ أى جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته ﴿ فهو ﴾ أى مجموع ما ذكر ﴿ من البدع ﴾ أى المستبشعة ﴿ ويتعهد النعل ﴾ أى يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه ﴿ ويمسح ما به من أذى ﴾ على اطرافه ﴿ ويقدم الرجل اليمنى داخلا فيه ﴾ ويقول « بسم الله أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبى ﷺ ويقول

وَالْيُسْرَى خَارِجًا مِنْهُ ، وَيَجْهَرُ بِالدُّعَاءِ عَلَى مَنْ يَتَّجِرُ فِيهِ أَوْ يَنْشُدُ ضَالَّةً وَيُنَظِّفُهُ عَنِ النُّخَامَةِ وَالْبُزَاقِ، وَلَا يَتَّخِذُهُ بَيْتًا وَلَا مَعْبَرًا فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ . وَإِنْ غَلَبَهُ النُّعَاسُ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ . وَيَضْرِبُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ جَانِبَ رَأْسِهِ الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجُلُوسِ فَهُوَ عِبَادَةٌ .

«اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» رواه أبو داود وغيره ﴿واليسرى خارجا منه﴾ ويتعوذ ويقول «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» رواه الترمذي وغيره، ولا يجلس حتى يصلي ركعتين كما في الصحيحين وتحية المسجد الحرام هي الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر عملا بقوله عليه السلام: «اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» ﴿ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه أو ينشد ضالة﴾ أي يطلبها برفع صوت فورد «اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك» رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا ﴿وينظفه﴾ أي جدرانه عن النخامة أي ماء الأنف ﴿والبزاق﴾ أي ماء الفم ففي الخبر «البزاق في المسجد سيئة ودفنه حسنة» أحمد والطبراني، وفي الصحيحين «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» ﴿ولا يتخذه بيتا﴾ أي مسكنا الا اذا كان غريبا ولم يجد مكانا قريبا ﴿ولا معبرا﴾ أي طريقا وممرا الا لضرورة داعية اليه أو حاجة باعثة عليه فينبغي أن ينوي الاعتكاف ولو ساعة لديه ﴿فالكل مروي﴾ ففي الطبراني عن ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر أو صلاة ﴿وان غلبه النعاس فيه يتحول عن موضعه﴾ ليطير أثر نومه، وفي الخبر «اذا نعس احدكم وهو في المسجد فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره» أبو داود والترمذي عن ابن عمر ﴿ويضرب بأطراف أصابعه جانب رأسه الأيمن ثلاثا ثم يجلس﴾ في موضع آخره ﴿ويستقبل القبلة في الجلوس فهو عبادة﴾ أي في حد ذاته فضلا عن أن يكون في حدود المسجد وجهاته وقد ورد «أكرم المجالس ما استقبل به القبلة» أخرجه أبو يعلى وابن عدي والطبراني في الأوسط واورده الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان: انه خبر موضوع وقد كانت أحواله عليه السلام في مواعظ الناس أن يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت: وفيه أنه لمصلحة سماع الناس

وَفيه قُوَّةُ الْبَصرِ ، وَيجلسُ موضعاً أَقْربَ إِلَى التَّواضعِ لَا بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْس فَهُوَ مَقْعدُ الشَّيطَانِ • وَلَا يُفرِّقُ بيْنَ اثْنَيْنِ وَلَا يُقيمُ أَحَداً • وَإِنْ قَامَ لَا يَجْلسُ ثَمَّةَ • وَيَجْلسُ حَيْثُ أَصَابَ وَخَلْفَ الصَّفِّ إِنْ لَمْ يَجِدْ مَكَاناً فيهِ وَلَا يَعُودُ

ولم يعكس ايثارا للكثير فهو أيضا دليل على مدعانا ﴿وفيه﴾ أى فى الاستقبال ﴿قوة البصر﴾ لأن وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى النظر ﴿ويجلس موضعا أقرب الى التواضع﴾ أى وأبعد عن أهل الترفع ﴿لا بين الظل والشمس فهو مقعد الشيطان﴾ أى يحبه ويعجبه أن يقع من الانسان ، وفى مستدرك الحاكم عن أبى هريرة . وابن ماجه عن بريدة أنه عليه السلام «نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس» وفى رواية أحمد «نهى أن يجلس بين الضح والظل وقال مجلس الشيطان» ﴿ولا يفرق﴾ بالجلوس ﴿بين اثنين﴾ أى مخصوصين كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام «نهى أن يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما» رواه البيهقى عن ابن عمر ﴿ولا يقيم أحدا﴾ عن موضع جلوسه فيجلس هو فيه ، ففى البخارى عن ابن عمر أنه عليه السلام «نهى أن يقام الرجل من مقعده ويجلس فيه آخر» ﴿وان قام﴾ أحد بنفسه حياء منه أو تأدبا معه ﴿لا يجلس ثمة﴾ اما تواضعا أو عملا بظاهر النهى ﴿ويجلس حيث أصاب﴾ أى صادف محلا فارغا فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كما فى الشمائل ، وروى البغوى والبيهقى والطبرانى عن شيبة بن عثمان مرفوعا «اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه» * (وخلف الصف) * أى ويجلس * (ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود) * كأنه أخذ من حديث صحابى اقتدى به عليه السلام قبل أن يصل الى الصف فقال له عليه السلام : زادك الله حرصا ولا تعد فروى من العود أى لا ترجع الى مثل ذلك الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف الذى يسعك فصل ، وروى من الاعادة أى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء أن يكون مقام الامام والمقتدى بقعة واحدة وقال الامام أحمد ببطلان صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام ، وأما ما رواه الطبرانى عن وابصة «أيها المصلى وحده ألا وصلت الى الصف فدخلت معهم أو جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك أعد صلاتك فانه لا صلاة لك» فمحمول على نفى الكمال عند الجمهور وعلى نفى الصحة عند الامام احمد

وَلَا يَتَجَاوَزُ مَنْ سَبَقَ وَيُحَيِّي مَنْ يَقْرُبُهُ وَلَا يَمُدُّ الرِّجْلَ وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنْصِبَ السَّاقَيْنِ . وَيَجْعَلَ الْيَدَيْنِ عَلَيْهِمَا وَيُلَازِمُ الْوَقَارَ . وَالتَّوَاضُعَ . وَيَجْتَنِبُ الْجُلُوسَ عَلَى الْقَدَمَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَإِكْثَارَ النَّظَرِ إِلَى الْكَاهِلِ . وَالْعَقِبِ . وَالْاِلْتِفَاتَ إِلَى الْجَوَانِبِ . وَاللَّعِبَ مَعَ اللِّحْيَةِ . وَالْأَصَابِعِ . وَتَخْلِيلَ الْأَسْنَانِ . وَإِدْخَالَ الْإِصْبَعِ فِي الْأَنْفِ وَإِخْرَاجَ الْبُزَاقِ وَالنُّخَامَةِ

وفى بعض الحواشى أى ولا يعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده ﴿ولا يتجاوز من سبق﴾ أى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو أن يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له أن يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه ﴿ويحيي﴾ أى ويخص بالسلام والتحية ﴿من يقربه﴾ أى فى ذلك المقام، وفى نسخة بقربه بصيغة المصدر ﴿ولا يمد الرجل﴾ أى قدام صاحبه فانه ترك الأدب ﴿وكان أكثر جلوسه عليه السلام أن ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما﴾ ويسمى هيئة الاحتباء وكان عليه السلام يتربع أحيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى ﴿ويلازم﴾ أى فى قعوده ﴿الوقار﴾ اى السكينة والرزانة ﴿والتواضع أى مع أهل المسكنة ﴿ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين﴾ فهى هيئة الاقعاء وتسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلاة، فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة أنه عليه السلام نهى عن الاقعاء فى الصلاة، وفى النهاية هو أن يلصق الرجل أليته بالأرض و ينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الأرض ﴿واكثار النظر﴾ أى يجتنب تكثير نظره ﴿الى الكاهل﴾ بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين ﴿والعقب﴾ أى الى ورائه ﴿والالتفات﴾ أى واكثاره أو يجتنبه ﴿الى الجوانب﴾ فانه يعد من المعائب ﴿واللعب مع اللحية والاصابع﴾ فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع وأصحاب الخضوع، وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ﴿وتخليل الاسنان وادخال الاصبع فى الانف﴾ وهذا كله مكروه فى المجامع والمحافل لارباب الفضائل والفواضل ﴿واخراج البزاق﴾ من الفم ﴿والنخامة﴾ من

وَالتَّثَاؤُبِ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْجُشَاءِ وَالْاشَارَةِ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَكْرَهُ النَّاسُ . وَيَسْتَغْفِرُهُ تَعَالَى عِنْدَ الْقِيَامِ . وَلَا يَقْعُدُ فِى السُّوقِ بِلَا حَاجَةٍ . وَلَا فِى الطَّرِيقِ ، وَيُؤَدِّى الْحُقُوقَ انْ جَلَسَ . وَيَفْتَحُ الْكَلَامَ بِالتَّسْمِيَةِ . وَالتَّحْمِيدِ وَالاسْتِعَاذَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

الأنف ﴿والتاؤب على الوجوه﴾ أى فى مقابلتها دون أدبارها ﴿والجشاء﴾ أى كذلك فورد «اقصر جشاءك عنا» وهو بضم الجيم عدودا بخار يخرج من الفم عند الأكل الكثير ﴿والاشارة باليد والعين﴾ بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى: (يعلم خائنة الاعين) ﴿ونحوها﴾ أى ويجتنب امثال هذه المذكورات ﴿مما يكره الناس﴾ أى فى المحاورات والمحاضرات ﴿ويستغفره تعالى عند القيام﴾ أى من المجلس ففى المعالم عند قوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعد بن جبير. وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى البغوى باسناده الى أبى هريرة مرفوعا «من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما» وفى رواية أبى داود وابن حبان عن أبى هريرة «كفارة المجلس أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت» ﴿ولا يقعد فى السوق بلا حاجة﴾ فانها أبغض البلاد الى الرحمن واحبها الى الشيطان ﴿ولا فى الطريق﴾ أى الجادة للعامة ﴿ويؤدى الحقوق﴾ أى حقوق الجلوس أو حقوق الطريق ﴿ان جلس﴾ وهى اماطة الأذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف . واعانة الضعيف . ورد السلام . واعطاء السائل ولو بجميل الكلام» وفى رواية الطبرانى عن وحشى «لعلكم ستفتحون بعدى مداين عظاما وتتخذون فى أسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم واهدوا الأعمى وأعينوا المظلوم» ﴿ويفتح﴾ وفى نسخة ويفتتح أى يبتدئ ﴿الكلام﴾ فى مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام ﴿بالتسمية والتحميد والاستعاذة﴾ والانسب تقديم التعوذ ﴿والصلاة عليه عليه السلام﴾ أى على النبي عليه السلام ، فورد «كل

وَيَخْتَارُ الْعَرَبِيَّةَ . وَيَخْفِضُ الصَّوْتَ . وَلَا يُكْثِرُ . وَيُهَذِّبُ اللَّفْظَ . وَيُبَيِّنُ الْكَلَامَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي الْحُجَّةِ . وَيَسْكُتُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَيَذْكُرُهُ تَعَالَى عِنْدَ النِّسْيَانِ . وَيَسْتَثْنِي وَلَا يَحْلِفُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ اجْتِرَاءٌ وَيَحْتَرِزُ عَنِ الْقَصَصِ وَالْحَلِفِ مَا أَمْكَنَ . وَإِنْ حَلَفَ وَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا فَلْيَأْتِ بِهِ .

أمر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» رواه الرهاوى فى الأربعين عن أبى هريرة ، وفى رواية له عنه «كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو أقطع أبتر ممحوق البركة» ﴿ ويختار العربية ﴾ أى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد « أحب العرب لثلاث لأنى عربى ولأن كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى » وقد قيل: العربية نصف العلوم النقلية ﴿ ويخفض الصوت ﴾ أى فى كلامه لقوله تعالى (واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير). ﴿ولا يكثر﴾ أى من الكلام فان كثرة الكلام تميت قلب الأنام ﴿ويهذب اللفظ﴾ أى ينقى مبانيه ويحسن مافيه ويميز بين مايوافقه المقام وينافيه ﴿ويبين الكلام﴾ بتعيين معانيه وتخليصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة ﴿ويتفكر﴾ أى أولا ﴿فى الحجة﴾ أى الأدله ثم يحتج بها ويستمسك بسببها ﴿ويسكت عند الغضب﴾ لقوله تعالى:(ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) أى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى أن يحكم وهو غضبان لأنه حينئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان ﴿ويذكره تعالى عند النسيان﴾ لقوله تعالى : (واذ كر ربك اذا نسيت): ﴿ويستثنى﴾ أى يقول ان شاء الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى :(ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) ﴿ولا يحلف عليه تعالى فهو اجتراء﴾ أى اظهار جراءة لديه فورد «ان رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى: من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان فانى قد غفرت لفلان واحبطت عملك» رواه مسلم عن جندب البجلى ﴿ و يحترز عن القصص ﴾ أى قصص الملوك وارباب الشجاعة وأصحاب البطالة بل عن قصص الأنبياء وحكايات الأولياء اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء ﴿ والحلف ﴾ أى و يحترز عن كثرة اليمين ﴿ ما أمكن ﴾ ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة ﴿وان حلف﴾ أى على يمين ﴿ورأى غيرها خيرا ﴾ منها ﴿فليأت به﴾

وَلْيُكَفِّرْ وَيُرَاعِى الْأَدَبَ وَيَتَكَلَّمُ بِالْقَصِيرِ الْجَامِعِ وَيَتَوَقَّفُ بَيْنَ كَلَامَيْنِ لِيَحْفَظَ السَّامِعَ . وَلَا يَبْحَثُ قَبْلَ تَمَامِ الْكَلَامِ . وَيَسْتَأْذِنُ لِلسُّؤَالِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيُكْثِرُ الْبُكَاءَ فَوَرَدَ « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنٍ عَيْنٍ سَهِرَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَعَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ وَعَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » دُونَ الضَّحِكِ فَهُوَ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ النُّورَ ، فَوَرَدَ (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)

أى بذلك الغير الذى هو الخير ﴿ وليكفر ﴾ أى عن حنث يمينه ففى صحيح مسلم وغيره عن أبى هريرة « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » ﴿ ويراعى الأدب ﴾ أى مع الأصحاب والأحباب فى قوله وفعله وسائر الأبواب ﴿ ويتكلم بالقصير الجامع ﴾ وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد أعطيت جوامع الكلم رواه أبو يعلى عن عمر، وهو الذى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة ، وروى « خير الكلام ماقل ودل » ﴿ ويتوقف بين كلامين ﴾ أى مركبين يصح سكوت على كل منهما ﴿ ليحفظ السامع ﴾ أى ليدركه ويفهمه ففى الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام « كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه » ﴿ ولا يبحث ﴾ مع الخصم ﴿ قبل تمام الكلام ﴾ أى فى أثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام بدفع المباحثة مع الخصام ﴿ ويستأذن للسؤال ﴾ أى تأدبا مع أرباب الكمال ﴿ فالكل مأثور ﴾ وفى الكتب المبسوطة مذكور ﴿ ويكثر البكاء فورد « حرمت النار على ثلاثة أعين عين » بالجر على البدل أو بالرفع أى منها أو احداها عين ﴿ سهرت فى سبيل الله ﴾ أى احتراسا لأهل الله ﴿ وعين غضت ﴾ أى غمضتها ﴿ عن محارم الله ﴾ أى ابتغاء لوجه الله ﴿ وعين بكت من خشية الله ﴾ أى من خوف يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن أبى ريحانة بلفظ « حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله أو عين فقئت فى سبيل الله » وفى رواية الحاكم عن أبى هريرة « ثلاثة أعين لا تمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله » ﴿ دون الضحك ﴾ أى لا يكثر الضحك بل يقلله ﴿ فهو يميت القلب ويذهب النور ﴾ أى البهاء والضياء، وفى الخبر أنه عليه السلام « كان طويل الصمت قليل الضحك » احمد عن جابر بن سمرة ﴿ فورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ وهو أمر معناه خبر أى

وَيَخْفِضُ صَوْتَ الْعُطَاسِ فَالتَّصْرِيحُ بِهِ حُمْقٌ وَيَسْتُرُ بِثَوْبِهِ أَوْيَدِهِ وَيَسْتُرُ

الْفَمَ فِي التَّثَاؤُبِ . وَيُلْقِي الْبُزَاقَ فِي الْيَسَارِ أَوْ تَحْتَ الْقَدَمِ دُونَ الْقِبْلَةِ وَالْيَمِينِ .

يضحكون فى الدنيا قليلا من الضحك أو الزمان ويبكون كثيرا من البكاء أو الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن أهل الكفر فى الدنيا والعقبى وأما ان كان المراد به الخبر عنهم في دار الأخرى فالمراد من القلة العدم والله سبحانه أعلم، فالمعنى من ضحك فى الدنيا قليلا يبكى فى الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك فى الدنيا كثيرا فانه لا يشك أن أمره يكون عسيرا لا يسيرا ٭(ويخفض صوت العطاس فالتصريح به)٭أى بالصيحة عند الناس٭(حمق)٭أى حماقة وجهالة لمقام الاستئناس، وقد ورد «التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان» ابن السنى عن أم سلمة ٭(ويستر)٭ أى فمه عند العطاس(بثوبه) أى بكمه أو منديله٭(أو يده)٭أى بكفه فورد «اذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته» الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة٭(ويستر الفم فى التثاؤب٭)أى بالثوب لأنه أيضا يحصل المقصود ولأن الثوب أيضا لا يكون الا بمساعدة الساعد فى الصحيحين عن أبى هريرة «التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان» وفى رواية الترمذى «العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فمه واذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس» ويكره التثاؤب، ولعل وجهه ان العطاس يطير النوم والكسل والتثاؤب يوجب النعاس والفشل، وأما ما ورد من أن العطاس والنعاس والتثاؤب فى الصلاة من الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع من القراءة ونحوها ٭(ويلقى البزاق)٭ ان لم يقدر على ابتلاعه ٭(فى اليسار)٭ أى ان لم يكن هناك أحد من الابرار ٭(أو تحت القدم)٭ أى اليسرى اذا لم يكن أرض مسجد ٭(دون القبلة)٭ أى لا يلقى الى جهة القبله مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام، فى الصحيحين «اذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى» ٭(واليمين)٭ أى أصلا سواء يكون فيه أحد ام لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر فى جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر فى محله، وفى رواية احمد وأصحاب السنن الاربعة عن طارق بن عبدالله المحاربى مرفوعا «اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا

وَيتفاءَلُ بكَلمَة صَالحَة فَالْكُلُّ مأثُور ومامور به ولاَ يتطير فهو منهى عنه.

وَيفتتح الْكتَابَ بالتَّحميدِ والصَّلاَة .ويَذْكرُ أولاً نَفسه ، ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إليهِ فهو السُّنَّة .

والاقتحت قدمك اليسرى وادلكه،قال أبو يزيد لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قدأشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورابالزهد والديانةفمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلةفانصرف ابويزيدولم يسلم عليه وقال:هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه؟ أى من الأدب مع الرب ﴿ويتفاءل بكلمة صالحة﴾ أى بسماعها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام «كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة»وابن ماجه عن أبى هريرة والحاكم عن عائشة ﴿فالكل مأثور﴾ أى منقول عن فعله عليه السلام ﴿ومأمور به﴾ أى بما ورد عنه من الكلام﴿ولا يتطير﴾ أى لايتشاءم بالفأل القبيح وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم فى زمن الجاهليةفنفاه الشرع ونهى عنه واخبرأنه لاتأثير له فى جلب نفع أو دفع ضر، ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا ﴿ فهو منهى عنه﴾ روى احمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا «لايتطيرفان فعل فكفارته ان يقول : اللهم لاخير الاخيرك ولاطير الا طيرك ولااله غيرك» رواه الطبرانى عنه بلفظ «من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لاخير» الخ ورواه ابو داود ولفظه «اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا : اللهم لايأتى بالحسنات الاانت ولايذهب بالسيئات الاانت ولاحول ولاقوة الابك» وفى رواية ابن أبى شيبة الا بالله ﴿ ويفتتح الكتاب﴾ أى اذا بدأ مكتوبا الى غيره ﴿ بالتحميد والصلاة﴾ بان يكتب الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﴿ويذكر اولا﴾ أى بعدهما﴿ نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة﴾ المعروف فى السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم بحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فانى احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى: (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ فى ابن له يعزيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فانى

وَيَتْرِبُهُ فَهُوَ سَبَبُ النَّجَاحِ . وَيَتَعَفَّفُ عَنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ مَاأَمْكَنَ وَحَقُّهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ . وَيَرْفَعَهَا إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَخْرُجَ بُكْرَةَ الْخَمِيسِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

احمداليك الله الذى لااله الاهو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر »الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ،قالوا و فى الآية لمطلق الجمع﴿ويتربه﴾ بتشديد الراء أى يلقى التراب على الكتاب ﴿فهوسبب النجاح﴾ أى وصوله الى الباب،وقد ورد «واذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهوأنجح » الطبرانى فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية والطبرانى الاولى ﴿ويتعفف﴾ أى يطلب العفة ﴿عن طلب الحاجة﴾ أى بالمسئلة من الخلق ﴿ماامكن﴾ أى مهما أمكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف ،وفى دعاء الامام أحمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك، وقد قال بعض اهل التوفيق : السؤال ذل ولو أين الطريق ﴿وحقه﴾ أى حق طلب الحاجة عند الضرورة من الخليقة ﴿أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى﴾ أى اولا لأنه غياث المستغيثين وأرحم الراحمين واكرم الاكرمين،وفى الخبر «ليسأل احدكم ربه حاجته حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسعه »وقال الترمذى وغيره وقد ورد «من كانت له حاجة الى الله اوالى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: لااله الا الله هو الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لاتدع لى ذنبا الا غفرته ولاهما الا فرجته ولاحاجة هى لك رضاء الاقضيتها ياأرحم الراحمين» رواه الترمذى عن ابن أبى أوفى ، وفى رواية له ولغيره عن ابن حنيف «من كانت له ضرورة فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يامحمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعه فى» ﴿ويخرج﴾ أى ومن حقه ان يخرج فى طلب الحاجة ﴿بكرة الخميس﴾ أو بكرة غيره فان البركة فى البكرة كما تقدم ﴿بعد التحميد والصلاة﴾ أى على النبى عليه السلام ﴿وقراءة الفاتحة﴾ فان فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة ﴿وآية الكرسى﴾ فانها الدالة

وَآخِرَ آلِ عِمْرَانَ وَالْقَدْرِ: وَيَقْصِدُ الْأَتْقَى وَالْأَكْرَمَ وَالْأَسْمَحَ وَالْأَحْسَنَ.
وَالْأَرْحَمَ وَلَا يَرْتَكِبُ مَعْصِيَةً فِيهِ: وَلَا يُلِحُّ وَيُشَاوِرُ الْعَاقِلَ الْعَالِمَ الصَّالِحَ الْمُلَائِمَ
ذَلِكَ الْأَمْرَ كَالسَّخِيِّ فِي الْمَالِ وَالشُّجَاعِ فِي الْحَرْبِ ،

على العظمة والمحافظة ﴿وآخر آل عمران﴾ أى من قوله (ان فى خلق السموات والارض) الى آخر السورة أو من قوله: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) أو من قوله: (ياأيها الذين آمنو اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فقد رؤى بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها فاذا هو مات فرأوا فيها آية (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) ﴿والقدر﴾ أى سورة القدر تنبيها له على أن الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ﴿ويقصد الاتقى﴾ شرعا لان عطاءه اتقى ﴿والاكرم﴾ طبعا لأن سخاءه ابقى ﴿والاسمح﴾ أى الأسهل يدا فان الخير منه ارجى ﴿والأحسن﴾ أى خلقا وخلقا فقد ورد «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» رواه البخارى فى تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها «وفى رواية ابن عدى والبيهقى عن عبد الله بن جراد بلفظ «اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه» لان الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق ﴿والارحم﴾ قلبا فعن أبى سعيد «اطلبوا الحوائج الى ذوى الرحمة من أمتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول: رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطى فيهم» رواه العقيلى والطبرانى فى الأوسط ﴿ولا يرتكب معصية فيه﴾ أى فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار مايحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا أريد دفنه او عندى نفساء أو ما أكلت ايام كذا أو معى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما هنالك ﴿ولا يلح﴾ أى فى الطلب من الخلق قال تعالى: (لا يسألون الناس الحافا) أى الحاحا وورد «ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيى العفيف المتعفف» رواه البيهقى عن أبى هريرة ﴿ويشاور﴾ أى فى أمر مشكل يقع له ﴿العاقل﴾ أى المجرب فى الامور ﴿العالم﴾ أى المعظم فى الصدور ﴿الصالح﴾ اذ عنده الخبر المستور ﴿الملائم ذلك الأمر﴾ أى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر ﴿كالسخى فى المال﴾ أى فى أمر يتعلق ببذل المال ﴿والشجاع فى الحرب﴾ لأنه فى ذلك الأمر من أهل

فَوَرَدَ (وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ) ثُمَّ امْرَأَتَه وَيُخَالِفُ، فَوَرَدَ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَيُقَدِّمُ الْاِسْتِخَارَةَ وَيَخْتَارُ أَهْوَنَ الْأَمْرَيْنِ وَأَيْسَرَهُمَا وَلَا يُحِبُّ الْمَالَ أَكْثَرَ مِنَ الْعِرْضِ . وَلَا يَبْذُلُ الدِّينَ بِالدُّنْيَا . وَلَا يَرْكَبُ بَقَرَةً : وَلَا يَحْرُثُ عَلَى حِمَارٍ

الكمال (وقد علم كل اناس مشربهم) وعرف كل فريق مذهبهم ﴿فورد وشاورهم فى الأمر﴾ (وأمرهم شورى بينهم) ﴿ثم امرأته﴾ أى ان لم يجد أحدا كما فى نسخة ﴿ويخالف﴾ أى رأيها ﴿فورد فيه﴾ أى فى خلافها ﴿البركة﴾ لقلة عقلها ونقصان دينها، واخرج العسكرى فى الامثال عن عمر «قال خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة» وعن أنس مرفوعا «لا يفعلن أحدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير امرأته ثم ليخالفها فان فى خلافها البركة» رواه ابن لال، وروى الديلمى والعسكرى والقضاعى عن عائشة مرفوعا «طاعة النساء ندامة» وفى مسند احمد «هلكت الرجال حين أطاعت النساء» وأخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث ابى بكرة مرفوعا واخرج ابن عدى من حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن ابيها مرفوعا «طاعة المرأة ندامة» واخرج العسكرى عن معاوية «قال: عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعتها اهلكتك» وقال بعض الشعراء « وترك خلافهن من الخلاف » وأما ما اشتهر على الالسنة شاوروهن خالفوهن فباطل لا أصل له فى مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه ﴿ويقدم الاستخارة﴾ أى على الاستشارة والمراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خر لى واختر لى ولا تكلنى الى اختيارى أو صلاتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرحه المسطور وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار ولا عال من اقتصد الطبرانى فى الأوسط عن أنس ﴿ويختار أهون الأمرين﴾ كالتدريس والفتوى فالتدريس أهون من الفتوى والفتوى اهون من القضاء والقضاء اهون من الخلافة ﴿وايسرهما﴾ فروى عن بعض السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار، وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع او الضرر والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر ﴿ولا يحب المال اكثر من العرض﴾ بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال ﴿ولا يبذل الدين بالدنيا﴾ لقوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) ﴿ولا يركب بقرة﴾ ويجوز الحمل عليها ﴿ولا يحرث على حمار﴾ لأنه خلق

فَالْكُلُّ خُلِقَ لِعَمَلٍ. وَيَرْكَبُ عَلَى مَا أَصَابَ: وَيُرْدِفُ الْخَادِمَ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِفَاضِلِ النَّفَقَةِ وَيَسْعَى فِي الْحَاجَاتِ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ وَيَخِيطُ الثَّوْبَ وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ وَيَشْتَغِلُ

للحمل والركوب ﴿فالكل خلق لعمل﴾ أى على وفق العادة كما فى الفرس والجمل وقد ورد « كل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان ﴿ويركب على ما أصاب﴾ أى صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) أى الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال تعالى: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) وقال عز وعلا: (وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وقال عز وعلا: (أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون) وقال عز شانه وعظم برهانه: (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون) فالبعير سفينة البر كما أن الفلك سفينة البحر ﴿ويردف الخادم﴾ أى وغيره سواء كان المركوب جملا أو فرسا أو حمارا ﴿فالكل مأثور﴾ فقد أردف النبى عليه السلام الفضل واسامة فى طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقة واردف اباهريرة على حمار فى طريق قبا كما تقدم ﴿وكان عليه السلام لا يدخل البيت﴾ أى بيته ﴿حتى يتصدق بفاضل النفقة﴾ أى بما فضل من النفقة فى يده أو فى بيته ﴿ويسعى فى الحاجات﴾ أى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن أنس انه عليه السلام كان يذبح أضحيته بيده ﴿ويخصف النعل﴾ على حد صنعته ﴿ويخيط الثوب﴾ أى بقدر معرفته ، فقد أخرج ابن عساكر عن أبى ايوب انه عليه السلام « كان يخصف النعل و يرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى » أى من تركها تكبرا فليس على طريقتى ﴿ويقطع اللحم﴾ أى اذا كان نيئا أو غير نضيج وهو ثابت فى السنة كما سبق وفى الشمائل عن جابر بن طارق قال: دخلت على النبى ﷺ فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ماهذا؟ قال نكثر به طعامنا » ﴿ويشتغل

بِأُمُورِ الْبَيْتِ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ » وَلاَ يَتَكَلَّفُ وَلاَ يَحُبُّهُ وَلاَ يَصِيدُ وَيُحِبُّهُ وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا وَيَرُدُّ الْمَقْرُونَةَ بِالْمِنَّةِ وَإِنْ قَلَّتْ وَيَغْتَنِمُ الْعَبْدُ أَيَّامَ الرِّقِّ لِحَسَنَتِهِ بِعِشْرِينَ وَتَلْزَمُ الْمَرْأَةُ قَعْرَ الْبَيْتِ فَلاَ تَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلاَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ فَنَظَرُهُنَّ إِلَى الرِّجَالِ فِتْنَةٌ . وَأُمِرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

بامور البيت مع أمهات المؤمنين﴾ فروى احمد عن عائشة « كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل مايعمل الرجال فى بيوتهم » وروى ابن سعد عنها « كان يعمل عمل البيت واكثر مايعمل الخياطة » وفى رواية ابى يعلى عنها « كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه » ﴿ولا يتكلف﴾ اى وكان عليه السلام لايتكلف فى شىء من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة ﴿ولا يحبه﴾ اى التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطنى بسند ضعيف « انا والاتقياء من امتى بريئون من التكلف » ويقويه ما فى مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام « الا انى برئ من التكلف وصالحو امتى » واخرجه ابن عساكر فى تاريخه عنه بلفظ « اللهم انى وصالحى امتى برآء من كل متكلف » واخرجه عن الزبير ابن ابى هالة ـ وهو ابن خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ انا وامتى برآء من كل متكلف ﴿ولا يصيد﴾ اى بنفسه ﴿ويحبه﴾ اى يعجبه من غيره ﴿ويقبل الهدية ويكافى عليها﴾ اى بمثلها او بازيد منها لقوله تعالى : (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها) اى او بمثلها على قول ، وفى البخارى وغيره عن عائشة « كان يقبل الهدية ويثيب عليها » ﴿ويرد المقرونة بالمنة وان قلت﴾ أى الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة ثقيلة المعونة ﴿ويغتنم العبد﴾ وكذا الجارية ﴿ايام الرق﴾ أى زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية ﴿لحسنته بعشرين﴾ أى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى حسنة عشر كما قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) فاذا كان له اجران فحسنة له بعشرين حسنة ﴿وتلزم المرأة قعر البيت﴾ اى من الحزن ونحوه ﴿فلا ترتفع﴾ اى هى ﴿عليه﴾ اى على البيت والمعنى انها لا تسكن فى العوالى خصوصا اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالى ﴿ولا تنظر الى الخارج﴾ ولو كانت ساكنة فى الداخل ﴿فنظرهن الى الرجال فتنة﴾ أى فى حقهن كما أن نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) ﴿وأمرت ام سلمة

بِالْاِحْتِجَابِ عَنِ الْاَعْمٰى ۠ وَلَا بَأْسَ بِالْخُرُوجِ فِى الْمُهِمِّ فِى أَسْوَإِ هَيْئَةٍ وَأَخْلٰى طَرِيقٍ مُتَنَكِّرَةً لِمَنْ يَعْرِفُ غَيْرَ مُسْمِعَةٍ صَوْتَهَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا بَقِىَ مِنْ طَعَامٍ يَسْتَحِيلُ اِذَا تُرِكَ وَيَغْتَمُّ الصَّحِيحُ بِطُولِ السَّلَامَةِ ، فَوَرَدَ «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ عِلَّةٍ وَزِلَّةٍ وَقِلَّةٍ» فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَبْتَلِىَ فِى كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِشَىْءٍ مِنْهَا وَيَسْتَرْجِعُ فِى الْمُصِيبَةِ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَمَمْدُوحٌ فِى الْقُرْآنِ ، وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشَّقِّ وَالضَّرْبِ وَالْحَلْقِ

بالاحتجاب عن الأعمى ﴾ أى مع أنها من الازواج الطاهرات ﴿ ولا بأس ﴾ أى للمرأة ﴿ بالخروج فى المهم ﴾ أى الدنيوى والأخروى او الدنيوى الضرورى ﴿ فى أسوأ هيئة ﴾ أى أخشنها من لباس الجمال ﴿ وأخلى طريق ﴾ أى من الرجال حال كونها ﴿ متنكرة لمن يعرف ﴾ أى نسبها أو حسبها صيانة عن عرضها ﴿ غير مسمعة صوتها ﴾ أى اذا لم تكن ضرورة بها ﴿ ويتصدق ﴾ اى الشخص ﴿ بما بقى من طعام يستحيل ﴾ أى يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما ﴿ اذا ترك ﴾ أى كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال ﴿ ويغتم الصحيح بطول السلامة ﴾ فان فرعون مضى عليه اربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حمى مقدار سنة ﴿ فورد لا يخلو المؤمن من علة ﴾ أى مرض وضعف قوة ﴿ وذلة ﴾ ضد عزة بان يسلط عليه أحد من الظلمة ﴿ وقلة ﴾ أى فاقة وحاجة، وقد يجتمع عليه اذا كان من أهل عناية ورعاية وحماية واذا كان خاليا عنها فى بعض الاوقات ﴿ فلابد وان يبتلى فى كل أربعين يوما بشىء منها ويسترجع ﴾ أى يقول (انا لله وانا اليه راجعون) ﴿ فى المصيبة ﴾ أى الحادثة ﴿ فهو مأثور ﴾ أى مروى عنه عليه السلام ، وعن السلف الكرام ﴿ وممدوح فى القرآن ﴾ حيث قال تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا: انا لله وانا اليه راجعون) الآية ، وفى الحديث يسترجع أحدكم فى كل شىء حتى فى شسع نعله ، فانها من المصائب ابن السنى عن أبى هريرة ، وقد ورد من أصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب رواه ابن ماجه عن الحسن بن على ﴿ ويحترز عن الشق ﴾ أى شق الجيب ﴿ والضرب ﴾ أى على الوجه والصدر ﴿ والحلق ﴾

وَالنَّوْحِ فَهِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا اذْ هِيَ رُسُومُ الْجَاهِلِيَّةِ وَيَئِنُّ الْمَرِيضُ أَنِينًا يُخَفِّفُ بَعْضَ مَابِهِ ذَاكِرًا لَا مُتَأَوِّهًا وَيَعْصِبُ الرَّأْسَ . وَيَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ اسْتِعَانَةً عَلَى الصَّبْرِ . وَتَوَقِّيًا عَنِ التَّشَدُّدِ وَيَسْتَشْفِي بِالذِّكْرِ . وَالدُّعَاءِ . وَالصَّلَاةِ

أي حلق شعر الرأس للمرأة واللحية للرجل ﴿ والنوح ﴾ وهو صياح أهل الميت ﴿ فهي ﴾ أي جميعها ﴿ منهي عنها اذ هي رسوم الجاهلية ﴾ في الصحيحين عن ابن مسعود «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» ولأبي داود والنسائي عن أبي موسى «ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق» فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى: (سلقوكم بألسنة حداد) والحلق حلق الشعر، والخرق خرق الثوب ﴿ ويئن المريض ﴾ فورد «المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله يقول الله تعالى للملائكته: اكتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له» الخطيب والديلمي عن أبي هريرة وقالا رجاله معروفون بالثقة الا حسين بن احمد البلخي فانه مجهول ﴿ انينا يخفف بعض ما به ﴾ أي من ثقل الالم ﴿ ذاكرا ﴾ أي حال كونه ذاكرا الله تعالى فيما أعطاه من النعم والمنن ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به في أيام الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم ﴿ لا متأوها ﴾ أي بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والا فقد مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) فاذا كان آه أو واه لله وفي تسليم امر مولاه ورضاه بقدره وفق ماقضاه يكون خيرا له في دنياه وعقباه ﴿ ويعصب الرأس ﴾ اى يشده بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع ﴿ وينام على الفراش ﴾ أي ولو كان دأبه ان لاينام عليه ﴿ استعانة على الصبر ﴾ أي على شدة المرض وحدة الالم ﴿ وتوقيا ﴾ أي واحترازا واحتراسا ﴿ عن التشدد ﴾ اى طلب شدة الامر باظهار التجلد في الابتداء للبلاء ﴿ ويستشفي ﴾ أي يطلب الشفاء ﴿ بالذكر ﴾ أي الجلي والخفي لشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب ﴿ والدعاء ﴾ فانه يرد البلاء ويهون القضاء والدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافني واعف عني واشفني واسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ﴿ والصلاة ﴾ لقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأن في ذكر الخليل شفاء

وَالْقُرْآن . لَاسِيَّمَا الْفَاتِحَة ، فَوَرَدَ « أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » وَيَحْتَمِي فَهُمْ أَمَرُوا بِهِ ، وَيُدَاوِي فَوَرَدَ « تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ إِلَّا السَّامَ » وَيَسْتَوْهِبُ مَهْرَ امْرَأَتِهِ : وَاسْتَوْهَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ امْرَأَتِهِ أَوِ اسْتَقْرَضَ فِي الْعَارِضَةِ مِنْ مَهْرِهَا فَاشْتَرَى بِهِ الْعَسَلَ

العليل ﴿والقرآن﴾ لأنه شفاء أهل الإيمان ودواء أهل الايقان وشقاء أهل الطغيان وخسران أهل العدوان فقد قال تعالى: (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) ﴿لاسيما الفاتحة﴾ لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير ﴿فورد أنه﴾ اى فاتحة الكتاب ﴿شفاء من كل داء﴾ اخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عبدالله بن جابر ، وروى القشيرى ان آيات الشفاء هى (ويشف صدور قوم مؤمنين * وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فيه شفاء للناس * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين * واذا مرضت فهو يشفين * قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب ﴿ويحتمى﴾ اى حال الابتلاء خصوصا وقت الامتلاء ﴿فهم﴾ اى السلف ﴿امروا به﴾ اى بالاحتماء، وقد قيل الاحتماء رأس الدواء، واخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا «الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد» والازم بالزاى الحمية واخرج ابن ابى الدنيا عن وهب ابن منبه قال: اجمعت الاطباء على أن رأس الطب الحمية فلا يبعد أن يكون التقدير ﴿فهم﴾ أى الحكماء ﴿أمروا به﴾ أى بالاحتماء ﴿ويداوى﴾ أى فانه لا يناقض التوكل ولا ينافى ﴿فورد تداووا عباد الله﴾ أى اطلبوا دواء بعضكم من بعض ياعباد الله ﴿مامن داء الا وله دواء الا السام﴾ أى الموت ففى مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا «تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد الهرم» ﴿ويستوهب مهر امرأته﴾ أى يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكله ففيه شفاء لقوله تعالى: (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) أى سائغا غير ضار أولا تنغص فيه فى الدنيا ولا تبعة معه فى الآخرى ﴿واستوهب على رضى الله عنه من امرأته﴾ أى من مهرها ﴿أو استقرض فى العارضة﴾ أى العلة ﴿من مهرها﴾ شك من الراوى ﴿فاشترى به العسل﴾ لقوله تعالى: (فيه شفاء للناس

وَمَزَجَهُ بِمَاءِ السَّمَاءِ وَشَرِبَهُ فَصَارَ سَبَبَ الشِّفَاءِ هَذَا وَإِزَالَةُ السَّكَنْجَبِينِ الصَّفْرَاءَ لَا يُفَارِقُ إِرْوَاءَ الْمَاءِ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِالنَّظَرِ وَالتَّوَقُّفِ عَلَى الشُّرُوطِ وَيَحْتَجِمُ، فَوَرَدَ «مَا مَرَرْتُ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا بَشِّرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ» وَالأَحَبُّ وَالأَنْسَبُ فِي سَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَاحْدَى وَعِشْرِينَ فَهُوَ مَأْثُورٌ لَا سِيَّمَا

﴿ومزجه﴾ أي خلطه ﴿بماء السماء﴾ أي المطر لقوله سبحانه (وانزلنا من السماء ماء طهورا) ﴿وشربه فصار سبب الشفاء﴾ أي حيث اجتمع فيه أسباب الدواء ﴿هذا﴾ أي مضى أو خذ هذا ﴿وازالة السكنجبين الصفراء لا يفارق ارواء الماء﴾ أي كما قال الحكماء ﴿الا بالتعلق﴾ أي تعلق السكنجبين فى ازالة الصفراء ﴿بالنظر﴾ أي بالتأمل ﴿والتوقف على الشروط﴾ أي المعتبرة التى ذكرها الأطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء و بين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه هنالك، وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام «ما من داء» الحديث فان السكنجبين مثلا ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله، والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لا محالة فى الأغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الأطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وترتيبه فى الأبواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسببه دون الطبيب والدواء ﴿ويحتجم﴾ اذا كان المرض دمويا أو مطلقا لما ورد «الحجامة تنفع من كل داء ألا فاحتجموا» الديلمى عن أبى هريرة ﴿فورد ما مررت بملأ﴾ أي جمع عظيم يملأ العيون من كثرتهم ﴿من الملائكة﴾ اى المقربين ﴿الا قالوا بشر أمتك بالحجامة﴾ أي بالعافية والسلامة بسبب الحجامة ﴿والأحب﴾ أي الأولى أن تقع الحجامة فى النصف الأخير من الشهر لما رواه ابن أبى حبيب عن عبد الكريم معضلا «الحجامة تكره فى أول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال» ﴿والانسب فى سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لا سيما﴾

إِذَا اتَّفَق يَوْم الثَّلاثاء سَبْع عشْرة،فورد «هُو دواءٌ منْ داء سنة» الاَّ فى الْقفا فهُو يُورِثُ النّسْيان ويجْتنبُ الْكىَّ ففيه خوْفُ السِّراية والرُّقْية،ونهى عنْهُما

أى خصوصا ﴿اذا اتفق يوم الثلاثاء سبع عشرة﴾ من الشهر ﴿فورد هو﴾ أى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر فى يوم الثلاثاء ﴿دواء من داء سنة﴾ رواه ابن سعد والطبرانى وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة» ﴿الا فى القفا فهو يورث النسيان﴾ روى الديلمى عن أنس مرفوعا «الحجامة فى نقرة الرأس تورث النسيان فجنبوا ذلك» وقد احتجم عليه السلام فى يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع، ورواه ابن سعد عن أنس «الحجامة فى الرأس هى المغيثة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية» وفى رواية العقيلى عن ابن عباس «الحجامة فى الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والنعاس» ورواه الطبرانى وابن السنى فى الطب عن ابن عمر، وفى رواية الطبرانى وابى نعيم عن ابن عباس «الحجامة فى الرأس شفاء من سبع اذا ما نوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه» وفى رواية ابن ماجه والحاكم وابن السنى وأبى نعيم عن ابن عمر «الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد فى الحفظ وفى العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد واحتجموا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه أيوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذى ابتلى فيه أيوب ومايبدو جذام ولا برص الا فى يوم الاربعاء أو فى ليلة الاربعاء» وفى الصحيحين عن جابر مرفوعا «ان كان فى شىء من ادويتكم خير ففى شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار توافق داء وما أحب ان اكتوى» ﴿ويجتنب الكى ففيه خوف السراية﴾ أى سراية الم الكى الى الموت أو سراية المرض الى سائر الجسد ﴿والرقية﴾ أى ويجتنبها اذا لم يعرف معناها من مبناها ﴿ونهى عنهما﴾ أى عن الكى والرقية، فروى الترمذى والحاكم عن عمر أنه عليه السلام «نهى عن الكى» وفى الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام «كان يكره الكى» وفى رواية البزار عن أنس «سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لايكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» وأما الرقية بالقرآن والأدعية المأثورة فلا شك فى جوازها بل

وَيُوصِي بِثُلُثِ الْمَالِ ، وَإِرْضَاءِ الْخُصُومِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ وَفِدْيَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ فَمَنْ مَاتَ دُونَ الْوَصِيَّةِ لَا يُؤْذَنُ لَهُ فِي التَّكَلُّمِ مَعَ الْمَوْتَى فِي الْقَبْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَغْتَنِمُ الْمَوْتَ

في استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللذيع بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره عن ابى سعيد، وكان أيضاً «يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله» رواه ابو داود والنسائى، وفى صحيح مسلم وغيره عن أبى سعيد «بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك» وروى ابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة «الا ارقيك برقية رقانى بها جبريل يقول: بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترق بها ثلاث مرات» واما قوله عليه السلام: «لشفاء بنت عبدالله علمى حفصة رقية النملة» كما رواه أبو عبيد فى الغريب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى خيثمة فقال الجلال السيوطى فى شرح أبى داود: رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من يسمعه انه كلام لاينفع ولا يضر ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تختضب وتنتعل وتحتفل وتكتحل وكل شيء يفتعل غير أن لا يعصى الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لأنه القى اليها سرا فأفشته ﴿ ويوصى بثلث المال ﴾ أى يجوز ان يوصى به ولو كان الأفضل دونه، ففى الصحيحين عن ابن عباس «والثلث والثلث كثير» وفيهما عن سعد «انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» الحديث ﴿ وارضاء الخصوم ﴾ أى بالمال والاستحلال ﴿ وقضاء الدين ﴾ أو طلب ابرائه ﴿ وفدية الصلاة والصوم ﴾ أى وبمقدار ان يفدى به الصلاة والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم ﴿ فمن مات دون الوصية ﴾ أى الواجبة عليه، وفى نسخة «دونها» أى بغير الوصية ﴿ لا يؤذن له فى التكلم مع الموتى فى القبر الى يوم القيامة ﴾ رواه ابو الشيخ فى الوصايا عن قيس، ولفظه «من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى» وفى رواية ابن ماجه «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له» ﴿ ويغتنم الموت ﴾ أى علامات حلوله وامارات نزوله ففى الخبر «تحفة المؤمن الموت» رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا «وذلك لانه وسيلة الى

وَلَا يَشْتَغِلُ عِنْدَهُ بِغَيْرِهِ تَعَالَىٰ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَيَقْرَأُ يٰسٓ، فَفِي الْخَبَرِ «اقْرَءُوا عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ يٰسٓ» وَيُحْضِرُ الصُّلَحَاءَ وَلَا يَكْرَهُ السَّكَرَاتِ وَيُطَيِّبُ مَا حَوْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مَحْضَرُ الْمَلَائِكَةِ وَيَجْتَهِدُ فِي هُدُوِّ الْجَوَارِحِ، وَوَرَدَ «ارْقُبُوا عِنْدَ ثَلَاثٍ إِذَا رَشَحَ جَبِينُهُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ»

وصول مولاه وحصول لقاه» وفى الصحيحين عن ابى موسى مرفوعا «من أحب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» ﴿ ولا يشتغل ﴾ أى المحتضر ﴿ عنده ﴾ أى وقت حضور الموت ﴿ بغيره تعالى ظاهرا وباطنا ﴾ لقوله تعالى: (ارجعى الى ربك راضية مرضية) ﴿ ويقرأ يس ﴾ أى بنفسه أو يقرؤها غيره فيستمعها ﴿ فى الخبر اقرءوا على موتاكم يس ﴾ اى على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار ﴿ ويحضر الصلحاء ﴾ أى ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء فى شدة البلاء ﴿ ولا يكره السكرات ﴾ أى لانها من جملة المكفرات اومن موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول «اللهم اعنى على غمرات الموت وسكرات الموت» رواه الترمذى عن عائشة مرفوعا ﴿ ويطيب ماحول البيت ﴾ أى ينظفه ويبخره، وفى نسخة «ماحول الميت» وهو المحتضر اوبعد تحقق الموت ﴿ فهو محضر الملائكة ﴾ اى ملك الموت واعوانه او الملائكة المبشرة لقوله تعالى: (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخره ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم) ﴿ ويجتهد فى هدو الجوارح ﴾ اى سكونها عن الاضطراب فقد روى «موتوا قبل ان تموتوا» وفى هذا الباب وينبغى ان يكثر الحمد فعن ابن عباس «المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى» رواه النسائى ﴿ وورد ارقبوا ﴾ بضم القاف اى انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تطرق عليه فى ذلك الزمان ﴿ عند ثلاث ﴾ اى من علامات لكل احد من أهل الايمان والكفران كما فصله بقوله ﴿ اذا رشح جبينه ﴾ اى عرق، وفى رواية ابى داود والترمذى والنسائى عن بريدة وصححه ابن حبان «المؤمن يموت بعرق الجبين» ﴿ وذرفت عيناه ﴾ اى سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة

وَيَبِسَتْ شفتاهُ فهو من رحمة الله تعالى قد نزلت به وإذا غطّ غطيط الْمُنْخَنِق واحمرَّ لَوْنُهُ وازبدَّتْ شفتاهُ فهو من عذاب الله قد نزل به » وكلمة التّوحيد ، فورد «منْ مات وهو يعلمُ أنْ لا اله الاّ اللهُ دخل الْجَنّة» وحسن الظّنّ بالله، فورد « أنا عند ظنّ عبْدى بى فلْيَظُنّ بى ماشاءَ » والْخوْف والرّجاء ، فورد « لايَجْتمعان فى قلْب عبْد الاّ أعطاهُ اللهُ الّذى يرجوه وأمّنه اللهُ الّذى يخافُ منه» حين قال محتضر ارجو الله واخاف ذنوبى

﴿ ويبست شفتاه ﴾ لانه من خوف مولاه ﴿ فهو ﴾ اى ماذكر من الخصال الثلاث ﴿ من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط ﴾ اى وارقبوا اذا غط ﴿ غطيط المنخنق ﴾ اى صوت كصوته وهو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم او حال خنقه وصرعه ﴿ واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ﴾ ومع هذا يحسن الظن بشأنه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظنى فى مقام برهانه ولعله محمول على غالب أحيانه ﴿ وكلمة التوحيد ﴾ أى ويجتهد فى اكثارها منه أو من غيره تلقينا له ونيابة عنه ﴿ فورد من مات وهو يعلم ان لااله الا الله ﴾ أى وان محمدا رسول الله ﴿ دخل الجنة ﴾ أى استحق دخولها ولا بد له من وصولها ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود «من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة» وفى مسند احمد وغيره عن معاذ «من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة» ﴿ وحسن الظن بالله ﴾ أى ويجتهد فى حسن ظنه بربه أن يرحمه ويعفو عنه جرمه، ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر «لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى» ﴿ فورد ﴾ فى الصحيحين ﴿ انا عند ظن عبدى بى ﴾ أى فى معاملتى معه فى الدنيا والأخرى ﴿ فليظن بى ماشاء ﴾ أى من العفو والعقوبة فان مصيره الى وحسابه على وان قضيت له من خير أو شر فلا مرد له لدى ﴿ والخوف والرجاء ﴾ أى ويجتهد فى الجمع بينهما ﴿ فورد لايجتمعان فى قلب عبد ﴾ أى مؤمن ﴿ الا أعطاه الله الذى يرجوه ﴾ أى من العفو ﴿ وامنه الله الذى يخاف منه ﴾ أى من العقوبة ﴿ حين قال ﴾ ظرف ورد أى فى زمان قال ﴿ محتضر ارجو الله واخاف ذنوبى ﴾ وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه «مااجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا اعطاه الله عز وجل الرجاء

وَ يَكْرَهُ الْمُخْلِطُ الْفُجَاءَةَ دُونَ الطَّاعُونِ فِي أَرْضِ طَاعُونٍ، فَوَرَدَ «مَنْ صَبَرَ فِي أَرْضِ طَاعُونٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ» *

﴿ اَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي الصُّحْبَةِ ﴾

وامنه الخوف» ﴿ ويكره المخلط ﴾ أى الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ﴿ الفجاءة ﴾ أى موت البغتة لقوله تعالى: (عسى الله أن يتوب عليهم) فبموت الفجاءة تفوته التوبة، وأما رواية احمد عن عائشة مرفوعا «موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف على الكافر» فمحمولة على المؤمن الصالح اذ الفاجر فى حكم الكافر ولو من بعض الوجوه ﴿ دون الطاعون ﴾ أى لا يكره لمجاءته فى الصحيحين عن أنس «الطاعون شهادة لكل مسلم» ﴿ فورد من صبر فى أرض طاعون ﴾ أى ولم يخرج فرارا منه ﴿ كان له مثل أجر شهيد ﴾ وفى مسند احمد وصحيح البخارى عن عائشة «الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد» وفى رواية لاحمد عنها «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف» وفى رواية الطبرانى فى الأوسط عنها «الطاعون شهادة لامتى ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج فى الآباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن أقام فيه كان كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف» وفى مسند احمد «الطاعون لا يدخل مكة والمدينة» أى لما فيهما من نزول السكينة *

﴿ الباب الثامن فى الصحبة ﴾

للصحبة تأثير بليغ فى المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا فى كمال المرتبة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين) وفى رواية النسائى عنه عليه السلام «ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا أولئك» وفى رواية احمد ومسلم عن أبى سعيد «يا أيها الناس انها كانت أبينت ليلة القدر وانى خرجت اليكم لاخبركم بها فجاء رجلان يختقان معهما الشيطان فنسيتها

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَرَدَ «انَ الْمُتَحَابِّينَ فِى اللهِ عَلَى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ حَوْلَ الْعَرْشِ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ »

فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة» وفى رواية احمد والبيهقى عن ابن عباس «انه قيل يارسول الله أبطأ عنك جبريل فقال لم لا يبطىء عنى وانتم حولى؟ لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم» أى مفاصل اناملكم، هذا والنظر الى أهل الدنيا مضر لأهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى: (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وذلك لأنه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب «لا تنظروا الى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة» بخلاف ماورد «النظر الى الكعبة عبادة» كما رواه أبو الشيخ عن عائشة «والنظر الى العبادة» كما رواه الطبرانى والحاكم عن أبى مسعود وعن عمران بن حصين، وذلك لانهما وسيلتان الى ذكر الله، وورد أولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله، ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهو أولى مايصحب به لأنه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم ﴿وورد ان المتحابين﴾ بتشديد الموحدة ﴿فى الله﴾ أى فى سبيله لا بتغاء رضاه ﴿على منابر من نور﴾ أى الهى موجب لأنواع من سرور توضع المنابر ﴿حول العرش﴾ أى فى مكان المقربين ﴿لباسهم نور﴾ أى بجرد أو حرير يعلوه نور ﴿ووجوههم نور﴾ أى كنور شموس وبدور ﴿يغبطهم النبيون والشهداء﴾ أى يطلبون مراتبهم مع أنهم من أكابر السعداء وهذا للمبالغة فى علو البهاء، والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم فى علو أمرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الأولياء والأصفياء، ويؤيده مافى الأحياء انه يروى «ان الله تعالى أوحى الى نبى من الأنبياء أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت به الراحة وأما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا أو هل واليت فى وليا» والحديث رواه الطبرانى عن معاذ «ان المتحابين فى الله فى ظل العرش» وفى رواية له عن أبى أيوب «المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش» وقال أبو ادريس الخولانى لمعاذ: انى أحبك فى الله فقال له: أبشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون

فَالْحُبُّ فِيهِ تَعَالَى كَحُبِّ عَالِمٍ يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ وَحَالِهِ . وَصَالِحٍ يُتَبَرَّكُ بِهِ.

وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فقيل :من هؤلاء يارسول الله؟ قال: هم المتحابون فى الله » كذا فى الاحياء، وقال مخرجه رواه أحمد والحاكم فى حديث طويل ان أبا ادريس قال قلت: «والله انى لاحبك فى الله قال فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان المتحابين لجلال الله فى ظل عرشه يوم لاظل الاظله » قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذى من رواية أبى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » وقال : حسن صحيح ، ولاحمد من حديث أبى مالك الاشعرى « ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله » الحديث وفيه «تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولايفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وروى النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث أبى هريرة «ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم النبيون والشهداء. فقالوا: يارسول الله صفهم لنا فقال: هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله» ﴿ فالحب فيه تعالى ﴾ كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالايقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما انيكون لمعنى فى ذات المحبوب كحب الصور الجميلة والسير الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذهو منبعث منها واما أن يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس فى ذات المحبوب وذلك اما أن يكون نفس الدنيا ومتعلقا بالآخرة واما أن يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب فى الله لانه منبعث من الدنيا والثانى عد من الحب فى الله ﴿ كحب عالم ﴾ أى كحب العالم الذى ﴿ يستفاد من قوله وحاله ﴾ أى من جملة أقواله وسائر أفعاله واخلاقه واحواله ﴿ وصالح يتبرك به ﴾ أى بدعائه وايتائه وحسن مآ له فى مناله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاد من عمله وحله فى الدنيا ويرجى شفاعتها فى العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك ، وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أى يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والخلطة وكرهوا

وامْرَأَة تُفَرِّغ لِلْعِبَادَة بتدبير أَمْر الْبَيْت . وَغَنِيّ يعطى مَالاً يَصُون الْوَقت عَنِ الضَّيَاعِ فِى الطَّلَب . ومتعبد لَه تعالَى ، فَالمحب لِلشَّيْء مُحب لمحبه ومحبوبه وَكَذا المبْغض .

الإنفراد والعزلة ، ولأبى عبد الرحمن السلمى من حديث على مرفوعا « من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين. فالاخ الصالح ان نسى ذكره وان ذكره اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى: (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به ازرى واشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وفى رواية أبى داود من حديث عائشة رضى الله عنها «اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه» ونقل فى الأحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله: من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا الحديث والأخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فعن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى فى الملكوت عظيما ﴿ وامرأة تفرغ ﴾ أى الرجل ﴿ للعبادة بتدبير أمر البيت ﴾ ومايتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد فى الأخبار «وفور الأجر والثواب للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته» كما تقدم والله أعلم ﴿ وغنى يعطى مالا ﴾ أى قدر حاجة العالم أو العابد ﴿ يصون الوقت ﴾ أى يحفظ وقتهما ﴿ عن الضياع فى الطلب ﴾ أى يحفظ وقتهما عن الضياع فى الطلب أى طلب مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ﴿ ومتعبد له تعالى ﴾ أى المبتدىء فى العبادة والمظهر لها المشير الى انه من أهل السعادة ﴿ فالمحب للشىء محب لمحبه ومحبوبه ﴾ وقد ورد فى الدعاء «اللهم انى اسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك» ﴿ وكذا المبغض ﴾ أى للشىء مبغض لمبغضه ومبغوضه ، وفى الجملة من أحب الله وأحب رضاه ولقاءه اذا أحب غيره كان محبا فى الله لأنه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله ومن هنا قيل: أحب العالم جميعه لأنه خلقه وصوره وأحسن خلقه وقد قال أبو مدين المغربى :

لا تنكر الباطل فى طوره ٭ فانه بعض ظهوراته

وقد قيل: ان المؤمن اذا أحب المؤمن أحب كلبه، وقال مجنون بنى عامر :

امر على الديار ديار ليلى ٭ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وَيَزْدَادَانِ بِقُوَّةِ الطَّاعَةِ . وَالْمَعْصِيَةِ وَيَنْتَقِصَانِ بِضَعْفِهِمَا، فَالْأَدْنَى الْأُخُوَّةُ ثُمَّ الْمَحَبَّةُ . وَهِيَ مَا تَمَكَّنَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ، ثُمَّ الْخُلَّةُ وَهِيَ مَا تَخَلَّلَ

وما حب الديار شغفن قلبي ٭ ولكن حب من سكن الديارا

فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجلالية فليس فى الكون سوى الله ومصنوعاته فمن أحب انسانا أحب صنعته، ولذا كان عليه السلام «اذا حمل عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا» الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته ، وأما فى مقام الشريعة وطريقته فلابد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال : الهى ارنا الأشياء كما هى واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد «أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله» رواه احمد من حديث البراء بن عازب، وورد أيضا «من أحب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان» رواه ابو داود عن أبى امامة ﴿ويزدادان﴾ أى الحب والبغض ﴿بقوة الطاعة﴾ و كثرتها ﴿والمعصية﴾ أى في الحب والمحبوب ﴿وينتقصان بضعفهما﴾ لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما، وحد الحب فى الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله و كذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد :

أريد وصاله ويريد هجرى ٭ فاترك ما اريد لما يريد

وقال سمنون المحب :

فليس لى فى سواك حظ ٭ فكيف ماشئت فاختبرنى

﴿فالأدنى﴾ أى أدنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة ﴿الاخوة﴾ فعن أنس «ماأحدث عبد أخا فى الله عز وجل الا احدث الله عز وجل له درجة فى الجنة» ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان ﴿ثم المحبة﴾ وهى الموجبة لزيادة الصحبة من الآخوة ﴿وهى ماتمكن فى حبة القلب﴾ أى سودائه وخاصة اجزائه وخلاصة اثنائه فعن أنس «ماتحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه» ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ﴿ثم الخلة﴾ بالضم أى الصداقة والمحبة الصادقة ﴿وهى ماتخلل﴾ أى توسط

فى سره ولا شركة فيها، فورد « ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن » بخلاف ماسواها ، فورد « على منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لانبي بعدى » فيصاحب العاقل والحسن الخلق فاشتراطهما مأثور ·

الحب وتداخل امره﴿فى سره﴾بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله﴿ولا شركة فيها﴾ أى فى الخلة لاحد سوى الله بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل فى حب الجميل الجليل﴿فورد ولو كنت متخذا خليلا﴾أى من المخلوقين﴿لاتخذت أبا بكر خليلا﴾ لكونه عندى جليلا ﴿ولكن صاحبكم﴾ يعنى نفسه﴿خليل الرحمن﴾أى وحبيبه فلا تسع فى قلبه خلة غيره ، والحديث رواه احمد والبخارى عن أبى الزبير والبخارى عن ابن عباس بلفظ «لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي وصاحبي» وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى محبته خلل ، وقيل : الذى يوالى فيه ويعادى فيه، وقيل: الخليل هو الحب المحض لشىء دون غيره ولهذا قال عليه السلام : «انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا» الحديث، فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الأنام واستشكل قول أبي هريرة وبعض الصحابة خليلى عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذه خليلا وما نفى ان يتخذه غيره خليلا ﴿بخلاف ماسواها﴾ أى غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة فى كل منهما ﴿فورد﴾أى فى الاخوة وكمال المحبة ﴿على منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدى﴾ رواه أبو بكر المطيرى فى جزئه عن أبى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر «على أخى فى الدنيا والآخرة» ﴿فيصاحب العاقل﴾ والعالم العامل ﴿والحسن الخلق﴾ وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام «يا أباهريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وماحسن الخلق يارسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك» البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابى هريرة اذ لم يسمع منه ﴿فاشتراطهما مأثور﴾ وذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسيىء الخلق اولى واحق ، وقد ورد من حديث أبى هريرة برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال : صحيح ان شاء الله «المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل» فلا بد ان يتميز بصفات يرغب

وَالْقَانِعَ فَصُحْبَةُ الْحَرِيصِ سُمٌّ قَاتِلٌ وَالصَّالِحَ فَالْفَاسِقَ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ ،

بسببها فى صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال، وعن على كرم الله وجهه:
لاتصحب اخا الجهل فاياك واياه، فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه * يقاس المرء بالمرء
اذا ماهوماشاه، وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه، وللقلب على القلب دليل حين يلقاه *
كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق احب
الى من ان يصحبنى قارىء سيء الخلق، أقول وذلك لأنه اذا غلب عليه غضب أو شهوة أو بخل
أو جبن أطاع هواه فى ذلك فيعاملك بمقتضى ماغلب عليه من الأخلاق هنالك فاذا غلب عليه
غضب اجترأ عليك أو شهوة آثر نفسه عليك أو بخل قطع بك أحوج ما يكون اليك
أو جبن لم ينصرك بل ضرره يردعليك ﴿والقانع﴾ أى يصاحبه ﴿ فصحبة الحريص
سم قاتل ﴾ أى يسرى من حيث لايدرى ﴿والصالح﴾ أى ويصاحب المتقى فعن أبى ذر
مرفوعا «الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة» رواه الحاكم
﴿فالفاسق﴾ وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة ﴿يستحق المقت﴾ وهو الغضب
وهو ينافى الحب فقد قال الحسن: مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال: يحب الفاسق
لأجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لابد من عدم قربانه، ثم المبتدع أولى بان
يجتنب فى صحبته سراية البدعة ، وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض أهل
المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا: ياروح الله
فمن نجالسه؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن
يرغبكم فى الآخرة عمله وقد قال على رضى الله عنه رجزا :

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: لاتصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من أمر دينك
أو رجلا تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصحبة على
المنفعة فورد «مثل الأخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى وما التقى
مؤمنان قط الا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا» رواه السلمى فى آداب الصحبة
والديلمى عن أنس، وفى الخبر «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه
ضيعته ويحوطه من ورائه» أبو داود عن أبى هريرة أى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه

حالته،وقوله «المؤمن مرآةالمؤمن» أي يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة،وقال الشافعي:من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره ويوقفه على ذنوبه سرا ، وأما أهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق جوارحهم بفضائحهم بين العباد،وقيل:الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لا يستغنى عنه والثانى مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاانس فيه ولا نفع منه ، وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه:يابنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها، اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولتما أمرا أمرك واذا تنازعتما آثرك، قال ابن اكثم قال لى المأمون فاين هذا؟فقيل له اتدرى لم أوصاه بذلك؟قال:لا قال لأنه أراد أن لا تصحب احدا هنالك،هذا وعن الحسن بن على لا يغرنك قول من يقول:المرء مع من أحب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم أقول: وربما يقال: ان الكفر حجبهم ومنعهم وأما الايمان فيرجى أن يجمعهم فورد«من أحب قوما حشر معهم» كما أورده الحاكم وقد يقال:محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من أبنائهم ، ولذا ورد من أحب أن يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله تعالى رواه الطبرانى عن أبى هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع:انى لأحبك فى الله فقال احبك الذى أحببتنى لأجله ثم حول وجهه وقال: اللهم انى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض،وفى الجملة كما ورد«الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم من حديث أبى هريرة.والبخارى تعليقا من حديث عائشة،ورواه الطبرانى فى الأوسط عن على «ان الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتشام »وعنه عليه السلام «ان ارواح المؤمنين لتلتقى على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه » أحمد من حديث عبد الله بن عمرو فالجنسية علة الضم فروى « ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت:اين نزلت ؟ فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « الأرواح جنود مجندة » الحديث رواه الحسن بن سفيان فى مسنده، وعنه عليه السلام « لو ان مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه » البيهقى فى الشعب موقوفا على ابن مسعود، ومن هنا قيل: ان لله ملائكة تجر الاهل الى الأهل، ويشير اليه قوله تعالى: (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) وقال بعض الحكماء: كل انسان يأنس الى شكله كما أن كل طير يطير مع مثله، واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا في الاستقبال، ورأى بوماغرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما اعرجان فقال: من هنا اتفقا، هذا وقد اختلف طرق السلف فى اظهار البغض مع أهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه الى غيره فاما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الاكابر فى أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين فى قوله انى لاأسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان الى شيئا لاخذته، وهجر الحارث المحاسبي فى تصنيفه للرد على المعتزلة وقال: انك اولا تورد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم، وهجر ابا ثور فى تأويله قوله عليه السلام كما فى مسلم من حديث أبى هريرة « ان الله خلق آدم على صورته » كذا ذكره فى الاحياء ولم يبين تأويله فقيل على صفته الجمالية والجلالية أو على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير فى صورته لآدم والله أعلم، والحاصل ان مختار الامام أحمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات كالآيات المتشابهات نؤمن لمبناها ولا نتعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها، واما الجمهور فما اختاروا مهاجرة أهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الأمر فى زمانه عليه السلام وايام أصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول فيه ويظهر البغض اليه والى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الأمة فانهم اتباع نبى الرحمة، ومما يدل على تخفيف الامر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ما روى البخارى من حديث أبى هريرة « ان شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام: لاتكن عونا للشيطان على أخيك »

وَيقدِّمُ حاجتَهُ فى المَالِ وَالنَّفسِ وَهوَ الأَوْلى ثُمَّ التَّسْوِيَةُ ، ثُمَّ التَّأْخيرُ وإنْ عُدِمَ هذا فلا إخاءَ وَالأَوْلانِ مأثُورَانِ ، وورَدَ «مامِنْ صَاحبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِن نهارٍ إلاَّ سُئلَ عَنْ صُحْبَتِه هَلْ أَقَامَ فيه حَقَّ الله تَعَالى أوأَضَاعَه حِينَ أَعْطَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَقْوَمَ المِسْوَاكَيْنِ إلى المُصَاحِبِ وَهوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يارَسُولَ اللهِ » أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ *

﴿ ويقدم حاجته ﴾ أى حاجة أخيه ﴿ فى المال ﴾ أى اعطائه ﴿ والنفس ﴾ أى حظها ﴿ وهو ﴾ اى التقديم ﴿ الاولى ﴾ أى لانه المقام الأعلى لقوله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أى مجاعة، ولقد كان بعض الانصار ممن آخى النبى ﷺ بينه وبين احد من المهاجرين انه اعطاه أحسن داريه وأثمن بستانيه واحسن امرأتيه، وقال ابن عمر اهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخى فلان احوج منى فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة، وقيل أربعون ﴿ ثم التسوية ﴾ أى المساواة فى المال بينه وبين اخيه على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك فى اهلك ومالك رواه البخارى من حديث أنس ﴿ ثم التأخير ﴾ أى تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شىء فليصرفه الى أخيه ﴿ وان عدم هذا ﴾ أى الاخير وهو التأخير ﴿ فلا اخاء ﴾ بل هو فى مقام التقصير ﴿ والاولان ﴾ أى التقديم والتسوية ﴿ مأثوران ﴾ أى مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا ﴿ وورد مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى أو أضاعه ﴾ وفى نسخة أم أضاعه ﴿ حين اعطى ﴾ أى ورد الحديث المتقدم حين اعطى ﴿ عليه السلام اقوم المسواكين ﴾ اى اعدلهما ﴿ الى المصاحب وهو أبو بكر الصديق وقال انت أحق به يارسول الله ﴾ فقال ماقال وفى الاحياء ان اقتداء الكل فى الايثار برسول الله ﷺ فانه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يارسول الله كنت أحق بالمستقيم منى فقال مامن صاحب» الحديث قال مخرجه لم أقف له على أصل أقول لكن رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره ﴿ امرهم شورى بينهم ﴾

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَكَانُوا لَا يُمَيِّزُونَ أَمْلَاكَهُمْ، وَيَظْهَرُ الْبَشَاشَةَ فِيهِ وَالسُّرُورَ. وَيَقْبَلُ الْمِنَّةَ ، وَلَا يُحْوِجُهُ إِلَى السُّؤَالِ، فَهُوَ تَقْصِيرٌ ،

ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي كانوا اخلطاء في الأموال لايميز بعضهم رحله عن بعض، وكان فيهم من لا يصحب من قال: نعلي لانه اضافه الى نفسه ﴿ وكانوا لا يميزون املاكهم ﴾ كما حكى عن ابراهيم بن شيبان كنا لانصحب من يقول نعلي، وقال أبو محمد القلانسي وكان استاذ الجنيد : صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني فقلت مرة لبعضهم: اين ازاري؟ فسقطت من أعينهم ومن هناقيل الصوفي لايملك ولا يملك فهو كالملك ﴿ ويظهر البشاشة فيه ﴾ أي في انفاق صاحبه ﴿ والسرور ﴾ أي الفرح بسببه فقد جاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال: ان صدقت فانت حرة سرورا بمافعل وذلك لانه دل على صداقته كما حقق في قوله تعالى (أو صديقكم) وقال تعالى :(او ماملكتم مفاتحه) وكان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الآية (واذن لهم) في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء ﴿ ويقبل المنة ﴾ أي على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء رجل الى أبي هريرة وقال: اني أريد أن أواخيك في الله فقال : أتدري ماحق الاخاء؟ قال عرفني قال ان لاتكون أحق بدينارك ودرهمك مني فقال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني، وقال علي بن الحسين لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه ؟ قال لا قال فلستم باخوان ، وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال له: أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك قال لا قال أعجبني صدقك ﴿ ولا يحوجه ﴾ أي أخاه ﴿ الى السؤال ﴾ أي أصل الطلب أو مقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال ﴿ فهو ﴾ أي الاحواج إلى السؤال ﴿ تقصير ﴾ في مقام الكمال فان أدنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند السؤال، وقد قال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فاقول: اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الى كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت له: أحتاج الى شيء فقال كم تريد؟ فخرجت حلاوة اخائه من قلبي، وقال بعضهم اذا طلبت من أخيك مالا فقال : ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الاخاء، قال بعضهم : اذا

وَيَتَوَدَّدُ بِاللِّسَانِ وَيَتَفَقَّدُ الْأَحْوَالَ. وَيُظْهِرُ الْمُشَارَكَةَ مَعَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى فان لم يقضها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات واقرأ هذه الآية (والموتى يبعثهم الله) وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله، وكانوا لا يفقدون من أبيهم الا غيبته بل كانوا يرون منه مالا يرون من أبيهم فى حياته، وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة؟ فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه، وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته، وكان الحسن يقول: اخواننا أحب الينا من أهلينا وأولادنا لان أهلينا يذكرونا بالدنيا واخواننا يذكرونا بالعقبى ﴿ ويتودد باللسان ﴾ أى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد «رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر» الطبرانى فى الاوسط عن على بن الحسين عن أبيه عن جده فقال أنس: «كان عليه السلام لا يواجه أحدا بشىء يكرهه» رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد «ان الدين النصيحة» فمن قنع بالسكوت صحب أهل القبور فى البيوت، وينبغى أن تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة كما ورد «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر تقله» وانشد:

أتمنى على الزمان محالا ... ان ترى مقلتاى طلعة حر

فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى فى المنى، وفى الصحيحين «لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا» فالتجسس بتطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة أهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد «يامن أظهر الجميل وستر القبيح». ﴿ ويتفقد الأحوال ويظهر المشاركة معه فى السراء والضراء ﴾ فورد «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» رواه الشيخان، وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء وقال: هكذا الاخوان فى الله يعملان لله فاذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وفى المثل لولا الوئام لهلك الأنام، وقد

وَيدعوه بأحب الأسماء، وورد «إذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله» وكان عليه السلام يدعوهم بالكنى «ويثني عليه وعلى أهله» صادقاً مقتصداً بحيث يبلغ إليه فهو يؤكد المحبة وينبه على العيوب متلطفاً في الخلاء

ورد «المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله» أحمد. ومسلم عن النعمان بن بشير، ولا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل كمثل ماترى له ﴿ويدعوه باحب الاسماء﴾ أى أسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ﴿وورد اذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله﴾ رواه البيهقى عن ابن عمر ولفظه «اذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته» وفى رواية ابن سعد والبخارى فى تاريخه والترمذى عن يزيد بن نعامة الضبى بلفظ «اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه أوصل بالمودة - وعن هو - اى من أى قوم أو قبيلة هو» ﴿وكان عليه السلام﴾ يدعوهم أى أصحابه الكرام ﴿بالكنى﴾ اذا كانوا معروفين بالكنيه كأبى بكر ونحوه حتى قال يا أبا عمير ما فعل النغير ﴿ويثنى عليه﴾ أى على أخيه ﴿وعلى أهله﴾ أى من أبيه وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيئة وعقله وجميع ما يفرح به حال كونه ﴿صادقا﴾ فى قوله ﴿مقتصدا﴾ أى متوسطا فى مدحه لا مقصرا ولا مفرطا فى وصفه ويكون معلنا به ﴿بحيث يبلغ اليه فهو يؤكد المحبة﴾ أى يزيدها لديه ﴿وينبه على العيوب﴾ أى الناشئة من الذنوب ﴿متلطفا﴾ فى بيانها ﴿فى الخلاء﴾ خوفا من الفضيحة فى الملاء فورد «المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه» ابن منيع عن أبى هريرة، وقد قيل لمسعر: تحب من يخبرك بعيوبك فقال: ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وان قرعنى فى الملأ فلا، وعن عمر رضى الله عنه «رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى» وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى مما تكره؟ فاستعفى فالح عليه فقال: بلغنى ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر: اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا، وكتب حذيفة المرعشى إلى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم

فَفِي الْمَلَاءِ إِفْضَاحٌ وَفِيهِ الْوَعْدُ بِعِقَابِهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْكُتُ إِنْ عَلِمَ عِلْمَهُ بِهِ وَعَدَمَ انْتِفَاعِ النُّصْحِ لِكَوْنِهِ مَأْسُورَ الطَّبْعِ، وَالْقَطْعُ حِينَئِذٍ أَسْلَمُ وَالْإِبْقَاءُ أَقْرَبُ لِرَجَاءِ تَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فِيهِ، فَوَرَدَ «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ الْمِسْكِ» وَلِأَنَّ الْقَطْعَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِخِلَافِ الِابْتِدَاءِ فَتَرْكُهُ مَأْمُورٌ بِهِ وَيَتَجَاهَلُ عَنْ تَقْصِيرِهِ إِلَّا إِذَا أَدَّى الِاسْتِمْرَارُ إِلَى الْقَطْعِ فَالْأَوْلَى الِاحْتِمَالُ

هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال:هو لك و كان يعرفك ﴿ فى الملاء افضاح ﴾ أى اشاعة فيها فضاحة وايضاح ﴿ وفيه ﴾ أى فى الافضاح ﴿ الوعد بعقابه تعالى الى يوم القيامة ﴾ لقوله سبحانه :(ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه ﴿ ويسكت ان علم علمه به ﴾ أى بعيبه ﴿ وعدم انتفاع النصح ﴾ أى بسببه ﴿ لكونه مأسور الطبع ﴾ لا مقهور الشرع ﴿ والقطع حينئذ ﴾ أى قطع مصاحبته ﴿ اسلم ﴾ بل انسب ﴿ والابقاء ﴾ اى ابقاء اخوته ﴿ اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه ﴾ فيقبل النصيحة بعده وقيل القطع أولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا ﴿ فورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ﴾ البخارى عن أبى موسى ولفظه «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك و كير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه أو تجد ريحه و كير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة» ﴿ ولان القطع منهى عنه ﴾ أى فى الانتهاء لحديث «من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه» أحمد فى مسنده ﴿ بخلاف الابتداء فتركه مأمور به ﴾ لئلا يقع فى البلاء بحديث «لا تصاحب الا مؤمنا » أى كاملا أحد وغيره ﴿ ويتجاهل عن تقصيره ﴾ أى فى خدمته أو صحبته قال الاحنف : حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم اللذة وظلم الهفوة ﴿ الا اذا أدى الاستمرار الى القطع ﴾ أى جواز مقاطعته ﴿ فالاولى الاحتمال ﴾ وهو مختار أهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر الى الانقطاع فقال:اذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله ، وأما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال أبو الدرداء:اذا تغير أخوك وحال عما كان عليه

ثُمَّ الْعِتَابُ فِى السِّرِّ وَالْكِتَابَةُ بِالْكِنَايَةِ، ثُمَّ التَّصْرِيحُ ثُمَّ الْمُشَافَهَةُ إِذِ الْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ النَّفْسِ بِرِعَايَةِ الْحَقِّ وَتَحَمُّلِ الْأَذَى · وَيَقْبَلُ الْمَعْذِرَةَ . فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ،

فلا تدعه لاجل ذلك فان أخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى، وفى الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته » البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو ابن عوف المزنى ﴿ ثم العتاب فى السر ﴾ حكى عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال: احوج ما كان الى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته ان آخذ بيده واتلطف له فى المعاتبة على المخالفة وادعوله بالعود الى ما كان عليه من الموافقة ﴿ والكناية بالكتابة ثم التصريح ﴾ أى فى السر والكناية والاظهر ان السر فى السر والعلانية فى العلانية ففى حديث عمر وقد سئل عن أخ كان آخاه خرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال: مافعل اخى. فقال ذاك اخو الشيطان قال: مه قال: انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال: اذا أردت الخروج فآذنى فكتب عمر عند خروجه اليه (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ذى الطول لا إله الا هو اليه المصير) ثم عاتبه تحت ذلك وعزله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصحلى عمر فتاب ورجع ﴿ ثم المشافهة ﴾ أى ان كان غائبا ولم يتعظ بصريح المكاتبة فى المعاتبة ﴿ اذ المقصود ﴾ أى الاصلى ﴿ اصلاح النفس برعاية الحق ﴾ أى حق المصاحبة ﴿ وتحمل الأذى ﴾ على رجاء المراجعة فقد قيل لابى الدرداء: الا تبغض اخاك وقد فعل كذا؟ فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالى : (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) حيث لم يقل انى برىء منكم مراعاة لحق القرابة واخوة الدين آكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم : ايما أحب اليك اخوك أو صديقك فقال: انما أحب اخى اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لاتحتاج الى القرابة ﴿ ويقبل المعذرة ﴾ أى وجوبا ﴿ فعلى من لم يقبلها مثل اثم صاحب المكس ﴾ وهو الذى يأخذ المال ظلما من التاجر كالعاشر، وقد ورد « من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب المكس » رواه ابن ماجه وأبو داود فى المراسيل من حديث جودان، واختلف فى صحبته وباقى رجاله ثقات ، ورواه الطبرانى

وَيَدْعُو لَهُ فَيُسْتَجَابُ فِيهِ مَالَا يُسْتَجَابُ لِنَفْسِهِ وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَيَحْفَظُ الْوَفَاءَ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْمَحَبَّةِ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِهِ . وَإِخْوَانِهِ فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِيهِ فَيُحِبُّونَ كَلْبَ الْحَبِيبِ ، وَوَرَدَ « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ حِينَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَجُوزًا » وَالْأَصْلُ تَسْوِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْغَيْبَةِ وَالْحُضُورِ . وَلَا يُغَيِّرُ الْحَالَ

فى الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف ، هذا وقد قيل: ينبغى ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عـذرا فان لم يقبـله قلبك فردا للوم على نفسك وقل لقلبك : ما اقساك يعتذر اليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبـله فانت المعيب لا أخوك ﴿ ويدعو له ﴾ أى فى الحضور والغيبة ﴿ فيستجاب فيه ﴾ أى فى حق أخيه ﴿ مالا يستجاب لنفسه ﴾ فعن عبد الله بن عمرو « ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » أبو داود والترمذى، وعن أبى الدرداء « دعوة الأخ لأخيه مستجابة » رواه مسلم ﴿ وله مثل ذلك ﴾ فى صحيح مسـلم من حـديث أبى الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك ﴿ ويحفظ الوفاء ﴾ أى وفاء العهد قال تعالى : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) ﴿ بالثبات على المحبة معه ومع أهله واخوانه ﴾ أى فى حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه ﴿ فكانوا ﴾ أى السلف ﴿ يبالغون فيه ﴾ كما تقدم، وورد « قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير فى الحياة » ﴿ فيحبون كلب الحبيب ﴾ أى مراعاة لقلب الحبيب ويشير اليه قوله سبحانه (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ولله در القائل:

رأى المجنون فى البيداء كلبا ... فمد له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منـه ... وقالوا لم منحت الـكلب نيلا
فقال دعوا الملامة ان عينى ... رأته مـرة فى حى ليـلى

﴿ وورد انها ﴾ أى العجوز ﴿ كانت تأتينا أيام خديجة وان كرم العهد ﴾ أى حسنه وبقاءه ﴿ من الايمان ﴾ أى كماله ﴿ حين ﴾ أى ورد حين ﴿ أكرم عليه السلام عجوزا ﴾ أى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال : انها الحديث ﴿ والأصل ﴾ أى فى حقوق الصحبة ﴿ تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور ﴾ والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يـكون مرائيا منافقا ﴿ ولا يغير الحال ﴾ أى من التواضع فى الفعل والقال

عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَدْرِ فَهُوَ مِنَ اللُّؤْمِ . وَلَا يَنْفَرِدُ عَنْهُ فِي أَكْلِ اللَّذِيذِ. وَحُضُورِ السُّرُورِ وَيَسْتَوْحِشُ عِنْدَ فِرَاقِهِ وَيُسَاعِدُهُ إِلَّا فِيمَا يُخَالِفُ الْحَقَّ فَالْوَفَاءُ فِيهِ هُوَ الْخِلَافُ . وَيُشَاوِرُهُ . وَلَا يَحْفَظُ السِّرَّ عَنْهُ وَلَا يُحِبُّ عَدُوَّهُ لِئَلَّا يَكُونَ *

﴿عند ارتفاع القدر﴾ أى باتساع الجاه أو زيادة المال ﴿فهو من اللؤم﴾ أى الدناءة والخساسة وأصل اللؤم ضد الكرم ، ولقد قال بعض أرباب الكمال:

ان الكرام اذاما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يابنى لاتصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك، وحكى الربيع أن الشافعى آخى رجلا ببغداد ثم ان أخاه ولى السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والآخر فى ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعى هذه الأبيات اليه :

اذهب فودك من ودادى طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقتين فى حيضين
فاذا الثلاث اتتك منى بتة لم يغن عنك ولاية السيبين

﴿ولا ينفرد عنه فى أكل اللذيذ﴾ وكذا شربه وفى لبسه بل ينبغى أن يؤثره على نفسه ﴿ وحضور السرور ﴾ لانه بحضوره يحصل نور على نور ﴿ ويستوحش ﴾ أى يحزن ﴿عند فراقه﴾ أى لكمال اشتياقه اليه وقد قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها ۞ سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

اى سهلة الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقرانا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ماتخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبي وانشدت عائشة رضى الله عنها :

۞ ذهب الذين يعاش فى اكنافهم ۞ البيت ﴿ ويساعده ﴾ أى يوافقه فى الأمور ﴿ الا فيما يخالف الحق ﴾ فقد ورد « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » أحمد والحاكم عن عمران وفى الصحيحين عن على « لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف » وفى رواية أحمد عن أنس « لا طاعة لمن لم يطع الله » ﴿ فالوفاء ﴾ أى الوفاق ﴿ فيه ﴾ أى فى الخلاف ﴿هو الخلاف﴾ أى الشقاق ﴿ ويشاوره ﴾ لقوله تعالى : (وامرهم شورى بينهم) ﴿ ولا يحفظ السر عنه ﴾ حيث لا يخاف الشر منه ﴿ ولا يحب عدوه لئلا يكون

شَرِيكًا لَهُ فِي الْعَدَاوَةِ وَيُخَفِّفُ بِتَرْكِ التَّكَلُّفِ وَالتَّكْلِيفِ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ وَغَيْرِهَا كَنَوَافِلِ الْعِبَادَةِ تَرْكًا وَإِتْيَانًا ،

شريكا له فى العداوة ﴾ أى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه ، قال الشافعى: اذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك ﴿ ويخفف ﴾ أى ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة ﴿ بترك التكلف ﴾ أى فى نفسه ﴿ والتكليف ﴾ لصاحبه ﴿ فى اداء الحقوق وغيرها ﴾ والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوم شريعة قال بعض الحكماء: تمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه ، ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الأدب ، وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى اعتذار فى حالاته ، وقال الفضيل: انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ، وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ ، وعن جعفر بن محمد أثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى ، والحاصل انه لا ينبغى ان يكلف اخاه ما يشق عليه فى حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى فى تقوية يقينه ، وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر: لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود فى ميدان الشهود ﴿ كنوافل العبادة تركا واتيانا ﴾ أى فعلا قال الامام حجة الاسلام: ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض فى نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربعة معان ان أكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة ، وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ، ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولى نور الدين على المتقى فى هامش

فَوَرَدَ «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَاءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ» وَيَرْفَعُ الْآدَابَ عِنْدَ تَمَامِ الاتِّحَادِ

فَالْمَقْصُودُ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَالْأَدَبُ عُنْوَانُهُ، وَيَزُورُ غِبًّا ، فَوَرَدَ «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»

إِلَّا أَنْ يَأْمَنَ مِنَ الْمَلَالِ وَيَنْوِي فِيهِ الاسْتِئْنَاسَ بِاللِّقَاءِ وَالاسْتِعَانَةَ عَلَى الدِّينِ ،

هذا الكتاب الموجز النقي: اعلم ان الله تعالى خفف على عباده فى عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف فى اصل التكليف يعنى اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا تكلف عليه ولا مؤاخذة لديه، وثانيهما فى وصفه من التكلف لجواز صلاة النفل حالة القعود مع القدرة والركوب متوجها الى أى جهة ونحوها فينبغي للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف فى حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف فى عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلخ والطبخ وقال الآخر: على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما فى شرطه بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكلف متروك فى النفل واذا أتى باصل الفعل ولكن أتى بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا أو قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك أيضا وعلى هذا القياس ينبغى فى جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة الصعبة، فلله در المؤلف حيث أتى بهذه العبارة الوجيزة فى مبانيها مع كثرة معانيها ﴿ فورد انا واتقياء أمتى براء من التكلف ﴾ الدار قطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه « الا انى برىء من التكلف وصالحو امتى» واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى :(قل ما أسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف فى امره وكذا الحكم فى فعله ﴿ ويرفع الآداب ﴾ أى من القيام والاعتذار ونحوهما مع أهل الوداد ﴿ عند تمام الاتحاد ﴾ فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الآداب ﴿ فالمقصود صفاء القلب ﴾ مع احباب الرب ﴿ والادب ﴾ أى الظاهر ﴿ عنوانه ﴾ فاذا عرف أصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب ﴿ ويزور ﴾ أى صاحبه ﴿ غبا ﴾ أى يوما بعد يوم أو وقتا بعد وقت ﴿ فورد زرغبا تزدد حبا ﴾ لحصول الاشتياق الى الوصال ﴿ الا أن يأمن من الملال ﴾ أى الموجب للقطع فى الاستقبال ﴿ وينوى فيه ﴾ أى فى التزاور ﴿ الاستيناس ﴾ أى طلب الانس ﴿ باللقاء ﴾ أى لقاء أهل اليقين ﴿ والاستعانة على الدين ﴾ كما هو

وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ تَعَالَى بِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَتَحَمُّلُ الْمُؤْنَةِ وَيُسَلِّمُ عَلَى الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَقِيَهُ مِرَارًا أَوْ حَالَتْ شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ نَاوِيًا تَجْدِيدَ عَهْدِ الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يُؤْذَى فِي عِرْضِهِ وَمَالِهِ قَبْلَ الْكَلَامِ، فَوَرَدَ « مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِبْهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ »

شأن المجتهدين ﴿ والتقرب اليه تعالى باقامة الحق ﴾ أى حق الاخوة والصحبة ﴿ وتحمل المؤنة ﴾ أى كلفة الالفة، فى مسند احمد وغيره عن ابن عمر « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم افضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم » وفى رواية الدار قطنى عن جابر « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير الناس انفعهم للناس » وقد قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية هذا وجاء فى الخبر « ان الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى » أحمد من حديث عمرو بن عنبسة وعبادة بن الصامت والحاكم وصححه، وعن أنس « مازار رجلا فى الله الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة » رواه ابن عدى والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « من عاد مريضا أو زار اخا فى الله ناداه منادمن السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » وعنه عليه السلام « ان رجلا زار أخاله فى الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد ؟ فقال أريد ان أزور اخى فلانا فقال أ لحاجة لك عنده ؟ قال لا قال ألقرابة بينك وبينه ؟ قال لا قال فلنعمة له عندك ؟ قال لا قال فبم قال احبه فى الله قال فان الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة ﴿ ويسلم على المسلم ﴾ صغيرا او كبيرا غنيا أو فقيرا الحديث « افشوا السلام واطعموا الطعام » الترمذى عن أبى هريرة، وفى رواية الحاكم عن أبى موسى « افشوا السلام بينكم تحابوا » وفى رواية البيهقى من حديث هانىء بن يزيد « ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » ﴿ وان لقيه مرارا ﴾ أى مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام « حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه » رواه مسلم ﴿ او حالت شجرة أو جدار ﴾ و كذا اسطوانة ﴿ ناويا ﴾ أى بهذا السلام ﴿ تجديد عهد الاسلام ﴾ أى ب ﴿ ان لا يؤذى ﴾ بصيغة المعلوم أو المجهول ﴿ فى عرضه وماله ﴾ أى وسائر أحواله ﴿ قبل الكلام ﴾ متعلق بيسلم أى يأتى بالسلام قبل ان يشرع فى الكلام فانه تحية أهل الاسلام حتى في دار السلام ﴿ فورد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه ﴾ أى لا ترد عليه الكلام ﴿ حتى يبدأ بالسلام ﴾

وَعند الدُّخول فى بيته وبيت غيره لئَلاَّ يدخل الشَّيطَان معه وهو مأمور به، وَإن كَانَ خَاليًا فتحيته السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين فالملائكة ترده والدُّخول فى قوم والخروج عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير، ويبدأ به فهو المروى

أى ويترك الابتداء بالكلام، والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ولفظه « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه » ﴿ وعند الدخول فى بيته ﴾ أى يسلم على اهله فللترمذى عن أنس انه قال عليه السلام « له اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك » ﴿ وبيت غيره ﴾ أى كذلك ﴿ لئلا يدخل الشيطان معه ﴾ لحديث جابر « اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » الخرائطى فى مكارم الاخلاق ﴿ وهو مأمور به ﴾ أى فى قوله تعالى: (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى على جنسكم من المسلمين ﴿ وان كان ﴾ أى البيت ﴿ خاليا ﴾ وهو اعم من بيته وبيت غيره ﴿ فتحيته ﴾ أى حينئذ يكون بلفظ ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة ﴾ أى الحفظة أو الكتبة ﴿ ترده ﴾ فانهم من جملة عباد الله الصالحين ﴿ والدخول ﴾ أى ويسلم عند دخوله ﴿ فى قوم ﴾ أى على قوم وهو ظاهر متعارف ﴿ والخروج ﴾ أى ويسلم أيضا عند خروجه ﴿ عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير ﴾ أى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول للملاقاة والثانى للموادعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه: (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) ولابى داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة « اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرى » ﴿ ويبدأ به ﴾ أى بالسلام ﴿ فهو المروى ﴾ أى عنه عليه السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل، وفى نسخة «يبدر» وفى مسند احمد عن أبى امامة « من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله » وقد قال العلماء: ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء الفرض، وقد ورد « اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملأ خير منهم واطيب » البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار عنه مرفوعا « السلام اسم من اسماء الله تعالى وضعه الله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم »

وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى جَمْعِ النِّسَاءِ وَيَرُدُّ عَلَيْهِنَّ وَلَا عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَنَحْوِهَا فَلَا يُكَلِّمُ فِيهَا . وَلَا اللَّعِبِ بِالشِّطْرَنْجِ وَنَحْوِهِ إِهَانَةً . وَلَا يَرِدُ فِيهَا . وَيَزِيدُ فِي الْجَوَابِ ، فَوَرَدَ (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) وَالْأَوْلَى بِالْبَدَاءَةِ الدَّاخِلُ وَالْمَاشِي وَالرَّاكِبُ وَالصَّغِيرُ وَالْقَلِيلُ ،

الحديث ﴿ ولا يسلم على جمع النساء ﴾ أى من الاجانب ﴿ ويرد عليهن ﴾ أى اذا سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع فى الريبة، وكان أنس يمر على الصبيان فيسلم ويروى عن رسول الله ﷺ انه فعل ذلك رواه الشيخان ، وفى النسائى عن أنس « انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم» ﴿ ولا ﴾ أى ولا يسلم ﴿ عند تلاوة القرآن ﴾ أى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه ﴿ والأذان ﴾ لاشتغال المؤذن والمجيب به ﴿ وقضاء الحاجة ونحوها ﴾ أى من الحمام و كشف العورة وحالة الجماع ﴿ فلا يكلم فيها ﴾ أى مطلقا فضلا عن السلام ورده، وعن ابن عمر «أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه» ﴿ ولا اللعب ﴾ أى ولا يسلم عند اللعب ﴿ بالشطرنج ﴾ أى على لاعبه ومن معه من صاحب ﴿ ونحوه ﴾ أى النرد ومجالس الشرب وآلات الغناء وأمثالها ﴿ اهانة ولا يرد فيها ﴾ أى فى المذكورات التى لا يسلم فيها ﴿ ويزيد فى الجواب ﴾ أى بطريق الاستحباب ﴿ فورد وإذا حييتم بتحية ﴾ أى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم ﴿ فحيوا بأحسن منها ﴾ أى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ﴿ أو ردوها ﴾ أى قولوا فى جوابها مثلها ﴿ والاولى بالبداءة ﴾ أى بابتداء السلام ﴿ الداخل ﴾ على المدخول عليه ﴿ والماشى ﴾ على القاعد ونحوه ﴿ والراكب ﴾ على النازل ﴿ والصغير ﴾ على الكبير ﴿ والقليل ﴾ على الكثير ، ففى الصحيحين عن ابى هريرة « يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما من أحد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته » رواه الستة عن عائشة أو « وعليك وعليه السلام » رواه النسائى عن أنس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء بالأول والجمع بينهما أفضل وأو للتنويع فى اختلاف الرواية ، وفى الاذكار يعنى اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول: يسلم عليك فلان يجب عليه أن يرد على

وَ وَرَدَ « إِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَجْزَأَ عَنْهُمْ » وَلَا يُشِيرُ بِالْأَصْبِعِ وَالْأَكُفِّ فَهُوَ عَادَةُ الْكُفَّارِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَلَا يَخُصُّ الْمَعَارِفَ ،

الفور ويستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول وعليك وعليه السلام، ثم الافضل أن يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام أيضا، وأما الجواب فاقل الاستحباب وعليك السلام أو وعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله » انتهى ، وفيه دليل على أن السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط أن يكون احدهما بعد الآخر فلا تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر ﴿ وورد اذا سلم واحد من القوم أجزأ عنهم ﴾ مالك في الموطأ عن زيد بن اسلم مرسلا ، ولابي داود من حديث علي يجزيء عن الجماعة اذا مروا ان يسلم أحدهم ويجزيء عن الجلوس أن يرد أحدهم فعلم أن السلام سنة كفاية كان جوابه فرض كفاية ، وفي الديلمي عن علي السلام تطوع والرد فريضة ﴿ ولا يشير بالاصبع والاكف فهو عادة الكفار ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿ منهي عنه ﴾ ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالأصبع وتسليم النصارى الاشارة بالكف » وفي رواية أبي يعلى وغيره عن جابر « تسليم الرجل باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » والمعنى انه لا يكتفى بها عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام لزيادة الاعلام أو لبعد المقام أو لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا بأس به الا انه لابد من اسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام أو رده والاكتفاء باشارة بعض الاعضاء من اليد أو الرأس، ويؤيده حديث عبد الحميد ابن بهرام انه عليه السلام « مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فالوى بيده بالتسليم أي مقرونا به وأشار عبد الحميد بيده » رواه الترمذي وقال حسن وقال احمد لا بأس به ورواه أبو داود وابن ماجه من وجه آخر ﴿ ولا يخص المعارف ﴾ بالتسليم

فَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ. وَلَا يَبْدَأُ بِعَلَيْكَ السَّلَامُ فَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ. وَيُصَافِحُ لَاسِيَّمَا الْكُبَرَاءَ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ، وَوَرَدَ «فِيهَا قُسِمَتْ مِائَةُ مَغْفِرَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِأَحْسَنِهِمَا بِشْرًا»

بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم ﴿ فهو ﴾ أى تخصيص المعارف بالسلام ﴿ من اشراط الساعة ﴾ اى علاماتها التى من جملتها قلة العلم و كثرة الجهل ﴿ ولا يبدأ بعليك السلام فهو تحية الميت ﴾ أى يجوز ان يقال له ذلك و يقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام قال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقى أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم و رحمة الله وبركاته » رواه الترمذى والنسائى فى اليوم و الليلة. وقال الترمذى: حسن صحيح ﴿ ويصافح ﴾ أى صاحبه من المتقين ﴿ لاسيما الكبراء فى الدين ﴾ من العلماء والأولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لا السلاطين والأمراء والوزراء ﴿ فهو ﴾ أى التصافح ﴿ من تمام التحية ﴾ وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة، وعن أبى هريرة مرفوعا « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو عند الترمذى من حديث أبى امامة وضعفه ﴿ وورد فيها ﴾ أى فى المصافحة ﴿ قسمت مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا ﴾ فعن أبى هريرة « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مساءلة باخيه » الطبرانى فى الأوسط، وعن أنس « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا » الخرائطى بسند ضعيف، وعن عمر مرفوعا « اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة » البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له و البيهقى فى الشعب وقد ورد « قبلة المسلم اخاه المسلم المصافحة » الخرائطى و ابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ، والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولا بأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركا به وتوقيرا له فعن عمر « قبلنا يد النبى ﷺ » أبو داود بسند حسن، وعن كعب بن مالك « قال لما نزلت توبتى اتيت النبى ﷺ وقبلت يده » أبو بكر ابن المقرى فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف وروى « ان اعرابيا قال يارسول الله

وَ يجعلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ . ولَا يدعُ حتَّى يدعَ صَاحِبهُ فهُوَ السُّنَّة لَا مِنْ وَرَاءِ الثَّوْبِ فَهُوَ جَفَاءٌ مِنْ عَادَةِ الْكُفَّارِ وَ يعانِقُ الْقَادِمَ . وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ لِلتَّوْقِيرِ . وَيوسعُ الْمَجْلِسَ

ائذن لي فاقبل رأسك ورجليك قال فاذن له ففعل» الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد، وعن البراء بن عازب « انه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال: يارسول الله ما كنت أرى هذا الا من أخلاق الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت ذنوبهما » الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » ﴿ ويجعل الاصابع في الاصابع ﴾ أي أصابعه في اصابع أخيه وهذا غير محفوظ في السنة ولا هو مأخوذ من اللغة اذ مفهومها وضع صفحة الكف واليد أو اصابعها في كف صاحبه ونحوه ﴿ ولا يدع ﴾ أي يد اخيه ﴿ حتى يدع صاحبه ﴾ أي يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبراني في الاوسط باسناد حسن عن ابي هريرة انه عليه السلام « كان لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه الا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه » ولابي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس ﴿ فهو السنة ﴾ المروية في شمائله من فضائله ﴿ لا من وراء الثوب ﴾ أي لا يصافح من وراء الاكمام ﴿ فهو جفاء من عادة الكفار ﴾ أي المتكبرين من الاعجام والاروام ﴿ ويعانق القادم ﴾ أي الواصل من السفر، وفي الاحياء ان الالتزام والتقبيل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث عائشة، قالت قدم زيد بن حارثة « الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال أبو ذر « مالقيته عليه السلام الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود » رواه أبو داود ﴿ ويأخذ ركاب العلماء للتوقير ﴾ فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم، وأخذ عمر بغرز زيد أي بركابه حتى رفعه وقال هكذا افعلوا بزيد وأصحابه ﴿ ويوسع المجلس ﴾ مسجدا كان أو غيره لقوله تعالى : (واذا قيل لكم) بلسان القال أو ببيان الحال . (تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) والفسح الوسع، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر « لا يقيم

وَ يُكْرِمُ الدَّاخِلَ فيبسط الثَّوْبَ. وَيُخفف الصَّلاَةَ. وَيشْتَغِلُ بِهِ، ثُمَّ يُعاوِدُ فِيهَا فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ،

الرجل الرجل من مجاسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » وعنه عليه السلام: « اذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله عزوجل اكرمها أخاه فان لم يوسع له فلينظر الى أوسع مكان يجده فليجلس فيه » البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن أبى شيبة ورجاله ثقات، وابن أبى شيبة هذا ذكره أبو موسى المدينى فى ذيله فى الصحابة ﴿ ويكرم الداخل ﴾ ان كان من ذوى الفضائل أو الفواضل ﴿ فيبسط له الثوب ﴾ أى من الرداء ونحوه، فروى انه عليه السلام « دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى وحش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف عليه السلام رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه ﷺ وقال: ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما أكرمتنى فنظر النبى ﷺ يمينا وشمالا ثم قال: اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه » الحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الاسناد، وروى « ان ظئر رسول الله ﷺ التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يارسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمانه بخيبر وهى احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف درهم » كذا فى الاحياء، ورواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون مابعده، ولاحمد من حديث ابن عمر « انه دخل عليه ﷺ فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف » الحديث واسناده صحيح، وللطبرانى من حديث سلمان « دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكىء على وسادة فالقاها الى » الحديث وسنده ضعيف ﴿ ويخفف ﴾ أى المدخول عليه ﴿ الصلاة ﴾ فريضة اونافلة ﴿ ويشتغل به ﴾ أى باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه ﴿ ثم يعاود فيها ﴾ أى فى اتمام صلاته ﴿ فالكل مروى ﴾ الا أن تخفيف الصلاة الخ ليس له أصل فى السنة ﴿ ولا ينحنى ﴾ فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم ولانه صنيع أهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة ولانه شبيه بالركوع الذى هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد

وَلَا يَقُومُ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ مِنْ عَادَةِ الْأَعَاجِمِ . وَيُوَقِّرُ الْكُبَرَاءَ كَالْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالشُّرَفَاءِ وَالشُّيُوخِ وَيُقَدِّمُهُمْ فِي الْمَشْيِ ، وَالْكَلَامِ .وَالْجُلُوسِ ، فَوَرَدَ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»

لا يجوزان يركع له، وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلاة لحديث « من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » أبو داود والترمذي وحسنه من حديث معاوية ، وعن أنس « قلنا يارسول الله اينحني بعضنا لبعض؟ قال : لا قال فيقبل بعضنا بعضا؟ قال لا قال فنصافح؟ قال نعم » الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي وفي الاحياء « لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء » ﴿ولا يقوم﴾ أي للداخل كما هو عادة أهل المحافل ﴿فهو منهي عنه﴾ أي في الحديث معلل بانه ﴿من عادة الاعاجم﴾ فعن أبي امامة « اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يقوم الاعاجم » أبو داود وابن ماجه، وعن أنس « ما كان شخص احب الينا من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك » الترمذي وقال حسن صحيح، وفي الاحياء ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام، اقول وقد صار هذا القيام من الابتلاء العام اذ يترتب على تركه أنواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام ، وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » واما ما في صحيح مسلم عن أم هانئ « أنها سلمت على النبي ﷺ فقال من هذه؟ فقيل له أم هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ » فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام ﴿ويوقر الكبراء﴾ أي العظماء في الرتبة او السن ﴿كالعلماء﴾ العاملين ﴿والصلحاء﴾ الكاملين ﴿والشرفاء﴾ الطاهرين ﴿والشيوخ﴾ السابقين لتقدمهم في دخول الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى : (والسابقون السابقون) لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن في الحسب، واشار المصنف الى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) والمتقون كما قال عز وعلا : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ﴿ويقدمهم في المشي﴾ اذا ضاق المقام ﴿والكلام والجلوس فورد ليس منا﴾ أي من اتباعنا واشياعنا ﴿من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا﴾ رواه أحمد والترمذي عن

وَأُوعِدَ فِى التَّقْدِيمِ عَلَى الْكَبِيرِ بِالْفَقْرِ • وَيُرَاعِى قَلْبَ الصِّغَارِ • فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبَالِغُ فِيهِ ، وَيَتَكَفَّلُ الْيَتِيمَ. فَوَرَدَ « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ

ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة «ولم يعرف لعالمنا حقه» وفى رواية لاحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » وللبخارى فى تاريخه. وأبى داود عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » ﴿ واوعد ﴾ بصيغة المجهول أى جاء الوعيد ﴿ فى التقديم ﴾ أى تقديم الصغير ﴿ على الكبير بالفقر ﴾ أى بسبب فقر الكبير او المعنى أوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يقدر له من يعظمه فى كبره ، ففى الخبر « ما اكرم شاب شيخا لسنه الاقيض الله له فى سنه من يكرمه » وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره ، والحديث رواه الترمذى عن أنس ، ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين أيديهم الا باذن قال جابر : « قدم وفد جهينة على النبى ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبير ؟ » الحاكم وصححه مسلم ﴿ ويراعى قلب الصغار ﴾ أى الاطفال وغيرهم دون البلوغ ﴿ فكان عليه السلام يبالغ فيه ﴾ أى فى مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤوسهم ويدعو لهم ويجلسهم فى حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر أصحابه بان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله ﷺ » رواه مسلم من حديث عبدالله بن جعفر « كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بى وبالحسن أو بالحسين قال: فحمل احدنا بين يديه والآخر خلفه » وفى رواية « تلقى بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جى. باحد ابنى فاطمة فاردفه خلفه » وفى الصحيحين « ان عبدالله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذ تلقانا رسول الله ﷺ انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك » هذا لفظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله أعلم كذا قاله مخرج الاحياء ، ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون فى كل منهما جبر لخاطر الآخر فتدبر ، ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن على « عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ائتونى بكوز من ماء » الحديث واسناده صحيح ﴿ ويتكفل اليتيم ﴾ قريبا او اجنبيا ﴿ فورد انا وكافل اليتيم ﴾ أى مربيه ومصلحه

كَهاتَيْن فى الْجَنَّة وَأَشارَ إلى الْمُسبحَة وَالْوسطى » وَيظْهر الْبَشاشَة ، فورد « إنّ اللهَ يحب السَّهلَ الطَّلقَ ،ويشمت العاطس الْحمد بدعاء الرّحمة والْمغفرة» ويجيب بدعاء الهداية والصلاح ففيه فضل كثير إلا إذا زاد على الثّلاث، فورد «إنه زكام»

﴿ كهاتين فى الجنة واشار الى المسبحة والوسطى ﴾ وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة ، والحديث رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذى عن سهل بن سعد بلفظ « انا و كافل اليتيم فى الجنة ، هكذا ولابن ماجه من حديث أبي هريرة « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » ولاحمد والطبرانى من حديث أبي امامة « من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة » ولابن حبان من حديث ابن أبي اوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمة له » الحديث ﴿ ويظهر البشاشة ﴾ أي الانبساط اذا حضر مع اصحابه فى بساط النشاط ﴿ فورد ان الله يحب السهل ﴾ اى اللين الهين ﴿ الطلق ﴾ بفتح فكسر أى صاحب طلاقة الوجه ، والحديث رواه البيهقى عن أبي هريرة بلفظ الطليق ، وقد ورد « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب » الترمذى وحسنه عن ابن مسعود ﴿ ويشمت ﴾ أي يجيب ﴿ العاطس المحمد ﴾ اى الذى قال الحمد لله بعد عطاسه ﴿ بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح ﴾ ، اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول : الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعي ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم أو يغفر الله لنا ولكم ، والاحاديث فى هذا الباب كثيرة كما بيناها فى شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما فى الصحيحين عن أنس « انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت ﴿ ففيه فضل كثير ﴾ أى واجر كبير ﴿ الا اذا زاد على الثلاث فورد انه زكام ﴾ فعن ابى هريرة « شمت اخاك ثلاثا فان زاد فهو زكام » ابو داود ، وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع « انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم » وعن ابى هريرة كان عليه السلام « اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه اويده » ابو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وفى رواية لابى نعيم فى اليوم والليلة وخمر

وَيُصْلِحِ ذَاتَ الْبَيْنِ فَهُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ، فَوَرَدَ «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وَيَتَّقِي مَوَاضِعَ التُّهَمِ تَحَرُّزًا عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيبَةِ

وجهه وفاه، وفي الصحيحين «التثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه» وعن علي «من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته» الطبراني في الاوسط في الدعاء ﴿ ويصلح ذات البين ﴾ أي احوالا ناشئة مما بينه او بين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة وترك المنازعة قال الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) وقال عز وعلا: (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) ﴿ فهو افضل الصدقة ﴾ فللطبراني والبيهقي عن ابن عمرو «افضل الصدقة اصلاح ذات البين» ولابي داود والترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء «ألا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذوات البين هي الحالقة» وللشيخين من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ﴿ ويستر العيوب ﴾ أي عيوب غيره وكذا عيوب نفسه ﴿ فورد ﴾ أي في صحيح مسلم عن ابي هريرة ﴿ من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ﴾ وللشيخين عن ابن عمر «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» وللطبراني عن ابي سعيد «لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة» وروى احمد عن رجل «من ستر اخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة» وللطبراني والضياء عن شهاب «من ستر على مؤمن عورة فكانما احيا ميتا» وللبخاري في تاريخه وابي داود. والحاكم عن عقبة بن عامر «من رأى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة من قبرها» وللترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث علي «من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله اكرم من ان يرجع في شيء قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده» وعنه عليه السلام «اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة» الحاكم وصححه وضعفه البخاري وابن حبان، وللطبراني من حديث ابن عمر ان «من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن» ﴿ ويتقي مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم ﴾ أي بالريبة ﴿ ووقوعهم في الغيبة ﴾ فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان

وَ يَشْفَعَ ، فَوَرَدَ « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا » وَيُرْشِدُ الضَّالَّ وَيَنْشُدُ ضَالَّتَهُ وَيُفَرِّجُ الْمَكْرُوبَ وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومَ ، فَوَرَدَ « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مَغْمُومٍ أَوْ أَعَانَ مَظْلُومًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً » وَيَسْعَى فِي حَاجَتِهِ فَالْمَشْيُ فِيهَا

هو السبب فيه كان شريكا فى وزرهم قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) وقال عليه السلام : « كيف ترون من يسب أبويه ؟ فقالوا وهل من أحد يسب أبويه؟ قال نعم يسب الرجل ابوى غيره فيسب ابويه » متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر، وعن أنس « انه عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى صفية فقال يارسول الله من كنت أظن فيه فانى لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم، وفى رواية للشيخين عن صفية « انى خشيت ان يقذف فى قلبكما شيئا » وفى نسخة «سرا» وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية » الحديث وكانت قد زارته فى العشر الاواخر من رمضان، وعن عمر رضى الله عنه « من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين: انها امرأتى قال: فهلا بحيث لا يراك الناس» ﴿ ويشفع ﴾ أى فى غير الحدود لقوله تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) ﴿ فورد اشفعوا تؤجروا ﴾ تمامه « ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء » رواه الشيخان من حديث أبى موسى، وورد « ماصدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر » الخرائطى والطبرانى عن سمرة ﴿ ويرشد الضال ﴾ أى يهديه الى طريقه الحسى اوالمعنوى ﴿ وينشد ضالته ﴾ أى يطلبها لكن فى غير المسجد لما تقدم ، ويقول : ياهادى الضال وياراد الضالة أردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك » رواه ابن أبى شيبة موقوفا من قول ابن عمر والطبرانى عنه مرفوعا ﴿ ويفرج المكروب ﴾ أى ويزيل هم المغموم ﴿ وينصر المظلوم ﴾ فى الصحيحين « انصر اخاك ظالما أو مظلوما فقيل: كيف ينصر ظالما؟ فقال يمنعه من الظلم » قلت وفى منعه من الظلم نصر المظلوم أيضا ﴿ فورد من فرج عن مغموم او أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ﴾ الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من أغاث ملهوفا » ﴿ ويسعى فى حاجته فالمشى فيها

سَاعَةً خَيْرٌ مِنِ اعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ وَإِنْ لَمْ تَقْضِ وَيُعِينُ الضَّعِيفَ وَالْمُحْسِنَ وَيَحْفَظُ الْغِيبَةَ

ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض﴾ فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس «لان يمشي احدكم مع أخيه فى قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين» وللطبرانى فى الأوسط «من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين» وكلاهما ضعيف، وروى البخارى في تاريخه والطبرانى والخرائطى من أنس بسند ضعيف «من قضى لاخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره» ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا «من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيامة» وقال أنس «عرضت له عليه السلام امرأة وقالت: لى معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال: اجلسى فى اى نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضيت حاجتها» رواه مسلم ﴿ويعظه﴾ أى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى: (واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) الآيات، وقال تعالى: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) وورد «ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى، وقال عليه السلام لمعاذ: «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام» البيهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية ﴿ويعين الضعيف﴾ أى فى عمله وصنعته ﴿والمحسن﴾ أى بزيادة معرفته أو يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهما فى ثواب يوم الجزاء فقد صح «من كان فى عون أخيه كان الله فى عونه» ﴿ويحفظ الغيبة﴾ أى غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه، وفى الخبر «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته» أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد، وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه، وعن أبى الدرداء «من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار» الترمذى وحسنه وللطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ «مامن امرىء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه، ولابن أبى الدنيا فى الصمت عن أنس «من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع

وَيَبِرُّ الْحَلِفَ • وَيُحِبُّ التَّائِبَ • وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ • وَ يُعَامِلُ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ فَعَرْضُ الْفِقْهِ لِأَهْلِ اللَّهْوِ وَالْبَيَانِ

نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عزوجل بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة » ولابى داود من حديث معاذ بن أنس « من حمى عرض أخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » ولابى داود من حديث جابر وأبى طلحة « مامن امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الانصره الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته الاخذله الله فى موطن يحب فيه نصرته » ﴿ ويبر الحلف ﴾ أى يمين صاحبه فى الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شىء وحلف عليه ولم يتيسر له فالمصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه فى الحنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد فى الصحيحين عن أنس « ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره » اى لجعله بارا فى يمينه بما قدره وقضاه ، وفى الصحيحين من حديث البراء « امرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكرمنها وابرار القسم او المقسم » ﴿ ويحب التائب ﴾ لقوله تعالى : (ان الله يحب التوابين) خصوصا الشاب فورد « ان الله يحب الشاب التائب » أبو الشيخ عن أنس ، ولابى نعيم فى الحلية عن ابن عمر « ان الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله » ولاحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر « ان الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة » ﴿ ويستغفر للمذنب ﴾ اقتداء بالملائكة المقربين (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الآية، وللطبرانى عن عبادة « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » وله وللضياء عن أبى الدرداء « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض » وأما حديث أنس « اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم » فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسناداً قاله العراقى ﴿ ويعامل على حسب حاله ﴾ اى حال صاحبه فى اعلى مناقبه أو ادنى مراتبه ﴿ فعرض الفقه ﴾ أى مسائله الغامضة ﴿ لاهل اللهو ﴾ أى لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال ﴿ والبيان ﴾ أى وعرض الفصاحة

لثقيل اللسان إيذاء النفسين ، وينتصف من نفسه فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان . ولا يعلم أحدا مقدار ماله وإن كان من أهل البيت ، فالعلم بالقلة يورث الاهانة وبالكثرة عدم الرضاء ، وورد « استر ذهبك وذهابك ومذهبك » ولا يستحقر أحدا فالعاقبة مستورة ولا يستعظم الدنيا فهى حقيرة ومافيها ، ولا يتكبر

والبلاغة واصناف البديع وأنواع البيان ﴿ لثقيل اللسان ايذاء النفسين ﴾ بل المناسب أن يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات ﴿ وينتصف من نفسه ﴾ وفى نسخة وينصف من الانصاف بالكسر أى يعمل بالنصفة بفتحين أى العدالة ﴿ فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان ﴾ وفى نسخة «يستكمل الايمان» وفى الخبر «لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه و بذل السلام» الخرائطى من حديث عمار ابن ياسر ووافقه البخارى عليه ﴿ ولا يعلم احدا مقدار ماله وان كان من أهل البيت ﴾ اى المطلعين على حاله ﴿ فالعلم بالقلة يورث الاهانة ﴾ أى يعده من الفقراء . ﴿ وبالكثرة عدم الرضاء ﴾ أى بانفاقه وعده من البخلاء ﴿ وورد استر ذهبك ﴾ أى ونحوه من الفضة وغيرها ﴿ وذهابك ﴾ أى انتهاء سفرك من حضرك ﴿ ومذهبك ﴾ أى فى موضع تخاف اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم أجد له اصلا ﴿ ولا يستحقر احدا ﴾ أى من الفجار بل من الكفار ﴿ فالعاقبة مستورة ﴾ وورد «انما الاعمال بالخواتيم» كما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد ﴿ ولا يستعظم الدنيا ﴾ فان الله قد استحقرها حيث قال : (متاع الدنيا قليل) وورد « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء » الترمذى وغيره عن سهل بن سعد ، والمعنى انه لا ينظر الى أهل الدنيا بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ومهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عصمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن أبى هريرة « اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام » ﴿ فهى حقيرة ومافيها ﴾ الا ذكر الله وماوالاه لحديث « الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها » أبو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد عن عائشة « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » ﴿ ولا يتكبر

عَلَى الْفَقِيرِ بَلْ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ • وَيُجَالِسُ الْفَقِيرَ فَهُوَ السُّنَّةُ دُونَ الْغَنِيِّ وَحَبِيبِ الْعَافِيَةِ وَالْعَامِّيِّ وَإِذَا ابْتُلِيَ لَا يَخُوضُ فِي كَلَامِهِ وَيَتَغَافَلُ عَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ وَالسُّلْطَانِ وَإِذَا ابْتُلِيَ بِهِ يُكْثِرُ الْحَذَرَ وَإِنْ أَظْهَرَ الْمَحَبَّةَ وَلَا يَعْتَمِدُ فَيُرَافِقُهُ مُرَافَقَةَ الطِّفْلِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَلَا يَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَهُوَ مُضِرٌّ وَيُبَالِغُ فِي الْأَدَبِ • وَيَتَبَرَّكُ بِالْعَادِلِ •

على الفقير ﴾أى لفقره فانه موجب لفخره ﴿ بل على المتكبر ﴾ أى بماله وجاهه على الفقير فروى «التكبر على المتكبر صدقة » ﴿ ويجالس الفقير فهو السنة ﴾ فلابى نعيم عن ابن عمر «تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر» ﴿ دون الغنى ﴾ أى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد «اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى؟ قال الاغنياء» الترمذي وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة «اياك ومجالسة الاغنياء» ﴿ وحبيب العافية ﴾ أى الذى يكره المرض اوالذى ماتأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون مكث اربعمائةسنة ماحم ولاحصل له صداع ولا كسر له ظرف فى مطبخه، وقد ورد «انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فقيل من نعتها أنها لايأتيها مرض فقال مالى اليها حاجة » وفى صحيح مسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه» ﴿ والعامى ﴾ أى وغير الجاهل ﴿ واذا ابتلى ﴾ اى بمجلس العامى ﴿ لايخوض فى كلامه ﴾ اى ويكتفى بما يحصل من مرامه ﴿ ويتغافل عما يجرى عليه ﴾ أى بحسب مقامه ﴿ والسلطان ﴾ عطف على قوله الغنى اى ودون السلطان والمعنى لايجالسه ﴿ واذا ابتلى به يكثر الحذر ﴾ أى عن غضبه ﴿ وان اظهر المحبة ﴾ أى فى وجهه ﴿ ولا يعتمد ﴾ اى على اقباله ولا على جاهه واعطاء ماله ﴿ فيرافقه مرافقة الطفل ﴾ فيتحمل منه مايتحمل عنه ﴿ ويتكلم على حسب ارادته ﴾ وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره فى دينه وآخرته ﴿ ولا يدخل بيته وبين أهل بيته ﴾ فى معاملته ومجاملته ﴿ فهو مضر ويبالغ فى الأدب ﴾ ومن آدابه لأصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمبانى وتحسين البيان والمعانى وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة واللاحقة . وقلة المداعبة فى مجالس المصاحبة . وان لايتجشى بحضرته ولا يتخلل بعد الأكل فى صحبته ﴿ ويتبرك بالعادل ﴾ فهو من السبعة الذين يظلهم

وَيَدْعُو لَهُ بِالصَّلَاحِ فَفِيهِ صَلَاحُ الْعَامَّةِ وَيَسْتَعِيذُ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ الاحْتِمَالُ إِلَّا فِى كَشْفِ السِّرِّ وَالْقَدْحِ فِى الْمُلْكِ وَالتَّعَرُّضِ فِى الْحُرَمِ وَالْعَامَّةِ لِفَسَادِ الزَّمَانِ ، وَوَرَدَ « خَالِطُوا النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ وَزَايِلُوا الْقُلُوبَ » ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَى مَنْ جَرَّبَ تَحْقِيقًا فِى الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فَلَا يَجِدُ جُزْءًا

الله يوم القيامة يوم لاظل الا ظله» ﴿ويدعو له بالصلاح﴾ ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة ﴿ففيه صلاح العامة﴾ ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل فى العام ﴿ويستعيذ﴾ أى بالله الملك العلام ﴿عند الدخول عليه﴾ خوفا من الزلل والخطل لديه ﴿وعليه﴾ أى ويجب على السلطان ﴿الاحتمال﴾ أى التحمل عن مجالسة ومؤانسة ﴿الا فى كشف السر﴾ أى لغير المحرم ﴿والقدح فى الملك﴾ أى الطعن فيه بما ينافيه ﴿والتعرض فى الحرم﴾ أى من امرأته أو جاريته أو ولده أو عبده ﴿والعامة﴾ اى ودون عامة الناس فلا يجالسهم ﴿لفساد الزمان﴾ أى أهله فانهم لايقيلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عورة و يحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير يتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لايؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد والتحبب لديهم ﴿وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب﴾ أى وجانبوها عن ملاحظة أحوالهم ومحافظة أقوالهم، والحديث لم أجده وللطبرانى عن أبى جحيفة مرفوعا «جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء» ﴿ولا يعتمد﴾ أى فى المحاورة والمجالس المؤتلفة ﴿الا على من جرب﴾ أى امتحنه ﴿تحقيقا فى الأحوال المختلفة﴾ كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل أحد هنالك ﴿فلا يجد جزءا﴾ أى سهما

مِنْ مائَةٍ مِمَّا يُظْهِرُونَهُ وَلَا يَطْمَعُ رِعَايَةَ الْحَقِّ وَلَا مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَلَا يُعَاتِبُ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ وَإِلَّا لَطَالَ الْأَمْرُ وَلَا يَعِظُ مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْهُ الْقَبُولَ إِلَّا مُجْمَلًا تَحَرُّزاً عَنْ تَعَصُّبِهِ وَيَحْمَدُهُ تَعَالَى إِنْ رَأَى مِنْهُمْ كَرَامَةً وَيَكِلُهُمْ إِلَيْهِ إِنْ رَأَى مَكْرُوهاً

واحدا ﴿من مائة﴾ بل من الف جزء ﴿مما يظهرونه﴾ من المودة وفى الخبر «اخبر تقله» وفى حديث آخر «الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة» فلا يعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان يصحبه مدة فى دار أو موضع وأحد من قرار فيجربه فى عزله وولايته وغنائه وفاقته أو سافر معه أو يعامله أو يقع فى شدة وبلية فيحتاج اليه فى دفع الغضب ، ثم اياك ان تمازح لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء لديك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب، ومن بلى بمجلس فيه مزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع فى مقامه فورد «من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ماكان فى مجلسه ذلك كله» الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه ﴿ولايطمع﴾ أى من العامة ﴿رعاية الحق﴾ أى مراعاة حقه من الأدب فى قربه ﴿ولا مافى أيديهم﴾ أى ولايطمع مافى ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس» ابن ماجه وغيره ، والمعنى لاتبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴿ولا يعاتب من لم يقض حاجته والا لطال الأمر﴾ أى أمر المعاتبة لأن كثرة المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة فى المصاحبة ﴿ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا مجملا﴾ أى تلويحا ﴿تحرزا عن تعصبه﴾ اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى: (فذكر ان نفعت الذكرى) أى الموعظة الحسنى ﴿ويحمده تعالى ان رأى منهم كرامة﴾ أى احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما ﴿ويكلهم اليه﴾ أى ويترك أمرهم الى الله سبحانه ﴿ان رأى مكروها﴾ تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد

وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ. وَيُشَارِكُهُمْ فِي حَقِّهِمْ. وَيَتَغَافَلُ عَنْ بَاطِلِهِمْ وَيَحْسَبُ الْكَبِيرَ كَالْأَبِ وَالصَّغِيرَ كَالْابْنِ وَالْمُسَاوِيَ كَالْأَخِ وَيُبَالِغُ فِي الْاحْتِمَالِ وَالْاحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ، فَوَرَدَ «اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ فَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ» وَالْأَصْلُ أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلَا يَهْجُرُهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَوَرَدَ «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ» وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ ثَلَاثًا يَمْكُثُ بَعْدَ كُلِّ

قال تعالى فى مؤمن آل فرعون (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا) وقال عيسى عليه السلام: (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ﴿ويستعيذ به من شرهم ويشاركهم فى حقهم﴾ أى فى حق صدر عنهم ﴿ويتغافل عن باطلهم﴾ أى منكر ظهر منهم ﴿ويحسب الكبير كالأب﴾ أى فى التوقير ﴿والصغير كالابن﴾ أى فى الترحم ﴿والمساوى كالاخ﴾ أى الشقيق فى الشفقة والرفق ﴿ويبالغ فى الاحتمال﴾ أى فى التحمل عن اذاهم ﴿والاحسان﴾ بالاعطاء وغيره ﴿الى أهله وغير أهله فورد﴾ عن على بن الحسين عن أبيه عن جده ﴿اصنع المعروف إلى اهله﴾ أى مستحقه ﴿وغير اهله فان لم تصب﴾ أى فى احسانك ﴿اهله فانت من اهله﴾ اى من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدار قطنى فى العلل وهو ضعيف ﴿والاصل﴾ أى القاعدة المطردة فى حقوق المسلم ﴿ان يحب له ما يحب لنفسه﴾ أى مثل ما يحب وكذا يكره له ما يكره لنفسه كما سبق فى الحديث وورد «من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه» رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام «يا أباهريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما» الخرائطى فى مكارم الاخلاق ﴿ولا يهجره﴾ اى اذا غضب عليه ﴿فوق ثلاثة ايام فورد﴾ اى فى الصحيحين عن أبى أيوب ﴿انه﴾ أى الشان ﴿لا يحل﴾ أى لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان ﴿ويستأذن للدخول ثلاثا﴾ أى ثلاث مرات لما سيأتى ﴿يمكث بعد كل﴾

قَدْرَ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ أَوْأَرْبَعَ رَكَعَات وَأَنْ يَفْرُغَ مِنَ الأَكْلِ وَالتَّوَضِّيءِ، فَوَرَدَ «الاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ فَالأُولَى يَسْتَنْصِتُونَ وَالثَّانِيَةُ يَسْتَصْلِحُونَ وَالثَّالِثَةُ يَأْذَنُونَ أَوْيَرُدُّونَ» وَلاَ يَطَّلِعُ عَلَى الْبَابِ وَيَدُقُّهُ لَيِّناً وَلاَيَقُولُ أَنَا عِنْدَ الْبَابِ وَلاَ يَاغُلاَمُ بَلْ يَحْمَدُ وَيُسَبِّحُ وَيَتَنَحْنَحُ وَيَعُودُ الْمَرِيضَ فِي ثِيَابٍ نَظِيفَةٍ غَيْرَ عَابِسٍ وَيَجْلِسُ عِنْدَ رُكْبَةِ الْمَرِيضِ دُونَ رَأْسِهِ،

اى كل استئذان ﴿ قدر ان يصلى ركعتين ﴾ وهو الاقل ﴿ اواربع ركعات ﴾ وهو الاكثر ﴿ وان يفرغ من الاكل ﴾ ان كان مشتغلا به ﴿ والتوضىء ﴾ او الغسل او الصلاة اوأمر آخر من المهمات ﴿ فورد ﴾ عن أبى هريرة كما رواه الدارقطنى فى الافراد بسند ضعيف ﴿ الاستئذان ثلاث ﴾ أى ثلاث مرات ﴿ فالاولى ﴾ وفى رواية فالاولة ﴿ يستنصتون ﴾ أى يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وماغرضه وفى رواية «يستمعون» اى يتسمعون ﴿ والثانية يستصلحون ﴾ أى يطلبون صلاحهم فى الأذن بدخوله أو بعدمه ويتشاورون ﴿ والثالثة يأذنون أويردون ﴾ أى وفق مايختارون وفى الصحيحين من حديث أبى موسى «الاستئذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع» وقد قال تعالى : (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) ﴿ ولا يطلع على الباب ﴾ أى لا يقف بحيث ينكشف الحجاب ﴿ ويدقه لينا ﴾ أى بظفر ونحوه هينا ﴿ ولا يقول انا ﴾ اى فلان ﴿ عند الباب ﴾ او لا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه ﴿ ولا ياغلام ﴾ اى من وراء الاستار بان ينادى احد غلمان صاحب الدار أو عبده فى مقام الاظهار ﴿ بل يحمد ويسبح ﴾ أى ويذكر الله بالتهليل ونحوه ﴿ ويتنحنح ﴾ أى اذا كان معروفا بتنحنحه أو ايماء بانه هناك من يريد دخوله ﴿ ويعود المريض ﴾ فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ،ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة «حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس» ﴿ فى ثياب نظيفة ﴾ بل فى بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه لما رأى علامة الموت لديه ﴿ غير عابس ﴾ اى فى وجهه بل يدخل عليه ببشاشة تشرح صدره وتفتح امره ﴿ ويجلس عند ركبة المريض ﴾ أى اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجه زائره ﴿ دون رأسه ﴾ أى لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه الى التكلف فى توجهه اليه وتلفته

وَيضع اليد عَلى جبهته أوْيَده . وَيسأله كَيف هو ، فهو السنَّة وَلاَيحدث إلاّ بمَايسره وما هو خير فالملائكة يؤمنون عَليه و يبشره بطول العمر وسرعة الصحة ، وَيغتنم دعاءه فهو كَدعاء الملائكة ،وَيدعوله بالشفاء سبع مرَّات ففيه الشفاء ان لم يحضر أجله ·

عليه ﴿ ويضع اليد على جبهته أويده ﴾ يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه ﴿ ويسأله ﴾ أى يسأل غيره عنه ﴿ كيف هو ﴾ أى لئلا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا اذا كان مغلوبا فى بابه والافيقول : كيف انتم وماحالكم أو كيف تجدك ونحو ذلك ﴿ فهو السنة ﴾ أى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ﴿ ولا يحدث ﴾ أى عنده ﴿ الا بما يسره ﴾ أى لا بما يضره ﴿ وماهو خير ﴾ من الدعاء له ولنفسه ﴿ فالملائكة يؤمنون عليه ﴾ أى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين ﴿ ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة ﴾ أى وسهولة الأمر وبان المرض كفارة للسيئات أورفع للدرجات وانه انما يكون فى قليل من الأوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد « اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال : انظرا مايقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعاذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته » مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى، وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث، وللبيهقى من حديث أبى هريرة ،قال الله تعالى « اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقته من أسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » واسناده جيد وجملة آداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء ﴿ ويغتنم دعاءه ﴾ أى المريض ﴿ فهو كدعاء الملائكة ﴾ فى كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا ﴿ ويدعو له بالشفاء سبع مرات ففيه الشفاء ان لم يحضر اجله ﴾ فلابى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا « من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم

وَ يُغِبُّ فِيهَا وَهِيَ مَرَّةٌ سُنَّةٌ ، وَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ ، وَوَرَدَ النَّهْيُ فِي عِيَادَةِ صَاحِبِ الرَّمَدِ • وَالدُّمَّلِ وَوَجَعِ الضِّرْسِ • وَالْجَرَبِ • وَالْعِرْقِ الْمَدَنِيِّ وَ يَسْمَعُ الْمُحْتَضَرَ

اى يشفيك الاعافاه الله من ذلك المرض » ﴿ ويغب فيها ﴾ بضم اوله أى يعوده يوما بعديوم أو وقتا بعدوقت لماسبق من حديث « زرغباتزددحبا » وعن جابر « اغبوا فى العيادة واربعوا الاأن يكون مغلوبا » ابن أبى الدنيا وأبويعلى واسناده ضعيف ، وقال بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث وينبغى ان يخفف فيها فروى ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة « عيادة المريض فواق ناقة » ورواه البيهقى عنه بلفظ « العيادة فواق ناقة » وقال طاوس: افضل العيادة اخفها ﴿ وهى مرة سنة ﴾ عند الشافعى وفرض كفاية عندنا ﴿ والزيادة فضل ﴾ وأماما فى الاحياء من ان ابن عباس قال « عيادة المريض مرة سنة » فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير عليها مرتبة فى التعمية الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة على العبادة وقد تقدم حديث « اذا عاد المسلم اخاه أوزاره ناداه مناد طبت وطاب مثواك وتبوأت منزلا فى الجنة » الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وفى السنن الاربع والحاكم من حديث على « من أتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح » واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم من حديث ثوبان « من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة » والحاكم والبيهقى من حديث جابر « اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها » وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم و كذا صححه ابن عبدالبر ، وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها ، وللطبرانى فى الصغير من حديث أنس « فاذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها ﴿ وورد النهى فى عيادة صاحب الرمد ﴾ بفتحتين أى وجع العين ﴿ والدمل ﴾ بضم فتشديد ميم مفتوحة ﴿ ووجع الضرس ﴾ أى السن ﴿ والجرب ﴾ بفتحتين وهو الحكاك ﴿ والعرق ﴾ بالكسر ﴿ المدنى ﴾ منسوب الى المدينة اذ لم توجد غالبا فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجماعة الكبيرة ﴿ ويسمع ﴾ أى العائد ﴿ المحتضر ﴾ اى الذى احتضره الموت بعلامات دالة له على الفوت

كَلِمَةَ التَّوحِيدِ دُونَ الْحَاجِّ وَ يُعَجِّلُ تَغْطِيَةَ وَجْهِ الْمَيِّتِ ، وَتَغْمِيضَ عَيْنِيهِ . وَتَجْهِيزَهُ وَتَكْفِينَهُ بِأَطْيَبِ الثِّيَابِ . وَأَبْيَضَهَا لَا أَكْثَرَهَا قِيمَةً . وَيُعَزِّي الْمُصَابَ ، وَهِيَ تَسْكِينُ قَلْبِهِ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْإِعْلَامِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ مُصَافِحاً

وهى سواد الظفر و برودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العينين وانخفاض الصدغين ﴿ كلمة التوحيد ﴾ وهى لااله الاالله فتقدم حديث « من كان آخر كلامه لااله الاالله دخل الجنة » وفى صحيح مسلم وغيره « لقنوا موتاكم لااله الا الله » أى المشرفين على الموت لحديث « اقرءوا على موتاكم يس » احمد وغيره ﴿ دون الحاج ﴾ أى لايلح على المحتضر بان يقول له قل لااله الاالله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذلا يبعد انه حال الغلبة و الشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان على اختلاف فى الاقرار انه شرط أو شطر الايمان فى أول دخول المسلم فى ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ﴿ ويعجل تغطية وجه الميت ﴾ اى بعد ربط حنكه ورجليه ﴿ وتغميض عينيه ﴾ فان الميت اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه ﴿ وتجهيزه ﴾ أى غسله وما يتعلق به ﴿ وتكفينه باطيب الثياب ﴾ بان يكون من وجه حلال لايقع فيه العتاب والعقاب ﴿ وابيضها ﴾ لاحاديث وردت فى هذا الباب كقوله عليه السلام « البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب و كفنوا فيها موتاكم » رواه أحمد وغيره عن سمرة ، وفى رواية له عنه بلفظ « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم و كفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » وفى رواية الدارقطنى في الافراد عن أنس « خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم » ﴿ لا كثرها قيمة ﴾ بل اوسطها المعتبر فى جميع الباب ﴿ ويعزى المصاب ﴾ أى المبتلى بموت احد من الاقارب والاحباب ﴿ وهى ﴾ أى التعزية المعبر عنها بالتسلية ﴿ تسكين قلبه ﴾ اى قلب المصاب ﴿ بالموعظة ﴾ أى بما وقع من الكتاب ﴿ والاعلام بجزيل الثواب ﴾ حيث قال تعالى : (و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) ، (وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) و بان الجزع لاينفع و يفوت به الاجر ويقع فى مقام الحجاب ففى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا « من عزى مصابا فله مثل اجره » وللترمذى عن أبى برزة ولفظه « من عزى ثكلى كسى بردا يوم القيامة » ﴿ مصافحا ﴾

بِالتَّوَاضُعِ وَإِظْهَارِ الْحُزْنِ وَقِلَّةِ التَّكَلُّمِ وَتَرْكِ التَّبَسُّمِ . وَيَشْهَدُ لَهُ بِالْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ . وَيَدْعُو لَهُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، فَوَرَدَ « لَا تَذْكُرُوا مَوْتَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » وَيُشَيِّعُ الْجَنَازَةَ خَاشِعًا مُتَفَكِّرًا فِي الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ . وَيُصَلِّي عَلَيْهِ . وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ

اى لا معانقا كما يفعله عامة أهل مكة ﴿ بالتواضع ﴾ أى باظهاره معه ﴿ واظهار الحزن ﴾ اشعارا بمشاركته له فيه ﴿ وقلة التكلم ﴾ اى بامور الدنيا ﴿ وترك التبسم ﴾ لانه دلالة على الغفلة عن احوال العقبى ﴿ و يشهد له ﴾ أى للميت ﴿ بالخير ﴾ أى باعمال الخير ظاهرا ﴿ والايمان ﴾ أى باطنا تحسينا للظن بالمسلم ﴿ ويدعو له عند الذكر ﴾ أى عند ذكره ﴿ فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير ﴾ فى أبى داود وغيره عن ابن عمر « اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساويهم » ﴿ ويشيع الجنازة ﴾ فى الصحيحين عن أبى هريرة « من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان » ولمسلم من حديث ثوبان « القيراط مثل جبل احد » ولما روى أبو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال « لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة » ﴿ خاشعا ﴾ أى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع ﴿ متفكرا فى الموت ﴾ أى وفيما بعده وقبله من الفوت ، وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغد فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكى ويقول : والله لا تقر عينى حتى اعلم الى ماصرت ولا والله لا اعلم مادمت حيا ﴿ والاستعداد له ﴾ اى للموت لحديث « كفى بالموت واعظا » الطبرانى عن عمار ، ولاحمد فى الزهد « كفى بالموت مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة » ولابن السنى عن انس « كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا » ﴿ غير متكلم ﴾ اى من كثرة الحزن والملال واشتغال البال فى أمر المآل ، قال الاعمش : كنا نشهد الجنائز فلا ندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم ، واما كلام الغزالى وان يمشى امام الجنازة بقربها وملاحظة الميت فمذهب الشافعى والمختار عندنا ان يمشى وراءها فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما ورد ، وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع ما فيه من الاشارة الى انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حينئذ انسب واقرب ﴿ ويصلى عليه ﴾ اى صلاة الجنازة فهى فرض كفاية ﴿ ويقرأ الفاتحة

عِنْدَ رَأْسِهِ وَأَوَّلَ الْبَقَرَةِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ . وَيَجْتَهِدُ أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الْمُصَلِّينَ أَرْبَعِينَ، فَهُوَ عَلَامَةُ قَبُولِ الشَّفَاعَةِ وَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الدَّفْنِ. وَيَقْعُدُ بَعْدَ وَضْعِ الْجَنَازَةِ فِي الْقَبْرِ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ . وَيَتَصَدَّقُ الْوَلِيُّ قَبْلَ مُضِيِّ لَيْلَةٍ بِشَيْءٍ إِنْ تَيَسَّرَ وَإِلَّا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بِالْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ . وَالتَّكَاثُرِ عَشْرًا فِي كُلٍّ وَيَهَبُهُ الثَّوَابَ . وَيُسَلِّمُ وَيَقِفُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ . وَيُوَاظِبُ عَلَى

عند رأسه ﴾ اى بعد دفنه ﴿ واول البقرة ﴾ اى الى المفلحون ﴿ عند رجليه ويدعو له ﴾ اى بالرحمة والمغفرة أو بالتثبيت فى جواب الملكين ﴿ ويتبرك به ﴾ اى حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيات الى الناس يترحمون على ميت فقال: لو ترحمون على انفسكم لكان اولى لانه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن ﴿ ويجتهد ﴾ اى المصاب ﴿ ان يكون عدد المصلين ﴾ اى على جنازة قريبه ﴿ اربعين ﴾ اى لا اقل من ذلك ﴿ فهو علامة قبول الشفاعة ﴾ اى لانه يبعد عن كرم الله ان لا يقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والا ففى ابن ماجه عن ابى هريرة «من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له» ﴿ ولا يرجع ﴾ اى من غير ضرورة ﴿ حتى يفرغ من الدفن ﴾ ليحوز القيراطين ﴿ ويقعد ﴾ اى لا يقف ﴿ بعد وضع الجنازة ﴾ اى لا قبله واختلف ان المراد به وضعها عن الرقاب او كما قال المصنف ﴿ فى القبر مخالفة لاهل الكتاب ﴾ فى هذا الامر ﴿ ويتصدق الولى قبل مضى ليلة بشىء ﴾ اى من الصدقات والخيرات ﴿ ان تيسر ﴾ فان الميت حينئذ كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة ﴿ والا ﴾ اى وان لم يتيسر التصدق الحسى فيتصدق بالمعنوى وهو ان ﴿ يصلى ركعتين بالفاتحة وآية الكرسى ﴾ اى لاجل حفظه من العذاب ﴿ والتكاثر ﴾ اى وسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك المفاخر ﴿ عشرا ﴾ اى عشر مرات ﴿ فى كل ﴾ اى من الركعتين ﴿ ويهبه الثواب ﴾ رجاء النجاة من العذاب ﴿ ويسلم ﴾ اى على صاحب القبر ﴿ ويقف مستدبر القبلة ﴾ اى ومستقبل الميت كما هو فى آداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستأنس به ، وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال : اجلس الى قوم يذكرونى معادى وان قمت عنهم لم يغتابونى ﴿ ويواظب ﴾ اى الولى ﴿ على

الصَّدَقَة سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَيَزُورُ الْقَبْرَ نَاوِيًا بِهِ الدُّعَاءَ وَالرِّقَّةَ وَالْعِبْرَةَ ، فَوَرَدَ «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُرِقُّ الْقَلْبَ» مَنْ لَمْ يَنْسَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى حِينَ قِيلَ مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ؟ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَا تَيَسَّرَ ثُمَّ يُسَبِّحُ وَيَدْعُو،

الصدقة سبعة ايام ويزور القبر ﴾ اى قبر صاحبه أو القبور ﴿ ناويا به الدعاء ﴾ لاهله ﴿ والرقة والعبرة ﴾ لنفسه ﴿ فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة ﴾ وفى رواية ابن ماجه عن ابى هريرة «فانها تذكركم الآخرة» ﴿ وتدمع العين وترق القلب ﴾ وفى رواية الحاكم عن انس « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا» وفى رواية ابن ماجه عن ابن مسعود «فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة» ﴿ من لم ينس ﴾ اى وورد ايضا من لم ينس ﴿ المقابر والبلى ﴾ اى الفتنة فى عالم البلاء ﴿ حين قيل من ازهد الناس ﴾ ظرف لورد المقدر فتدبر ، وفى رواية البيهقى عن الضحاك مرسلا « ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى » وفى رواية الترمذى وغيره عن أسماء بنت عميس « بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغا ونسى المبتدأ والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله» والحاصل ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللمزور الانتفاع بالدعاء، وعن عمر ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر للفقيه: لو رأيتنى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم وتتن البطن وعلا الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن ﴿ ويقرأ القرآن ما تيسر ﴾ فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى «اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه» ﴿ ثم يسبح ويدعو ﴾ اى بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار، وعن حاتم الاصم « من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان لنفسه وخانهم» وقال سفيان: من اكثر

وَوَرَدَ قِرَاءَةُ يٰس فى الْمَشَاهِير وَالْاِخْلَاص سَبْعًا فَوَعَدَ فيه مَغْفِرَةَ الْمَيِّتِ وَالْقَارِئ إنْ غَفَرَ لِلْمَيِّتِ وَيعين لَهَا يَوْمَ الْخَمِيس وَالْجُمُعَة وَالسَّبْت . وَالاثْنَيْن فَالْمَوْتَى يعلمون زُوَّارَهُمْ فيها . وَلَا يطؤه وَلَا يمس ، فَوَرَدَ النَّهى وَلَا يقبل وبر الْوَالِدَيْن فَالْعُقُوقُ مِنَ الْكَبَائِر

ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران » ﴿ وورد قراءة يس فى المشاهير ﴾ اى فى الاحاديث المشهورة أو الروايات المأثورة فقد تقدم حديث « اقرءوا على موتاكم يس » وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على الحقيقة واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعى ﴿ والاخلاص سبعا ﴾ اى سبع مرات ﴿ فوعد فيه مغفرة الميت والقارىء ان غفر للميت ﴾ اى ان كان الميت مغفورا ولم اجد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات فى مسند احمد وغيره عن ابى « من قرأ قل هو الله احد فكأنما قرأ ثلث القرآن » وفى رواية العقيلى عن رجاء الغنوى « من قرأ قل هو الله احد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن اجمع » وفى رواية لاحمد عن معاذ بن انس « من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » ﴿ ويعين لها ﴾ اى لزيارة القبور ﴿ يوم الخميس والجمعة ﴾ ففى رواية ابن عدى عن ابى بكر « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له » ﴿ والسبت ﴾ اى لقربه الى الجمعة ﴿ والاثنين ﴾ فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل ﴿ فالموتى يعلمون زوارهم فيها ﴾ اى زيادة علم بها ﴿ ولا يطؤه ﴾ اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابى هريرة « لان اطأ على جمرة احب الى من ان اطأ على قبر » ﴿ ولا يمس ﴾ اى القبر ولا التابوت ولا الجدر ﴿ فورد النهى ﴾ اى عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام ﴿ ولا يقبل ﴾ فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء ﴿ وبر الوالدين ﴾ اى يحسن اليهما فان فيه خير الدارين قال تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وفى قراءة احسانا ﴿ فالعقوق ﴾ اى مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لها ﴿ من الكبائر ﴾ وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر « فقال سبع الاشراك بالله وعقوق الوالدين » الحديث وقال عز وجل

لَاسِيَّمَا الْأُمُّ ، فَوَرَدَ «بِرُّهَا ضِعْفَانِ عَلَى الْوَالِدِ» مُقَدَّمًا عَلَى الْمَنْدُوبَاتِ لَا الْوَاجِبَاتِ، فَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ» وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَيُنَفِّذُ عُهُودَهُمَا وَوَصَايَاهُمَا وَيُكْرِمُ أَصْدِقَاءَهُمَا، فَوَرَدَ

(وقضى ربك الاتعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا) وللطبرانى فى الصغير من حديث ابى هريرة «ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لايجد ريحها عاق» (لاسيما الام فورد برها ضعفان على الوالد) اى على حقه كذا فى الاحيا. وقال مخرجه: غريب بهذا اللفظ وقد ورد فى معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده «من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب» أبو داود والترمذى و الحاكم وصححه، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «قال رجل من احق الناس بحسن الصحبة؟ قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك» ولعله مقتبس من قوله تعالى (حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فان مشقة الحمل و الوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع مالها من كمال الشفقة والرحمة، هذا وللنسائى من حديث طارق المحاربى واحمد والحاكم من حديث ابى رمثة «بر أمك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك» (مقدما) حال من فاعل يبر (على المندوبات لاالواجبات) اى الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد) اى اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولايبعد ان يراد به المبالغة اويزاد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو فى ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده مافى الاحياء من ان الله تعالى «اوحى الى موسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا» واما حديث المتن فكذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث انس «اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انى اشتهى الجهاد ولا اقدر عليه قال: هل بقى من والديك احد؟ قال امى قال فجاهد فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد» واسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) اى ادبا معهما حال حياتهما (ويستغفر لهما) اى بعدمماتهما (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم اصدقاءهما فورد) اى فى صحيح مسلم من حديث

«إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وِدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ» وَيَتَصَدَّقَ لَهُمَا وَيَزُورَهُمَا حَيًّا وَمَيِّتًا، فَوَرَدَ «مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ بَرًّا» وَيَقْطَعُ لِسَانَ السَّفِيهِ عَنْهُمَا بِمَالِهِ، فَهُوَ مِنَ الْبِرِّ وَيُقَدِّمُ حَقَّ الْمُعَلِّمِ عَلَى حَقِّهِمَا فَهُوَ حَيَاةُ الرُّوحِ وَلَا يَقْرَعُ بَابَ دَارِهِ، فَوَرَدَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وَيَصِلُ الرَّحِمَ بِمَا أَمْكَنَ

ابن عمر ﴿ ان من أبر البر ﴾ اى من افضل الاحسان وأكمل الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان ﴿ ان يصل الرجل ﴾ اى الشخص ﴿اهل ودابيه بعد ان يولى الاب اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته او موته ، و كذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى فروى أبو داود. وابن ماجه. وابن حبان. والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك ابن ربيعة «قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : هل بقى على من بر والدى شىء ابرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا يوصل الا بهما»: ﴿ ويتصدق لهما ﴾ لحديث الطبرانى فى الاوسط «ما على احد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء ». ﴿ ويزورهما حيا وميتا ﴾ وأقله فى كل جمعة مرة ﴿ فورد من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة ﴾ أى بخصوصها وهو الأفضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة أو فى كل أسبوع ﴿ غفر له وكتب برا ﴾ الحكيم الترمذى عن أبى هريرة ﴿ ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر ﴾ أى فى حقه وحقهما ففى رواية العسكرى والقضاعى عن جابر مرفوعا «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة» ﴿ ويقدم حق المعلم ﴾ أى للعلوم الشرعية ﴿ على حقهما ﴾ فان حقهما من الامور الفرعية ﴿ فهو ﴾ أى المعلم سبب ﴿ حياة الروح ﴾ أى فى الأبد وهما سبب إيجاد الجسد فى دار النكد والكبد ﴿ ولا يقرع باب داره ﴾ بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته» ﴿ فورد ﴾ أى فى آى التنزيل ﴿ ولو أنهم ﴾ أى المؤمنين الذين أتوا النبى ﷺ ﴿ صبروا ﴾ أى من غير خطاب ولا دق باب ﴿ حتى تخرج اليهم ﴾ وقت ذهاب أو اياب ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ فى كثرة ثواب وحسن مآب ﴿ ويصل الرحم بما أمكن

مِنْ عَطَاءٍ وَزِيَارَةٍ وَدُعَاءٍ، فَوَرَدَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » قِيلَ يُكْرَهُ جِوَارُ الْقَرِيبِ فَهُوَ يَرْفَعُ الْحُرْمَةَ وَيُورِثُ الْقَطِيعَةَ

من عطاء وزيارة ودعاء﴾وكذا ما يعرض له من هناء وعزاء ﴿فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه﴾ لم أجد أصله،وفى الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام « يقول الله تعالى : أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته أى قطعته البتة » وفيهما من حديث أنس « من سره أن ينسأ له فى أثره ـ أى يؤخر فى أجله ـ و يوسع فى رزقه فليصل رحمه » وزاد أحمد والحاكم باسناد جيد من حديث على « فليتق الله وليصل الرحم » ولأحمد والطبرانى من حديث ذرة بنت أبى لهب باسناد حسن « أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الناس أفضل ؟ قال: اتقاهم لله وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » وللطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو « ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » وهو عند البخارى دون قوله « الرحم معلقة بالعرش » فرواها مسلم من حديث عائشة،ولاحمد من حديث معاذ، وللطبرانى من حديث أبى أمامة « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن ظلمك » وقالت أسماء بنت أبى بكر «قدمت على امى فقلت:يا رسوله الله ان امى قدمت على مشركة أفاصلها؟قال نعم صليها» رواه الشيخان،وفى رواية « افاعطيها قال نعم صليها » وهو مقتبس من قوله تعالى : (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » ﴿بلوا﴾أى وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة أى جددوا وفى رواية صلوا ﴿أرحامكم ولو بالسلام﴾ أى مشافهة أو مكاتبة ، والحديث رواه العسكرى من حديث أنس مرفوعا ﴿قيل يكره جوار القريب﴾ أى مجاورته وكذا مسافرته ﴿فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة﴾ أى بسبب الملالة كما قيل فى كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة،وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى عماله مروا الاقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، ونظيره أنه كان يقول فى الحج

وَيَزُورُهُ غِبًّا وَيُرَاعِي حَقَّ الْكَبِيرِ كَحَقِّ الْأَبَوَيْنِ وَالصَّغِيرِ كَالْوَلَدِ ، وَيَشْتَرِيهِ مَمْلُوكًا لِيَعْتِقَ لَاسِيَّمَا الْوَالِدَيْنِ فَهُوَ قَضَاءُ حَقِّهِمَا . وَيُبَالِغُ فِي اسْتِرْضَاءِ الْجَارِ ، فَوَرَدَ « مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي فِي الْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »

يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل العراق عراقكم ويا أهل الشام شامكم ﴿ ويزوره غبا ﴾ أى ليزداد حبا ﴿ ويراعى حق الكبير ﴾ من الأخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة ﴿ كحق الأبوين والصغير ﴾ أى منهم ﴿ كالولد ﴾ أى والمساوى كالاخ ﴿ ويشتريه ﴾ أى قريبه ﴿ مملوكا ليعتق ﴾ أى لاجل أن يعتقه أو ليعتق عليه اذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا ﴿ لا سيما الوالدين فهو قضاء حقهما ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة «لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه» اى بان ينوى عتقه أو يصير سببا لعتقه ﴿ ويبالغ فى استرضاء الجار ﴾ فقيل: الجار ثم الدار، واستنبط هذه النكتة من قول آسية امرأة فرعون (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) . ﴿ فورد ﴾ أى فى الصحيحين عن عائشة . وابن عمر ﴿ مازال جبريل يوصينى فى الجار ﴾ أى الاحسان فى حقه بالماء وغيره ﴿ حتى ظننت انه ﴾ أى الجار ﴿ سيورثه ﴾ أى الجار الآخر، وفيهما عن أبى شريح « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » وللبخارى عنه « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » والبزار . وابو الشيخ وابو نعيم عن جابر «الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » أقول: فلعل حقه أقوى من غيره لانه لا يسامحه فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال : ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب، ولاحمد والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة « انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال: هى فى النار » وللخرائطى . وابن عدى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعنته وان أستقرضك

وَيُمْنُ الدَّارِ سَعَتُهُ وَحُسْنُ جِوَارِ أَهْلِهِ ، وَوَرَدَ فِي حَدِّهِ أَرْبَعُونَ دَاراً، وَرُوِيَ أَرْبَعُونَ

أقرضته وان افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهدله فان لم تفعل فادخله سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها اتدرون ماحق الجار؟ والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار الامن رحمه الله » وقال أبوذر : « أوصانى خليلى عليه السلام وقال: اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها » رواه مسلم وعن أبى هريرة مرفوعا « يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » رواه البخارى وجملته ان يحب له مايحب لنفسه فقد حكى ان بعضهم شكا كثرة الفأر فى داره فقيل لو اقتنيت هرا فقال: أخشى ان يسمع الفأر صوت الهر فيهرب منه إلى دار الجار فاكون قد أحببت له مالا أحب لنفسى ﴿ ويمن الدار ﴾ أى وورود بركته ﴿ سعته ﴾ أى وسعته بقدر كفايته ﴿ وحسن جوار أهله ﴾ أى مجاورته فى محاورته، والحديث أخرجه مسلم من حديث ابن عمر « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس قيل فيمن الدار سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله وشؤم المرأة عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه » وللدمياطى من رواية سالم بن عبد الله مرسلا « اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم واذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهى مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع منها الاذان والاقامة فهى مشؤمة » واسناده ضعيف ووصله صاحب الفردوس بذكر ابن عمر فيه وهو لاينافى ماورد من قوله تعالى: (ونكتب ماقدموا وآثارهم) وقوله عليه السلام « يابنى سلمة دياركم تكتب آثاركم » فانه محمول على أن الأجر على قدر المشقة فهى بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة ﴿ وورد فى حده أربعون دارا ﴾ فعن الزهرى مرسلا « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر عليه السلام أن ينادى على باب المسجد الا أن أربعين دارا جار » أبو داود فى مراسيله قال الزهرى : « أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوما الى أربع جهات » ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة وقال أربعون: ذراعا وكلاهما ضعيف ﴿ وروى أربعون

فى كُلِّ جِهَة وَيَحْتَرِزُ عَنِ النَّظَرِ الَى بَيْتِه وَإِجْرَاءِ الْمِيذَابِ إِلَيْه وَوَضْعِ السَّارِيَة عَلَى حَائِطِه وَالْمُضَايَقَة فى إِلْقَاءِ التُّرَابِ بَيْنَ يَدَىْ دَارِه وَلَا يَمْنَع عَنْهُ الرِّيحَ بِرَفْعِ الْبِنَاءِ وَلَا نَحْوَ الْمِلْحِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ وَيُرْسِلُ إِلَيْه ثَمَرَةً يَشْتَرِيهَا أَوْ يُخْفِيهَا وَلَا يُبَلِّغُه رِيحَ الْقِدْرِ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْه وَيُسَامِحُ مَا أَمْكَنَ

﴿فى كل جهة﴾ وهذا قد علم مما تقدم فكأنه يشير الى ما قيل من أن المراد باربعين فى مجموع الجهات بان يكون عشرة فى كل جهة، وعن عائشة « قلت يارسول الله ان لى جارين أحدهما مقبل ببابه والآخر نائيا به عنى وربما كان الذى عندى لا يسعهما فايهما أعظم حقا قال: المقبل عليك ببابه » رواه البخارى ففيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) وعن ابن مسعود «قال رجل يارسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت واذا سمعت جيرانك يقولون أسأت فقد أسأت » أحمد والطبرانى باسناد جيد، ولاحمد وغيره عنه عليه السلام «من أراد به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه» وفى رواية البيهقى «يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله» واسناده جيد ﴿ويحترز عن النظر الى بيته﴾ بان لا يطلع من السطح وغيره على عوراته وان اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته ﴿ واجراء الميزاب اليه ﴾ بان يكون ضررا الانصباب عليه ﴿ووضع السارية﴾ أى الأسطوانة ﴿على حائطه﴾ أى جداره، ففى الصحيحين عن أبى هريرة « لايمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة فى جداره » وفى مكارم الاخلاق للخرائطى عن أبى هريرة «قضى عليه السلام أن الجار يضع جذعة فى حائط جاره شاء أم أبى» واسناده جيد ﴿ والمضايقة فى القاء التراب﴾ أى ونحوه من الرماد وغيره ﴿ بين يدى داره ولايمنع عنه الريح برفع البناء ﴾ وكذا الضوء بسد الهواء ﴿ولانحو الملح والماء والنار﴾ فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار ﴿ويرسل اليه ثمرة﴾ أى فاكهة ﴿يشتريها أو يخفيها﴾ بان لايبديها لانه اذا رآها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها ﴿ولايبلغه ﴾ أى لا يوصله ﴿ريح القدر﴾ أى غليانه ودخانه ﴿ الا ان يرسل اليه ﴾ والا فيقال فى حقه: احسانه ما يأتينا دخانه يعمينا ﴿ ويسامح ما أمكن ﴾ أى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الأذى بل احتمال

وَيحسن الْمعَاشرَةَ مع الْمرأة، فورد (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) مَنْ صبر على سوء خُلُق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خُلُق زوجها أعطاها الله ثواب آسية »

الأذى ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق و بذل الندى ﴿ ويحسن المعاشرة مع المرأة ﴾ فيحسن الخلق معهن و يحتمل الأذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن ﴿ فورد ﴾ أى في القرآن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ تمامه (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا) وفى آية أخرى (فامساك بمعروف أوتسريح باحسان) وفى اخرى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) وعن ابن عباس انى أحب ان أتزين لامرأتى كما تحب امرأتى ان تتزين لى لهذه الآية ﴿من صبر﴾ أى ورد من صبر ﴿على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله ثواب آسية﴾ امرأة فرعون كذا فى الأحياء وقال مخرجه: لم أجدله أصلا قلت: ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملائمة بين الفقرتين فان امرأة أيوب كانت من الصلحاء والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل ما أعطى نوح أولوط على بلائه أى ابتلائه بامرأته فيكون مشيرا الى قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) أى بالكفر لان حرم الأنبياء مصونات عن الزنا الى ان قال (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) الآية ، وقد ورد عنه عليه السلام « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا والطفهم باهله » الترمذى والنسائى والحاكم وصححه وللترمذى من حديث عائشة وصححه « خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلى » ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الأذى عنها بل تحمل الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة أدبها اقتداء به عليه السلام فان أزواجه كن يراجعنه فى الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما فى الصحيحين من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) أى عائشة وحفصة وفى رواية أبي يعلى فى مسنده وأبى الشيخ فى كتاب الأمثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عائشة له مرة فى كلام « غضبت عنده أنت الذى تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما» أقول: وهذا لعلمه عليه السلام بانها ما خرجت بهذا الكلام من الاسلام لما أطلعه الله

وَيَنْبَسِطُ لَعِبًا وَمِزَاحًا ، فَوَرَد « هَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ » وَلَا يَدَعُ الانْقِبَاضَ ،

سبحانه من علم الغيب فى الأحكام والا فظاهره ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها «انى لأعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك» وراجعت امرأة عمر فى الكلام «فقال أوتراجعينى فقلت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت» أى ان راجعته ثم قال لحفصة: «لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ» ويروى « أنه وقعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام: دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك » . ﴿وينبسط لعبا ومزاحا﴾ فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا ﴿فورد﴾ أى خطابا لجابر ﴿هلا بكرا﴾ أى أخذتها ﴿تلاعبها وتلاعبك﴾ وفى نسخة «تداعبها وتداعبك» وكان عليه السلام « يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن» حتى روى « أنه كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الأيام فقال عليه السلام :هذه بتلك ، أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح» وقالت عائشة : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى :اتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسبك ياحميراء وأقول لاتعجل مرتين» والحديث رواه الشيخان والنسائى مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا، وكذا روى عن لقمان ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت: كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ماوجد غير سائل عما فقد ﴿ولا يدع الانقباض﴾ أى بالمرة حتى لا يصير محكوما للمرأة وأسيرا لها فى الحرمة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار أزواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف علي ظهره فانما

فَوَرَدَ «وَخَالِفُوهُنَّ فَالبَرَكَةُ فِي خِلَافِهِنَّ» وَيَغَارُ بِمَبَادِي الأُمُورِ وَلَهَا غَوائِلُ، وَوَرَدَ «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ وَالمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ»

هو حمارك فى أمره طول عمره، هذا وفى البخارى عن أبى بكرة «لا يفلح قوم تملكتهم امرأة» وروى أن اسماء بنت خارجة الفزارى قال لابنته عند زفافها انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لاتلحى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه لايشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا، وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرة الدف مرة ... فانك لا تدرين كيف المغيب
لأنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿فورد﴾ أى كما سبق ﴿وخالفوهن﴾ أى فى المشورة وأصل الحديث «شاوروهن وخالفوهن» ﴿فالبركة فى خلافهن﴾ أى لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من تتمة كلام عمر رضى الله عنه «خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة» وقال الحسن «والله ما أصبح رجل يطيع امرأته بما تهوى الا أكبه الله فى النار» وأما ما أورده الغزالى من حديث «تعس عبد الزوجة» فلا أصل له وانما ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» والله سبحانه أعلم ﴿ويغار بمبادى الأمور﴾ لئلا تتأدى الى مناهى الشرور ﴿ولها غوائل﴾ جملة حالية أى والحال ان للمرأة مناكر ورذائل فانهن كما ورد «للشيطان حبائل» فالغيرة بعد ظهور الريبة من أخلاق الرجال وأرباب الفضائل وأصحاب الفواضل بل من باب التخلق باخلاق الله ﴿وورد ان الله تعالى يغار والمؤمن﴾ أى الكامل ﴿يغار﴾ أى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا ظاهر ﴿وغيرة الله ان يأتى المؤمن ماحرم الله عليه﴾ أى من الزنى وغيره والحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة الا ان البخارى لم يقل والمؤمن يغار والحاصل ان الغيرة كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة أمره

وَلَا يُفْرِطُ ، فَوَرَدَ « مِنَ الْغَيْرَةِ غَيْرَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ » وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ،وَيُمْنَعُ عَنِ الْحُضُورِ فِى الْمَسْجِدِ

﴿ ولايفرط ﴾ أى لايبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محظور ﴿ فورد ﴾ أى فى رواية أبى داود، والنسائى . وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ﴿ من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل ﴾ أى على أهله ﴿ من غير ريبة ﴾ أى شك وشبهة ، وفى رواية «ان من الغيرة مايحبه الله تعالى ومنها مايبغضه الله ، الحديث وجاء فى حديث عنه عليه السلام «انى لغيور ومامن امرىء لايغار الامنكوس القلب وقدقال على رضى الله عنه « لاتكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك» وقدورد نهيه عليه السلام « عن تتبع عثرات النساء » الطبرانى ولان الغيرة من غير الريبة من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض الظن اثم،ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف ، والاعصم الأبيض البطن ، ولأحمد من حديث عمرو بن العاص « كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال : لايدخل الجنة من النساء الامثل هذا الغراب فى هذه الغربان » واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائى ، وورد « استعيذوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وامام ان أحسنت لم يرض عنك وان اسأت غضب منك وامرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك » الديلمى عن أبى هريرة بسند ضعيف وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد «ثلاث من الفواقر ـ فذكر منها ـ وامرأة ان حضرتك أذتك وان غبت عنها خانتك » وسنده حسن ﴿ ويمنع ﴾ أى المرأة الشابة ﴿ عن الحضور فى المسجد ﴾ وجوز بعض فقهائنا حضور العجوز من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهن لفساد الزمان خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام « قد أذن للنساء فى حضور المساجد » وهو متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد» والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا لامعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها : « لو علم النبى ﷺ ما أحدث الناس بعده لمنعهن الخروج » متفق عليه،ولما قال ابن عمر كما فى الصحيحين قال عليه السلام : « لاتمنعوا

وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) الْآيَةَ وَلَا يَخْتَصُّ بِأَجْوَدِ الطَّعَامِ وَيَشْتَرِكَانِ فِيهِ ، فَوَرَدَ فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَيُعَلِّمُ

اماء الله مساجد الله » قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم: بلى والله لنمنعهن فضرب به وغضب عليه وهجره وقال : تسمعني أقول قال عليه السلام «لاتمنعوا» فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر قال : والخروج الآن أيضا مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولـكن القعود أسلم والله أعلم ، فاذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول: ان وجه الرجل فى حقها عورة كوجهها فى حقه بل هو كوجه الصبي الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر اليه عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذلم يزل الرجال على ممر الزمان مكتشفى الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أومنعوا من الخروج الاللضرورة انتهى ، وقد بالغ النووى وحرم النظر الى الأمرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة ﴿ و يعتدل فى النفقة ﴾ ففى الخبر «الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة» الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر ﴿ فورد ﴾ أى فى القرآن ﴿ ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ وهى كناية عن البخل ﴿ الآية ﴾ أى (ولاتبسطها كل البسط) وهى كناية عن الاسراف والتبذير (فتقعد ملوما محسورا) وقال عز وعلا فى نعت عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقيل: كان لعلى أربع نسوة يشترى لـكل واحدة منهن فى كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال ابن سيرين: يستحب للرجل ان يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة فان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير باعتبار العادات ﴿ ولا يختص ﴾ أى الرجل ﴿ باجود الطعام ﴾ أى لاينبغى له ان يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلايطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب الضجر الااذا رضى أهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله فى خفية بحيث لايطلع عليه غيره ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاما فينبغى أن يطعمهم اياه ﴿ ويشتركان ﴾ أى هو والعيال ﴿ فيه ﴾ أى فى الأكل على مائدته ﴿ فورد فيه فضل كثير ﴾ ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى وقال سفيان «بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون فى جماعة» ﴿ ويعلم ﴾ أى المرأة

مَا يَجِبُ عَلَيْهَا، وَيَعْدِلُ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْبَيْتُوتَةِ وَالْإِعْطَاءِ، فَوَرَدَ فِي الْمَائِلِ «جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ» بِخِلَافِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْمَحَبَّةِ فَلَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا، وَوَرَدَ «اللَّهُمَّ هَذَا جَهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ» بَعْدَ الْقَسْمِ

﴿ ما يجب عليها ﴾ من علم الحيض وأحكامه وأحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لا يقضى فانه أمر بان يقيها النار لقوله تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها الله اذا تساهلت فى أمر دينها، وفى الاحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعى وأما عندنا فلا يجب عليها إلا قضاء العصر والعشاء ثم إن قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن أهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصى الرجل بمنعها فى تلك الحال ﴿ ويعدل بين النساء فى البيتوتة ﴾ أى فى مبيت الليل عندهن ﴿ والاعطاء ﴾ أى من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضها دون غيرهن حتى لو خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة منهن أقرع بينهن كذلك كان يفعله عليه السلام كما فى الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أى كمال العدل (ولو حرصتم) أى من طريق الفضل (فلا تميلوا كل الميل) أى الى واحدة عن أخرى (فتذروها كالمعلقة) بين المزوجة والمطلقة ﴿ فورد فى المائل ﴾ أى فى القسم ﴿ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴾ أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبى هريرة مرفوعا « من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى » وفى رواية « فمال مع احداهما » وفى أخرى « فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل » أى ساقط ﴿ بخلاف المباشرة ﴾ استثناء معنوى من البيتوتة والاعطاء أى لكن المجامعة بل الملامسة والملاعبة ﴿ والمحبة ﴾ أى التى يتفرع عليها غالب اسباب الملايمة ﴿ فلا اختيار فيهما ﴾ أى طبعا فلا حرج فى عدم العدل فيهما شرعا ﴿ وورد ﴾ أى عنه عليه السلام أنه كان يعدل بينهن ويقول ﴿ اللهم هذا ﴾ أى الذى فعلته من القسم ﴿ جهدى ﴾ بالضم الطاقة وبالفتح المشقة أى غاية اجتهادى ﴿ فيما أملك ﴾ أى من العدل بينهن ﴿ ولا طاقة لى فيما لا أملك ﴾ أى من زيادة المحبة أو المجامعة الى بعضهن ﴿ بعد القسم ﴾ ظرف لورد أى قال هذا الكلام بعد القسم، والحديث رواه

وَلَوْ وَقَعَتِ الْخُصُومَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْ جَانِبِهِ وَلَا تَلْتَئِمُ فَلَابُدَّ مِنْ حَكَمَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَهْلِهَا، فَوَرَدَ (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة أنه عليه السلام « كان يعدل بينهن ويقول: «اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك» ولابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين «ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل فى ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن» وفى مرسل آخر له «لما ثقل عليه السلام قال: أين انا غدا؟ قالوا عند فلانة قال: فاين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة» الحديث، وللبخارى من حديث عائشة « كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة فاذن له أزواجه أن يكون حيث شاء» وفى الصحيحين «لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فاذن له». هذا وقال تعالى: (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) ولأبى داود من حديث عائشة «قالت سودة وهى بنت زمعة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله يومى لعائشة» الحديث، وللطبرانى «فاراد أن يفارقها» وهو عند البخارى بلفظ «لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها بيوم سودة» وللبيهقى مرسلا «طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر فى أزواجك» الحديث ثم انه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه فى غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما فى الصحيحين عن عائشة «طاف على نسائه فى ليلة واحدة» وللبخارى «كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة» ولابن عدى فى الكامل عن أنس «أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار» قيل: وهذا من خصوصياته عليه السلام (ولو وقعت الخصومة) أى المخالفة (من الجانبين) أى جانبى الزوجين (أو جانبه) أى الرجل وحده (ولا تلتئم) أى خصومتهما ولا يجتمع أمرهما (فلابد من حكمين من أهله وأهلها فورد) فى القرآن (إن يريدا) صدر الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا). (اصلاحا يوفق الله بينهما) وضمير يريدا الى الزوجين كضمير بينهما أو الأول الى الحكمين والثانى الى الزوجين، ويؤيده أن عمر رضى الله عنه

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَانِبِهَا يَعِظُ الزَّوْجُ ثُمَّ يُخَوِّفُ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ فِي الْفِرَاشِ ثُمَّ يَعْزِلُهَا
دُونَ الْبَيْتِ ثُمَّ يُهَاجِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَاءَ عَشَرَةً أَوْ عِشْرِينَ أَوْ شَهْرًا إِنْ كَانَ لِلدِّينِ
ثُمَّ يَضْرِبُ

بعث حكمين الى زوجين فعادا ولم يصلحا أمرهما فعلاهما بالدرة وقال: ان الله يقول (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) فعادا وأحسنا النية وتلطفا فى القضية فاصلح ما بينهما، وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى ادخلا بينهما أبا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام: تكلمين أو أتكلم فقالت: تكلم أنت ولا تقول الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فمها فقال: ياعدية نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له عليه السلام: لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك» ﴿وان كان﴾ أى النشوز ﴿من جانبها﴾ أى المرأة فقط فقد قال تعالى: (وللرجال عليهن درجة) وقال (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا) وهذا معنى قوله ﴿يعظ الزوج﴾ أى ينصحها ويلاطفها معها أولا لقوله تعالى: (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ﴿ثم يخوف﴾ أى يحذر المرأة من الضرب ونحوه ﴿ثم يستدبر فى الفراش﴾ بان يوليها ظهره فى المضجع ﴿ثم يعزلها﴾ أى ينفرد بفراشه عنها ﴿دون البيت﴾ أى من غير أن يخرج هو أوهى من البيت ﴿ثم يهاجر﴾ أى يهجرها وهو مع ذلك فى البيت معها ﴿ثلاثة ايام﴾ أى من ليلة الى ثلاث ليال ﴿وجاء﴾ أى ورد انه جاز ان يهجرها ﴿عشرة أو عشرين أو شهرا ان كان للدين﴾ كترك صلاة وغسل جنابة واباء عن فراش ونحوها «فعل ذلك رسول الله ﷺ اذ أرسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التى هو فى بيتها لقد أقمأتك اذردت عليك هديتك أى أذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام: أنتن أهون على الله ان تقمئننى ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن» كذا فى الاحياء وذكره ابن الجوزى بغير اسناد فى الوفاء، وفى الصحيحين من حديث عمر «كان أقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن» وفى رواية «آلى منهن شهرا» ولمسلم من حديث جابر «ثم اعتزلهن شهرا» ﴿ثم يضرب﴾

غَيْرَ جَارِحٍ وَلَا كَاسِرٍ وَلَا مُلَطِّخٍ بِدَمٍ، فَوَرَدَ فِيهِ « وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى وَلَا يُقَبِّحُ الْوَجْهَ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَا يُطَلِّقُ ، فَوَرَدَ « أَبْغَضُ الْمُبَاحَاتِ عِنْدَ اللهِ الطَّلَاقُ » وَلِأَنَّهُ إِيذَاءٌ إِلَّا لِضَرُورَةٍ مِنْهُ أَوْ جِنَايَةٍ مِنْهَا أَوْ أَمْرِ الْأَبِ بِهِ إِنْ صَحَّ الْغَرَضُ وَهُوَ مَأْثُورٌ

أى المرأة ضربا ﴿ غير جارح ولا كاسر ﴾ لعظم ﴿ ولا ملطخ بدم ﴾ ولا على وجه أيضا ﴿ فورد فيه ﴾ أى فى بيان هذا الحكم من أمره ونهيه عنه عليه السلام ﴿ وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم و يكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ﴾ أى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال: ولا يضرب الوجه ولا يقبح أى لا يقول قبحك الله أو قبح الله وجهك » وفى رواية لأبى داود «ولا يقبح الوجه ولا يضرب» ﴿ ولا يطلق ﴾ أى من غير احتياج الى اختيار الفراق ﴿ فورد أبغض المباحات عند الله الطلاق ﴾ رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه «أبغض الحلال الى الله الطلاق » وفى رواية للحاكم «ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق» وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل «ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق» وفى روايه «ما أحل الله حلالا أحب اليه من النكاح ولا أحل حلالا أكره اليه من الطلاق » قد يقال : المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور أن يكون أحد طرفيه مبغوضا فلا بد من التجوز فى المباح بإرادة ما يشمل المكروه، ففى الكافى أن الطلاق محظور فى أصل مباح نظرا الى الحاجة فاطلاق المباح نظرا الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى أصله انتهى ، وحاصله أنه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه، ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه ﴿ ولأنه ﴾ أى الطلاق ﴿ إيذاء ﴾ أى فى مقام الافتراق ولا يباح إيذاء الغير ﴿ إلا لضرورة منه ﴾ أى من جانبه ﴿ أو جناية منها ﴾ أى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها أو أهله أو تكون سيئة فى خلقها أو فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى : (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) ﴿ أو امر الأب ﴾ أى أو لأجل أمر أب الزوج ﴿ به ﴾ أى بطلاقها ﴿ ان صح الغرض ﴾ أى غرض الأب ولا يكون عن حظ النفس أو الغضب ﴿ وهو مأثور ﴾

وَوَرَدَ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) ٱلْآيَةَ فَيُطَلِّقُ فِى طُهْرٍ خَالٍ عَنِ الْجِمَاعِ وَاحِدَةً فَقَطْ بِلَا تَعْنِيفٍ وَاسْتِخْفَافٍ وَيُسِرُّ بِهَدِيَّةٍ جَبْرًا لِلْمُصِيبَةِ

أي مروي عن ابن عمر أنه قال: «كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها و يأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن عمر طلق امرأتك» أصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح ﴿وورد فلا جناح عليهما الآية﴾ وتمامها فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) والمعني اذا كان الأذى من الزوج فلها ان تفتدى ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما أخذته من العطاء ﴿ فيطلق ﴾ اى حينئذ ﴿ فى طهر خال عن الجماع ﴾ فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض، فقال عليه السلام لعمر: مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء» وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى، واما على مذهبنا ـ انه طلاق بائن ـ فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا ، وأما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى ﴿ واحدة فقط ﴾ أى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى أيضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى ، ولأن الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى أن يتزوجها الى محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقته أعنى زوجة المحلل بعد أن زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث ﴿ بلا تعنيف واستخفاف ﴾ اى ينبغى ان يتلطف فى التعلل لتطليقها ولا يستعجل فى امر تفريقها ﴿ ويسر بهدية ﴾ اى ويخفى بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية ﴿ جبرا للصيبة ﴾ اى لما اصابها من البلية ،وقد قال تعالى: (ومتعوهن بالمعروف) وذلك واجب فى بعض الصور

وَلَا تَطْلُبُهُ الْمَرْأَةُ فَفِيهِ الْوَعِيدُ

ومستحبة فى بعضها،وفى الكتب الفقهية يذكر تفصيلها، وكان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا منكاحا قائلا:انى وجدت الغنى فيهما حيث قال سبحانه : (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال: قل لهما:اعتديا وادفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال:ماذا فعلتا فقال اما احداهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحمها :وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما أفارقها لراجعتها ، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له فى المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان احب الى من ان يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال:الا ارسلت الى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وماهى؟قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبدالرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الأرض احد يمشى عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتى بضعة منى وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبى فى محبتك واكره ان يتغير قلبى عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول:ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى، وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال فى خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقام رجل من همدان فقال: والله يا امير المؤمنين لننكحنه ماشاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال : لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ﴿ ولاتطلبه ﴾ أى الطلاق ﴿ المرأة ﴾ أى من غير الضرورة ﴿ ففيه الوعيد ﴾ أى التهديد الشديد فلأبى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان « ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة » وفى لفظ «فالجنة عليها حرام» ومما ينبغى للزوج ان لا يفشى سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح

وَتُطِيعَ الزَّوْجَ، فَوَرَدَ «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ» وَلَا تَمْنَعَ نَفْسَهَا وَتَتَزَيَّنَ لِتَمَتُّعِهِ وَتَسْتَأْذِنَهُ فِى الْإِعْطَاءِ مِنَ الْبَيْتِ

وعيد عظيم كذا فى الأحياء ، وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد « قال عليه السلام ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم يفشى سرها » يعنى أو تفشى سره فان المجالس بالأمانة كما ورد ، وروى ان بعض الصالحين أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذى يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال : مالى وامرأة غيرى ، وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله ﴿ وتطيع الزوج ﴾ أى مطلقا فى كل ماطلبه منها فى نفسها مما لا معصية فيه ﴿ فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ﴾ الترمذى وابن ماجه من حديث أم سلمة ، وقال الترمذى : حسن غريب ﴿ ولا تمنع نفسها ﴾ أى عنه ولو كانت على تنور أو قتب مستور ، فلابن حبان من حديث أبى هريرة «اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها» وفى الصحيحين من حديث ابن عباس «اطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن : لم يارسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير» يعنى الزوج المعاشر ، ولأحمد من حديث أبى امامة «اطلعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والحرير» ولأبى نعيم «ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران» يعنى الحلى وسائر الأسباب ومصبغات الثياب ﴿ وتتقى ﴾ أى نفسها وتزينها ﴿ لتمتعه ﴾ أى لانتفاعه بها مستعدة فى الأحوال كلها فعن الأصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مختضبة وبيدها سبحة فقلت : ما أبعد هذا من هذا فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه   وللهو منى والبطالة جانب

قال : فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له ﴿ وتستأذنه فى الأعطاء من البيت ﴾ أى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء ، وفى الأحياء عنه عليه السلام لا يحل لها أن تطعم الا الرطب الذى يخاف فساده ، ولأبى داود من حديث سعد قالت امرأة : يارسول الله انا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه » وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار

وَالْخُرُوجِ عَنْهُ وَصَوْمِ النَّفْلِ، وَلَا تَعْيِيبُهُ بِالْقُبْحِ وَتَقَدُّمُ حَقِّهِ عَلَى الْأَقَارِبِ

ليس ابن أبي وقاص ، وذكر البزار في مسنده أنه ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان، ولمسلم من حديث عائشة « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » ﴿والخروج عنه﴾ أى وفى خروجها عن البيت ولو الى المساجد ونحوها ﴿ وصوم النفل ﴾ أى اذا كان عندها فللبيهقى عن ابن عمر « أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: انى امرأة أيم وأريد ان أتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة اذا أرادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطى شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الأجر، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها، ومن حقه أن لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها أو تتوب » وللحاكم وصححه عن أبي هريرة « أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يانبي الله انى امرأة فتاة أخطب وانا أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال: لو كان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت: فلا اتزوج اذا » وللترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة « لو امرت احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » ﴿ ولا تعييبه بالقبح ﴾ أى لا فى صورته ولا فى سيرته ولا تؤذيه فى سره وعلانيته، فللترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك رحيل يوشك ان يفارقك الينا » ولا تتفاخر على الزوج بمالها وجمالها فقد روى الأصمعى قال: « دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها : ياهذه اترضين لنفسك ان تكونى تحت مثله فقالت ياهذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه او لعلى اسأت فيما بينى و بين خالقى فجعله عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتتنى » وفى رواية له « رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقلت : ما اعلمك بذلك فقالت ابتليت أنا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين الجنة ﴿ وتقدم حقه ﴾ اى حق الزوج ﴿ على الاقارب ﴾ حتى على الوالدين ، فللطبرانى فى الاوسط عن انس « كان رجل خرج الى

وَلَا تَنْبَسِطُ مَعَ حَبِيبِهِ وَتَنْقَبِضُ فِي غَيْبَتِهِ بِتَرْكِ الْمُلَاعَبَةِ وَ الْالْتِذَاذِ وَتَقُومُ بِأُمُورِ الْبَيْتِ وَلَا تَسْتَبْدِلُ زَوْجًا بَعْدَ وَفَاتِهِ لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ

سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن فى النزول الى ابيها فقال عليه السلام: اطيعى زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال: اطيعى زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها» ﴿ولا تنبسط﴾ اى بالكلام والسلام ﴿مع حبيبه﴾ اى صديق زوجها لاسيا فى حال غيبته عن بلدها ﴿وتنقبض فى غيبته بترك الملاعبة﴾ فى حال المصاحبة ﴿والالتذاذ﴾ بانواع من الطعام واصناف من الزينة فى ذلك المقام لان الوقت يقتضى الحزن والاهتمام ﴿وتقوم بامور البيت﴾ اى بكل خدمة فى الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار، فقد روى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما «انها قالت تزوجنى الزبير وماله فى الارض من مال ولا مملوك ولاشىء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز له غربه واعجن وكنت انقل النوى اى اجمعه على رأسى من ثلثى فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفانى سياسة الفرس فكانما اعتقنى ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام: اخ اخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فجئت فحكيت له ماجرى فقال: والله لحملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام» رواه الشيخان، ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلابن حبان من حديث ابن مسعود «أقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها افضل من صلاتها فى المسجد» ﴿ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته فى الجنة﴾ اى على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فاختلف فى انها تكون للاول او الثانى او تخير فيهما وهو الاظهر، وفى البستان امامن قال هى للآخر منهما فذهب الى ما روى عن معاوية بن ابى سفيان «انه خطب ام الدرداء فقالت: سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ انه قال: المرأة لآخر ازواجها فى الآخرة

وقال لى: ان اردت ان تكونى زوجى فى الآخرة فلا تتزوجى بعدى» واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ماروى عن ام حبيبة « سألت النبى ﷺ فقلت: يارسول الله المرأة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون فى الآخرة؟ قال: تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة» هذا ولابى داود من حديث ابى مالك الاشجعى « انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة » اراد امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على أولادها حتى باتوا أوماتوا» وللخرائطى عن أبى هريرة « حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غير انى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول مالهذه تبادرنى؟ فيقال يامحمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهم حتى بلغ أمرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك» ، ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لاتحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليال فتجتنب فى تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت أبى سلمة: « دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج أربعة أشهر وعشرا» رواه الشيخان ، ومن أهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى: (ياأيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية، والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء فى السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته: اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولانصبر على النار، وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته: لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته اكالا وماعرفته رزاقا ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق، وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبى الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى همة فى شئ لشغلى بحالى فقالت: والله انى لاشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجى فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال: حتى استأذن أستاذى فرجع الى أبى سليمان الدارانى قال: وكان ينهانى عن التزوج ويقول ماتزوج أحد من أصحابنا الاتغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بها

وَ يحَافظُ حَالَ الْوَلَدِ وَلاَ يَشْتمُهُ لاَ سِيَّمَا سَمِيِّ الأَنْبِيَاءِ وَ يلقنُهُ كلمةَ التَّوحيد فى أَوَّلِ مَا يَنطلقُ به اللِّسَانُ وَ يعلمهُ عُلومَ الدِّينِ وَالْكِتَابَةَ وَالرَّمْيَ وَالسِّبَاحَةَ وَ يؤدبُ لستِّ سنين

هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال : فتزوجها فكان فى منزلها كر من جص نقى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية فى أهل البصرة ﴿ ويحافظ حال الولد ﴾ أى من صغره ففى الطبرانى من حديث ابن عمر «قال رجل يارسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق» ﴿ ولا يشتمه ﴾ أى لئلا يصير بطرا ماله فى كبره ﴿ لاسيما سمى الأنبياء ﴾ لانه حينئذ قد يقال بكفره ﴿ ويلقنه كلمة التوحيد فى أول ماينطلق به اللسان ﴾ ففى رواية ابن السنى عن ابن عمرو مرفوعا «اذا أفصح الولد فليعلمه لااله الاالله» وهو شامل لتلقين مبناه وتبيين معناه، وفى رواية له أيضا عن أنس «انه عليه السلام كان اذا أفصح الولد من بنى عبد المطلب علمه» (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) أقول: ويناسبه أيضا تعليم سورة الاخلاص والفاتحة ﴿ ويعلمه علوم الدين ﴾ أى أصول الشريعة وفروعها ويمنعه من تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام «اسألك علما نافعا وأعوذ بك من علم لاينفع» ﴿ والكتابة ﴾ فانها وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من أسباب الهداية فى البداية والنهاية ﴿ والرمى ﴾ لقوله تعالى : (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) وقوله عليه السلام «الا ان القوة الرمى» وقد سبق ماورد فى فضل فعله وذم تركه ﴿ والسباحة ﴾ وهى معرفة الغوص فى الماء ولعله للاحتياج اليه فى سفر البحر للحج والغزو ولاسيما وقد ورد ان شهداء البحر أفضل من شهداء البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا فقال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يانحوى فقال لا قال ضيعت جميع عمرك ﴿ ويؤدب ﴾ أى ولده بضرب ونحوه ﴿ لست سنين ﴾ أى اذا خالف فى آداب الصالحين وأخلاق المحسنين أو فيما يتعلق بحقوق الوالدين والأقربين

وَيَعزِلُ الفِرَاشَ لِسَبْعِ سِنِينَ وَ يَضْرِبُ عَلَى الصَّلَاةِ لِعَشْرٍ ، وَرُوِىَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ،وَيُزَوِّجُ لِستَّ عَشْرَةَ وَيُسَوِّى بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِى الْاهْدَاءِ وَيَبْدَأُ بِالْأَطْفَالِ وَالْبَنَاتِ

فللبيهقى عن ابن عباس مرفوعا «من حق الولد على الوالدين ان يحسن أدبه ويحسن اسمه» وأما مادون ست سنين فتأديبه باللسان والاحسان ﴿و يعزل الفراش﴾ أى عن أمه وأخته ونحوهما ﴿لسبع سنين﴾ لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن ﴿ويضرب على الصلاة﴾ أى على تركها ﴿لعشر﴾ أى حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ، ولأبى داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعا «اذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة» ﴿وروى لثلاث عشرة﴾ أى فانه قارب البلوغ ﴿و يزوج لست عشرة﴾ لتحقق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ، ولابن السنى عن أنس مرفوعا «اضربوه على الصلاة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لاجعلك الله على فتنة» ورواه أبو الشيخ عن أنس بلفظ «فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة فاذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذه بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وانكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة» ﴿ويسوى بين الاولاد فى الاهداء﴾ فعنه عليه السلام «رحم الله والدا أعان ولده على بره» أى لم يحمله على عقوقه بسوء عمله فى حقوقه أبو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب عن على . وابن عمر رضى الله عنهم، وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت أفسدته ﴿ويبدأ﴾ أى فى الاعطاء ﴿بالاطفال﴾ أى لصغرهم وقلة صبرهم ﴿والبنات﴾ لجبرهن عن كسرهن فروى «ساووا بين أولادكم فى العطية» كذا فى الاحياء ولم يتعرض له مخرجه، وفى الجامع الصغير بلفظ «ساووا بين أولادكم فى العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء» الطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس ، والظاهر ان القبلة ونحوها فى حضورهم ينبغى فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب فى يوسف واخوته فى تلك القضية ، ثم الظاهر أن التسوية فى الاعطاء انما هو اذا كانوا كلهم فقراء أو أغنياء واما اذا كان بعضهم فقراء فزادهم فى العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم

المحرم عندنا ، هذا وفى الجلة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين ـ وهو عليه السلام على منبره ـ فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى: (انما اموالكم واولادكم فتنة) كذا فى الاحياء وقال مخرجه: رواه أصحاب السنن من حديث أبي بريدة «فى الحسن والحسين يمشيان ويعثران» قال الترمذى : حسن غريب وللنسائى من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه «قال بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس اذ جاء الحسن أو الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث أمر فقال : ان بنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته » أي يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، ورأى الأقرع بن حابس النبي عليه السلام «وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم» البخارى عن ابى هريرة، وللحافظ الذهبى فى ترجمة أسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبى عن عائشة «قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه اسامة فجعلت اغسله وأنا آنفة فضرب بيدى ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية» يعنى لئلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة « ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمي فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمصه و يقول : لوكان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتي أنفقها» واسناده صحيح، وعنه عليه السلام «الولد من ريح الجنة» الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس ، وقد قيل : ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك، وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا أبا الحسن ماتقول فى الولد فقال يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل خليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر : ثم اعلم ان أكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر

وَيَتَوَضَّأُ فِي مَوْتِهِ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَأْخُذُ بِنَاصِيَةِ الْمُشْتَرِي وَيَدْعُو بِالْبَرَكَةِ وَيُذِيقُهُ الْحَلْوَاءَ أَوَّلاً وَيُطْعِمُهُ مِمَّا يَطْعَمُ وَالْأَوْلَى أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ

فى مباح أو نافلة الا باذنهما ، والمبادرة الى الحج الذى هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخى والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض العينى من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن فى بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال أبو سعيد الخدرى: «هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن أبواك قال : نعم قال هل أذنا لك فقال لا فقال عليه السلام فارجع الى أبويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد » أحمد . وابن حبان. وجاء آخر اليه صلى الله عليه وآله وسلم يستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال : نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها » ابن ماجه . والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة اذ جاهمة أتى النبى قال الحاكم صحيح الاسناد، وجاء آخر « وطلب البيعة على الهجرة ، وقال : ماجئتك حتى أبكيت والدى فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما » أبو داود . والنسائى . وابن ماجه . والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد ﴿ ويتوضأ فى موته ﴾ أى فى موت ولده ﴿ ويصلى ركعتين ﴾ عند فقده لقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) ﴿ ويأخذ بناصية المشترى ﴾ أى من العبد والجارية والدابة ﴿ ويدعو بالبركة ﴾ ويقول: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق اللهم أعطنى خير ما انت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم ﴿ ويذيقه ﴾ اى العبد أو الجارية ﴿ الحلواء ﴾ اى شيئا من الحلواء ﴿ أولا ﴾ أى تفاؤلا بحلاوته آخرا ولحديث معاذ « اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شىء يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه» الطبرانى فى الأوسط والخرائطى ﴿ ويطعمه مما يطعم ﴾ أى مما يوكله بنفسه ﴿ والاولى أن يأكل معه ﴾ أى تواضعا لربه ولما فى الصحيحين « وليأكل معه فان أبى فليناوله» وفى رواية « اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه أو ليأخذ اكلة فيروغها واشار بيده وليضعها فى يده وليقل كل هذه» وللبخارى فى تاريخه والبيهقى عن ابى هريرة مرفوعا « ما استكبر من أكل معه خادمه

وَيَكْسُوهُ مِمَّا يَكْتَسِي وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا لَا يُطِيقُ وَيُمْسِكُ مَا أَحَبَّ وَلَا يُعَذِّبُ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ، وَوَرَدَ « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، وَلَا يَضْرِبُ غَضَبًا بَلْ تَأْدِيبًا

وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها » (ويكسوه مما يكتسى ولا يكلفه مالا يطيق) وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى فى كل سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه ، وروى عن أبى هريرة « أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له : ياعبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحه ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه » وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال : ياعبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم فى شغل وكرهنا أن نجمع عليه عملين (ويمسك ما أحب) أى مادام يحب امساكه (ولا يعذب) أى مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه (فالكل مأثور) ففى أبى داود من حديث على « كان آخر كلامه عليه السلام الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم » وفى الصحيحين من حديث أنس « كان آخر وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ولهما من حديث أبى ذر « أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم » وهذا لفظ مسلم ، وفى رواية لابى داود « من يلائمكم من مملوكيكم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » واسناده صحيح وفى رواية لمسلم من حديث ابى هريرة « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل مالا يطيق » (وورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته) رواه الشيخان عن ابن عمر (ولا يضرب غضبا) أى من طريق الغضب (بل تأديبا) اى تضربه على سبيل الادب فيكون تهذيبا لا تعذيبا ، ففى صحيح مسلم عن ابى مسعود الأنصارى « قال بينا انا اضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله ﷺ فالقيت السوط من يدى فقال : والله لله أقدر عليك منك على هذا » وعن ابن المنكدر « أن رجلا من أصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول : اسألك بالله أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه أمسك يده فقال عليه السلام : يسألك بوجه الله فلم

لاعلى زلة ونسيان ولا يزيد على ثلاث فانه قصاص يوم القيامة، وورد «اعف عنه سبعين مرة لمن قال كم أعفو ويعتق

تعفه فلما رأيتنى أمسكت يدك قال : فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال: لو لم تفعل لسفعت وجهك النار » ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا، وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد « فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه» وفى رواية له « فقلت: هو حر لوجه الله فقال: أما انك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار »وللترمذى عن أبى سعيد «اذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم» ﴿لاعلى زلة﴾ أى لا يضربه على ماصدر منه من عثرة أو غفلة ﴿ونسيان﴾ أى تخلقا بأخلاق الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير اليه قوله : (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وحديث «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقيل للأحنف ابن قيس «ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس فى داره اذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال: انت حرة لوجه الله لا باس عليك و كان عنده ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت وأراقتها على رأس سيدها فقال: ياجارية أحرقتينى قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت : (والكاظمين الغيظ) قال قد كظمت غيظى قالت (والعافين عن الناس) قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول (والله يحب المحسنين) قال أنت حرة لوجه الله . ﴿ ولا يزيد على ثلاث ﴾ أى ضربات ثلاث اذا كان الذنب صغيرا وأما اذا كان كبيرا فينقص من الأربعين فانه غاية التعزير ﴿فانه﴾ أى المزيد عليه ﴿قصاص﴾ أى مقتص منه ﴿يوم القيامة وورد اعف عنه﴾ أى عن الخادم ﴿سبعين مرة لمن قال كم أعفو﴾ فلأبى داود والترمذى وقال حسن غريب عن ابن عمر «جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة» وكان عون بن عبيد الله اذا عصاه غلامه قال : ما أشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك فأغضبه يوما فقال انما تريد أن أضربك اذهب فانت حر ﴿ ويعتق ﴾ أى المملوك

إِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ فَفِيهِ الْعِتْقُ مِنَ النَّارِ وَلَا يَهْزِلُ مَعَهُ فَهُوَ يُسْقِطُ الْوَقَارَ وَيُهَذِّبُ أَهْلَ الْبَيْتِ بِالرِّيَاضَةِ لَاسِيَّمَا الْوَلَدُ الْمُرَاهِقُ فَهُوَ أَيْسَرُ ، وَوَرَدَ (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَلَا يَطَأُ حَيَوَانًا فَإِنَّهُ يُسْأَلُ عَنْهُ وَيَطُوفُ طَوَّافَاتُ الْبَيْتِ فَهُوَ مَأْثُورٌ

﴿ ان طالت المدة ﴾ وطول المدة تكون لسبع سنين فا كثر على مافى الشرعة ﴿ ففيه العتق من النار ﴾ لقوله عليه السلام: « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه » رواه الشيخان عن أبى هريرة، وفيهما أيضا عنه عليه السلام « من كانت عنده جارية فعالها وأحسن اليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » وقالت جارية لأبى الدرداء: انى سممتك منذ سنة وماعمل فيك شيئا فقال: لم فعلت ذلك فقالت: أردت الراحة منك قال: اذهبى فانت حرة لوجه الله، أقول وكانها كانت مدبرة ﴿ ولا يهزل معه ﴾ أى لا يمزح مع مملوكه ﴿ فهو يسقط الوقار ﴾ أى الهيبة والرزانة فلا يعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة. هذا وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا « اذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لى أجران فذهب أحدهما ﴿ ويهذب أهل البيت ﴾ من الولد والزوجة والخادم ﴿ بالرياضة ﴾ أى بتحسين الأخلاق ﴿ لاسيما الولد المراهق ﴾ أى القريب الى البلوغ الذى وقع فيه تكليف الخالق ﴿ فهو ﴾ أى التهذيب فى حال الصغر ﴿ ايسر ﴾ أى أسهل على كل منهما ﴿ وورد ﴾ أى فى قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ﴾ أى احفظوها ﴿ ناراوقودها الناس والحجارة ﴾ عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) ﴿ ولا يطأ حيوانا ﴾ أى لا يدوسه ﴿ فانه يسأل عنه ﴾ أى هل كان عبثا أو عمدا أو خطأ أو نسيانا، وقد قال تعالى: حكاية عن النمل (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)، وقد قيل البر من لا يؤذى الذر ﴿ و يطوف طوافات البيت ﴾ أى يجوزان يدخلوا فى بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار ﴿ فهو مأثور ﴾ أى مروى فى الكتاب والسنة قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن

وَ لَا يَضْرِبُ شَيْئًا عَلَى الْوَجْهِ وَلَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ فَنُهِيَ عَنْهُمَا وَيَعْرِضُ الْمَاءَ وَالْعَلَفَ عَلَى الْفَرَسِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَوَرَدَ « يُمْنُ الْفَرَسِ ذُلُّهُ وَحُسْنُ خُلُقِهِ » وَلَا يَدْخُلُ عَلَى الظَّلَمَةِ تَحَامِيًا عَنِ اسْتِعْمَالِ دَارِهِمْ وَمَظَلَّتِهِمْ وَفِرَاشِهِمْ فَلَا يَخْلُو عَنْ حَرَامٍ

طوافون عليكم بعضكم على بعض) ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات، فعن كبشة بنت كعب بن مالك «وكانت تحت ابن أبي قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءاً فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرآني انظر فقال: اتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات» رواه الأربعة ، وقال الترمذى حسن صحيح ﴿ ولا يضرب شيئا ﴾ أي حتى الدواب ﴿ على الوجه ولا يعذب ﴾ أي الوجه وغيره ﴿ بالنار ﴾ اى بالكى ونحوه، واختلف فى تجويز تحريق الزنديق ﴿ فنهى عنهما ﴾ فلابى داود عن أبي هريرة « اذا ضرب أحدكم فليتق الوجه» وللترمذى والحاكم عن عمران «أنه عليه السلام نهى عن الكى» ﴿ ويعرض الماء والعلف على الفرس ﴾ أي فى الجهاد ونحوه ﴿ سبعين مرة ﴾ ولعله أريد به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف» ﴿ وورد يمن الفرس ذله ﴾ أي انقياده لراكبه ﴿ وحسن خلقه ﴾ أي لصاحبه وقد تقدم والله أعلم ﴿ ولا يدخل على الظالمة ﴾ اى الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى: (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) فالاولى والاسلم من الأحوال ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الأحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة ﴿ تحاميا عن استعمال دارهم ﴾ اى المغصوبة من اهل ديارهم ﴿ ومظلتهم ﴾ اى ومكان ظل خيمهم واشجارهم ﴿ وفراشهم ﴾ اى بساطهم ودثارهم ﴿ فلا يخلو عن حرام ﴾ وقد قال تعالى : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه ، ولما وصف عليه السلام الأمراء الظلمة قال . فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم » الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف

والتَّواضعِ لَهُم فورد «من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام» والسكوت على منكر رآه عندهم والدعاء لهم بالبقاء، فورد «من دعى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»

وفي رواية «من خالطهم هلك» وإنما قال «أو كاد يسلم» فان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نقمة معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة ﴿والتواضع لهم﴾ اى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزم لاكرام الظلمة لاسيما ان ركع او سجد او تمثل له قائما في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف . ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام قال في الاحياء : وفيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم قلت : قد سقط بادنى من ذلك ومن جملته «أنه عليه السلام مارد جواب من لبس ثوبا أحمر» ﴿فورد من أكرم فاسقا﴾ وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام ﴿فقد أعان على هدم الاسلام﴾ أى على تعطيل بعض أركانه بتعظيم الظالم الذي يجب الاهانة في شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف «من وقر صاحب بدعة» رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة ﴿والسكوت﴾ أى وعن عدم الانكار بلسانه ﴿على منكر رآه عندهم﴾ أى وقدر على أنه ينكره باللسان عليهم كان يكون من العلماء أو المشايخ العظماء وذلك لانه يرى في مجلسهم من الفراش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه، وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة، فان قلت : أنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب مالا يباح الا لعذر فانه لولم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر ، وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم أنه لم يقدر على ازالته فلا يجوز له أن يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد فيسكت عليه ﴿والدعاء لهم بالبقاء﴾ اى حال التحية أو وقت الاعطاء ﴿فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه﴾

وَالْمَدْحِ وَإِنْ صَدَقَ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ ، وَوَرَدَ «إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ » وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ فَهِيَ إِرَادَةُ الظُّلْمِ

أى من الابتداء الى الانتهاء ، والحديث ذكره الزمخشرى فى تفسيره والغزالى فى الاحياء قال السخاوى: ولم نره فى المرفوع بل أخرجه أبو نعيم فى الحلية من قول سفيان الثورى وقال العراقى : رواه ابن أبى الدنيا من قول الحسن البصرى و كذا قال العسقلانى فى تخريج الكشاف ﴿ والمدح ﴾ أى وعن ثناء الفاسق ﴿وان صدق﴾ أى فى مدحه أى وكذا أن صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه ﴿فهو اعانة على الاثم﴾ وتحريك للرغبة فى المعصية والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترىء على ظلمه وفسقه ﴿ وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ﴾ ابن أبى الدنيا وابن عدى وأبو يعلى والبيهقى عن أنس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا دعه حتى يموت لأن ذلك اعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له أن يدعو بقوله اصلحك الله فى الاوقات أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك فى الطاعات ﴿والمحبة لهم﴾ بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الملاقاة ﴿فهى ارادة الظلم﴾ أى منهم فيكون شريكا لهم في الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم فى الآفاق ، وحقه ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ومحب المعصية والراضى بها عاص ، ومن أحب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث أنه لم يبغضه وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحبه لذلك الخير ويبغضه لذلك الشر ، وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا من الأمراء ويفرقها على الفقراء فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال: لو اخذ رجل بيدى وأدخلنى الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبى لأن الذى سخره للاخذ بيدى هو الذى أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره اياه ، أقول وهذا مقام دقيق لأن الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة «جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها» كذا فى الاحياء ، وهو من رواية البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي» رواه ابن مردويه فى التفسير

وَاسْتِحْقَارِ نِعْمَتِهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بِرُؤْيَةِ التَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِرِعَايَةِ اطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ

عن رجل لم يسم، والديلمى عن معاذ، وروى ان بعض الأمراء أرسل الى مالك بن دينار بعشرة آلاف فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال: ماصنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال: سل أصحابى فسألهم فقالوا: أخرجه كله فقال أنشدك أقلبك أشد حباله الآن أم قبل ان أرسل اليك فقال: بل الآن فقال انما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه اذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم عند أهل العلم ﴿واستحقار نعمته تعالى على نفسه﴾ أى وعن استصغار نعمه سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل أواختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة ﴿برؤية التوسع عليهم﴾ ومشاهدة أسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه «أقلوا الدخول على الاغنياء فانه أجدر ان لا تزدروا نعم الله عز وجل» وقد تقدم حديث أبى هريرة «وأبغض القراء الى الله عز وجل الذين يأتون الامراء» وحديث أنس «العلماء أمناء الرسول على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم» ولأبى عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا «لاتزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم يمال قراؤها امراءها» ورواه الديلمى عن على وابن عمر بلفظ «مالم يعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها» ولأبى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا «لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم» ولفظه للترمذى، وقال: حسن غريب، والحاصل ان الافضل فى حقه ان يغفل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقال حاتم الاصم ان ماينى و بين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وانى واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون فى اليوم، وماقال أبو الدرداء: ان أهل الأموال يأكلون ونأكل و يشربون ونشرب و يلبسون ونلبس لهم فضول أموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء، قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى (ان تكونوا تألمون فهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) ﴿الا﴾ استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة الا ﴿لرعاية اطاعة الرعية﴾ فللبخارى من حديث أنس «اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه

وَدفع التَّأذِّى وَالظُّلْم عَنْ نفسه أَوْغيره فيدخل مُراعيًا حَقَّه تعالى ويكرم ان دَخلُوا عليه مكافأةً لا كرامه عزًّا للدِّين ورعاية للحشمة بين الرَّعية وتجوز الإهانة فى الخلاء وعند العِلْم بعدم اضطراب الرَّعية بنيَّة اعزاز الدِّين وتحقير الظُّلْم واظهار الغضب له تعالى، والأصل الاستفتاء من القلب ونيَّة الإصلاح

زبيبة» ولمسلم من حديث أبى هريرة «عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك» وله أيضا عنه «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» ﴿ودفع التأذى﴾ أى ولدفع شر الأذى ﴿والظلم عن نفسه أو غيره﴾ من أهله ونحوه ﴿فيدخل﴾ أى حينئذ ﴿مراعيا حقه تعالى﴾ حيث قال: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ﴿ويكرم﴾ أى بالقيام ونحوه كرها ﴿ان دخلوا﴾ أى الظلمة ﴿عليه﴾ أى معتقدين لما فى يديه ﴿مكافأة﴾ علة للاكرام أى مجازاة ﴿لا كرامه﴾ أى اكرام الظالم له ﴿عزا للدين﴾ أى لعز أهله من أهل العلم والعمل به، وقد قال تعالى: (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وقد سبق حديث «اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه» ﴿ورعاية للحشمة بين الرعية﴾ أى فى الملأ ﴿وتجوز الاهانة فى الخلاء﴾ اى بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام ﴿وعند العلم بعد اضطراب الرعية﴾ أى من الأمراء والوزراء اذا كانت اهانته ﴿بنية اعزاز الدين﴾ واهله من العلماء المجتهدين ﴿وتحقير الظالم﴾ اى فى نظرهم ﴿واظهار الغضب له تعالى﴾ كما هو واجب على اهل العلم وغيرهم كما ورد فى احاديث «الحب فى الله والبغض فى الله» ولقد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال: لا والله لا يقتدى بى أحد من الناس فجلد مائة وألبس المسوح رواه ابو نعيم فى الحلية باسناد صحيح، والحاصل انه لا يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب أمر السياسة العرفية فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب أمر الولاية ﴿والأصل الاستفتاء من القلب﴾ أى فى جهة رضاء الرب ﴿ونية الاصلاح﴾

لَا الْاشْتِهَار وَهُوَ يُعرف بِالْفَرْحَة عِنْدَ حُصول الْمَوْعِظَة مِنْ غَيْرِه وَالْأَوْلَى الْاجْتِنَابُ عَنْهُم وَعَنْ خَوَاصِهِمْ وَالتَّغَافُلُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ

أى حملهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم ﴿لا الاشتهار﴾ أى بانه من أهل العلم والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فاز العاقبة مستورة فينبغى أن تكون النية فى هذه الأمور صحيحة مبرورة ﴿وهو﴾ أى ماذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار ﴿يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة﴾ أى المظلة ﴿من غيره﴾ أى الموجودين من الوعاظ الأبرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب أن ينصحهم فقد ورد «ان الدين النصيحة قيل: لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم» روى عن محمد بن صالح قال: كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذدق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد: لانه قال عليه السلام: ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ وان أراد ان يكثر به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه أربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال: أرددها على من ظامته بها قال: والله ماأعطيك الا ماورثته قال: لاحاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى كذا فى الأحياء وقال مخرجه: حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل، وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع «من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ» وللعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة نحوه ﴿والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم﴾ لئلا يقع فى طمع من جاههم وأموالهم ﴿والتغافل عن أحوالهم﴾ بالتجاهل عن أفعالهم وأقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال رمسه، فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل: وماهى؟ قال أبواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه، وقال أبو ذر لسلمة: لاتغش أبواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا الا أصابوا من دينك أفضل منه، وقال سفيان فى جهنم واد لايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء. وقال الاوزاعى:

ما من شيء أبغض الى الله عزوجل من عالم يزور عاملا، وقال سمنون: ما أسمج بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: انه عند الامير قال: وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم ، وقال أبو ذر في حديث : من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة، وقال ابن مسعود : ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له : لم قال لانه يرضيه بسخط الله، وقال الفضيل: ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا، وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين ، وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء الجورة، ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك و يرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فقال عزوجل (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واعلم ان ايسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية وانك تعامل من لا يجهل و يحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء والسلام، فان قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل ياأمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ياهشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف أنت ياهشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له

أنت فى حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له: ياطاوس ما الذى حملك على ماصنعت؟ فقال: وما الذى صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال: خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائى بغير اذنى وقلت كيف أنت ياهشام فقال اما مافعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على؛ واما قولك لم تقبل يدى فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: لايحل لرجل ان يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان أكذب وأما قولك لم تكنني فان الله سمى أولياءه وقال ياداود يايحيى ياعيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبى لهب، وأما قولك جلست بازائى فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظنى فقال: سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول ان فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ثم قام وهرب عن صحبته، وعن سفيان الثورى قال أدخلت على أبى جعفر بمنى فقال لى ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت: حج عمر رضى الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيقها الجبال، ولما استعمل عثمان بن عفان العباس أتاه أصحاب النبي عليه السلام وأبطأ عنه أبو ذر - وكان له صديقا - فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عنه كذا فى الاحياء وقال مخرجه: لم أقف له على أصل، وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى أبى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان ياأباحازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنيا كم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال ياأباحازم كيف القدوم

وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ

على الله قال : ياأمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال : ليت شعرى مالى عندالله ؟فقال أبوحازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان ياأبا حازم أى عباد الله أكرم قال أهل المروءة والتقى قال فاى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاى المؤمنين أخسر قال : من باع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أو تعاقبنى قال لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال : يا أمير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف فاخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ماقالوا وماقيل لهم فقال له رجل من جلسائه : بئس ماقلت قال أبوحازم : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تأخذ المال من حله فتضعه فى حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لى فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ماتحب وترضى فقال سليمان أوصنى فقال : أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، وحكى ان أبا بكرة دخل على معاوية فقال : اتق الله يامعاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لاتزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لاتفوته وقد نصب علم لاتجوزه فما أسرع ماتبلغ العلم وماأوشك مايلحق بك الطالب وانا ومانحن فيه زائل وفى الذى نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴾ لقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أى أظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية، وقوله:(الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)وقوله عليه السلام «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا» رواه الشيخان عن أبى موسى ﴿ وهو ﴾ أى ماذكر من الأمر والنهى وافرد الضمير باعتبار التلازم بينهما

فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ فِي الْفَرْضِ فِعْلًا وَتَرْكًا وَمَنْدُوبٌ فِي الْمَنْدُوبِ، وَوَرَدَ (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) الآيَةَ

﴿فرض﴾ أي بالاجماع والكتاب والسنة ﴿على الكفاية﴾ أي اذا اطلع على الأمر جماعة وأمر أونهى واحد منهم سقط عن الباقين وإلا أثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك أضعف زمان الايمان أوأهله في مقام الاتقان أومراتب أرباب الاحسان ﴿في الفرض﴾ أي من المعروف ﴿فعلا﴾ كالصلاة والصيام ﴿وتركا﴾ كاجتناب ماعرف من الحرام ﴿ومندوب﴾ أي وهو مستحب ﴿في المندوب﴾ أي من المعروف فعلا وتركا ﴿وورد﴾ في التنزيل ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أي جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية ﴿يدعون الى الخير﴾ أي المحض وهو الايمان ﴿ويأمرون بالمعروف الآية﴾ أي (وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أي الناجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي بعث الله له النبيين أجمعين، فلو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد. ولأصحاب السنن عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبة خطبها: ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده» ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي ثعلبة الخشني «أنه سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى: (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال: ياأبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل: بل منهم يارسول الله قال بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا» وللبزار من حديث عمر والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا

وَإِنْ عَدَمَ الْعَدَالَةِ تَحَرُّزاً عَنِ انْسِدَادِ بَابِ الاحْتِسَابِ لِتَعَذُّرِ الْعِصْمَةِ وَلأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الامْتِنَاعُ وَالْمَنْعُ فَلاَ يُسْقِطُ تَرْكُ أَحَدِهِمَا الآخَرَ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي ذَمِّ الْقَائِلِ بِمَا لاَ يَعْمَلُ

« لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا أنه قال « أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا « ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس » وللطبراني والبيهقي وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره » وللبيهقي عن ابن عباس بسند حسن « لا ينبغي لامرىء شهد مقاما وفيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقه هو له » ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعيد بلفظ « لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق اذا علمه » ولابن عدى من حديث أبي هريرة « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها » ثم الأمر والنهى يجب على العبد ﴿ وان عدم العدالة ﴾ أى منه بفقد عمله بهما ﴿ تحرزا عن انسداد باب الاحتساب ﴾ أى الحسبة بالأمر والنهى لاجل الثواب ﴿ لتعذر العصمة ﴾ اى عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والأنبياء كما قال الحجة قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الأنبياء ولذا قال سعيد بن جبير: ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير ﴿ ولان الواجب عليه ﴾ شيئان وهما ﴿ الامتناع ﴾ أى بنفسه عن المعصية ﴿ والمنع ﴾ أى لغيره عنها ﴿ فلا يسقط ترك أحدهما ﴾ وهو الامتناع ﴿ الآخر ﴾ وهو المنع كما فى عكسهما فلا تلازم بينهما ﴿ وأما ماورد فى ذم القائل بما لا يعمل ﴾ كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وقوله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

فلعدم العمل وإذن الامام لعموم الأدلة واطلاقها حتى يحتسب على الامام أيضا

وكحديث «مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم فقالوا: كنا نامر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه»، وكما روى «ان الله تعالى أوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى» وكقول القائل:

لاتلم المرء على فعله　　وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيئا وأتى نحوه　　فانما يزرى على عقله

﴿فلعدم العمل﴾ أى لا لمجرد الامر والقول كما توهمه قوم ﴿واذن الامام﴾ أى وان عدم اذنه بالحسبة ﴿لعموم الأدلة واطلاقها﴾ أى من غير تقييد باحد دون آخر ﴿حتى يحتسب على الامام أيضا﴾ كما يدل عليه حديث أبى سعيد الخدرى «أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر» أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغميه فكيف يحتاج الى اذنه، وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اين ما رآه وكيف مارآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا: لايجوز الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم، وهؤلاء اخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم: أن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطابكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج، هذا واستمرار عادات السلف فى الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه* ومن جملة ماأنكر السلف على الأمراء ماروى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة فى العيد فقال له رجل: انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان: ترك ذلك يافلان فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ماعليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»، وروى ان المهدى لما

قدم مكة لبث ماشاء الله فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه وقال له : انظر ماتصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم و بينه من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له:أعبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قدخرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدى فاستدعاه فقال : من أخرجك قال الذى حبسنى قال من حبسك قال الذى أخرجنى قال فضج المهدى وصاح وقال : أماتخاف ان أقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول: لوكنت تملك حياة أوموتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال:وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من أيديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحر مائة بدنة ه وروى عن جنان بن عبدالله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بنى هاشم ـ وهو سليمان بن أبى جعفر ـ فقال له هارون قدكانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ماشانك قالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال: الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الأرض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له : اسمع ماأقول لك ثم دخل على هارون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب وأحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبى جعفر ما هذا الغضب ياأمير المؤمنين ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره أولا فجاءه الرسول وقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال : اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قدجاء الشيخ فقال للندماء أى شيء ترون نرفع ماقدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له : نقوم الى مجلس ليس فيه منكر أصلح بنا فقاموا صغرة أى اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ

وَحقّه العِلْمُ لِيعلَمَ الحُدُودَ والحُقوقَ والوَرَعُ لِعَدَمِ تأثِير

فادخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم:أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين فقال هذا عشائى الليلةقال : نحن نعشيك قال لا حاجة لى فى عشائك فقال له هرون أى شيء تريد منه فقال فى كمه نوى فقلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون ياشيخ ماحملك على ما صنعت فقال وأى شيء صنعت وجعل هرون يستحى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه ، قال : انى سمعت آباءك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) رأيت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج أعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم أحدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها ، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه همو ما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين بها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج اليه

﴿ وحقه ﴾ أى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة ﴿ العلم ﴾ أى معرفة خطأ الأمور وصوابها ﴿ ليعلم الحدود ﴾ أى بمراتبها ﴿ والحقوق ﴾ المتعلقة باصحابها فالجاهل بمعزل عن هذا الباب بل شرط أن يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب، ومن ههنا قال بعض علمائنا : ان العامى انكاره بالجنان. والعالم انكاره باللسان . والأمير انكاره بالأركان فانه يجب أن يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد الشرع فى أبوابها ، وذلك معنى قوله ﴿والورع﴾ أى عن المنكرات مطلقا أوعن ذلك المنكر والاول أظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة أو عوض من الاعواض الكاسدة وليكن كلامه ووعظه مقبولا ﴿لعدم تأثير

قَوْل الْفَاسِقِ وَسُقُوط اعْتِبَارِه وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَهُوَ الْأَسَاس

قول الفاسق وسقوط اعتباره ﴾ عند الخلائق لان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ أولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال : فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسيما مع أرباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تتنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا، فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول : ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام الى ان أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه. قال الغزالي : وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة انتهى، ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو من باب الكمال والله أعلم بالصواب، وقد ورد عن أنس «قلنا يارسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله» الطبراني في المعجم الصغير والاوسط ﴿ وحسن الخلق ﴾ أي ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة أولا وبالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا ﴿ وهو الاساس ﴾ أي مدار سياسة الناس، في الاحياء ورد «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه» الحديث قال مخرجه لم أجده هكذا، وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن بمعروف، والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لابد من حسن الخلق أيضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع في قمعه مالم يكن في الطبع قبول له لحسن الخلق، وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان (يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وعن بعض السلف إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن

فهيجان الغضب لا يسكن دونه، وورد (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)

نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والأجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الأذى والا فاذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما تقدم عليه ابتداء لطلب الجاه أو طمع المال أو للرياء والسمعة ولعل هذا وجه قول القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وقال كعب الاحبار لأبي مسلم الخولاني « كيف منزلتك عند قومك قال حسنة ، قال ان التوراة يقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ﴿ فهيجان الغضب ﴾ أى منه أو من غيره ﴿ لا يسكن دونه ﴾ أى عند أمر من الأمور بل يتحرك فيه أنواع من الشرور ﴿ وورد ﴾ أى فى طه ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ أى ملايما هينا ﴿ لعله يتذكر ﴾ أى يتعظ فيترك الكفر ابتداء ﴿ أو يخشى ﴾ أى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع أهل الحق » وحكى عن المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقد روى أبو أمامة « ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لى فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام : أقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام : أتحبه لأمك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم قال أتحبه لابنتك ، قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم قال اتحبه لأختك ؟ قال لا جعلنى الله فداك : قال كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم ، وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول « فى كل ذلك : لا جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه ، وقالا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر « فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه » أى من الزنا رواه أحمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح ، وقيل للفضيل بن عياض أن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما أخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا أبا على ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب

وَأَوَّلُهُ التَّعْرِيفُ ثُمَّ الْوَعْظُ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ تَعَالَى لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ أَوِ الْمَوْلَى أَوِ الْبَعْلِ أَوِ السُّلْطَانِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ ثُمَّ التَّعْنِيفُ

الصالحين ﴿ وأوله ﴾ أي بدء الحسبة ﴿ التعريف ﴾ أي تعريف قبح المعصية ﴿ثم الوعظ﴾ أي النصيحة بالكلام اللطيف ﴿ والتخويف منه تعالى ﴾ أي بالعقوبة في الدنيا والآخرة ﴿ لا يتجاوز ﴾ أي المحتسب ﴿عنه﴾ أي عما ذكر من الامور الثلاثة ﴿ان كان﴾ احتسابه ﴿ على الوالدين ﴾ وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ قال يعظه مالم يغضب فاذا غضب سكت عنه ، قيل وفي معنى الوالدين التلميذ والاستاذ وأما ما في الأحياء من الاخبار الواردة في ان الجلاد ليس له ان يجلد أباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه ولا ان يباشر قتل أبيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم أجد فيه الاحديث «لا يقاد الوالد بالولد» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ﴿ أو المولى ﴾ أي المالك من العبد ﴿ أو البعل ﴾ أي الزوج من المرأة ﴿ أو السلطان ﴾ اى أو على الخليفة ومن في معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم في مستدركه من حديث عياض ابن غنم الأشعري «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان أدى الذي عليه والذي له » وقال: صحيح الاسناد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكرة «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض» وهذا منه عليه السلام طريق رأفة ورحمة على الأنام والا فقد ورد عنه من حديث أبي عبيدة قلت : «يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله ؟ قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله» الحديث رواه البزار وللحاكم في مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله» ويقويه ماسلف من السلف حتى قارب أمرهم الى الهلاك والتلف، والحاصل انه لا يجب عليه الا انه يستحب له و يثاب عليه ﴿ بل يشتغل بالدعاء ﴾ أي لتوفيقهم بالمعروف ﴿ والاستغفار ﴾ أي المجاوزة عنهم في المنكر فان هذين الأمرين نفعهما أكثر خصوصا في هذا الزمان فتدبر ﴿ ثم التعنيف ﴾ أي الكلام

وَالسَّبِّ دُونَ الْفُحْشِ مِثْلُ يَاجَاهِلُ يَاأَحْمَقُ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الذِّمِّيِّ تَحَرُّزًا عَنِ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ ثُمَّ التَّغْيِيرُ كَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخَمْرِ ثُمَّ التَّهْدِيدُ ثُمَّ الضَّرْبُ وَهُوَ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالْكَرَاهَةُ ، فَوَرَدَ «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»

الخشن ﴿والسب﴾ أى الشتم ﴿دون الفحش﴾ فلا يقول له : يا كافر يا يهودي يانصرانى ياخنزير يا كلب يافاسق بل يقول ﴿مثل يا جاهل يا أحمق﴾ الا تخاف من الله وما يجرى مجراه ﴿لا يتجاوز عنه﴾ أى عن هذا الامر ﴿ان كان﴾ الاحتساب ﴿على المسلم من الذمى تحرزا عن استيلاء الكافر﴾ فان الذمى اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) واما مجرد قوله لا تزن ونحوه من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه ﴿ثم التغيير﴾ أى تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر ﴿ككسر الملاهى﴾ أى من آلات المناهى كالمزمار والاوتار ﴿واراقة الخمر﴾ أى التى هى أم الخبائث وأصل المعاصى وأساس الشر ، وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشيء المغصوب من يده ورده على صاحبه. فللترمذى من حديث أبى طلحة أنه قال «يا نبى الله انى اشتريت خمرا لأيتام فى حجرى قال: اهرق الخمر واكسر الدنان» ﴿ثم التهديد﴾ أى التخويف بالضرب من عنده أو من عند غيره من الحاكم ونحوه ﴿ثم الضرب﴾ أى بمباشرته ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه ﴿وهو بقدر الوسع﴾ أى الطاقة فى تأدية الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وحصول اعانة ﴿وان لم يقدر﴾ أى على الضرب ونحوه ﴿فالكراهة﴾ أى بقلبه كافية ﴿فورد﴾ أى فى حديث أوله «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» ﴿فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان﴾ أى أضعف أهل الايمان أو أضعف زمانه أو أضعف مراتبه فى شأنه رواه احمد ومسلم والأربعة عن ابى سعيد مرفوعا، ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها ، قال ابن مسعود: « جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا»

فَانْ ظَنَّ الْاصْرَارَ لَايَجِبُ بَلْ يُسْتَحَبُّ إِظْهَارًا لِأَمْرِالدِّينِ وَإِنْ ظَنَّ إِصَابَةَ مَكْرُوهٍ أَوْ فِعْلَ مُنْكَرٍ آخَرَ يَحْرُمُ إِلَّا أَنْ يَظُنَّ الْامْتِنَاعَ أَيْضًا فَيَسْتَفْتِي مِنَ الْقَلْبِ وَ يَنْظُرُ فِى صَلَاحِهِ مُبَالِغًا

ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله ﴿ فان ظن الاصرار لايجب ﴾ اى الانكار بالقول ﴿ بل يستحب اظهارا لأمر الدين ﴾ نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر و يعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الاكراه ﴿ وان ظن اصابة مكروه ﴾ من ضرب ونحوه ﴿ او فعل منكر آخر ﴾ اى بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه ﴿ يحرم ﴾ اى حينئذ الاحتساب ﴿ الا ان يظن الامتناع ايضا ﴾ فاذا تعارض الظنان ﴿ فيستفتى من القلب ﴾ فى اختيار ما يلهمه الرب ﴿ وينظر فى صلاحه ﴾ اى صلاح الأمر من حاله ﴿ مبالغا ﴾ فى تحسين ما له فروى عن العالم الربانى ابى سليمان الدارانى انه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان أنكر عليه وعلمت انى أقتل ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت ان يعترينى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل للحق فان قيل: فما معنى قوله تعالى :(ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) أجيب بانه لاخلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار و يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس: ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى : أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه ؛ و يؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى: (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وأحسنوا) ولا يبعد ان تفسير التهلكة باسراف المال وتضييع العيال ، وقال أبو عبيدة : هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره فى الأحياء وهو صحيح فى المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب ايراده من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز له أيضا ذلك فى الحسبة

وَالاعْتِبَارُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ مِنْ مُعْتَدِلِ الْحَالِ فَالْجَبَانُ يَسْتَقْرِبُ الْبَعِيدَ وَالْمُتَهَوِّرُ يَعْكِسُ وَلَا يَتَجَسَّسُ كَوَضْعِ الْأُذُنِ وَالْأَنْفِ لِاحْسَاسِ صَوْتِ الْأَوْتَارِ وَرَائِحَةِ الْخَمْرِ وَطَلَبِ إِرَاءَةِ مَا تَحْتَ الثَّوْبِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ

﴿والاعتبار للظن الغالب﴾ فى حصول فائدة من المحارب والمحتسب ﴿من معتدل الحال﴾ بان يكون فى طبعه من أرباب الكمال ﴿فالجبان﴾ وهو ضعيف القلب فى ميدان البيان ﴿يستقرب البعيد﴾ أى من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده و يرتاع منه ولا يجاهده ﴿والمتهور يعكس﴾ أى الامر بان يستبعد القريب فى الزمان والمكان فيبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن أمله وأصل طبعه حتى انه لا يصدق به الابعد وقوعه، والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب بسبب قصور فى القوة وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين فى الأخلاق والاحوال ﴿ولا يتجسس﴾ فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه فكل من ستر على معصية فى داره وأغلق على بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقته وجداره وأمثاله ﴿كوضع الاذن﴾ لسماع الملاهى ﴿والانف﴾ لشم الخمر والمناهى ﴿لاحساس صوت الاوتار﴾ متعلق بوضع الاذن ﴿ورائحة الخمر﴾ فى تلك الدار ﴿وطلب اراءة ماتحت الثوب﴾ فاذا رؤى فاسق وتحت ذيله شىء نحو ظرف خمر او خشب عود لم يجز ان يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة فائحة أو تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والا فمجرد الظن لا يعمل به فانه قد يستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذى معه خمر يشرب منها اذ الفاسق يحتاج أيضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما أخفاه لان الاغراض فى الاخفاء لا تحصر بالاستقصاء كذا فى الاحياء ﴿فهو﴾ أى التجسس ﴿منهى عنه﴾ أي في قوله تعالى : (ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا) وروى « ان عمر رضى الله عنه تسور دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال: ياأمير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته أنت من ثلاثة أوجه فقال : ماهى؟ فقال قد قال الله تعالى (ولا تجسسوا) وقد تجسست وقال (وأتوا البيوت من أبوابها) وقد تسورت من السطح

وَيَدْخُلُ الدَّارَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَيَحْتَسِبُ عَلَى غَيْرِ الْمُكَلَّفِ فَفِي الْمُحْتَسَبِ عَلَيْهِ لَا يُشْتَرَطُ التَّكْلِيفُ لَا فِي مَحَلِّ الْخِلَافِ

وقال تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة، وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد؟ فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد ﴿ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات﴾ أي أصوات الملاهي وما يدل على مجالس المنكرات من المناهي، وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه لا يجوز الدخول على من أغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وقطع الأوتار وكذا اذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعهم أهل الشوارع فهذا الاظهار موجب للحسبة والانكار ﴿ويحتسب على غير المكلف﴾ اذ شرط المحتسب عليه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن معصية بالنسبة اليه ولعله يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة أو يشرب الخمر وجب منعه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ﴿ففي المحتسب عليه لا يشترط التكليف﴾ أي بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه في حق الوجوب عليه وأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر ﴿لا في محل الخلاف﴾ أي لا يحتسب

كَأَكْلِ الشَّافِعِيِّ الضَّبَّ وَلَاقَبْلَ الارْتِكَابِ فَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ وَلَا

الا فى المتفق على كونه منكرا فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ﴿ كا كل الشافعى الضب ﴾ فليس للحنفى أن ينكر عليه أكله وكذا فى أكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه فى دار أخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ أو ينكح بلا ولى ويطأ زوجته، أو رأى الحنفى حنفيا يلعب بالشطرنج أو يلبث الثوب الاحمر فهذا فى محل النظر كما فى الاحياء، والا ظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى أدى اجتهاده فى التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقى من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذن مخالفته المقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا أنه جوز له تقليد غيره من الأئمة فى بعض المسائل فاذا اعتذر وقال: أنا مقلد للشافعى أو الحنفى فى هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله أعلم بالصواب * وقد ذهب جمع الى أنه لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير ومايقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم وما أجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد رفقا به، ولعل وجه كلامهم ما ورد من أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه . كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وقد قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فمن تبع عالما لقى الله سالما، ومن المعلوم أن الله سبحانه ما كلف أحدا أن يكون حنفيا أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا بل كلفهم أن يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وأن يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء. ﴿ ولا قبل الارتكاب ﴾ أى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط أن يكون المنكر موجودا فى الحال لانه يتوفع منه فى المآل ﴿ فهو ﴾ اى وجوده قبل الارتكاب ﴿ مشكوك فيه ﴾ فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب فى ليلته فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل، وهى ان الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه من سائر الاشيا. ﴿ ولا

بعده فهو حق الامام وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار فهو المأثور ويبغض المصر فيه تعالى بالاعراض عنه والاهانة وترك الاعانة وإبطال أغراض تعين على المعصية دون غيرها ولو أعان تحريضا على قبول النصح أو لحق الاسلام فحسن فالحال تختلف بالنية كما فى الترك للفسق إلا أن يعلم الاقتداء كما فى المبتدع والمعلن بالفسق فى الملأ حتى يترك السلام فهو يسقط بأدنى غرض ،

بعده ﴾ اى ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب ﴿ فهو ﴾ أى هذا النوع من الاحتساب ﴿ حق الامام ﴾ أى ومن جعله من الثواب ﴿ وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار ﴾ أى واجبان عليه ولازمان لديه ﴿ فهو المأثور ﴾ أى عن السلف الابرار ﴿ ويبغض المصر ﴾ أى الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا أو فاجرا أو مبتدعا ولو لم يكن داعيا ﴿ فيه ﴾ أى فى الله ﴿ تعالى ﴾ أى شأنه وتعاظم برهانه ﴿ بالاعراض عنه ﴾ أى فى السلام والكلام ﴿ والاهانة ﴾ أى بزيادة المهانة ﴿ وترك الاعانة ﴾ أى فى ما يظهر من الاغاثة ﴿ وابطال أغراض تعين على المعصية دون غيرها ﴾ أى غير المعصية ﴿ ولو أعان ﴾ أى فى الاغراض التى تعين على غير المعصية ﴿ تحريضا على قبول النصح ﴾ أى فيما يذكره من الكلام ﴿ أو لحق الاسلام فحسن ﴾ أى فاعانته مستحسنة قال تعالى : (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) فهذا فى زماننا يتصور فى حق أهل الذمة ﴿ فالحال تختلف بالنية ﴾ أى باختلافها وتفاوت الطوية ﴿ كما فى الترك للفسق ﴾ أى كما يختلف فى ترك الاحسان لخوف الفسق ﴿ الا ان يعلم ﴾ مخرج من قوله ولو أعان أى الا ان يعلم المبغض ﴿ الاقتداء ﴾ أى اقتداء الناس كما فى نسخة فلا يعينه حينئذ ﴿ كما فى المبتدع ﴾ أى الداعى لا يعينه ﴿ والمعلن بالفسق فى الملأ ﴾ تاكيد للاعلان أوقيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق فى الخلاء، والاظهر انه ظرف ليبغض المصر كما يشير اليه قوله ﴿ حتى يترك السلام ﴾ أى فى الابتداء ورده فى الانتهاء ﴿ فهو ﴾ أى حق السلام ورده ﴿ يسقط بادنى غرض ﴾

فورد «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا ومن أهانه أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن لان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم» ويستفتى من القلب فى الخلاء إن إظهار البغض أقرب إلى الانزجار أم التلطف بالنصح ولا يحسن إلى من جنى فى حق الناس فهو إساءة فى حق المظلوم بخلاف حقه ويضطر الذمى إلى أضيق الطرق ولا يبدأ بالسلام عليه ولا يزيد فى جوابه ويسلم على من اتبع الهدى

كالبول فى الحمام ونحوه ﴿فورد من انتهر﴾ أى زجر وقهر ﴿صاحب بدعة﴾ أى منكرة ﴿ملأ الله قلبه إيمانا﴾ أى معرفة وإيقانا ﴿ومن أهانه أمنه الله﴾ أى جعله آمنا من عذابه ﴿يوم الفزع الأكبر﴾ وهو القيامة الكبرى ﴿ومن لان له﴾ أى فى الكلام ﴿أو أكرمه﴾ أى بالقيام ﴿أو لقيه ببشر﴾ أى فى حال السلام ﴿فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ أى فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استحل ذلك فقد خرج عن دائرة أهل الاسلام والحديث لم أجده فى كتب الاعلام ولكن ورد عنه عليه السلام «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام» ﴿ويستفتى من القلب فى الخلاء﴾ أى اذا كان وحده أو فى حكم الخلاء ﴿ان اظهار البغض أقرب الى الانزجار﴾ أى امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما ﴿أم التلطف بالنصح﴾ أنسب الى اصلاح أمرهما فيفعل بمقتضى ذلك ﴿ولا يحسن الى من جنى﴾ أى ظلم ﴿فى حق الناس﴾ اى لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية ﴿فهو﴾ أى الاحسان الى الظالم ﴿اساءة فى حق المظلوم﴾ أى الأولى بالرعاية كما فى نسخة ﴿بخلاف حقه﴾ أى فله أن يعاقبه بمثله وله أن يحسن اليه فى مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ ﴿ويضطر الذمى الى أضيق الطرق﴾ أى بنية اهانته وعزة المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴿ولا يبدأ بالسلام عليه﴾ لأنه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه ﴿ولا يزيد فى جوابه﴾ أى على قوله وعليك أو عليك فحسب، وعبارة المصنف موهمة أن يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية ﴿ويسلم على من اتبع الهدى

إِنْ كَانَ فِى جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْعُو فِى تَشْمِيتِهِ بِالْهِدَايَةِ لَا بِالرَّحْمَةِ وَلَا يُرْشِدُهُ إِلَى مَعْبَدِهِ وَلَا يُصَافِحُهُ وَيُعِيدُ الْوُضُوءَ إِنْ صَافَحَهُ وَلَا يَسْتَقْبِلُ جَنَازَتَهُ بِالْوَجْهِ *

﴿ الْبَابُ التَّاسِعُ فِى الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَرَدَ إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِى لِسَانِهِ »

ان كان﴾ الذمى أو الحربى أو الفاسق أو البدعى ﴿فى جمع المسلمين﴾ وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) وكذا فى العكس بان كان المسلم بين الكافرين أو الفاجرين ، وقيل يقول السلام عليكم وينوى المسلمين الكاملين ﴿ويدعو فى تشميته﴾ أى جواب عطسته ﴿بالهداية﴾ أى بان يقول يهدينا ويهديكم الله ﴿لا بالرحمة﴾ فلا يقول يرحمكم الله ﴿ولا يرشده﴾ أى لا يدله ﴿الى معبده﴾ أى من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه إعانة على المعصية وقال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ﴿ولا يصافحه﴾ لان المصافحة من باب كمال المصالحة ﴿ويعيد الوضوء﴾ أى اللغوى وهو غسل اليد ﴿ان صافحه﴾ أى كافرا لظاهر قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) ﴿ولا يستقبل جنازته بالوجه﴾ أى بالمواجهة بل يدير عنها وجهه اذا اتته فى المقابلة *

﴿ الباب التاسع فى الصمت وآفات اللسان ﴾

المراد بالصمت السكوت فى ميدان البيان فقد ورد «من صمت نجا» رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف ، والطبرانى بسند جيد « الصمت حكمة وقليل فاعله» الديلمى عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ «حكم بدل حكمة» قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قال ، ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر « من كثر كلامه كثر سقطه » وما أحسن قول القائل :

ما ان ندمت على سكوتى مرة ‏ ‏ ‏ ‏ ولقد ندمت على الكلام مرارا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ خير كلام صدر من كل حكيم ﴿ورد انا كثر خطايا ابن آدم فى لسانه﴾ الطبرانى وابن أبى الدنيا فى الصمت ، وللبيهقى فى الشعب بسند حسن والترمذى وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث

فَفِي الصَّمْتِ الْوَقَارُ وَاجْتِمَاعُ الْهِمَّةِ وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالسَّلَامَةُ مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ * مِنْهَا مَالَا يَعْنِي وَهُوَ مَالَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا ثَوَابَ فَفِيهِ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ

معاذ «قلت : يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد السنتهم » وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر « قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وفى الصحيحين «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» ولابن أبى الدنيا وغيره من حديث أنس مرفوعا «رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم» ﴿ففى الصمت الوقار﴾ أى حصول الرزانة والطمأنينة ﴿واجتماع الهمة﴾ أى للامور المهمة ﴿والفراغ للعبادة﴾ التى هى وسيلة الى سيادة السعادة ﴿والسلامة من آفات الدارين﴾ أى محن الكونين وفتن المحلين ﴿فان البلاء﴾ أى فى الدنيا والأخرى ﴿موكل بالمنطق﴾ مصدر ميمى أى بنطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لايتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ، ثم الذى أدرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ «البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها» قال السخاوى ضعيف أقول ويقويه ما نسبه الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمى من حديث أبى الدرداء قال السيوطى والديلمى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعانى فى تاريخه من حديث على مرفوعا، وبهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن «لفظه البلاء موكل بالقول» ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع ﴿منها﴾ أى من آفات اللسان ﴿مالايعنى﴾ أى مالا ينفع الانسان من البيان ﴿وهو﴾ أى مالا يعنى ﴿مالا اثم عليه ولا ثواب﴾ أى لا أجر لديه، وينبغى أن يزاد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون ه واذا مروا باللغو مروا كراما) والأصل فى اللغو ومالا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا أن الاكثر استعمالها فيما يتعلق باللسان ﴿ففيه﴾ آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة ، الاولى ﴿تضييع الوقت﴾

وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَوَهْنُ الْبَدَنِ وَتَأْخِيرُ الرِّزْقِ وَإِيذَاءُ الْحَفَظَةِ وَإِرْسَالُ كُتُبِ اللَّغْوِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَقِرَاءَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَالْحَبْسُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالْحِسَابُ

وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت أيامه فى الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى، ومن ههنا قال الصديق الاكبر: ليتنى كنت أخرس الاعن ذكر الله، وفى الحديث «ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة الاعلى ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها» رواه الطبرانى والبيهقى عن معاذ وجاء فى حديث ضعيف «ان الله أمرنى أن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة» ﴿وقساوة القلب﴾ لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى: (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال عزوعلا: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى تسكن وتلين وقال عزوعلا فى بيان القرآن وذكره (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ﴿ووهن البدن﴾ أى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه سائر الاجزاء ﴿وتأخير الرزق﴾ أى المعنوى أو الحسى أيضا جزاء لما فاته من الرفق ﴿وايذاء الحفظة﴾ أى الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملاء مرامه من غير فائدة فى تمامه قال عطاء بن أبى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ماعدا كتاب الله وسنة رسوله أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها أتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون وعن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد امايستحيي أحدكم ان لو نشرت صحيفته التى أملى صدر نهاره كان أكثر مافيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ﴿وارسال كتب﴾ أى صحائف من ﴿اللغو اليه تعالى﴾ أى للعرض عليه قبل القيامة ﴿وقراءته بين يديه تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد﴾ كمايشير اليه قوله تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ومن هنا قال عمر رضى الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله) وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة فى الدنيا والاخرى فافهم ﴿والحبس عن الجنة﴾ أى بمقدار مااختاره فى الدنيا من الغفلة عن الحضرة ﴿والحساب﴾ أى لما أثبته فى الكتاب

وَاللَّوْمُ وَالتَّعْيِيرُ وَإِيقَاعُ الْحُجَّةِ وَالْحَيَاءُ مِنْهُ تَعَالَى ، وَوَرَدَ « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيهِ » * وَمِنْهَا الْفُضُولُ وَهُوَ زِيَادَةٌ فِيمَا يَعْنِي ، فَوَرَدَ «طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ» *

من استحقاق الثواب أو استيجاب العقاب ﴿ واللوم ﴾ كما يشير اليه قوله سبحانه (لاأقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا مازادت عليه وان عملت شرا فظاهر فى حقها الملامة ﴿ والتعيير ﴾ أى التوبيخ على التقصير ﴿ وايقاع الحجة ﴾ أى ابطالها فى تلك الحالة ﴿ والحياء منه تعالى ﴾ لماله من الخجالة ﴿ وورد ﴾ أى من حديث أبى هريرة فى رواية الترمذى وابن ماجه ﴿ من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ﴾ بل ورد ماهو أشد من هذا فعن أنس «استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يابنى وقال عليه السلام ومايدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه أويمنع مالا يضره» ابن أبى الدنيا والترمذى مختصرا ، وفى حديث آخر «انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال له أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالية على الله قال هى أمى يارسول الله قال ومايدريك ياأم كعب لعل كعبا قال مالا يعنيه أو منع مالايغنيه» والمعنى ان الجنة انما تتهيأ لمن لايحاسب ولايعاقب ومن تكلم فيمالايعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيا الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب ﴿ ومنها الفضول ﴾ أى فضول الكلام ﴿ وهو زيادة فيما يعنى ﴾ يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه ان يذكره بكلام يختصره ويمكنه أن يبسطه ويعززه ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل على الحاجة ، فعن ابن مسعود « أنذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته» أى من المرام فى المقام » ﴿ فورد طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله ﴾ وتمامه «ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة» رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر: حديث حسن وفضول الكلام لاينحصر ولا يحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى (لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أومعروف أو اصلاح بين الناس)

وَمِنْهَا الْخَوْضُ فِى الْبَاطِلِ كَمَحَاسِنِ النِّسَاءِ وَمَقَامَاتِ الْفُسَّاقِ وَتَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ وَتَجَبُّرِ الْمُلُوكِ وَحُرُوبِ الصَّحَابَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فَوَرَدَ «أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِى الْبَاطِلِ» وَهُوَ حَرَامٌ

وقد ورد «الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا أمرا بمعروف أونهيا عن منكر أوذكر الله» البزار عن ابن مسعود والطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ «الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ماابتغى به وجه الله عز وجل» ﴿ومنها الخوض فى الباطل﴾ وهو الكلام فى المعاصى ﴿كمحاسن النساء﴾ أى حكايات أحوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن ﴿ومقامات الفساق﴾ من مجالس الخمر وسماع الزمر ﴿وتنعم الاغنياء﴾ أى بالمأكول والمشروب من الاشياء ﴿وتجبر الملوك﴾ أى واتباعهم من الأمراء والوزراء ﴿وحروب الصحابة﴾ كقصتى الجمل وصفين على طريق الاخباريين لا على رواية المحدثين ﴿والمذاهب الباطلة﴾ وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ﴿فورد أعظم الناس خطايا﴾ جمع خطيئة كقضية وقضايا ﴿يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل﴾ ابن أبى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو فى حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن ان تبلغ به مابلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة»، وكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث، ولابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند حسن مرفوعا «ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا» وللشيخين والترمذى واللفظ له وقال حسن غريب «ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار» ﴿وهو﴾ أى الخوض فى الباطل ﴿حرام﴾ كما يشير اليه قوله تعالى: (وكنا نخوض مع الخائضين) وقوله : (فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وقال سلمان «أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلامافى معصية الله»، وقال ابن سيرين: «كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول : توضؤا فان بعض ماتقولون شر من الحدث» يعنى فان الحدث مباح وكلام المعصية منكر ولذا كان بعض السلف يتوضأ من

وَالْأَوَّلَانِ مَكْرُوهَانِ وَسَبَبُ الْكُلِّ هُوَ الْحِرْصُ عَلَى عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَالانْبِسَاطُ بِالْكَلَامِ لِلتَّوَدُّدِ وَإِمْضَاءُ الْوَقْتِ وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ إِتْيَانِ الْمَوْتِ وَالسُّؤَالِ . وَلُحُوقُ الْخُسْرَانِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ . وَالْعُزْلَةُ وَهُوَ الْأَنْفَعُ وَالْقَاءُ نَوَاةٍ فِي الْفَمِ . وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الصِّدِّيقِ ، وَالسُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ الْمُهِمَّاتِ ، وَمِنْهَا الْمِرَاءُ وَهُوَ الطَّعْنُ فِي الْكَلَامِ

الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة ﴿والاولان﴾ أى مالايعنى وفضول الكلام ﴿مكروهان﴾ كراهة تنزيه لانهما ترك الاولى كما لايخفى ﴿وسبب الكل﴾ أى باعث جميع ماذكر مما لايعنى والفضول والخوض ﴿هوالحرص على علم لاينفع﴾ بل انه يضر ولايدفع ومن هنا قال عليه السلام «أنتم أعلم بامور دنياكم» وقال الانساب بيان علم لاينفع وجهل لايضر» ﴿والانبساط بالكلام للتودد﴾ أى للتحبب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام ﴿وامضاء الوقت﴾ من الليالى والايام من غير منفعة للخاص والعام ﴿والعلاج﴾ أى معالجة الكل ستة ﴿ذكر اتيان الموت﴾ لانه به يتدارك الفوت فى الاوقات وقد ورد «أكثروا ذكر هاذم اللذات» ﴿والسؤال﴾ أى وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال ﴿ولحوق الخسران بتضييع الوقت﴾ أى الزمان فى الهذيان فقد قال تعالى: (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) ﴿والعزلة وهو الانفع﴾ أى فى المعالجة لان أكثر الضرر فى الصحبة والخلطة ﴿والقاء نواة فى الفم﴾ أو حصاة ﴿وهو مروى عن الصديق﴾ رضى الله عنه ، ففى الأحياء عنه «انه كان يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لايعنيه» فكان يشير الى لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد أى المهالك الصادرة من شانه ﴿والسكوت عن بعض المهمات﴾ حذرا من كل الآفات لانه لانجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل مالايأثم به لو سكت فى المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لايعنى صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تنته حتى جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتهت كذا فى شرح الخطيب ﴿ومنها المراء وهو﴾ فى هذا المقام ﴿الطعن فى الكلام﴾ أى كلام الغير

بِإِظْهَارِ خَلَلٍ أَوْ طُغْيَانٍ وَهُوَ حَرَامٌ وَالْوَاجِبُ السُّكُوتُ أَوِ السُّؤَالُ مُسْتَفِيدًا أَوِ التَّعْرِيفُ مُتَلَطِّفًا ، وَوَرَدَ « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ فِي أَسْفَلِ الْجَنَّةِ » وَمِنْهَا الْجِدَالُ وَهُوَ مِرَاءٌ مُتَعَلِّقٌ بِإِظْهَارِ الْمَذَاهِبِ

﴿ باظهار خلل ﴾ أى نقصان ﴿ اوطغيان ﴾ أى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى أو من جهة المعنى ﴿ وهو حرام ﴾ قال تعالى : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) وعنه عليه السلام « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلفه » الترمذى من حديث ابن عباس ، وللطبرانى من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة ابن الأسقع وابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود «ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته» ﴿ والواجب السكوت ﴾ باظهار كونه معترفا أو متوقفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا ﴿ أو السؤال مستفيدا ﴾ أى متعرفا ﴿ أو التعريف ﴾ أى تعريف الخلل ﴿ متلطفا ﴾ أى لا متعنتا ولا متكلفا ﴿ وورد من ترك المراء وهو محق ﴾ أى صاحب حق ﴿ بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى أسفل الجنة ﴾ وفى رواية « بنى له بيت فى ربض الجنة » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى : حديث حسن ، ولابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة « لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا » وهو عند احمد بلفظ « لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا » وللديلمى من حديث أبى مالك الأشعرى « ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وتعجيل الصلاة فى يوم الدجن - أى الغيم - والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق » وللطبرانى من حديث أبى أمامة « تكفير كل لحاء ركعتان » واللحاء مصدر لاحى بمعنى مارى ، وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان : لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن أبى ليلى لا أمارى صاحبى فاما ان أكذبه واما أن أغضبه ﴿ ومنها الجدال ﴾ أى البحث لترجيح كلامه كيف ما كان على وفق مرامه ﴿ وهو ﴾ أى فى العرف أو الغالب ﴿ مراء متعلق باظهار المذاهب ﴾ أى الفروعية الخلافية أو الاصولية الاعتقادية قال تعالى :

وَهُوَ يُعرفُ بِكَرَاهَةِ إِصَابَةِ الْخَصْمِ وَإِرَادَةِ إِخْطَائِهِ وَإِظْهَارِ فَضْلِ النَّفْسِ، وَوَرَدَ إِنَّ أَوَّلَ مَاعَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مُلَاحَاتُ الرِّجَالِ، وَالسَّبَبُ التَّرَفُّعُ وَالْغَضَبُ وَعِلَاجُ كُلٍّ فِي مَوْضِعِهِ ۞

(ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا) وقال عز وعلا : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) وقال عز وعلا (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) فهو مأذون فيه مع أهل الكفر والبدعة ومنهى عنه فى حق المسلمين من أهل السنة والجماعة ، فللترمذى من حديث أبى أمامة وصححه « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال » ﴿ وهو ﴾ أى الجدال المذموم ﴿ يعرف بكراهة اصابة الخصم ﴾ أى الحق والصواب فى أثنائه ﴿ وارادة اخطائه ﴾ وهو قد يوجب ظهور كفره واغوائه ﴿ واظهار فضل النفس ﴾ فى اغوائه ﴿ وورد ﴾ أى من حديث أم سلمة ﴿ ان أول ماعهد الى ربى أو نهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ﴾ أى مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم فى محاوراتهم رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى وأبوداود مرسلا من حديث عروة بن رويم ﴿ والسبب ﴾ أى الباعث للمراء والجدال ﴿ الترفع ﴾ باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه فى العلوم أو الأعمال ﴿ والغضب ﴾ أى وتهيجه فى محافل الرجال ﴿ وعلاج كل ﴾ أى من الترفع والغضب ﴿ فى موضعه ﴾ أى الاليق به ومجمله ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ، ويروى ان الامام الهمام أبا حنيفة قال لداود الطائى أحد تلاميذه: لم آثرت الانزواء ؟ فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال والمراء فقال أحضر المجالس واسمع مايقال ولاتتكلم فى الاثناء قال : ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد مما هنالك. قال فى الاحياء وهو كما قال لان من سمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ، ولذا قال عليه السلام « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس ومايحصل لها من المحنة ثم قال: وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن أهل القبلة واذا رأى أحد المبتدعة تلطف فى نصحه على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام « رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن مايقدر عليه » ابن أبى الدنيا من حديث هشام

وَمِنْهَا الْخُصُومَةُ وَهِيَ لَجَاجٌ فِي الْكَلَامِ لِاسْتِيفَاءِ حَقٍّ ابْتِدَاءً أَوِ اعْتِرَاضًا، فَوَرَدَ «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ» وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا الْمَظْلُومَ يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بِطَرِيقِ الشَّرْعِ مُقْتَصِرًا عَلَى الْحَاجَةِ وَالْأَوْلَى التَّرْكُ لِعُسْرِ ضَبْطِ اللِّسَانِ عَلَى الِاعْتِدَالِ وَالِاحْتِرَازِ عَنْ مُوجِبَاتِ الْإِثْمِ كَالْحِقْدِ وَالْغَضَبِ وَالسَّبِّ وَالْفَرَحِ بِغَمِّ الْمُسْلِمِ وَفَوْتِ طِيبِ الْكَلَامِ

ابن عروة مرسلا، وقال هشام بن عروة: كان يردد قوله هذا سبع مرات ﴿ومنها الخصومة﴾ وهي من الصفات المذمومة والأخلاق المشئومة ﴿وهي لجاج﴾ أي مخاصمة زائدة ﴿في الكلام﴾ مع أصحابه الكرام ﴿لاستيفاء حق﴾ أي له أو لغيره اصالة أو نيابة ﴿ابتداء أو اعتراضا﴾ كاثبات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعي بالكسر والثاني وصف المدعى عليه ومن هناقيل الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم ﴿فورد﴾ أي في البخاري عن عائشة ﴿أبغض الرجال الى الله الألد الخصم﴾ أي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) ولابن أبي الدنيا وغيره عن أبي هريرة «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» ﴿وهو حرام الا المظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصراً على الحاجة﴾ أي قدر حاجته من غير تعد الى حد لجاجته لقوله تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) وقوله: (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) ﴿والاولى الترك﴾ أي اذا وجد اليه سبيلا في مكان الامكان ﴿لعسر ضبط اللسان على الاعتدال﴾ في ميدان البيان ﴿والاحتراز عن موجبات الاثم﴾ أي والاحتراس عن مقتضيات انواع العصيان ﴿كالحقد والغضب والسب﴾ وغيرها من نحو الكذب والبهتان ﴿والفرح بغم المسلم﴾ في ذلك المقام ﴿وفوت طيب الكلام﴾ أي ولفوته، وقد قال عليه السلام «يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام» الطبراني من حديث هانئ بن شريح باسناد جيد، وقال عمر رضي الله عنه:

بني ان البر شيء هين   وجه طليق وكلام لين

ولأجل ما تقدم قال تعالى: (فمن عفا وأصلح فاجره على الله) وقال عز وعلا: (وقولوا للناس حسنا) وقد قال بعضهم: ما خاصم قط ورع في الدين، وقال ابن

وَمِنْهَا التَّشَدُّق بِتَكَلُّف السَّجْعِ وَالتَّصَنُّعِ فِيه ، فَوَرَدَ « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وَالسَّبَبُ إِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ، وَأَمَّا تَحْسِينُ الْأَلْفَاظِ فِي الْمَوَاعِظ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ فَجَائِزٌ دُونَ الْإِفْرَاط ۞

قتيبة : مر بى بشر بن عبدالله بن أبى بكر فقال:مايجلسك ؟قلت:خصومة بينى و بين ابن عم لى قال : ان لابيك عندى يدا وانى أريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال : فقمت لأرجع فقال لى خصمى مالك فقلت لا أخاصمك فقال عرفت أنه حقى فقلت لا ولكنى أكرم نفسي عن هذا قال فانى لا أطالب منه شيئا هو لك ﴿ومنها التشدق﴾ أى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام ﴿بتكلف السجع والتصنع فيه﴾ أى من غير أن يكون فى سجيته سجيع الطبع كما قيل لبعض المشايخ فى ذم السجع فقال : رجعت عما سجعت ، واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع كما نزل فى فواصل آى القرآن الكريم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ، ومنه «اعوذبك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن هؤلاء الاربع» واما ماورد » من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى : كيف ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل - اى يهدر و يبطل - فقال عليه الصلاة والسلام: اسجعا كسجع الأعراب» وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه فى هذا الباب ، والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة ابن شعبة وأبى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا ﴿ فورد شرار امتى الذين يتشدقون فى الكلام ﴾ ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة « شرار امتى الذين غذوا فى النعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام» ولمسلم من حديث أبى مسعود « الا هلك المتنطعون ثلاث مرات » والتنطع هو التعمق والاستقصاء ، ولأحمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه «ان أبغضكم الى الله و أبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون» ﴿والسبب اظهار الفصاحة﴾ والبلاغة ﴿واما تحسين الالفاظ فى المواعظ﴾ وكذا فى الخطب والتصنيف ﴿للتأثير فى القلوب فجائز دون الافراط﴾ أى من غير الاطناب فى الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها،

وَمِنْهَا الْفُحْشُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالذَّمَائِمِ كَلَفْظِ الْجِمَاعِ وَالْبَوْلِ وَالْجُذَامِ وَزَوْجَتِكَ، فَوَرَدَ «الْفُحْشُ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ» وَمِنْهَا السَّبُّ، فَوَرَدَ «سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ»

ولرشاقة الالفاظ والمبانى تأثير فى ميدان المعانى، واما المحاورات التى تجرى فى قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذلا باعث عليه الا الرياء الملوم ﴿ ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم ﴾ أى بالكلمات الذميمة ﴿ كلفظ الجماع ﴾ أى تصريحا لا تلويحا، فعن ابن عباس «ان الله حى كريم، ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع ﴿ والبول ﴾ وكذا الخرء بالاولى فينبغى ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة أو بالغائط فانه من كنايات القرآن اذحقيقته الموضع المنخفض من الأرض مع ما فيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان ﴿ والجذام ﴾ ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه ﴿ وزوجتك ﴾ وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من فى البيت أو العيال أو أهل البيت أو أم الاولاد أو نحو ذلك، والظاهر ان زوجك من كنايات القرآن حيث قال تعالى: (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقال: أمسك عليك زوجك ﴿ فورد الفحش ليس من الاسلام ﴾ أحمد. وابن أبى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ «ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء» الحديث وللنسائى والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو «اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش»، ولا التفحش ولابن أبى الدنيا. وأبى نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين «الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها» قال العلاء بن زياد: وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج جراح فى ابطه فقلنا: نسأله ماذا يقول؟ فقلنا من أين يخرج فقال من باطن اليد، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة «حتى تذوقى عسيلته و يذوق عسيلتك» رواه البخارى من حديث عائشة، ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض «خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها» الحديث ﴿ ومنها السب ﴾ أى الشتم ﴿ فورد سباب المؤمن فسق ﴾ رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ولمسلم من حديث أبى هريرة «المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم» ولأحمد وأبى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس

وَالرُّخْصَةُ فِى مِثْلِ هَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ بَنِى فُلَانٍ يَاسَيِّءَ الْخُلُقِ لَاحَيَاءَ لَكَ يَا أَحْمَقُ يَا جَاهِلُ فَكُلٌّ لَا يَخْلُو عَنْ جَهْلٍ وَحُمْقٍ * وَمِنْهَا اللَّعْنُ وَهُوَ الْإِبْعَادُ عَنْهُ تَعَالَى فَهُوَ حُكْمٌ عَلَيْهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ لَا عَلَى مَيِّتٍ كَافِرٍ لِجَوَازِ أَنَّهُ أَسْلَمَ إِلَّا إِذَا عُلِمَ مَوْتُهُ كَافِرًا كَأَبِى جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ

باسنا دجيد «ملعون من سب والديه» وفى رواية الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو «من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه؟ قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم «عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال: لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شيء مماتقولون وتؤذون الأحياء» رواه ابن أبى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات ، وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح «ان رجلا وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه» الحديث وفيه «لاتسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا» ولأبى داود والترمذى وقال : غريب من حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» وللنسائى من حديث عائشة «لاتذكروا موتاكم الابخير» واسناده جيد، وللبخارى من حديث عائشة «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا» ﴿ والرخصة فى مثل هل أنت الامن بنى فلان ﴾ أى اذا كان بنو فلان من القبائل الدنيـة وأهل الشمائل الردية فيكون صادقا فى قوله ﴿ ياسيء الخلق ﴾ لان الخلق لايخلو من سوء الخلق ﴿ لاحياء لك ﴾ أى حق الحياء ﴿ ياأحمق ﴾ اذلايخلو أحد من نوع حماقة ﴿ ياجاهل ﴾ لان كل أحد جهله أكثر من علمه لقوله تعالى : (وماأوتيتم من العلم الاقليلا) ﴿ فكل ﴾ أى من افراد الانسان ﴿ لايخلو عن جهل وحمق ﴾ ولو فى بعض الأحيان والله المستعان ﴿ ومنها اللعن ﴾ بمعنى الطرد ﴿ وهو الابعاد عنه تعالى ﴾ أى طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله أو دعائية كاللهم العنه ﴿ فهو حكم عليه تعالى ﴾ لان الخبر أيضا بمعنى الامر ﴿ فلايجوز ﴾ أى على أحد من فاسق ومبتدع وفاجر بل لايجوز ﴿ لاعلى ميت كافر ﴾ أى بحسب حكم ظاهر ﴿ لجوازانه أسلم ﴾ أى ولم يطلع على ايمـانه أحد ﴿ الا اذا علم موته كافرا ﴾ بنص قطعى من كتاب كأبى لهب أو بتواتر فى حديث ﴿ كأبى جهل وفرعون ﴾ فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة

وَلَاحَيّ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ يُسْلِمُ بِخِلَافِ التَّرَحُّمِ لِلْإِسْلَامِ الْحَالِي لِأَنَّهُ سُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ وَسُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ كُفْرٌ، وَيَجُوزُ التَّعْمِيمُ مِثْلُ لَعَنَ اللهُ الْكَافِرِينَ، وَالْأَوْلَى التَّرْكُ مُطْلَقًا إِذْ هُوَ مِمَّا لَا يَعْنِيهِ،

و لا التفات الى كلام ابن العربى ومن تبعه كما بينته فى رسالة مستقلة ﴿ ولا حى ﴾ أى ولا على كافر حى ﴿ لاحتمال انه يسلم ﴾ فى آخر عمره وخاتمة أمره ﴿ بخلاف الترحم للاسلام الحالى ﴾ جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغى ان لا يجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه يكفر فى المآل فقال انما يجوز ﴿ لانه ﴾ أى الدعاء بالرحمة للمسلم ﴿ سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب ﴾ باجماع الاسلام ﴿ وسؤال الثبات على الكفر كفر ﴾ لانه يدل على رضاء به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاءه ليس بكفره بل بموته على كفر ، تغيظا فى أمره ، ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه بقولهما (ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ومن المعلوم أن ايمانهم عند رؤية العذاب إيمان بأس وتوبة يأس فلا يقبل لقوله تعالى : (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وقوله : (حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) وقوله عليه السلام « ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » وأما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله سبحانه أهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فقيل : لا باس والظاهر أنه لا يجوز لنهى الشارع أن يقال فى جواب عطسة الكافر : يرحمك الله بل يقال يهديك الله ﴿ ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين ﴾ لقوله تعالى: (فلعنة الله على الكافرين) و (ألا لعنة الله على الظالمين) بل يجوز التعميم أيضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال: لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا « ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها و بايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » كما أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمر « ولعنت القدرية على لسان سبعين نبيا » رواه الدارقطنى فى العلل عن على رضى الله عنه « ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض » ﴿ والاولى الترك ﴾ أى ترك اللعن ﴿ مطلقا ﴾ أى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة لعنة ﴿ اذ هو مما لا يعنيه ﴾ قال مكى بن أبراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال

وَوَرَدَ « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَعَّانٍ »*

ابن ابى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا : ياابن عوف انما نذكره لماارتكب منك فقال ابن عوف : انهما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلأن تخرج من صحيفتى لا اله الا الله أحب إلى من أن تخرج لعن الله فلانا،وعلى الجملة فقى لعنة الأشخاص خطر فليجتنب فى أمره ولا خطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره ٥(وورد المؤمن)٥ أى الكامل ٥(ليس بلعان)٥ أى بذى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان اوللمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن فى حالة من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان أو جماد أو حيوان ، والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر « لايكون المؤمن لعانا » ولأبى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى: حسن صحيح « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم »وقال عمران بن الحصين: « بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض أسفاره اذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام :خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكأنى أنظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس ولا يتعرض لها أحد» رواه مسلم،ولابن أبى الدنيا باسناد جيد من حديث أنس « كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال: يا عبد الله لاتسر معنا على بعير ملعون» قال ذلك انكارا عليه كذا فى الاحياء، وعن أبى ذر وأبى الدرداء « مالعن الارض أحد إلا قالت لعن الله أعصانا لله » وعن عائشة قالت : « سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال : يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال:لا أعود » رواه ابن أبى الدنيا ، ولمسلم من حديث أبى الدرداء « ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»،وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام:لا تكن عونا للشيطان على أخيك » وفى رواية « لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله» ابن عبد البر فى الاستيعاب،وللبخارى من حديث ابن عمر « أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اسمه عبيد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد جلده فى الشراب فأتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام: لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله ، وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه لا يجوز ، وفى الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك « لعن المؤمن كقتله » والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة ؛ وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأحوال تنقلب على الأعيان الا أنه عليه السلام يجوز أن يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول فى دعائه على قريش: اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما من قتلوا على الكفر ببدر كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود ، وأما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روى « أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعنى أنهم ربما يتوبون فمن أين تعلم أنهم ملعونون ، كذا فى الاحياء ، وقال مخرجه رواه الشيخان من حديث أنس « دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا » الحديث ، وفى رواية لهما « قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان » الحديث . ولهما من حديث أبى هريرة « كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه » الحديث وفيه « والعن لحيان ورعلا » الحديث ، وفيه أيضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله (ليس لك من الأمر شىء) ولفظه لمسلم ، وأما من بان موته على الكفر فجاز لعنه ان لم يكن فيه أذى على مسلم لما روى « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به - وهو يريد الطائف - فقال: هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله - وهو سعيد بن العاص - فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهمام من أبى قحافة فقال أبو بكر : يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرو: اكفف عن أبى بكر وانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال: يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك » كذا فى الأحياء . وقال مخرجه: رواه أبو داود فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله

وَمِنْهَا نِسْبَةُ الذَّنْبِ إِلَى الْمُسْلِمِ إِلَّا الذَّنْبَ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، * وَمِنْهَا الدُّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ، فَوَرَدَ «إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِيَهُ» ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *

ورسوله» الحديث وفيه «فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا» وللترمذى من حديث المغيرة ابن شعبة ورجاله ثقات «لاتسبوا الاموات فتؤذوا الأحياء» فان قيل: هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين أوآمرا به؟ فقال الغزالى: هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله أوأمر به مالم يثبت فضلا عن اللعن لانه لايجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق و بصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضى الله عنه وقتل أبولؤلؤة عمر رضى الله عنه لان ذلك ثبت متواترا، ولايجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق «فعنه عليه السلام لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد عليه ان لم يكن صاحبه كذلك» رواه الشيخان من حديث أبي ذر، وللديلمى من حديث أنس «ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا، فان قيل: فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله أوالآمر بقتله لعنه الله قلت: الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولايجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولاينتهى الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر» كذا فى الاحياء، وقد تقدم عنه أنه لا يجوز لعن أحد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال: قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب عن العصيان والله المستعان ﴿ ومنها نسبة الذنب الى المسلم ﴾ يعنى وهو برىء منه ﴿ الا الذنب بعد التحقيق ﴾ أى الا الذنب الذى تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) ﴿ ومنها الدعاء على أحد ﴾ قال تعالى: (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) ﴿ فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم ﴾ أى فيقول: لاصح الله جسمه ولا سلم الله روحه ونحوه ﴿ حتى يكافيه ﴾ أى يماثله فى الظلم ﴿ ثم يبقى للظالم عنده فضلة ﴾ أى زيادة ﴿ يوم القيامة ﴾ أى ان زاد على مثله لقوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم

وَمِنْهَا الْمِزَاحُ وَهُوَ مُطَايَبَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُوَلِّدُ كَثِيرًا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ كَحِقْدِ الْعَاقِلِ وَجُرْأَةِ السَّفِيهِ وَسُقُوطِ الْوَقَارِ وَذَهَابِ حَلَاوَةِ الْمَحَبَّةِ وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ تَعَالَى وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَوَرَدَ «لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ» إِلَّا النَّادِرَ الْخَالِيَ عَنِ الْبَاطِلِ

فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) والحديث كذا فى الاحياء، وقال مخرجه: لم أقف له على أصل، وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف « من دعى على من ظلمه فقد انتصر » قلت: وهو مطابق لقوله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى ابتداء أو بالتجاوز عن الحد انتهاء ﴿ ومنها المزاح ﴾ بكسر الميم مصدر مزح أو مازح، وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة فى الكلام باللسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان قال المصنف ﴿ وهو مطايبة القلب ﴾ ولا يبعد أن يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب ﴿ وهو ﴾ أى كثيره أو أصله ﴿ مذموم ﴾ أى وفاعله ملوم ﴿ لأنه يولد ﴾ أى يهيج ﴿ كثيرا من الذنوب والعيوب ﴾ اى الظاهرة والباطنة ﴿ كحقد العاقل وجراءة السفيه ﴾ أى الجاهل. فعن سعيد بن العاص لابنه « يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى، فيجترىء لديك » ﴿ وسقوط الوقار ﴾ أى الهيبة والعظمة فى نظر الأبرار فعن عمر رضى الله عنه « من مزح استخف به » ﴿ وذهاب حلاوة المحبة ﴾ لأنه لا يخلو عن مرارة فى الصحبة ويقال : المزاح مذهبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء ﴿ والغفلة عنه تعالى ﴾ أى عن ذكر الرب بحسب الأغلب ﴿ وظلمة القلب ﴾ أى الناشئة عن الغفلة ﴿ وورد لا تمار أخاك ولا تمازحه ﴾ الترمذى ﴿ الا النادر الخالى عن الباطل ﴾ أى فانه غير مذموم كما ورد « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » لكن مثله يقدر على أن يمازح ولا يقول الا حقا وأما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب وتدل على الغفلة عن أحوال الآخرة وأهوالها وقد ورد « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » متفق عليه من حديث أنس وعائشة، وقال القاسم مولى معاوية « أقبل اعرابى الى رسول الله ﷺ على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى عليه السلام ليسأله نفر به وجعل الصحابة يضحكون

كَمَا هُوَ الْمَأْثُورُ *

منه ففعل ذلك ثلاث مرات : ثم وقصه فقتله ، فقيل: يارسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال وأفواهكم ملأى من دمه» ابن المبارك فى الزهـد و الرقائق وهو مرسل ﴿ كما هو المأثور ﴾ عن الحسن قال: «أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام: لاتدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) » الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف ، وروى زيد بن أسلم «ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ان زوجى يدعوك فقال ومن هو أهو الذى بعينه بياض فقالت والله مابعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لاوالله فقال عليه السلام مامن أحد الابعينه بياض» أراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار، وجاءته امرأة أخرى «فقالت يارسول الله احملنى على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت ماأصنع به لايحملنى فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير» ابوداود والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ «انا حاملوك على ولد الناقة» وروى «ان الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت: هى أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان دميما» الزبير بن بكار من رواية عبدالله بن حسن مرسلا أو معضلا ، وللدارقطنى نحو هـذه القصة مع عيينة بن حصين الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة ، وقال عليه السلام «لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرا: فقال أتأكل التمر وأنت رمد؟ فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام» قال بعض الرواة «حتي بدت نواجذه» ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب، وروى «ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى عليه السلام فقال : ياأبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال ياأباعبدالله أماترك ذلك الجمل ذاك الشراد بعد قال: فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وأنا أصلى فى المسجد فجلس الى

وَمِنْهَا الاسْتِهْزَاءُ وَهُوَ اسْتِحْقَارُ الْغَيْرِ بِذِكْرِ عُيُوبِهِ عَلَى وَجْهٍ يُضْحِكُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَهُوَ حَرَامٌ لِأَنَّهُ إِيذَاءٌ ، وَوَرَدَ (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)

فطولت صلاتى فقال : لا تطول صلاتك فانى أنتظرك فلما فرغت قال: يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال : يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ فقلت: والذى بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله » الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات «وكان نعيمان الأنصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة :لعنك الله فقال النبى ﷺ : لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشترى الشىء ويهديه الى النبى ﷺ ثم يجىء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام: أولم تهده لنا؟ فيقول: يارسول الله والله لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن تأكله فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه بثمنه » رواه الزبير بن بكار « فهذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب أحيانا ومن الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزنوج أبدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعائشة فى النظر الى رقصهم فى يوم عيدهم فهذا خطأ، ومن الصغائر ماتصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ماتصير صغيرة بالاصرار كذا فى الاحياء ﴿ ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك ﴾ أى منه على الملأ ﴿ قولا وفعلا ﴾ متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على أن ذلك قد يكون بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة «حكيت انسانا فقال عليه السلام ما يسرنى أنى حكيت انسانا ولى كذا وكذا » رواه أبو داود والترمذى وصححه ﴿ وهو ﴾ أى بجميع أنواعه ﴿ حرام لأنه ايذاء ﴾ وأيضا هو عمل السفهاء ولذا قال موسى: « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » حين قال قومه (اتتخذنا هزوا) أى مهزوا بنا ﴿ وورد ﴾ فى سورة الحجرات ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾

مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ إِلَّا فِيمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَسْخَرَةً يَمْزَحُ بِهِ فَهُوَ كَالْمِزَاحِ * وَمِنْهَا إِظْهَارُ السِّرِّ فَهُوَ مِنْ لُؤْمِ الطَّبْعِ وَفِيهِ الإِيذَاءُ وَالاسْتِحْقَارُ، وَوَرَدَ «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ» إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ * وَمِنْهَا الْوَعْدُ عَلَى عَزْمِ الْخُلْفِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثٍ هِيَ عَلَامَاتُ النِّفَاقِ أَمَّا الْوَاجِبُ

تمامه (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) ﴿من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله﴾ الترمذى عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه» وعنه عليه السلام «ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال له: هلم هلم فما يأتيه» ابن أبى الدنيا مرسلا، وعن عبد الله بن عباس فى قوله تعالى (ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك على خطه وصنعته أو على صورته وخلقته ﴿الا﴾ استثناء من حرام أى انما يحرم فى حق من يتأذى به لا ﴿فيمن جعل نفسه مسخرة يمزح به﴾ وربما يفرح بسببه ﴿فهو﴾ أى السخرية فى حقه ﴿كالمزاح﴾ الذى فى أصله من جنس المباح ﴿ومنها اظهار السر﴾ أى افشاء سر لغير صاحبه واذاعته واشاعته ﴿فهو من لؤم الطبع﴾ ومنهى عنه فى لسان الشرع ﴿وفيه الايذاء والاستحقار﴾ أى التهاون بحق المعارف والأصدقاء ﴿وورد لا يحل لأحد أن يفشى على صاحبه مايكره﴾ لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث « بينكم امانة» رواه ابن أبى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا وللخطيب عن على «المجالس بالامانة» ولأبى داود عن جابر «المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق» وورد من حديث جابر ﴿اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة﴾ أبو داود والترمذى وحسنه ﴿ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلاث﴾ أى خصال ﴿هى علامات النفاق﴾ فعن أبى هريرة مرفوعا « ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى و زعم أنه مسلم اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان» متفق عليه ﴿أما الواجب﴾ أى شرعا أو مروءة

الْوَفَاءُ فِي كُلِّ وَعْدٍ فَهِمَ مِنْهُ الْجَزْمَ وَإِنِ اسْتَثْنَى ، فَوَرَدَ (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

«الْعِدَةُ دَيْنٌ أَوْ عَطِيَّةٌ» وَيُعْذَرُ إِنْ تَرَكَ بِعُذْرٍ ،

﴿الوفاء فى كل وعد فهم﴾ أى صاحب الوعد ﴿منه الجزم وان استثنى﴾ أى وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك أو للتبرىء من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) أى الا مقرونا بذكر مشيئته وارادته ﴿فورد﴾ أى فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا) ﴿أوفوا بالعقود﴾ أى بالعهود. وورد فى السنة ﴿العدة﴾ أى الوعد ﴿دين﴾ أى قرض كقرض ﴿أوعطية﴾ شك أو اختلاف رواية وهو الاظهر، وقد اقتصر فى الاحياء على الثانى وقال مخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره أيضا واما اللفظ الاول فرواه الطبرانى فى الأوسط عن على وعن ابن مسعود ، وفى رواية ابن عساكر عن على « العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف كرره ثلاثا » ولابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسلا «الوأى مثل الدين أو أفضل» وقال الوأى يعنى الوعد ورواه الديلمى أيضا عن على وقد أثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله انه كان صادق الوعد يقال: انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين وما ينتظره ، وعن عبد الله بن أبى الحساء « بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » رواه أبو داود «وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال : ان لى عندك موعدا قال: صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال : هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أجزم منك وأجزل حكما حين حكمها موسى فقالت: حكمى ان تردنى شابة وادخل معك الجنة» ابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث أبى موسى مع اختلاف ، وقال الحاكم: صحيح الاسناد وأجزم بالجيم والزاى أوجب ولا يبعد ان يكون بالحاء المهملة أى أحوط والزم ﴿ويعذر﴾ أى يعد معذورا ﴿ان ترك﴾ أى الوفاء ﴿بعذر﴾ أى شرعى أو فرعى فكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا و يقول: ان شاء الله أى تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لابراهيم بن أدهم : الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء قال ينتظره مابينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التى تجىء قلت : وهذا من قبيل الايجاب وماسبق من باب

فَوَرَدَ فِيهِ نَفْيُ ٱلْإِثْمِ إِنْ كَانَ فِى نِيَّتِهِ ٱلْوَفَاءُ لَكِنَّهُ مُتَصَوَّرٌ بِصُورَةِ ٱلْخُلْفِ فَٱلْأَوْلَى ٱلِاحْتِرَازُ ۝ وَمِنْهَا ٱلْكَذِبُ وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا وَقَعَ فِى تَرْكِهِ أَفْحَشُ مِنْهُ كَمَا فِى سَتْرِ ٱلْأَسْرَارِ وَٱلْإِنْكَارِ عَنِ ٱلْعِلْمِ بِمَكَانِ مَنِ ٱخْتَفَى عَنْ ظَالِمٍ قَصَدَ قَتْلَهُ

الاستحباب ﴿فورد فيه﴾ اى فى المعذور ﴿نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء﴾ أى من أصله فى الوعد المذكور، فلابى داود والترمذى من حديث زيد بن أرقم اذا وعد الرجل أخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلا اثم عليه ﴿لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى الاحتراز﴾ أى احترازا من التهمة فى خلف الوعد، واما ما فى الأحياء انه عليه السلام «كان اذا وعد وعدا قال عسى» فقال مخرجه لم أجد له أصلا ﴿ومنها الكذب﴾ بفتح فكسر و بكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ﴿وهو حرام﴾ بالكتاب والسنة قال تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وفى الصحيحين «أربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب»، وفيهما عن ابن مسعود «لا يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» ولابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم، هل يزنى المؤمن ؟ قال : قد يكون من ذلك قال هل يكذب ؟ قال لا ثم أتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذه الكلمة : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)، وفى حصره مبالغة فى نفيه عن المؤمن أو مقيد بالكامل، و يؤيده مارواه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث أبى امامة وابن عدى من حديث سعد بن أبى وقاص على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ، وقيل لخالد بن صبيح : من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم ﴿الا﴾ استثناء من قوله وهو حرام أى ولا يحرم بل يجب ﴿اذا وقع فى تركه﴾ أى حصل فى ترك الكذب ﴿أفحش منه﴾ أى منكر أعظم من الكذب ﴿كما فى ستر الاسرار﴾ أى بان يسأل عن ستر أخيه فله أن ينكره و يكذب فيه وكذا فى ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فعنه عليه السلام «اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستتر بستر الله» رواه الحاكم واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى بل أعظم من الأولى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا ﴿والانكار عن العلم﴾ أى وكما فى عدم الاقرار ﴿بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله﴾ أو ضربه أو أخذ ماله

أَوْفِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الصِّدْقِ ، فَوَرَدَ الاسْتِثْنَاءُ فِي الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَدِيثِ مَعَ الْمَرْأَةِ لَا عِنْدَ اسْتِوَاءِ الطَّرَفَيْنِ فَأَصْلُهُ قَبِيحٌ وَالْأَوْلَى التَّرْكُ فِي حَاجَتِهِ لَا فِي حَاجَةِ الْغَيْرِ إِنْ أَمْكَنَ لِغُمُوضِ الْأَمْرِ

أو كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب فى بعض المواطن خير أى من الصدق أرأيت لو أن رجلا يسعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال أفرأيت فلانا ما كنت قائلا له ألست تقول له لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب ﴿أوفيه﴾ أى أو فى تركه ﴿أحسن من الصدق﴾ كما فى اصلاح ذات البين ﴿فورد الاستثناء﴾ أى استثناء حرمة الكذب ﴿فى الحرب والاصلاح﴾ أى اصلاح ذات البين ﴿والحديث مع المرأة﴾ ففى صحيح مسلم عن أم كلثوم قالت : « ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرخص فى شىء من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها » ولعل المراد بتحدث الزوجين مايقع بينهما من الوعد فى أحد الأمرين بنية عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا « قال رجل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أكذب أهلى قال لا خير فى الكذب قال : أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك » ولان اسرار الحرب لو وقف عليه العدو اجترأ وأسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ عنه فساد أعظم من فساد الكذب، وكذا المتخاصمان تدور بينهما المعصية والعداوة فاذا أمكن الاصلاح بينهما بكذب فذلك أولى من الصدق الذى لم يترتب عليه خير ، ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر « جاء عليه السلام الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى ياعبد الله تعال أعطك فقال عليه السلام ما أردت تعطيه فقالت: تمرا فقال : أما انك لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة » رواه أبو داود ﴿لا﴾ أى لا يجوز الكذب ﴿عند استواء الطرفين فاصله قبيح﴾ أى فى الامرين فلا بد من ترجيح ﴿والأولى الترك﴾ أى ترك الكذب ﴿فى حاجته﴾ أى أمر نفسه لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى ﴿لا فى حاجة الغير﴾ وهو تصريح بما علم ضمنا ﴿ان أمكن﴾ أى تركه ﴿لغموض الامر﴾ أى لخفاء جواز أمر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات

وَلَوْ تَعْرِيضًا لأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى ظَنِّ كَاذِب وَإِلَّا فَالْمَعَارِيضُ مِثْلُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَاقُلْتَهُ وَمُذْفَارَقْتُكَ مَارَفَعْتُ الْجَنْبَ عَنِ الْفِرَاشِ إِلَّا مَارَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْكَارِ عَنِ الْقَوْلِ وَالصِّحَّةِ

والحالات ﴿ولو تعريضا﴾ غاية من قوله والاولى الترك ﴿لانه﴾ أى التعريض بمعنى التلويح ﴿تقرير على ظن كاذب﴾ وقد ورد «من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوزوا الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات ﴿والا﴾ أى وان لم يمكن ترك الكذب ﴿فالمعاريض﴾ متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شيء آخر كذا فى البستان، وتحقيقه فى قوله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وفى المغرب التعريض خلاف التصريح ، والفرق بينه و بين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما أقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف ، والمعنى انه طويل ومضياف، وقد ورد «ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب» ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعا و فى الأحياء وقد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه أيضا عن ايراد حديثه ﴿ مثل الله يعلم ماقلته ﴾ لاحتمال كون ما نافية أو موصولة أو استفهامية ﴿ ومذفارقتك مارفعت الجنب عن الفراش الا مارفعه الله تعالى﴾ فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى ﴿ فى الانكار عن القول ﴾ بالنسبة الى الاول ﴿والصحة﴾ بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب فى بديع المبانى ومنبع المعانى وفى الأحياء ومن أمثلة المعاريض ماروى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال: مارفعت جنبى منذ فارقت الأمير الا مارفعنى الله ، وقال ابراهيم: اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيكون قوله ماحرف نفى عند المستمع وعنده الابهام، وكان معاذ عاملا لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته : ماجئت به مما يأتى به العمال من غراضة أهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معى ضاغط فقالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك فى نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر

ثُمَّ التَّصْرِيحُ، وَالْمُعْتَبَرُ النِّيَّةُ وَالاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَمِنْهُ التَّسَامُحُ فِي الْعَدَدِ مُبَالَغَةً مِثْلَ قُلْتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَنَحْوَهَا لَا بِالْمُتَجَاوِزِ عَنِ الْحَدِّ الْمَعْهُودِ وَلَكِنْ لَا يَعْتَادُهُ فَفِيهِ خَطَرُ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ وَفِي شَهْوَةِ الطَّعَامِ،

بذلك دعا معاذا فقال: بعثت معك ضاغطا فقال لم أجد ما اعتذر به اليها إلا ذلك فضحك عمر وأعطاه شيئا وقال أرضها به، وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى أى محاسبا ضابطا، وكان النخعى لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول أرأيت لو شريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك، وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له: اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا، وكان الشعبى اذا طلب فى البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى أصبعك فيها وقولى ليس ههنا، ومن المعاريض ما أخرجه الحسن بن سفيان والديلمى عن أبى هريرة قال: «ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة أبى بكر وقال: يا أبا بكر ول الناس عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب فجعل الناس يسألونه من أنت قال باغ يبتغى قالوا ومن وراءك؟ قال هاد يهدينى» ﴿ثم التصريح﴾ أى بالكذب عند عدم امكان التلويح ﴿والمعتبر النية﴾ أى تحسين الطوية فى التصحيح ﴿والاستفتاء من القلب﴾ أى السليم من الغرض السقيم ﴿ومنه﴾ أى من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه ﴿التسامح فى العدد﴾ أى بذكره ﴿مبالغة﴾ أى زائدة ﴿مثل قلته مائة مرة﴾ وقد يزاد فى المبالغة ويقال ألف مرة فيأثم بالمرة ﴿ونحوها﴾ أى العشرة ﴿لا بالمتجاوز عن الحد﴾ أى حد الكثرة ﴿المعهودة﴾ فى المحاورة ﴿ولكن لا يعتاده﴾ أى لا ينبغى اعتياد المبالغة ﴿ففيه خطر الوقوع فى الاثم﴾ أى اثم الكذب اذا لم يصل فى العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا: الاستعارة تفارق الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت أسدا فى الحمام والله أعلم بحقائق المرام ولكن عليك بالاحتياط فى مثل هذا الكلام، فعن خوات التيمى قال: جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة الى بنى فانكبت وقالت كيف أنت يا بنى؟ فقال ربيع أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت، ﴿وفى شهوة الطعام﴾ أى من الكذب التسامح فى نفى

فورد «لا يجتمعن جوعا وكذبا» والأفحش وقوعه في اليمين فهو من الكبائر وفي مثل الله يعلم أنه كذا، فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب وفي الأخبار

شهوة الطعام وذلك كان يقال لانسان كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه ان لم يكن له غرض صحيح فيه ﴿فورد﴾ أي عن مجاهد عن أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة قالت: فوالله ماوجدنا عنده قرى - أي ضيافة - الاقدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية قالت: فقلت لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال لي: ناولي صواحبك فقلن: لانشتهي فقال عليه السلام: ﴿لا يجتمعن جوعا وكذبا﴾ كذا في الاصل من باب الافتعال والرواية الصحيحة «لايجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يارسول الله ان قالت احدانا لشيء نشتهيه لا اشتهيه أيعد ذلك كذبا؟ فقال عليه السلام: ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة» والحديث أخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير، وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصبهانيين لابي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس «زففنا الى النبي ﷺ بعض نسائه» الحديث فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك ﴿والأفحش﴾ من أنواع الكذب ﴿وقوعه في اليمين فهو من الكبائر﴾ فورد «ثلاثة نفر لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل إزاره» رواه مسلم من حديث أبي ذر، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود «من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم وقال عليه السلام: وكان متكئا الاأنبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال ألا وقول الزور» متفق عليه من حديث أبي بكر وهو أعم من شهادة الزور ﴿وفي﴾ أي وكذا الأفحش وقوعه ﴿مثل الله يعلم أنه كذا﴾ قال النووي في الأذكار: وهذه العبارة فيها خطر وان كان صاحبها متيقنا، ﴿فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب﴾ فانه نسبة الجهل إلى علام الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه ﴿وفي الاخبار﴾ أي وكذا الحش الكذب

وَالرُّؤْيَا فَهُمَاعَدًّا مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى، وَمِنْهَا الْغِيبَةُ ۞ وَوَرَدَ فِيهَا «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» وَيَجُوزُ الْإِجْمَالُ فَوَرَدَ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا» إِلَّا أَنْ يُفْهَمَ الْمَعْنَى

صدوره فى الأخبار وهو بفتح الهمزة أو بكسرها أى الاعلام لا سيما الكذب على النبي عليه السلام ﴿والرؤيا﴾ أى وفى الاحلام ﴿فهما عدا من أعظم الفرى﴾ أى الافتراء. ففى البخارى «ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه مالم تر أو يقول على مالم أقل» وفى الاحياء وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الاخبار فى فضائل الأعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض إذ قال عليه السلام: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يعنى وهو متفق عليه من طرق قاربت أن يكون متواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذفى الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها. وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الأغراض التى تقام محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدى فتح بابه الى أمور تشوش الشريعة ولا يقوم خير هذا بشره أصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر، أقول وقد صرح الجوينى والد امام الحرمين بانه كفر، هذا وعن أسماء بنت أبى بكر «سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بمالم يفعل أضارها بذلك فهل على فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور» متفق عليه، ولابن عبدالبر فى الاستيعاب عنه عليه السلام «لايستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه» ﴿ومنها الغيبة﴾ بكسر الغين ﴿وورد فيها﴾ أى فى حدها وتعريفها ﴿ذكرك أخاك بما يكره﴾ أى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة، فعن أبى هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتدرون ماالغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهته» رواه مسلم ﴿ويجوز الاجمال﴾ أى الابهام فى الغيبة ﴿فورد ما بال اقوام يفعلون كذا﴾ رواه أبو داود عن عائشة بسند صحيح «انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» ﴿الا ان يفهم المعنى﴾ أى من المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم من السفر

وَكَذَا مِثْلُ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى الْيَوْمِ، وَأَنْوَاعُهَا التَّصْرِيحُ، وَالتَّعْرِيضُ مِثْلُ فُلَانٍ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَصَمَنِي عَنْ مُخَالَطَةِ السُّلْطَانِ، وَالْاشَارَةُ، فَوَرَدَ « تَسْمِيَتُهُ غِيبَةً » وَالْغَمْزُ، وَالْمُحَاكَاةُ وَكُلُّ مَا يُنْبِيءُ عَنْهَا فَهُوَ حَرَامٌ، فَوَرَدَ (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)

وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذ كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة لأن المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم ﴿ وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم ﴾ من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم ﴿ وأنواعها ﴾ أى الغيبة ستة ﴿ التصريح ﴾ وهو ظاهر ، ومنه « أن عائشة ذكرت امرأة فقالت: انها قصيرة فقال عليه السلام: اغتبتيها » رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه ﴿ والتعريض ﴾ أى التلويح ﴿ مثل فلان تاب الله عليه ﴾ ففيه تنبيه على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه ﴿ الحمد لله الذى عصمني عن مخالطة السلطان ﴾ وهذا من غيبة القراء المرائين وأتباع الشيطان وهو أخبث أنواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة ﴿ والاشارة فورد تسميته غيبة ﴾ وفى نسخة تسميه غيبة، ومن ذلك قول عائشة « دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدى أى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتيها » ابن أبى الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات ﴿ والغمز ﴾ أى بالعين للتشبيه أو أخذ البدن للتنبيه ﴿ والمحاكاة ﴾ فورد حين حكت عائشة انسانا فقال ما يسرنى، وفى رواية « ما أحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا » وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجا أو متطأطئا رأسه أو غير ذلك من الهيئات بل هو أشد أنواع الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهيم على مافى الاحياء ﴿ وكل ما ينبيء عنها فهو حرام ﴾ كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم أحد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا ﴿ فورد ﴾ أى فى سورة الحجرات (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يتناول بعضكم بعضا فى ظهر الغيب

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً) الآيَةَ: الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ

بما يسوءه مما فيه ﴿أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا الآية﴾ أى فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم: (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا) قالوا لا أى بلسان القال أو ببيان الحال قيل فكرهتموه، والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج: وتأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة «ألا يغتابن منكم أحد احدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عنده عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظى الفظى فلفظت بضعة من لحم أحمر» ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى التفسير «ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا قال رجل لصاحبه: اقعص كما يقعص الكلب أى قتل مكانه فمر النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال: انتهشان منها فقالا لا يارسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه» أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة باسناد جيد وعن أبى هريرة موقوفا ومرفوعا «من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال كله ميتا كما أكلته حيا» ابن مردويه فى التفسير، وروى عن أبى بكر وعمر «ان أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام: قد ائتدمتما فقالا: ما نعلمه فقال: بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما» رواه أبو العباس الثغولى أو الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى نحوه كذا فى تخريج الأحياء، وقال الامام الدميرى هو من كبار الحفاظ توفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور ، فى هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما، وكان القائل أحدهما تنبيه على ان المستمع أحد المغتابين وان المستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فى ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولا يكفى ان يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق أحمد والطبرانى عن سهل بن حنيف ولابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة»، ولأحمد والطبرانى عن أسماء بنت يزيد «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار» ﴿الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الاسلام﴾ وانما قيده بحال الاسلام لانه أقبح مما قبله

وَالسَّبَبُ التَّشَفِّي مِنَ الْغَيْظِ

فى الأحكام وقيل لان الزنا فى دار الحرب وفى عسكر أهل البغى لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه فى خطر انتقاله الى أهلهما والا فلا يسقط عنه بالكلية ولانه أخف من زناه فى دار الاسلام والله سبحانه أعلم بحقائق المقام.

والحديث رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير «بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ان الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» وأما الحديث بلفظ المتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له أصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث أنس قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض» والحديث رواه أحمد وابن أبى الدنيا، وعن مجاهد فى تفسير قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس، وقال الحسن: والله للغيبة أسرع فسادا فى دين المؤمن من الأكلة فى الجسد، وقال بعضهم: أدركت وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس السلف، وقال ابن عباس: اذا أردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك. ولعله مقتبس من قوله عليه السلام: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» الديلمى عن أنس، وقال أبو هريرة «يبصر أحدكم القذا فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه» وسمع على بن الحسين رجلا يغتاب آخر «فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس» وقال الحسن «ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل فى كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك» ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث «كفى بالمرء كذبا واثما ان يحدث بكل ما سمع» ﴿والسبب﴾ أى الباعث على الغيبة سبعة مشهورة ﴿التشفى من الغيظ﴾ أى الغضب الكامن فى القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الذى ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلى. فللبزار وابن أبى الدنيا وابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس «ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله» وللديلمى عن سهل بن سعد «من أتى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه» ولابى داود والترمذى

وَمُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ خَوْفًا عَنِ التَّثْقِيلِ وَالتَّحَامِي عَنْ رَدِّ قَوْلِهِ لِسَبْقِ الْغَيْرِ فِي تَقْبِيحِهِ وَالتَّبَرِّي عَنْ فَاحِشَةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَيْرِ وَالْمُبَاهَاتُ وَالْحَسَدُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَنَحْوُهَا، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا

وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه أي يمضيه كما في رواية «دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء» ﴿وموافقة الاقران﴾ أي اخوان الزمان ﴿خوفا عن التثقيل﴾ أي عن عده ثقيلا في ذلك المكان اذا أنكر الغيبة أو قطع مجالس الصحبة، ويرى ذلك من حسن المعاشرة وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضى المخلوقين ﴿والتحامي﴾ أي المحافظة ﴿عن رد قوله لسبق الغير في تقبيحه﴾ اي تقبيح قوله وبيانه أن يستشعر من انسان أنه سيقصده ويطول لسانه ويقبح مقاله ويفضح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر مقالته وشهادته، وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد أن يغتاب عمرا بان يقول: هو جاهل أو أحمق ونحوهما ليحامي ماسبق من كلامه عن بطلان مرامه ﴿والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير﴾ اى بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضرره، وحاصله أنه ينسب الى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه فيكون بهذا جمعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) ﴿والمباهاة﴾ أي التصنع والمفاخرة بان يرفع نفسه بتنقص غيره وخفض أمره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وعقله خفيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرى أنه أعلم منه ﴿والحسد﴾ وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه أن يسمع علو مرامه ﴿والاستهزاء﴾ أي الاستحقار له فان ذلك قد يجري في الحضرة فيجري أيضا في الغيبة ﴿ونحوها﴾ أي من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت باسباب المقت ﴿والعلاج﴾ أي الذي به يمنع اللسان من الغيبة ﴿ذكر ما ورد فيها﴾ أي في ذم الغيبة

ودفع السبب بما في موضعه والمرخص التظلم، فورد (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) الآية إن لصاحب الحق مقالا والاستعانة على تغيير المنكر وإصلاح العاصي فهو مأثور والاستفتاء فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان ابن الحرب ذا كرة بخل أبي سفيان لأخذ ماله بغير علم

من الكتاب والسنة ﴿ودفع السبب﴾ أي من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب ﴿بما في موضعه﴾ أي بما يذكر من كتب الاخلاق في محله فان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من أكبر الفساد الامن حفظه الله من العباد ﴿والمرخص﴾ أي في ذكر مساوى الغير سبعة أمور ﴿التظلم فورد﴾ في سورة النساء ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية﴾ فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا وأما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذكره، وقد قال عليه السلام: ﴿ان لصاحب الحق مقالا﴾ ومطل الغني ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث أبي هريرة ولابي داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح «لي الواجد يحل عرضه وعقوبته» ﴿والاستعانة﴾ أي بالحاكم ونحوه ﴿على تغيير المنكر﴾ أي ازالته ﴿واصلاح العاصي﴾ بتركه وتوبته ﴿فهو مأثور﴾ أي مروي عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان أبا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير) فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه ﴿والاستفتاء﴾ كما تقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي وكيف طريق الخلاص لي ﴿فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان بن الحرب﴾ أي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها ﴿ذاكرة بخل أبي سفيان لاخذ ماله﴾ أي لاجل أخذها من ماله ﴿بغير علم﴾ في الصحيحين من حديث عائشة «ان هندا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فقال عليه السلام خذي ما يكفيك وولدك

وَالتَّعْرِيضُ أَوْلَى، وَالتَّحْذِيرُ عِنْدَ خَوْفِ سِرَايَةِ الْفِسْقِ أَوِ الضَّرُورَةِ إِلَى الْغَيْرِ، فَوَرَدَ «اذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ لِيَحْذَرَهُ النَّاسُ» أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ صُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَرْفَعُ الْعَصَا عَنْ أَهْلِهِ أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَاشْتِهَارُ الْمَذْكُورِ بِاسْمِ الْعَيْبِ كَالْأَعْمَشِ وَالْأَعْرَجِ وَالْعُدُولُ أَوْلَى وَإِظْهَارُهُ الْفِسْقَ، فَوَرَدَ «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ»

بالمعروف، وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكومة والدعوى ﴿والتعريض أولى﴾ بان يقول: كيف من تأخذ مال زوجها بغير اذنه لأجل بخله ﴿والتحذير عند خوف سراية الفسق﴾ فاذا رأيت متعففا يتردد الى فاسق أو مبتدع وخفت ان يسري اليه فسقه أو تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه ﴿أو الضرورة﴾ أي أو عند خوف الضرر الكثير المنجر ﴿الى الغير فورد﴾ أي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﴿اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره الناس﴾ رواه الطبراني وغيره بلفظ «أترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس» وهذا دليل السراية وأما دليل الضرورة فقوله عليه السلام لامرأة استشارت النبي في تزوج معاوية أو أبي جهم أو أسامة ﴿أما معاوية فرجل صعلوك﴾ أي فقير جدا ﴿لا مال له﴾ تأكيد لحاله ﴿وأما أبو جهم فلا يرفع العصا عن أهله﴾ وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه، وفي رواية «عن عنقه» وهو يحتمل المعنى المذكور أو الكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته في حضره ﴿أنكحي أسامة ابن زيد﴾ أي فانه خير منهما في حسن عشرته وطيب نفقته ﴿واشتهار المذكور باسم العيب﴾ أي من الاعذار المرخصة ﴿كالاعمش والاعرج﴾ وكذا الأعمى والأعور والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر ﴿والعدول﴾ اى الى وصف آخر أو عبارة أخرى ﴿أولى﴾ أي أحرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص في المبنى وان كان المآل واحدا في المعنى، وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال أستغفر الله اني أراني قد اغتبته، وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعي: ولم يقل الاعور ﴿واظهاره الفسق﴾ أي اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص كالمخنث والقواد المجاهر بشرب الخمر والزنا والربا ومصادرة الناس باخذ أموالهم ﴿فورد﴾ من حديث أنس ﴿من ألقى جلباب الحياء﴾ أي غطاءه ﴿فلا غيبة له﴾ رواه

وَنَحْوُهُ مِنَ الْغَرَضِ الصَّحِيحِ وَالْأَصْلُ الِاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ

ابن عدى وأبو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين: ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظالمه وانك اذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب اصبته اشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحجاج، وقال قوم: لا غيبة فى الدين لانه ذم ماذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ماروى «انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال: هى فى النار» ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة «وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا» رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا قال فى الاحياء: وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول: وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، واما قوله: والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب ففيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام ﴿ونحوه﴾ أى ونحو المذكور ﴿من الغرض الصحيح﴾ بان يقول لمن يريد أن يودع عند احد: انه خائن ﴿والاصل﴾ أى فى الغرض الصحيح ﴿الاستفتاء من القلب﴾ أى فى التصريح والتلويح بذكر العيب، ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغى ان يستحله، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج فى ذلك بما روى انس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له» ابن أبى الدنيا والحارث بن أسامة فى مسنده من حديث أنس بسند ضعيف، وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير، ويؤيده قوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام إلى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار، وأما قول عطاء بن أبى رباح حين سئل عن التوبة عن الفرية قال: تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافتراء بل ينبغى ان يعترف

بالخطأ فى حضور الملاء بالخلاء أو الملأ فقول صاحب الأحياء : وهو الأصح مبنى على انه لافرق بين الغيبة و الفرية وهو بعيد بلامرية ، وأما اطلاق قول القائل العرض لاعوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف إذ فى الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبى هريرة « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليتحللها من قبل ان يأتى يوم ليس هنالك دينار ولادرهم فيؤخذ من حسناته فان يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فان كان صاحب الغيبة غائبا أو ميتا فينبغى ان يكثر الاستغفار و الدعاء ويكثر من الحسنات تكفيرا للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات » وكان بعض السلف لايحلل للظالم قال سعيد بن المسيب : لاأحلل من ظلمنى ، وقال ابن سيرين : انى لم أحرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ماحرم الله أبدا، والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله فى حل بمعني عفوه عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام « أيعجز أحدكم ان يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال : اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس » رواه البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس ، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عنده ذكر أبى ضمضم فى الصحابة قال العراقى : وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى ، والمعنى انى لاأطلب مظلمة فى القيامة منه ولاأخاصمه والافلا تصير الغيبة حلالا به بل ولا تسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لايخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل وثوابه أكمل ؛ وقال الحسن : اذا جثت الامم على الركب بين يدى الله يوم القيامة نودوا ليقم من كان أجره على الله فلايقوم الامن عفا عن مظلمة فى الدنيا وكأنه مستفاد من قوله (فمن عفا وأصلح فاجره على الله) وجاء فى قوله تعالى (خذ العفو) الآية أنه عليه السلام « قال ياجبريل ماهذا العفو؟ قال : ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك » وقد روى عن الحسن « أن رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال : قد بلغنى أنك قد اهديت الى حسناتك فاردت أن أكافيك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافيك على التمام » وقال بعضهم : « لو كنت أغتاب أحدا لاغتبت أمى فانها أولى بان تأخذ حسناتى

وَمِنْهَا النَّمِيمَةُ وَهِيَ تَبْلِيغُ كَلَامٍ يُقَالُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَوَرَدَ (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) الْآيَةَ «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمُ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ» وَالسَّبَبُ إِرَادَةُ الشَّرِّ فِي الْقَائِلِ أَوْ إِظْهَارُ مَحَبَّةِ السَّامِعِ أَوِ التَّفَرُّجُ بِالْحَدِيثِ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِيبُ

أو آخذ من سيئاتها يوم القيامة » : ﴿ ومنها النميمة وهى تبليغ كلام ﴾ أى مذموم ﴿ يقال فى حق الغير اليه ﴾ متعلق بتبليغ أى الى الغير وهو المقول فيه كأن يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا ﴿ وهو حرام ﴾ سواء كان التبليغ قولا أو فعلا أو كناية أو رمزا أو اشارة ﴿ فورد ﴾ فى سورة ن ﴿ هماز ﴾ أى عياب أو مغتاب ﴿ مشاء بنميم الآية ﴾ وهى (مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) والمقصود منه من جمع بين أنواع من الوصف الذميم وفى رواية أحمد من حديث أبى مالك الاشعرى ﴿ ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالنميمة ﴾ آخره «المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات» وفى الصحيحين من حديث حذيفة «لا يدخل الجنة نمام» وفى حديث آخر «قتات» وهو النمام قال عبدالله بن المبارك «ولد الزنا لا يكتم الحديث» وأشار به الى أن كل من لا يكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى (زنيم) فانه هو الدعى، وللحاكم من حديث أبى موسى « من سعى بالناس فهو لغير رشده أو فيه شىء منها » وللطبرانى بلفظ «لا يسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه» وقال تعالى (حمالة الحطب) قيل كانت نمامة حمالة للحديث، وقال تعالى : (فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون ﴿ والسبب ﴾ أى الباعث على ذلك ثلاثة ﴿ ارادة الشر فى القائل ﴾ أى قصد السوء بالمحكى عنه فعن أبى ذر « من اشار على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة » ابن أبى الدنيا والطبرانى، وعن ابى الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيامة فى النار، ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى: (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) ﴿ واظهار محبة السامع ﴾ وهو المحكى له وقد قال بعضهم: لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك ﴿ او التفرج بالحديث ﴾ اى التنزه بحكاية اهل الدنيا ﴿ فعلى السامع التكذيب ﴾ أى تكذيب قول القائل وعدم قبوله ، فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول

لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ مَعَ كُلٍّ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ بِمَا يُوَافِقُهُ

السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله وأجازه ﴿ لان النمام فاسق لا يقبل قوله ﴾ لقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك و ينصحه و يقبح له فعله قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) وان يبغضه فى الله وان لا يظن بأخيه الغائب السوء لقوله تعالى: (اجتنبوا كثيرا من الظن) وان لا يحمله ما حكى له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى : (ولا تجسسوا) وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام فى حقه فلا يحكى نميمته بقوله فلان قد حكى لى كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا او يكون قد أتى بما عنه نهى، فقد روى كعب «انه أصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما أجيب فأوحى الله اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد أصر على النميمة فقال موسى: يارب من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا» وقال الحسن: من نم اليك نم عليك، وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر: ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقا فانت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) وان شئت عفونا عنك فقال: العفو ياأمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا ، ومثله روى عن على كرم الله وجهه «ان رجلا أتاه يسعى اليه برجل فقال له: ياهذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك أقلناك فقال: أقلنى ياأمير المؤمنين» فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ماظنكم بقوم يحمد الصدق فى كل طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى أحد من العلماء فقال: الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين، هذا وقد قال تعالى (و يقطعون ماأمر الله به ان يوصل و يفسدون فى الأرض) والنمام منهم وقال عليه السلام «ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره» متفق عليه من حديث عائشة، والنمام منهم، وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة قاطع» رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم قيل أى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولى التوفيق ﴿ ومنها التكلم ﴾ أى تكلم ذى اللسانين ﴿ مع كل من المتعادين بما يوافقه ﴾

فَهُوَ نِفَاقٌ فَوَرَدَ «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِى الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ فِى الْآخِرَةِ» وَمِنْهَا الْمَدْحُ فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ، فَوَرَدَ «إِنْ كَانَ لَابُدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا» وَالْمَمْدُوحَ بِحُدُوثِ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، فَوَرَدَ فِيهِ

أى تكلم كل واحد بكلام يوافقه ﴿ فهو نفاق ﴾ أو نوع من النفاق وصنف من الشقاق ﴿فورد﴾ عن عمار بن ياسر مرفوعا ﴿ من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان فى الآخرة﴾ رواه البخارى فى كتاب الادب المفرد. وابو داود بسند حسن بلفظ «من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة» وهو كذلك فى الاحياء، وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة «تجد من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» وفى لفظ آخر «يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقيل لابن عمر: انا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال: كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الطبرانى من طرق واصله فى صحيح البخارى، وقال أبو الدرداء «انا لنكشر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم» وقالت عائشة «استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت: يارسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول فقال: ياعائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره» متفق عليه ﴿ ومنها المدح ﴾ وهو منهى عنه فى بعض المواضع ﴿فهو يضر المادح﴾ اذا كان الممدوح ظالما او فاجرا ﴿بخطر اسرار الفاسق﴾ أى فرحه بمدحه فلابن أبى الدنيا والبيهقى من حديث أنس «ان الله يغضب اذا مدح الفاسق» ﴿والرياء﴾ فانه بالمدح مظهر للحب وقد لايكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا ﴿ والكذب ﴾ أى حقيقة أو حكما حيث يذكره بالظن وقد لا يكون مطابقا ﴿فورد ان كان لابد أحدكم أن يكون مادحا ﴾ أى لاحد ﴿ فليقل أحسب فلانا ﴾ أى كذا وكذا أنه صالح أو متق أو نحوهما ﴿والممدوح ﴾ أى و يضر الممدوح ﴿بحدوث الكبر والعجب ﴾ أى والغرور فى قلبه بسبب مدحه ﴿فورد فيه ﴾ أى فى ضرر الممدوح برواية الصحيحين من حديث أبى بكرة «ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله ﷺ فقال

«قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَ مَا أَفْلَحَ» وَلَوْ سَلِمَ عَنْهُ فَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، فَوَرَدَ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ» أَيْ أَقُولُهُ ائْتِمَارًا لَا افْتِخَارًا لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ * وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ بِالْمَنْهِيِّ عَنْهُ كَالْحَلِفِ بِالْآبَاءِ

ويحك ﴿قطعت عنق صاحبك﴾ » وزاد ابن ابى الدنيا ﴿لو سمع﴾ اى لو بلغه وقبله ﴿ما افلح﴾ لحدوث المهلك، وقال عمر رضى الله عنه: المدح هو الذبح ﴿ولو سلم﴾ أى المدح ﴿عنه﴾ أى عن الضرر ﴿فمندوب اليه فورد انا سيد ولد آدم﴾ اى يوم القيامة كما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة، وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الاسناد ﴿ولا فخر﴾ وله من حديث عبادة بن الصامت «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر» ﴿أى أقوله ائتمارا﴾ أى امتثالا لأمره سبحانه (وأما بنعمة ربك فحدث) ﴿لا افتخارا﴾ أى تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه فى مقام أنسه لا بكونه مقدما على ابناء جنسه ﴿لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالم﴾ وفى نسخة العالمين ﴿لرجح﴾ أى ايمان أبى بكر وغلب على ايمان غيره من غير الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه «لو وزن ايمان أبى بكر بايمان الناس لرجح ايمان أبى بكر» ورواه اسحاق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر «لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب» ولابن عدى عنه «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم» وللديلمى عن أبى هريرة «لو لم أبعث لبعثت يا عمر» قال سفيان بن عيينة: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم ان هؤلاء لا يعرفونى فانت تعرفنى وقال على كرم الله وجهه لما اثنى عليه: اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون ﴿ومنها التكلم بالمنهى عنه﴾ أى من الاقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ فى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته ﴿كالحلف بالآباء﴾ ففى الصحيحين من حديث عمر «ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم» ولابن عمر «من حلف بغير الله فقد أشرك» أحمد والترمذى والحاكم فى مستدركه، وفى رواية أحمد والبيهقى عن قتيلة بنت صيفى «من حلف فليحلف برب الكعبة» وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي

وَتَسْمِيَةِ الْعِنَبِ بِالْكَرْمِ، وَقَوْلُهُ مَاشَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَعَبْدِي وَأَمَتِي وَرَبِّي وَرَبَّتِي فَالصَّوَابُ ثُمَّ شِئْتَ وَغُلَامِي وَجَارِيَتِي وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي وَنَحْوُهَا *

ولا بالامانة ونحوها ﴿ وتسمية العنب بالكرم ﴾ بفتح فسكون فروى «الكرم قلب المؤمن» وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر «لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم» ولمسلم من حديثه «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة» ولأبي داود من حديث أبي هريرة «لا يقولن أحدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا احدائق الاعناب» ﴿ وقوله ماشاء الله وشئت ﴾ لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية في الكلام وهو خلاف مايوجب الاحترام فعن حذيفة «لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت» وقال ابن عباس «جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ماشاء الله وشئت فقال عليه السلام أجعلتني لله عديلا قل ماشاء الله وحده» وفي صحيح مسلم من حديث عدي بن حاتم «خطب رجل عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» وفي الأحياء فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لايخفى، ولعل الاوجه أن يقال العدول عن الاسمين الشريفين غير لائق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ولله در القائل:

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا ورد في كثير آي القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله ﴿ وعبدي وأمتي وربي وربتي ﴾ فعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ لا يقل أحدكم عبدي وأمتي كلكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن ليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب هو الله سبحانه» رواه الشيخان ﴿ فالصواب ﴾ أي في مقام الخطاب ﴿ ثم شئت ﴾ بدل قوله وشئت فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول أعوذ بالله ثم بك ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان ﴿ وغلامي وجاريتي ﴾ بدل عبدي وأمتي ﴿ وسيدي وسيدتي ﴾ بدل ربي وربتي ﴿ ونحوها ﴾ أي من الكلمات المنهية وللنسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح «من قال أنا بريء من الاسلام

وَمِنْهَا سُؤَالُ الْعَامَّةِ عَمَّا يَتَعَذَّرُ إِدْرَاكُهُ كَسِرِّ الرُّوحِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ، أَوْ يَضُرُّ كَسِرِّ الْقَدَرِ *

فان كان صادقا فهو كما قال،وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام» فهذا وأمثاله مما يدخل فى مذموم الكلام ولا يمكن حصره فى هذا المقام ،وقال ابراهيم:اذاقال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيامة:احمارا رأيتنى خلقةاخنزيرا رأيتنى خلقة، وعن ابن عباس «ان أحدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة» ولاحمد من حديث البراء «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة» ولأبى داود من حديث بريدة بسند صحيح «لاتقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم» وكما روى «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت» والحديث فى الا كمال للسيوطى ولعله مقتبس من قوله: (أفرأيتم ماتحرثون أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وكان يقول على فيه وفى نظائره بل أنت ، وفى الحديث «لا يقل أحدكم خبثت نفسى وليقل لقست» وفى الحديث «لا يقل أحدكم نسيت بل ليقل نسيت» ﴿ ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه ﴾ أى حتى للخاصة ﴿ كسر الروح ﴾ وقد قال تعالى : (قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم الاقليلا) والمعتقد ان الارواح أجسام لطيفة تدخل فى أشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله : (ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وانها خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء ﴿ وحقائق الصفات ﴾ كحقيقة كلامه سبحانه ، وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثله شىء) فكل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك، وقد قال عليه السلام: سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أى من قوله (قل هو الله أحد) وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات ﴿أو يضر ﴾ أى عما يضره ولو لم يتعذر ﴿ كسر القدر ﴾ فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه من غريق ولا مخلص منه الا بان يقال فيه : (يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد) ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ،قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالى وانما شأن العوام الاشتغال بالعمل بمافى القرآن والتسليم بماجاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان، ولذا قال عليه

وكالقول بالظن وهو ما تغير به القلب فورد (اجتنبوا كثيراً من الظن) الآية إلا إذا أخبر عدل وعلم عدم العداوة وحامل آخر فيعذر إذ تكذيبه سوء الظن والتجسس

السلام : «ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم» متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقال أنس: «سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال: سلونى فما تسألونى عن شيء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من أبى فقال : أبوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال : يارسول الله أفى الجنة ابى أو فى النار فقال : لا بل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسكوا فقام اليه عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا فقال : أحسنت يرحمك الله انك ما علمت لموفق » متفق عليه ، وفى الحديث « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال» متفق عليه من حديث المغيرة ، وعنه عليه السلام « يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا : هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يسارة ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم» ، والحاصل أن السؤال ينبغى أن يكون من أهل الكمال فيما يكون من الضروريات فى الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿ وكالقول بالظن﴾ لاسيما فى العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى : (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴿ وهو﴾ أى القول بالظن أو نفس الظن ﴿ ما تغير به القلب﴾ أى بسماعه عما كان به ويحصل التردد فى بابه وانما جوز فى الفروع دون الأصول للضرورة فى قلة المنقول ﴿ فورد اجتنبوا كثيرا من الظن الآية ﴾ أى (ان بعض الظن اثم) ولما كان هذا الظن يشمل ماذا بنى عليه خبر من موت أحد أو قدومه أو سفره أو أمر غيره استثنى بقوله ﴿ الا اذا أخبر عدل ﴾ أى بالموت أو القدوم أو السفر ونحوه ﴿ وعلم عدم العداوة ﴾ أى بالنسبة الى الميت وأهله ﴿ وحامل ﴾ أى وعلم عدم باعث ﴿ آخر ﴾ كالعصبية فى نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه ﴿ فيعذر ﴾ أى اذا أخبر عن ظن وقوعه ﴿ اذ تكذيبه سوء الظن ﴾ أى به وبكلامه ﴿ والتجسس ﴾ عطف على القول بالظن

فَهُوَ هَاتِكُ السِّترِ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجَسَّسُوا) وَالاِسْتِمَاعِ، فَوَرَدَ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) «الْمُسْتَمِعُ شَرِيكُ الْقَائِلِ» وَفِيهِ هَيَجَانُ الْوَسَاوِسِ وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ وَلَا قِصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيبَةِ وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ لَانْحِصَارِهِ عَلَى مَوْرِدِ الشَّرْعِ، وَوَرَدَ «إِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ» وَقِيلَ يُقَابَلُ بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَالْأَوْلَى التَّرْكُ وَالتَّحْقِيقُ أَنْ لَا حُرْمَةَ فِي الْأَشْعَارِ لِلِالْتِذَاذِ وَإِلَّا لَحَرُمَ كُلُّ لَذَّةٍ وَلَا لِلْوَزْنِ

أي وكالتفحص عن حقيقة الأمر ﴿فهو هاتك الستر﴾ أي كاشفه وفاضحه في الخبر ﴿فورد﴾ في سورة الحجرات ﴿ولا تجسسوا والاستماع﴾ أي وكاستماع القول بالظن ﴿فورد﴾ في سورة القصص ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ تمامه (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) ﴿المستمع شريك القائل﴾ لم أر له أصلا، وفي الاحياء، المغتاب والمستمع شريكان في الاثم، ولم يخرجه العراقي، وفي الطبراني مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة ﴿وفيه﴾ اي في استماعه ﴿هيجان الوساوس﴾ أي ثورانها ﴿و بقاؤها في النفس﴾ على طريق الهواجس ﴿ولا قصاص في نحو الغيبة﴾ فلا مخاص لمن يقول : انا اغتاب الناس وهم يغتابوني فيكون المقاصصة في الدنيا دون العقبى ﴿والسب والتجسس﴾ من الاقوال الردية والافعال الدنية ﴿لانحصاره﴾ أي القصاص ﴿على مورد الشرع﴾ أي في النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقطع والقتل وأخذ الامثال والابدال ﴿وورد ان امرؤ عيرك بما فيك﴾ أي من الخصائل الذميمة ﴿فلا تعيره بما فيه﴾ أي فانه لا تجوز فيه المقاصصة، ولا يبعد أن يكون هذا محمولا على التحريض على ماهو الاولى من العفو ﴿وقيل يقابل﴾ أي نحو الغيبة وما عطف عليه ﴿بما لا كذب فيه﴾ لظاهر قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ﴿والاولى الترك﴾ لقوله (فمن عفى واصلح فاجره على الله) ولقوله تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) ﴿والتحقيق﴾ في سماع الابرار ﴿ان لا حرمة في الاشعار﴾ أي في نفسها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر كالنثر كلام صريح حسنه حسن وقبيحه قبيح ﴿للالتذاذ﴾ أي لا يحرم لاجل التلذذ بها ﴿والا لحرم كل لذة﴾ يلتذ منها كالماء الجاري والخضرة ونحوها ولم يقل أحد بحرمتها ﴿ولا للوزن﴾

وَإِلَّا لَحَرُمَ سَمَاعُ صَوْتِ الْعَنْدَلِيبِ وَالْقُمْرِيِّ فَهُوَ مَوْزُونٌ لِتَنَاسُبِ مَطَالِعِهِ وَمَقَاطِعِهِ وَلَا لِلْفَهْمِ وَإِلَّا لَحَرُمَ كُلُّ مَفْهُومٍ، هَذَا وَالشِّعْرُ كَلَامٌ وَالْإِنْشَادُ مَأْثُورٌ

أى ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين أو الجملتين أو المصراعين ﴿ والا لحرم سماع صوت العندليب ﴾ أى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار ستان فان انغامها بلغت الالف فى الاشجار والبستان ﴿ والقمرى ﴾ وكذا الفاختة والحمامة، واغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تتفصح حتى تقرء الآية والسورة وتتكلم بما وقع فى البيت من أمور الضرورة طبق ماوقع فى المعنى والصورة ﴿ فهو ﴾ أى صوتهما ونحوهما ﴿ موزون ﴾ أى متلائم يبنى أوائله وأواخره ﴿ لتناسب مطالعه ومقاطعه ﴾ أى مباديه ومايشعر بتناهيه ﴿ ولا للفهم ﴾ أى ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت فى ذلك المقام ﴿ والا لحرم كل مفهوم ﴾ من المرام ولم يقل به أحد من الاعلام ﴿ هذا ﴾ أى مضى أو خذ هذا أو الأمر هذا ﴿ والشعر كلام ﴾ أى كسائر الكلام من حيث هو مباح فى أصل الأحكام ﴿ والانشاد مأثور ﴾ وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبرر بنا وأظهر

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا. قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الأحاديث انه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت، وفى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول « اللهم انه لاخير الاخير الآخرة فانصر الانصار والمهاجرة » قال العراقى : وليس البيت الثانى موزونا يعنى باعتبار المصرع الاول فتأمل وفى رواية « اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة » وفى الصحيحين أيضا انه قاله فى حفر الخندق بلفظ « فبارك فى الانصار والمهاجرة » وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم، ولهما من حديث سهل بن سعد « فاغفر للمهاجرين والانصار » وللبخارى تعليقا وأبى داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة « كان عليه السلام يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ينافح ويقول رسول الله ﷺ ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » قال الترمذى حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح الاسناد ؛ ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان:

هجوت محمــدا فاجبت عنه وعندالله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخــير كما الفداء

القصيدة ، وانشاد حسان أيضا:

وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى انشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع

الأبيات، وللترمذى فى الشمائل انشاده أيضا بين يدى رسول الله ﷺ حين دخل مكة:

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم عــلى تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليــل عن خليــله

وللبغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث النابغة قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعرا فقال: أحسنت لا يفضض الله فاك ، وفى الصحيحين عن عائشة « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت ياأبت كيف تجدك ويابلال كيف تجدك فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أى صوته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وهما جبلان بمكة قالت عائشة « فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال: اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وانقل حماها فاجعلها فى الجحفة » ومن انشاد عائشة :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وللترمذى من حديث جابر بن سمرة « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم » وللبيهقى فى دلائل النبوة « أن النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وأما ذكر السطوح والدف والالحان كما ذكره فى الاحياء فما لا أصل له كما صرح به مخرجه، وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك

وَالنَّهيُ لِلتَّجرُّدِ لَهُ فَهُوَ اشْتِغَالٌ بِمَالَا يَعْنِيهِ، فَوَرَدَ «لَأَنْ يَمْتَلِىءَ بَطْنُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْراً» وَتَضَمُّنِهِ فُحْشاً وَهِجَاءً وَافْتِرَاءً كَنَظْمِ الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعَةِ وَيَجُوزُ هِجَاؤُهُمْ فَفَعَلَهُ حَسَّانُ وَأُمِرَ بِهِ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَدْحِ إِنْ وُجِدَ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ فِي الْمَمْدُوحِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَذِبٍ لِفَقْدِ قَصْدِ اعْتِقَادِ صُورَتِهِ

المقام، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «انى لا أدرى بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر»، ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «أنشدت النبى صلى الله عليه وآله وسلم مائة قافية من قول أمية بن الصلت فى كل ذلك يقول هيه هيه أى استزادة ثم قال ان كاد فى شعره ليسلم» فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع، ولأبى داود الطيالسى عن أنس «كان يحدى له فى السفر وان أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير» ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمانه عليه السلام وأصحابه الكرام وما هو الا أشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ﴿والنهى﴾ أى عن الشعر ﴿للتجرد له فهو اشتغال بما لايعنيه فورد لان يمتلىء بطن أحدكم قيحا﴾ أى صديدا ﴿حتى يريه﴾ بفتح فكسر من ورى وريا كرمى رميا أى يفسده ﴿خير له من أن يمتلىء شعرا﴾ رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة ﴿وتضمنه﴾ عطف على التجرد أى ولتضمن الشعر ﴿فحشا﴾ من الكلام ﴿وهجاء﴾ أى ذما لاحد من أهل الاسلام ﴿وافتراء﴾ أى فى مقام المرام ﴿كنظم الكفار والمبتدعة﴾ فى ذم المسلمين وأهل السنة والجماعة ﴿ويجوز هجاؤهم﴾ أى ابتداء وانتهاء ﴿ففعله حسان وأمر به﴾ كما تقدم، ففى الصحيحين من حديث البراء «أنه عليه السلام قال لحسان: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك» وقد قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون ه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) ﴿والتوسع﴾ أى وتجوز المبالغة ﴿فى المدح ان وجد الوصف المذكور فى الممدوح﴾ أى فى الجملة ﴿لانه ليس بكذب﴾ أى حينئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما فى الشعر ﴿لفقد قصد اعتقاد صورته﴾

وَتَوَارُثِ اسْتِمَاعِ الْمُبَالَغَاتِ بِلَا نَكِيرٍ وَوَصْفِ نَحْوِ الْخَدِّ وَالْقَدِّ وَالصُّدْغِ عَلَى الْأَقْرَبِ إِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى مُعَيَّنَةٍ سِوَى امْرَأَتِهِ وَأَمَتِهِ أَوِ اسْتِعَارَ الْعَارِفُ سَوَادَ الصُّدْغِ لِظُلْمَةِ الذَّنْبِ وَبَيَاضَ الْخَدِّ لِنُورِ الطَّاعَةِ وَالْوِصَالَ لِلِقَائِهِ تَعَالَى وَالْفِرَاقَ

أى صورة الكذب وحقيقته ﴿ وتوارث استماع المبالغات ﴾ أى ولتواتر استماعها فى اشعار العرب وغيرهم ﴿ بلا نكير ﴾ أى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من مستحسنات الشعر كما قيل « أكذب الشعر أحسنه » ويشير اليه قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) وقد سبق التسامح فى النثر أيضا اذا أريد به المبالغة مثل مائة مرة وألف مرة ويراد به الكثرة، ونظير هذا قولهم: لبيك وسعديك فى اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين) ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: (ان تستغفر لهم سبعين مرة) فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند أرباب الوصول بل أريد به الكثرة هنا بدليل آية أخرى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) ﴿ ووصف نحو الخد ﴾ وجاز نعت نحو الوجه والوجنة من البياض والحمرة ﴿ والقد ﴾ أى القامة باعتدالها فى جمالها وكمالها ﴿ والصدغ ﴾ أى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف ﴿ على الاقرب ﴾ أى جاز ما ذكر على القول الأقرب الى الصواب أو الأنسب فى بيان الرخصة المحتاج اليها فى هذا الباب، وقيل: لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل الآتى وهو قوله: ﴿ ان لم يحمل ﴾ اى صاحب الخد والقد وكذا السامع ﴿ على معينة سوى امرأته وأمته ﴾ وذلك كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغى الى غنائها لتتضاعف لذته فى لقائه وهذا إذا كان السامع أو المغنى فى بيته واما اذا كان فى مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته، وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا ﴿ او استعار ﴾ اى جاز ما تقدم ان استعار ﴿ العارف ﴾ بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية ﴿ سواد الصدغ لظلمة الذنب ﴾ وهو جنس المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة ﴿ وبياض الخد لنور الطاعة ﴾ وسرور الحالة ﴿ والوصال ﴾ وفى معناه الوصل والاتصال ﴿ للقائه تعالى ﴾ أى فى دار البقاء أو مقام الفناء ﴿ والفراق ﴾ وكذا الجداء والانفصال

لِلْحِجَابِ وَنَحْوِهَا وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَثَرِ فِى الْمُتَغَنَّى بِهِ عَلَى الْأَقْرَبِ فَمَنْدُوبٌ إِنْ شَوَّقَ إِلَى الْحَجِّ وَالْغَزْوِ إِنْ كَانَ قُرْبَةً بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَجِبْ أَوِ الْأَبَوَانِ لَا يَأْذَنَانِ أَوْ غَلَبَ الْهَلَاكُ فِى الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ أَوْ حَزَّنَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِى الدِّينِ كَالْمَرْوِىِّ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَنْشَدَهُ الْوُعَّاظُ عَلَى الْمَنَابِرِ

«(للحجاب ونحوها)» من أنواع العذاب «(والنظر)» مبتدأ «(الى الاثر)» أى أثر التأثير «(فى المتغنى به)» من الشعر وغيره ففيه تفصيل «(على الاقرب)» أى بناء على القول الاقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقا ﴿فمندوب﴾ خبر أى فمستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله ﴿أن شوق﴾ أى المتغنى به ﴿الى الحج أو الغزو ان كان أى أحدهما ﴿قربة﴾ أى واجبا ﴿بخلاف ما اذا لم يجب﴾ بان لم يوجد شرائط وجوب الحج ﴿أو الابوان لا يأذنان﴾ فانه عذر فى التأخير على القول بالتراخى فى الحج ﴿أو غلب الهلاك فى الطريق﴾ أى برا وبحرا ﴿ونحوه﴾ من فقدان سائر شروط الاداء. وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون أولا فى البلاد والطبل والشاهين والغناء وهو جائز لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام وتأثير ذلك تهييج الشوق الى بيت الله واشتعال نيرانه ان كان ثمة تشوق حاصل أو استثارة الشوق بكل مايشوق اليه محمودا ﴿أو حزن﴾ أى ان أوقع المتغنى به حزنا وتأسفا ﴿على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام﴾ وقد ورد فى معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك فى تلك الحالة ، وفى الحديث فى مدح أبى موسى الاشعرى «لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى : (يزيد فى الخلق مايشاء) هو حسن الصوت، وقد قرئ بالحاء المهملة، وقد ورد «لله أشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته» وقوله تعالى : (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا أمر مجمع عليه، وفى الاحياء ان الطير كانت تقف على رأس داود عليه السلام ﴿وما﴾ أى وكما ﴿انشده الوعاظ على المنابر﴾

أَوْأَكَّدَ حُبَّهُ تَعَالَى مُبَاحٌ إِنْ أَكَّدَالسُّرُورَ فِيمَا يُبَاحُ فِيهِ كَالْعِيدِ وَالْعُرْسِ وَالْوِلَادَةِ وَالْخِتَانِ وَحِفْظِ الْقُرْآنِ فَهُوَ مَأْثُورٌ أَوْ شَوْقٌ إِلَى الْإِخْوَانِ أَوْ الْمَرْأَةِ أَوِ الْأَمَةِ حَرَامٌ إِنْ شَوَّقَ إِلَى الزِّنَا أَوْ حَزَنٌ عَلَى الْمَوْتَى وَالْبَلَايَا ،فَوَرَدَ (كَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ)

من نظم أو نثر مسجع من الترغيبات والترهيبات فى الحج والغزو ونحوهما ﴿أو أكد﴾ أى ان زاد المتغني به ﴿ حبه تعالى ﴾ بذكره والتأمل فى أمره والاشتغال بفكره فانه مندوب فى كل من التشويق والتحزين ﴿ مباح ﴾ أى مستوطرفاه لاثواب ولا عقاب ﴿ان أكد﴾ المتغنى به ﴿السرور﴾ والفرح ﴿فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة﴾ أى أولها ﴿والختان وحفظ القرآن ﴾ أى تمامه، وكذا اجتماع الاخوان فى بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الأصحاب من السفر كما تقدم وتقرر ،(فهو مأثور) ،أى مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي ﷺ ، أما العيد ففى الصحيحين عن عائشة « ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدفقان وتضربان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر » وفى رواية قال « مزامير الشيطان فكشف النبي عليه السلام عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد قالت: وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فانا سألت رسول الله ﷺ أو قال أما تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده ويقول: دونكم أى افعلوه يابنى ارفدة حتى اذا مللت قال : حسبك قلت نعم قال فاذهبي » وفى صحيح مسلم « فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا التى انصرفت » وأما العرس فقد تقدم حديث « أعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف » وفى معناه الولادة والختان، ومما يؤيد الولادة والختان ذبح العقيقة وهو لأصحاب الطريقة فى الحقيقة وأما حفظ القرآن فهو أكبر سرورا وأعظم نورا ،(أو شوق) ، المتغنى به ،(الى الاخوان) ، من الأحياء الاتقياء فى القرية أو البلدان ،(أو المرأة أو الامة) ، من غير تعيينهما للاجنبي فانه حينئذ مباح ،(حرام ان شوق) ، المتغنى به ،(الى الزنا) ، أو توابعه ،(أو حزن) ، المتغنى به ،(على الموتى) ، أى فيحصل به الجزع والفزع ،(والبلايا) ، أى على البلايا المتقدمة ،(فورد) ، فى الحديد ،(كيلا) ، وفى التنزيل لكيلا ﴿ تأسوا على مافاتكم ﴾

وَأَدْنَى رُتْبَهِ الاسْتِمَاعُ لِلشَّهْوَةِ وَهُوَ بِنَفْخِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لِلتَّلَهِّي بِمُجَرَّدِ النَّغَمَةِ وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ *

تمامه (ولاتفرحوا بما آتيكم) بالمد والقصر، وفى آل عمران (لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاما أصابكم) ه (وأدنى رتبه) ه أى مراتب التغني وسماعه ﴿الاستماع للشهوة﴾ ويحرم حينئذ سواء غلب على قلبه حب شخص معين أولم يغلب لانه لايسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الاويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة وفق لذته، ولذلك سئل حكيم عن العشق؟ فقال: دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع ويهيجه السماع ﴿وهو بنفخ الشيطان﴾ المنافى لنفخ الرحمن فللديلمى من حديث على «كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى» ولابن أبى الدنيا والطبرانى عن أبى أمامة «مارفع أحد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان على أعقابهما بصدره حتى يمسك» ﴿ثم للتلهى﴾ أى الاشتغال ﴿بمجرد النغمة﴾ وهو المعنى بقوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الآية ﴿والمواظبة عليه﴾ أى من غير تخلل التوبة لديه ﴿ذنب﴾ أى عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء، وهذا محل لكلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبرى عن أبى حنيفة. ومالك. والشافعي. وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على أنهم رأوا تحريمه قال: وقال الشافعي فى كتاب أدب القضاء: ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته؛ قال وحكى عن الشافعي: انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال: وأما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده، قال وأما أبو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر أهل الكوفة وسفيان الثورى وحماد وابراهيم النخعى والشعبي وغيرهم انتهى كلام الطبرى، ويؤيده ماورد من الاحاديث فى ذم القينة ـ وهى الجارية المغنية ـ فللطبرانى من حديث عائشة «ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها، ويقويه ماروله أبو داود عن نافع «كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يانافع

ثُمَّ لِتَرْوِيحِ النَّفْسِ قَطْعًا لِلْمَلَالَةِ مِنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ لِمُقَابَلَةِ حَالِهَا فِي الْمُعَامَلَةِ مَعَهُ تَعَالَى

اتسمع ذلك ؟ حتى قلت لا فاخرج أصبعيه ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» رواه أبو داود، وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل» رواه البيهقى ، ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحى ابن كثير مرسلا ماامتلأت دار منها حبرة الاامتلأت عبرة، والحبرة الغناء، ومنه قوله تعالى (فى روضة يحبرون) أى يغنون أو يسرون ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الالا أسمع الله لكم الالا أسمع الله لكم، وقال الشبلى السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة أى ومحنة ، وأما مانقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول على سماع ليس فيه شىء من الغناء كسماع القرآن وأشعار العرب ولو بالالحان وأما على أنه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ماروى عن بعض المشايخ الصوفية، وقد ذكرت هذه المسألة فى رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ أحمد الغزالى أخو حجة الاسلام محمد الغزالى متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد وأفتية ضعيفة مالها عند الأئمة رواج وكساد ، هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام أو تبع الحبشة فى رقصهم على الدوام ﴿ثم لترويح النفس﴾ أى لاراحتها وازاحة تعبها ﴿قطعا للملالة﴾ والسآمة ﴿من العبادة﴾ كما يجرى ويسرى فى العادة لأهل الارادة وهى للعابدين ﴿ثم لمقابلة حالها﴾ أى حال النفس ومقامها ﴿فى المعاملة معه تعالى﴾ من تحصيل مرامها ، وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها، وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما يكون فيه سواء صاحبه يوافقه أو ينافيه فالسماع يشبه الخمر فى اخراج مافى الباطن وبه يعرف مافى القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه فى المعاملة مع ربه فاذا كان فى باطنه خوف يظهر معه آثاره من نحو البكاء والحزن والحن واذا كان رجاء يتبين أنواره من الفرح والسرور وكمال الحضور، ومن هنا قال أبو سليمان :

وَيُشْتَرَطُ رِعَايَةُ السُّنَّة بِالْحَمْلِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ثُمَّ لِحُبِّهِ تَعَالَى فَقَطْ وَهُوَ لِمَنْ فَنِيَ عَنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ وَغَابَ عَمَّا سِوَاهُ حَتَّى عَنْ شُهُودِهِ مَعَهُ أَيْضًا وَمِنْهُ تَوَلُّدُ الْوَجْدِ وَهُوَ مَا صَادَفَ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَخَوْفٍ وَحُزْنٍ وَقَلَقٍ وَيُجْدِي نَقَاءَ الْقَلْبِ وَحُصُولَ الْعِلْمِ وَالْمُكَاشَفَةِ وَرُبَّمَا لَا تُمْكِنُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ كَمَا عَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْمَلَاحَةِ

السماع لايجعل فى القلب ماليس فيه ولكن يحرك مافيه ﴿ويشترط رعاية السنة﴾ أى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء ﴿بالحمل﴾ أى بحمل الاستماع ﴿على مايليق به تعالى﴾ أى على وجه الكمال ففى بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفى الزلف ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال ﴿ثم لحبه تعالى فقط﴾ أى مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه ﴿وهو﴾ أى هذا المقام ﴿لمن فنى عن حظوظ نفسه﴾ أى بالكلية ﴿وغاب عما سواه﴾ أى عن خطور غير الله تعالى ﴿حتى عن شهوده معه أيضا﴾ المعبر عنه بالفناء عن الغناء وذلك فانه مهما فنى عن نفسه فهو من غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شئ الا عن الواحد المشهود ، وفنى أيضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لاخبر له عن سكره وهو نهاية مقام العارفين فى حال البقاء ، وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لاتطيقه القوة البشرية ﴿ومنه﴾ أى ومن حبه تعالى ﴿تولد الوجد﴾ أى حصول الذوق ووصول الشوق ﴿وهو﴾ أى الوجد ﴿ماصادف القلب﴾ أى وجد القلب ﴿من شوق﴾ أى الى الله ورضاه ﴿وخوف﴾ أى من حجابه وسخطه ﴿وحزن﴾ أى تأسف على مافات ﴿وقلق﴾ أى اضطراب فى حال آت ﴿ويجدى﴾ من الاجداء أى يفيد الوجد ﴿نقاء القلب﴾ أى طهارته عن السوى من كمال الصفاء ﴿وحصول العلم﴾ أى زيادته المقرونة بالحلم ﴿والمكاشفة﴾ وهى العلم بالله وصفاته الفاخرة وبأحوال الآخرة ﴿وربما لاتمكن العبارة عنه﴾ أى اذا كان متعلقا بالذات أو بكنه الصفات ﴿كما عن الفصاحة والملاحة﴾ فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيقة ثم لايبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا قبل الاستماع فان للكشف أسبابا ولفتحه أبوابا منها التنبيه والسماع تنبيه للنبيه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها

وَالتَّوَاجُدُ مَذْمُومٌ لِلرِّيَاءِ لَا لِقَصْدِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لِوُرُودِ «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ» وَمَا سَبَقَ مِنَ التَّبَاكِي فِي التِّلَاوَةِ وَمُشَاهَدَةُ دَوَامِ إِفْضَاءِ ذِكْرِ الشَّيْءِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْفِكْرِ فِي فَضَائِلِهِ إِلَى عِشْقِهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ الْخَلَاصُ عَنْهُ

فى الاقوال والافعال وادرا كها نوع علم يفيد ايضاح أمور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال، ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجبل بسبب سماع الحداء بانواع الغناء ، وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة أسرار الملكوت وأنوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله ، ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع أسباب وفتح أبواب ورفع حجاب أى يمثل الحق لعبده فى لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف أو بالالهام أو فى صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة ، وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورتها أو على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة ﴿ والتواجد ﴾ أى التكلف فى الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد ﴿مذموم للرياء﴾ لتعلقه برؤية الخلق ﴿ لا لقصد الوصول الى الحقيقة ﴾ أى حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك ﴿ لورود اللهم ارزقنى حبك ﴾ يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول كما حقق فى قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وكذا قوله ﴿ وحب من يحبك وحب من يقربنى الى حبك ﴾ أى من القول والعمل وغير ذلك، والحديث قد ذكر ﴿ وماسبق ﴾ أى ولورود ما تقدم ﴿ من التباكى ﴾ أى ومدحه وهو التكلف بالبكاء ﴿ فى التلاوة ﴾ أى فى فصل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الأنبياء والاولياء حال القراءة «ومن تشبه بقوم فهو منهم» ﴿ ومشاهدة دوام افضاء ذكر الشىء ﴾ أى ايصاله واتصاله ﴿ والنظر اليه ﴾ فى اختلاف أحواله ﴿ والفكر فى فضائله ﴾ وما يترتب عليه من تحسين آماله ﴿ الى عشقه ﴾ متعلق بافضاء أى بانجراره الى محبته ومودته ﴿ حتى يمتنع الخلاص عنه ﴾ أى عن

وَحقّه أن لايكون المُستمع ممن حرم النظر إليه إلا للشيخ الآمن على نفسه كما في قبلة الصائم ولا الآلة مزمارا فهو شعار أهل الشرب فحرم تبعا كخلوة الأجنبية والنظر إلى فخذها ولأنه يذكره كالمزفت والحنتم

تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع فى تصوره ﴿وحقه﴾ أى حق السماع وواجبه ﴿ان لايكون المستمع﴾ أى المغنى ﴿ممن حرم النظر اليه﴾ كالنسوان والمردان ﴿الا للشيخ﴾ أى الكبير الفانى ﴿الآمن على نفسه﴾ أى من الشهوة ﴿كمافى قبلة الصائم﴾ من التفصيل بين الآمن وغيره * وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرمة له لايجوز عند أصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة أومن وراء سترة وسواء كانت حرة أو مملوكة انتهى ، ولعل وجهه أن صورة العورة عورة لا تحل الا للضرورة ولا يخفى أن الامرد الحسن الوجه خطره أقوى فانه عند الشيطان أشهى وللخلق أغوى حتى قال النووى : ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة ، وأما قول الغزالى: « ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء فى الاحكام والمشاورة فى الكلام فمحمول على أن الضرورات تبيح المحظورات ﴿ولا الآلة﴾ أى ولا تكون آلة الغناء ﴿مزمارا﴾ وكذا طبل الكوبة أوتارا وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار ، وأما قصب الراعى فمختلف فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووى من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح فى محله اذا لم يكن له جلاجل فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على مورده وقال يزيد بن الوليد « اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية للزنا » : ﴿فهو﴾ أى الغناء باعتبار أصله ﴿شعار أهل الشرب﴾ فى مجلسه ﴿فحرم تبعا﴾ أى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر وينجر الى مباشرة الشر ﴿كخلوة الأجنبية﴾ لانها مقدمة الجماع ﴿والنظر الى فخذها﴾ لاتصاله بالسوءتين ثم انهما حرامان لالذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذهما قد يكونان وسيلتين الى فعله ﴿ولانه﴾ أى الغناء المذموم ﴿يذكره﴾ أى الشرب ويفكره ﴿كالمزفت﴾ بتشديد الفاء المفتوحة أى ظرف المقير ﴿والحنتم﴾ أى الظرف الأخضر ونحوهما من الدباء والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا أمر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا

وَفِيهِ التَّشَبُّهُ بِأَهْلِ الشُّرْبِ كَمَا فِي الاجْتِمَاعِ لِلسَّمَاعِ وَإِحْضَارِ الْآلَاتِ وَنَصْبِ السَّاقِي فِي إِدَارَةِ السَّكَنْجَبِينِ بِخِلَافِ نَحْوِ الدُّفِّ وَالطَّبْلِ وَلَا الْمُتَغَنَّى بِهِ قُرْآنًا إِذْ لَا يَجُوزُ فِيهِ مَدُّ الْمَقْصُورِ وَقَصْرُ الْمَمْدُودِ لِتَوَافُقِ الصَّوْتِ

لحرمة الخمر تغليظا فى أمرها ثم أحلها بعد بعد المدة، وفيه أنه أبيح هذه الأشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حينئذ حرام كقليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به فحكم الحرمة لا ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له واخطارا مانعا حوله كما ورد «ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه» ﴿وفيه﴾ أى ويقع فيما اذا كانت الآلة مزمارا ﴿التشبه باهل الشرب﴾: «ومن تشبه بقوم فهو منهم» حتى حرم تشبه الرجال بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار أهل البدعة، ثم قال فى الاحياء: بل للتشبه بأهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا ينهى عن ذلك فى ماوراء النهر لاعتياد أهل الصلاح من الزهاد والعباد قال: فلهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وأما ماعدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب سوى مايعتاده أهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على أصل الاباحة ﴿كما﴾ أى كالتشبه ﴿فى الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقى﴾ أى المناول ﴿فى ادارة السكنجبين﴾ ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من البن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدته يدور بكأس واحد على جماعته واحدا بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه ﴿بخلاف نحو الدف﴾ بضم الدال ويفتح ﴿والطبل﴾ أى طبل الحج والغزو، وأما طبل الكوبة لحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار أهل الشرب في زمنه عليه السلام أو فى أيام المصنف أو ذكره تبعا للغزالى لجوازهما فى مذهبه، وأما اذا كانا من شعار أهل الفسق فينبغى أن يقال بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة ﴿(ولا المتغنى به قرآنا اذ لا يجوز فيه) ﴾ أى فى القرآن ﴿(مد المقصور وقصر الممدود)﴾ أى فى الجمع عليهما وهما لازمان فى التغنى المذموم ﴿(لتوافق الصوت)﴾ عليهما أى بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية والافالصحابة الكرام تبعه الله

وَلَا النَّهْىُ عَنْ آيَةٍ لَاتُوَافِقُ السَّامِعَ كَأَحْكَامِ المُعَامَلَاتِ وَالْحُدُودِ

عليه السلام كانوا يأمرون فى مجلس سماعهم أن يقرأ واحد بصوت حسن ما تيسر من القرآن عملا بقوله عز وجل: (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقد أخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وعن حال الاولياء من الاصفياء (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) إلى قوله (يبكون ويزيدهم خشوعا) وفى الصحيحين «ان ابن مسعود قرأ على النبي عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان أى تسيلان دمعا» ولمسلم من حديث ابن عمر أنه قرأ (ان تعذبهم فانهم عبادك) فبكى، ولابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب أنه قرىء عنده (ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق أى بكى بصوت، ولابي داود والنسائي والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير «أنه كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل» وأما حديث اختصام على وجعفر وزيد بن حارثة فى حضانة ابنة حمزة فقال لعلى: أنت منى وأنا منك فحجل وقال لجعفر: أشبهت خلقى وخلقى فحجل وقال لزيد: أنت إخونا ومولانا فحجل» الحديث فرواه أبو داود من حديث على وهو عند البخارى دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به إظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح فى الحضور وان كان الحجل فى أصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغى ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص، وما أبعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذى وقع ندرة من الصحابة الكرام فى مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا فى مقام المرام وقد ورد «ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا أصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن باصواتكم» ٥(ولا النهى)، أى وانما قلنا: إنه لا يجوز أن يكون المتغنى به قرآنا إذ لا يجوز فيه مد المقصور الى آخره ولا يجوز النهى ٥(عن آية)، أى عن قراءتها حيث ٥(لا توافق السامع)، بالنسبة الى ماله من الحالات والمقامات ٥(كاحكام المعاملات والحدود)٥ فى باب السياسات، وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنها من اللطائف والاشارات، وأما العارف فيلاحظ هذه المعاني من جميع المباني كما قاله سبحانه (فبشر

عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وأما الموحد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما قال تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقال (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن المقرر أن القرآن أفضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وأنواع صفاته وأصناف حكوماته واجناس أخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمأنينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع من ذكر الله وسمع عمر رجلا يقرأ (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارة بن أبي أوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ليلة (فاذا نقر فى الناقور) فصعق ومات فى محرابه، وسمع الشافعي قارئا يقرأ (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فغشي عليه وكان الشبلي فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف أمام له فقرأ الامام (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) فاستعادها من القارىء وقال كم أقول لها ارجعي فليست ترجع وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ (وأنذرهم يوم الآزفة) فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من أنذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشي عليه وسمع ابراهيم بن أدهم احدا يقرأ (اذا السماء انشقت) فاضطربت أوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة أقرأ هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال أبو على المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله فاجدني على الاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى أحوالي والى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك

وَلَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْيَدِ وَالدُّفِّ وَيَنْتَفِي شَاغِلٌ مِنَ الزَّمَانِ كَوَقْتِ الصَّلَاةِ وَالطَّعَامِ وَالْمَكَانِ كَالشَّارِعِ وَمَا فِيهِ صُورَةٌ قَبِيحَةٌ أَوْ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَالْاخْوَانِ كَالْمُتَكَبِّرِ

ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لايصلح لك التبري من الحول والقوة فى التوجه اليه . وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله (كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) ﴿ولا يجوز﴾ أى حينئذ وهو حال كون المتغنى به قرآنا ﴿ضرب اليد والدف﴾ لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى مغنون ويدل عليه قوله سبحانه (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقوله عزوعلا (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ثم فى معنى القرآن كل مايكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يفعله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة أنه طريق الصوفية وقد يجترءون على مثله فى المسجد وفى المقبرة وفى الاسواق ومحاضر العشاق والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور أهل الفساد وغلبة أهل العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيد ما قدمنا أنه فى البخارى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبى يعلم مافى غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ماكنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) ﴿وينتفى﴾ عطف على أن لايكون أى وحق السماع أن ينتفى فيه ﴿شاغل﴾ للخاطر عماينافيه ﴿من الزمان كوقت الصلاة والطعام﴾ أى حضوره ﴿والمكان﴾ أى وشاغل من المكان ﴿كالشارع﴾ أى الجادة والاسواق ﴿وما فيه صورة قبيحة أو رائحة كريهة﴾ فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما ﴿والاخوان﴾ أى وشاغل من الاخوان الحاضرين ﴿كالمتكبر

الْمُحْتَاجِ إِلَى رِعَايَتِهِ ، وَالْمُتَكَلِّفُ الْمُشَوِّشُ بِالرَّقْصِ وَخَرْقِ الثَّوْبِ وَالْمُتَزَهِّدُ الْمُفْلِسُ فِي الْبَاطِنِ وَعَدِيمُ الذَّوْقِ فِي السَّمَاعِ وَالْجَاهِلُ الْحَامِلُ عَلَى مَالَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى وَالْمُلَوَّثُ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَالشَّهْوَةِ وَالْمُتَلَهِّي بِالنَّعْمَةِ وَيُصْغِي بِالْحُضُورِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَانِبِ وَوُجُوهِ الْمُتَغَنِّينَ وَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ بِرِعَايَةِ قَلْبِهِ وَمَافُتِحَ عَلَيْهِ وَيَجْلِسُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَأَمِّلِ الْمُسْتَغْرِقِ وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يُشَوِّشُ

المحتاج الى رعايته﴾ خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة ﴿والمتكلف﴾ أى من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره ﴿المشوش﴾ فى خاطره ﴿بالرقص﴾ بناء على قول بعض الصوفية أيضا الرقص من النقص ﴿وخرق الثوب﴾ فانه من ضيق الحال وعدم اتساع المجال مع مافيه من تضييع المال أو المتكلف المتواجد من أهل التصرف المرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، وروى أن موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك ﴿والمتزهد﴾ أى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى ﴿المفلس فى الباطن﴾ عن محبة المولى ﴿وعديم الذوق فى السماع﴾ بان لايكون فى طبعه لذة وشوق الى الاسماع وقد عد هذا أضل من البهائم فانه حول محسوساته هائم ﴿والجاهل الحامل على مالا يليق به تعالى﴾ فان الصحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر ◦(والملوث قلبه بحب الدنيا)◦ وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وإنما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع ﴿والشهوة﴾ أى وبحب مايشتهى من المحمدة والثناء ﴿والمتلهى بالنعمة﴾ أى المشتغل بمجرد النعمة ومابه يتلهى ﴿ويصغى بالحضور﴾ أى وحق السماع ان يستمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المحظور ◦(ولا يلتفت الى الجوانب)◦ أى ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب ◦(ووجوه المتغنين)◦ لانه من أسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لا بملاحظة وجوههم ومقامهم ◦(ويشتغل بنفسه)◦ ومايجب عليه من مقام أنسه ◦(برعاية قلبه)◦ عند ذكر ربه ◦(ومافتح عليه)◦ من كشف لبه ◦(ويجلس على هيئة المتأمل)◦ فى الكلام ◦(المستغرق)◦ فى المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد ◦(ويحترز عمايشوش)◦ أى عليه وعلى غيره

كَالسُّعَال وَالتَّثَاؤب وَالْمُنْكَرَات كَضَرْب الْيَد وَتَحْرِيك الْأَطْرَاف وَالرَّقْص وَخَرق الثَّوْب إِلَّا إِنْ صَار مَغْلُوبًا بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ بِفِعْلِه أَوْ لَا يُطِيقُ الْامْتِنَاعَ عَنْه لِطَرَيَان نَحْو هَيْبَة أَوْ إِجْلَال أَوْ حَيَاء فَيُعْذَرُ كَمَا غَلَبَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَة وَيَوْمَ مَاتَ عَبْدُ اللّه بن أَبِيّ حَمِيَّةُ الدِّين حَيْثُ أَنْكَرَ الصُّلْحَ وَالصَّلَاةَ عَلَى جَنَازَتِه وَالدُّعَاء وَالْقِيَامَ لَه عَلَى قَبْرِه

ان أمكن له ﴿ كالسعال والتثاؤب ﴾ وكذا العطاس فانها من الشيطان ﴿ والمنكرات كضرب اليد ﴾ أي على طبق الغناء ﴿ وتحريك الاطراف ﴾ أي التي هي مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد ﴿ والرقص ﴾ نفسه وهو بالقيام ونحوه ﴿ وخرق الثوب ﴾ أي قطعه ورميه ﴿ الا ان صار مغلوبا ﴾ على عقله ﴿ بحيث لا يعلم بفعله أو ﴾ أي ان كان مجذوبا ﴿ لا يطيق الامتناع عنه لطريان نحو هيبة ﴾ أي عظمة الهيبة ﴿ أو اجلال ﴾ أي خوف مع خشية ربانية ﴿ أو حياء ﴾ من نعم واردة على تواتر زمانية ﴿ فيعذر ﴾ أي في هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات ﴿ كما غلب على عمر رضي الله عنه عام الحديبية ﴾ بالتخفيف أفصح ﴿ ويوم مات عبد الله بن أبي ﴾ رئيس المنافقين ﴿ حمية الدين ﴾ فاعل غلب أي حمايته ورعايته بحسب ماظهر له من حسن رأيه وفق عادته ﴿ حيث أنكر الصلح ﴾ أي عام الحديبية فقال عمر كما في صحيح البخاري «فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يارسول الله ألست نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري» قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه من الأمر وحثا على اذلاله الكفار ، وظهور الاسلام وعز أهله الابرار كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين ﴿ والصلاة ﴾ اى وأنكر عمر الصلاة ﴿ على جنازته ﴾ أي على جنازة ابن أبي ﴿ والدعاء ﴾ أي في الصلاة وغيرها ﴿ والقيام له على قبره ﴾ حيث هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ولعل همه عليه السلام كان لظاهر ماكان يبدي من الاسلام أو لتألف ولده فانه كان في انقياد الاحكام

وَأَبِي طَيْبَةَ حَيْثُ شَرِبَ دَمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْحِجَامَةِ لَكِنَّهُ ضَرْبُ تَقْصِيرٍ
جَلَّ قَدْرُ ذَوِي الْكَمَالِ عَنْهُ لَاسِيَّمَا الْأَنْبِيَاءُ، فَهُمْ أَصْحَابُ شَرَائِعَ مُكَمِّلُونَ وَيُسَاعِدُ
الْاخْوَانَ فِي الْقِيَامِ وَرَفْعِ الْعِمَامَةِ إِنْ كَانَ مُعْتَادًا فَالْمُخَالَفَةُ مُوحِشٌ، وَالْاسْرَارُ
بِالْمُسَاعَدَةِ فِيمَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَصَارَ

ومنع عمر لما كان يترشح من أبي آثار الكفر والظلام (وأبي طيبة) رضي الله عنه أي وكما غلب على أبي طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدارقطني وقال حسن صحيح ، وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحة ولآخر لم يمسك النار وقد بسطت عليه الكلام في سيرته عليه السلام ،وقد قال جماعة من العلماء الشافعية: ان فضلاته عليه السلام طاهرة وأنه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الأعظم والله أعلم ، ومن ذلك ماروى ابن حبان «أن غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الأرض فقالت الله فقال من خلق هذه الغنم قالت الله فقال اني اسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع» وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى بنفسه من هنالك وفي الاحياء «رأيت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا» أقول المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وتفكرنا فلم تشتاقوا (لكنه) أي وصف المغلوبية (ضرب تقصير) أي فيه نوع قصور منه (جل قدر ذوي الكمال عنه لا سيما الأنبياء) وكذا ورثتهم من العلماء وأتباعهم من الأولياء (فهم أصحاب شرائع) أي حقيقة وحكما (مكملون) أي كاملون في أنفسهم مكملون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام «من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما» أي فينبغي أن يكون في المالك كريما (ويساعد) أي وحق السماع أن يعاون (الاخوان في القيام) في المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان) أي التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) أي بعد الحضور (والاسرار) مبتدأ أي وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) أي نهيا صريحا (وصار

مُعْتَاداً بعدعصرهم حسنةٌو إنْ كانَ بدعةً ويَخفي به لئَلاَّ يقتدي الْعوامُّ به ويظهرُ الْمَنْع فهو يَضُرُّ لِلاعَانة عَلَى الْهَوَى ويتخلَّف الْكَامِلُ الْمَعرفة وَالْمحبَّة للاستغناء عَنِ الْمُحَرِّك الْخَارجيِّ

معتادا بعد عصرهم﴾ أي بعدانقضاء زمان السلف وانتهاء الأمر الى الخلف ﴿حسنة﴾ خبر المبتدأ أي مستحسن لما روى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» ولقوله عليه السلام «خالقوا الناس بأخلاقهم» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ﴿وان كان﴾ أى ماذكر ﴿بدعة﴾ أى فى نفس الأمر والأولى عدم حضور ذلك المجلس لئلا يحتاج الى خطر الخطير فقد قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فاجتناب التعاون على المباح أقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام «من أحدث فى أمرنا ماليس منه فهو رد» أى مردود وقال «كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة» نعم البدعة المحذورة ما تزاحم السنة المأثورة ولم يقع نهى عن الصور المذكورة ﴿ويخفى به﴾ أى وحق السماع بالنسبة الى المقتدى أن يخفى بالسماع ﴿لئلا يقتدى العوام به﴾ فى جواز مطلق الاستماع وعموم أنواع السماع ﴿ويظهر المنع﴾ أى للعوام ﴿فهو يضر﴾ الاكثر ﴿للاعانة على الهوى﴾ أى لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من المريدين ﴿ويتخلف الكامل المعرفة﴾ أى فى لبه ﴿والمحبة﴾ لربه عن مجالس التغنى والسماع فى غالب أمره ﴿للاستغناء﴾ أى لاستغناء الكامل فى مقام الفناء والبقاء ﴿عن المحرك الخارجى﴾ من سماع الغناء لما أشار اليه الصديق حيث رأى الأعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا أى اشتدت وقويت لتحمل ما نزل بنا وقيل للجنيد ما بالك تركت السماع فقال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وقال بعضهم صحبت سهل بن عبدالله ستين سنة فما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد على حاله سألته عن ذلك فقال نعم ياحبيبى ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه وقال قد ضعفت فقيل وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد عليه

إِلَّا بِنْيَةَ الْأَسْرَارِ بِالْمُسَاعَدَةِ وَتَعْلِيمِ ضَبْطِ الْجَوَارِحِ مَعَ كَمَالِ الْحَالِ ، وَالْأَسْلَمُ الْاِجْتِنَابُ عَنْ مُطْلَقِ السَّمَاعِ لِمَكَانِ الْاِخْتِلَافِ وَنُدْرَةِ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ لِدِقَّةِ مَكَائِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ *

وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله ،وقال الجنيد لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذ فضل العلم أتم من الوجد ﴿الا بنية الاسرار﴾ أى ادخال السرور فى قلوب أصحاب مجلس التغنى بشروطه ﴿بالمساعدة﴾ فى الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة ﴿وتعليم﴾ أى والابنية تعليم ﴿ضبط الجوارح﴾ من الاقوال والأفعال ﴿مع كمال الحال والاسلم﴾ فى جميع الاحوال والافعال ﴿الاجتناب عن مطلق السماع ﴾ ولو بشروطه مع الاصحاب ﴿ لمكان الاختلاف ﴾ أى فى هذا الباب والصوفى طريقه اختيار العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور فى الاسماع ﴿ وندرة تحقق الشروط ﴾ فى غالب مجالس الاستماع ﴿ لدقة مكائد النفس﴾ أى هواجسها ﴿ والشيطان﴾ بحملها على وساوسها،وما أحسن قول الحصرى ماذا أعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى أن السماع من الله هو الدائم فالانبياء وكمل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك كالعوام،وقال بعض المشايخ الكرام ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس.وقال أبو القاسم النصرابادى لابى عمرو بن نجيد أنا أقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم قوال يقول خيرا من ان يغتابوا فقال أبو عمرو الرياء فى السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليس فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة

فهرست

﴿الباب السادس فى الكسب والورع﴾

صفحة

صفحة

(١) ملزمة ٥٩ تكرر رقم صحائفها من الأعلى سهوا ولذلك أبقينا رقم الصحائف فى الفهرست على أصلها مكررة كما ترى فليتنبه

(تمت الفهرست)


iSkysoft

شرح

عين العلم وزين الحلم

للإمام العلامة والحبر النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
ملا علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية

الجزء الثاني

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي : ٥٢٦ شارع بورسعيد . الظاهر

فرع : ١٤ ميدان العتبة بالقاهرة

تليفون : ٩٣٦٢٧٧-٩٢٢٦٢٠



شرح
عين العلم وزين الحلم


iSkysoft

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الباب العاشر﴾

﴿فى الأناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الأناة معنى باعث على الاحتياط فى الأمور، والتأنى اتباعها بعد الدخول فيه والتوقف قبله، وضدها العجلة وهى باعث على الاقدام بأول خاطر، والاستعجال اتباعه، وورد «العجلة من الشيطان الا فى تزويج البكر وقضاء الدين وتجهيز الميت وقرى الضيف» *

الاناة بفتحات اسم لضد العجلة، والحلم التحمل، والعفو التجاوز، والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له، والحقد بالكسر العداوة بالقلب وينتج نحو الحسد والغضب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم ﴿ الاناة معنى ﴾ اى خلق باطنى ﴿ باعث على الاحتياط فى الامور ﴾ أى المتعلقة بالحكم الخارجى وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شىء من حقها ﴿ والتأنى ﴾ مصدر من باب التفعل وتاؤه للطلب أو التكلف ﴿ اتباعها ﴾ اى تتبع تلك الامور ﴿ بعد الدخول ﴾ اى دخول الانسان ﴿ فيه ﴾ أى فى حال الدخول قبل الدخول، وضده التعسف فى الحصول ﴿ والتوقف قبله ﴾ اى ويقال له التوقف ﴿ وضدها ﴾ اى الاناة ﴿ العجلة وهى ﴾ أى العجلة معنى ﴿ باعث على الاقدام ﴾ أى اقدام الانسان على الامور ﴿ بأول خاطر ﴾ من غير تأمل وتفكر ﴿ والاستعجال اتباعه ﴾ اى تتبع ذلك الباعث من غير تأخر ﴿ وورد العجلة من الشيطان ﴾ أبو يعلى من حديث أنس بلفظ «التأنى من الله والعجلة من الشيطان» والترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الاناة من الله» ﴿ الا فى تزويج البكر ﴾ أى خصوصا اذا بلغت ووجدت لها كفوا ﴿ وقضاء الدين ﴾ ولو كان مؤجلا ﴿ وتجهيز الميت ﴾ اذا كان ميسرا ﴿ وقرى الضيف ﴾

وَالتَّوبَةُ مِنَ الذَّنبِ وَآفَاتُهَا الحِرمَانُ فَمَنِ اسْتَعْجَلَ نَيلَ مَنزِلَةٍ أَوْ إِجَابَةَ دَعوَةٍ قَبلَ الوَقْتِ بِتَرْكِ مَلَالَةٍ أَوْ مُكَافَأَةِ ظَالِمٍ يَبطُلُ بِالدُّعَاءِ عَلَيهِ وَاقْتِحَامُ الشُّبْهَةِ فَأَصْلُ الوَرَعِ النَّظَرُ البَالِغُ فِي كُلِّ شَـــيْءٍ

اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى : (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) ففيه الدلالة على المبادرة بالعبارة والاشارة ﴿ والتوبة من الذنب ﴾ إذ يجب ان تكون فى الحال فان اكثر عذاب أهل النار من تسويفهم فى القال ويستثنى أيضا الصلاة اذا دخل وقتها فان فى التأخير آفات ﴿ وآفاتها ﴾ اى العجلة اشياء منها ﴿ الحرمان ﴾ من المطلوب ﴿ فمن استعجل نيل منزلة ﴾ من مال أو جاه او لذة أو مقام أو حال أو مرتبة ﴿ أو اجابة دعوة قبل الوقت ﴾ أى المقدر لها فان الامور مرهونة بأوقاتها ﴿ بترك ملالة ﴾ اى بترك المستعجل طالب تلك المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة، او يغلو ويبالغ فى الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ، وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقى وغيرهم « ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى » والمنبت الذى انقطع به فى سفره وعطبت راحلته ، والفعل انبت مطاوع بته من البت وهو القطع . وفى المثل السائر ان لم تستعجل تصل : ولبعضهم يقول ، قد يدرك المتأنى بعض حاجته ، وقد يكون مع المستعجل الزلل فيفتر و يسأم ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤوس قنوط) ﴿ أو مكافأة ظالم ﴾ اما منصوب عطفا على نيل منزلة أو مجرور عطفا على منزلة ﴿ يبطل ﴾ اجره لعدم صبره ﴿ بالدعاء عليه ﴾ أى على الظالم وذلك بان يظلمه انسان فيغيظه و يدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع فى المعصية والهلاك ، قال تعالى : (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) ﴿ واقتحام الشبهة ﴾ أى ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسيئات ﴿ فاصل الورع ﴾ أى أساسه الذى عليه مدار الشرع ﴿ النظر البالغ فى كل شىء ﴾ أى من الاصل والفرع الذى هو بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره ، فاذا كان الرجل مستعجلا فى أموره غير متأن ولا متثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع فى شبهة أو حرام . وكذا فى سائر المرام فيفوته الورع الذى عليه مدار أحكام الاسلام ، وقد ورد أخبار وآثار فى فضل الرفق الذى عليه مدار حسن الخلق فى معاشرة الخلق . فى صحيح مسلم

وَالافْرَاطُ فى الغَضَبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَوِرْدُ الغَضَبِ يُفْسِدُ الايمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ الْعَسَلَ وَهُوَ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لِطَلَبِ الانْتِقَامِ وَالمَحْمُودُ الاعْتِدَالُ

من حديث عائشة « ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف » وفى الصحيحين من حديثها « ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله » ولمسلم من حديث جرير « من يحرم الرفق يحرم الخير » أى كله كما فى رواية أبى داود . وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب كلاهما من حديث عائشة « الرفق يمن والخرق (١) شؤم » ولابن المبارك فى الزهد من حديث أبى جعفر مرسلا « إذا أردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته » وعن الحسن « المؤمن وقاف (٢) متان وليس كحاطب ليل » ثم العنف وان كان محمودا فى بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق أقوى فى أكثر الافعال والاقوال ، ومن هنا قال سفيان لاصحابه : أتدرون ما الرفق ؟ قالوا قل ياأبا محمد ، قال : أن تضع الامور فى مواضعها : الشدة فى موضعها ، واللين فى موضعه ، والسيف فى موضعه ، والسوط فى موضعه . وفيه تنبيه على انه ينبغى مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * أى باهله * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

أى العطاء : وعن أبى عون الانصارى ماتكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجرى مجراها ﴿ والافراط ﴾ أى ومن آفات العجلة الاكثار والمبالغة ﴿ فى الغضب وهو ﴾ أى الغضب أو افراطه ﴿ مذموم ﴾ أى شرعا وعرفا ﴿ فورد ﴾ أى برواية الطبرانى والبيهقى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﴿ الغضب يفسد الايمان ﴾ أى كماله أو يطفىء نوره أو يمنع ظهوره ﴿ كما يفسد الصبر العسل ﴾ وهو بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مرة ، وعن أبى هريرة « أن رجلا قال : يارسول الله مرنى بعمل واقلل قال : لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب » رواه البخارى . ه

ومن هنا قيل لابن المبارك : أجمل لنا الخلق الحسن فى كلمة ، قال : ترك الغضب . وعن عكرمة فى قوله تعالى : (وسيدا وحصورا) قال : السيد الذى لايغلبه الغضب . وقد قيل الغضب غول العقل ﴿ وهو ﴾ أى الغضب ﴿ غليان دم القلب لطلب الانتقام والمحمود ﴾ من الغضب ﴿ الاعتدال ﴾ كسائر الاخلاق والاحوال . فللبيهقى فى الشعب مرسلا « خير

(١) الخرق بضم الخاء الجهل والحمق (٢) الوقاف الذي لايستعجل فى الامور

وَهُوَ الضَّبْطُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ فَالتَّفْرِيطُ مَذْمُومٌ كَالإِفْرَاطِ فَوَرَدَ (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ) وَقَلْعُهُ فِي زَوَالِ مَا اسْتُغْنِيَ عَنْهُ مُمْكِنٌ لَا مَا احْتِيجَ إِلَيْهِ كَطَعَامٍ يَسُدُّ جُوعَهُ وَثَوْبٍ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَبَيْتٍ يُوَارِيهِ وَكِتَابٍ يُطَالِعُهُ لِصُعُوبَةِ تَفْرِيغِ الْقَلْبِ عَنْ حُبِّهَا

الأمور أوسطها » ﴿ وهو ﴾ أى الاعتدال ﴿ الضبط تحت الشرع والعقل ﴾ بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط ، فيغلب حيث وجبت الحمية الشرعية ، وينطفيء حيث يحسن الحلم فى القضية الفرعية ﴿ فالتفريط ﴾ أى بفقد الغضب اوضعفه ﴿ مذموم ﴾ وهو الذى يقال فيه : انه لا حمية له ، ولذا قال الشافعى : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان ﴿ كالافراط ﴾ أى كما ان الافراط بالتجاوز عن الحد مذموم قال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة ﴿ فورد ﴾ فى مدح الاعتدال قوله تعالى ﴿ اشداء على الكفار ﴾ تمامه (رحماء بينهم) وكذا قوله (أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ﴿ ولا تأخذكم بهما ﴾ أى بالزانى والزانية فى حدهما ﴿ رأفة فى دين الله ﴾ أى شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط ، وقال عليه السلام « خير امتى احداؤها » يعنى فى الدين ، رواه الطبرانى والبيهقى عن على ﴿ وقلعه ﴾ اى قطع الغضب ورفعه ﴿ فى زوال ما استغنى عنه ﴾ كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب ﴿ ممكن ﴾ إذ ليست هذه الاشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية ﴿ لا ﴾ أى لا يمكن قلعه فى زوال ﴿ ما احتيج اليه ﴾ اى ولا يستغنى عنه بحال ﴿ كطعام يسد جوعه ﴾ من قوت يومه وليلته ﴿ وثوب يستر عورته ﴾ ويصحح صلاته ﴿ وبيت يواريه ﴾ أى يستر حالته ويدفع برودته وحرارته ﴿ وكتاب يطالعه ﴾ وفى معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها ، والاخير من ضروريات بعض افراد الناس ﴿ لصعوبة تفريغ القلب عن حبها ﴾ أى عن حب هذه الأشياء بحكم الطبيعة ، فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف أحد بها فى أبواب الشريعة ، وقد اشار اليه

الَّا لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَيَرَى الْخَلْقَ مُسَخَّرِينَ لِلْحَقِّ كَالْقَلَمِ لِلْكَاتِبِ، وَفِيهِ يَتَصَوَّرُ الْكَسْرُ بِأَنْ لَا يَظْهَرَ الأَثَرُ

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يوم فكأنما حيزت له الدنيا » أى جمعت له لذاتها . الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالله ابن محصن . وقال الترمذى . حسن غريب : ورواه الطبرانى فى تاريخه . والكل بدون زيادة بحذافيرها ﴿ الا لمن غلب عليه التوحيد ﴾ فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء . ﴿ فيرى الخلق مسخرين للحق ﴾ القاهر الغالب ﴿ كالقلم للكاتب ﴾ لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى أحوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ويقول « انما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر » كما فى الصحيحين ، وفى رواية « فايما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة » ﴿ وفيه ﴾ أى فيما احتيج اليه ﴿ يتصور الكسر ﴾ أى كسر النفس ﴿ بان لا يظهر الاثر ﴾ أى اثر الغضب فى البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور للبشر . وعن على كرم الله وجهه « كان عليه السلام لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له » رواه الترمذى فى الشمائل . وفى صحيح مسلم عن عروة « ان عائشة حدثته ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك ياعائشة اغرت ؟ فقلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك ، فقال ﷺ : لقد جاءك شيطانك ، قالت يارسول الله اومعى شيطان . قال نعم ، قلت ومع كل انسان . قال نعم ، قلت ومعك يارسول الله ؟ قال نعم ولكن ربى اعاننى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى الا بخير » وفى الاحياء اراد شيطان الغضب . والمعنى انه لا يحملنى على الشر ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يارسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا . قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق » واشار الى لسانه » فلم يقل انى لا أغضب ، ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب . والحديث رواه أبو داود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقوله سبحانه : (قل انما انا بشر

وَالسَّبَبُ الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ وَالْمَرَحُ وَالاسْتِهْزَاءُ وَالايذَاءُ وَالْحِرْصُ فِى الْفُضُولِ وَعِلَاجُ كُلٍّ فِى مَوْضِعِهِ

مثالكم يوحى الى) أى التمييز بينى وبينكم بوقوع الوحى الى دونكم *

هذا وقد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ، ومن هنا لما شتم سلمان قال : ان خفت موازينى فانا شر مما تقول ، وان ثقلت موازينى فلا يضرنى ماتقول . فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ولم يصر سببا لغضبه ، وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال: ياهذا سمع الله كلامك ، وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى ماتقول ، وان لم اقطعها فانا شر مما تقول ، وقيل للبسطامى : لحيتك أفضل أم ذنب الكلب ؟ فقال : ان مت مؤمنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة ، وشتم رجل أبا بكر الصديق فقال : ماستر الله عنك اكثر ، فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ويعرف الله حق معرفته ، فلم يغض به نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره ، اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لكمال قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار : يامرائى ، فقال ماعرفنى غيرك ، فكأنه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص ومقام البقاء بعد الفناء ، وسب رجل الشعبى فقال : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك ﴿والسبب﴾ أى باعث الغضب ستة أشياء ﴿الكبر والعجب والمزاح والاستهزاء والايذاء﴾ أى بالتعيير والمراء ﴿والحرص﴾ أى شدة الميل ﴿فى الفضول﴾ اى زيادة المال والجاه ، وهى باجمعها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة فى امور شرعية واحكام فرعية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب ، فلا بد من ازالتها باضدادها المعروفة فى الباب ﴿وعلاج كل﴾ اى من الكبر ونحوه ﴿فى موضعه﴾ اى يأتى مفصلا ، واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ، ويميت العجب بمعرفة النفس اذا كان بالعلم والعمل ، واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد ، وان الشرف بالفضائل . والفخر والعجب من اكبر الرذائل ، ويميت المزاح بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الاخروية ، ويزيل الهزل بالجد ، ويميت الباطل بالحق لقوله تعالى : (انه لقول فصل وماهو بالهزل) ويزيل التعيير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد

وَبالاجْمَال التَّوَضُّوُ وَالتَّعبُّدُ وَالْقُعُودُ وَالاتِّكَاءُ وَالاضْطِجَاعُ ٭

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، ومن عير اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلي به» ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ؛ مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة . ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة سديدة ، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل واتصفت بمحامد الفضائل ومكارم الشمائل .

والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس ، فالمريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل ؛ والصبي أسرع غضبا من الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل أسرع غضبا من صاحب الفضائل ، فالرذل يغضب لشهوته عند فوت لقمته ، ولبخله عند فوت حبته . وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وهو الذي ذكرناه : علاجه بتفصيل الاحوال ﴿ وبالاجمال ﴾ علاجه اثنا عشر ﴿ التوضؤ ﴾ والاغتسال أتم . ففي الحديث « إذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار » أبو داود من حديث عطية السعدي : وفي رواية أخرى « ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » وروى « أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : ان الغضب من الشيطان » وهذا يذهب الغضب في الجملة ﴿ والتعبد ﴾ أي بالصلاة ونحوها ، وفي نسخة التغسل وهو الظاهر فيكون في الأصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد أخرج ابن عساكر من حديث معاوية « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفىء النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل » ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا « اذا غضبت فاسكت » رواه أحمد وابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الايمان ﴿ والقعود ﴾ اى الجلوس اذا كان قائما ﴿ والاتكاء ﴾ اذا كان جالسا ﴿ والاضطجاع ﴾ اذا كان متكئا فللترمذي من حديث أبي سعيد « ان الغضب جمرة في القلب الم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم » (أي فليضطجع) فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل

وَإِلْصَاقُ الْخَدِّ بِالْأَرْضِ فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ مَأْمُورٌ بِهِ مُعَلَّلًا بِأَنَّهُ جَمْرَةٌ

فان النار لايطفيها الا الماء» ، ولابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة كان عليه السلام «اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه» ولأحمد باسناد جيد «وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع» فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا : اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع ، والمرفوع عند أبي داود بسند فيه انقطاع . والاضطجاع غاية السكون ، فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، والظاهر عنوان الباطن ، ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق في طهارة الظاهر والباطن ، وقد ورد «ان أبا ذر قال لرجل ياابن الحمراء ـ في خصومة بينهما ـ وفي رواية ـ ياابن الخضراء فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ياأبا ذر بلغني انك اليوم غيرت رجلا بأمه قال نعم ، فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : «يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بافضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ، ثم قال : اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد ، وان كنت قاعدا فاتكئ ، وان كنت متكئا فاضطجع» رواه ابن أبي الدنيا باسناد صحيح . وفي الصحيحين من حديثه قال « كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني الى النبي ﷺ فقال : ياأبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية» ولأحمد أنه عليه السلام قال له : «انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى» ورجاله ثقات ﴿ وإلصاق الخد بالأرض ﴾ فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا «الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالأرض» الترمذي وحسنه . وكأن هذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من أذل الأشياء لتستشعر به النفس المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة ، وايماء الى ان من أوله وآخره التراب لايصلح له الغضب في باب من الابواب ، والى قول بعض اولي الالباب : ما للتراب ورب الارباب والله أعلم بالصواب ، وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي : أوليت؟ قلت نعم ، قال : فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما ﴿ فالكل مروي ﴾ اي فعله كما قدمنا ﴿ مأمور به ﴾ كما بينا . والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول ﴿ معللا ﴾ وفي نسخة معلل ﴿ بانه ﴾ اي الغضب ﴿ جمرة ﴾ أي حرارة غريزية أو

فِي ٱلْقَلْبِ بِدَلِيلِ حُمْرَةِ ٱلْعَيْنِ وَٱنْتِفَاخِ ٱلْأَوْدَاجِ وَٱلِاسْتِعَادَةِ وَٱلِاسْتِعَاذَةِ وَٱلِاسْتِعَانَةِ بِٱللهِ تَعَالَى وَٱلْعِلْمِ بِثَوَابِ ٱلْحِلْمِ وَٱلتَّحَلُّمِ فَوَرَدَ (وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ) أَيِ ٱلْمُتَحَلِّمِينَ و«مَنْ كَفَّ غَيْظَهُ كَفَّ ٱللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» إِنَّ ٱلْمُسْلِمَ لَيُدْرِكُ بِٱلْحِلْمِ دَرَجَةَ ٱلصَّائِمِ ٱلْقَائِمِ

حادثة عرضية تتوقد ﴿في القلب بدليل حمرة العين﴾ أى حينئذ ﴿وانتفاخ الاوداج﴾ اى عروق الرقبة. وقد سبقت به الرواية وتحققت فيه الدراية ﴿والاستعادة﴾ اى ومن جملة العلاج العودة الى الحالة الاولى بعد التغير عنها الى الحالة الثانية ﴿والاستعاذة﴾ أى التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ، وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد، قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال عليه السلام. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد، الحديث. ولابن عدى من حديث أبي هريرة، اذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله سكن غضبه، ولابن السني في اليوم والليلة. من حديث عائشة، كان عليه السلام اذا غضبت عائشة أخذ بانفها وقال يا عويش قولى: اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن، ﴿والاستعانة بالله تعالى﴾ أى بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته ﴿والعلم بثواب الحلم والتحلم﴾ عطف على العلم لا الحلم أى ومن العلاج التكلف في الحلم فانه محمود أيضا وللطبرانى «انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» ﴿فورد﴾ في التنزيل (والكاظمين الغيظ) أى المتحلمين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين، وتمامه (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وللطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أنس ﴿من كف الله غيظه كف الله عنه عذابه﴾ ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» ولابن أبي الدنيا من حديث على «أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند المقدرة» ﴿ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم﴾ أى بالنهار ﴿القائم﴾ أى بالليل رواه الطبرانى في الأوسط. ولابن السنى من حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم» وفي الصحيحين «يا أشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة» وللطبرانى من حديث فاطمة «ان الله يحب الحيي الحليم» ولابن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر «ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» زاد ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس «وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا» وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شرا كثيرا.

وَشِدَّة غَضَبه تَعالَى وَقُدْرَته وَفَضِيحَة الآخرة وَتَشْبِيه الحَلِيم بالأنْبِياء وَالأَوْلِيَاء وَالغَضُوب بالسَّبُعِ الضَّارِى وقُبْح هَيْئَته

واجتمع سفيان الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع ، وقال رجل لعمر: والله ماتقضى بالعدل ولاتعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف فى وجهه، فقال له رجل: ياأمير المؤمنين ألم تسمع ان الله قال: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين، فقال عمر صدقت ، وكأنما كانت نارا فاطفئت ﴿وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة﴾ أى والعلم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب ، فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول: قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان، فلو امضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو والمرحمة ، وقد قال تعالى فى بعض الكتب المتقدمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق «وبعث رسول الله ﷺ وصيفا الى حاجة فابطأ عليه، فلما جاءه قال: لولا القصاص لأوجعتك ضربا» أى خوف القصاص فى القيامة أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف . ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر. «وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مايبعدنى من غضب الله قال لاتغضب» ﴿وتشبيه الحليم بالأنبياء﴾ فورد « كاد الحليم ان يكون نبيا » وقد مدح الله سبحانه خليله بانه حليم ، وكذا بشره بغلام حليم ﴿والاولياء﴾ أى باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد « العلماء ورثة الأنبياء» وضد ذلك من حال الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء ﴿والغضوب﴾ أى وتشبيه كثير الغضب ﴿بالسبع الضارى﴾ أى الصائل العادى من الأسد ونحوه ، فهو من اخلاق البهائم والكلب الهائم ﴿وقبح هيئته﴾ أى بتغيير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته فى اطرافه واكتافه ، وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه وكلامه ، حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة فى المظاهر. ولو رأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه اعظم من ظاهره . وهذا التغير فى جسده . واما اثره باللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحي منه

وَالعجزعن الغَلَبَة على مُراده تعالى وانتقام المَغضوب عليه،وحدوث الذنوب لأخذ اللسان في الفحش والسب، والجوارح في الضرب والجرح والقتل والقلب في الحقد وهو ذميمة فاحشة فورد«المؤمن ليس بحقود»

ذوو العقول ، ويستحي منه قائله أيضا عند فتور غضبه ، وذلك مع تخبط نظمه او اضطراب لفظه. وأما أثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل عند التمكين من غير مبالات ، فان هرب منه المغضوب عليه اوفاته بسبب لديه وعجز عن التشفي اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه ، وقد يضرب بيده على الأرض أوجدره و يعدو عدو الواله والسكران في مشيه ، وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو سريعا ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويتعاطى افعال المجانين ؛ فيشتم البهيمة ويخاطبها و يقول لها الى متى الى متى منك ياهذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفسته دابة فيرفس ه و الدابة ويقابلها بذلك ، وربما قتل نفسه بيده اما بآلة أو بشنق اوبرمى في بحر ونحوه ﴿ والعجز ﴾ أي والعلم بالعجز ﴿ عن الغلبة على مراده تعالى ﴾ فالله غالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده .فان الغضبان يود جريان الشيء على وفق مراد نفسه دون مراد ربه، ومن وقع في هذه الورطة و بابه باء بغضب من الله وعذابه ، ونعم ماقيل :

تود النفس ان تلقى مناها ٭ ويأبى الله الا مايريد

فيفعل الله مايشاء ويحكم مايريد فكن مسلما لامره ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد ﴿ وانتقام المغضوب عليه ﴾ أي فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه على اظهار معائبه والشماتة بمصائبه ﴿ وحدوث الذنوب ﴾ أي انواع العصيان ﴿ لاخذ اللسان في الفحش والسب ﴾ للانسان ﴿ والجوارح في الضرب والجرح والقتل ﴾ كما سبق في معرض البيان ﴿ والقلب في الحقد ﴾ فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدا ، فحينئذ يلزم قلبه استثقاله ويحسده في حسن حاله ، ويظهر الشماتة بمسائه . والحزن بمسرته ، والعزم على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع أمره ﴿ وهو ﴾ أي الحقد ﴿ ذميمة ﴾ أي خصلة مذمومة ﴿ فاحشة ﴾ أي متجاوزة عن الحد لاشتماله على سيئات متعدية عن العد ﴿ فورد المؤمن ﴾ أي الكامل ﴿ ليس بحقود ﴾ فعول بمعنى فاعل ، أي ليس بذي حقد ، أوليس

وَالعلاجُ قَلْعُ الغَضَبِ وَذِكْرُ مَاوَرَدَ فِى العَفْوِ مِثْلُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - خُذِ العَفْوَ - وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وَهُوَ اسْقَاطُ حَقٍّ وَجَبَ أَمَاقَوْلُ أَبِى ضَمْضَمٍ اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدٌ وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ

بمبالغ فى الحقد ، والحديث فى الاحياء ، وقال مخرجه لم اقف له على اصل ﴿ والعلاج ﴾ اى علاج الحقد ﴿ قلع الغضب ﴾ أى الذى سبب الحقد الباعث على الحسد ونحوه ﴿ وذكر ماورد ﴾ أى من الفضائل فى الكتاب والسنة ﴿ فى العفو مثل والعافين عن الناس ﴾ وتمامه (والله يحب المحسنين) وللطبرانى فى مكارم الاخلاق من حديث أنس « اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فيدخل الجنة قيل من ذا الذى أجره على الله؟ قال العافون عن الناس » وهو مستفاد من قوله : (فمن عفى واصلح فاجره على الله) ولاحمد والحاكم وصححه « ان الله عفو يحب العفو » فالمتخلق باخلاق الله له شأن عظيم عند مولاه ﴿ خذ العفو ﴾ تمامه : (وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وورد فى تفسير العفو « ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك » ﴿ وان تعفوا اقرب للتقوى ﴾ تمامه : (ولا تنسوا الفضل بينكم) ﴿ وهو ﴾ أى العفو ﴿ اسقاط حق وجب ﴾ أى ثبت للعبد على غيره ﴿ اماقول أبى ضمضم ﴾ وهو رجل من بنى اسرائيل ﴿ اللهم تصدقت بعرضى على عبادك فوعد ﴾ أى لاعفو لانه اثبات ماله للغير لا اثبات حق واجب له على الغير ﴿ وعليه الوفاء ﴾ أى بوعده وعهده . وتوضيحه انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول أبى ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط الحق قبل الوجوب ، فاجاب بانه وعد بانه لا يخاصمه به يوم القيامة لاعفو كما قدمناه ، وفى الاحياء « قال رجل من المسلمين : اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها ، فايما رجل أصاب من عرضى شيئا فهو صدقة عليه ، فاوحى الله الى النبى عليه السلام انى قد غفرت له » قال مخرجه رواه أبو نعيم فى الصحابة ، والبيهقى فى الشعب ، وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه ، وقال أظنه أبا ضمضم ، وتقدم فى آفات اللسان حديث « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ، قالوا وما أبو ضمضم؟ قال : رجل فيمن كان قبلكم كان اذا أصبح قال اللهم انى قد تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى » والمعنى أنتم أولى بهذه الخصلة المهمة فانكم خير أمة ، وقيل فى قوله تعالى : (ربانيين) أي علماء حلماء . وعن الحسن فى قوله تعالى : (واذا خاطبهم الجاهلون

وَمَا ارْتَكَبَ الحُقُودُ مِنْ مَكْرُوهٍ كَتَرْكِ الإعَانَةِ فِي الحَاجَةِ وَالدُّعَاءِ

قالوا سلاما) قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعني بل يجيبونهم بقول يسلمون فيه عنهم . وقال عطاء بن أبي رباح: ويمشون على الأرض هونا اى حلماء . وقال ابن أبي حبيب فى قوله : (وكهلا) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد : (واذا مروا باللغو مروا كراما) أى اذا أوذوا صفحوا ، وروى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عليه السلام : «أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى : (واذا مروا باللغو مروا كراما) ابن المبارك فى البر والصلة . ولأحمد من حديث سهل بن سعد «اللهم لايدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب» وعن على كرم الله وجهه «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة ربك ، فاذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله» وعن الحسن «واطلبوا العلم وزينوه بالحلم» وقال بعضهم : ما أحسن الايمان بزينة العلم ، وما أحسن العلم بزينة العمل ، وما أحسن العمل بزينة الرفق ، وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ، وعن أنس بن مالك في قوله تعالى : (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) الى قوله : (عظيم) هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك ، وان كنت صادقا فيغفر الله لى ، وعن بعضهم قال شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم عنى فاستعبدنى بها زمانا . وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها . فنكس الرجل رأسه واستحيي . وعن على بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وأمر له بالف درهم . ومر المسيح ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا ، فقال كل واحد ينفق مما عنده . ولأحمد من حديث جابر بن سمرة «ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه» ولأبى داود من حديث أبى هريرة «شتم رجل أبابكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان» ﴿ وما ارتكب ﴾ أى وذكر ما اكتسب ﴿ الحقود من مكروه كترك الاعانة فى الحاجة ﴾ وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) ﴿ والدعاء ﴾ أى وكترك الدعاء له فى الغيبة فان الدعاء

وَالْوَعْظ وَالرِّفق فورد «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ» وَمِنْ حرَام كالشَّماتَة وَالاعْرَاض وَالاهَانَة وَالْغيبَة وَتَرْك صلَة الرَّحم وَقَضَاء الحَقِّ، وَالنَّصيحَة وَهِي ارادَةُ بَقَاء النِّعمَة عَلى الْمُسْلِم مما لَهُ فيه صَلاحٌ عُرف بغَلَبَة الظَّنِّ أو قُيِّد بشَرْطه، وَضدُّهَا الحَسدُ وَهُو ارادَةُ زَوالهَا عَنْهُ مما لَهُ فيه صَلاحٌ فَان انْتَفَى الصَّلاحُ فَغيْرَةٌ وَانْ أرادَ مثْلَهَا لنَفْسه دُونَ الزَّوال عَنْهُ فَغبطَةٌ وَمُنَافَسَةٌ، وَالحَسَدُ حرَامٌ

يستجاب فى غيبة المؤمن ويكون للداعي مثله ﴿ والوعظ ﴾ أى النصيحة وترك الفضيحة ، فقد ورد « الا ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم » ﴿ والرفق ﴾ أى بالنية الصحيحة ﴿ فورد ان الله يحب الرفق ﴾ أى اللطف وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه ﴿ ومن حرام كالشماتة ﴾ وهى الفرح ببلية العدو ﴿ والاعراض ﴾ عند المواجهة بترك السلام والكلام ﴿ والاهانة ﴾ بترك القيام والتوسيع فى المقام ﴿ والغيبة ﴾ أى ذكر ما يكرهه فى الغيبة ﴿ وترك صلة الرحم ﴾ ان كان من ذوى القرابة ﴿ وقضاء الحق ﴾ أى وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض وامثالها ﴿ والنصيحة ﴾ اى وتركها ﴿ وهى ارادة بقاء النعمة على المسلم مما ﴾ أى من شيء ﴿ له ﴾ أى للمسلم ﴿ فيه ﴾ أى فى ذلك الشيء ﴿ صلاح ﴾ دنيوى أو اخروى ﴿ عرف ﴾ كونه صلاحا ﴿ بغلبة الظن أو قيد بشرطه ﴾ اى او قيد البقاء بشرط الصلاح بان يقول : ان كان له فيها صلاح فابقها ﴿ وضدها ﴾ اى النصيحة ﴿ الحسد وهو ارادة زوالها ﴾ أى النعمة ﴿ عنه ﴾ أى عن المسلم ﴿ مما له فيه صلاح ، فان انتفى الصلاح ﴾ وقد أراد زوالها عنه مطلقا من غير ان يباشر سببا لاجل زوالها ﴿ فغيرة ﴾ وهى مذمومة ﴿ وان أراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة ﴾ وهى خصلة محمودة ، ومنه قوله تعالى : (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وحديث الصحيحين عن ابن عمر « لاحسد الا فى اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق » ﴿ والحسد ﴾ أى المذموم ﴿ حرام ﴾ لقوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وعن الفضيل المؤمن يغبط والمنافق يحسد . ولقوله عليه السلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس . وفى الصحيحين

فَآفَاتُه كَرَاهَةُ نعمَتِه تَعَالَى وَقَضَائِه وَرَاحَة المُسْلِمِ وَفعلُ المَعَاصِى كَالتَّمَلّقِ وَالغيبَة وَالشَّمَاتَة فَوَرد (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ)

«لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا» وللبيهقى فى الشعب «كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر» (فآفاته) ستة (كراهة نعمته تعالى) فللطبرانى من حديث معاذ «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وللطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم» (وقضائه) فعن زكريا عليه السلام قال تعالى: (الحاسد عدو لنعمتى، ساخط لقضائى، غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى. وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما) وقال تعالى: (لكل أجل كتاب «وكل شىء عنده بمقدار) وقد شكى نبى من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه: فر من قدامها حتى تنقضى أيامها. (وراحة المسلم) أى وكراهتها وهو من خصال المنافقين كما قال الله تعالى فى حقهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال معاوية. كل الناس أقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل:

كل العداوة قد ترجى اماتتها ۞ إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن هنا قال الله تعالى: (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) وقال اعرابى: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، انه يرى النعمة عليك نقمة عليه، وقال الحسن: يا ابن آدم لم تحسد أخاك. فان كان الذى أعطاه الله اياه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله، وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار. (وفعل المعاصى) بالرفع أى من آفاته (كالتملق) فى الحضرة، وانما يتملق الحسود على المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة، اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من صفات المنافقين، وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا فى طلب العلم (والغيبة) أى غيبة المحسود فى الغيبة (والشماتة) وهى الفرح ببلية المحسود فللترمذى من حديث واثلة بن الاسقع «لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك» وفى رواية ابن أبى الدنيا «فيرحمه الله» (فورد) فى التنزيل (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا اظهر الحسد

وَالتَّعَبُ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ بِلَا نَفْعٍ بَلْ يَنْفَعُ الْمَحْسُودَ فِي الدُّنْيَا بِمَضَرَّةِ الْعَدُوِّ وَفِي الْآخِرَةِ بِطَلَبِ الْمُكَافَأَةِ وَعَمَى الْقَلْبِ وَالْخِذْلَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَفِيهِ الْأَثَرُ إِلَّا فِي نِعْمَةِ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ الْمُسْتَعِينِ بِهَا عَلَى الْفِسْقِ وَالْمُبْتَدِعِ وَهُوَ يَكْرَهُ مِنْ حَيْثُ آلَتُهُ دُونَ النِّعْمَةِ بِخِلَافِ الْغِيرَةِ فَوَرَدَ أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللهِ إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنَّا وَالْغِبْطَةِ فَوَرَدَ. وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ «هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ فِيمَنْ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَالَ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ»

والا فلا يخلو الجسد من الحسد ، وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال : غمة فانه لا يضرك مالم تبده ﴿ والتعب في الدنيا ﴾ فان الحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذى نعمة ﴿ والعقاب في الآخرة بلا نفع ﴾ أى للحاسد ﴿ بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة العدو ﴾ وهو الحاسد ﴿ وفى الآخرة بطلب المكافاة ﴾ أى المجازاة على عمله الكاسد ﴿ وعمى القلب ﴾ الناشيء من عدم الرضا بقضاء الرب ﴿ والخذلان ﴾ أى عدم النصرة ﴿ في الدنيا والآخرة ففيه الاثر ﴾ أى المروى عن بعض السلف « ان الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ، ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا » ﴿ الا في نعمة الكافر ﴾ مستثنى من قولهم الحسد حرام ﴿ والفاسق المستعين بها على الفسق ﴾ والظالم المتقوى بها على الظلم ﴿ والمبتدع ﴾ الذى يشتد بها على البدعة ﴿ وهو يكره من حيث آلته ﴾ اى آلة ما ذكر من الكفر والفسق والظلم والبدعة ﴿ دون النعمة ﴾ أى أصلها ﴿ بخلاف الغيرة ﴾ فانها غير حرام ﴿ فورد أتعجبون من غيرة سعد ﴾ وهو ابن أبى وقاص ﴿ فوالله ان سعدا لغيور وانا أغير منه والله اغير منا ﴾ وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه ﴿ والغبطة ﴾ أى وبخلاف الغبطة فانها ليست بحرام ﴿ فورد ﴾ أى في التنزيل ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ أى ليرغب الراغبون ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية ، وورد في الحديث ﴿ هما في الأجر سواء فيمن قال لو ان لى مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله ﴾ أى من الخيرات والمبرات ، فلا بن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح « مثل هذه الأمة مثل اربعة رجال ، رجل آتاه

فَهِيَ تَتبعُ ماغُبِطَ فيهِ حرمةً وإباحةً ووجوباً وندباً والسببُ خبثُ النفسِ وهو داءٌ مزمنٌ لأنه جبلّي والرَّغبةُ في نعمةِ الغيرِ كالرِّياسةِ وخوفُ فواتِ المقاصدِ كما في الضَّرةِ والعداوةُ والتَّعززُ بكراهةِ ترفعِ الغيرِ عليهِ والتَّكبرُ والتَّعجبُ برجحانِ مَنْ ساواه

الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء ﴿ فهي ﴾ أي الغبطة ﴿ تتبع ماغبط فيه ﴾ بصيغة المجهول ﴿ حرمة ﴾ كالمعاصي ﴿ وإباحة ﴾ كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر النعم الظاهرة ، لكن الغبطة في المباحات تناقض علو الحالات والمقامات كالزهد والرضا والتوكل والقناعة والتسليم ، وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد الشريعة ﴿ ووجوبا ﴾ كالايمان والصلاة والزكاة وسائر الأعمال ﴿ وندبا ﴾ كانفاق الأموال في تحسين الاحوال.

﴿ والسبب ﴾ أي للحسد سبعة ﴿ خبث النفس وهو داء مزمن ﴾ أي لازم ﴿ لانه جبلي ﴾ لاعلاج له : فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله تعالى عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية جلية ولا شيء مما ذكر من اسباب الحسد ، بل انما هو لخبث في نفسه ورزالة في طبعه لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه ﴿ والرغبة في نعمة الغير كالرياسة ﴾ في مقام الجاه والسياسة فانه يحب أن يكون فريد دهره ووحيد عصره ﴿ وخوف فوات المقاصد كما في الضرة ﴾ على توهم المضرة . ومن هذا القبيل الاخوان عند الأب ، والتلاميذ عند العلماء ، والندماء عند الأمراء ، بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد ، وحسد العابد للعابد دون العالم وقس على هذا ﴿ والعداوة ﴾ الكامنة في القلب ﴿ والتعزز بكراهة ترفع الغير عليه ﴾ في المنازل والمحافل فيما بين أهل الفضائل ، ومنه قوله تعالى (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ﴿ والتكبر ﴾ وهو من اردء الرذائل ﴿ والتعجب برجحان من ساواه ﴾ أي نسبا وحسبا ، ومنه قوله تعالى: (ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم إذا لخاسرون) تعجبوا من ان يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا ، ومنه ايضا قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

فَمِنْ ثَمَّ كَثُرَ الحَسَدُ بَيْنَ الأَقَارِبِ لِكَثْرَةِ تَحَقُّقِهَا دُونَ عُلَمَاءِ الآخِرَةِ فَوَرَدَ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وَعِلَاجُ كُلٍّ ضِدُّهُ وَذِكْرُهُ الآفَاتِ المَذْكُورَةَ وَمَا وَرَدَ فِيهِ، وَوُجُوبَ مُوَالَاتِ المُؤْمِنِ وَرِعَايَةَ حُقُوقِهِ وَعِظَمَ قَدْرِهِ وَالفَوَائِدَ كَالتَّعَاوُنِ وَبَرَكَةِ الجَمَاعَةِ ٥

وقوله: (ءأنزل عليه الذكر من بيننا) وقوله: (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) ﴿فمن ثم كثر الحسد بين الاقارب﴾ وقل بين الاجانب ﴿لكثرة تحققها﴾ أي المساواة في ذوي القرابات ﴿دون علماء الآخرة﴾ فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم، اذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عنده وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿ونزعنا﴾ أي في الدنيا والأخرى ﴿ما في صدورهم من غل﴾ أي حقد وحسد ﴿اخوانا على سرر متقابلين. وعلاج كل﴾ أي كل واحد من اسباب الحسد ﴿ضده﴾ فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه، وعلاج الرغبة التنفير، وعلاج الخوف الامن لعدم خلاف المقدور، وعلاج العداوة المحبة، والتعزز التذلل، والتكبر التواضع والتعجب الاطمئنان بالتفكر في قدرته وقضائه وارادته في خليقته ﴿وذكره الآفات المذكورة﴾ أي من جملة علاج الحسد ﴿وما ورد فيه﴾ أي وذكره ما ورد في ذم الحسد ﴿ووجوب﴾ أي وذكره وجوب ﴿موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره، والفوائد﴾ أي وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد ﴿كالتعاون﴾ على البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى ﴿وبركة الجماعة﴾ لا سيما في الجمعة والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام، وقد قال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) وقال (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) وقال: (بئس ما شروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) أي حسدا. ولله در القائل من ذوي الفضائل:

لا مات اعداؤك بل خلدوا ٭ حتى يروا فيك الذي يكمد
لازلت محسودا على نعمة ٭ فانما الكامل من يحسد

ونعم المقال من بعض أهل الحال: حسد حاقده وحقد حاسده

﴿الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول وحب الذم وبغض المدح﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فى الْعُزْلَةِ فَوَائِدُ وَهِىَ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَالْخَلْقُ شَاغِلُونَ

العزلة ضد الخلطة ، والخمول ضد الشهرة . فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطائفة . وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاونا على البر والتقوى ، ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبى وابن عيينة وأبو حنيفة وابن المبارك والشافعى وأحمد ابن حنبل وجماعة ، فمن الفضيل : كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا ، اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل : كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها ، وكان يقول : لايتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له . وقال الفضيل : انى لأجد للرجل عندى يدا اذا لقينى أن لايسلم علىّ واذا مرضت أن لايعودنى ، وقال أبو سليمان الدارانى : بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجبهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت ياربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة للجمعة ولاغيرها حتى ماتا بالعقيق . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، قال ماهى ؟ قال : ان لاترانى ولا أراك . وقيل للفضيل : ان ابنك عليا يقول لوددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ، فبكى الفضيل فقال : ويح على أفلا أتمها فقال لاأراهم ولا يرونى . وعن ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لاترى ولاترى *

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به أرباب الخلوة و يستأنس به أصحاب الجلوة ﴿فى العزلة فوائد﴾ تسعة ﴿وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون﴾ بل مافعون لاهل الارادة وفق العادة ، فانهم كما قال تعالى : (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) فعن حاتم الأصم : طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجد منها واحدة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعتَزِلُ فِى جَبَلِ حِرَاء وَالجمع مُتعذِّرٌ إِلَّا لِمَن اسْتَغْرَقَ بَاطِنُهُ بِهِ تَعَالَى فَغَابَ عَنهُم قَلْباً وَشهِدَهُمْ لِسَاناً وَالخَلَاصُ عَنِ المَعَاصِى كَالرِّيَاء وَالغِيبَة

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت أعينونى عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عنى ان فعلت فلم يفعلوا، فقلت لا تمنعونى عنها اذا فمنعونى فقلت لا تدعونى الى مالا يرضى الله ولا تعادونى عليها ان لم آتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بمخاصمة نفسى فانها أولى منهم بها ﴿وكان عليه السلام يعتزل فى جبل حراء﴾ أى فى أول مرة كما فى الصحيحين من حديث عائشة «كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أى يتعبد الليالى المتتابعة حتى قوى فيه أنوار النبوة وظهر منه أسرار الرسالة» ﴿والجمع﴾ أى بين الفراغ والخلطة ﴿متعذر﴾ فتتعين الخلوة ﴿الا لمن استغرق باطنه به تعالى﴾ بحيث لا تمنعه الوحدة عن الكثرة ولا تحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها بالكامن البائن والقريب الغريب والعرشي الفرشي ﴿فغاب عنهم قلبا﴾ اى جنانا ﴿وشهدهم لسانا﴾ أى حضرهم بيانا وبرهانا، وهذا انما يتصور لمن أراده سبحانه شأنا، فقد نقل عن الجنيد انه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم. وقال بعضهم: لا يتمكن أحدهم من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله، والمتمسكون بكتابه استراحوا من الدنيا، وبذكر الله عاشوا وبذكر الله ماتوا ولو بذكر الله لقوا الله. وقيل لبعضهم: ما أصبرك على العزلة؟ فقال: ما أنا وحدى، أنا جليس الله تعالى اذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه، واذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل: الاستيناس بالناس من علامة الافلاس. وقيل: بينما أويس القرنى جالس اذا أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال جئت لآنس بك، فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره. وقال بعض الحكماء: انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى بسبب انسه، وقال الفضيل: اذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلو بربى، واذا أصبحت استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجىء من يشغلنى عن ربى، وعن بعضهم انى أصبح وأمسى بين نعمة وخطيئة فاشغل نفسى بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة ﴿والخلاص عن المعاصى﴾ التى يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها فى الخلوة ﴿كالرياء﴾ والسمعة اذ كل من خالطهم داراهم ومن داراهم رآهم. ولقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله رؤية الناس بساط الرياء ﴿والغيبة﴾ والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من

وَالبِدَعِ مِثْل كَيْفَ أَصْبَحتَ وَعَافَاكَ اللهُ وَمُشَاهَدَتَها

الأخلاق الردية والأحوال الدنية ﴿ والبدع ﴾ فى الأقوال المتعارفة ﴿ مثل كيف أصبحت ﴾ فانه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من أخلاق أهل الديانة ؛ فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم كيف أصبحت و كيف حالك وفى الجواب عنه ، وكان سؤالهم عن أحوال الدين لا لأحوال الدنيا . قال حاتم الأصم لحامد اللفاف : كيف أنت فى نفسك ؟ قال سالم معافى ، فكره حاتم جوابه؛ فقال يا أبا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة ـ أى على بساط النشاط وحال الانبساط ـ وقد ورد « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت قال : اصبحت لا أملك نفع ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحترز ، وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله بيد غيرى . فلا فقير أفقر منى ، وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا ، وكان أبو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال : اصبحت بخير ان نجوت من النار . وكان سفيان الثورى اذا قيل له كيف اصبحت يقول : اصبحت اشكو ذا الى ذا ، واذم ذا الى ذا ، وافر من ذا الى ذا ، وقيل لاويس القرنى : كيف اصبحت . قال كيف يصبح رجل اذا أمسى لا يدرى انه يصبح واذا أصبح لا يدرى انه يمسى . وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت . قال : اصبحت فى عمر ينقص وذنب يزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت ؟ قال : اصبحت لا ارضى حياتى لمماتى ولا نفسى لربى . وقيل لحكيم كيف اصبحت . قال : اصبحت آكل رزق ربى واطيع عدوه ابليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت ؟ قال : ماظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة . قلت وعن على كل نفس خطوة الى اجلك . وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت : قال : اصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل ، فقيل له ألست فى عافية كل الأيام : فقال العافية يوم لا اعصى الله فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ماحالك ؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ، ويدخل قبرا موحشا بلا مونس ؛ وينطلق الى ملك عدل بلا حجة . وقيل لبعضهم ماحالك ؟ قال ماحال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب ﴿ عافاك الله ﴾ أى اذا كان قبل السلام ولم يكن فى الحمام . وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب ، فاما الآن كيف اصبحت عافاك الله ، كيف انت اصلحك الله ، فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة ، فان شاءوا غضبوا علينا وان شاءوا الا . وفى الاحياء . وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف أصبحت بدعة ﴿ ومشاهدتها ﴾

فَهُوَ يُوَرِّثُ الاسْتِحْقَارَ بِهَا

أي ورؤية المعاصي ﴿ فهو يورث الاستحقار بها ﴾ بل رؤية أرباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم) وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قل ماينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا اومبتدعا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ماقبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد ، اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له في الشرع ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه، ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ماعنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ماقدر له من النعماء فكذا النظر الى المطيعين والعصاة فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلايزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ، ومادام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء، ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ، ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته انا كثر الناس اذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره ، وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة يفضي تركها الى الكفر عند قوم ، وحز الرقبة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لايقتضيه . وكذا لولبس الفقيه ثوبا من حرير أوخاتما من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد في مجلس طويل لايتكلم فيه الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ، والغيبة اشد من الزنا فكيف لاتكون اشد من لبس الحرير ، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها ، وقيل لبعضهم : ماحملك على العزلة ؟ قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به . فتفطن لهذا القول الأسد وفر من الناس فرارك من الأسد ، لانك لاتشاهد منهم الا مايزيد على حرصك في الدنيا وغفلتك عن العقبى ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة، فان وجدت جليسا

وَالجَلِيسِ السُّوءِ لِتَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فَوَرَدَ مَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ القَيْنِ، وَالفِتَنِ فَوَرَدَ. إلْزَمْ بَيْتَكَ وَاْمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ حِينَ قِيلَ مَاذَا تَأْمُرُنِي فِي زَمَانِ الفِتَنِ

يذكرك بالله صورته وانيسا يفكرك الله سيرته فالتزمه واغتنمه فان الجليس الصالح خير من الوحدة، وان الوحدة خير من الجليس السوء. لكن الجليس الصالح عزيز الشهود فى صحن الوجود لما قال عليه السلام « اخبر تقله والناس كالإبل مائة لاتجد فيها راحلة » وكما قيل :

اتمنى على الزمان محالا ❊ ان ترى مقلتاى طلعة حر

فان الحر من لايستعبده هواه ولاتسترقه دنياه بل تستغرقه خدمة مولاه وهذا معنى قوله ﴿ والجليس السوء ﴾ بفتح السين وضمها أى ومشاهدته أو والخلاص عنه ﴿ لتأثير الصحبة ﴾ أى خيرا أوشرا بحسب الرتبة ﴿ فورد مثل الجليس السوء مثل القين ﴾ أى الحداد تمامه « انلم يحرق ثوبك اصابك ريحه، ومثل الجليس الصالح مثل العطار انلم يعطك من عطره اصابك من ريحه » وفى البخارى من حديث أبى موسى « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لايعدمك من صاحب المسك اماتشتريه أوتجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أوتجد منه ريحا خبيثة » ﴿ والفتن ﴾ أى والخلاص من محن أنواع الفتن وقل مايخلو العباد فى البلاد عن تعصبات وخصومات ﴿ فورد ﴾ أى عن عبدالله بن عمرو بن العاص لماذكر عليه السلام الفتن ووصفها وقال : « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانواهكذا وشبك بين أصابعه قلت فما تأمرنى فقال ﴿ الزم بيتك ﴾ أى لازم سكونه ﴿ واملك عليك لسانك ﴾ أى التزم سكوته ﴿ وخذ ماتعرف ﴾ واعمل به ﴿ ودع ماتنكر ﴾ اى اتركه ﴿ وعليك بامر الخاصة ﴾ أى والزم خاصة نفسك ﴿ ودع عنك امر العامة ﴾ أى من لم يتعلق بك ﴿ حين قيل ﴾ ظرف لورد ﴿ ماذا تأمرنى فى زمان الفتن ﴾ والحديث رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن. وفى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى : « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » وللخطابى من حديث ابن مسعود. وللبيهقى من حديث أبى هريرة : « وسيأتى على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى

وَ إِيذَائِهِمْ بِنَحْوِ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ ، قيل له ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ، قالوا و كيف ذلك يارسول الله وقد امرتنا بالتزويج ؟ قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فان لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده ، فان لم يكن فعلى يدى قرابته . قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف مالا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » وفى الأحياء هذا الحديث وان كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منها ، إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة و المخالطة ، ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولاجله قال سفيان الثورى : والله لقد حلت العزلة . اقول : وفى زماننا وجبت . وعن سفيان بن عيينة : لقيت ابراهيم بن ادهم فى بلاد الشام فقلت له : يا ابراهيم تركت خراسان . قال : ماهنأت بالعيش الاهنا افر بديني من شاهق الى شاهق ، فمن رآنى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ، فقال له أين تريد ؟ فقال العراق ، فاذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال لاتنظر الى كتبهم ولاتأتهم فابى ، فقال ابن عمر : انى محدثك حديثا « أن جبريل اتى النبي عليه السلام فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لايليها أحد منكم أبدا ، وماصرفها عنكم الا للذى هو خير لكم ، فابى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمرو بكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو اسير » رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بنحوه واسنادهما حسن . وكان فى الصحابة اكثر من عشرة آلاف فاختفى ايام الفتنة اكثر من أربعين رجلا ، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجدكم لاهية ، واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية ، وفيما هناك عما انتم فيه عافية ﴿ وايذائهم ﴾ أى والخلاص عن ايذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة ﴿ بنحو الغيبة والنميمة ﴾ واخرى بسوء الظن والتهمة و النقول الذميمة ، ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها : وقد قيل : معاشرة الاشرار تورث الظن بالاخيار . وقيل لعبدالله بن الزبير : الا تأتى المدينة ؟ قال مابقى فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقيل : كان الناس دواء يتداوى به فصاروا داء لادواء له ، وعن أبى الدرداء كان الناس وردا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاوردفيه : وقال رجل لابراهيم بن ادهم :

وَطَمَعِهِمْ فَرِعَايَةُ الْحُقُوقِ شَدِيدَةٌ وَفِيهَا ضَيَاعُ الْأَوْقَاتِ وَفَوَاتُ الْمُهِمَّاتِ وَالطَّمَعِ عَنْهُمْ فَالنَّظَرُ إِلَى زَهَرَاتِ الدُّنْيَا يُحَرِّكُ الْحِرْصَ

اوصنى ، فقال : اياك والناس ، وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ؛ ذهب الناس وبقى الخناس والنسناس وما أراهم بالناس ، بل غمسوا فى ماء الناس . وقيل . الزم الدفاتر او المقابر . وقال الحسن : اردت الحج فسمع ثابت البنانى وكان أيضا من أولياء الله فقال للحسن بلغنى انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب ، فقال الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، انى اخاف الله ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . قال فى الاحياء . وهذه اشارة الى فائدة أخرى فى العزلة وهى بقاء الستر على الدين والمروءة [والاخلاق والفقر وسائر العورات] . ولقد قال الشاعر :

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة ، ولكن عاراً أن يزول التجمل

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ، ولا ظهر جواد الا عقروه ، ولا قلب مؤمن الا خربوه ﴿وطمعهم﴾ من اضافة المصدر الى الفاعل أى والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لا تدرك ﴿فرعاية الحقوق شديدة﴾ ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات ﴿وفيها﴾ أى فى رعاية الحقوق ﴿ضياع الأوقات وفوات المهمات﴾ والتعرض للآفات ، ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستثقل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار تلك الأعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر فى حقى ، ويصير ذلك سبب عداوة . ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم . وعن عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء ﴿والطمع عنهم﴾ وفى نسخة فيهم أى والخلاص من أن يطمع هو فيهم ﴿فالنظر الى زهرات الدنيا﴾ أى انواع زينتها واصناف بهجتها ﴿يحرك الحرص﴾ وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة فى كثرة الاطماع فيتأذى بذلك ، ومهما اعتزل لم يشاهد ، واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ، ولذا قال تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث أبى هريرة « انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » وحكى ان المزنى خرج من باب

وَلِقَاءِ الثَّقِيلِ وَالأَحْمَقِ فَهُوَ أَشَدُّ البَلَايَا، وَآفَاتٌ وَهِيَ فَوَاتُ التَّعَلُّمِ فَهُوَ مُقَدَّمٌ لافْتِقَارِ العِبَادَةِ وَالتَّقْوَى إِلَيْهِ وَالتَّعْلِيمِ فَهُوَ أَوْلَى أَيْضًا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ الآخِرَةِ وَرَاعَى حَقَّهُ تَعَالَى بِالاحْتِرَازِ عَنِ الذَّمَائِمِ كَالرِّيَاءِ وَحُبِّ الجَاهِ

جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره مارأى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله تعالى : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون) ثم قال اصبروارضى يعنى كما قيل :

رضينا قسمة الجبار فينا ❊ لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب ❊ وان العلم يبقى لايزال

﴿ ولقاء الثقيل والاحمق ﴾ أى والخلاص عن ملاقاة الثقلاء والحمقى ومشاهدة اخلاقهم ومقاساة احوالهم ﴿ فهو اشد البلايا ﴾ أى المعنوية ، فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر . قيل للاعمش: مم عمشت عيناك؟ قال : من النظر الى الثقلاء ، وحكى انه دخل عليه أبو حنيفة فقال له : فى الخبر «ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منهما» فما الذى عوضك . فقال فى معرض المطايبة : عوضنى الله عنهما انه كفانى رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقيل : النظرة الى الأحمق حمى باطن ﴿ وآفات ﴾ أى فى العزلة ﴿ وهى ﴾ عشرة ﴿ فوات التعلم فهو مقدم ﴾ على العزلة ﴿ لافتقار العبادة ﴾ العلمية ﴿ والتقوى ﴾ العملية ﴿ اليه ﴾ ولذا قال النخعى وغيره : تفقه ثم اعتزل . وفى لطائف العارف الجامى قدس الله سره السامى : ان العزلة بغير عين العلم زلة ، كما انها بغير زاى الزهد علة ﴿ والتعليم ﴾ أى وفواته ﴿ فهو اولى ﴾ من العزلة ﴿ أيضا ﴾ أى كالتعلم ﴿ ان كان ﴾ التعليم ﴿ فى علم الآخرة ﴾ أى علم ينفعه فى العقبى ﴿ وراعى حقه تعالى ﴾ بالاخلاص وابتغاء وجه ربه الأعلى ، وكذا ﴿ بالاحتراز عن الذمائم كالرياء وحب الجاه ﴾ من الاستكثار بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الأحوال ، فحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه ، فانه لايرى مستفيدا يطلب فائدة ليقينه ، بل يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبيينه ، ولا يطلبه غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال ، وتولى الولايات ، واجتلاب الأموال ، واستشعار الاذلال على الجهال ، فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فالاعتزال عنه وكتمان العلم منه

فَرَدَ «إذَا ظَهرت الفِتْنَةُ وَسَكَتَ العَالِمُ فَعلَيْه لَعْنَةُ اللهِ» وَإلاَّ فَالْعزْلَةُ كَمَا فى زَمَانِنَا لِذَهَابِ عِلْمِ الآخِرَةِ وَالعَمَلِ عَلَيْه وَتَعَذُّرِ رِعَايَةِ الْحُقُوقِ

من أكبر الكبائر ﴿ فورد اذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله ﴾ لم اجد له اصلا ، وقد قال تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل : مافسدت الرعية الا بفساد الأمراء ، ومافسدت الأمراء الا بفساد العلماء ، ومن هنا قيل : فساد العالم فساد العالم . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذى ليس له دواء ﴿ والا ﴾ أى وان لم يكن تعليمه وتعلمه فى علم الآخرة ﴿ فالعزلة ﴾ متعينة بل واجبة ﴿ كما فى زماننا لذهاب علم الآخرة ﴾ من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة فى اكثر البلدان ﴿ والعمل عليه ﴾ أى ولذهاب العمل على طبق العلم فى عامة أهل الزمان ، ولا ينبغى ان يغتر الانسان بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله ، وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله . وانظر الى أواخر أعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم ، أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أوراغبين عنها وزاهدين فيها ، وليس الخبر كالمعاينة . وأما العلم الذى أشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة ، فان فيها التخويف والتحذير ، فان لم يؤثر فى الحال قد يؤثر فى المآل . فاما الكلام وجدل الخصام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله ، بل لا يزال متماديا فى حرصه إلى آخر عمره ونهاية أمره ، ومن هنا قال بشر الحافى : حديثنا باب من أبواب الدنيا ﴿ وتعذر رعاية الحقوق ﴾ أى ولتعذرها أو تعسرها من حقوق الاساتذة والتلامذة ، فعن أبى سليمان الخطابى : دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ، اخوان العلانية اعداء السر ، اذا لقوك تملقوك ، واذا غبت منهم سلقوك ، من اتاك منهم كان عليك رقيبا ، واذا خرج كان عليك خطيبا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا تغتر باجتماعهم عليك ، فما غرضهم العلم وحسن الحال فى المآل ، بل الجاه وكثرة المال ، وان يتخذوك سلما الى أوطارهم ، وحمارا فى حاجاتهم واوزارهم . ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ، ثم يعدون ترددهم اليك دلالا عليك ويرونه حقا واجبا لديك ، ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعادي عدوهم ،

وَمَوْجِ الفِتَنِ، وَالانْتِفَاعِ مِنَ الغَيْرِ بِالكَسْبِ لِلْكِفَايَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ أَوْلَى مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ، وَالتَّأَدُّبِ بِالارْتِيَاضِ فِي البِدَايَةِ وَالتَّأْدِيبِ بِالرِّيَاضَةِ وَهُوَ كَالتَّعلِيمِ

وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم ، وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها، وتكون لهم تابعا خسيسا بعدان كنت متبوعا رئيسا ﴿ وموج الفتن ﴾ أى ولغلبة الفتن وما يترتب عليه من أنواع المحن ماظهر منها ومابطن ، فانك ترى المدرس فى رق دائم ، وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد لديه ، فكأنه يهدى تحفة اليه ؛ فيرى حقه واجبا عليه ، فلا يزال يتردد إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين. ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه، ويمتهنه ويستبدله الى ان يسلم اليه مابعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى فى مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التميز والمعرفة فى الفنون . وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مظالم ما يأخذه ويفرقه فى العقبى ﴿ والانتفاع ﴾ أى وفواته ﴿ من الغير ﴾ وكذا نفع الغير ﴿ بالكسب للكفاية ﴾ أى لكفاية نفسه عن ابناء جنسه ﴿ او الصدقة ﴾ على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة ﴿ فهو ﴾ أى الكسب وفى نسخة فهى اى الصدقة ﴿ أولى من عمل الظاهر ﴾ كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن ، وتوضيحه : ان حالك لا يخلو من أن تكون محتاجا الى القوت أولا ، فان كنت محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب أولى بل فرض كما لا يخفى ، وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو اما ان تكون فى خلوتك مشغولا بالأعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة لتعدى المنفعة ، وأما ان تكون مشتغلا بالأعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله والتفكر فى صفات الله والتذكر لاحوال الآخرة فى عقباه والشوق الى لقاء ربه والذوق الى مقام رضاه فالعزلة أولى من الكسب لبقاء المنفعة ودوامها وتمامها فى الدنيا والأخرى ﴿ والتادب ﴾ أى فوات كسب الأدب وتحصيله ﴿ بالارتياض ﴾ أى المجاهدة وقبول رياضة النفس والمعاودة ﴿ في البداية والتاديب ﴾ أى وفوات تعليم الأدب ﴿ بالرياضة ﴾ فى النهاية ﴿ وهو كالتعليم ﴾ فى مقام الهداية. وفى الاحياء . ويعنى بالتادب الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات ، وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة ، وهو أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب

وَالْمُؤَانَسَة فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِقَطْعِ الْمَلَالَةِ الْمُنَفِّرَةِ لِلْعِبَادَةِ وَثَوَاب إِقَامَة الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَة وَنَحْوِهِمَا ، وَحُقُوقِهِم كَالْعِيَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ

بعد أخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته، وأما التأديب فنعني به أن يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم ، فانه لايقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم . وللترمذى.وابن ماجه من حديث ابن عمر «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالط الناس ولايصبر على أذاهم» ﴿والموانسة﴾ أى وفوات الاستيناس والايناس بالناس فى المصاحبة والمجالسة، كالانس بملازمة أرباب التقوى من الأولياء وبمواظبة أصحاب الفتوى من العلماء،وانما سمى الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لاسيما والمؤمنون اخوة وبينهم زيادة ألفة لقوله تعالى : (وألف بين قلوبهم لوأنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) ولقوله عليه السلام : (المؤمن يالف ولاخير فيمن لايالف ولايؤلف) رواه أحمد عن سهل بن سعد ﴿فهى﴾أى الموانسة ﴿مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة﴾ أى كما هو فى العادة ، والرفق فى العبادة من حزم أهل الارادة.فورد «ان الله لايمل حتى تملوا» وقد تقدم : ومن يشاد هذا الدين يغلبه،فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ، ولذا قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلدا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الاالناس . قلت : وكذا لايصلح الناس الا الناس ، ومن هنا قيل : ما زينة الناس الا الناس ، فلا يستغنى المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته ، فيجتهد فى طلب من لايفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته ، فقدقال عليه السلام «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وقد تقدم،وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين ، فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون أفضل من الخلوة فى تحسين المقامات، فقد ورد «نوم العالم عبادة» ومنه «كلميني ياحميراء» ﴿وثواب اقامة الجمعة والجماعة﴾ أى وفوات اقامتهما وادامتهما ﴿ونحوهما﴾ من حضور الجنازة وصلاة العيدين ومجالس العلم ووقوف عرفة وأمثالها ﴿وحقوقهم﴾ أى وفواتها ﴿كالعيادة﴾ للمرضى ﴿والتشييع﴾ للجنازة ومنها اجابة الدعوة فى نحو الوليمة ، وقد حكى عن جماعة من

وَالتَّوَاضُعِ فَقَدْ يَحْمِلُ التَّكَبُّرَ عَلَيْهَا بِحُبِّ زِيَارَتِهِمْ تَبَرُّكًا

السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعيادة المرضى وحضور الجنازة ، بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز الى قلل الجبال ميلا الى القرار . تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل فى الارادة ﴿ والتواضع ﴾ أى وفواته من آداب المخالطة ولا يقدر عليه فى الوحدة ﴿ فقد يحمل التكبر عليها ﴾ أى على العزلة ﴿ بحب زيارتهم تبركا ﴾ أى على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون الكبر سببا للعزلة . وعلامته انه يحب ان يزار ولا يحب أن يزور ، ولو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق فى فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقوفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه، ثم اعلم ان التواضع فى المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه أو دينه ، وقد كان على يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ٭ ماجر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة . وحذيفة . وأبى . وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على أكتافهم . وكان أبو هريرة يقول وهو وال على المدينة والحطب على رأسه : طرقوا لاميركم ، وكان عليه السلام يشترى الشىء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطنى احمله فيقول «صاحب المتاع أحق بحمله» رواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة فى حمله سراويله التى اشتراها . ثم اعلم ان من حبس نفسه فى بيته لتحسين اعتقاد الناس فى حقه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وابقى . فلا تستحب العزلة الا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعلما وعبادة واشتغالا بامره تجردا وزهادة بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته أو كثرت آفاته أو تشوشت عليه عباداته ، فمن شغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ، وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الحق واسخط عليه الخلق ، بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل :

من راقب الناس مات غما ٭ وفاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك فى السؤال فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فانى حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ، وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لانى قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم ، وقال موسى : يا رب احبس عنى ألسنة الناس ،

وَالتَّجَارُبِ فَتَتَعَلَّقُ بِهَا مَصَالِحُ الدَّارَيْنِ لَا سِيَّمَا الرِّيَاضَةُ وَالْأَصْلُ الِاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَحَقُّهَا نِيَّةُ الِاحْتِرَازِ عَنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ

فقال: ياموسى هذا شيء لم اصنعه لنفسي فكيف افعله لك. واوحى الله سبحانه الى عزير: إن لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين. وفي الحديث النبوي «اذكروا الله حتى يقولوا مجنون» وقد قالوا في حق أعقل الخلق مجنون وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور ﴿والتجارب﴾ أي وفواته فانها تستفاد من الخلطة ولا توجد في العزلة، فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذ حركك بادنى الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبر «اخبر تقله» وقولهم: حرك ترى ما يجرى ﴿فتتعلق بها﴾ أي بالتجارب ﴿مصالح الدارين﴾ من المناقب والمراتب ﴿لاسيما الرياضة﴾ في ترك المناصب وعند حصول المصائب، فمن هنا كانوا يجربون أنفسهم، فمنهم من كان يحمل قربة ماء اونحوها بين الناس على ظهره أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق لتجربة نفسه إذا استشعر كبرا في باطنه، فان غوائل النفس ومكائدها قل من يتفطن بها، فقد حكى عن واحد انه قال: اعدت صلاة ثلاثين سنة مع اني كنت أصليها في الصف الأول، ولكنني تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الأول، فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الى الصف الأول فعلمت ان جميع صلاتي كانت مشوبة بالرياء، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج القبائح واظهارها، ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق. واذا عرفت هذا فان تحققت الفوائد وانتفت الآفات فاختر العزلة، والا فالخلطة، وان تقابلا فخذ بالأرجح في المسألة ﴿والأصل الاستفتاء من القلب﴾ اذا كان مشحونا بذكر الرب، والأفضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعي: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة. والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء في المحادثة، فكن بين المنقبض والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا. ويومى اليه قوله تعالى: (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) ﴿وحقها﴾ أي العزلة ﴿نية الاحتراز﴾ أي الاحتراس ﴿عن شر النفس﴾ ومافيها من الوسواس ﴿والغير﴾ اي وغيرها من الجنة والناس، فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه

وَالتَّقْصِير فِي رِعَايَةِ الْحُقُوق وَالتَّجَرُّد لِلْعِبَادَةِ وَتَهْذِيب الْأَخْلَاق وَالسُّلُوك فِي طَرِيقِهِ تَعَالَى وَالْحُضُور فِي نَحْوِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْعِيدِ وَالْحَجِّ وَمَجْلِسِ الْعِلْمِ وَيَجُوزُ التَّرْك عِنْدَ مُعَارَضَةِ مُنْكَرٍ أَفْحَش مِنْهُ وَالْأَحَبّ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْكُنَ مَوْضِعًا يُسْقِطُهَا وَالسُّكُون فِي رِبَاطِ السَّالِكِينَ يُفِيدُ سَلَامَةَ الْعُزْلَةِ وَبَرَكَةَ الْجُمُعَةِ وَالتَّعَاوُنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّأَدُّب فَلِسَانُ الْحَالِ أَفْصَح وَوَرَدَ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وَالطَّرِيقُ الِاسْتِغْرَاقُ بِالْعِبَادَةِ

عن الإبرار ثم طلب السلامة من شر الأشرار ﴿ والتقصير في رعاية الحقوق ﴾ أي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الانام ﴿ والتجرد للعبادة ﴾ أي ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة ﴿ وتهذيب الأخلاق ﴾ بان يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الأمل وانتظار الأجل ﴿ والسلوك في طريقه تعالى ﴾ بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته ، وعدم السؤال عن اخبار الناس وأفعالهم واراجيفهم في احوالهم ، والقناعة باليسير من المعيشة ، والصبر على مايلقاه من اذى الجيران وغيرهم ، وعدم الاصغاء الى مايقال في حقه من مدح فيه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة . وينبغي ان يكون له اهل صالح او جليس معتمد عليه لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة . ثم لايتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه مما يوافقه او ينافيه ، ولا ينقطع طمعه الا بقصر الأمل وتقريب الأجل ﴿ والحضور في نحو الجمعة ﴾ فانه فرض ﴿ والجماعة ﴾ فانه واجب أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة ﴿ والعيد ﴾ فانه واجب أو سنة من سنن الهدى وشعار اهل التقى ﴿ والحج ﴾ فانه طريق أهل السلوك ﴿ ومجلس العلم ﴾ فانه لا يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك ﴿ ويجوز الترك ﴾ أي ترك الحضور في تلك الامور ﴿ عند معارضة منكر أفحش منه ﴾ أي من ترك الحضور ﴿ والاحب حينئذ أن يسكن موضعا ﴾ بعيدا من العمارات ﴿ يسقطها ﴾ أي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات ﴿ والسكون في رباط السالكين ﴾ أي خانقاه الصالحين ﴿ يفيد سلامة العزلة ﴾ عن آفات الخلطة ﴿ وبركة الجمعة ﴾ والجماعة ﴿ والتعاون على البر ﴾ والتقوى ﴿ والتأدب ﴾ بآداب أهل الشرع والفتوى ﴿ فلسان الحال أفصح ﴾ من بيان القال ﴿ وورد ﴾ في التنزيل : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق ﴾ أي الموصل للعزلة ﴿ الاستغراق بالعبادة ﴾ ذكرا وفكرا وعلما وعملا وصبرا وشكرا ،

فَالاسْتِينَاسُ بِالنَّاسِ مِنَ الإِفْلاسِ ، وَقَطْعُ الطَّمَعِ وَذِكْرُ الآفَاتِ وَإِيثَارُ الْخُمُولِ وَهِيَ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فَوَرَدَ «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»

صحوا ومحوا وسكرا وفنا. وبقاء وقبضا وبسطا ﴿فالاستيناس بالناس من الافلاس﴾ أي من علامة الافلاس عن مقام الايناس ، فاذا رأيت نفسك تتطلع الى سلامهم وكلامهم وملاقاتهم فى مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ . وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما اكثر الناس : الصحة والفراغ » وقيل :

إن الشباب والفراغ والجدة . مفسدة للمرء أى مفسدة

ومتى عانقت العبادة ولازمتها حق الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة واستأنست بكتاب الله وآياته واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الاغيار ، على انه ليس فى الدار غيره ديار فى نظر الابرار ، وفى بعض الأخبار : ان موسى عليه السلام كان إذا رجع من المناجات يستوحش من كلام الناس ويجعل اصبعيه فى اذنيه كيلا يسمع كلامهم ولا يفهم مرامهم . فعليك بما قال بعضهم : اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا شاهدا كنت فيه أو غائبا . قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا . ﴿وقطع الطمع﴾ عن الخلق بل عن الحق أيضا بان يعطيك غير ما قسم لك فيهون عليك أمر الخلق والنظر اليهم والطمع فيهم ، فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء عليك ، وقبوله ورده مستو لديك ، وهذا نبذة من توحيد الأفعال حيث قال تعالى خبرا عن مالهم من الأحوال : (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا) ﴿وذكر الآفات﴾ أي آفات الخلطة وفوائد العزلة ﴿وإيثار الخمول﴾ فانه الراحة وضده الشهرة ففيها الآفة ﴿وهي﴾ أي صفة الخمول ﴿فضيلة عظيمة﴾ ومنقبة جسيمة وقد قيل فى تعريفه هو اسقاط النفس عن نظر الخلق ﴿فورد رب اشعث﴾ أي متفرق الشعر ﴿أغبر﴾ مغبر الوجه ﴿ذي طمرين﴾ أي كسائين اسودين أو ازارين خلقين ﴿لا يؤبه له﴾ أي لا يعتبر له عند اكثر الخلق ﴿لو اقسم على الله﴾ فى شيء نفيا أو اثباتا ﴿لأبره﴾ أي لجعله الحق بارا فى قسمه ذلك بان يجعله مطابقا لما أراده هنالك . والحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «رب أشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لأبره» وللحاكم «رب اشعث أغبر ذي طمرين

وَلَو اتَّسعَ الجاهُ بِلا طَلَبٍ فَغَيرُ مَذْمومٍ كَمَا لِلْأَنبِياءِ والخُلَفَاءِ وَالأَئمَّةِ إلاَّ أَنَّ فيهِ فِتنَةً لِلضُّعَفَاءِ فورد «حَسْبُ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ أَنْ يُشيرَ النَّاسُ إلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينِهِ ودُنْياه» وَإنَّمَا المَذْمُومُ حُبُّ الجَاهِ فورد (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا)

ينبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لأبره» وقال صحيح الاسناد. ولابن أبي الدنيا ومن طريق الديلمي من حديث ابن مسعود «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره» أو قال اللهم انى اسئلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا» وفى الاحياء عن أبي هريرة مرفوعا «ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا، واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم» وسكت عليه مخرجه وفى رواية «ان من أمتى من لو اتى أحدكم فساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة لأعطاها اياه» الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح، وزاد فى الاحياء «ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه بل لكرامته لديه» قال مخرجه وروى مرسلا ﴿ولو اتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كما للانبياء﴾ والمرسلين ﴿والخلفاء﴾ الراشدين ﴿والأئمة﴾ المجتهدين من العلماء والصلحاء المعتمدين ﴿الا أن فيه﴾ أى فى اتساع الجاه ﴿فتنة للضعفاء﴾ أى ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء وذهلوا عما ورد من أن سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام، وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد الفقراء المهاجرين بخمسمائة عام، بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير أخف من الغنى فى دار البقاء. ﴿فورد﴾ من حديث أنس عند البيهقى ﴿حسب امرىء من الشر الا من عصمه الله أن يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه﴾ أى بالعلم والعمل أى مخافة عجبه وغروره ﴿ودنياه﴾ أى بالمال والجاه أى خشية كبره وبطره، وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق ﴿وانما المذموم حب الجاه﴾ أى لا وجوده وشهوده ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض﴾ أى لا يحبون اعتلاء بالجاه والمال، اذ لا يريدون استعلاء بغير الحق ﴿ولا فساداً﴾ بحال الخلق بل يريدون صلاحا لأهل الحق، لكن كما قيل: آخر ما يخرج

وَأَصْلُهُ انْتِشَارُ الصِّيتِ وَحَقِيقَتُهُ تَمَلُّكُ الْقُلُوبِ الْمُوَصِّلُ إِلَى الْمَقَاصِدِ وَهُوَ أَشْهَى مِنَ الْمَالِ فَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ بِهِ أَيْسَرُ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ عَنْ نَحْوِ السَّرِقَةِ وَالْغَصْبِ وَنَامٍ دُونَ التَّعَبِ وَمُطَاعٌ بِالطَّوْعِ لَحَرَامٌ إِنْ كَانَ بِارْتِكَابِ ذَنْبٍ كَالْكَذِبِ

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولوكان من حيث المشيخة و باب السياسة، والحاصل ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفي ارادة العلو المستلزم لحب الجاه دون نفس الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حب له ﴿ وأصله ﴾ أي الجاه ﴿ انتشار الصيت ﴾ واشتهار السمت ، فالخمول محمود الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه لقوة يقينه ﴿ وحقيقته ﴾ أي الجاه ﴿ تملك القلوب ﴾ المطلوب منها تعظيمها وطاعتها ﴿ الموصل الى المقاصد ﴾ أي الدنيوية وقد تكون الدنيوية والأخروية ، قال ابن أدهم: ماصدق الله من أحب الشهرة، وقال أيوب السختياني ماصدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ، وعن معاذ بن جبل: « ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » الطبراني والحاكم وصححه، وقال الفضيل : بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم أنعم عليك . الم استرك . الم اخمل ذكرك ، وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك، واجعلني في نفسي من اوضع خلقك ، واجعلني عند الناس من اوسط خلقك . وقال الثوري وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب خوف وعبادة ﴿ وهو ﴾ أي الجاه ﴿ اشهى ﴾ أي ألذ ﴿ من المال ﴾ ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولانه يحصل به المال ولو في المآل ﴿ فتحصيل الغرض ﴾ من حظ النفس واتباع الهوى ﴿ به ﴾ أي بالجاه ﴿ أيسر ﴾ أي أهون من تحصيله بالمال ﴿ مع انه ﴾ اى الجاه ﴿ مأمون عن نحو السرقة والغصب ﴾ بخلاف المال ﴿ ونام ﴾ أي منتشر في العالم ﴿ دون التعب ﴾ ببذل المال وبيان الحال ﴿ ومطاع بالطوع ﴾ أي بالرغبة في خدمته لأرباب الكمال وأصحاب الجمال ﴿ لحرام ﴾ أي الجاه ﴿ ان كان بارتكاب ذنب كالكذب ﴾ بكونه علويا في النسب أو من نسل

وَالخِدَاعِ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ وَرِعٌ أَوْ شَرِيفٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ، وَبَيْعُ الْعِبَادَةِ بِجَعْلِهَا وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا جِنَايَةٌ وَإِلَّا فَمُبَاحٌ فَوَرَدَ . (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) وَالْأَوْلَى الِاحْتِرَازُ عَنْهُ فَفِيهِ آفَاتٌ وَهِيَ النِّفَاقُ وَاضْطِرَابُ الْقَلْبِ لِشَغْلِهِ بِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَحِفْظُ الْجَاهِ وَدَفْعُ الْحُسَّادِ إِلَّا قَدْرًا يُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ كَاسْتِمَالَةِ قَلْبِ خَادِمٍ يَتَعَهَّدُ أَوْ رَفِيقٍ يُعَاوِنُ أَوْ سُلْطَانٍ يَدْفَعُ الشَّرَّ

الملوك والعلماء والمشايخ فى الحسب ﴿والخداع باظهار انه عالم أوورع أوشريف وهو بخلافه﴾ من جاهل اوفاسق اووضيع ، ومن هنا قيل : فمن ادعى المشيخة فان كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق ، وقد ورد « ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم با كثر فسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم » رواه النسائى . والترمذى وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك ﴿وبيع العبادة﴾ اى وحرام ان كان يبيعها وهى من امور الدين بشىء من امور الدنيا مالا اوجاها ، ﴿بجعلها﴾ اى العبادة النافعة فى العقبى ﴿وسيلة للدنيا﴾ الدنية الفانية ﴿جناية﴾ وعلى نفسه خيانة ﴿والا﴾ اى وان لم يكن حب الجاه بارتكاب ذنب ولا ببيع عبادة ﴿فمباح﴾ وبضم نية نفع مسلم اودفع ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوبا ﴿فورد﴾ فى سورة يوسف ﴿قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم﴾ اى مخاطبا لملك مصر ، فانه طلب منزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما ، وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا فى قوله ونافعا لغيره فى امره ﴿والاولى﴾ لغير الاقوياء ﴿الاحتراز عنه﴾ اى عن طلب الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ نفسه ومايهواه ﴿ففيه آفات﴾ اربعة ﴿وهى النفاق﴾ لان صاحب الجاه لايستغنى عن المداهنة فى الاخلاق وهى مخالفة الظاهر الباطن قولا اوفعلا ﴿واضطراب القلب﴾ اى تزلزله عند ظهور العيوب ﴿لشغله برعاية القلوب وحفظ الجاه﴾ اى تمامه بين العباد ودوامه فى البلاد ﴿ودفع الحساد﴾ اى ضررهم وشرهم المعتاد ﴿الاقدرا﴾ استثناء من الاحتراز اى الاقدرا يسيرا من الجاه ﴿يعين على الطاعة﴾ ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة ﴿كاستمالة قلب خادم يتعهد﴾ امورا ضروريا للمخدوم ﴿اورفيق يعاون﴾ فى السفر اوالحضر على البر والتقوى ومحافظة امور العقبى ﴿اوسلطان يدفع الشر﴾ والبلوى *

وَالسَّبَبُ طُولُ الأَمَلِ وَخَوفُ الآفَةِ وَٱسْتِدْعَاءُ الطَّبعِ الكَمَالَ لِتَحَقُّقِ الطَّبْعِ الرُّبُوبِيِّ فِي الإِنْسَانِ كَالسَّبُعِيِّ وَالشَّيْطَانِيِّ وَالبَهِيمِيِّ فَيُحِبُّ الاسْتِعْلَاءَ بِالاسْتِرْقَاقِ إِنْ أَمْكَنَ كَمَا فِي الأَجْسَادِ الأَرْضِيَّةِ

﴿ والسبب ﴾ اى سبب حب الجاه ثلاثة ﴿ طول الامل ﴾ اى بتبعيد الاجل ﴿ وخوف الآفة ﴾ اى توهم المحنة التي تكون منشأ للمهنة ، وتوضيحه ان الشفيق بسوء الظن مولع ، والانسان وان كان مكتفيا فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان المال الذى فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه فلا يدفع المرخوف الا الامن الحاصل لوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للجاه يقدر طول الحياة، ويقدر هجوم الحاجات ، ويقدر امكان تطرق الآفات، وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال او الجاه ، ومن هنا ورد « منهومان لا يشبعان : منهوم العلم ومنهوم المال» الطبرانى وغيره « ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب» ﴿ واستدعاء الطبع ﴾ اى استشعاره ﴿ الكمال ﴾ الحقيقى او الوهمى ﴿ لتحقق الطبع ﴾ اى الخلق ﴿ الربوبى فى الانسان ﴾ من الاستعلاء والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار العظمة والكبرياء ، اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا بالكمال فى الجمال والجلال ، ولذا قال بعض الصوفية : مامن انسان الا وفى باطنه ماصرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ، ولكنه ليس يجد مجالا ، وفى الاحياء وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ، ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال ﴿ كالسبعى ﴾ من القتل والجرح والضرب والايذاء ﴿ والشيطانى ﴾ كالمكر والخديعة والاغواء ﴿ والبهيمى ﴾ من الاكل والشرب والوقاع مع النساء ﴿ فيحب ﴾ اى الانسان بالطبع الربوبى ﴿ الاستعلاء بالاسترقاق ﴾ اى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد الاحرار ﴿ ان امكن ﴾ الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار ﴿ كما فى الاجسام الارضية ﴾ من نحو الكلأ والاغراس والاشجار بالقلع والابقاء والابداء والافناء ، وكالدراهم والدنانير والامتعة ، فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل

ثُمَّ بِالاسْتِمَالَةِ كَمَا فِي القُلُوبِ ثُمَّ بِالاطِّلَاعِ كَمَا فِي السَّمٰوَاتِ وَعَالَمِ المَلَكُوتِ وَالعِلَاجُ العِلْمُ بِأَنَّهُ كَمَالٌ وَهْمِيٌّ لِزَوَالِهِ بِالمَوْتِ وَلِأَنَّ القُدْرَةَ الحَقِيقِيَّةَ لَهُ تَعَالَى وَفِيهِ التَّشَبُّهُ بِالسِّبَاعِ وَالشَّيَاطِينِ وَالبَهَائِمِ أَمَّا الحَقِيقِيُّ فَمَعْرِفَتُهُ تَعَالَى وَمَحَبَّتُهُ وَمَا يُعِينُ عَلَيْهِ لِبَقَائِهِ بَعْدَ المَوْتِ وَفِيهِ التَّشَبُّهُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالمَلَائِكَةِ

فيها مايشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع ، فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع والجبلة الخلقية ، ولذا احب الاموال وان كان لايحتاج الباقى مأكله ومشربه وملبسه وشهوات نفسه ﴿ ثم بالاستمالة ﴾ اى بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغالبة اوباطنا ورغبة ﴿ كما فى القلوب ﴾ طوعا وكرها ﴿ ثم بالاطلاع ﴾ اى الاشراف ﴿ كما فى السموات ﴾ وفى نسخة السماويات اى اخبارها وامورها واسرارها ﴿ وعالم الملكوت ﴾ من العرش والكرسى وحولهما من الملائكة وانوارها ، والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم فى الحركات والسكنات . والحاصل ان مطلوب القلب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور ، فسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال ، فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه من المحبوبات ، وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات واللهوات ، بل يحب الانسان من العلوم مالايصلح للتوصل به الى قضاء الاغراض ، بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والاعواض ، ولكن الطبع يتقاضى العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذى هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه فى مقام العبودية ه

﴿ والعلاج ﴾ اى علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء ﴿ العلم بانه ﴾ اى الجاه الدنيوى ﴿ كمال وهمى ﴾ ليس فى الواقع كمال حقيقى ﴿ لزواله بالموت ﴾ انتهاء ولحدوثه ابتداء ﴿ ولان القدرة الحقيقية له تعالى ﴾ ازلا وابدا ﴿ وفيه ﴾ اى فى الجاه الوهمى الصورى ﴿ التشبه بالسباع والشياطين والبهائم ﴾ كما تقدم ﴿ اما الحقيقى ﴾ اى كماله ﴿ فمعرفته تعالى ومحبته ومايعين عليه ﴾ اى على كماله من العلم والعمل كما حكم به شريعته ، وانما يكون هذا كما لا حقيقيا ﴿ لبقائه بعد الموت ﴾ فالكمال الحقيقى ماينتقل مع صاحبه ولاينفك عن جانبه ﴿ وفيه ﴾ اى فى هذا الكمال ﴿ التشبه بالانبياء والملائكة ﴾ الموصوفين

وَآفَاتِ الدُّنْيَا وَخَسَاسَتِهَا وَمَا وَرَدَ فِى ذَمِّ الْجَاهِ وَمَدْحِ الْخُمُولِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ فِى إِيثَارِ الْعُقْبَى وَمُبَاشَرَةُ أَمْرٍ يُسْقِطُهُ

بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية ، فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم غافلون ، واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم من الزوال وان سلم فى الحال فلا بقاء له فى المآل ، واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما لدنيا ، واذا حصل ابديا لا انقطاع له لكونه سرمديا . فهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا املا) فالعلم والقربة هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس ، واما المال والجاه فيفنى فى الحال أو المآل كما مثله الله تعالى بقوله (انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الآية ﴿ وآفات الدنيا ﴾ اى والعلم بها ﴿ وخساستها ﴾ اى دناءة نفسها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها ، فلله در القائل :

اشد الغم عندى فى سرور   تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولآخر من أهل الفضائل :

أضغاث أحلام وظل زائل   ان اللبيب بمثله لا يخدع

﴿ وما ورد ﴾ أى والعلم بما جاء من السنة ﴿ فى ذم الجاه ومدح الخمول ﴾ على ما تقدم ﴿ وأحوال السلف فى ايثار العقبى ﴾ على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض فى البر والتقوى، فقد كتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت وقدمات ، فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا . وكتب عمر بن عبد العزيز فى جوابه : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة مكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا الجاه والمال فى الدنيا . وبصائر أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال تعالى : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) ﴿ ومباشرة أمر ﴾ بالرفع عطفا على العلم أى والعلاج للعمل وهو مباشرة فعل ﴿ يسقطه ﴾ أى جاهه وقدره من قلوب الخلق وأعينهم ، وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويقنع بنظر

كَشُرْبِ المَاءِ فِى قَدَحٍ يُشْبِهُ الخَمْرَ لَوْنًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَتْبُوعًا فَيُبَاشِرُ مَا يُرَى مُبَاحًا كَإِظْهَارِ الشَّرَهِ وَالأَقْوَى القَنَاعَةُ وَالاغْتِرَابُ، وَأَمَّا الاعْتِزَالُ فِى الوَطَنِ فَلَا يَخْلُو عَنْهُ لِمَعْرِفَةِ النَّاسِ بِهِ

الخالق وقبوله ، وهذا طريق الملامتية الطالبين للحالة السلامتية ﴿ كشرب الماء الحلال ﴿فى قدح يشبه الخمر لونا﴾ أى يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من الأعين وهذا فى جوازه نظر من حيث الفقه الا أن أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأى اصلاح قلوبهم فيه ، ثم يتداركون مافرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم ، فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه ، فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف فى الطريق حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام ﴿ الا أن يكون متبوعا ﴾ أى من المقتدين حيث لا يجوز ان يفعل مالا يكون بظاهره مشروعا فانه يوهن الدين فى قلوب المسلمين. وأما الذى لا يقتدى به فلا ينبغى له أيضا أن يقدم على محظور لاجل ذلك ﴿ فيباشر ما يرى مباحا ﴾ مما يسقط قدره عند الناس ﴿ كاظهار الشره ﴾ بفتحتين اى الحرص فى الطعام ، كما روى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره و يعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد . الحمد لله الذى صرفك عنى . وهذا بالنسبة الى المتقدمين، واما فى زماننا فمن عمل بالكتاب والسنة فى امره لم يلق صديقا فى دهره مدة عمره ﴿ والأقوى ﴾ أى فى المعالجة ﴿ القناعة ﴾ بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما لابد منه للاحياء كلقمة تسد جوعته وخرقة تستر عورته وبيت يدفع عنه حره وقره ﴿ والاغتراب ﴾ اى طلب الغربة والهجرة الى موضع الخمول وعدم الشهرة ﴿ واما الاعتزال فى الوطن فلا يخلو عنه ﴾ أى عن نوع من الجاه ﴿ لمعرفة الناس به ﴾ فان المعتزل فى البلد التى هو فيها مشهور لا يخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترشح له فى القلوب بسبب عزلته، فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور بها ، وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتألمت ثم لا يمكنه أن لا يحب المنزلة فى قلوب الناس ما دام يطمع فيهم ، فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع الطمع عنهم أصبح الناس كلهم عنده كالأرازل، فلا يبالى

ثُمَّ الأَوْلَى كَرَاهِيَةُ المَدْحِ وَحُبُّ الذَّمِّ فَوَرَدَ «وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ المِدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ المَذَمَّةَ» ثُمَّ التَّسْوِيَةُ وَيُعْرَفُ بِتَسْوِيَةِ المَادِحِ وَالذَّامِّ فِى اسْتِثْقَالِ جُلُوسِهِمَا وَالفَرَحِ بِسُرُورِهِمَا وَالغَمِّ بِمُصِيبَتِهِمَا ثُمَّ عَكْسُ الأَوَّلِ دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ثُمَّ بِإِظْهَارِهِمَا

أكان له منزلة فى قلوبهم فلا يبالى بما فى قلوب الذين هم منه فى أقصى المشرق أو المغرب لانه لايراهم ولايطمع فيهم، ثم لايقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن قنع شبع واستغنى عن غيره، ومن هنا ورد «لايكمل ايمان أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر».

﴿ثم الأولى﴾ فى باب العلاج ﴿كراهية المدح وحب الذم﴾ فان معالجة الفساد انما تكون بالاضداد ﴿فورد: ويل للصائم ويل للقائم ويل لصاحب الصوف الامن تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة﴾ كذا فى الأحياء، وقال مخرجه لم أجده هكذا، وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس «ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله» ولم يخرجه ولده فى مسنده ﴿ثم التسوية﴾ أى تسوية المدح والذم بان لاتغمه المذمة ولا تسره المدحة، قال بعض السلف: اذا قيل لك: نعم الرجل أنت فكان أحب اليك أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا به ان لم يمتحن نفسه فى حال انسه ﴿ويعرف﴾ استواء المدح ﴿بتسوية المادح والذام فى استثقال جلوسهما﴾ عنده ﴿والفرح بسرورهما والغم بمصيبتهما﴾ وحزنهما ونحوه من المنع والعطاء فى فعلهما والسعى فى قضاء حاجتهما وما ابعد ذلك عن قلوب اكثر العباد من العلماء والعباد والزهاد. فان وجد فهو الكبريت الأحمر يتحدث به ولا يرى، ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولان لم يؤثر فيه فهذا على خير كثير، وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص الذى هو سبب الخلاص من المناص ﴿ثم عكس الأول﴾ الذى ذكر فى المرتبة الأولى وهى أن يحب المدح ويكره الذم فى الضمير ﴿دون اظهار قول وفعل﴾ فى وجههما بضرب أوشتم أوثناء وعطاء ﴿ثم باظهارهما﴾ أى اظهار القول والفعل فى مقابلة المدح والذم فيقابل الذام

وَحُبُّ الْمَدْحِ كَحُبِّ الْجَاهِ حُرْمَةً وَإِبَاحَةً وَنَفْعاً وَضَرًّا، وَالسَّبَبُ الشُّعُورُ بِكَمَالِ النَّفْسِ وَالاسْتِيلَاءُ عَلَى الْمَادِحِ وَاسْتِمَالَةُ قُلُوبِ السَّامِعِينَ، فَيَقْوَى مِنَ الْمُعْتَبَرِ وَالْمُرْتَفِعِ وَفِي الْمَلَأِ أَقْوَى

بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء، وهو حال أكثر الخلق ﴿وحب المدح كحب الجاه حرمة﴾ ان كان بارتكاب ذنب ﴿وإباحة﴾ ان كان بأمر مباح ﴿ونفعا﴾ أى كان لدفع شر ﴿وضرا﴾ ان كان بجلب نفع محرم كما سبق مفصلا *

﴿والسبب﴾ لحب المدح ثلاثة: ﴿الشعور بكمال النفس﴾ أى استشعار الكمال بسبب قول المادح، فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك: هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصفة بها أم لا فان كنت متصفة بها فهى اما أن تكون صفة تستحقين بها المدح كالعلم والورع فينبغى أن لا تفرحى بها لأن الخاتمة غير معلومة، وأما صفة لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض مما تذروه الرياح ولا ينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا، وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجودها فالمادح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب أن تفرح به بل سبب وجودها هو الله سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى، ومنه قوله عز وعلا: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وان كان الصفة التي مدحت بها وفرحت بسببها أنت خال عنها فرحك بمدحه غاية الجنون عند أهل الفنون؛ اذ مثال ذلك مثال من يهزؤ به انسان ويقول: سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى احشائك، وما أطيب المسك الذى فى أعضائك وأنت تعرف نفسك بكثرة الاقذار والنتن فى أثوابك وأجزائك ﴿والاستيلاء على المادح﴾ فان المدح يدل على تسخير قلب المادح ﴿واستمالة قلوب السامعين﴾ فهذا يرجع الى حب الجاه، وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله ﴿فيقوى﴾ أى حب المدح اذا حصل ﴿من المعتبر﴾ علما وعملا أكثر وأظهر من غيره ﴿والمرتفع﴾ قدره فى الجاه والمال، وفى نسخة المترفع أى من أهل التصدر فى المجالس والمحافل وان لم يكن من ذوى الفضائل ﴿وفى الملأ أقوى﴾ من الخلاء وفيه خطر للممدوح، ولذا قال عليه السلام للمادح «ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة» *

وَالعِلَاجُ عِلَاجِ الجَاه وَعِلْمُهُ أَنَّ الصِّفَةَ المَمْدُوحِ بِهَا إِنْ فُقِدَتْ فَاسْتِهْزَاء وَإِنْ وُجِدَتْ فَالدُّنْيَوِيَّةُ كَمَالٌ وَهْمِيٌّ وَالدِّينِيَّةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الخَاتِمَةِ، وَالأَوْلَى إِظْهَارُ البُغْضِ لِلْمَادِحِ قَطْعًا لِلْفِتْنَةِ، وَسَبَبُ كَرَاهَةِ الذَّمِّ النَّقَائِصُ المَذْكُورَةُ فِي حُبِّ الجَاهِ

﴿ والعلاج ﴾ اى علاج حب المدح شيئان ﴿ علاج الجاه ﴾ اى حبه وقد تقدم حكمه ﴿ وعلمه ﴾ اى المدوح ﴿ ان الصفة الممدوح بها ان فقدت ﴾ بان يكون كذبا ﴿ فاستهزاء ﴾ وهذا كثير فى قصائد الشعراء للاغنياء والامراء ، وقد ورد « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » وهو كناية عن الخيبة ، اوايماء الى دفع شرهم بباب من الابواب وسبب من الاسباب من اعطاء الدراهم والدنانير والثياب، فقد ورد « ماوقى به العرض فهو صدقة » ﴿ وان وجدت ﴾ اى تلك الصفة بان يكون صادقا فى قوله ﴿ فالدنيوية ﴾ من المال والجاه ﴿ كمال وهمى ، والدينية ﴾ من العلم والعمل ﴿ موقوفة على الخاتمة ﴾ اى حسنها وهى غير معلومة ، فانما الاعمال بالخواتيم كما ورد ﴿ والاولى ﴾ فى علاج حب الجاه ﴿ اظهار البغض للمادح قطعا للفتنة ﴾ ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته، ومايدخل على القلب من السرور بمدحته ، ومايتفرع عليه من محنته ، حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شىء فقال : ياأمير المؤمنين انت خير منى وأعلم، فغضب وقال: انى لم آمرك ان تزكينى . وقيل لبعض الصحابة . لن يزال الناس بخير ماابقاك الله فيهم ، فغضب وقال : انى لاحسبك عراقيا . وقال بعضهم لما مدح :اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته . وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق ، فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى ، والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى فى النار مع الاشرار فى دار البوار . فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره ، وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله وبرحمته وليس امره بيد الخلق ، ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذم من سواه ، وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من امر دينه وحب ربه ﴿ وسبب كراهة الذم النقائص المذكورة ﴾ اى الاسباب المسطورة ﴿ فى حب الجاه ﴾ من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب

وَالعِلاَجُ عِلْمُ أَنَّ الصِّفَةَ المَذْمُومَ بِهَا إِنْ وُجِدَتْ فَتَبْصِيرُ العُيُوبِ وَفِيهِ الفَرَحُ وَالشُّغْلُ بِالإِزَالَةِ وَإِنْ فُقِدَتْ فَكَفَّارَةُ الذُّنُوبِ وَفِيهِ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَى وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ «وَوَرَدَ» أَللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ «دَعَا لِقَوْمٍ كَسَرُوا سِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ *

السامعين ﴿ والعلاج ﴾ لكراهة الذم ﴿ علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت ﴾ فيك سواء قصد القائل به النصيحة او التعنت والفضيحة ﴿ فتبصير العيوب ﴾ وهو مطلوب اهل القلوب ﴿ وفيه الفرح ﴾ بالاطلاع على الصفة الذميمة ﴿ والشغل بالازالة ﴾ اى بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكراهة مجال لديها فعن عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى ﴿ وان فقدت ﴾ تلك الصفة بان يكون القائل كاذبا فى المذمة ﴿ فكفارة الذنوب ﴾ اى لبقية مساويك فكأنه رماك بعيب انت برىء منه وطهرك عن عيب انت متلوث به ﴿ وفيه الشكر له تعالى ﴾ اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برىء منه وماستر الله من عيوبك اكثر فتدبر ﴿ والترحم عليه ﴾ اى على الذام ﴿ حيث اهلك نفسه ﴾ بذمك فالمسكين جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم جزائه فلا ينبغى ان يغضب عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهلكه ونحوه فيشمت الشيطان بك وبه بل ينبغى لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه اللهم اهده ﴿ وورد ﴾ فى دلائل النبوة للبيهقى ﴿ اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون دعا ﴾ اى النبى عليه السلام ﴿ لقوم ﴾ من كفار قريش ﴿ كسروا سنه عليه السلام ﴾ اى رباعيته وشجوا رأسه وذلك باحد ، ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال اعلم انى مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببى ، ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك فى قلبك ، واصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال وبها ينقطع الطمع من الجاه والمال واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب فى قلب من طمعت فيه دائما *

﴿الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُعِ وَذِكْرِ الْمِنَّةِ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. وَرَدَ «مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ اللّٰهُ» الشَّرَفُ التَّوَاضُعُ وَضِدُّهُ التَّكَبُّرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الكِبْرِ وَهُوَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الكَمَالِ فَيَحْصُلَ بِهِ نَفْخَةٌ.

﴿الباب الثانى عشر فى التواضع وذكر المنة﴾

اى فى مدحهما وذم ضدهما وهما الكبر والعجب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذى يتواضع له العرش الكريم ﴿ورد﴾ فى الحلية لابى نعيم عن ابى هريرة ﴿من تواضع لله رفعه الله﴾ ومفهومه من تكبر على الله وضعه، وللبيهقى فى الشعب عن ابن عباس اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة، وللاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث انس «ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة» ولمسلم فى اثناء حديث لابى هريرة «وما تواضع احد لله الا رفعه الله» ولاحمد والبيهقى فى الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله ابن عمر «ومن كان فى قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله فى النار على وجهه» وللترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما اصابهم» وللترمذى من حديث اسماء بنت عميس «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تكبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى» ورواه الحاكم فى مستدركه وصححه ﴿الشرف التواضع﴾ فلابن ابى الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى، وعن عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع، وقال الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته، وعن ابن المبارك التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس عليك بدنياك فضل وان ترفع نفسك على من هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل، وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا او ثناء او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالا ﴿وضده التكبر وهو اتباع الكبر﴾ واظهاره كما ان التواضع اتباع الضعة واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره فى صفة الكمال فمن تكبر على امثاله فهو متكبر فى حاله ومن تأخر عنهم فهو متواضع فى مقام كماله ٭

﴿وهو﴾ أى الكبر ﴿ان يرى نفسه فوق غيره فى صفة الكمال فيحصل به نفخة﴾ أى

وَوَرَد «اعوذبك من نَفْخَة الكبر، وآثاره الترفع في المجلس والتقدم في الطرق والنظر بالمآقي وعين الاستحقار

انتفاخ الكبر في نفسه. وعن ابن عباس في قوله تعالى (ان في صدورهم الا كبر ماهم بالغيه) فقال عظمة لم تبلغوها، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وعن ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ماأعظم تجبر فلان فقال أليس بعده الموت؟ البيهقي في الشعب هكذا مرسلا، ويروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: التواضع أن تخرج من منزلك فلا ترى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند أهل التوحيد تكبر، وفي الاحياء لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها ﴿وورد أعوذ بك من نفخة الكبر﴾ روى أبوداود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه فنفخه الكبر ونفثه الشعر أو السحر وهمزه الوسوسة في السر ﴿وآثاره﴾ أي علامات الكبر ثلاثة عشر ﴿الترفع في المجلس﴾ على الاقران أى من غير استحقاق له به ﴿والتقدم في الطرق﴾ على الاخوان مع استحقاقهم به، قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا مامشي خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة، ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: مايبقى هذا من قلب العبد، وكان عليه السلام في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره وأما لنفي وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخلق لأحد هذين المعنيين كذا في الأحياء، والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانبجانية كما تقدم والله أعلم، وللديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي الى البقيع فتبعه أصحابه فوقف وأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال: اني سمعت خفق نعالكم فاشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر ﴿والنظر﴾ الى الغير ﴿بالمآقي﴾ أى بطرف العين تكبرا او تجبرا قال تعالى: (يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور) ﴿وعين الاستحقار﴾ بان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه، فعن ابن وهب: جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ بثوبي فجرني الى

وَتَعْوِيجُ العُنُقِ وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ وَالاتِّكَاءُ، وَقِيَامُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَاءَ «إِنَّ مَنْ قَعَدَ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيَامٌ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»

نفسه وقال: لم تفعلون بى ماتفعلون بالجبابرة؟ انى لا أعرف منكم رجلا شرا منى، وقال أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت . وقد تقدم مخرجه ، ومن ذلك أن يتوقى فى مجالسه المرضى والمبلوابين وعنهم يتحاشى، فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته ، وقد ثبت أنه عليه السلام مع مجذوم وقال له «قل بسم الله ثقة بالله» رواه أبو داود. والترمذى. وابن ماجه من حديث جابر ﴿ وتعويج العنق ﴾ مع تحريك الأطراف ﴿ واطراق الرأس ﴾ فروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من فى بطنه خراء ، فقال عمر كالمتعذر: يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ، وعن الحسن: ان فى كل عضو من الأعضاء لله نعمة والشيطان به لعنة ، ورأى محمد بن واسع ولده يمشى يختال فدعاه فقال: أتدرى من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم ، وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ، ولأحمد. والطبرانى. والحاكم. وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان» ولعله مقتبس من قوله تعالى: (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ومن قوله: (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة «لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا» وفى لفظ مسلم «خيلاء» ﴿ والاتكاء ﴾ اى الميل الى احد جوانبه بحضور اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة فى بابه ، وكذا حكم التربع المشير الى الترفع ﴿ وقيام الناس بين يديه ، فجاء ﴾ اى فى الخبر او الاثر ﴿ ان من قعد والناس بين يديه قيام ﴾ واقفون بامره ﴿ فهو من اهل النار ﴾ والحديث معروف بلفظ «من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » احمد وابو داود والترمذى عن معاوية ، وفى الشمائل للترمذى عن انس « لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك » وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يفلح ابدا: وقال الشبلى: من رأى لنفسه

وَالْمَشْيُ رَاكِبًا مَعَ الْمُشَاةِ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ إِلَّا بِشَخْصٍ عَقِيبَهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْشِي بَيْنَ الْجَمْعِ غَيْرَ مُتَقَدِّمٍ وَعَمَلِ الْبَيْتِ وَحَمْلِ السِّلْعَةِ فَوَرَدَ مَنْ حَمَلَهَا فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ الْكِبْرِ

قيمة فليس له من التواضع حصة . والتحقيق ان من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ، ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الحق ﴿ والمشي ﴾ اى الخروج ﴿ راكبا مع المشاة ﴾ بين يديه ﴿ وترك الخروج ﴾ من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة ﴿ الا بشخص ﴾ او اشخاص ﴿ عقيبه ، وكان عليه السلام يمشي بين الجمع غير متقدم ﴾ كما تقدم ﴿ وعمل البيت ﴾ اى وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ، ففي مسند احمد « عن عائشة انه عليه السلام كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم » وللبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برىء من الكبر » وبالجملة فجامع حسن الاخلاق تؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه من اصحابه الكرام ، ولما عوتب عمر في بذاذة هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره ﴿ وحمل السلعة ﴾ اى وتركه ﴿ فورد من حملها ﴾ اى سلعته ، وفي رواية بضاعته ﴿ فقد برىء من الكبر ﴾ البيهقي عن ابي امامة . ولابي يعلى الموصلي عن ابي هريرة انه عليه السلام حمل سروالا اشتراه لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال « صاحب المتاع احق بحمله » وعن علي كرم الله وجهه »

لا ينقص الكامل من كماله * ما جر من شيء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح ـ وهو امير ـ يحمل سطلا له من خشب الى الحمام . وقال ثابت بن مالك : رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال : اوسع الطريق للامير يا ابن مالك . وعن الاصبغ بن ابي نباتة قال : كأني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم : رأيت عليا يشتري لحما بدرهم فحمله في ملحفته ، فقلت له : احمل عنك يا امير المؤمنين ، فقال : لا ابو العيال احق ان يحمل . ويروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له : يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبيتك ما يكفونك

وَاحْتِمَال الْأَذَى فَهُوَ الْأَصْلُ الْمَأْثُور وَلِبَاس الدُّون فَوَرَدَ «مَنْ تَرَكَ زِينَةَ لله وَوَضَعَ ثِيَابًا حَسَنَةً تَوَاضُعًا لله وَابْتِغَاء وَجْهِهِ كَانَ عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ عَبْقَرِيَّ الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدِيدَ وَلَبِسَ الْعَتِيقَ لِلتَّعْلِيمِ أَوِ الْبُعْدِ عَنِ الْوَسْوَسَةِ إِلَّا لِلنَّظَافَةِ

فقال اجل ، ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى ، فلم يقنع منها بما اعطيه من العزيمة على ترك الانفة حتى يجربها اهى صادقة ام كاذبة؟ وروى ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه : يا امير المؤمنين ماحملك على هذا؟ فقال: ان نفسى اعجبتنى فاردت ان اذلها ، وروى ان اباموسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس ﴿ واحتمال الاذى ﴾ اى وتركه ﴿فهو﴾ اى احتمال الاذى من السب وغيره ﴿ الاصل ﴾ الذى عليه مدار حسن الخلق والتواضع للحق ﴿المأثور﴾ المروى عن السلف والخلف خلافا لاجلة الحشيش والعلف، وقد قدمنا مانقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب ﴿ولباس الدون﴾ اى وترك اللباس الخشن او الخلق او المرقع ﴿فورد من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة﴾ اى دفعها مع القدرة عليها ﴿ تواضعا لله وابتغاء وجهه ﴾ اى لا للرياء والسمعة فى حقه ﴿ كان على الله ﴾ اى واجبا بمقتضى وعده ﴿ان يدخله عبقرى الجنة﴾ اى ديباجها من سندسها واستبرقها ، ابو سعد الماليني فى مسند الصوفية ، وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس «من ترك زينة الدنيا لله » الحديث . وقد ورد «البذاذة من الايمان» ابو داود . وابن ماجه من حديث ابى امامة بن ثعلبة . وقال هارون : سألت عن معنى البذاذة فقيل هو الدون من اللباس ، وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اى جلد . وعوتب عليّ فى ازار له مرقوع فقال : يقتدى بى المؤمن ويخشع له القلب . وقال عيسى عليه السلام : جودة اللباس خيلاء القلب . وقال طاوس : انى لاغسل ثوبيّ هذين فانكر قلبي ماداما نقيين . وقيل لسلمان : الا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا أعتقت يوما لبست ، اشار به الى العتق فى الآخرة وما اعدالله لعبيده من الثياب الفاخرة ﴿ ونزع عليه السلام الجديد ﴾ اى من الشراك والخميصة ﴿ ولبس العتيق ﴾ منهما ﴿للتعليم﴾ اى لتعليم غيره ﴿او البعد عن الوسوسة﴾ فى نفسه على ما تقدم ﴿الا للنظافة﴾

فَوَرَدَ نَفْيُ الْكِبْرِ فِي حُسْنِ الثِّيَابِ لِمَعْرِفَةِ حَالِ السَّائِلِ، وَيُعْرَفُ بِتَسْوِيَةِ الْخَلَاءِ وَالْمَلَأِ وَالْغَضَبِ عَلَى مَنْ لَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ وَالِاهْتِمَامِ بِإِصَابَةِ الْخَصْمِ الْمُنَاظِرِ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ

اى بقصدها فانه حينئذ لابأس بترك الدون من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر الناس ﴿ فورد نفي الكبر فى حسن الثياب لمعرفة حال السائل ﴾ اى لمعرفته عليه السلام لحال السائل ومقامه من المرام ، فى الطبرانى من حديث ثابت بن قيس بن شماس انه سأل النبي عليه السلام وقال : انى امروء قد حبب الى من الجمال ماترى فهل من الكبر ؟ فقال لا ، ولكن من سفه الحق اى جهله وانكره ، وغمص الناس اى حقرهم. رواه احمد من حديث عقبة بن عامر . وفى رواية مسلم عن ابن مسعود « الكبر من بطر الحق وغمط الناس » وفى روايةالترمذى « من بطر الحق وغمص الناس » وقال حسن صحيح ، وفى روايةابن بكار عن ابن مسعود قال « جاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليعجبنى ان يكون ثوبى غسيلا ورأسى دهينا وشراك نعلى جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه أفمن الكبر هذا ؟ فقال عليه السلام لا هذا من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس » ﴿ ويعرف ﴾ أى حال من يلبس للنظافة ، أوكونه مظهرا للغنى شكرا للنعمة ، اوكونه فقيرا يرى نفسه غنيا للعفة ﴿ بتسوية الخلاء والملأ ﴾ عنده فى لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس فى الخلاء للصلاة وغيرها ما يلبس فى الملأ عند حضور الجماعة ونحوها ، ثم المحبوب الوسط المطلوب، فللنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولامخيلة » ﴿ والغضب ﴾ بالرفع عطف على الترفع ، اى ومن آثار الكبر الغضب ﴿ على من لا يبدأ بالسلام ﴾ اولا يبادر بالقيام ونحوه من انواع الاكرام ﴿ والاهتمام ﴾ بالرفع أى والاغتمام ﴿ باصابة الخصم المناظر ﴾ اى المجادل فى منقوله ﴿ والانكار عليه ﴾ اى وبانكار الخصم عليه فى معقوله، وتوضيحه ان يناظر فى مسئلة مع واحد من اقرانه ، فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتق الله وليشتغل بعلاجه ، اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خبثة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى ، واما بالعمل

وآفاته منازعته تعالى فورد «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته» وبغضه تعالى فورد إنه لا يحب المستكبرين، وعمى القلب فورد (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون ـ ويطبع الله على كل قلب متكبر جبار)، والذل

فبأن يكلف نفسه ماثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز في الاداء ويشكره على الاستفادة ويقول: ماأحسن مافطنت له من الافادة وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله عني خيرا على مانبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها فينبغي ان يشكر من دله عليها *

﴿ وأفاته ﴾ اى الكبر ستة ﴿ منازعته تعالى ﴾ اى في مشاركته سبحانه في بعض صفاته ﴿ فورد ﴾ في صحيح مسلم: وغيره ﴿ الكبرياء ردائي ﴾ اى بمنزلته في اظهار ملكي وجبروتي ﴿ والعظمة ازاري ﴾ اى بمنزلته في اسرار ملكوتي والمعنى انهما صفتان مختصتان بي كما ان رداء الانسان وازاره مختصان به ولا يشاركه احد في لبسه ﴿ فمن نازعني فيهما ﴾ اى واحدا منهما كما في رواية ﴿ قصمته ﴾ اى اهلكته، وفي رواية عذبته، وفي اخرى ألقيته في جهنم، وفي اخرى قذفته في النار ﴿ وبغضه تعالى ﴾ اى له في الدنيا والاخرى ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾ ومفهومه انه يحب المتواضعين ﴿ وعمى القلب ﴾ بمعرفة الرب ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ اى المنصوبة في الآفاق والانفس من مصنوعاتي. وقيل في التفسير سادفع فهم القرآن عن قلوبهم ﴿ الذين يتكبرون ﴾ تمامه (في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن مشاهدة ملكي وملكوتي وعجائب قدرتي وغرائب جبروتي . وقال ابن جريج : سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ، ولذا قال عيسى عليه السلام : ان الزرع ينبت في السهل لا في الوعر ، وكذلك الحكمة تنمو في قلب المتواضع دون المتكبر الاترى ان من تمشخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظله واكنه ﴿ ويطبع الله على كل قلب متكبر ﴾ بالاضافة ودونها ﴿ جبار ﴾ مبالغ في الفساد من قهر العباد وكسر البلاد ﴿ والذل ﴾ اى المذلة في العاقبة والمهانة في الآخرة . فللترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده « المتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله » وعن

وَالبَعثُ عَلَى الذَّمَائِمِ كَتَغَيُّرِ الخَلْقِ وَالجَحْدُ عَنِ الحَقِّ وَالحَجْبُ عَنِ الفَضَائِلِ كَالتَّوَاضُعِ وَالحِلْمِ وَالنَّصِيحَةِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَلَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالعَبْدُ الرَّقِيبُ يَضْرِبُ وَلَدَ المَوْلَى عِنْدَ الإِسَاءَةِ وَيَتَوَاضَعُ لَهُ، ثُمَّ التَّخَاسُسُ كَتَأَخُّرِ العَالِمِ عَنِ الخَصَّافِ مَذْمُومٌ أَيْضًا كَعَكْسِهِ

حاتم: اجتنب الموت على ثلاثة: على الكبر والحرص والخيلاء، فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدمه، والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة اوشربة ولا يجد مساغا، والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره ﴿ والبعث ﴾ اى التحريض والحث ﴿ على الذمائم ﴾ من صفات البهائم ﴿ كتغير الخلق ﴾ من اثر سوء الخلق كالبشاشة الى العبوسة ﴿ والجحد عن الحق ﴾ اى بانكاره وعدم اقراره، وقد سبق فى الحديث تفسير الكبر المذموم به، ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف نجاس اليك وعندك هؤلاء الفقراء؟ فنزل قوله تعالى: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) رواه مسلم وابن ماجه ﴿ والحجب ﴾ اى ومنعه ﴿عن الفضائل﴾ وحجزه عن حسن الشمائل ﴿ كالتواضع ﴾ للحق ﴿والحلم﴾ عن الخلق ﴿والنصيحة﴾ للعامة من غير الفضيحة ﴿والامر بالمعروف﴾ اى وكذا النهى عن المنكر ﴿ ولا يستلزمه ﴾ اى الامر بالمعروف التكبر ﴿ فالعبد الرقيب ﴾ بأمر الحبيب ﴿ يضرب ولد المولى عند الاساءة ويتواضع له ﴾ مع ذلك بعد تلك الحالة ﴿ ثم التخاسس ﴾ اى طلب الخسة المسمى بالضعة وهو الافراط فى التواضع ﴿ كتأخر العالم عن الخصاف ﴾ ونحوه من الداف والعلاف فى المجلس او الطريق ﴿ مذموم ايضا كعكسه ﴾ وللبغوى. وابن قانع والطبرانى والبزار من حديث انس « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة »، ومن ذلك حديث « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود من قوله « من خضع لغنى ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه » وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان واركان، وفى تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح. وله عن انس بلفظ « من اصبح حزينا على الدنيا اصبح

فَالتَّواضعُ معه يعدمُ الاستحقارَ وَاظهارُ البِشْرِ وَالرِّفْقِ وَاجابَةُ الدَّعْوَةِ وَ السَّعْي فِى الْحَاجَةِ لَكِنِ التَّكَبُّرُ أَخْشُ، وَالسَّبَبُ الْعُجْبُ فَقَطْ

ساخطاعلى ربه ،ومن اصبح يشكو مصيبته فانما يشكو ربه ،ومن دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه» واخرج الديلمى من حديث ابى ذر « لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه »و كذا ابو داود ، ولم يصب ابن الجوزى فى ذكره فى الموضوعات كما قاله السيوطى . ومن التخاسس بل اخسه ان يمشى العالم خلف الظالم ، ولذا قيل : بئس الفقير على باب الامير ، ونعم الامير على باب الفقير . وعن يحيى بن معاذ : التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع . ويقال : التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء احسن ، والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح، وكان بشر الحافي يقول :سلموا على ابناء الدنيابترك السلام ﴿ فالتواضع معه يعدم الاستحقار ﴾فمن الصديق ولا يحقرن احدكم احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير » ولمسلم من حديث ابى هريرة « بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم » ﴿ واظهار البشر ﴾ وفق مرامه ﴿ والرفق ﴾ بحسب مقامه ﴿ واجابة الدعوة ﴾ فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه ﴿ والسعى في الحاجة ﴾لقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى)وحديث « من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه » فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد«اذااتاكم كريم قوم فاكرموه » ﴿ لكن التكبر الخش ﴾ من التخاسس اذورد عن بعض المشايخ ما يقاربه و كأنه كان فى مقام المعالجة .

﴿ والسبب ﴾ أى سبب الكبر الحقيقى ﴿ العجب فقط ﴾ أى العجب سبب الكبر والكبر سبب التكبر،فسبب سبب الشيء سبب لذلك الشيء وهو مذموم،قال تعالى:(ويوم حنين اذاعجبتكم كثرتكم) ذكر ذلك الأخبار في معرض الانكار.ولأبى داود والترمذى وحسنه. وابن ماجه «اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك» وللبزار والبيهقى فى الشعب من حديث أنس «لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب» وعن مطرف لان أبيت نائما واصبح نادما أحب الى من أبيت قائما وأصبح معجبا. وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله فأطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر ففطن له بشر،فلما انصرف من الصلاة

وَيُطْلَقُ مَجَازًا لِوُجُودِ آثَارِهِ عَلَى الْمُنْبَعِثِ مِنْ غَيْرِهِ كَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَيَخْتَصُّ هَذَا بِالْمَلَأِ، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ وَمُوَاظَبَةَ أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالتَّكَلُّفُ فِيهِ وَقَلْعُ الْعُجْبِ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَخِصَالِهَا الَّتِي هِيَ النِّعَمُ

قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه. وقيل لعائشة: متى يكون الرجل مسيئا؟ قالت: اذا ظن أنه محسن، وكأنه مقتبس من قوله تعالى: (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفى الصحيحين « بينما رجل يتبختر فى برديه قد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ».

﴿ ويطلق ﴾ أى الكبر ﴿ مجازا أى بطريق المجاز ﴾ لوجود آثاره أى آثار الكبر من أسراره ﴿ على المنبعث من غيره ﴾ أى على الكبر المنبعث من غير العجب ﴿ كالحقد ﴾ فى الباطن ﴿ والحسد ﴾ أعم ﴿ والرياء ﴾ فى الظاهر ﴿ ويختص هذا ﴾ أى الأخير وهو الكبر المنبعث من غير العجب ﴿ بالملأ ﴾ دون الخلاء والمعنى أن الرياء يختص بالملأ دون الحقد والحسد والعجب فان الذى يتكبر بها يستوى فى الخلاء والملأ.

والحاصل أن آثار الكبر اذا ظهرت من الكبر تسمى تكبرا حقيقة واذا ظهرت من غير الكبر كالحقد والحسد والرياء تسمى تكبرا مجازا، ثم أعلم أن العجب انما هو بالأسباب التى بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى تزين له بجهله، وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرأيه.

﴿ والعلاج ﴾ أى علاج الكبر خمسة أشياء ﴿ ذكر ما ورد فيه ﴾ أى فى ذم الكبر من الأخبار ﴿ وأحوال السلف الاخيار وما ﴾ صدر عنهم من الآثار فى ترك الكبر واختيار التواضع ﴿ ومواظبة أخلاق المتواضعين ﴾ من العلماء الأبرار والمشايخ الكبار ﴿ والتكلف فيه ﴾ أى فى رفع العجب بدفع الحجب والتكلف فى تحصيل أخلاق المتواضعين بالتشبه فى أفعالهم والتزين بأحوالهم والتصنع بأعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص، ويشير اليه حديث ان لم تبكوا فتباكوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم. ﴿ وقلع العجب ﴾ أى استئصاله من أصله وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل أصل قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه ﴿ وهو ﴾ أى العجب ﴿ استعظام النفس ﴾ أى عدها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها ﴿ وخصالها التى هى النعم ﴾ فيها جسيمة وسيمة

مَعَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَنِسْيَانُ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْأَمْنُ مِنَ الزَّوَالِ فَمَنْ رَأَى النِّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَفَرِحَ بِهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مِنْهُ وَخَافَ عَلَى الزَّوَالِ لَا يَكُونُ مُعْجَبًا وَهُوَ غَيْرُ الْإِدْلَالِ فَهُوَ عُجْبٌ مَعَ رُؤْيَةِ حَقِّ النَّفْسِ عِنْدَهُ تَعَالَى، فَوَرَدَ: «أَنَّ صَلَاةَ الْمُدِلِّ لَا تُرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ»، وَيُعْرَفُ بِالتَّعَجُّبِ عَنْ رَدِّ دُعَائِهِ وَاسْتِقَامَةِ حَالِ مُؤْذِيهِ وَغَيْرُ الْكِبْرِ لِكَوْنِهِ أَثَرَهُ وَاسْتِدْعَائِهِ الْمُتَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، وَآفَاتُهُ الْهَلَاكُ فَهُوَ عُدَّ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ

(مع الركون اليها) أى الى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الاضافة) أى نسبة النعم (اليه تعالى) وهو المنعم بجميع النعم على جميع الأمم (والأمن من الزوال) لتوهم انه من أهل الكمال (فمن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرح بها من حيث أنها منه) اى من الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وثنا، (وخاف على الزوال) أى زوال تلك النعمة انتهاء (لا يكون معجبا) وان كان مستعظما لها (وهو) اى العجب (غير الادلال فهو) اى الادلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على ظنة أن لها الكمال، فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء، والادلال لا يتم إلا مع توقع جزاء (فورد إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها، والحديث كذا فى الاحياء، وقال مخرجه لم أجد له أصلا، وقال قتادة فى قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أى لا تدل بعملك. قيل: ولان تضحك وأنت معترف بذنبك خير من ان تبكى وأنت مدل بعملك أو بعلمك (ويعرف) اى الادلال والمدل (بالتعجب) اى بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه فى كشف بلائه او استجلاب عطائه بناء على ظن أنه من أهل ولائه (واستقامة حال مؤذيه) أى ويعرف ايضا بتعجبه عن استقامة أهل ايذائه (وغير الكبر) أى والعجب ليس عين الكبر بل غيره (لكونه) اى الكبر (أثره) اى العجب والأثر غير المؤثر (واستدعائه) اى ولاستدعائه الكبر (المتكبر عليه) بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعى غير المعجب به (وهو) اى العجب (مذموم) لما تقدم (وآفاته) اى العجب ثمانية (الهلاك فهو) أى العجب (عد من المهلكات) فقد ورد «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع

وَنِسْيَانُ الذُّنُوبِ وَاسْتِحْقَارُهَا وَتَرْكُ التَّدَارُكِ وَتَفَقُّدُ آفَاتِ العَمَلِ عَلَى زَعْمِ أَنَّهُ مَغْفُورٌ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى وَالاسْتِنْكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالاتِّعَاظِ وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ، وَوَرَدَ (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) وَضِدُّهُ وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى فَرْضٌ إِنْ حَدَثَ دَاعِيَةُ العُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالأَفَنَفْلٌ، وَالسَّبَبُ خُبْثُ الطَّبْعِ وَهُوَ دَاءٌ مُعْضِلٌ، وَالجَهْلُ بِالحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَمَالِ النَّفْسِ

وأعجاب المرء بنفسه» البزار والبيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر ﴿ونسيان الذنوب﴾ فانه لو ذكرها لما أعجب مع وجود العيوب . وعن عيسى عليه السلام : «كم من سراج قد أطفأه نسيان الذنوب ، وكم من عمل قد أفسده العجب» ﴿واستحقارها﴾ أي إستصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها ﴿وترك التدارك﴾ أي لما فاته من الطاعات والعبادات وحقوق الآدميين والحيوانات ﴿وتفقد آفات العمل﴾ أي وترك تفقدها وتعهدها ﴿على زعم أنه مغفور﴾ أي بناء على توهم أنه غير مأخوذ بنقصها ﴿والامن من مكره تعالى﴾ ولو بالكرامات وخوارق العادات (فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) ﴿والاستنكاف﴾ أي العار ﴿من التعلم﴾ عن الأبرار وهذا من كمال جهله ﴿والاتعاظ﴾ أي ومن الاتعاظ بغيره وقد ورد «كفى بالموت واعظا والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره» ﴿وتزكية النفس﴾ أي ومن آفات العجب ثناؤها ومدحها ﴿وورد﴾ في التنزيل ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ تمامه (هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقويها قد أفلح من زكيها وقد خاب من دسيها) وقال عليه السلام «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكيها أنت وليها ومولاها» قال ابن جريج: معنى قوله فلا تزكوا أنفسكم إذا عملت خيراً لا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها اى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ﴿وضده﴾ مبتدأ أي ضد العجب ﴿وهو ذكر توفيقه تعالى﴾ جملة معترضة مفسرة للمنة التي هي ضد العجب ﴿فرض﴾ أي حتم لازم ﴿ان حدث داعية العجب في خاطره والافنفل﴾ في أمر باطنه وظاهره ﴿والسبب﴾ أي سبب العجب ﴿خبث الطبع وهو﴾ أي خبث الطبع ﴿داء﴾ معنوي ﴿معضل﴾ أي مشكل لا دواء له ﴿والجهل بالحقائق واعتقاد كمال النفس﴾ أي بحقائق النفس ودقائقها وهو أنها من أي شيء خلقت ابتداء وما تكون في عاقبة أمرها انتهاء فانه

وَالعِلاَجُ قَلْعُ السَّبَبِ بِالنَّظَرِ فِى حَقَارَةِ النَّفْسِ فَأَوَّلُهَا النُّطْفَةُ وَآخِرُهَا الجِيفَةُ وَأَنَّهُ

مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فانه لا يليق به الا التواضع والمسكنة ، واذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله وحده، ثم معرفة ربه وعظمته ومجده، فالقول فيه يطول وهو الى علم المكاشفة يؤل . وأما معرفة نفسه فيكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب ربه ففيه علم الأولين والآخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى (قتل الانسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) وفى الاحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جزيل { والعلاج } للعجب { قلع السبب } له { بالنظر } أى بالتأمل { فى حقارة النفس } وخساستها { فأولها النطفة } أى المذرة لما قال تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) { وآخرها الجيفة } أى القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وعن الحسن : العجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات ، وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره ، فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه ، فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقيل فى قوله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) هو سبيل الغائط والبول، وفى قوله تعالى : (كانا يأكلان الطعام) ايماء الى انهما يبولان ويتغوطان (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق ولا يعرفون انهما لا يستحقان الربوبية مع ما ظهر فيهما من أثر العبودية ، ولابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بشر بن جحاش « ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليها وقال يقول الله : ابن آدم اتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد - أى رزانة وثقالة - جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى أوان الصدقة منك » ويروى ان مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى المهلب بن أبى صفرة وهو يتبختر فى جبة خز فقال : يا أبا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفنى . فقال بلى اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذينك عذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته . وقال مجاهد فى قوله تعالى: (ثم ذهب الى اهله يتمطى) اى يتبختر ثم قال عز وعلا : (ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى).{ وانه } اى وبالنظر

لَو استَأْذَنَ عَلَى أَمِير البَلْدَة رُبَّمَا لَا يَأذَنُ لَهُ وَأَحوالهَا الهَاجمَة كَالمحَن وَالشَّدائد

فى انه ﴿ لو استأذن ﴾ للدخول ﴿ على امير البلدة ربما لا يأذن له ﴾ اى لحقارته عنده ، فاى فائدة فى عجبه بنفسه والامير من ارذل الخدام على باب الملك العلام ، وقد اذن الله سبحانه حتى يعبده لدبه ويثنى عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه مع معايبهما ووعد به من الثواب الجزيل على ادائهما فى اقل مراتبهما ﴿ واحوالها ﴾ اى وبالنظر فى احوال النفس ﴿ الهاجمة ﴾ اى الآتية بغتة بالورود عليها والوجود لديها ﴿ كالمحن والشدائد ﴾ المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب ، فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره ، فيقول منعى من قوت يومى وانا الفاضل العاقل ، وافاض على غيرى وهو الجاهل الغافل ، حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام « كاد الفقر ان يكون كفرا » ولا يدرى المغرور بعلمه المعذور فى جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه فى ظاهر الحال ، اذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى اوهلا رزقتنى احدهما ، والى هذا اشار على كرم الله وجهه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء . فقال : ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ، ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع من ذلك ، ومن هنا قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآيات . وقال عز وعلا (كل حزب بما لديهم فرحون) وفى الحديث « اللهم قنعنى بما رزقتنى » ولله در القائل .

رضينا قسمة الجبار فينا ٭ لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب ٭ وان العلم يبقى لا يزال

وقال عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا عن احد من خلقه وقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما . وقد رأى النبى ﷺ رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه السلام « أخشيت ان يعدو عليك فقره » رواه أحمد . وقال أبو ذر : « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا اباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه خلقان

وَأَعْمَالِهَا فَأُجْرَةُ أَجِيرٍ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَحْرُسُ طُولَ اللَّيْلِ دِرْهَمَانِ وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمَالَ الْخَسِيسُ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْأَخْطَارِ، وَكَرَمِهِ تَعَالَى بِالتَّوْفِيقِ وَوَعْدِهِ الثَّوَابَ الْمُخَلَّدَ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَعَ جَلَالِهِ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ عَنْ إِدْرَاكِهِ، وَبِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْكَمَالَ الدُّنْيَوِيَّ وَهْمِيٌّ كَمَا سَبَقَ وَالدِّينِيَّ يُنَافِيهِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى

فقال: يا اباذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا» رواه ابن حبان فى صحيحه ﴿ واعمالها ﴾ اى وبالنظر فى اعمال النفس اى من اعمالها واهمالها ﴿ فاجرة اجير يعمل طول النهار اويحرس ﴾ ذلك الاجير ﴿طول الليل درهمان﴾ اى لذلك الاجير او لكل منهما، اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله فى موقع الرضا والقبول والا فاجره اجر الاجير المعمول، وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حينئذ بعض دلالها ﴿ وانما يعطى المال الخسيس بالاستخدام على الدوام ﴾ فى العمل النفيس ﴿ والالقاء فى الاخطار) كالغوص فى الماء وتعليق البناء من جانب الهواء فى جو السماء، وانت تصلى ركعتين فى غمضة العين بقوة ماأعطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة، وتطمع ماوعدك من الدرجات الذاخرة فى الدار الآخرة فتعجب منهما وتستعظمهما وليس هذا شان العاقل ﴿ وكرمه تعالى ﴾ اى وبالنظر الى كرمه ولطفه ﴿ بالتوفيق ﴾ اى بالاعانة على الطاعة والعبادة ﴿ ووعده ﴾ اى وبوعده سبحانه ﴿ الثواب المخلد ﴾ اى المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد فى الخبر ﴿ على ساعة من العمل المعيوب ﴾ فى حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته ﴿ والنظر ﴾ أى وكرمه بنظره ﴿ اليه ﴾ واقباله عليه وهو حقير ذليل فى مقداره ﴿ مع جلاله ﴾ اى عظمة الله فى جماله ﴿ الذى عجز العالمون ﴾ من الانبياء والأولياء ﴿ عن ادراكه ﴾ أى ادراك كنه كماله ﴿ وبمعرفة ﴾ عطف على بالنظر أى وبعلم ﴿ ان الكمال الدنيوى ﴾ من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار من الرجال ﴿ وهمى ﴾ لزواله بالموت فى مآله ﴿ كما سبق ﴾ فى حب الجاه ﴿ والدينى ﴾ من العلم النافع والعمل الصالح ﴿ ينافيه ﴾ اى العجب ﴿ فالعلم النافع ﴾ فى الدنيا والاخرى ﴿ مايزيد خوفا منه تعالى ﴾ كما قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وورد

وَلَا عِبْرَةَ لِغَيْرِهِ وَلَا عَمَلَ دُونَهُ فَهُوَ شَرْطُهُ هَذَا وَلَا يَصْلُحُ النَّسَبُ لِلتَّعْوِيلِ فَهُوَ تَعَزُّزٌ بِالْغَيْرِ وَوَرَدَ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِعْمَلَا لَا نَفْسَكُمَا فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمَا شَيْئًا حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

« انا اعلمكم بالله واخشاكم منه » ومن لم يزدد من العلم زهدا لم يزدد من الله الا بعدا ﴿ ولاعبرة لغيره ﴾ اى لغير العلم النافع فقد تعوذ منه عليه السلام حيث قال « واسألك علما نافعا » « واعوذ بك من علم لاينفع » واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية، واماماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق المجادلات، فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ بها كبرا وشقاقا بل كفرا ونفاقا، وهذه العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما ﴿ ولاعمل ﴾ موجود ﴿ دونه ﴾ اى بدون العلم ﴿ فهو ﴾ اى العلم ﴿ شرطه ﴾ اى العمل صحة وكمالا فلا يستقيم لغيره فى جميع عمره ﴿ هذا ﴾ الكلام مضى ، او احفظ هذا ﴿ ولا يصلح النسب ﴾ اى المجرد عن الحسب ﴿ للتعويل ﴾ اى الاعتماد عليه والاستناد اليه ﴿ فهو تعزز بالغير ﴾ اى بغيره سبحانه ، فروى « من تعزز بالعبيد اذله الله » ولابى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث ابى هريرة « ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقدصاروا فحما فى جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الذى تزوف بانافها القذر » وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال : لكنى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم ماآلى الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم ، وروى ابن المبارك « عن ابى ذر قال قاولت رجلا عند النبى ﷺ فقلت له : ياابن السوداء فقال عليه السلام : ياابا ذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه، ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل » قال ابو ذر: فاصطجعت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى . ولله در القائل:

لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

﴿ وورد ﴾ فى التنزيل ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ تمامه (يومئذ ولايتساءلون فمن ثقلت موازينه) الآيات ﴿ يافاطمه بنت محمد ويا صفية بنت عبدالمطلب اعملا لانفسكما فانى لاأغنى ﴾ اى لاادفع ﴿ عنكما شيئا ﴾ اى من العذاب ﴿ حين ﴾ اى خاطبهما حين ﴿ نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ فى الصحيحين من حديث ابى هريرة

وَلَا الجَمَالُ فَالاعْتِبَارُ لِلبَاطِنِ وَهُمَا مَمْلُوءَانِ بِالأَقْذَارِ وَالرَّذَائِلِ، وَلَا المَالُ وَلَا القُوَّةُ وَلَا الأَتْبَاعُ فَوَرَدَ (حَتَّى اذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً) الآيَةَ (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) الآيَة

وفى مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة الحديث وفيه «الاان لكا رحما سأبلها ببلالها» وللطبرانى من حديث عمران بن حصين «يامعشر بنى هاشم يأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم» وقال «اترجوسليم شفاعتى ولايرجوها بنوعبد المطلب» الطبرانى فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر ﴿ ولا الجمال ﴾ اى ولايصلح للتعويل الجمال الظاهر المتغير فى المآل ﴿ فالاعتبار للباطن ﴾ والقلب من الكمال ﴿ وهما مملوآن بالاقذار ﴾ الحسية ﴿ والرذائل ﴾ المعنوية وخاليان عن الفضائل العلمية والفواضل العملية، وللديلمى والقضاعى عن على مرفوعا «آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء» ﴿ ولا المال ﴾ لانه سريع الزوال ﴿ ولا القوة ﴾ اذ لا حول ولا قوة الا بالله، ثم لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه، وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته، وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته، وان حمى يوم تأخذ من قوة عديدة مالا تنجبر فى مدة مديدة . ثم ان اقوى انسان لايكون اقوى من حيوان، فاى افتخار بين ارباب العظائم بما سبق به البهائم، وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا قوة (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة) وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تلك القطعة من الجبل حتى صارت فى عنقه كالخرزة، وقد ورد «ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» . والحاصل ان القوة المحمودة هى التى تصرف فى العبادة التى هى وسيلة للسعادة ﴿ ولا الاتباع ﴾ اى الاشياع الملتزمين للاتباع ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ حتى اذا فرحوا ﴾ اى فرح بطر ﴿ بما اوتوا ﴾ اى من كثرة المال وقوة الحال وغلبة الرجال ﴿ اخذناهم بغتة ﴾ فجأة ﴿ الآية ﴾ (فاذاهم مبلسون) اى آيسون متحيرون (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين) ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴾ اى يخاطبه ويناظره ﴿ الآية ﴾ اى (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حتى اجابه صاحبه بقوله (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين

(يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) الآية، ولا العمل فورد: (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ولا العلم فالاطلاع على الذنوب الباطنة صعب، والخاتمة مع هذا مستورة

خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) ومن ذلك تكبر قارون وتجبره لما اخبر سبحانه عنه بقوله: (فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون) الآيات ﴿يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية﴾ اى (وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) ﴿ولا العمل﴾ اى المجرد عن القبول ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا﴾ (افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدالهم سيئات ماعملوا) وبالجملة من جوزان يكون شقيا عند الله فماله سبيل ان يتكبر على من سواه، ويشير اليه قوله تعالى: (والذين يؤتون ماأتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون) أى يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها، فالكبر دليل الامن والامن مبعد. والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ﴿ولا العلم﴾ أى المجرد من العمل الظاهر والباطن ﴿فالاطلاع على الذنوب الباطنة صعب﴾ والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لايمكن الا اذا كان هناك كسب ووهب، ومن هنا ورد «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وقد تقدم. وفى الصحيحين «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه» وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال فى بلعام بن باعورا (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا) الى قوله (فمثله كمثل الكلب) قال ابن عباس أوتى بلعام كتابا فاخلد الى شهوات الارض أى سكن حبه اليها فمثله بالكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. أى سواء آتيته الحكمة أولم أوته فلا يدع شهوته، ومن هنا كان بعض الصحابة يقول ياليتنى لم تلدنى أمى، ويأخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول: ياليتنى كنت هذه التبنة ويقول الآخر: ياليتنى كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما أشار اليه المصنف بقوله ﴿والخاتمة مع هذه مستورة﴾ والروايات بأن المدار على الخاتمة مشهورة فينبغى للعالم أن يعلم أن التكبر لايليق الا بالله

وَالمَعْصِيَةُ المُسْتَعْقِبَةُ نَدَماً خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ المُسْتَعْقِبَةِ عُجْباً لاضْمِحْلالِهَا مَعَ حُصُولِ النَّدَامَةِ وَوَرَدَ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُنَجِّيهِ عَمَلُهُ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ»

وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا، واذا نظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل للكفرة. فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحقره للكفر وقد رزقه الايمان وفاق أكثر أهل الايقان، فاذا حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال: انه قد عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم فهو أعذر منى، وان نظر الى عالم قال قد علم مالم أعلم، وان نظر الى كبير قال قد أطاع الله قبلى، وان نظر الى صغير قال: قد عصيت الله قبله وان نظر إلى مبتدع أو كافر قال مايدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى وكل ذلك بان يعلم أن الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله فى المرتبة الفاخرة الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الأمور الفانية ﴿والمعصية المستعقبة ندما﴾ أى ندامة وحسرة ﴿خير من الطاعة المستعقبة عجبا﴾ أى غرورا وغفلة ﴿لاضمحلالها﴾ أى لذهاب المعصية ﴿مع حصول الندامة﴾ وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو أكبر من كل سيئة وفى الحكم معصية أورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا ﴿وورد ما منكم من أحد ينجيه عمله﴾ أى من غير قبوله بفضله ﴿ولا أنا﴾ أى ولا ينجينى عملى أيضا ﴿الا أن يتغمدنى الله برحمته﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة هذا، وفى الاحياء: قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال: لتلتمسن اماما غيرى أو لتصلن وحدانا إنى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمة فما أعرف على بساط الأرض عالما يستحق أن يسمى عالما ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى أن يفارق، بل يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله، ولو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسعينا اليه رجاء لأن تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته، وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول، وقد انقرضوا فى القرن الأول ومن يليهم من أهل العلم والعمل، بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الأسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك

﴿ الْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ فِى الاِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصِّدْقِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الاِخْلَاصُ تَجْرِيدُ النِّيَّةِ عَنِ الشَّوْبِ فَالْأَعْلَى إِرَادَةُ وَجْهِهِ تَعَالَى، وَيُعْرَفُ بِالتَّفَكُّرِ

أيضا إما معدوم أو عزيز ، ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ماانتم عليه نجا » كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة. واحمد عن ابى ذر لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ماتحن عليه من سوء اعمالنا، ومن لنا بالتمسك بعشر ماكانوا عليه ، وليتنا نتمسك بعشر عشره . ونسال الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله .

﴿ الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق ﴾

اى الصدق فى الاخلاص الذى هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذى به يحصل المناص فى الدنيا والخلاص فى العقبى ﴿ الاخلاص تجريد النية ﴾ وهى الإرادة المتوسطة بين العلم والعمل ،ويطلق عليها القصد ﴿ عن الشوب ﴾ اى خلطة الرياء والسمعة ، اى عن شائبة مخالطة النفس بها ومن شوائبها ومعايبها ان تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت رتبتهم ، اوتتعجب بكمالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها . وله مراتب عند اهل المناقب ﴿ فالاعلى ﴾ اى اعلى مراتب الاخلاص للمولى ﴿ ارادة وجهه تعالى ﴾ اى قصد رضاه فى الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى : (يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال عز وعلا: (ومالا حد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى)وقال (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا) نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه ، الحاكم من حديث طاوس مرسلا « قال رجل انى اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية » وللبزار من حديث معاذ « من صام رياء فقد اشرك» وفيه انه عليه السلام تلاهذه الآية . وعن رابعة : وحقك ماعبدتك خوفا من نارك ولاطمعا فى جنتك الا ابتغاء وجهك ﴿ ويعرف ﴾ اى الاخلاص الاعلى﴿ بالتفكر

فى صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْمُنَاجَاةِ ثُمَّ إرَادَةُ نَفْعِ الْآخِرَةِ فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ، وَوَرَدَ فِى حَقِيقَتِهِ «أَنْ تَقُولَ رَبِّىَ اللهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتَ» خَالِصُ الْأَعْمَالِ هُوَ الَّذِى تَعْمَلُهُ لِلّٰهِ لَا تُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

فى صفاته وافعاله ﴾ اى فى مصنوعاته ﴿ والمناجاة ﴾ مع ربه فى جميع اوقاته . وقد قال بعضهم : فى اخلاص ساعة نجاة الابد . ولكن الاخلاص عزيز . قال عزوجل: (الا لله الدين الخالص) وللديلمى من حديث معاذ «اخلص العمل يجزك منه القليل» ولابن عدى من حديث ابى موسى «ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكم من قلبه على لسانه » وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول: يانفس اخلصى تخلصى . وقال يعقوب المكفوف : المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقال ابو سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ، ويشير اليه قوله تعالى (وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما) (ثم ارادة نفع الآخرة) سواء اراد النجاة من النار ، ودرجات الابرار ﴿ فهو حظ النفس ﴾ اى فى الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار ﴿ وورد فى حقيقته ﴾ اى حقيقة الاخلاص اوفى تحققه فى الاشخاص ﴿ ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت) أى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادته كما امرت باستقامته، فى الاحياء سئل عليه الاسلام عن الاخلاص فقال: «ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت» قال مخرجه: لم اره بهذا اللفظ . وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبدالله الثقفى « قلت يارسول الله حدثنى بامر اعتصم به ، قال : قل ربى الله ثم استقم» وهو عند مسلم بلفظ « قل لى فى الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم» والكل مقتبس من قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآيتين ومن قوله عز وعلا (فاستقم كما امرت) ﴿ خالص الاعمال ﴾ اى وورد خالص الاعمال اى العمل الخالص ﴿ هو الذى تعمله لله لا تحب ان يحمد عليه احد ﴾ ولم اعرف له اصلا فى المرفوع ، نعم ورد عن عيسى عليه السلام انه قال الحواريون : ما الخالص من الاعمال ؟ قال الذى يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد . وهذا المعنى فى سبب نزول الآية السابقة قد تقدم ، ولا يبعد ان تكون الجملة من مبتدأ وخبر

وَفى فَضْله (وَمَا أُمِرُوا الَّا لِيَعْبدُوا اللّه مُخْلصِينَ) الاخْلَاصِ سِرّى اسْتَوْدَعْتهُ قَلْبَ مَنْ أحْبَبْتُ مِنْ عبَادى وَأصْلُه النِّيَّةُ وَهِىَ الارَادَةُ البَاعِثَةُ للْاَعْمَالِ المُنْبَعِثَة عَن المَعْرفَة كَشَهْوَة الطَّعَام الحَاصلَة منَ المَعْرفَة بتَحَقُّقه وَدَفْعه الجُوعَ البَاعِثَة لامْتدَاد اليَد اليْه

فى تعريف الاخلاص ، وتكون معترضة ٠ وقد قال بعضهم : كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبنى نظرهم الى فوجدته لاعلىّ ولالى ، قال سفيان لما سمع هذا: ما احسن حاله لديه ٠ ان لم يكن عليه فقد احسن اليه . وقال يحيى بن معاذ :الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم ٠ وقال سهل : الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة . قال السوسى : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص، لان من يشاهد فى اخلاصه الخلاص فقد احتاج فى اخلاصه الى خلاص ٠ والى المقامين يشير قوله تعالى : (الاعبادك منهم المخلصين) بكسر اللام وفتحها .وقال رويم: الاخلاص فى العمل هو ان لايريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين ٠ وقيل لسهل: اى شىء اشد على النفس؟ فقال : الاخلاص ، اذ ليس لها فيه نصيب .وقال ابو عثمان: الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق ٠ وقيل : الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفى عن العلائق ٠ وقال الجنيد :الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال: وقال الفضيل : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك ،والاخلاص ان يعافيك الله عنهما . وهذا افضل ماقيل فى هذا الباب ﴿ وفى فضله ﴾ اى وورد فى فضل الاخلاص فى التنزيل ﴿ وماامروا الاليعبدوا الله مخلصين ﴾ اى له الدين، فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص ﴿ الاخلاص ﴾ اى وورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى : الاخلاص ﴿ سرى استودعته قلب من احببت من عبادى ﴾ رواه القشيرى فى رسالته من حديث على كرم الله وجهه ﴿ واصله ﴾ اى اصل الاخلاص ﴿ النية ﴾ اى تصحيحها وتحسينها ﴿ وهى ﴾ اى النية ﴿ الارادة الباعثة ﴾ اى الداعية ﴿ للاعمال المنبعثة ﴾ اى تلك النية ﴿ عن المعرفة ﴾ بالاحوال فمعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا لغرضه المعروف بوصفه امافى الحال واما فى المآل ﴿ كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحققه ﴾ اى الطعام ﴿ ودفعه ﴾ اى وعن المعرفة بدفع الطعام ﴿ الجوع الباعثة ﴾ بالجر صفة بعد صفة للشهوة اى الداعية ﴿ لامتداد اليد اليه ﴾

فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ فَمَنْ وَطِئَ لِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ أَنَّى يَنفَعُهُ قَوْلُهُ الْحِسِّي أَوِ النَّفْسِي نَوَيْتُ بِهِ إِقَامَةَ السُّنَّةِ وَتَكْثِيرَ الْأُمَّةِ، وَهِيَ أَحَدُ جُزْئَيِ الْعِبَادَةِ

فان امتداد اليد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام و بانه دافع للجوع عن الانام لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار ﴿ فلا تدخل ﴾ اى النية ﴿ تحت الاختيار ﴾ بل الداخل تحت الاختيار انما هو المؤثر . وتوضيحه ان كل عمل اختيارى فانه لا يتم الا بثلاثة امور : علم. وارادة. وقدرة ، لانه لا يريد الانسان مالا يعلمه فلا بد ان يعلم ، ولا يعمل مالم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ، ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج الى جاب الملائم الموافق لقلبه الهائم ﴿ فمن وطيء ﴾ المرأة ﴿ لغلبة الشهوة ﴾ عليه فى تلك الحالة ﴿ أنى ينفعه قوله الحسى ﴾ اى اللسانى ﴿ اوالنفسى ﴾ اى الجنانى ﴿ نويت به ﴾ اى بالوطء ﴿ اقامة السنة وتكثير الامة ﴾ ومن هنا ورد « الشرك اخفى فى قلب ابن آدم من ديبب النملة السوداء ، فى الظلمة الظلماء ، على الصخرة الصماء » رواه احمد وغيره . ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذا لم يحضرهم تصحيح النيات لعلمهم بان النية روح العمل ، وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف ، وهو سبب مقت لا باعث قرب ، حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى ، وقال : ليس تحضرنى نية . ومات حماد بن ابى سليمان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ ابى حنيفة ، فقيل للثورى : الا تشهد جنازته ؟ فقال : لوكان لى نية لفعلت ، وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا : ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك . وحكى ان داود ابن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده ، فقال له : مالك ؟ قال فيه اسانيد ضعاف ، فقال داود : انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر ، انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت . قال احمد فرده على حتى انظر فيه بالعين التى نظرت بها اليه ؛ فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا قد انتفعت به . وقال بعضهم : انا فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد . وقال عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت ، فقال له ابنه الا تعرض عليه العشاء ؟ فقال : ليس من نيتى ﴿ وهى ﴾ اى النية ﴿ أحد جزئى العبادة ﴾ أي

فَهِيَ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تَوَقُّفَهَا عَلَى العَمَلِ، وَوَرَدَ « انَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِيءٍ مَانَوَى » وَخَيْرُهُمَا لِوُرُودِ « نِيَّةُ المُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ »

ركنيها وهما النية والعمل ﴿فهى﴾ أى العبادة ﴿تتوقف عليها﴾ أى على النية ﴿توقفها﴾ أى مثل توقف النية ﴿على العمل﴾ لان العبادة بدون النية لاتسمى عبادة فالنية خيرهما ، ويتوقف العمل عليها دون العكس ﴿وورد﴾ أى فى الصحيحين من الروايات ﴿انما الاعمال بالنيات﴾ أى معتبرة بها فى جميع الحالات ﴿ولكل امرىء مانوى﴾ أى من الخير والشر فى المباحات وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه » ﴿وخيرهما﴾ أى والنية أفضل جزئى العبادة ﴿لورود « نية المؤمن خير من عمله »﴾ رواه البيهقى فى الشعب عن أنس به مرفوعا. وذلك لأن النية عمل السر ولا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ولأنها تمتد الى مالانهاية له والعمل محصور فى محصوله ، ولأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب ، بخلاف أعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية، لحديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » متفق عليه ولأنها تبقى، بخلاف العمل ولذا قيل : الخلود فى الجنان والنار جزاء النية ، ولأن مكانها مكان المعرفة أعنى قلب المؤمن ، قال سهل بن عبد الله التسترى قدس الله سره العلى : ماخلق الله تعالى مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المومن وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته ، فجعل الأعز فى الاعز فما نشأ من أعز الأمكنة يكون أعز مما نشأ من غيره ، قال سهل : فتعس عبد اشغل المكان الذى هو اعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه ، وفى خبر « انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعنى ارضى ولاسمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » اشعار بذلك . وقيل : نية المؤمن خير من عمله ، وعمل المنافق خير من نيته . وقيل : نية المؤمن خير من عمله بغير نية، ثم قيل للقلب عملان : النية والندامة ، فالنية تجعل المعدوم موجودا ، والندم يجعل العصيان الموجود معدوما. ومما ورد فى نفع النية بدون فى النية بدون العمل حديث انس « ان بالمدينة اقواما ماقطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الاشركونا فى ذلك وهم بالمدينة ، قالوا: وكيف ذلك يارسول الله

وَتَوَقَّفَ نَفعُ العَمَلِ عَلَيْهَا دُونَ العَكْسِ فَوَرَدَ فِى المُقَاتِلَيْنِ أَنَّ القَاتِلَ وَالمَقْتُولَ فِى النَّارِ وَبَيَّنَ عِلَّةَ المَقْتُولِ أَنَّهُ قَصَدَ الرِّيَاءَ وَفِيمَنْ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَصَابَ مَالاً يُنْفِقُ فِى المَعْصِيَةِ أَنَّهُ شَرِيكُ المُنْفِقِ فِيهَا فِى الوِزْرِ، وَكَوْنُ الشَّرَابِ لِعِلَاجِ المَعِدَةِ أَنْفَعُ مِنَ الطِّلَاءِ عَلَى الصَّدْرِ

وليسوا معنا . قال : حبسهم العذر فشركونا بحسن النية » البخاري مختصرا وابو داود ﴿ وتوقف ﴾ اى ويتوقف ﴿ نفع العمل ﴾ اى تأثيره طاعة اومعصية ﴿ عليها ﴾ اى النية ﴿ دون العكس ﴾ اذ لايتوقف نفع النية على وجود كل عمل ﴿ فورد فى المقاتلين ﴾ اى فى حقهما ﴿ ان القاتل والمقتول فى النار ، وبين ﴾ اى النبي عليه السلام ﴿ علة المقتول ﴾ اى فى دخوله النار ﴿ انه قصد الرياء ﴾ كذا في النسخ ، والظاهر انه قصد قتل اخيه لادفعه عن نفسه ، اواراد بالقاتل الكافر وبالمقتول المسلم المرائى، ويؤيد مااخترناه حديث الاحنف عن ابى بكرة «اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قلوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل صاحبه » متفق عليه ، ولابن ابي الدنيا من حديث عمر «انما يبعث المقتلون على النيات» ولمسلم من حديث جابر «يبعث الله كل عبد على مامات عليه» ويؤيده مافى الاصل حديث « اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته» احمد من حديث ابن مسعود ﴿ وفيمن ﴾ اى وورد فيمن ﴿ تمنى ان لواصاب مالاينفق فى المعصية ﴾ اى مقدرة ﴿ انه شريك المنفق فيها ﴾ اى فى المعصية حقيقة ﴿ فى الوزر ﴾ اى فهما فى الوزر سواء ، ومفهومه ان لواصاب مالاينفق فى الطاعة انه شريك المنفق فيها ، فهما فى الاجر سواء ، فقد ورد « الناس اربعة : رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لوآتانى الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لوآتانى الله مثل ماآتاه لفعلت كما يفعل فهما فى الوزر سواء » ابن ماجه والترمذى ﴿ وكون الشراب ﴾ اى ولكون شرب المعجون ﴿ لعلاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر ﴾ لسرعة تأثير الاول وبطء الثانى فى العمل . ووجه كونه علة لمشابهة الشراب الداخل فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ، ولمشابهة الطلاء الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة

بَلْ هِيَ الْأَصْلُ لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْعَمَلِ تَأَثُّرَ الْقَلْبِ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَنِ الْغَيْرِ فَوَرَدَ . (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) وَوَقَعَ الْاجْمَاعُ عَلَى إِثْمِ الْجَامِعِ امْرَأَتَهُ عَلَى قَصْدِ أَنَّهَا غَيْرُهَا بِخِلَافِ الْجَامِعِ غَيْرَهَا عَلَى قَصْدِ أَنَّهَا هِيَ وَإِثْمِ الْمُصَلِّي الْمُتَوَضِّيءِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ مُحْدِثٌ بِخِلَافِ الْمُحْدِثِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ مُتَوَضِّيءٌ وَهِيَ امَّا وَاحِدٌ وَهُوَ الْخَالِصُ كَالْقِيَامِ لِلْاكْرَامِ وَامَّا مُتَعَدِّدٌ كَالتَّصَدُّقِ لِلْفَقِيرِ وَالْقَرَابَةِ فَأَمَّا لَا يَسْتَقِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَيُعْرَفُ بِالْامْتِنَاعِ عِنْدَ انْفِرَادِ أَحَدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ أَوْ يَسْتَقِلُّ مُتَسَاوِيًا

﴿بل﴾ هو اضراب عن قوله وخيرهما ﴿هي﴾ اى النية ﴿الاصل﴾ وماسواها الفرع ﴿لكون المقصود من العمل تأثر القلب بالميل اليه تعالى عن الغير﴾ اى عما سوى الرب وذلك التأثر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهى الاصل ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وهى انما تكون فى القلب كما قال عليه السلام « والتقوى ههنا واشار الى صدره » وفى الخبر ايضا « ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم » ﴿ووقع الاجماع على اثم الجامع امرأته على قصد انها غيرها﴾ اى غير امرأته ﴿بخلاف الجامع غيرها﴾ اى غير امرأته ﴿على قصد انها هى﴾ اى امرأته ، ولاحمد من حديث صهيب « من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوى اداءه فهو زان » ﴿واثم المصلى﴾ اى والاجماع على اثم المصلى ﴿المتوضيء على ظن انه محدث بخلاف المحدث﴾ اى المصلى ﴿على ظن انه متوضيء . وهى﴾ اى النية التى معناها القصد ﴿اما واحد وهو الخالص﴾ عن المشاركة ﴿كالقيام للاكرام﴾ اى اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر اوصافه الفخام ﴿واما متعدد كالتصدق للفقير والقرابة﴾ ونحوهما من استحقاق الصدقة ﴿فاما﴾ اى ثم المتعدد اما ﴿لا يستقل كل شيء﴾ اى من المقصود بنفسه عند انفراده فى باعث العطاء ﴿ويعرف﴾ عدم الاستقلال المذكور ﴿بالامتناع﴾ اى بامتناع النية والقصد ﴿عند انفراد احد من المقاصد﴾ اى عن الآخر فلا يعطى الغنى القريب بمجرد قرابته ولا الفقير الاجنبى بمجرد فقره ، وعند الاجتماع لا يمتنع عن العمل فيعطى الفقير القريب ﴿اويستقل﴾ كل من المقصود ﴿متساويا﴾ بان

أَوْ مُتَفَاوِتًا كَقُوَّةِ فَرْحَةِ الْمُصَلِّي عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ لَمَا صَلَّى، وَيَتَعَدَّدُ الْجَزَاءُ بِتَعَدُّدِهَا خَيْرًا كَانَ كَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ لِلزِّيَارَةِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ وَالْاعْتِكَافِ وَالْانْزِوَاءِ وَالتَّجَرُّدِ لِلذِّكْرِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ، أَوْ شَرًّا كَالْقُعُودِ لِلتَّحَدُّثِ بِالْبَاطِلِ وَمُلَاحَظَةِ النِّسَاءِ وَالْمُنَاظَرَةِ لِلْمُبَاهَاةِ وَالْمُرَاءَاةِ

يكون كل واحد داعيا الى القصد ﴿ اومتفاوتا ﴾ فى مراتب القصد او مناقب الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها لا يكون مستقلا ﴿ كقوة فرحة المصلى عند حضور الناس ﴾ اى بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة فى قول المصنف ﴿ مع انه لو لم يرج الثواب لما صلى ﴾ وتوضيحه ان يكون للانسان ورد فى الصلوات وعادة فى الصدقات، فاتفق ان حضر فى وقتها جماعة من الناس ، فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلاة ، وعلم ان عمله لولم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش فى تحسين الطوية ﴿ ويتعدد الجزاء ﴾ اى الثواب ﴿ بتعددها ﴾ اى بمقدار تعدد النية ﴿ خيرا كان ﴾ المتعدد فى النية ﴿ كالدخول فى المسجد ﴾ اى مسجد كان ﴿ للزيارة ﴾ اى لزيارة بيت الله اواخ لله فيه ، فعنه عليه السلام « من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره» ابن حبان من حديث سلمان ، وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة « من غدا الى المسجد اوراح أعد الله له الجنة نزلا كلما غدا اوراح » ﴿ وانتظار الصلاة ﴾ اى لادائها بالجماعة فى وقتها وقد عد من الرباط فى قوله تعالى (ورابطوا) وفى الخبر « انتظار الصلاة صلاة » ﴿ والاعتكاف ﴾ وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة ، وان كان بمكة فزيادة الطواف ، وان كان بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف ﴿ والانزواء ﴾ اى الاعتزال عن الاشتغال بالسوى ﴿ والتجرد للذكر ﴾ من التهليل والتمجيد والتحميد والثناء ﴿ وترك الذنوب ﴾ ولو كان من باب الحياء فان من العصمة ان لا تقدر على الجفاء ﴿ أو شرا ﴾ أى أو كان المتعدد شرا ﴿ كالقعود فيه ﴾ أى فى المسجد ﴿ للتحدث بالباطل ﴾ فان كلام الدنيا فى المسجد يبطل الحسنات فى العقبى ﴿ وملاحظة النساء ﴾ أى ومخالطة المردان بمعنى الاشتهاء ﴿ والمناظرة للمباهاة ﴾ أى المفاخرة ﴿ والمراءاة ﴾ اى المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصد التنزه فى الليلة القمراء، وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابه بمجلس السمراء

وَيَجْعَلُ خَيْرَهَا الْمُبَاحَ عِبَادَةً كَالتَّطَيُّبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِإِقَامَةِ السُّنَّةِ وَتَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ وَالْيَوْمِ وَدَفْعِ الْأَذَى بِالنَّتَنِ وَالْإِسْرَارِ بِالْعَرْفِ وَسَدِّ بَابِ الْغِيبَةِ وَرُبَّمَا تُفَضِّلُهُ مِنْ مَحْضِهَا فَالتَّرَفُّهُ بِنَوْمَةٍ أَوْ دَعَابَةٍ مُبَاحَةٍ لِرَدِّ نَشَاطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَلَالِ وَشَرُّهَا مَعْصِيَةً كَالتَّطَيُّبِ لِلتَّفَاخُرِ بِإِظْهَارِ الثَّرْوَةِ وَالتَّزَيُّنِ لِلرِّيَاءِ

﴿ و يجعل خيرها ﴾ أى خير النية ﴿ المباح عبادة كالتطيب ﴾ الذى فى أصله مباح بوقوعه ﴿ يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد ﴾ فقد قال تعالى : (وطهر بيتى) قيل فى معناه بخره ﴿ واليوم ﴾ أى وتعظيمه فانه أفضل أيام الأسبوع بلاخلاف ، وقيل افضل الايام مطلقا ، وهو عيد المؤمنين وحج المساكين ﴿ ودفع الأذى بالنتن ﴾ أى الريح الخبيثة عن نفسه وغيره لاسيما الملائكة الحاضرون فى وقته ﴿ والاسرار بالعرف ﴾ بفتح العين ، أى وبتفريح من بجنبه بالريح الطيبة ﴿ وسدباب الغيبة ﴾ بالريح الكريهة ﴿ وربما تفضله ﴾ أى النية المباح ﴿ من محضها ﴾ أى فيصير المباح بالنية أفضل من العبادة المحضة ﴿ فالترفه ﴾ أى التنعم والأسراء ﴿ بنومة ﴾ قايلة نحو قيلولة ﴿ أو دعابة ﴾ أى من اخ ومطايبة ﴿ مباحة لرد نشاط الصلاة أفضل منها ﴾ أى من الصلاة ﴿ فى الملال ﴾ أى فى حال الكسالة ، فمن أبى الدرداء « انى لاستجم نفسى باللهو ليكون ذلك عونا على الحق » ويؤيده قول أبى مدين ، لاتنكر الباطل فى طوره ، فانه بعض ظهوراته ، وقد قال على رضى الله عنه : روحوا القلوب ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت . ومن هنا حرم الصوم فى بعض الأوقات ، وكذا الصلوات فى الأزمنة المكروهات ﴿ وشرها ﴾ اى تجعل شر النة المباح ﴿ معصية كالتطيب ﴾ المباح فى أصله ﴿ للتفاخر باظهار الثروة ﴾ أى الغنى والنعمة على وجه الكثرة فانه يصير به معصية ، ففى الخبر « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة » أبو الوليد الصفار مرسلا ﴿ والتزين ﴾ أى وكالتزين المباح فى أصله ﴿ للرياء ﴾ فانه معصية لذا انه للعبادة طاعة لقوله تعالى : (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وللطبرانى باسناد جيد من حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له هاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس » وللنسائى من حديث عبادة بن الصامت « من غزا وهو لاينوى الا عقالا فله مانوى » ولابى داود باسناد جيد من

وَلَا تُؤَثِّرُ فِي الحَرَامِ فَلَا يُبَاحُ شُرْبُ الخَمْرِ لِمُوَافَقَةِ الإِخْوَانِ

حديث يعلى ابن أمية انه استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام: « وما أجد له فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة الا دنانيره التى سمى » وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية . ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائى : من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة ، وكذا الجاهل بعكس ذلك . وقال أبو هريرة « مكتوب فى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير وما أريد به غير وجهى فكثيره قليل » وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم) يبكى ويرددها، ويقول : انك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا ﴿ ولا تؤثر ﴾ أى النية ﴿ فى الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان ﴾ ولا لموافقة حكام الزمان ، فقد ورد « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وكالذى يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره ، أو يطعم فقيرا من مال الظلم به ، أو يبنى مسجدا أو مدرسة أو رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ، ومن هنا قال سهل : ما عصى الله بمعصية اعظم من الجهل ، قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال نعم ، الجهل بالجهل ، ويسمى هذا الجهل المركب . وكذا أفضل ما أطيع الله به العلم ، ورأس العلم العلم بالعلم ، فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التى هى من وسائلهم الى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم ، والمقصود ان من قصد الخير بمعصيته عن جهل فهو غير معذور قال تعالى : (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال عليه السلام « لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » كما رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر . ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته والحصول فى مقام رياساته ، فلم يزل علماء السلف يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ، واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسألة ولم يعمل بها فليس يطلب الا آلة الشر ، وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة ، وما تعوذوا من الفاجر الجاهل . وقد هجر احمد بعض أصحابه الملازم له سنين بان طين حائط داره لما أخذه من الطريق قدر سمك الطين ❊

والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه أحد الا من دق فى نظره وسعد بعصمة الله وقدره

وَكَمَالُهُ الصِّدْقُ فَوَرَدَ (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا). «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا» وَأَدْنَى رُتَبِهِ فِي الْقَوْلِ فِي كُلِّ حَالٍ

وحفظ من خطره ، والا فالعدو ملازم للمشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحة حتى يحملهم على الرياء في سكون أو حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة العبادة ، ولذا قال تعالى : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال عز وعلا حكاية عنه انه قال (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أي من أمور الدنيا والآخرة (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) أي من طريق الحسنات والسيئات (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة الف سنة من جاهل ، وفي الخبر « فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد » ﴿ وكماله ﴾ أي كمال الاخلاص وجماله ﴿ الصدق ﴾ في نيته وقوله وعمله ، فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق ، والا فهو صادق اضافي عند ذوي الحقائق والدقائق ، ويدل عليه حديث « ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا » متفق عليه ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا ﴾ أي قبل النبوة ﴿ نبيا ﴾ أي مخبرا عن الله حال الرسالة . ثم الصدق لا ينافي المعاريض الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان العبرة بمعانيها لا بمبانيها ، وكان رسول الله ﷺ إذا توجه في سفر ورى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك ، وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى عدوه . وقد ورد في الصحيحين أيضا من حديث أم كلثوم « ليس بكاذب من أصلح بين اثنين وقال خيرا او تمنى خيرا » ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع : من أصلح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان في مصالح الحرب . فالصدق ههنا يتحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية . فمهما صدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا ﴿ ان الرجل ﴾ أي وورد في الحديث ﴿ ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادنى رتبه ﴾ أي أقل مراتب الصدق الصدق ﴿ في القول ﴾ مع الخبر ﴿ في كل حال ﴾ من الأمن والخوف والنفع والضر والغضب والرضاء

وَالكَمَالُ بِتَرْكِ المَعَارِيضِ حَذَرًا عَنْ تَفْهِيمِ غَيْرِ الحَقِّ وَكَسْبِ القَلْبِ صُورَةً كَاذِبَةً وَرِعَايَتِهِ مَعَهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَهُوَ يَعْبُدُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ

﴿والكمال﴾ أي وكمال الصدق في القول ﴿ بترك المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة﴾ الا ان الضرورات تبيح المحظورات ، وقد ورد « أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » وقد حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظالمة وهو في داره ، فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الأصبع في الدائرة وقولي ليس هو هنا ﴿ ورعايته ﴾ أي ومراعاة العبد الصدق ﴿معه﴾ أي مع الحق ﴿تعالى فمن قال وجهت وجهي لله﴾ أو للذي فطر السموات والأرض حنيفا ﴿وكان في قلبه سواه وإياك نعبد﴾ أي نخصك بالعبادة ﴿وهو يعبد الدنيا فهو كاذب﴾ في دعواه اختصاص عبادة مولاه ، فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بأماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب في دعواه . وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية أي (إياك نعبد وإياك نستعين) امر من الله لما قرأتها لعدم صدقي فيها . وروى : ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله تعالى له كذبت لو كنت اياي تعبد لم تطع غيري ولم تلتفت الى سواي ، ولو كنت بي تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك . ولم تركن الى مالك وكسبك . وكقوله : انا عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطالب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه ؛ لانه ان كان عبدا لنفسه أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا . وقال نبينا ﷺ « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخاري وإنما العبد الحق لله من اعتق أولا نفسه عن غير الله فصار حرا مطلقا . فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فيشغله بالله وبمحبته وتقييد ظاهره و باطنه لطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو هو ، بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو تبعيد كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما أريد لما يريد

وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه

ثُمَّ فى النِّيَّةِ بتمحيضها لله تعالى فالشوب يفوته يقال هذا صادق الحلاوة أى محضها، ثُمَّ فى العزم وهو جزم قوىٌّ على الخير كالتصدق والعدل ان نال مالاً أو ولاية ثُمَّ فى الوفاء فالنفس قد تسمح بالعزم وتتوانى بالوفاء، وورد (رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه)

وصار مفقودا عن نفسه موجودا لسيده ، ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن ، وان ابتلاه رضي ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واغراض واعواض ، بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل ، وهذا منتهى الصدق فى العبودية وفق ما تقتضيه الربوبية ، وهذا عزيز الوجود فى متن دائرة الشهود فقد قيل :

اتمنى على الزمان محالا ＊ ان ترى مقلتاى طلعة حر

﴿ ثم فى النية ﴾ أى ثم اعلى من الصدق فى القول الصدق فى النية ﴿ بتمحيضها ﴾ أى تخليصها ﴿ لله تعالى فالشوب ﴾ أى الخلط بغيره فى النية ﴿ يفوته ﴾ أى هذا المقام من الاخلاص أو الصدق ﴿ يقال هذا صادق الحلاوة أى محضها ﴾ يعنى خالصها ﴿ ثم فى العزم ﴾ أى ثم الصدق فى العزم اعلى مما ذكر ﴿ وهو جزم قوى على الخير ﴾ أى فعله وجزم على ترك الشر ﴿ كالتصدق والعدل ان نال مالا او ولاية ﴾ وتوضيحه ان الانسان قد يعزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا لتصدقت بجميعه أو بشطره ، وان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل عن الحق الى الخلق ، وهو قد يكون صادقا فى عزمه وقد يكون كاذبا فى عزمه ، ومن الاول قول عمر رضى الله عنه : لان اقدم فيضرب عنقى فى غير حد أحب الى ان اتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا اجده الآن لانى لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها ، اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم . ومن الثانى قول مجاهد : رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فرزقهما الله فبخلا به فنزلت (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) الآية ﴿ ثم فى الوفاء فالنفس قد تسمح ﴾ أى تسخى ﴿ بالعزم ﴾ عند البيان اى ثم الصدق فى الوفاء اقوى مما ذكر ﴿ وتتوانى ﴾ أى تتأخر وتتباعد ﴿ بالوفاء ﴾ عند الامتحان ﴿ وورد ﴾ فى التنزيل ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وقد وقف رسول الله ﷺ على مصعب ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ،

ثُمَّ فِي العَمَلِ وَهُوَ تَسْوِيَةُ السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ فَالْمَاشِي عَلَى هُدُوءٍ وَإِنْ خَلَا البَاطِنُ عَنِ الوَقَارِ غَيْرُ صَادِقٍ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ خَيْرًا مِنَ العَلَانِيَةِ

فقال عليه السلام (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) رواه أبو نعيم فى الحلية . وفى البخارى مجملا ان هذه الآية نزلت فى انس بن النضر . وفى الترمذى وقال حسن صحيح عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، والله لئن أرانى الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو الى أين فقال واه لريح الجنة انى لأجدها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته: ماعرفته الا ببنانه ونزلت هذه الآية (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه) اى نذره ﴿ ثم فى العمل ﴾ أى الصدق فى العمل اعلى ﴿ وهو ﴾ اى الصدق فى العمل ﴿ تسوية السر والعلانية ﴾ ان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه ولذا قال عيسى عليه السلام : اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة .وقال زيد بن الحارث : اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف . اى العدل . وأن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور والخطل ، وانشدوا :

اذ السر والاعلان فى المؤمن استوى ✽ فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا

فان خالف الاعلان سرا فما له ✽ على سعيه فضل سوى الكد والعنا

كما خالص الدينار فى السوق نافق ✽ ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا .

وقال معاوية بن قرة : من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار . وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول : الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ﴿ فالماشى على هدوء ﴾ بضمتين وقد يدغم وفى نسخة على هدء بفتح فسكون ومعناهما على سكون فى الظاهر ﴿ وان خلا الباطن ﴾ أى باطن الماشى ﴿ عن الوقار ﴾ أى السكون والثبوت ﴿ غير صادق ﴾ فيما بينه من الاظهار ﴿ وورد فيه ﴾ أى فى حق الصادق فى العمل ﴿ ان تكون سريرته خيرا من العلانية ﴾ أى علانيته يعنى على نيته ، واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته

ثُمَّ فى مَقَامَاتِ الدِّينِ فَفِى الخَوْفِ بِصُفْرَةِ الوَجْهِ وَقَلَقِ البَاطِنِ وَتَرْكِ المَعَاصِى وَاللَّذَّاتِ وَإِقَامَةِ الطَّاعَاتِ وَعَلَى هَذَا فِى غَيْرِهِ وَالصِّدِّيقُ المُطْلَقُ هُوَ المُتَّصِفُ بِالجَمِيعِ وَضِدُّهُ الرِّيَاءُ

﴿ثم﴾ أى ثم الصدق ﴿فى مقامات الدين﴾ من أحوال أهل اليقين اعلى ﴿ففى الخوف﴾ أى صدقه فيه يتحقق ﴿بصفرة الوجه وقلق الباطن﴾ أى اضطرابه فى الحالات ﴿وترك المعاصى واللذات﴾ أى المناهى والشهوات التى فيها الشبهات ﴿وإقامة الطاعات﴾ فى أنواع العبادات ﴿وعلى هذا﴾ القياس ﴿فى غيره﴾ أى غير الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الخوف بفوت شىء من الجاه والمال والنفس ومن الأولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الأحوال ﴿والصديق المطلق هو المتصف بالجميع﴾ أى بجميع أنواع الصدق عند أهل الحق. وقال بشر بن الحارث: من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق. وقال ابو سليمان: اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله غاية طلبك. وقال رجل لحكيم: ما رأيت صادقا، فقال: لو كنت صادقا لعرفت الصادقين. ويؤيده قوله تعالى: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال الثورى فى قوله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين. وقال محمد بن سعيد المروزى: إذا طلبت الله تعالى بالصدق افادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة. وقال أبو بكر الوراق: احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين الخلق. وقيل لذى النون: هل للعبد الى اصلاح أموره سبيل؟ فقال:

قد بقينا مذبذبين حيارى ۞ نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا ۞ وخلاف الهوى علينا ثقيل

وعن الجنيد فى قوله تعالى: (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم، وهذا أمر على خطر عظيم وحذر جسيم ﴿وضده﴾ أى الاخلاص ﴿الرياء﴾ أى رؤية الخلق، وفى معناه السمعة وان كان فى أصل المادة فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع. وفى الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به» وللطبرانى من حديث ابن عمر بلفظ «من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره»

وَهو طَلَبُ المَنْزِلَة عِنْدَ غَيْرِه تَعَالَى بِالعِبَادَةِ وَهو حَرَام فَيَخْتَص بِعَمَلِ الظَّاهِر أَمَّا نَحْوُ قَصْدِ الحِمْيَةِ فِي الصَّوْمِ وَالتَّبَرُّدِ فِي الوُضُوءِ وَالتَّفَرُّجِ وَالتَّوَحُّشِ عَنِ الأَهْلِ وَالتِّجَارَةِ فِي الحَجِّ وَالخَلَاصِ عَنِ المُؤْنَةِ وَسُوءِ الخُلُقِ فِي العِتْقِ فَغَيْرُه وَيَفُوتُ بِهِ الإِخْلَاصُ وَيَكُونُ بِالبَدَنِ

وكذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو ﴿ وهو ﴾ أى الرياء ﴿طلب المنزلة ﴾ أى الوجاهة والمرتبة بالرؤية أو السمعة ﴿ عند غيره تعالى بالعبادة ﴾ أى لا بالامور المباحة وفق العادة ﴿وهو حرام﴾ لقوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون) وقوله (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد) قال مجاهد: هم أهل الرياء . ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج « ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال الرياء يقول الله عزوجل يوم القيامة اذا جازى العبيد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » ﴿فتختص﴾ الرياء ﴿ بعمل الظاهر ﴾ أى بما تتعلق به الرؤية أو السماع وذلك لامكان نظر الخلق اليه واطلاعهم عليه ، دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه . قال عكرمة : ان الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيه ﴿ اما نحو قصد الحمية ﴾ أى الاحتماء بترك ما يضره عن الأكل ﴿ فى الصوم ﴾ مع قصد التقرب ﴿والتبرد﴾ أى وقصد تبرد الأعضاء ﴿ فى الوضوء ﴾ وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب ﴿ والتفرج ﴾ أى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتنزه ﴿والتوحش﴾ أى الملالة ﴿عن الأهل ﴾ أى القرابة أو أهل القرية صداقة أوعداوة ، وكذا قصد صحة المزاج فى السفر ﴿والتجارة ﴾ أى وقصدها ﴿فى الحج﴾ أى ادائه مع التقرب ﴿ والخلاص ﴾ أى قصده ﴿ عن المؤنه ﴾ أى مؤنة نفقة المملوك ﴿ وسوء الخلق﴾ من المالك أو المملوك من جهة التربية ﴿ فى العتق ﴾ أى عتق عبد اوجارية ﴿ فغيره ﴾ أى فغير الرياء لعدم تعلق نظر الخلق اليه ﴿ ويفوت به ﴾ أى بقصد المذكورات ﴿ الاخلاص ﴾ فى تلك العبادات لان فيه شوب نفع نفسه وحظ انسه والاخلاص تجريد النية عن شوب الارادة النفسية ﴿ ويكون ﴾ الرياء ﴿ بالبدن ﴾ أى من جهة

وَالْهَيْئَةِ وَالزِّيِّ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَغَيْرِهَا كَاظْهَارِ النُّحُولِ وَابْقَاءِ أَثَرِ السُّجُودِ وَلُبْسِ الصُّوفِ وَالْوَعْظِ وَتَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَكَثْرَةِ التَّلَامِيذِ وَمَا طُلِبَ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ كَكَثْرَةِ الْمَالِ وَحِفْظِ الْأَشْعَارِ فَخَارِجٌ لَا يَحْرُمُ اذَا لَمْ يُؤَدِّ الَى رَذِيلَةٍ كَالتَّكَبُّرِ كَمَا سَبَقَ فِي الْجَاهِ

البدن باظهار الخشوع وا كثار الحزن ﴿ والهيئة ﴾ أى السمت الصالح ﴿ والزى ﴾ أى لبس الصلحاء ﴿ والقول ﴾ أى نقل كلام الأولياء ﴿ والعمل ﴾ أى وأعمال الأصفياء ﴿ وغيرها ﴾ كالمال والاتباع والبيوت وأنواع الاستمتاع ﴿ كاظهار النحول ﴾ هذا ومابعده نشر للف المتقدم مرتبا ، والمراد بالنحول ضعف البدن فى مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد فى العبادة و كثرة الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليدل بالحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل ، و كذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الأمر ، ولذا قال عيسى عليه السلام : اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه ، وكذا روى عن أبى هريرة وكذا قال ابن مسعود : اصبحوا اصياما مدهنين ﴿ وابقاء أثر السجود ﴾ على الجبهة ، واطراق الرأس فى المشية والهدو فى الحركة ﴿ ولبس الصوف ﴾ وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق ، وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع . ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها ، وقد يلبس الأصواف الرقيقة من الاصناف المنيعة اذا كان يدخل عند الأغنياء أو على الأمراء ، فقيمة ثوبه قيمة الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء ، فيلتمس القبول عند الفريقين فى مقام الرياء ، ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح ﴿ والوعظ ﴾ اى التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الأخبار وآثار الأخيار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها ﴿ وتطويل الصلاة ﴾ بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين ، وكذا فى الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات ﴿ وكثرة التلاميذ ﴾ للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الأجانب والاقرباء ﴿ وما ﴾ مبتدأ اى والرياء الذى ﴿ طلب بغير العبادة ككثرة المال ﴾ والانصار من الرجال ﴿ وحفظ الاشعار فخارج ﴾ عن حد الرياء كما سبق فى تعريفه لحينئذ ﴿ لايحرم ﴾ طلب تلك المنزلة ﴿ اذا لم يؤدالى رذيلة ﴾ أى خصلة مذمومة ﴿ كالتكبر ﴾ على الناس ﴿ كما سبق فى الجاه ﴾ أى فى ذمه وهو قوله

وَكَذَا التَّزَيُّنُ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْإِخْوَانِ وَالتَّحَامِي عَنْ مَلَالَتِهِمْ وَالْمَرْوِيُّ مِنْ تَزَيُّنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَةٌ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدَّعْوَةِ فَلَوْ أَسْقَطَ نَفْسَهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَمَا حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَآفَاتُهُ التَّلْبِيسُ بِإِرَادَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ الدُّنْيَوِيِّ حَرَامٌ فَبِالدِّينِيِّ أَوْلَى، وَالِاسْتِهْزَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى بِإِيثَارِ رِضَاءِ غَيْرِهِ

هناك فحرام ، أى فالجاه حرام ان كان بارتكاب ذنب كالكذب وههنا أيضا كذلك ﴿ وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان ﴾ حال مخالطتهم ﴿ والتحامى ﴾ أى السلامة ﴿ عن ملالتهم ﴾ والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وعلى هذا فقس كل تجمل للناس وتزين لهم ﴿ والمروى ﴾ لابن عدى فى الكامل عن عائشة ﴿ من تزينه عليه السلام ﴾ أى حين اراد ان يخرج الى أصحابه الكرام ، فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته وشعره ، فقالت أو تفعل ذلك يارسول الله ؟ قال نعم « ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم » فهذا كان منه عليه السلام ﴿ عبادة لانه ﴾ حينئذ ﴿ مأمور بالدعوة ﴾ أى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق ﴿ فلو اسقط نفسه عن قلوبهم ﴾ بسقوطها عن أعينهم بترك تزينه لهم ﴿ لما حصل المقصود ﴾ ولم يرغبوا فى اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدريه اعينهم فى اقباله ، فان أعين الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر ﴿ وآفاته ﴾ أى الرياء ﴿ التلبيس ﴾ أى المكر والتدسيس الحاصل من وسوسة ابليس ﴿ بارادة ماليس فيه ﴾ متحقق فى الخارج موجود فى الواقع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك ﴿ فهو ﴾ أى التلبيس ﴿ بالأمر الدنيوى حرام ﴾ أيضا ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لأنهم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر والخديعة بخلاف ما اذا أنفق الرجل ماله على جماعة من الأغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مراءاة وليس بحرام وكذا امثاله ﴿ فبالدينى أولى ﴾ أى فالتلبيس بالأمر الدينى أولى ان يكون حراما لانه محض العبادة ﴿ والاستهزاء عليه تعالى ﴾ أى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو ﴿ بايثار رضاء غيره ﴾ أى اختياره

عَلَى رِضَاهُ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهِ فِي القُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ تَعَالَى وَالاحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ

﴿على رضاه﴾ أى على إيثار رضاه سبحانه وتعالى . والمعنى انه مهما قصد بعبادة الله رضاء ماسواه فهو مستهزىء بالله ، ولذا قال قتادة اذا رأى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزىء بى . ومثاله ان يمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فان هذا استهزاء بالملك ، إذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته ، بل قصد عبدا من عبيده ، فاى استخفاف يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهل ذلك الا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه أولى بالقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك لجعله مقصود عبادته ، وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى ﴿وتعظيم نفسه﴾ أى وبايثار تعظيمها ﴿فى القلوب على تعظيمه تعالى﴾ أى تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن فيه الا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية ، فانه إذا لم يقصد التقرب إلى الله تعالى فقد قصد غير الله ، ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا ، الا ان الرياء هو الكفر الخفى ، لان المرائى عظم فى قلبه الناس ، فاقتضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ، فمهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق فى الشهود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود ، الا أنه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده ، باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا . وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع آماله اكثر مما يملكه الله تعالى ، فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ، ولو وكله الله سبحانه اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافأة له على صنعه ، فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم ، وهذا فى الدنيا فكيف فى العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، بل تقول الانبياء فيه : نفسى نفسى ، فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة كل ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس ، فلا ينبغى ان يشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل ، وهذا معنى قوله ﴿والاحتراز﴾ اى وبايثار المرائي الاحتراز ﴿عن مقت غيره﴾ سبحانه ﴿عليه﴾ اي على الاحتراز

مِنْ مَقْتِهِ وِرْدُ الْعَمَلِ فَوَرَدَ «إِنِّي لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِي» وَاللَّوْمُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَوَرَدَ يُقَالُ عِنْدَ صُعُودِهِمْ بِالْعَمَلِ رُدُّوهُ إِلَى سِجِّينٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي، وَفِي الْقِيَامَةِ فَوَرَدَ فِي نِدَائِهِ فِيهَا يَا كَافِرُ يَا فَاجِرُ يَا غَادِرُ يَا خَاسِرُ، وَالْحِرْمَانُ عَنِ الْأَجْرِ فَوَرَدَ يُقَالُ الْتَمِسِ الْأَجْرَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ أَلَمْ يُوَسَّعْ عَلَيْكَ فِي الْمَجَالِسِ أَلَمْ تَكُنْ رَئِيسَ الدُّنْيَا

﴿ من مقته ﴾ تعالى ، فقد سأل رجل سعيد بن المسيب فقال : احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد و يؤجر ، قال له : اتحب ان يمقتك الله ؟ قال لا ، قال : اذا عملت لله عملا فاخلصه ﴿ ورد العمل ﴾ اى ومن آفاته عدم القبول ﴿ فورد ﴾ اى فى الحديث القدسى ﴿ انى لا أقبل الا ما كان خالصا لى ﴾ لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد معناه وهو مارواه مالك من حديث ابى هريرة «يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيرى فهوله كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك» ويؤيده قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) ﴿ واللوم ﴾ اى ومن آفاته الملامة ﴿ بين الملائكة فورد ﴾ فى الحديث الانسى ﴿ يقال عند صعودهم بالعمل ﴾ المخلوط بالرياء ﴿ ردوه الى سجين ﴾ لقوله تعالى (ان كتاب الفجار لفى سجين) وهو موضع فى اسفل سافلين مكان الشياطين ، وقيل هو كتاب اعمال المشركين ﴿ فانه لم يردنى ﴾ اى بعمله خالصا له الدين. ولابن المبارك فى الزهد ، ومن طريقه ابن ابى الدنيا وابى الشيخ فى حديث طويل « ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين » ﴿ وفى القيامة ﴾ اى ومن آفاته الملامة والندامة يوم القيامة ﴿ فورد فى ندائه ﴾ اى المرائى ﴿ فيها ﴾ اى فى القيامة ﴿ ياكافر ﴾ حقيقة اوحكما بكفران النعمة ﴿ يافاجر ﴾ اى يافاسق بترك الاخلاص فى الطاعة ﴿ ياغادر ﴾ اى ياماكر للخالق اوللحق ايضا على زعمه الباطل ﴿ ياخاسر ﴾ اى الذى خسر الدنيا والآخرة ، والحديث رواه ابن ابى الدنيا : من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم « ان المرائى ينادى يوم القيامة باربعة اسماء ياكافر يافاجر ياغادر ياخاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلااجرلك عندنا » ﴿ والحرمان عن الاجر ﴾ اى ومن آفاته حرمان ثواب العمل ﴿ فورد يقال ﴾ اى للمرائى يوم القيامة ﴿ التمس الاجر ﴾ اى اطلب الثواب ﴿ ممن كنت

أَلَمْ يُرَخَّصْ بَيْعُكَ أَلَمْ تُكْرَمْ، وَالْعَذَابَ فَوْرِدَ أَهْلُ الرِّيَاءِ يُعَذَّبُونَ فِى النَّارِ وَالْأَخَسُّ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ لَا يُرِيدَ الثَّوَابَ أَصْلًا وَهُوَ فِى غَايَةِ الْمَقْتِ ثُمَّ مَا فِيهِ إِرَادَتَانِ وَالرِّيَاءُ غَالِبٌ

تعمل له ﴾ من الخلق كما تقدم ﴿ الم يوسع عليك فى المجالس الم تكن رئيس الدنيا الم يرخص بيعك الم تكرم ﴾ اى بالقيام والسلام وانواع من الاكرام، وقد روى عن على ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالاسلام الم تقض لكم الحوائج ، وفى الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها فى الدنيا فلم يبق لك اجر فى العقبى كما قال تعالى : (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) ﴿ والعذاب ﴾ اى ومن اتاه عذاب الآخرة ﴿ فورد اهل الرياء يعذبون فى النار ﴾ لم اره بهذا اللفظ ، وللترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد فى جهنم اعد للقراء المرائين ﴿ والاخش ﴾ مبتدأ اى الاغلظ والاشد فى الرياء ﴿ باعتبار نفسه ﴾ اى نفس الرياء واصله، ولهذا الرياء اربع درجات ﴿ ان لا يريد الثواب اصلا ﴾ اى لا يكون مراده الثواب قطعا كالذى يصلى بين الناس ولو انفرد كان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء ﴿ وهو ﴾ اى المرائى ﴿ فى غاية المقت ﴾ من الله وغضبه، وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله والرياء يوجب رده ، والمن والاذى يبطلان الصدقة اصلا ، وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها . واما الندامة فتحبط العمل فى قولهم جميعا ، والعجب يذهب اضعافه، والتهاون يخفف العمل فيذهب رزانته ﴿ ثم ما فيه ارادتان ﴾ ارادة الاجر والرياء ﴿ والرياء غالب ﴾ وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله؛ ولا يحمله ذلك القصد على العمل ، ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل، كمن يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لا تنهضه عليها ، فاتفق مجىء جماعة عنده فظهر داعية الرياء فى قلبه مع بناء ارادة وجه الله فانهضه عليها ، ولو لم يكن الرياء ما كان

وَهُوَ يُقَرِّبُهُ ثُمَّ مَا اسْتَوَيَا فِيهِ فَالْمَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ لَكِنْ اِطْلَاقُ الْأَخْذِ فِي الْأَدِلَّةِ يَشْمَلُهُ ثُمَّ مَا تَرَجَّحَ فِيهِ قَصْدُ الثَّوَابِ فَالْمَظْنُونُ فِيهِ النُّقْصَانُ لَا الْبُطْلَانُ أَوِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بِحَسَبِ الْقَصْدَيْنِ ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْمَيْلِ

ينهضه مجرد ارادة وجه الله ، ولولم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنهضه ﴿ وهو يقربه ﴾ اى هذا النوع من الرياء يقرب الاخش وهو الاول الذى ليس فيه ارادة الثواب اصلا ، فهذا يقرب ماقبله فى المقت ، لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب لايستقل بحمله على العمل ولاينفى عنه المقت والاثم ﴿ ثم مااستويا ﴾ اى ثم الاخش باعتبار نفس الرياء مااستوى الارادتان او القصدان ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك العمل بحيث لوكان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة ، اوكان كل واحد منهما لوانفرد لاستقل بحمله على العمل ، فهذا قد افسد مثل ما اصلح ﴿ فالمرجو ﴾ اى المأمول من فضل الله وكرمه ﴿ ان لايكون له ﴾ اى لصاحب الارادتين المستويتين نفع وثواب ﴿ ولاعليه ﴾ ضر وعقاب ، بل يسلم رأسا برأس اويكون له من الثواب مثل ماعليه من العقاب ، ويؤيده ماروى عن معاذ قال : لما تلا رسول الله ﷺ (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) شق على القوم واشتد عليهم فقال افلاافرجها عنكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال هى مثل الآية التى فى الروم (وما آتيتم من ربوا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله) فقال عليه السلام « من عمل رياء لايكتب له ولاعليه » كذا فى الجامع الكبير للسيوطى ﴿ لكن اطلاق الاخذ فى الادلة يشمله ﴾ اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له الاثم ويدل على انه لايسلم ﴿ ثم ﴾ اى ثم الاخش باعتبار نفس قصد الرياء ﴿ ماترجح فيه قصد الثواب ﴾ بان يكون طلب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ، ولولم يكن لما كان يترك العبادة ولوقصد الرياء وحده لما أقدم ﴿ فالمظنون ﴾ اى الذى نظنه والعلم عند الله سبحانه ﴿ فيه ﴾ اى فى هذا النوع ﴿ النقصان ﴾ اى نقصان الثواب ﴿ لا البطلان ﴾ اى لانحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة فى الاحكام الجزئية ﴿ اوالثواب ﴾ اى على قدر ماخلص فى نيته ﴿ والعقاب ﴾ على قدر الرياء ﴿ بحسب القصدين ﴾ اى المتقدمين ﴿ والاصل ان القرب منه تعالى بالميل

إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْبُعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ وَمَا وَرَدَ أَنَا أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ عَنِ الشِّرْكِ وَنَحْوُهُ فَمَحْمُولٌ عَلَى الأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَا بِهِ رِيَاءٌ بِأَصْلِ الإِيمَانِ وَهُوَ أَغْلَظُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ ثُمَّ بِأَصْلِ فَرَائِضَ سِوَاهُ

اليه تعالى ﴾ اى بسبب الاقبال عليه والحضور لديه ﴿ والبعد عنه تعالى بالذهول ﴾ اى الغفلة عنه لقوله تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا) ﴿ وما ورد ﴾ اى فى حديث ﴿ انا اغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ وفى نسخة من الشركاء ﴿ ونحوه ﴾ اى مما يدل على البطلان ﴿ فمحمول على الاول ﴾ اى مما لا يريد الثواب اصلا او على ماتساوى القصد ان او كان قصد الرياء ارجح فان لفظة الشركة مطلقة للتسوية ﴿ وباعتبار ما به رياء ﴾ اى والاخش من الرياء باعتبار مايقع به الرياء من العبادات هو الرياء ﴿ باصل الايمان ﴾ وقيل هو بدل من قوله به باعادة الجار . وماقدرناه اولى بالاعتبار ، وذلك بان يظهر كلمتى الشهادة باللسان من غير تصديق بالجنان ، لكنه يرائى احيانا لظاهر الامر فى بعض الاركان ﴿ وهو اغلظ ابواب الرياء ﴾ كما يشير اليه قوله تعالى (يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك) اى متحيرين هنالك (لا الى هؤلاء) المسلمين (ولا الى هؤلاء) المشركين (ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلا) اى مخلصا ودليلا ، فلم يكن مخلصا بل يكون دائما حقيرا ذليلا ﴿ وفيه الخلود فى النار ﴾ فى دار البوار بل كما قال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وذلك لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر لحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين ولان ضررهم للمسلمين اكثر من ضرر المشركين . وكان النفاق فى بدء الاسلام يكثر ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام لغرض فاسد او عوض كاسد ، وذلك مما يقل فى زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة ، او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة، او يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه ، فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء ﴿ ثم ﴾ اى ثم الاخش بعده الرياء ﴿ باصل فرائض سواه ﴾ اى غيرة الايمان وذلك بان يكون مال لرجل فى يدغيره فيأمره باخراج الزكا خوفا من المذمة ، والله يعلم من باطنه انه لو كان فى يده لما اخرجها ، او يدخل وقت

وَفِيهِ الْمَقْتُ ثُمَّ بِأَصْلِ السُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ وَفِيهِ نِصْفُهُ لِايثَارِ رِضَاءِ غَيْرِهِ تَعَالَى عَلَى رِضَاهُ سُبْحَانَهُ دُونَ ايثَارِ الاحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَقْتِهِ تَعَالَى، ثُمَّ بِالْأَوْصَافِ

الصلاة وهو فى جمع فيصلى وعادته ترك الصلاة فى الخلوة ، و كذا يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لما كان يحضرها ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر ، ، اويصل رحمه اويبر والديه لاعن رغبة ولكن خوفا من المذمة ، اويغزو اويحج كذلك ﴿ وفيه المقت ﴾ اى اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس بكافر عند اهل السنة والجماعة ، وذلك لانه مراء فى الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد ان الله لامعبود سواه ، ولو كلف ان يعبد غير الله اويسجد لما عداه لم يفعل ، ولكنه يترك العبادات للكسل الطارى فى الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات ، فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته فى محمدتهم اشد من رغبته فى مثوبة الله . وهذا غاية الجهل بالرب وماأجدر صاحب هذا بالمقت الذى هو اشد الغضب ﴿ ثم ﴾ اى ثم الافحش بعده الرياء ﴿ باصل السنن ﴾ المؤكدة ﴿ والنوافل ﴾ المستحبة التى لو تركها لايعصى ، ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ، ولايثار لذة الكسل على مايرجى من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت ، وكالتهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء ونحوه ، فقد يفعل المرائى هذه الجملة خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ، ويعلم الله تعالى من ضميره انه لوخلى بنفسه لمازاد على اداء فرائضه ، فهذا أيضا عظيم فى نفسه لكن كما قال ﴿ وفيه ﴾ أى فى هذا النوع من الرياء ﴿ نصفه ﴾ أى نصف المقت أو بعضه باختلاف تفاوت أحواله فى الرغبة باعماله وذلك ﴿ لايثار رضاء غيره تعالى على رضاه سبحانه دون ايثار الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه ﴾ أى على المرائى ﴿ من مقته تعالى ﴾ فان الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق ، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الخالق ، وأما هذا فلم يفعل مافعل ذلك لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلذا عقابه نصف عقابه فتأمل ﴿ ثم بالاوصاف ﴾ أى ثم الاخش بعده الرياء باوصاف العبادات

فَبِالوَاجِبِ كَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ ثُمَّ الْمُكَمِّلُ كَتَطْوِيلِهَا وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ ثُمَّ الزَّائِدُ كَالْبُكُورِ فِى الْمَسْجِدِ وَقَصْدِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَالَهُ

لا باصولها من الفرائض المهمات ﴿ فبالواجب كتعديل الاركان ﴾ من الركوع والسجود والقومة بتسكين الجوارح والأعضاء فيها حتى يطمئن، فانه يرائى بفعل مافى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه الناس احسن أفعالها ومد القعود بين السجدتين وأمثالها، فقد قال ابن مسعود: من فعل ذلك فهى استهانة يستهين بهاربه، يعنى انه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة كما فى الجلوة فاذا اطلع آدمى عليه احسن الصلاة، ومن جلس بين يدى انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى فى الجلسة وأحسن كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لامحالة، وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملأ دون الخلاء وكذا الذى يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من الملامة، وكذا الصائم يصون صومه عن الغيبة لا لا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول التطوعات كذا فى الاحياء. والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض، لان أصول التطوعات دون أصول الواجبات، وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا يجوز ترك الواجبات أصلا. نعم بترك الفرائض تبطل العبادات، بخلاف ترك الواجبات فانه يوجب الاثم والنقصان فى وصف العبادات ﴿ ثم المكمل ﴾ أى ثم الأفحش بعده الرياء بفعل مالا نقصان فى تركه لكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته فهو ما كان وجوده خيرا من عدمه ﴿ كتطويلها ﴾ أى الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام وإطالة القراءة ﴿ وتحسين الهيئة ﴾ فى رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس فى الحالات ليستدل بذلك على غاية خشوعه ونهاية خضوعه. وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى طبعه ومراعاة شرعه ﴿ ثم الزائد ﴾ أى بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا ﴿ كالبكور فى المسجد ﴾ أى كحضور الجماعة قبل القوم ﴿ وقصد الصف الأول ﴾ وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه من الأحكام. وكل ذلك مما يرائى به الانام، ويعلم الملك العلام انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالى اين وقف ومتى حضر ﴿ وباعتبار ماله ﴾

قَصْدُ الْمَعْصِيَةِ كَتَقَلُّدِ الْوَقْفِ لِلْمُدَاهَنَةِ ثُمَّ الْمُبَاحُ كَنِكَاحِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ التَّمَيُّزُ عَنِ الْعَامَّةِ وَقَدْ يَخْفَى كَالْفَرَحِ بِاطِّلَاعِ الْغَيْرِ

أى والاخش باعتبار مايقع الرياء لاجله ماله فيه ﴿قصد المعصية﴾ وقيل انه بدل من ضمير ماله ، والاولى ماقدرناه لحسن ماله ، وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته ﴿كتقلد الوقف للمداهنة﴾ أى كالذى يرائى بالعبادات ويظهر التقوى والورع بلا ثرة النوافل من الطاعات والامتناع عن أكل الشبهات ، وغرضه أن يعرف بتأدية الامانات فيؤتى تولية القضايا أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها ، أو يسلم اليه تفرقة الزكاة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها في الحاجات ، أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها في بعض الحالات ، وهؤلاء أبغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ﴿ثم المباح﴾ أى قصده بالرياء ﴿كنكاح الشريفة﴾ او المرأة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو جمال ، فيظهر الحزن بالبكاء ويشتغل بالوعظ في الصباح والمساء لتبذل له الاموال وترغب في نكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه ﴿ثم التميز عن العامة﴾ بالمشى والزى وترك اكل اللحم ونحوه كي يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من أهل البلاد ، فيظهر عبادته لا لقصد نيل حظ دنيوى من مال أو نكاح بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص و يعتقد انه من جملة العامة ، كالذى يمشى مستعجلا في طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار والسكون ، وكذلك الذى يسبق اليه الضحك أو يبدر منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول : ماأعظم غفلة الآدمى عن نفسه ، والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك لما كان يثقل عليه ذلك ﴿وقد يخفى﴾ أى الرياء فانه كما تقدم اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ﴿كالفرح باطلاع الغير﴾ على طاعته فرب عبد مخلص في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتمم العمل كذلك ، ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح

وَالتَّعْرِيضِ لِلْاظْهَارِ وَتَحْسِينِ الْأَدَاءِ فِي الْخَلَاءِ لِئَلَّا يُخَالِفَ فِي الْمَلَاءِ وَلِلتَّزَيُّنِ بِظُهُورِ الْخُشُوعِ فِي الْأَعْضَاءِ وَتَأْثِيرُهُ أَنَّهُ اِذَا هَجَمَ بَعْدَ التَّمَامِ بِالْفَرَحِ عَلَى الظُّهُورِ أَوِ الاظْهَارِ لَا يُبْطِلُ لِعَدَمِ بُطْلَانِ الثَّوَابِ الْمُتَقَدِّمِ بِالْعَمَلِ الطَّارِي وَفِيهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَحُمِلَ مَا وَرَدَ مَاصُمْتَ وَلَا أَفْطَرْتَ فِيمَنْ قَالَ صُمْتُ دَائِمًا عَلَى كَرَاهَةِ صَوْمِ الدَّهْرِ

السرور منه ﴿ والتعريض للاظهار ﴾ يعني ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهيته فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام غرضا بالاظهار . وقد حكى ان رجلا اضاف الثوري واصحابه ، فقال لاهله: هاتوا الطبق الذي جئت به في الحجة الاولى ، فنظر سفيان وقال : مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ﴿ وتحسين الاداء في الخلاء ﴾ وجعله عادة له ﴿ لئلا يخالف في الملا ﴾ ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يتكرر منه الرياء في الخلاء والملا ﴿ وللتزين ﴾ كذا في النسخ ، والظاهر ان يقول والتزين في الاعين اي اعين اهل الملاء ﴿ بظهور الخشوع في الاعضاء ﴾ كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت و يبس الشفتين وآثار الدمع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد . والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء ، وقد روى «لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر» ﴿ وتأثيره ﴾ اي الرياء في العمل بالاحباط والاثبات ﴿ انه اذا هجم ﴾ اي غلب الرياء ﴿ بعد التمام ﴾ اي تمام العمل الخالص ﴿ بالفرح ﴾ متعلق بهجم اي بفرحه ﴿ على الظهور ﴾ من غير قصده ﴿ او الاظهار ﴾ بقوله ﴿ لا يبطل ﴾ ثواب العمل المؤدى بالاخلاص ﴿ لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارىء ﴾ اي الحادث بعده ﴿ وفيه الثواب ﴾ على عمله الذي مضى ﴿ والعقاب ﴾ على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها ﴿ وحمل ما ورد ﴾ اي في الحديث من نفي العمل تغليظا ﴿ ماصمت ولا افطرت فيمن قال صمت ﴾ اي في حق من قال صمت ﴿ دائما ﴾ والمحفوظ صمت الدهر يارسول الله ، ثم المعروف في مسلم من حديث ابي قتادة «قال عمر : يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر ؟ قال لاصام ولا افطر » فهذا حمل ﴿ على كراهة صوم الدهر ﴾ اي لا على ابطاله بالرياء لاظهار اعماله ولانه يكون في قوله نوع

لِدُخُولِ العِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ فِيهِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنْهَا فِيمَنْ قَالَ قَرَأْتُ البَارِحَةَ سُورَةَ البَقَرَةِ عَلَى عَدَمِ خُلُوِّ القَلْبِ عَنْهُ حَالَةَ القِرَاءَةِ بِدَلَالَةِ الاظْهَارِ وَاذَا هَجَمَ فِي الأَثْنَاءِ مُتَجَرِّدًا وَبَعَثَ عَلَى العَمَلِ وَخُتِمَ بِهِ كَمَا لَوْ تَذَكَّرَ ضَالَّةً أَوْ حَدَثَ نَضَارَةٌ فَأَتَمَّ العَمَلَ لِحُضُورِ الغَيْرِ عِنْدَهُ لَوْلَاهُ لَقَطَعَ يَبْطُلُ فِي عَمَلٍ ذِي أَرْكَانٍ يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ

كذب ﴿ لدخول العيدين ﴾ اى عيد الفطر والاضحى ﴿ والتشريق فيه ﴾ اى فى قوله صمت الدهر ، وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة الاربعة . واخرج ابن جرير كما فى الجامع الكبير « عن ام كلثوم قالت قيل لعائشة تصومين الدهر وقد نهى عليه السلام عن صيام الدهر ؟ قالت نعم سمعت رسول الله ﷺ نهى عن صيام الدهر ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر » وقال بعضهم : انما قال عليه السلام زجر اله عن اظهاره ﴿ وماجاء ﴾ اى وحمل ماورد عن ابن مسعود ﴿ ذلك ﴾ اى اظهارك ﴿ حظك ﴾ ولفظ الاحياء حظه ﴿ منها ﴾ اى من القراءة ﴿ فيمن قال قرأت البارحة ﴾ اى الليلة المتقدمة ﴿ سورة البقرة على ﴾ اى حمل على ﴿ عدم خلو القلب عنه ﴾ اى عن الرياء ﴿ حالة القراءة ﴾ لانه هجم بعد تمامها ﴿ بدلالة الاظهار ﴾ كيف ماكان ، فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله ﷺ أو من ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن قصد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به ، اذ يبعد ان يكون ما يطرؤ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية . نعم يبطل كمال ثوابه فى القضية ﴿ واذا هجم ﴾ اى غلبه الرياء ﴿ فى الاثناء ﴾ اى اثناء العبادة ﴿ متجردا ﴾ عن الاخلاص فى قصد الثواب ﴿ وبعث على العمل ﴾ اى على اتمامه ﴿ وختم ﴾ العمل ﴿ به ﴾ اى بالرياء المتجرد عن قصد الثواب ﴿ كما لو تذكر ضالة ﴾ فى اثناء الصلاة ﴿ اوحدث نضارة ﴾ اى فرجة ونزهة فى اثنائها ﴿ فاتم العمل لحضور الغير عنده لولاه ﴾ وفى نسخة لولاهو اى ذلك الغير ﴿ لقطع ﴾ ذلك العمل وطلب الضالة اوتفرج على النضارة ﴿ يبطل ﴾ جواب اذا هجم ، اى يبطل هذا الرياء ثواب العمل لكن ﴿ فى عمل ذى اركان ﴾ اى اجزاء ﴿ يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلاة والصوم والحج ﴾ والظاهر ان الغزو كذلك لكن قال الطبري : اذا كان الباعث اولا اعلاء

فَوِرْدُ «العَمَلُ كَالْوعَاء اذَا طَابَ أَوَّلُهُ طَابَ آخِرُهُ - مَنْ رَاءى بِعَمَلِه سَاعَةً حُبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ» دونَ غَيْرِهِ كَالصَدَقَة وَالتِّلَاوَة اذْ كُلُّ جُزْءٍ مُنْفَرِدٌ وَالطَّارِيءُ لَا يُبْطِلُ المَاضِيَ وَاذَا لَمْ يَتَجَرَّدْ بَلْ غَلَبَ كَغَلَبَةِ الفَرَحِ بِاطِّلَاعِ الغَيْرِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الفَسَادُ ان انْقَضَى رُكْنٌ

الملة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطي فى حاشية البخارى. ﴿ فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره ﴾ هكذا فى الاحياء، ورواه ابن ماجه من حديث معاوية بلفظ « اذا طاب اسفله طاب أعلاه » وعلى كل تقدير فظاهره لا يوافق المدعى الان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى ﴿ من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله ﴾ كذا فى الاحياء. قال مخرجه : لم اجده بهذا اللفظ، وللشيخين من حديث جندب « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » ﴿ دون غيره ﴾ اى بخلاف عمل ليس بذى اركان يتعلق صلاح بعضها ببعض ﴿ كالصدقة والتلاوة ﴾ وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء ﴿ اذ كل جزء ﴾ من كل منهما ﴿ منفرد ﴾ اى من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعلق له بغيره . فعن بعض الصالحين قال: كنت ليلة وقت السحر فى غرفة لى اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ارتحتها شيئا، فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارلها ثوابا ولم ارها اثبتت، فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها، قال فبكيت فى منامى بكاء شديدا وقلت : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا: مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها . وهذا يدل على ان الرياء فى الاوصاف مبطل لثواب العمل رأسا ﴿ والطارى ﴾ اى الحادث من الرياء ﴿ لا يبطل الماضى ﴾ من العمل بل يبطل الباقى، وفيه مخالفة لما روى من ان الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية، واذا ذكره ثانيا ينقل الى الرياء ﴿ واذا لم يتجرد ﴾ الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب ﴿ بل غلب ﴾ الرياء عليه ﴿ كغلبة الفرح باطلاع الغير ﴾ أى بمشاهدة غيره اليه ﴿ فالغالب فيه ﴾ أى الظن الغالب فى هذا النوع من العمل ﴿ الفساد ان انقضى ﴾ على حالة الريا. ﴿ ركن ﴾ من اركان ذلك العمل

وَلَمْ يُعَاوِدْهُ الْبَاعِثُ الأَصْلِيُّ لِلصَّلَاةِ لأَنَّا نَسْتَصْحِبُ نِيَّةَ الْبَدَاءَةِ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَطْرَأَ مَا لَوْ قَارَنَ ابْتِدَاءً الْمَنْعَ وَإِنِ احْتَمَلَ الْجَوَازَ لِبَقَاءِ قَصْدِ الثَّوَابِ الْمَوْجُودِ حَالَ الْعَقْدِ

مع غلبه قصد الرياء ﴿ ولم يعاوده ﴾ أى العامل الر ن أو المصلى ﴿ الباعث الأصلى للصلاة ﴾ وهو الاخلاص ﴿ لانا نستصحب نية البداءة ﴾ أى نعطى النية السابقة التى كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال، والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل ﴿ بشرط ان لا يطرأ ﴾ أى لا يحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل من الرياء اللاحقة ﴿ ما ﴾ أى الرياء ﴿ لو قارن ابتداء لمنع ﴾ الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص ﴿ وان احتمل ﴾ أى ولو احتمل ﴿ الجواز ﴾ أى صحة العمل ﴿ لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد ﴾ من التحريمة المقرونة بالنية . وتوضيحه مافى الأحياء . اذا كان واراد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب . كما لو حضر جماعة فى أثناء صلاته ففرح بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا ، فهذا رياء قد اثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات ، فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ، ويحتمل ان يقال : لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله أعلم بالصواب ه وذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط فى أمر اهون منه ، قال : اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال : وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الأول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال : ولا اقطع عليه بالحبط ان لم يزد فى العمل ولا آمن عليه ، وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم قال : فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هما صورتان فان كانت الاولى لله لا تضره الثانية وقد روى «أن رجلا قال يا رسول الله أسر عملى لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال : لك أجران اجر السر واجر العلانية» رواه البيهقى . والترمذى . وابن حبان من حديث أبى هريرة . ثم تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال: اما الحسن فانه أراد بقوله اى لا تضره: أي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة

وَإِنْ اتَّصَلَ بِالعَقْدِ مُتَجَرِّدًا وَأَتَمَّ عَلَيْهِ يُعِيدُ اتِّفَاقًا وَإِنْ رَجَعَ قَبْلَ التَّمَامِ فَكَذَلِكَ لِفَقْدِ الانْعِقَادِ وَضَعْفِ القَوْلِ بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الأَفْعَالِ لِفَسَادِهَا دُونَ التَّحْرِيمَةِ فَهِيَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءُ خَطْرَةٌ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الانْعِقَادِ لِأَنَّ الأَفْعَالَ الفَاسِدَةَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ زَائِدَةٌ فِيهَا فَتُبْطِلُهَا، وَبِوُجُوبِ الاسْتِغْفَارِ

وهو يريد الله ، ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره : وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه : احدها انه يحتمل انه أراد بظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ ، وثانيها انه أراد انه يسر به لاقتداء الناس به ونحوه من سرور محمود لا سرور بحسب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ، ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائى أجران ، وثالثها أنه قال : اكثر من يروى هذا الحديث يرويه غير متصل الى أبى هريرة ، بل اكثرهم يوقفه على أبى صالح السمان وفيهم من يرفعه ، فالحكم بالعمومات الواردة أولى ﴿وان اتصل﴾ الرياء ﴿بالعقد﴾ أى بالتحريمة وابتداء النية ﴿متجردا﴾ من قصد الثواب ﴿واتم﴾ العمل حتى سلم ﴿عليه﴾ أى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب ﴿يعيد﴾ ذلك العمل ﴿اتفاقا﴾ أى وهو آثم اجماعا ﴿وان رجع﴾ المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده ﴿قبل التمام﴾ أى تمام العمل ﴿فكذلك﴾ يعيد ذلك العمل اتفاقا ﴿لفقد الانعقاد﴾ على الاخلاص ﴿وضعف القول﴾ اى ولضعف قول القائل * (بوجوب اعادة الافعال) * الصادرة عن الرياء * (لفسادها) * أى لبطلان تلك الافعال ﴿دون التحريمة﴾ أى من غير وجوب اعادتها * (فهى) * أى التحريمة * (عقد) * له ثبوت واستقرار * (والرياء خطرة لا تخرجها) * أى التحريمة ﴿عن الانعقاد﴾ والمعنى أن قول المصلى اصلى لله تعالى عقد نيته على الاخلاص لله كالاقرار باللسان عقد ثابت ، والرياء خطرة لا تبطل العقد كما ان إقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى الدنيا فكذا هنا ، فقوله فهى عقد الخ دليل وجوب الاعادة : وأما دليل القول الاول المضعف للثانى فقوله ﴿لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود﴾ اذا لم تصح فهى ﴿زائدة فيها﴾ اى فى الصلاة ﴿فتبطلها﴾ أى تلك الافعال الصلاة * (وبوجوب الاستغفار) *

قَلْبًا وَالاتْمَام مُخْلِصًا لاعْتِبَارِ الخَتْمِ كَمَا لَوْ خَتَمَ بِالرِّيَاء وَابْتَدَأ بِالاخْلاص وَكَوْنِ العَمَلِ لَهُ تَعَالَى وَالَّا لَـكَفَرَ، وَزَوَالِ عَارِضِ الرِّيَاءِ بالتَّوْبَة لأَنَّهُ قَادِحٌ فِي النِّيَّةِ وَحَالَةُ البَدَاءَة أَوْلَى بِالرِّعَايَة

أي ولضعف القول بوجوب الاستغفار ﴿قلبا والاتمام﴾ اى وبوجوب اتمام العمل ﴿مخلصا﴾ أى متجردا عن الرياء ﴿لاعتبار الختم﴾ تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام مخلصا أى لاعتبار خاتمة العمل ﴿كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص﴾ لكان يفسد عمله ﴿وكون العمل﴾ أى وبكون العمل أو ولاعتبار كون العمل ﴿له تعالى﴾ لا لغيره ﴿والا﴾ أى فلو لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره ﴿لكفر﴾ كما كفر من يسجد للصنم ونحوه ﴿وزوال عارض الرياء﴾ أى وبزواله أو ولاعتبار زواله ﴿بالتوبة لانه﴾ دليل لضعف وجوب الاستغفار، والمعنى لان الرياء ﴿قادح فى النية وحالة البداءة﴾ أى الأولى ﴿أولى بالرعاية﴾ فى الاخلاص من الحالة الثانية لان المدار عليها فى الأفعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل العمل وتجب الاعادة، وتوضيحه ما فى الأحياء من أن الرياء الذى يقارن حال العقد بان يبتدىء الصلاة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف فى انه يعصى ولا يعتد بصلاته، وان ندم عليه فى أثناء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه: قالت فرقة: لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنفه، وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا، وقالت فرقة: لا يلزمه اعادة شىء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله، وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان كافرا، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته، قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لان الركوع والسجود اذا لم يصحا صارت افعالا زائدة فى الصلاة فتبطل الصلاة، وكذا قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية. وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح. فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

وَإِنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ فَفِيمَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ كَالصَّدَقَةِ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ فَوَرَدَ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الْآيَةَ، وَفِي غَيْرِهِ كَالصَّلَاةِ لَا يُبْطِلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الِاقْتِدَاءُ وَلَا يَسْقُطُ الْفَرْضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ وَإِنِ اسْتَقَلَّ

إن كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده ، وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل فهذه الصلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وهنا لا باعث ولا اجابة . وأما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى إلا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة أيضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله ﴿ وان لم يتجرد ﴾ الرياء من قصد الثواب ﴿ ففيما لا يقبل الفساد ﴾ وهو العمل الذى ليس بذى أركان ﴿ كالصدقة ﴾ والقراءة والصوم والحج ﴿ يثاب ﴾ على قصد الاخلاص حيث اطاع باجابة باعث الثواب ﴿ ويعاقب ﴾ على قصد الرياء حيث عصى باجابة باعث الرياء وعدل عن طريق الصواب ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ أى ير جزاءه فى الدنيا أو الأخرى ﴿ الآية ﴾ أى (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر ﴿ وفى غيره ﴾ أى وفى غير ما لا يقبل الفساد وهو فيما يقبل الفساد وهو عمل ذو اركان ﴿ كالصلاة ﴾ فانها تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية ففرق بين الفرض والنفل حيث قال ﴿ لا يبطل النفل حتى يصح الاقتداء ﴾ والمعنى ان حكمه أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه ، اذ اجتمع فى قلبه الباعثان ، ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به ﴿ ولا يسقط الفرض ان لم يستقل قصد الثواب ﴾ بان اقترن به قصد آخر هو عاص به فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما ، فهذا لا يسقط الواجب عنه ، لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله ﴿ وان استقل ﴾ اى قصد الثواب بمقتضى ظاهر كلام المصنف ، والاظهر ان استقل كل من القصدين الباعثين حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرض ولو لم يكن باعث

فَوَجْهَانِ السُّقُوطُ بِالنِّيَّةِ الْمُسْتَقِلَّةِ وَعَدَمُهُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُبَادَرَةِ فَفِيهِ فَوْتُ الْفَضِيلَةِ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ أَمَّا الْمَغْلُوبُ الْغَيْرُ الْمُؤَثِّرُ مَثَلًا كَمُجَرَّدِ الْفَرْحَةِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْجَوَازُ لِعَدَمِ اعْتِبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثِّرِ وَاحْتُمِلَ أَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَالْمُخْتَلِطُ غَيْرُ مُؤَدٍّ وَمِنْ ثَمَّ تَوَقَّفَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ مَائِلًا إِلَى الْفَسَادِ وَقِيلَ بِالْفَسَادِ بِأَقَلِّ خَطْرَةٍ مُطْلَقًا

الفرض لا لانشأ صلاة التطوع لاجل الرياء ﴿ فوجهان ﴾ اى ففيه احتمالان احدهما ﴿ السقوط ﴾ اى سقوط الفرض واعتباره للامتثال ﴿ بالنية المستقلة ﴾ واقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه ﴿ وعدمه ﴾ اى وثانيهما نفى سقوط الفرض ﴿ لان الواجب ﴾ فى تأدية الفرض ﴿ هو الخالص ﴾ من الرياء لقوله تعالى: (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقد فات ذلك باتصال الرياء ﴿ وان كان ﴾ باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض الاحتمال فى تعارض البواعث انما هو فى اصل الصلاة وان كان اتصال الرياء ﴿ فى المبادرة ﴾ مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر بالصلاة فى اول الوقت لحضور الجماعة ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ، ولو خلا لاخر الى وسط الوقت اوآخره ، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لاجل الرياء، فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض عن ذمته ﴿ ففيه فوت الفضيلة ﴾ وهى تصحيح النية فى المبادرة ﴿ والمعصية لقصد الرياء ﴾ فى المبادرة ﴿ اما المغلوب ﴾ من الرياء ﴿ الغير المؤثر ﴾ اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل كالذى لم يحمله على تطويل الصلاة ﴿ مثلا كمجرد الفرحة ﴾ باطلاع الغير ﴿ فالغالب ﴾ من جهة الظن ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر ﴿ الجواز ﴾ اى صحة العمل ﴿ لعدم اعتبار غير المؤثر ﴾ دفعا للحرج ﴿ واحتمل ان الواجب ﴾ على العبد ﴿ هو الخالص ﴾ من العمل عن الرياء ﴿ والمخلط ﴾ بالرياء ﴿ غير مؤدى ﴾ حق الاداء ﴿ ومن ثم توقف الحارث المحاسبي مائلا الى الفساد ﴾ اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما قدمناه ﴿ وقيل بالفساد باقل خطرة ﴾ فيما كان من اركان العمل ﴿ مطلقا ﴾ اى

حِرْصًا فى تَصْفِيَةِ القَلْبِ والمَسْأَلَةُ غَامِضَةٌ وَالْعِلْمُ عِنْدَهُ تَعَالَى، والعِلَاجُ قَلْعُ حُبِّ الْجَاهِ وَالْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ وَالطَّمَعِ بِمَا سَبَقَ وَاخْفَاءُ العَمَلِ مُتَكَلِّفًا وَذِكْرُ فَوَائِد

سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل ام لا. وقيل مطلقا اى رياء كان اوغيره ﴿ حرصا ﴾ لطلبه الرب ﴿ فى تصفية القلب ﴾ عما عداه سبحانه لاسيما حال العبادة هومذهب الثورى والجنيد ﴿ والمسألة ﴾ أى مسألة الرياء ﴿ غامضة ﴾ اى مشكلة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه، والذين خاضوا فيها وتصرفوا من ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها، بل حملهم الحرص على تصفية القلوب ومرادها، وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر والارادات ﴿ والعلم عنده تعالى ﴾ فى جميع الحالات والمقامات. ومما يؤيد القول بابطال الرياء فى جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى: (ياءيها الذين ءامنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس) الآية، ورواية ابى داود من حديث ابى هريرة « ان رجلا قال يارسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا. فقال عليه السلام: لااجر له » وللنسائى من حديث ابى امامة باسناد حسن « ارأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله؟ فقال لاشىء له، فاعادها ثلاث مرات يقول له لاشىء له ثم قال ان الله لايقبل من العمل الاما كان خالصا وابتغى به وجهه » نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم ﴿ والعلاج ﴾ اى دواء داء الرياء اربعة ﴿ قلع حب الجاه والمدح ﴾ اللذين هما سببه ﴿ وكراهة الذم والطمع ﴾ فيما فى ايدى الناس، اى وقلع كراهتهما والطمع ﴿ بما سبق ﴾ ذكره من الاشياء. ومما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ماروى ابو موسى « ان اعرابيا سأل النبي عليه السلام فقال: يارسول الله الرجل يقاتل حمية، ومعناه انه يأنف ان يقهر اويذم بانه مقهور مغلوب قال: والرجل يقاتل لذى مكانة » وهذا هو طلب لذة الجاه « والرجل يقاتل للذكر، وهذا هو طلب الحمد باللسان « فقال عليه السلام: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا » متفق عليه. وعنه عليه السلام: « من غزا لايبغى الاعقالا فله مانوى » رواه النسائى وهذا اشارة الى الطمع ﴿ واخفاء العمل متكلفا ﴾ اي مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السيئات ﴿ وذكر فوائد

الاخْلاَصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ فَمَا أَقْبَحَ مَنْ لاَ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى
سَاعَةٍ مِنَ العَمَلِ المَعْيُوبِ وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلاَلِهِ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ فَوَرَدَ . (لِتَعْلَمُوا أَنَّ
اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الآيَةَ،وَمَنْ بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَانٍ وَأَعْرَضَ عَنْ بَيْعِهِ
بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ فَوَرَدَ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)
وَذُكِرَ مَاوَرَدَ فِيهِ،وَيَحْمَدُ الفَرْحَةَ بِالظُّهُورِ عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى

الاخلاص وآفات الرياء ﴾ على ماتقدم ه

والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان، وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا، وحسب الغفلة ونسيان العقبي، وقلة التفكر فيما عند المولى من الدرجات، وعدم التأمل في آفات الدنيا وعظم نعيم الاخرى ،واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع السيئات، فان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القلب وتميله عن الرب، وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة الباقية، والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة، وانوار العلوم النافعة واسرار الاعمال الرافعة ﴿ فما اقبح من لا يكتفي بنظره تعالى على ساعة من العمل المعيوب ﴾ عنده ﴿ وهو تعالى مع جلاله ﴾ اي جلالة قدره وعظمة شانه ﴿ يكتفي بنظره ﴾ اي بنظر عبده وتأمله في خلق سمائه وارضه ونزول امره ﴿ فورد ﴾ في التنزيل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ﴿ لتعلموا ان الله على كل شيء قدير) الآية ﴾ اي (وان الله قد احاط بكل شيء علما) ﴿ ومن ﴾ اي وما اقبح من ﴿ باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين ﴾ من نفيس باق ليس له ثان ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ فليطلبهما من عنده فانه لا يوجد واحد منهما عند غيره ﴿ وذكر ماورد فيه ﴾ اي في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الرياء من الرذيلة،ويكفي في ذلك قوله سبحانه : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) والاخبار في هذا الباب كثيرة والآثار شهيرة ﴿ ويحمد الفرحة بالظهور ﴾ اي بسبب ظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها ﴿ على حسن لطفه تعالى ﴾ اي شكرا

بإخفاء الذنوب وإظهار الطاعات، فورد (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) أو دلالته على أنه تعالى يفعل كذلك فورد «ما ستر الله على عبده فى الدنيا إلا وستره عليه فى الآخرة» أو أنه يقتدى به فيضاعف الأجر أو أن المطلعين على عمله يثابون بمحبته والثناء عليه ويعرف الأخير بتسوية مدحه ومدح صالح غيره، ومنه ما ورد «لك أجران أجر السر وأجر العلانية» فيمن قال أخفى العمل فاذا ظهر أفرح

﴿ بإخفاء الذنوب ﴾ اى ستر السيئات ﴿ واظهار الطاعات فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ قال بفضل الله وبرحمته ﴾ من الايمان والقرآن ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ اى لا بغير ما ذكر ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا الفانية . وفى الدعاء . يا من اظهر الجميل وستر القبيح ﴿ او دلالته ﴾ اى او يحمد الفرحة بالظهور على دلالته ﴿ على انه تعالى يفعل كذلك ﴾ من اظهار الحسنات وستر السيئات ﴿ فى الآخرة ﴾ اى آخر الحالات ﴿ فورد ﴾ فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة « ما ستر الله على عبده فى الدنيا الا وستره عليه في الآخرة) وفى معناه انشدوا *

لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة للاستقبال، والثانى التفات الى حال المآل وحسن المنال ﴿ او انه ﴾ اى يحمد بالفرحة او بالظهور على ان من ظهر عمله ﴿ يقتدى به فيضاعف الاجر ﴾ بسبب ظهوره ﴿ او ﴾ اى او يحمد بالفرحة على ﴿ ان المطلعين على عمله يثابون بمحبته ﴾ أى بمحبة صاحب العمل ﴿ والثناء عليه ﴾ فى مقام رضاه ففى الخبر « أفضل الأعمال الحب فى الله » ﴿ ويعرف الاخير ﴾ وهو صدق دعوى فرحه باثابة الناس أو فرحه باقتدائهم فى عمله ﴿ بتسوية مدحه ومدح صالح غيره ﴾ فانه حينئذ دل على أن فرحه محمود لا مذموم مردود ﴿ ومنه ﴾ أى ومن الفرح المحمود ﴿ ما ورد لك اجران اجر السر وأجر العلانية فيمن قال ﴾ على طريق السؤال ﴿ اخفى العمل ﴾ خوفا من الرياء ﴿ فاذا ظهر افرح ﴾ بظهور الثناء، فللبيهقى فى شعب الايمان «عن ابن مسعود ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى» فقال عليه السلام : لك أجران أجر السر وأجر العلانية » ورواه الترمذي وابن حبان

والاظهار للترغيب فورد «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة» وبه أمر الأنبياء عليهم السلام بشرط أن يكون ممن يقتدى به ويبالغ في الاحتراز عن الرياء ويعرف بأنه لو قدر اقتداء الناس بغيره وعرفانه باستواء أجر السر والعلانية لما رغب

من رواية أبي هريرة، ولفظه «قال قلت: يارسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي دخل على رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها، فقال عليه السلام: رحمك الله ياأبا هريرة لك أجران اجر السر وأجر العلانية» والحديث في المشكاة ﴿والاظهار﴾ أي ويحمد اظهار العمل ﴿للترغيب﴾ أي لترغيب غيره فيه ﴿فورد﴾ في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبدالله البجلي ﴿من سن سنة حسنة﴾ أي فعمل بها كما في رواية «فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة» وسبب وروده أن أنصاريا جاء بصرة فتتابع الناس بالعطية لما رواه البيهقي من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن أراد الاقتداء» وله من حديث أبي الدرداء «ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا» وله من حديث عائشة «يفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا» (وبه) أي وبالاظهار ﴿امر الانبياء عليهم السلام﴾ ويفهم منه انه يحسن الاظهار ﴿بشرط أن يكون﴾ المظهر ﴿ممن يقتدى به﴾ من العلماء والصلحاء لتتم فائدة الاظهار الذي دون الاسرار. قال الحسن: قد علم المسلمون ان السر احرز العملين، ولكن في الاظهار أيضا قد تكون فائدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى: (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قلت وقد قال أيضا (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) الآية قال علي رضي الله عنه: تصدقت بدرهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا وآخر علانية عملا بالآية وما فيها علانية ﴿ويبالغ﴾ أي وبشرط أن يبالغ (في الاحتراز عن الرياء) ليصل الى مقام أهل الاختصاص من الاخلاص، فربما يكون فيه رياء في غاية الخفاء فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك. ﴿ويعرف﴾ احترازه أو يعرف المظهر للترغيب دون الرياء (بانه لو قدر) أي فرض (اقتداء الناس بغيره) من العلماء في عمله حال ظهوره (وعرفانه) أي وقدر معرفة هذا المظهر (باستواء أجر السر والعلانية) فضلا عن كون عمل السر أفضل (لما رغب)

فيه، وَالذِّكْرُ بَعْدَهُ وَهُوَ لِمَنْ قَوِيَ بَاطِنُهُ وَتَمَّ اخْلَاصُهُ وَخَطَرُهُ أَصْعَبُ لِخِفَّةِ الْمُؤْنَةِ وَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ وَلَذَّةِ النَّفْسِ وَأَخَفُّ لِأَنَّ اللَّاحِقَ لَا يُبْطِلُ السَّابِقَ وَكِتْمَانِ الْمَعَاصِي لَا لِأَنْ يَعْتَقِدَ فِيهِ الْعَمَلَ رِيَاءً بَلْ لِلتَّحَامِي عَنِ الْهَتْكِ فَفِيهِ خَوْفُهُ فِي الْآخِرَةِ

المظهر ﴿ فيه ﴾ اى فى اظهار عمله ، لان غرضه حصل من عمل غيره ، فهما وجد الثقل في نفسه اورغب فى اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب فى دعواه طالب لمقتضى هواه ﴿ والذكر ﴾ اى ويحمد ذكر العمل ﴿ بعده ﴾ اى بعد فراغ العمل ليقتدى به كقول عثمان: ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، كذا فى الاحياء . ولابى يعلى الموصلى فى معجمه من رواية انس عنه فى اثناء حديث « وان عثمان قال يارسول الله » فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك ياعثمان، او تحدثا بنعمة ربه ﴿ وهو ﴾ اى الذكر انما جاز ﴿ لمن قوى باطنه ﴾ فى المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله ﴿ وتم اخلاصه ﴾ عن الرياء ﴿ وخطره ﴾ اى خطر الذكر بعد العمل ﴿ اصعب ﴾ من خطر الظهور ﴿ لخفة المؤنة ﴾ اى الكلفة فى ذكره ببعض الكلمة ﴿ وزيادة المبالغة ﴾ اى ولزيادتها فى ذكر العمل بان يقول مانمت البارحة مع انه لايخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس ﴿ ولذة النفس ﴾ فى اظهار الدعاوى ﴿ واخف ﴾ اى اهون على المظهر فى التأثر وان يطرق فى الذكر بعد العمل ﴿ لان اللاحق ﴾ من ذكر العمل ﴿ لايبطل السابق ﴾ من نفس العمل مع الاخلاص ﴿ وكتمان المعاصى ﴾ اى ويحمد كتمان الذنوب و كراهة اطلاع الناس على العيوب ﴿ لا ﴾ اى لايحمد ﴿ لان يعتقد فيه ﴾ اى فى الكاتم ﴿ العمل رياء بل ﴾ يحمد لثمانية اشياء ﴿ للتحامى عن الهتك ﴾ اى للمحافظة على هتك ستره وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصى من النفس وجرءتها عليها، فان النفس متى ألفت ظهور الذنوب زادانهما كها واسترسلت فى شهواتها بارتكا بها وما بالت بعدم اجتنابها ﴿ ففيه ﴾ اى فى الهتك فى الدنيا ﴿ خوفه ﴾ اى خوف العبد او خوف الهتك ﴿ فى الآخرة ﴾ اى فى القيامة بالكرة الآخرة عكس ماتقدم فى قوله

كما احسن الله فيما مضى ❊ كذلك يحسن فيما بقى

أوْ لِأنَّ السِّتْرَ مَأمُورٌ بِهِ فَوَرَدَ «مَن ارْتَكَبَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ القَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَيُعْرَفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِهَا مِنَ الغَيْرِ أوْ لِئَلَّا يَتَأَلَّمَ بِالذَّمِّ فَهُوَ مُبَاحٌ لِكَوْنِهِ جِبِلِّيًّا وَالتَّرْكُ كَمَالٌ أوْ لِأنَّ النَّاسَ شُهَدَاؤُهُ فَوَرَدَ «مَنْ أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأرْضِ ثَلَاثاً أوْ لِأنَّ الذَّامَّ يَصِيرُ عَاصِياً وَيُعْرَفُ بِتَسْوِيَةِ

﴿ اولان الستر ﴾ اى كتمان المعاصى ﴿ مأموربه ﴾ اى فى باب استحبابه ﴿ فورد ﴾ فى حديث « من ستر الله عليه فى الدنيا ستر الله عليه فى الآخرة » باعتبار مفهومه وكذا ﴿ من ارتكب شيئا من هذه القاذورات ﴾ اى السيئات ﴿ فليستتر بستر الله تعالى عليه ﴾ رواه الحاكم ﴿ ويعرف ﴾ صحة هذا المقام ﴿ بكراهة ظهورها ﴾ اى المعاصى ﴿ من الغير ﴾ ففى الخبر « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه » ﴿ اولئلا يتألم بالذم ﴾ اى بذم الناس فان الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاص ﴿ فهو ﴾ اى التالم ﴿ مباح لكونه جبليا ﴾ كما ان الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فاذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع فى العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه ﴿ والترك ﴾ أى ترك التألم ﴿ كمال ﴾ فان كمال الصدق فى ان تزول عنه رؤية الخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه ، فللترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ « قام رجل فقال ان حمدى زين وان ذمى شين فقال كذبت ذاك الله » ولاحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات ﴿ أو لان الناس شهداؤه ﴾ أى شهداء الله تعالى كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق ﴿ فورد ﴾ فى مسند أحمد والصحيحين والنسائى عن أنس ﴿ من اثنيتم ﴾ أيها الصحابة أو أيها الأمة ﴿ عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله فى الأرض ثلاثا ﴾ اى قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه (وكذلك جعلنا كم أمة وسطا) أى عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ﴿ أو لان الذام يصير عاصيا ﴾ أى بسبب ذمه ولو بالمعاصى أو بتجاوزه عن الحد فى الذم فيذم بما ليس فيه ﴿ ويعرف ﴾ تصحيح هذا المقام أو يعرف هذا الكتمان ﴿ بتسوية

ذمه وذم غيره أو لخوف أن يقصد بسوء أو للحياء فهو من كرم الطبع وورد «الحياء خير كله ـ الحياء شعبة من الايمان» أولأن لا يقتدى به الغير وحب محبته الناس لأن يعلم منه محبته تعالى فمن أحبه تعالى جعله محبوباً فى قلوبهم ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم يترك بمحضر الغير ان هجم الرياء فى الشروع

ذمه وذم غيره ﴾ يعنى لما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذى قبله ان هـذا يوجد فى الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره أيضا لما يوجد اذا ظهرت منه ، والذى قبله انما يوجد فى الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره ﴿ او لخوف ان يقصد بسوء ﴾ من محتسب وغيره وهذا وراء الم الذم، فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه وان كان ممن يؤمن شره ، وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه ﴿ أو للحياء فهو من كرم الطبع ﴾ ولا يلزم منه الرياء ﴿ وورد الحياء خير كله ﴾ مسلم من حديث عمران بن الحصين ﴿ الحياء شعبة من الايمان ﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة وفى الخبر « الحياء لا يأتى الا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن الحصين . ويعرف الكتمان للحياء بعدم الكتمان فيمن لا يستحيي منه كالاجانب بخلاف باقى الاسباب فان صاحبها يحب الكتمان فى الاجانب والاقارب ﴿ أولأن لا يقتدى به الغير ﴾ فى معصيته فينبغى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبده أيضا ﴿ وحب ﴾ أى و يحمد حب ﴿ محبته الناس ﴾ كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف أى اياه ، لكنه قلب الكلام وقال محبته الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها ﴿ لان يعلم منه ﴾ أى من حب الناس له ﴿ محبته تعالى ﴾ رياه ﴿ فمن أحبه تعالى جعله محبوبا فى قلوبهم ﴾ اى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) ولقوله عليه السلام « اذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض » الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة ﴿ ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم ﴾ والصدقة ﴿ يترك بمحضر الغير ان هجم الرياء ﴾ متجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص ﴿ فى الشروع ﴾ أى فى ابتداء

حَتَّى اندَفَعَ الرِّيَاءُ وَيَشْرَعُ مُجَاهِدًا إنْ هَجَمَ بَاعِثَانِ وَيُتِمُّ كَذَلِكَ انْ هَجَمَ بَعْدَهُ وَلَا يَتْرُكُ لِأَنَّهُ مُوَافَقَةُ الشَّيْطَانِ وَلِأَنَّ الاشْتِهَارَ بِإِخْفَائِهَا لِيُعْلَمَ اخْلَاصُهُ رِيَاءٌ وَالاحْتِرَازَ عَنِ النِّسْبَةِ الَى الرِّيَاءِ رِيَاءٌ وَتَرَكَ النَّخَعِيُّ التِّلَاوَةَ لِدُخُولِ شَخْصٍ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ الَيْهِ بِالاشْتِغَالِ بِهِ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَانْ زَادَ عَلَى الْمُعْتَادِ بِحُدُوثِ النَّشَاطِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ مُتَعَبِّدًا فَانْ كَانَ غِبْطَةً لِزَوَالِ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ

شروعه في العمل ﴿ حتى اندفع الرياء ﴾ أي الى ان يندفع الرياء ويظهر باعث الاخلاص ﴿ ويشرع ﴾ في العمل ﴿ مجاهدا ﴾ نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة والدواء ﴿ ان هجم باعثان ﴾ في وقت الشروع ﴿ ويتم ﴾ أي مجاهدا ﴿ كذلك ﴾ أي كما أتم في هجوم باعثين ﴿ ان هجم ﴾ باعث الرياء ﴿ بعده ﴾ أي بعد الشروع ﴿ ولا يترك ﴾ أي رياء الشروع في العمل مع هجوم الرياء لوجهين ﴿ لانه موافقة الشيطان ﴾ فانه يحب ترك العمل من أصله ، فانه يدعوك أولا الى ترك العمل ، فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل فيدعوك الى الرياء ، فاذا لم تجبه ودفعته بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضايع فاى فائدة لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى يدلك على ترك العمل بخوفك ، فاذا تركته حصلت غرضه ، بل يجب عليك حينئذ أن تعمل العمل وتطلب الاخلاص من الله تعالى فان الرياء قنطرة الاخلاص ﴿ ولان الاشتهار باخفائها ﴾ أي الطاعة ﴿ ليعلم اخلاصه رياء والاحتراز عن النسبة الى الرياء رياء ﴾ كما قال الفضيل: العمل لغير الله شرك ، وترك العمل لاجل الخلق رياء ، والاخلاص ان خلصك الله منهما ﴿ وترك النخعي التلاوة لدخول شخص ﴾ لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل ﴿ لما علم انه يحتاج اليه بالاشتغال به ﴾ فبادر الى ترك التلاوة قبل دخوله ﴿ لكونه ﴾ أي التبادر ﴿ أبعد من الرياء ﴾ فرأى ان عدم اشتغاله بالقراءة أبعد من الرياء ، وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع أو هجوم باعث الرياء بعد الشروع ﴿ وان زاد ﴾ أي المصلي مثلا ﴿ على المعتاد ﴾ في ورده كمية أو كيفية ﴿ بحدوث النشاط ﴾ في العبادة ﴿ عند رؤيته متعبدا ﴾ أي عند رؤيته لمتعبد آخر فان للصحبة تأثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة والجماعة ﴿ فان كان ﴾ ما زاد على المعتاد ﴿ غبطة ﴾ في العبادة ﴿ لزوال الغفلة والكسل

بمشاهدته فيفعل الزيادة دافعا وسوسة أنه رياء بخلاف ما إذا كان نشاطا لاستمالة قلبه ويعرف بأنه لو رأى بحيث لم يره رغب فيه أما ما تلتذ به العامة فالأعلى الخلافة فورد «ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة» وخطرها أعظم لتحريكها الباطن في محبة الجاه والافضاء الى ارتكاب الذنب لنموه

بمشاهدته ﴾اى المتعبد﴿ فيفعل الزيادة ﴾على العادة وان ظن انه رياء دافعا وسوسة انه رياء ﴿ بخلاف ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه ﴾ أى قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء محض لا ثواب فيه بل عقاب عليه ﴿ ويعرف ﴾ هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة ﴿ بانه ﴾ أى بان العابد الذى يزيد على المعتاد غبطة ﴿ لو رأى ﴾ أى المنشط المتعبد ﴿ بحيث لم يره ﴾ المتعبد المنشط ﴿ رغب ﴾ العابد ﴿ فيه ﴾ أى في العمل الزائد فانه حينئذ يصدق انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة ﴿ اما ما تلتذ به العامة ﴾ من الطاعة ﴿ فالاعلى الخلافة ﴾ اى الامامة الكبرى ﴿ فورد ﴾ فى الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس ﴿ ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة ﴾ وفى رواية عاما، وللاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابى سعيد الخدرى « اقرب الناس منى مجلسا يوم القيمة امام عادل » ﴿ وخطرها ﴾ اى آفة الخلافة ﴿ اعظم لتحريكها ﴾ اى الخلافة ﴿ الباطن فى محبة الجاه ﴾ وهو اعظم بلاء الدنيا فلاحمد، والبزار وابى يعلى والطبرانى من حديث ابى هريرة « مامن والى عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا غفر له، وفى الصحيحين من حديث معقل بن يسار « مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الالم يرح رائحة الجنة » وعن الحسن ان رجلا ولاه النبى عليه السلام فقال خر لى يارسول الله قال اجلس رواه الطبرانى ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ « الزم بيتك » وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة » وللبخارى من حديث ابى هريرة « انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » ورواه ابن حبان « فبئست المرضعة وبئست الفاطمة » وفيهما من حديث ابى موسى « انا لا نولى امرنا من سألنا » ﴿ والافضاء ﴾ اى واتصال الخلافة وانجرارها ﴿ الى ارتكاب الذنب لنموه ﴾ اي لزيادة الجاه، فان كل ما نما جاهه وغلب علي النفس حبه صارت الولاية محبوبة

وَمَنْ ثَمَّ احْتَرَزَ عَنْهَا الأتْقِيَاءُ فَيَحْتَرِزُ عَنْهَا الضَّعِيفُ دُونَ القَوِيِّ لِعَدَمِ تَأْثِيرِهَا فِيهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ القَوِيُّ الانْقِلَابَ عِنْدَ التَّقْلِيدِ فَالصَّحِيحُ فِيهِ الاحْتِرَازُ إِذِ النَّفْسُ خَدَّاعَةٌ يُخَافُ عَلَيْهَا عِنْدَ الجَزْمِ بِالثَّبَاتِ فَعِنْدَ الخَوْفِ أَوْلَى وَالامْتِنَاعُ أَهْوَنُ مِنَ العَزْمِ، ثُمَّ القَضَاءُ ثُمَّ الوَعْظُ وَالدَّرْسُ وَالفَتْوَى فِى الفَضْلِ وَالخَطَرِ وَاشْتِرَاطُ القُوَّةِ وَمُدَافَعَةُ السَّلَفِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ ،

عنده فيحتاج الى حفظها و يوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل مايقدح فى جاهه وان كان حقا ﴿ ومن ثم احترز عنها ﴾ اى عن الخلافة ﴿ الاتقياء ﴾ من اكابر الامة لكن لا بد لاحد ان يقوم بامرها ﴿ فيحترز عنها الضعيف ﴾ اى العاجز عن السياسة ﴿ دون القوى ﴾ القادر على الرياسة ﴿ لعدم تأثيرها ﴾ اى تأثير الخلافة أو محبة الجاه ﴿ فيه ﴾ اى فى القوى ﴿ الا اذا علم القوى ﴾ اى خافه ﴿ الانقلاب ﴾ ه عن حالة القوة الى حالة الضعف ﴿ عند التقليد ﴾ اى عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة ﴿ فالصحيح ﴾ الاحوط ﴿ فيه ﴾ اى فى هذا الحال من خوف الانقلاب ﴿ الاحتراز ، اذ النفس خداعة يخاف عليها عند الجزم ﴾ اى عند عزمها وجزمها ﴿ بالثبات فعند الخوف ﴾ من عدم الثبات ﴿ اولى ﴾ ان يخاف عليها ﴿ والامتناع ﴾ عن المنصب ﴿ أهون من العزل ﴾ كما هو المشاهد فى اهل العدل ويشير اليه ما فى حديث البخارى « نعمت المرضعة و بئست الفاطمة » ﴿ ثم القضاء ﴾ وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ، ولمسلم من حديث ابى ذر « لا تؤمرن على اثنين ولاتلين مال يتيم » ولاصحاب السنن من حديث بريدة « القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار » ولهم من حديث أبى هريرة « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين » وفى رواية « من ولى القضاء » واسناده صحيح ﴿ ثم الوعظ ﴾ للناس ﴿ والدرس ﴾ للطلبة ﴿ والفتوى ﴾ لارباب الحاجة ﴿ فى الفضل ﴾ لانها عبادات متعدية ﴿ والخطر ﴾ لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها لخطر ما فيها عظيم بقدرها ﴿ واشتراط القوة ﴾ بان يحول التعليم خالصا لوجه الله الكريم ﴿ ومدافعة السلف ﴾ مبتدأ ﴿ فيها ﴾ اى فى المذكورات ﴿ مشهورة ﴾ قال بعضهم : كان السلف يتدافعون اربعة أشياء : الامانة

وَتعرفُ القوّةُ بِعدمِ كَراهَة ظُهُورِ آخَرَ يتقلّده فَانْ عدمَ القوىُّ الكَامِلُ يتعين أقوى النَّاس مُجْتَهِدًا فى الاحتراز عَنْ آفَاته

(البَابُ الرَّابع عَشَر فى التَّفْويضِ وَقَصْرِ الأَمَلِ وَذكْرِ المَوْتِ وَالانْتبَاه)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الخَطَرُ خَطَرَانِ خَطَرُ الفَسَادِ وَيُحْتَاجُ فيه الَى التَّفْويض

والوديعة ، والوصية ، والفتوى ﴿ وتعرف القوة ﴾ فى كل منهم ﴿ بعدم كراهة ظهور آخر ﴾ أحسن منه علما وعملا ﴿ يتقلده ﴾ أى بالقيام فى أمره ﴿ فان عدم القوى ﴾ فى مقام التقوى ﴿ الكامل ﴾ فى العلم بالفتوى ﴿ يتعين أقوى الناس مجتهدا ﴾ أى حال كونه مبالغا ﴿ فى الاحتراز عن آفاته ﴾ أى آفات ماذكر من الخلافة وغيرها فى جميع حالاته ومقاماته وبالجلة ما يتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات ومنبع البليات ، فالاحب للقوى ان يعمل و يدفع الآفة بالعلم ، فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليستخر ربه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ، وليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشرع دون الميل اليه بالطبع اذ ما يجده اخف على قلبه واهون اليه يكون فى الا كثر اضر عليه ، لان النفس لا تشير الا بالشر قلما تشير بمحض الخير ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات نظرا الى تعاليها ، بل هي موكولة الى اجتهاد القلب المشحون بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه . ومن جرب آفات مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولايات والحكومات اشبه ، وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم . والله سبحانه أعلم ،

﴿ الباب الرابع عشر فى التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه ﴾ أى اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وافوض أمرى الى ربى الكريم ﴿ الخطر ﴾ وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق القدر ﴿ خطران ﴾ أى نوعان أحدهما ﴿ خطر الفساد ﴾ بان لا يستيقن فيه الصلاح ﴿ ويحتاج فيه الى التفويض ﴾ أى التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فيما أراد من الصلاح والفساد ، فان المراد للعباد ثلاثة ، مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب والحجاب ، وفى الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك . ومراد يعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم

وَهُوَ اِرَادَةُ حِفْظِهِ تَعَالَى لِلْمُفَوَّضِ فِيمَا لَا أَمْنَ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ قِيلَ هُوَ مَا يَكُونُ دُونَهُ نَجَاةٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَامِعَهُ ذَنْبٌ فَيَخْتَصُّ بِالنَّوَافِلِ وَالْمُبَاحَاتِ وَقِيلَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ الاشْتِغَالُ بِهِ أَوْلَى، فَيَعُمُّ الفَرْضَ

لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ، ومراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا أم فسادا فهذا موضع التفويض ، فليس لك ان تريدها قطعا الا بالاستثناء أو شرط الخير والصلاح، فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو مذموم ومنهي عنه ، فموضع التفويض إذا كل مراد فيه الخطر وهو أن لا يستيقن صلاحك فيه ﴿ وهو ﴾ أي التفويض ﴿ ارادة حفظه تعالى للمفوض فيما ﴾ اي في عمل ﴿ لا امن فيه من الفساد ﴾ وقال بعض المشايخ : هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد ، وعبارة الشيخ السنجري : هو ترك اختيارك المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ، ويؤيده كلام الامام الشاذلى : لا تختر فان تختر فاختر ان لا تختار فربك يخلق ما يشاء ويختار ، ومن هنا ما قيل لاني يزيد: ماتريد . قال أريد ان لا أريد. وقال الشيخ أبو عمر : هو ترك الطمع أي من الحق ، والطمع ارادة الشيء المخاطر بالحكم . وعن الشاذلى : اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك . فهذه عبارات القوم . وماذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالى بعينه وهو ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك ﴿ قيل هو ﴾ أي العمل الذي لا أمن فيه من الفساد ﴿ ما يكون دونه نجاة ﴾ فالايمان ليس لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات ﴿ ويمكن أن يجامعه ذنب ﴾ فالاستقامة التي هي حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة لا يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة ، لان البدعة الذميمة هي التي تزاحم السنة الكريمة ﴿ فيختص ﴾ التفويض ﴿ بالنوافل والمباحات ﴾ دون الواجبات والمحرمات والمكروهات ﴿ وقيل ﴾ المراد بالعمل الذي لا أمن فيه من الفساد ﴿ ما ﴾ أي عمل ﴿ يمكن ان يعترض عليه ﴾ أي يطرأ و يحدث على شروعه ﴿ ما يكون الاشتغال به أولى فيعم الفرض ﴾ أي ونحوه . واكثر المشايخ واختيار الامام في منهاج العابدين : ان الفرض ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال في هذه المسألة : ان الذي افترض الله عز وجل على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا محالة

اذ مَنْ قَصَدَ أَدَاء صَلَاةٍ ضَاقَ وَقْتُهَا وَعِنْدَهُ غَرِيقٌ أَوْحَرِيقٌ يُمْكِنُ إِنْقَاذُه فَهُوَأَوْلَى وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِاطْمِئْنَانِ الْقَلْبِ فِى الْحَالِ وَحُصُولِ الصَّلَاحِ فِى الْاسْتِقْبَالِ فَلَا يَفْعَلُ فِى الْمُفَوَّضِ الْفَسَادَفَوَرَدَ (وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ ـ إِلَى ـ فَوَقَاهُ اللهُ) الْآيَةَ وَأَمَّاالْأَصْلَحُ فَرُبَّمَا لَا يَفْعَلُ حَتَّى نَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَصْحَابِهِ

وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى، وقال بعضهم . ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ، ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا يعدل عن ذلك الا وفيه صلاح له ، وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احد الفرائض اولى من الاشتغال بالآخر ،فيكون العبد فى ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا الفرض بل يفعل الفرض الذى هو اولى اولا ﴿ اذ من قصد اداء صلاة ضاق وقتها وعنده غريق اوحريق ﴾ اواعمى اوصغير يريد ان يرتمى فى بئر ﴿ يمكن انقاذه ﴾ اى تخليصه بترك اداء الصلاة او بقطعها وتأخيرها ﴿ فهو اولى ﴾ من ادائها واتمامها لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت ﴿ ولا بد منه ﴾ اى من التفويض لامرين ﴿ لاطمئنان القلب فى الحال ﴾ فان الامور اذا كانت خطرة مبهمة لا يدرى صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس فى مرادها لا يدرى يقع فى صلاح او فساد ، فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تقع الا فى خير وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن البال فى الحال ، وهذه الطمانينة والامن والراحة فى القلب غنيمة عظيمة فى المنال، فكان يقول بعض المشايخ فى مجالسه كثيرا : دع التدبير الى من خلقك تسترح ﴿ وحصول الصلاح ﴾ اى الخير والنفع ﴿ فى الاستقبال ﴾ وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة ، فكم من شر فى صورة خير ، وكم من نفع فى حلية ضر ، وكم من سم فى طينة شهد ، وانت جاهل بالعواقب واسرار المراتب . واما اذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت نفسك لديه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك ﴿ فلا يفعل ﴾ رب العباد ﴿ فى المفوض ﴾ اى فى امر المفوض للمراد ﴿ الفساد ﴾ بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح والسداد ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿ وافوض امرى الى الله الى فوقاه الله الآية ﴾ اى (ان ابصير بالعباد فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) فالمرجو المتيقن هو الصلاح ﴿ واما الاصلح ﴾ للعبد ﴿ فربما لا يفعل ﴾ الله فى المفوض ﴿ حتى نام عليه السلام مع اصحابه ﴾ الكرام

عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَلَهُ اخْتِيَارُ الْأَفْضَلِ كَقَوْلِ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ إِجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ السُّكَّرِ لَا مَاءَ الشَّعِيرِ إِذَا كَانَ الصَّلَاحُ فِيهِمَا مَعَ الرِّضَاءِ بِالْمَفْضُولِ إِنْ اخْتِيرَ لَهُ بِخِلَافِ الْأَصْلَحِ فَهُوَ مَجْهُولٌ وَضِدُّهُ الطَّمَعُ وَهُوَ مَحْمُودٌ

﴿ عن صلاة الفجر ﴾ حين عرس عليه السلام وقت سحر فى حال سفر ، والحديث فى الصحيحين بطوله ﴿ وله ﴾ اى وللمفوض ﴿ اختيار الافضل ﴾ اى فى طلبه من الله بغير استثناء منه وهو لايقدح فى تفويضه الذى هو كال تسليمه ﴿ كقول المريض ﴾ المفوض ﴿ للطبيب ﴾ الذى بمنزلة الحبيب ﴿ اجعل دوائى ماء السكر لا ماء الشعير اذا كان الصلاح فيهما ﴾ بحسب التدبير ﴿ مع الرضاء بالمفضول ﴾ وهو ماء الشعير ﴿ ان اختير له ﴾ اى اختار الطبيب المفضول ﴿ له ﴾ للمريض بحسب التقدير ، وانما قيد بكونه مع الرضاء لانه لولم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل حينئذ هو الفاضل ﴿ بخلاف الاصلح فهو مجهول ﴾ اى لايعرف احد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد . وتوضيحه مافى الاحياء . فان قيل : هل يجب ان يفعل بالمفوض ماهو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل فى حق الله تعالى ، ولا يجب لعباده عليه شىء ، وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة فى فعله ، الا ترى انه قدر للنبى عليه السلام واصحابه ان ناموا طول الليل فى بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الفجر ، والصلاة أفضل من النوم ، وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة فى الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبى ، ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير ، فالمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا ان الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك . فان قيل فلما ذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح ؟ فاعلم ان الفرق بينهما أن العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريده بالحكم ، ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره هنالك ، لا ان للعبد تحكما فى شىء لقوله تعالى (ليس لك من الامر شىء) فهذه جملة من دقائق هذا العلم واسراره وحقائقه وانواره ، ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا بالايراد عليه ، لانه بلاطم بحار علوم المكاشفة ونحن فى ساحل علوم المعاملة ﴿ وضده ﴾ أى ضد التفويض ﴿ الطمع ﴾ من الحق بمعنى الرجاء ﴿ وهو ﴾ اى الطمع ﴿ محمود

إِنْ قُيِّدَ بِشَرْطِ الصَّلَاحِ أَوْ بَايَنَ الْخَطَرَ فَوَرَدَ . (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَلِى خَطِيئَتِى ـ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) وَالَّافَمَذْمومٌ فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ الَى مَنْفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ. وَخَطَرُ عَدَمِ الْكَوْنِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ الَى قَصْرِ الْأَمَلِ وَهُوَ أَنْ لَا يُرَادَ أَمْرٌ يُشَكُّ فِى كَوْنِه إِلَّا بِالِاسْتِثْنَاءِ بِذِكْرِ الْمَشِيئَةِ أَوِ الْعِلْمِ قَلْبًا فَوَرَدَ «إِذَا

ان قيد بشرط الصلاح ﴾فيما لا امن فيه عن الفساد﴿ او باين ﴾اى ان فارق المطموع ﴿ الخطر ﴾ اى خطر الفساد ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل حكاية عن ابراهيم ﴿ والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى ﴾ يوم الدين ، وعن السحرة ﴿ انا نطمع ان يغفرلنا ربنا خطايانا ﴾ ان كنا اول المؤمنين ، وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) فالطمع الوارد فى هذه الآيات مثال ماباين الخطر ﴿ والافمذموم ﴾ اى وان لم يقيد بشرط الصلاح اولم يباين الخطر فالطمع مذموم، فى الخبر، اياكم والطمع فانه فقر حاضر، وقيل . صلاح الدين الورع وفساده الطمع ﴿ فهو ﴾ اى الطمع المذموم ﴿ سكون القلب الى منفعة مشكوكة ﴾ وقيل هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم، وهذه الارادة تقابل التفويض لاغير فاعلم ذلك . واماحصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد منها ، وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع من الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك، فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الابشرط صلاحها ، وهذا غاية التحقيق والله ولى التوفيق ﴿ وخطر عدم الكون ﴾ بالرفع عطف على قوله فى اول الباب خطر الفساد ، اى الخطر خطران : خطر الفساد وخطر عدم الكون اى عدم وجود الامر ﴿ ويحتاج فيه ﴾ اى فى خطر عدم الكون ﴿ الى قصر الامل ﴾ اى وتقريب الاجل وتكثير العمل ﴿ وهو ﴾ اى قصر الامل ﴿ ان لايراد امر يشك فى كونه ﴾ اى وجوده ﴿ الا بالاستثناء بذكر المشيئة ﴾ اى بقيد انشاء الله كما قال تعالى :(ولاتقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الاان يشاء الله) ﴿ اوالعلم ﴾ اى اوبذكر علم الله فيقول : انعلم الله انى افعل ذلك الفعل فأفعل ﴿ قلبا ﴾ اى يكفى فى الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ، ولايلزم فيها النطق باللسان فى عالم البيان ﴿ فورد ﴾ فى قصر الامل خطابا لابن عمر ﴿ اذا

أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَاذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ» وَالْأَمَلُ هُوَالارَادَةُ بِالْحُكْمِ وَفِيهِ التَّفَاوُتُ مِنْ أَمَلِ الْبَقَاءِ أَبَدًا وَالَى الْهَرَمِ وَالسَّنَةَ وَالْفَصْلِ وَالشَّهْرِ

أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ﴾ أى بادراكه ﴿ واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ﴾ وتمامه « وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك ياعبد الله لاتدرى مااسمك غدا » وصدر الحديث « كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » رواه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر ، ولابن أبى الدنيا من حديث على مرفوعا قال « ان أشد ماأخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل ، فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق ، وأما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ، ثم قال الا ان الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ، الا ان للدنيا أبناء وللدين أبناء فكونوا أبناء الدين ولاتكونوا أبناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ، الا ان الآخرة قد اظلت مقبلة ، الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ، الا وانكم توشكون ان تكونوا فى يوم حساب ليس فيه عمل » ﴿ والأمل ﴾ أى وضد التفويض الأمل أيضا ﴿ هو الارادة ﴾ أى ارادة أمر يشك فى كونه ﴿ بالحكم ﴾ أى بالقطع لا بالاستثناء وقيد المشيئة ﴿ وفيه ﴾ أى فى الأمل ﴿ التفاوت من أمل البقاء أبدا ﴾ كا للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنين طول الحياة وحب المال » ﴿ والى الهرم ﴾ أى الكبر وهو حال الأكثر ﴿ والسنة ﴾ وهو قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله ﴿ والفصل ﴾ من الفصول الأربعة ﴿ والشهر ﴾ فلابن أبى الدنيا والطبرانى وأبى نعيم والبيهقى عن أبى سعيد « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول : الا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ، ان اسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى الا ظننت ان جفنى لايلتقيان حتى يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى اقبض ، ولا لقمت لقمة الا ظننت أنى لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال : يابنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » ولابن

المبارك وابن أبي الدنيا والبزار من حديث ابن عباس « كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول الماء منك قريب، فيقول مايدريني لعلي لاأبلغه » وكان عليه السلام يقول في دعائه « اللهم اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » ابن أبي الدنيا من رواية حوشب، وقال مطرف بن عبدالله: لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنأوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق. وقال بعضهم: لولا الحمقى لخربت الدنيا، وقال الثوري: الزهد في الدنيا بقصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولبس العباء. وقيل للحسن: ألا تغسل قميصك. قال الأمر أعجل من ذلك، ورأى وهب بن منبه في حجر منقور: ابن آدم انك لو رأيت مابقى من أجلك لزهدت في طول املك، ولرغبت في زيادة عملك، ولقصرت عن حرصك وجهلك انما يلقاك غدا ندمك، لو قد زلت قدمك، واسلمك أهلك وحشمك، وفارقك الوالد والقريب، ورفضك الولد والنسيب، فلاانت الى دنياك عائد؛ ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، وعن داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ماهو آت قريب وكل مايشغلك عن ربك فهو مشؤم، وان اهل الدنيا جميعا من أهل القبور، انما يندمون على مايخلفون، ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور فاهل الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون، وروى ان معروف الكرخي أقام الصلاة فقال لاحمد بن أبي توبة تقدم فقال: ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف: وانت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فانه يمنع خير العمل. وكان الحسن يقول في موعظته: المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى عزوجل، رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية (انما نعد لهم عدا) يعني الانفاس آخر العد خروج نفسك عن نفسك، واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهادا شديدا، فقيل له: لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق، فقال الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجاريها أخرجت جميع ماعندها، والذي بقي من عمري أقل من ذلك، فلم يزل على ذلك حتى مات، وكان يقول لامرأته: شدي رحلك فليس على جهنم معبر، وقال ابن عمر « خرج عليه السلام والشمس على اطراف السعف، وقال ما بقى من الدنيا الا مثل مابقي من يومنا هذا الى مامضى منه » ابن أبي الدنيا والترمذي وحسنه. وعن أنس قال عليه السلام « مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي معلقا بخيط

وَالْيَوْمِ وَالسَّاعَةِ وَيَظْهَرُ بِالْادِّخَارِ وَالتَّأَهُّبِ، وَآفَاتُه تَرْكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلُ

فى آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع » رواه ابن أبي الدنيا . ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج روحى . وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : (ولكنكم فتنتم أنفسكم) قال بالشهوات واللذات (وتربصتم) قال بالتوبة (وارتبتم) قال شككتم (حتى جاء امر الله) قال الموت (وغركم بالله الغرور) ﴿ واليوم ﴾ فعن عيسى عليه السلام : لاتهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتى فيه ارزاقكم ، وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم . وهو يؤخذ من قوله تعالى (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) ﴿ والساعة ﴾ النجومية واللغوية الشاملة للحظة والغمضة . ويؤخذ هذا من قوله تعالى (اذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة) ومن قوله (ولن يؤخر الله نفسا)اى ولو نفسا (اذا جاء اجلها) وفى الاحياء: ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره . وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع . وفيه ورد مانقل عن معاذ لما سأله عليه السلام عن حقيقة ايمانه فقال « ماخطوت خطوة الا ظننت انى لا اتبعها اخرى » رواه ابو نعيم فى الحلية. وكما نقل عن الاسود وهو الحبشى انه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا ، فقال قائل ما هذا؟ قال انتظر ملك الموت من أى جهة يأتينى ، يعنى وفى اى صفة يحضرنى ، وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال ، فخوف الرجال من هذا الحال لا من انتهاء الآجال. وفى منهاج العابدين قال : اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم، وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه فى الذكر ، او بشرط الصلاح فى الارادة ، فاذن ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل ، وذلك معصية اذ هو حكم على الغيب ، وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله وان علم الله انى اعيش بعد خرجت عن حكم الامل ؛ وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثانى قطعا فانت آمل ، وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بتقصير الامل حيث تركت الحكم فى ذكر البقاء وارادته . والمراد بالذكر ذكر القلب . ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على ماهنالك ﴿ ويظهر ﴾ هذا التفاوت ﴿ بالادخار ﴾ اى بوضع ذخيرة الارزاق ﴿ والتأهب ﴾ اى التهيؤ لاسباب المعاش فى الارفاق ﴿ وآفاته ﴾ اى آفات الامل ومضراته ستة ❋ ترك الطاعة ﴾ رأسا ﴿ والكسل ﴾ فى العبادة والملل

وَالتَّسْوِيفُ وَالْحِرْصُ وَنِسْيَانُ الآخِرَةِ وَالْقَسْوَةُ فَوَرَدَ (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ - وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وَالسَّبَبُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَعِلَاجُ كُلٍّ مَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ وَذِكْرُ فُجَاءَةِ الْمَوْتِ فَذِكْرُهُ يُوجِبُ التَّأَهُّبَ لَهُ وَالتَّجَافِيَ عَنْ دَارِ الْغُرُورِ فَوَرَدَ «نِعْمَ مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عِشْرِينَ مَرَّةً

﴿ والتسويف ﴾ اى تأخير العمل بان يقول سوف اعمل ﴿ والحرص ﴾ على الدنيا ﴿ ونسيان الآخرة ﴾ ومافيها من لقاء المولى ﴿ والقسوة ﴾ اى قساوة القلب ومنه قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة) وقوله سبحانه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ اى زمان الاجل ﴿ فقست قلوبهم ﴾ بسبب طول الامل ، وفى آية اخرى (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا) ﴿ ويلههم الامل ﴾ اى يشغلهم الامل عما خلقوا له من العمل ﴿ فسوف يعلمون ﴾ غاية جهلهم فى طول املهم وقصر عملهم وتوهم تأخير اجلهم ﴿ والسبب ﴾ اى سبب الامل شيئان ﴿ حب الدنيا ﴾ فانه يوجب كراهة مجىء الاجل ﴿ والجهل بالحقائق ﴾ اى حقائق مايرد على الانسان من موت الفجاءة وقتل البغتة ، ومن مقدمات الموت كالحمى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الا غفلة ، قال تعالى (وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا اوهم قائلون) اى اوهم قائلون اى مستريحون بالقيلولة ﴿ وعلاج كل ﴾ من سببيه ﴿ ماعرف فى موضعه وذكر فجاءة الموت ﴾ اى ومن علاجه تصورها فى الجنان وتقريرها باللسان ﴿ فذكره ﴾ اى الموت مطلقا ﴿ يوجب التاهب له ﴾ اى يقتضى التهيؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه ﴿ والتجافى ﴾ اى التباعد ﴿ عن دار الغرور ﴾ وهى الدنيا فانها غدارة مكارة كما قال تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) اى الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى ﴿ فورد ﴾ فى الحديث ﴿ نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة ﴾ والظاهر ان يقول فى كل ساعة : اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت . ويحتمل ان يذكره فى اليوم عشرين مرة وفى الليلة عشرين مرة او فى اليوم عشرة وفى الليل عشرة متوالية او متفرقة ، والمقصود

حِينَ قِيلَ هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ أَحَدٌ ؟

منها الكاثرة ﴿ حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد ﴾ والحديث تقدم . وقال المخرج لم اقف له على اسناد ، قلت روى الطبرانى فى الاوسط «عن عائشة قالت قلت يارسول الله ليس الشهداء الا من قتل فى سبيل الله : قال ياعائشة ان شهداء امتى اذن لقليل ، من قال فى يوم خمسا وعشرين مرة : اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد » وفى السنن الاربعة عن ابى هريرة «اكثروا ذكرها ذم اللذات الموت» وفى رواية «اكثروا ذكر الموت يسليك عما سواه» وفى رواية « اكثروا ذكرها ذم اللذات فانه لا يكون فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا اجزأه» وفى رواية « فانه لم يذكره احد فى ضيق من العيش الا وسعه عليه ، ولا ذكره فى سعة الا ضيقها عليه » وفى رواية « اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا فان ذكرتموه عند الغنى هدمه ، وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم ، وللبيهقى فى الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اكلتم منها سمينا » ولابن ابى الدنيا عن عطاء الخراسانى مرسلا انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال : « شربوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات ؟ قال الموت » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « أكثروا من ذكر هاذم اللذات فوالذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » رواه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر، وفيه ايماء الى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وللطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر « كفى بالموت واعظا » وفى رواية «فرقا» قال ابن عمر أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة ؛ فقال رجل من الانصار : من اكيس الناس واكرم الناس يارسول الله ؟ قال « اكثرهم ذكرا للموت ، واشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » ابن أبى الدنيا بسند جيد . وقيل فى تفسير قوله تعالى : (ايهم أحسن عملا) ايهم أكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الفوت . وقال بعضهم احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده . وقال كعب . من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقالت صفية : إن امرأة شكت الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك

وَحَقُّهُ أَنْ يَذْكُرَ رَغْبَةً إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى وَبَعْثًا لِلْخَوْفِ الْمُوجِبِ سُرْعَةَ التَّدَارُكِ دُونَ التَّأَسُّفِ عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْعِدٌ عَنْهُ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»

ولعل اكفانك قدخرجت من عند القصار ﴿ وحقه ﴾ أي وحق ذكر الموت ﴿ ان يذكر رغبة ﴾ أى ميلا ومحبة ﴿ الى لقائه تعالى ﴾ فى الجنة ﴿ وبعثا ﴾ أي تحريضا وحثا ﴿ للخوف الموجب سرعة التدارك ﴾ أي تلافى مافات منه من الطاعات ﴿ دون التأسف ﴾ أى الحسرة ﴿ على فوات الدنيا ﴾ أى من لذاتها وشهواتها ﴿ فهو ﴾ أى التأسف المذكور ﴿ مبعدعنه تعالى ﴾ لقوله عليه السلام « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة » أخرجه الرازى فى مشيخته عن ابن عمرو ﴿ فورد ﴾ فى الحديث ﴿ من أحب لقاء الله احب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴾ رواه الشيخان وغيرهما . وفى رواية زيادة والموت دون لقاء الله . والمراد بلقاء الله المصير الى دار الآخرة وطلب ماعند الله من المراتب الفاخرة ، وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومن اختارها وآثرها وركن اليها كره لقاء الله لانه انما يصل اليه بالموت. وقوله والموت دون لقاء الله يبين لك ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو الوصول الى قرب المحبوب ، فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل الى الفوز باللقاء . كذا فى النهاية . وفى شرح مسلم للنووى : ليس معنى الحديث ان حبهم لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم ، ولاان كراهتهم سبب لكراهته ، بل الغرض بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين احب الله لقاءهم . انتهى ، وتوضيحه ان المحبة صفة الله ، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار . ويؤيده ماروى انه عليه السلام قال « اذا احب الله عبدا عشقه عليه » وفى تقديم يحبهم على يحبونه فى القرآن اشارة اليه ودلالة عليه ، فمعنى الحديث : من احب لقاء الله فهو سبب للاخبار بان الله يحب لقاءه ، اذاقنا الله حلاوة محبته واقانا بمزيد عنايته . كذا فى شرح المشارق فالاول صفة المحبين ، والآخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين اوصفة الكافرين ، والمفهوم من ظاهر ماذكر فى المصابيح ان الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث ، فقالت عائشة : انا لنكره الموت قال عليه السلام « ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت

وَالْمُرَادُ بِالْمُحِبِّ الْعَارِفُ الْمُشْتَاقُ إِلَيْهِ فَالْمَوْتُ مَوْعِدُهُ وَبِالْكَارِهِ الرَّاغِبُ إِلَى الدُّنْيَا بِخِلَافِ الْخَائِفِ هُجُومَهُ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الزَّادِ فَهُوَ إِنَّمَا يَكْرَهُ فَوْتَ اللِّقَاءِ

بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، وفي القرآن يشير الى المقامين حيث قال تعالى: (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) الآيات. وقال عز وعلا (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ماكنتم تعملون) ﴿ والمراد بالمحب ﴾ اى لقاء الله فى الحديث انما هو ﴿العارف﴾ بذات الله وصفاته وبدائع مصنوعاته ﴿ المشتاق اليه ﴾ لزيادة مالديه ﴿فالموت موعده﴾ اذ لا يتصور لقاؤه دونه ، كما فى حديث مسلم « انكم لن تروه حتى تموتوا » وهذا محمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام (لن تراني) اى فى الدنيا بالعين الفانية وانما تراني فى العقبى بالعين الباقية ، وهذا محمل قوله عليه السلام « تحفة المؤمن الموت » ابن ابى الدنيا والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله ابن عمر بسند حسن . وعلامة المحب العارف ان لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين ، لما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم ، اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الىّ من الغنى ، والسقم احب الى من الصحة ، والموت احب الى من العيش ، فسهل على الموت حتى القاك . فاذا التائب معذور في كراهة الموت . وهذا مشكور فى حب الموت . واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله فصار لا يحب لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون احب الاشياء اليه حبه الى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضاء وهو غاية المنتهى ، وهو معنى قول المصنف فيما يأتى ﴿ وبالكاره ﴾ اى والمراد بالكاره لقاء الله ﴿ الراغب الى الدنيا ﴾ مالا وجاها ومنالا لما قدمنا ﴿ بخلاف الخائف هجومه ﴾ اى هجوم الموت ومأتاه بغتة ﴿ قبل تمام التوبة ﴾ وتدارك اوقات الغفلة فى الحوبة ﴿ واصلاح الزاد ﴾ ليوم المعاد ﴿ فهو انما يكره فوت اللقاء ﴾ اى لا نفس اللقاء ، وعلامة صدق هذا ان يكون دائم الاستعداد لا شغل له سوى اعداد الزاد للمعاد . قال

وَالأَعلَى تَرْكُ الاخْتِيَارِ وَالتَّفْوِيضِ، وَيفرغَ القَلْبَ عَنْ غَيْرِ المَوْتِ وَيَتفَكَّرُ دَائِمًا تَفَكُّرَ العَازِمِ عَلَى السَّفَرِ

القعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو اتانى ماأحببت تأخير شيء منه . وقال الثورى: رأيت شيخافى مسجد الكوفة يقول : انا فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ، ان نزل بى اواتانى ماامرته بشيء ولانهيته عن شيء ، ولالى على احد شيء ، ولالى عند احد شيء ﴿والاعلى﴾اى اعلى المراتب بالنسبة الى ماذكر من الموت وسائر المناقب﴿ترك الاختيار﴾اى فى امر الافيما اراد الله منه ان يختاره ﴿ والتفويض ﴾ بالرفع اى وتفويض امره وتسليمه الى المدبر المختار بقوله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) وفى الاخبار عن سيد الاخيار وسند الابرار «لايتمنين احدكم الموت فان فعل ذلك لامحالة فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرالى، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر » وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وطول العمر فى العبادة من كمال السعادة﴿ ويفرغ القلب﴾اى وان يفرغ قلبه﴿عن غير الموت ﴾ اى استعداده قبل الفوت ﴿ ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر﴾هائما من خوف البحر والبر . واوضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين قضوا قبله، ويتذكر مصرعهم تحت التراب، ويتفكر صورهم فى مناصبهم ومقام حضورهم، وكيف تبددت الآن اجزاؤهم فى قبورهم ، وكيف ارملوا نساءهم وايتموا بناتهم وابناءهم ، وضيعوا اموالهم ، ونقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ، ومساجدهم وآثارهم ، مع ماكان بهم من طول املهم للعيش والبقاء، ونسيانهم للموت والفناء ، وانخداعهم بمواساة الاسباب ، وركونهم الى القوة والشباب ، وميلهم الى الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع، وانه كيف كان يتردد، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعقبانه ، وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه، وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، وانه كيف كان يدبر لنفسه مالايحتاج اليه الى عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال ، فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم فى عاقبة امره . قال ابو الدرداء : اذاذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم، وقال ابن مسعود: السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبدالعزيز: الاترون انكم تجهزون غاديا ورائحا

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْانْتِبَاهُ وَهُوَ خِلَافُ الْغُرُورِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى وَالشُّبْهَةَ فَوَرَدَ (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ

الى الله عز وجل ، تضعونه وقد توسد التراب ، وخلف الاحباب ، وقطع الاسباب، وواجه الحساب، ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ، ثم قال : والله لولا الموت لكنت بك مسرورا. ﴿والأصل فيه﴾ اى فى ذكر الموت ﴿الانتباه﴾ اى استيقاظ القلب من نوم الغفلة ٭ ﴿وهو﴾ اى الانتباه ﴿خلاف الغرور﴾ اى ضده ، ولذا قيل : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ﴿وهو﴾ أى الغرور ﴿سكون النفس﴾ واطمئنانها ،وهى قوة فى الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى) فمن ﴿الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة﴾ ويخالف الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع. واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور على نور ، وسرور على سرور ، ولذا قال تعالى (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ فانها غدارة مكارة ، غرارة سحارة . فقيل : انها اسحر من هاروت وماروت ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ اى الشيطان المغرور . وفى الترتيب: تنبيه نبيه على ان من احب الدنيا يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان ، بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على هدايته جميع الانبياء، ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء. وقال عز وعلا (وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور) وفى الحديث «حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون سهر الحمقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين » كذا فى الاحياء، وهو من قول ابى الدرداء بنحوه كما رواه ابن أبى الدنيا ؟ وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث شداد بن اوس « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها ويتمنى على الله » ﴿وانواعه﴾ اى انواع الغرور ﴿كثيرة﴾ واكثرها كبيرة لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل ، اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ماهو به ، فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور، بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ، ومغرورا به وهو الذى يغره ، فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور . واكثر الناس يظنون

كَإيثَارِ الدُّنْيَا لِكَوْنِهَا نَقْدًا حَاضِرَةً عَلَى الآخِرَةِ لِكَوْنِهَا نَسِيئَةً لأَنَّ النَّسِيئَةَ الكَثِيرَةَ رَاجِحَةٌ وَإِنْ شَكَّ فِيهِ وَالمَرِيضُ يَتْرُكُ اللَّذَّاتِ لِيَصِحَّ فِى المُسْتَقْبَلِ وَالتَّاجِرُ يُخَاطِرُ الأَمْوَالَ لِيَرْبَحَ فِيهِ فَالآخِرَةُ أَوْلَى لِلتَّيَقُّنِ بِهَا وَعَدَمِ نِسْبَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا شِدَّةً وَدَوَامًا

بانفسهم الخير الآن غرور بعضهم اظهر ، وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفجار ﴿ كايثار الدنيا ﴾ اى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور . ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها ﴿ لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيئة ﴾ اى متأخرة غائبة وذلك جهل وغرور ﴿ لان نسيئة الكثيرة راجحة ﴾ على النقد القليل ﴿ وان شك فيه ﴾ اى فى حصول النسيئة الكثيرة وانما يرجح مع وجود الشك فيه ﴿ والمريض يترك اللذات ﴾ التى هى نقد الحالات ﴿ ليصح ﴾ زمانا طويلا ﴿ فى المستقبل ﴾ من الاوقات ﴿ والتاجر يخاطر الاموال ﴾ اى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبه فى البحر وسفره فى البر وتحمله شدائد الاحوال ﴿ ليربح فيه ﴾ اى فى زمان الاستقبال ﴿ فالآخرة اولى ﴾ بالاختيار من الدنيا ﴿ للتيقن بها ﴾ اى بالآخرة ﴿ وعدم نسبة الدنيا اليها ﴾ اى الى العقبى ﴿ شدة ودواما ﴾ اى كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى (والآخرة خير وابقى) بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة ، فكيف والامر بالعكس . ولمن غرته الحيوة الدنيا فان اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ، فلا يترك اليقين بالشك . وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال (انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان وأما بتحقيق البرهان ، اما الاول فهو ان يصدق الله فى قوله (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقوله (وما عند الله خير وابقى) وقوله (والآخرة خير وابقى) وقوله (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) واما الثانى فيعلم مما تقدم . والله اعلم . وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين : ان كنت ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا ، وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت . وما قال على هذا عن شك منه فى الآخرة ، ولكن كلم الملحد على قدر عقله فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل – وهى منتهى العمر – قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة ، فان كان ما قيل

فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي، وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب انى بقيت فى العدم ، وان كان ماقيل صدقا فابقى فى النار ابد الآباد ، وهذا لايطاق فيه العباد ولذا قال ابو العلاء المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما لايحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر اوصح قولى فالخسار عليكما

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم : ان كان لله من معاد فنحن به احق من غيرنا ، ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال الرجلين المتحاورين اذ قال (وماأظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا) وجملة امرهما كما قيل فى التفسير : ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار ، واشترى بستانا بالف دينار ، وخدما بالف دينار ، وزوجة بالف دينار . وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى ، ألا اشتريت قصرا وبستانا فى الجنة لا يفنى ، واشتريت خدما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت خدما لايموتون وازواجا من الحور العين لايفنون . وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ماهناك شىء وماقيل من ذلك فهو اكاذيب ، وان كان ليكونن لى فى الاخرة خير من هذا ، وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول (لاوتين مالا وولدا) ورد عليه بقوله (أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا) وروى « عن الخباب بن الارت انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضنى ، فقلت انى آخذه فى الآخرة ، وقال اذا صرت الى الآخرة فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه، فانزل الله تعالى (افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) رواه الشيخان. وقال عز وجل (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وماأظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى)الاية ، وذلك انهم ينظرون تارة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة ، وتارة الى تأخر العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة ويقولون كما اخبر الله عن بعضهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) الآية،واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ويقولون (لوكان خيرا ماسبقونا اليه) ولم يعرف هذا المغرور «ان الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه » كما رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان . وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا

وَالاعْتِمَادعَلى مُجَرَّدِ الايمانِ فَوَرَدَ (وَانّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (وَالعَصْرِ إنَّ الانْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) السُّورَةَ، وَعَلَى أنَّهُ تَعَالَى كَرِيمٌ

وقالوا ذنب عجلت عقوبته، واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين. فالمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة عند الله واذا صرفت عنهم ظنوا انها هوان كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله (فاما الانسان اذا ماابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن، واما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا) بين ان ذلك غرور من كل منهما، فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا، يقول ليس هذا بكر امتى ولاهذا بهوانى ولكن الكريم من اكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا، والمهان من اهنته بمعصيتى غنيا كان اوفقيرا (والاعتماد) بالجر، اى وكالاعتماد (على مجرد الايمان) مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم الغرور فى الحالات (فورد) فى التنزيل (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك والكفران (وآمن) بالقلب واللسان (وعمل صالحا) لسائر الاعضاء والاركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (ثم اهتدى) بالاستقامة فى الحالات الى الممات، فالمغفرة مقيدة بهذه الطاعات. وكقوله تعالى (ان رحمت الله قريب من المحسنين) في العبادات. وقيل للحسن قوم يقولون: نحن نرجو الله ويضيعون العمل فقال: هيهات هيهات، تلك امانيهم، من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هربه (والعصر) اى اقسم بصلاة العصر التى هى الصلاة الوسطى، اوبعصر المصطفى، اوبالدهر الذى هومنبع الخير والشر، ومعدن النفع والضر (ان الانسان) اى جميع افراده (لفى خسر) اى خسارة فيما عندهم من تجارة (السورة) اى (الا الذين آمنوا) كالصديق (وعملوا الصالحات) كالفاروق (وتواصوا بالحق) لذى النورين (وتواصوا بالصبر) كالمرتضى (وعلى) اى وكالاعتماد على (انه تعالى كريم) مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات، فيغفرلى فى الآخرة بكرمه وفضله ويدخلنى فى الجنان. ومنشأ هذا قوله تعالى (يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) حيث لقنه بان يقول غرنى ربى كرمك. وقد قيل انه تعالى كما انه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب، فقد قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفرلنا) وقد قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصاري تلك امانيهم)

فَوَرَدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْانْسَانِ الَّاماَسَعى)وَفِيهِ العَكْس بِتَرْك التَّعويلِ فى الدُّنيا مَعَ وُرُودِ. (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه) وَالعِلَاجُ العِلْمُ وَالتَّفَكُّرُ *

﴿ فورد ﴾فى التنزيل مايدل على ذم الغرور بارتكاب المحظور ﴿ وان ليس للانسان ﴾ نفع فى العقبى ﴿ الا ماسعى ﴾ من خير فى الدنيا (وان سعيه سوف يرى) قليلا او كثيرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ﴿ وفيه العكس ﴾ اى وفى هذا الاعتماد عكس ماينبغى فى الاعتقاد ﴿ بترك التعويل ﴾ اى الاعتماد على المولى ﴿ فى الدنيا ﴾ اى فى امورها ومهماتها ﴿ مع ورود ومن ﴾ وفى نسخة وورد من ﴿ يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وحاصله ان المغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه فى امر الدنيا مع ورود وعدها فى باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعى ، ويعتمد فى باب الآخرة على كرمه مع أن وعدها مقيد بالسعى والعمل ، وتوضيحه انه يجتهد فى امور الدنيا ويعتمد فى امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم فى الدنيا والاخرة ، فماله لم يعتمد على المولى فى الدنيا من غير السعى مع انه سبحانه ما كلفه بكسبه ويترك العمل فى الاخرة مع انه عزوجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه؟ ﴿ والعلاج ﴾ أى علاج الغرور ﴿ العلم ﴾ بالكتاب والسنة ومايقربه من الله ومايبعده عنه . وتوضيحه مافى الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد ، اما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعد عن الله ، ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله يدرك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء ، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة . واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله ، وقد قال تعالى (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) وقال (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قيل فى تفسيره : انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم . وقال تعالى (فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) وقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والاخبار ﴿ والتفكر ﴾ فى احوال الماضين من الامة ، والمراد بالتفكر احضار القلب العارف ، فاذا اجتمعت فيه وازد وجت على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم

﴿ الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي نَفْيِ الْخَوَاطِرِ وَالرِّيَاضَةِ ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ • الْأَهَمُّ إِصْلَاحُ الْقَلْبِ لِنَظَرِهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللّٰهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ وَتَعَلُّقِ صَلَاحِ الْجَسَدِ بِصَلَاحِهِ فَوَرَدَ «إِنَّ فِي الْجَسَدِ لَمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» وَسَعَادَةُ الْأَبَدِ بِسَلَامَتِهِ

ضروريا • وصورته كمن يعلم مثلا ان الانق بالايثار اولى ، ثم يعلم ان الآخرة خير وابقى ، فينتج ان اختيار الآخرة اولى . بلغنا الله المقام الاسنى •

﴿ الباب الخامس عشر فى نفى الخواطر والرياضة ﴾

اى نفى الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية لتهذب بالاخلاق البهية العلية والاحوال السنية السنية ، وتندرج فيه عجائب القلب من غرائب خلق الرب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ استعين به على كل خلق كريم ﴿ الاهم ﴾ فى امر الدين الاتم ﴿ اصلاح القلب ﴾ وحفظه عما يفسده لثمانية عشر وجها ﴿ لنظره تعالى اليه ﴾ واقباله عليه ، كما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخلق اليه ﴿ فورد ﴾ فى الحديث كما تقدم ﴿ ان الله لا ينظر ﴾ اى نظر عناية ورعاية ﴿ الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم ﴾ وفى رواية واعمالكم ، وفى اخرى واحوالكم ، ويشير اليه قوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث «لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن» فواعجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذى هو منظر الخلق ولا يهتم بتطهير قلبه الذى هو منظر ربه ﴿ وتعلق صلاح الجسد بصلاحه ﴾ اى لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا ، وكذا تعلق فساد الجسد بفساده ﴿ فورد ﴾ فى الحديث كما تقدم ﴿ ان فى الجسد لمضغة ﴾ اى قطعة لحم مجروفة كأنها ممضوغة ﴿ اذا صلحت ﴾ بضم اللام وتفتح ﴿ صلح الجسد كله ﴾ تمامه «واذا فسدت فسد الجسد كله» ﴿ الا ﴾ للتنبيه ﴿ وهى ﴾ اى تلك المضغة ﴿ القلب ﴾ اى محل تعلقه وسرير ملكه ، فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع ، فاذا صلح المتبوع صلح التبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية ، ولذا قيل : الناس على دين ملوكهم . ﴿ وسعادة الابد ﴾ اى وسيادة السرمد ﴿ بسلامته ﴾ اى بسلامة

فورد . (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) . وَكَوْنه مَعْدِنَ النَّفَائِسِ مِنَ العِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ وَقَصْدِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ

القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ اى من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض الدنيوية والاعواض الدنية . وقيل هو مالايخطر فيه الاشهود الرب ﴿ وكونه ﴾ اى ولكون القلب ﴿ معدن النفائس ﴾ ومنبع الفواضل المستوهبة ﴿ من العلم والمعرفة ﴾ اى علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التى هى اجل انواع النعمة ﴿ وسائر الفضائل ﴾ المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين الشمائل *

والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق له أن يحفظ ويحرس عن الآفات ، ويكرم ويبجل بضروب الكرامات . ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذى فضله الله على سائر خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التى هى فى الدنيا جماله وفخره وفى الآخرة كماله وعدته وذخره ، وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لابعضو آخر من اركانه ، فالقلب هو العالم بالله ، وهو العامل لله ، وهو الساعى المتقرب الى الله ، وهو المقرب اليه والمشهود عليه والمكاشف بما عند الله ولديه ، وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجرائح يستخدمها القلب فى خدمة الرب استعمال الملك للعبيد ، واستخدام الراعى للرعية ، والصانع للآلة . والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب ، وهو المخاطب ، وهو المعاتب ، وهو المعاقب وهو الذى يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ، وهو الذى يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه ، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وانما السارى الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله سبحانه ، وانما الطارى على الاعضاء من الفواحش آثاره . وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، اذ كل اناء يرشح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ، واذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل . فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه التى هى مظاهر الرب أصل الدين وأساس طرق المجتهدين ﴿ وقصد العدو اليه ﴾ أى ولقصد الشيطان الذى هو اكبر أعدائه دائما الى اغوائه ﴿ كما ورد به ﴾ أى بقصد العدو الى القلب ﴿ الخبر ﴾ وهو

وَكَثْرَةِ شُغْلِهِ فَهُوَ مُعْتَرَكُ الْعَقْلِ وَالْهَوَى وَكَثْرَةِ الْعَوَارِضِ لِوُرُودِ الْخَوَاطِرِ مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ، وَسُرْعَةِ الِانْقِلَابِ

قوله عليه السلام « ان الشيطان لجاثم » وفى رواية « واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وعلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه » ابن أبى الدنيا وأبو يعلى وابن عدى ﴿وكثرة شغله﴾ أى ولكثرة اشتغال القلب واحواله وترتب ما عليها من أقوال الانسان وأفعاله ﴿فهو﴾ أى القلب ﴿معترك العقل والهوى﴾ اى موضع عراكهما وقتالهما وهلاكهما . فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا إلى الخير فتارة يغلب العقل ويعلو علم الهدى ، وأخرى يغلب الجهل فترتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال . وقد قال الملك المتعال (وتلك الايام نداولها بين الناس) وقد قيل :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

وفى الحديث « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ومنه قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ﴿وكثرة العوارض﴾ أى ولكثرة الامور الطارئة والاحوال السارية ﴿لورود الخواطر﴾ الدنية فى القلوب الفواتر الردية من حب الدنيا والرياسات . وحصول اللذات والشهوات واللهوات ﴿مع العجز عن المنع﴾ أى مع عجز السالك عن دفع وقوع ماهنالك ، فان الخواطر كالسهام لاتزال تقع فى القلب وكالمطر لاتزال تنزل عليه ليلا ونهارا لاتنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع، وليس بمنزلة العين التى هى بين الجفنين حتى تغمض وتستريح ، او اللسان الذى هو وراء الشفتين حتى تطبق وتصمت .

والحاصل ان الخواطر لايقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها وهى مجبولة لديها ﴿وسرعة الانقلاب﴾ اى ولسرعة تقلب القلب فى الطاعة والمعصية للرب ، وسمى بالقلب لتقلبه فى احواله ، ولذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وفى رواية « قالوا وتخاف يارسول الله؟ قال وما يؤمننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » وللنسائى

فورد أنه «مثل العصفور ينقلب في كل ساعة» وفيه الانشراح والانفساح عند عدم النقصان والحجاب

في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان « مامن قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه » ﴿ فورد ﴾ من حديث أبي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب ﴿ انه ﴾ اى القلب ﴿ مثل العصفور ﴾ وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير ﴿ ينقلب في كل ساعة ﴾ اى الى جهة ، فكذا القلب تارة يميل إلى طاعة ويقظة ، وأخرى الى معصية وغفلة . ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود « مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا » وفي رواية لهما « قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها » وللطبراني والبيهقي من حديث أبي موسى الاشعري باسناد حسن « مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن » ﴿ وفيه ﴾ عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه اى في القلب ، ومحله من الصدر ﴿ الانشراح ﴾ أى الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح ﴿ والانفساح ﴾ اى الاتساع والانفتاح ﴿ عند عدم النقصان ﴾ اى نقصان القلب بارتكاب المخالفة ، بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة . فللحاكم في مستدركه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ماهذا الشرح فقال : هو التوسعة . ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح » والمعنى اتسع القلب لتجلى الرب وحفظ السر الذى شاهده في القلب ، ولذا قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . ونعم ماقال بعض الابرار ه

من اطلعوه على سر فنم به   لم يأمنوه على الاسرار ماعاشا

﴿ والحجاب ﴾ عن رب الارباب ، وهو أشد العذاب أو الحجاب عن الاكتساب ، فهو بالجر عطف على النقصان ، أى عند عدم حجاب الملاهي ونقاب المناهي . ويجوز رفعه على الانفساح أى وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المترادفة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب ، فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلائه فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في أثنائه ، وقد قال أبو سليمان الداراني : اذا اعتادت النفوس ترك

وَ الْمُهْلِكَاتِ وَالانْصِرَافِ الَى العِلْمِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ التي حَمَلَهَا الانْسَانُ

الآثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطريق الحكمة ، ويؤيده حديث «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء » رواه أحمد من حديث أبي هريرة ﴿ والمهلكات ﴾ التي هي ضد المنجيات ﴿والانصراف﴾ أى عند الانصاف والاعتراف ﴿الى العلم﴾ أي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة ، أو المراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل مايشغل لديه مما يرد عليه . وانما زاد الانصراف الى العلم التوحيدى لحصول الانشراح والانفساح ، ولم يكتف فى ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حالاته من طاعاته وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لايحصل له الانشراح والانفساح ، بل ينكشف له ماهو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها أو من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها . وأما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا إذا انصرف القلب إلى العلم التوحيدى المتعلق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات ﴿ وهو ﴾ أى العلم المترتب عليه العمل ﴿المراد بالامانة التي حملها الانسان ﴾ أى قبلها بقابليته لتحمل التكاليف الشرعية . من تصحيح العقائد الدينية الاصلية . وارتكاب الفرائض الفرعية . واجتناب الامور المنهية . وفى الأحياء : فيه اشارة الى ان للقلب خاصة تميز بها عن السموات والارضين والجبال . وتلك الأمانة هى المعرفة والتوحيد : وقلب كل آدمى مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها فى الأصل انتهى . ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هنالك كما حقق فى قوله سبحانه : (وان من شيء الا يسبح بحمده) وغير ذلك من الآيات والأحاديث الثابتات إن الأشياء كلها لها معرفة بصانعها . وكذا أهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال . فالأظهر أن يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا تتأتى منهم المعصية ومايقتضيه من العقوبة . والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة ومايترتب عليها من الرحمة ، فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ، ولذا ورد « لو لم تذنبوا لجاء الله

وَزِيَادَةُ اليَقِينِ وَالايمَانُ

بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفرلهم » وفى قوله تعالى (نبيء عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) ايماء الى ذلك وفى قوله (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) كذلك . ثم من أفراد هذا الانسان من يكون على الشان مع أنه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة فى ميدان التبيان ، ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان ، فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن ، والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) فنعوذ بالله من دار البوار . وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه (انا عرضنا الامانة) اى حملها من غير الخيانة (على السموات والارض والجبال) أى ذواتها أو ما فيها من سكانها ومتصرفاتها (فابين ان يحملنها واشفقن منها) لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها (وحملها الانسان) مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خلق له (انه كان ظلوما) على نفسه بتحمله (جهولا) لعاقبة امره وتحمله . وهذا حكم عليه باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده فى مآله كما اشار اليه بقوله (ليعذب الله المنافقين) الآية ﴿ وزيادة اليقين ﴾ اى وفى القلب مزية الايقان فى امر الدين ﴿ والايمان ﴾ اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان ، وباعث على الاسلام والاحسان فلهما درجات فيها مناقب ادناها التقليد كما لعوام المؤمنين وأوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين ، واعلاها ، المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ، ومثاله كمن اخبر صادق بوجود زيد فى الدار فصدقه من غير شهوده ، ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ، ثم رآه وشاهده ؛ فالمشاهدة نتيجة المجاهدة . ثم المشاهدة ايضا على مراتب ، كمن يشاهد السلطان جالسا على سريره من وراء الحائط اوحجاب ستره ، ثم من يشاهده من داخل داره . ثم من قريب فى مزاره ، ثم من هو جالس فى مجلسه ، ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفى عن غيره ، وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ثم دنى فتدلي فكان قاب قوسين اودني) ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم

وَدَرَجَاتُ العِلْمِ وَالنُّورُ المَسْؤُولُ فِي الدُّعَاءِ المَأْثُورِ وَالطَّبْعُ وَالرَّيْنُ عِنْدَ الاتِّصَافِ بِالرَّذَائِلِ وَتَرَاكُمُ الظَّلَامِ وَالاحْتِجَابُ مِنْهُ تَعَالَى وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الإِنْسَانُ العَارِفُ العَالِمُ المُخَاطَبُ المُطَالَبُ

فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء به، وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه، وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة عند جمهور المتكلمين، واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين، وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر نور اليقين. وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوا من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القى اليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم كلمة الحق ﴿ودرجات العلم﴾ اى وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، أو المراد بها علم الشريعة التى هى متعلقة بالاعمال الظواهر، وعلم الطريقة التى هى مطلوبة فى الاخلاق السرائر، وعلم الحقيقة التى هى المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب ولطائف المراتب ﴿والنور﴾ اى وفيه النور ﴿المسؤول فى الدعاء المأثور﴾ «اللهم اجعل فى قلبي نورا» رواه مسلم وغيره ﴿والطبع﴾ اى وفيه الختم قال تعالى (ونطبع على قلوبهم) و (ختم الله على قلوبهم) ﴿والرين﴾ اى وفيه السواد الذى يعلو الفؤاد ﴿عند الاتصاف بالرذائل﴾ والخلو عن الفضائل ﴿وتراكم الظلام﴾ أى وتكاثف الظلمات الناشىء عن الظلم وسائر السيئات ﴿والاحتجاب منه تعالى﴾ بعدم توفيق الحسنات وهو مأخوذ من قوله تعالى (كلا بل ران) أى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى عن رحمته أو رؤيته، وفى الحديث «ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكر الله فى كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أخرجه البغوى فى تفسيره باسناده ﴿والتحقيق﴾ عند أهل التوفيق ﴿انه﴾ أى القلب ﴿هو ذلك الانسان العارف﴾ أى المدرك للجزئيات ﴿العالم﴾ بالكليات ﴿المخاطب﴾ بالأمر والنهى ﴿المطالب﴾ باكتساب المأمورات واجتناب المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب فى دار الجزاء والحساب (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ القَلْبِ لِتَعَلُّقِهِ بِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ وَبِسَائِرِ الحَوَاسِّ بِوَاسِطَتِهِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى المُضْغَةِ المُكَيَّفَةِ

خالدون) ﴿يطلق عليه﴾ أى على الانسان ﴿اسم القلب﴾ أى مجازا ﴿لتعلقه﴾ أى الانسان ﴿به﴾ أى القلب ﴿بلا واسطة﴾ أى من غير واسطة شىء آخر ﴿وبسائر الحواس﴾ أى ولتعلقه بباقيها ﴿بواسطته﴾ أى القلب ﴿كما يطلق﴾ أى القلب ﴿على المضغة المكيفة﴾ وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف ؛ وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه كذا فى الاحياء تبعا للحكماء، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت البهائم، وأما قول سهل التسترى: القلب هو العرش، والصدر هو الكرسى فراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسى، وعن كعب الأحبار قال دخلت على عائشة فقلت: الانسان عيناه هاد ، وأذناه قمع أى واع ، ولسانه ترجمان، ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده، فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : ان لله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال : أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان يعنى المرافقين ، وهو اشارة الى قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكوة فيها مصباح) قال أبى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه، وقوله (أو كظلمات فى بحر لجى) مثل قلب المنافق الفاسق، وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : (فى لوح محفوظ) هو قلب المؤمن وفى الحديث «اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه» الديلمى من حديث أم سلمة باسناد جيد، ولاحمد والطبرانى فى الصغير من حديث ابى سعيد « القلوب اربعة : قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد، فاى المادتين غلبت عليه حكم له بها» وفى رواية ذهبت به. وفى الحديث القدسى والكلام الانسى « لم يسعنى ارضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع » كذا فى الاحياء . وقال مخرجه لم اره اصلا ، وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد الله بن

احمد فى الزهد عن وهب بن منبه بلفظ « ان الله فتح السموات لحز قيل حتى نظر الى العرش فقال حز قيل : سبحانك ما اعظم شأنك يارب . فقال الله : ان السموات والارض ضعفن عن ان يسعني ووسعنى قلب عبدى المؤمن الوادع اللين » انتهى ولا يخفى ان هذا من الآثار فلا ينافى ما نفاه المخرج من الاخبار . وفى الخبر « قيل من خير الناس فقال كل مؤمن محموم القلب ، فقيل وما محموم القلب ؟ فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا حسد » رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفى الاحياء عن عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات والارض، لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة، وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة ، واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلا نهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له . وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ، ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله من مصنوعاته ؛ وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه، ومراده بتزكيته حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة، وفى الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق عجيب وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان ، وهى المدركة العالمة العارفة من الانسان، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب، ولها علاقة مع القلب الجسمانى، وقد تحيرت عقول اكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته . وان تعلقها به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات انتهى ، ومن هنا قيل معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه، تعجيز . وفيه تنبيه على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها باكمال انسه هذا وفى اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه فى ميدان التبيان ، بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى: (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية ، فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير

وَاسْمُ النَّفْسِ فَقَسَّمَهَا التَّنْزِيلُ الَى مُطْمَئِنَّة

اليه قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها) والفرق بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب فى قبول احدهما ويتردد فى خاطرهما ، ويترتب عليهما صلاح الجسد وفساده ، والنفس غالبا مائلة الى الشهوات واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه (وفيها ماتشهيه الانفس) من المأكولات والمشروبات والمشمومات والمسموعات وسائر الملذوذات ثم النفس المذمومة هى التى لا تفرق بين المباحات والمحظورات ، ومنه قوله سبحانه (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) - (وأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) والعقل الجزئى مشترك بين الحيوان والصبيان وسائر الانسان ، والعقل الكلى وهو المميز بين الخير والشر فى العاقبة دنيويا اواخرويا ، وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين ، فهذا عقل المطبوع وهو لاينفع بدون عقل المشروع ، ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم الناقصة وان ادعوا كما لها عن متابعة الانبياء زعما منهم ان الرسل ارسلوا للعامة وانهم من الخاصة فصاروا اجهل من كل جاهل ، فان المقلد قبل ايمانه وفاز بتقليده فى درجات جنانه ، والحكيم بعقله تنزل فى دركات نيرانه

﴿ واسم النفس ﴾ اى ويطلق على الانسان اسم النفس لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) فالنفس جسم كثيف ، والروح جسم لطيف له سريان شريف فى سائر الاعضاء ، لطيف كلطافة سريان الهواء فى البدن ، وقوله (كل نفس ذائقة الموت) و (علمت نفس ماقدمت واخرت) و (علمت نفس ما احضرت) وكالزبد فى اللبن ، والدهن فى الجوز واللوز ، وماء الورد فى الورد . والقلب داخل النفس وهو ألطف وأضوء من النفس والسر نور روحانى آلة للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة مالم يكن السر عنده والحاصل ان النفس هنا عبارة عن الهيكل الانسانى المركب من الجسد الجسمانى والروح الربانى اذ المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام ﴿ فقسمها ﴾ اى النفس ﴿ التنزيل ﴾ اى القرآن بعد اطلاقه النفس على آدم ونحوه ومايتعلق به من الاجزاء ﴿ الى مطمئنة ﴾ حيث قال تعالى (ياايتها النفس المطمئنة) أى بذكر الله سبحانه وهى النفس المؤمنة ولذا قال (ارجعى الى ربك راضية مرضية) الآية وهو يحتمل أن يراد بها الهيكل المركب الانسانى فالمراد بقوله (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) اى مع عبادى الصالحين

وَلَوَّامَة .وَأمَّارَة كَمَا تُطلَق عَلَى مَا يَجمَعُ الرَّذَائِل فَسمَّاهَاالشَّارِعُ أعْدَى الأعْدَاء
وَاسْمُ الرُّوحِ فَوَرَدَ(قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي)

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين (توفنا مسلمين) (والحقنا بالصالحين) وأدخلنا الجنة آمنين ويشير اليه قوله سبحانه (لذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الابذكر الله تطمئن القلوب) ويحتمل أن يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله (فادخلي في عبادي) اي في اجسادهم وعلى كل تقدير اريد بالنفس الجنس ﴿ ولوامة ﴾ حيث قال (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أي كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيامة ان كانت عملت خيرا قالت هلا زدت ، وان عملت شرا قالت ليتني لم أفعل ، وهو قول الفراء ، فهي شاملة للنفس البرة والفاجرة . وقيل تلوم على الخير والشر والنفع والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . وقال الحسن هي النفس المؤمنة ، فان المؤمن والله ماتراه الايلوم نفسه ما اردت بكلامي؟ ما اردت باكلي؟ وان الفاجر يمضي عليه الدهر لايحاسب نفسه ولا يعاتبها . وقال مقاتل هي النفس الكافرة فان الكافر يلوم نفسه في العقبى على ما فرط في أمر الله في الدنيا ، وهو يحتمل الاحتمالين السابقين ﴿ وامارة ﴾ حيث قال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي) اي الا مدة رحمة ربي ، او الا من رحم ربي به ، ولا يخفى انه لايصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف . وفي بعض النسخ هنا زيادة وماهمة وهي نسخة مهملة اذ لم يعرف في آية منزلة ﴿ كما تطلق ﴾ اي النفس ﴿ على مايجمع الرذائل ﴾ من سوء الشمائل ﴿ فسماها الشارع اعدى الاعداء ﴾ كما اخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف «اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية ، فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان ، فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها ﴿ واسم الروح ﴾ اي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده ، وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم ، فان الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما واستدلاله بقوله ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان ، فان كل موجود ذي كمية ومقدار فهو من عالم الخلق ، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر ، كذا قيل والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق ، وكل ماخلقه بمجرد الامر وهو بتعلق الارادة ، او بلفظ كن على

كَمَا يُطْلِقُهُ الأَطِبَّاءُ عَلَى الجِسْمِ المُكَيَّفِ، وَاسْمُ العَقْلِ فَوَرَدَ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ وَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ» الحَدِيثَ

اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) وقال عز وجل (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) الى ان قال (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ﴿كما يطلقه﴾ اى الروح ﴿الاطباء﴾ من الحكماء ﴿على الجسم المكيف﴾ والصواب التوقف فى سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ على ماقاله ابن مسعود كما فى الصحيحين، ومالم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم فيه، وقد قال تعالى (وما اوتيتم من العلم) اى به وبغيره (الاقليلا) لان علم جميع الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر . والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة وبفقده الممات، والاقرب فى تعريفه ماقيل من انه جسم لطيف روحانى ربانى منبعه تجويف قلب جسمانى، وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى اجزاء البدن، ثم جريانه فى البدن وفيضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به، فالحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان، والروح مثاله السراج، وسريان الروح وحركاتها فى الباطن مثاله مثال حركات السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه، واما قوله تعالى (فنفخت فيه من روحى) فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة مخلوقاته، وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفى عام . واول الارواح روح خاتم الانبياء، وكذا قوله (وروح منه) اى من عنده اومن امره، وانما اطلق الروح على جبريل الامين لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح متجردة، ولتخصصه بنزول القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده) وقال (اومن كان ميتا فاحييناه) وسمى جبريل ايضا بالروح المقدس اى المنزه عن النقصان فى تبليغ امر الحق الى رسل الانسان، والله المستعان

﴿واسم العقل﴾ اى ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق، وما ذكره من الاستدلال فغير المطابق حيث قال ﴿فورد اول ماخلق الله العقل وقال له اقبل الحديث﴾ اى «فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا اكرم على منك بك آخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب» الحديث كذا فى الاحياء، وقال

كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ الْمُكَيِّفَةِ

مخرجه رواه الطبرانی فی الكبير والاوسط من حديث ابى امامة وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى . وقال ابن تيمية وتبعه الزركشي انه كذب موضوع باتفاق أهل العلم ، وتعقبه الحافظ السيوطی بمار واه عبد الله ابن الامام احمد فى زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا بسند جيد بلفظ لما خلق الله العقل الخ . وفى الحديث دليل على ان العقل غير العلم ، فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لابد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه، ولانه لا يمكن الخطاب معه ﴿ كما يطلق ﴾ اى العقل ﴿ على الصفة المكيفة ﴾ اى الوصف الذى يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان ، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل : انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب فى تعريفه ، ونظيره ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، ثم العقل كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام والالوان فى حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها فى تلك الحالة وهى الصقالة وبها اتصفت بالآلة ، فعن ابن عباس مرفوعا « لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل » رواه ابن المحبر . وكذلك العين تفارق الجبهة فى هيئات وصفات بها استعدت للرؤية ، فنسبة هذه الغريزة التى هى العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر ، وعن على رضى الله عنه :

رأيت العقل عقلين ٭ فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ٭ اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ٭ وضوء العين ممنوع

فالأول هو المراد بقوله عليه السلام «ما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل» كما اخرجه الترمذى الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعلى «اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة» رواه أبو نعيم فى الحلية ، وهو المراد أيضا بقوله عليه السلام لأبى الدرداء «واذا ازددت عقلا ازددت

من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي فكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز» رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب وان عمر وأبي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال العاقل. قالو من أعبد الناس؟ فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس؟ قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام: (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر، وله من حديث أنس من حديث ابن سلام سأل النبي عليه السلام في حديث طويل في آخره، وصف عظم العرش وان الملائكة قالت: ياربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل، قالوا وما بلغ من قدره؟ قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومن الناس من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث ومنهم الأربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك» ورواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا، ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور ودقائقها بدون التعليم (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الأولياء الكرام ويعبر عن الأول بالوحي وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عليه السلام «ياايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه، واعلموا أنه يجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا اياكم واياهم فانهم من الخاسرين» رواه داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود. عن أنس قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال عليه السلام «ان الأحمق يصيب بحمقه أكثر من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات زلفي

من ربهم على قدر عقولهم» رواه ابن المحبر بتمامه والحكيم الترمذي مختصرا. وعن عمر مرفوعا «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله» ابن المحبر، وعنه الحارث بن أبي أسامة وعن أبي سعيد مرفوعا «لكل شيء دعامة أي عماد ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)» ابن المحبر وعنه الحارث. وقال عليه السلام «ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك تم له ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس» ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به. والحديث عند الترمذي مختصرا دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه «وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا؟ فقال بالعقل قلت ففي الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم؛ فقال هل عملوا الا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والحكيم الترمذي نحوه. وقال عليه السلام «وأتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا» ابن المحبر من حديث أبي قتادة. وفي الاحياء: اما العلوم الدينية فهي المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما، وبه كمال صفة القلب في معرفة الرب، وبه سلامته عن الاعراض والأغراض والادواء والامراض. فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب. فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور. فاياك ان تكون من احد الفريقين، وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية، والعلوم الشرعية كالادوية، والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء، وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية. وهي وظائف العبادات والاعمال التي رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء. ثم قال: والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية، والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله، وهما علمان متنافيان، يعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر

ثُمَّ الْخَوَاطِرُ آثَارٌ تَحْدُثُ فِى الْقَلْبِ تَبْعَثُ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ فَإِنْ نَفَعَ فِى الْآخِرَةِ فَخَيْرٌ وَالإِعَانَةُ عَلَيْهِ تَوْفِيقٌ وَإِنْ ضَرَّ فَشَرٌّ وَالإِعَانَةُ خِذْلَانٌ وَالْفَارِقُ الشَّرْعُ، ثُمَّ الْفَارِقُ عَمَلُ الصُّلَحَاءِ فَالْمُوَافِقُ خَيْرٌ وَالْمُخَالِفُ شَرٌّ وَلَوْ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ ثُمَّ النَّفْسُ فَمَا تَنَفَّرَتْ عَنْهُ نَفْرَةَ طَبْعٍ لَا خَشْيَةٍ خَيْرٌ

ضرورة على الاكثر، ولذا ترى الاكياس فى علوم الدنيا جهالا فى امور الآخرة، والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى اكثر علوم الدنيا ، لان قوة العقل لاتفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال فى الثانى، ولذا قال عليه السلام « اكثر اهل الجنة البله » رواه الدارمى من حديث انس . وقال الحسن : ادركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين . وقال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ فالدنيا والآخرة لاتجتمعان فهما ضرتان اذا أرضيت إحداهما أسخطت الاخرى . ومن هنا قال عليه السلام « من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على مايفنى » ﴿ ثم الخواطر آثار تحدث فى القلب ﴾ وهى التى تعرض فيه من الاذكار والافكار ﴿ تبعث على الافعال ﴾ اى تارة ﴿ والتروك ﴾ اى وعليها تارة، فان الخواطر هى المحركات للارادات . فمبدأ الافعال الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الاعضاء ، والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين ﴿ فان نفع ﴾ أى الخاطر ومايخطر فيه أو الفعل أو الترك ﴿ فى الآخرة فخير ﴾ محض ﴿ والاعانة عليه توفيق ﴾ اى لطف وهداية من الله سبحانه ﴿ وإن ضر ﴾ ذلك فى الآخرة ﴿ فشر والاعانة ﴾ اى عليه كما فى نسخة ﴿ خذلان ﴾ اى ترك نصرة منه وإغواء، فالاعانة الثانية وقعت بطريق المشاكلة ﴿ والفارق ﴾ بين الخير والشر ﴿ الشرع ﴾ ولاعبرة بالطبع ﴿ ثم الفارق عمل الصلحاء ﴾ اى من العلماء ﴿ فالموافق خير والمخالف شر ولو ﴾ كان ﴿ برخصة أو شبهة ﴾ لانه لاينفع فى الآخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة . والرخصة مايستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخائف على نفسه الامر بالمعروف ، وحكمه أن الاخذ بالعزيمة أولى ﴿ ثم ﴾ الفارق ﴿ النفس فما تنفرت عنه نفرة طبع لاخشية ﴾ اى مخافة من مخالفة غير الله ﴿ خير ﴾ وقيل نفرة

وَمَامَالَتْ إِلَيْهِ مَيْلَ طَبْعٍ لَا ارْجَاءِ شَرٌّ ثُمَّ مِنَ الْمَلَكِ إِلْهَامٌ وَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ وَهُوَ شَرٌّ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا كَمَا يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفْضُولِ بِالشُّغْلِ عَنِ الْفَاضِلِ وَالْجَرِّ إِلَى ذَنْبٍ لَا يَفِي خَيْرُهُ كَالْعُجْبِ فَوَرَدَ «إِنَّ الْقَلْبَ مَفْتُونٌ بِمَلَكٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَدْعُوَانِهِ»

الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما، ونفرة الخشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية ، فاذا خطر له أن يطوى ميلا الى ثلاثة ايام فى الصوم ولكن يجد فى نفسه نفرة وكراهة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لأنه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا ﴿ وما مالت إليه ميل طبع لا ارجاء ﴾ من الله سبحانه ﴿ شر ﴾ مثلا خطر الخاطر أن يخرج من البيت ويتفرج على المكان الفلانى ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة أخ فى الله أو عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» ﴿ ثم ﴾ الخاطر الصادر ﴿ من الملك إلهام وليس ﴾ ذلك الخاطر ﴿ سوى الخير ﴾ لانه مرشد ناصح هنالك لم يرسل الا لذلك ﴿ ومن الشيطان وسواس وهو شر ﴾ محض غالبا ﴿ وقد يكون ﴾ الوسواس ﴿ خيرا ﴾ فى الصورة وقصده منه شر ﴿ كما يدعوه الى المفضول بالشغل ﴾ اى بسبب اشتغاله بالمفضول ممتنعا ﴿ عن الفاضل ﴾ كمن يلقى فى قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذى هو أفضل منها مع الجهل ﴿ والجر ﴾ عطف على الشغل اى وكما يدعوه الى خير بسبب جره ﴿ إلى ذنب لا يفى خيره ﴾ أى لا يعدل نفعه بشره وضرره ﴿ كالعجب ﴾ او غيره من طلب جاه ونحوه ﴿ فورد إن القلب مفتون ﴾ اى ممتحن ﴿ بملك أو شيطان يدعوانه ﴾ اى الى خير وشر ، والحديث لم أجد له أصلا ، فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم ، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك ، وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر ، كما قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الواسطة ، فان رؤية الأسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وورد «القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن

وَمِنْهُ ابْتِدَاءُ خَاطِرٍ مُطْلَقِ

ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه، قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذهديتنا) الآية وقال عليه السلام «في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا: الشيطان يعدكم الفقر» الآية. رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد. وقال الحسن: انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو، فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله أمضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه. ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين ورد «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن» أي بين صفتي الجمال والجلال، او تمثيل بسرعة تقلب القلب وتردده بالشيء المأخوذ بين الاصبعين المتحركين ولما كان قلب لايخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لاجرم لايخلو قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذا قال عليه السلام «ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا الا أن الله اعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بالخير» رواه مسلم عن ابن مسعود.

ثم القلب الخالي عن الهوى لايدخله للشيطان ولذا قال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لاعبد الله قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وقال جرير بن عبد الله: شكوت الى الفاروق وبادي المأجد في قلبي من الوسواس فقال: انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه، ومن هنا قيل: المفلس في امان الله. وقال عثمان ابن ابي العاص «يارسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني» رواه مسلم. ولابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب «ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه» والحاصل أنه لاخلاص من الشيطان الا بالالتجاء الى الرحمن والتبري من الحول والقوة للانسان، واظهار العجز في ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان، وذلك لايقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (ومنه) اي من الوارد من عنده تعالى (ابتداء خاطر مطلق)

وَهُوَ اِمَّا خَيْرٌ اعْتِنَاء وَإِمَّا شَرٌّ ابْتِلَاءٌ وَمِنَ النَّفْسِ هَوًى وَلَيْسَ الْهَوَى سِوَى الشَّرِّ وَقِيلَ كَالْوَسْوَسَةِ وَقِيلَ الَّا اذَا كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً فَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسُ الْمُسَمَّى بِخَاطِرِ الْقَلْبِ

وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعها فى قلب العبد من الله حقيقة، لكن اذا حدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما، واذا حدثت عقيب دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة، واذا حدثت موافقا للطبع يقال له هوى النفس وتنسب اليه، واذا حدثت من الله فى القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان ولا موافقا لطبع الانسان يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة (وهو اما خير اعتناء) اى عناية ورعاية لعبده (واما شر ابتلاء) اى امتحانا لعبده (ومن النفس هوى) اى والوارد منها يسمى هوى وهو ضد هدى (وليس الهوى سوى الشر) كما ان الهدى ليس سوى الخير (وقيل كالوسوسة) اى من الشيطان يدعو الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير اليسير ليجره به الى الشر الكثير، وذلك كما قال احمد بن ارقم البلخى : نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول (ان النفس لامارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا ابدا، ولكنها استوحشت فاورادت لقاء الناس لتتروح اليهم، وتتسامع الناس فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم؛ فقلت لها : لا انزلك العمران ولا انزلك على ذى معرفة فاجابت، فاسات الظن بها فقلت الله اصدق، فقلت اقاتل العدو حاسرا اى بلا سلاح فتكونين اول قتيل فاجابت، فاسأت الظن بها، فعد أشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك، فقلت يارب نبهنى لها فانى متهمها ومصدق لك، فكوشفت كأنها تقول : يا احمد تقتلنى كل يوم بمنعك اياى من شهواتى مرات وبمخالفتك لى كرات : وما يشعر بذلك احد، فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك، وتتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لى شرف وذكر، فقعدت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام. فانظر الى خداع النفس وغرورها تراائى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد . ولقد صدق القائل :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس شر من السبعين شيطانا

(وقيل الا اذا كانت) النفس (مطمئنة) بذكر الله (فليس) خاطرها (سوى الخير وهذا هو الخامس) من الخواطر (المسمى بخاطر القلب)

فورد «إستفت قلبك أما الفرق في الخير يعرف الخاطر بكونه مصمماً ومحدثاً عقيب الطاعة إثابة فورد (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وطارياً في الأصول والأعمال الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها وتنبيهاً فورد «اللهم نبهنا عن نومة الغافلين والالهام بكونه متردداً ومبتدياً وطارئاً في الفروع والأعمال الظاهرة وحثاً على الطاعة فورد (ويفعلون مايؤمرون) والوسوسة

لقوله تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني ولا تميل ابدا الى الذنوب والعيوب ﴿فورد استفت قلبك﴾ تمامه وان افتاك المفتون، فالخطاب للمتقي فان قلبه لايخطىء، ومن هنا قيل: حكى قلبي عن ربي ﴿اما الفرق﴾ بين الخواطر في الخير والشر ﴿ففي الخير يعرف الخاطر﴾ المطابق الذي يرد من الله ﴿بكونه مصمما﴾ اي ثابتا على حالة واحدة دائما ﴿ومحدثا﴾ اي وبكونه واقعا ﴿عقيب الطاعة اثابة﴾ اي جزاء واكراما ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ بالطاعة ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا. ففي الخبر «من عمل بما علم أورثه الله علم مالايعلم» وهو معنى قوله سبحانه (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) اي الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى في الدنيا والعقبى ﴿وطاريا﴾ عطف على مصمما اي عارضا ﴿في الاصول﴾ اي الاعتقادات ﴿والاعمال﴾ اي العبادات ﴿الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها﴾ فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور ﴿وتنبيها﴾ عطف على اثابة اي للتنبيه عن نوم الغفلة في مقام الاثابة على فعل الطاعة، ولا يبعدان يعطف على مصمما بذكر المصدر وارادة الفاعل؛ اي منبها على الغفلات عن عمل الخيرات ﴿فورد﴾ في الدعاء ﴿اللهم نبهنا عن نومة الغافلين﴾ لم اره له اصلا ﴿والالهام﴾ الملكي يعرف ﴿بكونه﴾ اي الخاطر ﴿مترددا﴾ بين الفعل وتركه غير قوي في حكمه، وقيل مترددا اي يجيء مرة ويذهب اخرى ﴿ومبتدئا﴾ اي لامحدثا بعد عمل عبادة ونحوه ﴿وطاريا﴾ أي عارضا ﴿في الفروع﴾ العلمية والعملية ﴿والاعمال الظاهرة﴾ الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لاسبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم ﴿وحثا على الطاعة﴾ في الامور الدينية ﴿فورد﴾ في التنزيل (لايعصون الله ما امرهم ﴿ويفعلون﴾ اي الملائكة ﴿مايؤمرن﴾ لانهم جبلوا على الطاعة ﴿والوسوسة﴾ من

بكونها مع عجلة ونشاط دون خشية على اتمامه وآدائه على وجهه وقبوله تعالى اياه وبصيرة أنه خير أوشر وفى الشر يعرف الخاطر بكونه مصمما ومحدثا عقيب الذنب عقوبة فورد (بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) والهوى بكونها مطالبة للشهود فورد (ماتشتهى أنفسكم)

الخواطر تعرف ﴿بكونها مع عجلة﴾ لا مع تأن لقوله تعالى (وكان الانسان عجولا) وفى الحديث «العجلة من الشيطان والاناة من الله» رواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد وقال عز وجل (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) ﴿ونشاط﴾ اى فرح وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مثوبة ﴿دون خشية﴾ اى من غير مخافة ﴿على اتمامه﴾ اى اتمام العمل انتهاء ﴿وادائه على وجهه﴾ اى وجه العمل وحقه ابتداء ﴿وقبوله تعالى اياه﴾ اى العمل وصاحبه اذ لا عبرة لما سواه ﴿وبصيرة﴾ اى ودون بصيرة ﴿انه﴾ اى ذلك العمل ﴿خير﴾ يرجى عليه الثواب ﴿او شر﴾ يخاف عليه العقاب وقيل: المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان تبصر وتحقق وتيقن انه خير ورشد، ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب، والله اعلم بالصواب .

والحاصل انك ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية، ومع عجلة لا مع تأن، ومع امن لا مع خوف، ومع عمى عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان . وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية لا مع نشاط، ومع تأن لا مع عجلة، ومع خوف لا مع امن، ومع بصيرة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك . وهذا الفرق فى الخواطر فى الخير كله ﴿وفى الشر يعرف الخاطر﴾ المطلق الذى هو من الله سبحانه ﴿بكونه مصمما﴾ اى قويا ﴿ومحدثا﴾ واقعا ﴿عقيب الذنب عقوبة﴾ اى للعقوبة على المعصية ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿بل ران﴾ اى غلب وعلا ﴿على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ من السيئات الواقع بعضها عقيب بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم، ومنه قوله تعالى (واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) اى الطريقة العسرى الموصلة الى مثالها فى الدنيا والاخرى ﴿والهوى﴾ اى ويعرف خاطر هوى النفس ﴿بكونها مطالبة للشهوة﴾ اى للذة التى فيها الشهوة ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿ما تشتهى انفسكم﴾ حيث

وَمُصِرَّةٌ عَلَى مُعَيَّنٍ فَالنَّفْسُ لَا تَسْكُنُ دُونَ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَالْوَسْوَسَةُ بِكَوْنِهَا مُبْتَدَأَةً فِي الْأَكْثَرِ وَمُتَرَدِّدَةً فَالشَّيْطَانُ كَلْبٌ إِذَا طُرِدَ مِنْ جَانِبٍ دَخَلَ مِنْ آخَرَ، وَبَاعِثَةً عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ فَغَرَضُهُ نَفْسُ الْإِغْوَاءِ، وَمُسَوِّلَةً لِمَعْصِيَةٍ فَوَرَدَ (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)

نسب الاشتهاء الى النفس التى هى منبع الهوى ﴿ ومصرة على معين ﴾ اى وبكونها مصممة على شهوة معينة على وجه معين وطريق مبين لا عدول عنه بوجه اصلا و قطعا ﴿ فالنفس لا تسكن دون قضاء الشهوة ﴾ اى من غير غرضها التى تريده كما قيل :

تريد النفس ان تلقى مناها ويأبى الله الا ما يريد

﴿ والوسوسة ﴾ تعرف ﴿ بكونها مبتدأة ﴾ اى ليست عقب طاعة ولا معصية ﴿ فى الاكثر ﴾ اى اكثر الاحوال او اكثر الوساوس ﴿ ومترددة ﴾ فتارة تدعو الى معصية واخرى الى اخرى فهى غير مصممة على حالة واحدة ﴿ فالشيطان كلب ﴾ او ذئب ﴿ اذا طرد من جانب دخل من آخر ﴾ اى جانب آخر كما يشير اليه قوله تعالى (فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) والمراد طرق المعاصى جميعها . فعن ابن مسعود « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ﴿ وباعثة ﴾ اى وبكونها محرضة ﴿ على غير معين ﴾ من انواع المعاصى ﴿ فغرضه نفس الاغواء ﴾ من اى جهة كان من الاعمال والاحوال ﴿ ومسولة ﴾ اى وبكونها مزينة ومسهلة ﴿ لمعصية ﴾ من المعاصى غير متعين ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ الشيطان سول لهم ﴾ اى زين لهم سوء اعمالهم ﴿ واملى لهم ﴾ اى امهلهم ببطء آجالهم ، او القى فى قلوبهم ما يندمون عليه فى مآلهم . قال الحسن : بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار ، فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهى الاهواء ، وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون

وَمُنْدَفِعَةٌ بِذِكْرِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ فِيهِ «إِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ»

منها ؟ ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب الاصولية والفروعية، والخصومات الدنيوية. وقال عبدالله بن مسعود: قعد قوم يذكرون الله عز وجل ، فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم لم يستطع، فاتى رفقه اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم ، فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجلسهم ذلك مراد الشيطان منهم ﴿ ومندفعة ﴾ اى وبكونها مندفعة ﴿ بذكره تعالى ﴾ ولو بذكر خفى ﴿ فورد ﴾ فى الحديث ﴿ فيه ﴾ اى فى حق الشيطان ﴿ اذا ذكر ﴾ العبد ﴿ الله خنس ﴾ اى تأخر الشيطان ﴿ واذا غفل وسوس ﴾ قال مجاهد فى معنى فى قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه ، فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار. ولتطاردهما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله) وعن انس قال عليه السلام « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسى الله التقم قلبه » ابن ابى الدنيا وابو يعلى وابن عدى. هذا وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه ودمه ولذا قال عليه السلام « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوة المانعة عن الطاعات ، وفيه تنبيه على انه لا يتخلص احد من الشيطان مادام حيا ، نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته ، كما قال عليه السلام « ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره فى السفر » اى يهزله ويضعفه، رواه احمد من حديث أبى هريرة . وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس : قال لى شيطانى دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور ، فقلت ولم ذلك؟ قال تذيبنى بكتاب الله عز وجل. وقال ابو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس ، واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك ؟ فقال انا مع رجل اذا أكل سمى الله فاظل جائعا ، واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا، واذا ادهن سمى الله فاظل اشعث، واذا لبس سمى الله فاظل عريانا، فقال شيطان الكافر لكنى مع رجل

وَقِيلَ يَتَعَذَّرُ التَّمِيزُ الاَّ بِنُورِ التَّقْوَى وَالمَعْرِفَةِ

لايفعل شيئا مما ذكرت ، فانا اشاركه فى طعامه وشرابه ودهنه ولباسه. وفى النسائى من حديث سبرة باسناد صحيح « ان الشيطان قعد لابن آدم فى طريقه ، فقعد له فى طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد، فقال عليه السلام : فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة، واذا عرف هذا فينبغى للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحله ، فقد قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عز وعلا (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) ﴿ وقيل يتعذر التميز ﴾ بين الخواطر بشىء من الاشياء ﴿ الا بنور التقوى والمعرفة ﴾ بصفات المولى كما قال تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) أى رجعوا الى نور العلم (فاذا هم مبصرون) اى انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال وأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبيسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غلطه ويعجل هلاكه وهو لايشعر به، وفى مثلهم قال تعالى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) قيل هى اعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات . وفى الاحياء: ينبغى ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى مايعلم قطعا أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، والى مايعلم انه داع الى الخير فلا شك فى كونه الهاما ، والى مايتردد فيه ولايدرى انه من لمة الملك او من لمة الشيطان. فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك غامض، واكثر العباد به يهلكون ، فان الشيطان لايقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير . ولذا روى: ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك . وعن النبى صلى الله عليه وسلم « كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب ، فاتى بها الى الراهب فابى ان يقبلها، فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها، فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها، فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه، فوسوس اليه وقال : الآن تفتضح

وَاخْتُلِفَ فِي الْأَخْذِ بِالْخَوَاطِرِ وَالتَّحْقِيقُ

يأتيك أهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى فى قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها ، فاتاه اهلها فسألوه فقال ماتت ، فالقى اليهم الشيطان أنها مدفونة عنده ففتشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه، فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت فى قلوب اهلها فاطعني اخلصك منهم، قال بما ذا قال اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين، فقال له الشيطان انى برىء منك، فهو الذى قال الله تعالى: «كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك» الآية والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى مكائد الشيطان ، وابن مردويه فى تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا ، وللحاكم نحوه موقوفا على على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ، ووصله مطين فى مسنده من حديث على ، وذكره البغوى فى تفسيره عن ابن عباس ، وذكر ان الراهب اسمه برصيصا، وتعلل بعد قتلها بان جنيا اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها . فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطرارة الراهب الى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة، وهو امر هين فى المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة وملاطفة فى المرافقة وحسن عشرة فى المخالقة ، فيحسن ذلك فى قلبه ، ويخفى الهوى فى نفسه .فيقدم اليه كالراغب فى الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ، ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فى الخلاص عن الامر المذكور فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور، واليه الاشارة بقوله عليه السلام «من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه» متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير ﴿واختلف فى الاخذ﴾ اى فى المؤاخذة ﴿بالخواطر﴾ فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا ، واستدل بقوله عليه السلام « يقول الله تعالى إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها» وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ﴿والتحقيق﴾ التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره فى الطريق بحيث لو التفت اليها ليراها ويسمى حديث النفس، والثانى هيجان النفس فى الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع ، والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف ، فانه قد يمنعه حياء أو خوف

عدمه فيما لا اختيار له كحديث النفس وميل الطبع لامتناع التكليف فيه وورد عفي عما حدثت به نفوسنا . وانما هو في العزم والهم فورد (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)

من الله تعالى عن الالتفات ، وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل، والرابع تصميم العزم وجزم النية، وقيل الارادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ما له فاذا عرفت هذا فالتحقيق عند أهل التدقيق وأرباب التوفيق ﴿عدمه﴾ أي عدم الأخذ بمعنى المؤاخذة ﴿فيما لا اختيار له كحديث النفس﴾ مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها ﴿وميل الطبع﴾ أي الجبلي الذي لا اختيار لصاحبه في الميل اليه ، وأنت عرفت أن حديث النفس وميل الطبع متغايران . وقيل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذي ما لا نجر الى العزم والهم ﴿لامتناع التكليف فيه﴾ أي فيما لا اختيار فيه فانه تكليف ما لا يطاق وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ﴿وورد﴾ في الحديث ﴿عفي عما حدثت به نفوسنا﴾ وهو معنى حديث الصحاح الست عن أبي هريره « ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به » وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوا عليه سيئة فان تركها من أجلي فاكتبوها حسنة، وإذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عمل فاكتبوها عشرة » رواه الشيخان ﴿وانما هو﴾ أي الاخذ والمؤاخذة ﴿في العزم﴾ أي حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل ﴿والهم﴾ أي المصمم فهو عطف تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما افضى الى مباشرة الفعل لمانع من الشرع اوالعقل أوغيرهما ، فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما ، او الثاني اخص من الاول فتأمل ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله﴾ اى ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المعصية او تخفوه يجازكم به كما قال: (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ولما نزلت الآية جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ، أن احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت

انَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ الآيَةَ . أَنَّمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ، وَوَقَعَ الاجْمَاعُ عَلَى الأَخْذِ بِالكِبْرِ وَالعُجْبِ وَالرِّيَاءِ الَّا انْ يَمْتَنِعَ بَعْدَ العَزْمِ لَهُ تَعَالَى فَيَمْحُوهُ لِرُجْحَانِ تَأْثِيرِ الامْتِنَاعِ فِى تَنْوِيرِ البَاطِنِ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ الطَّبْعَ عَلَى تَأْثِيرِ القَصْدِ فِى تَسْوِيدِهِ لأنه يوافقه

فى قلبه ثم يحاسب بذلك ، فقال عليه السلام « لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا » فانزل الله الفرج بقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) رواه مسلم من حديث أبى هريرة.وابن عباس . فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلوب لا يؤاخذ به ، قال تعالى ﴿ان السمع والبصر الآية﴾ أى (والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وقال (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ﴿ انما يحشر الناس على نياتهم ﴾ رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما ، وله من حديث أبى هريرة « انما يبعث الناس على نياتهم » واسنادها حسن ، وفى الاحياء ونحن نعلم أن من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزنى فمات تلك الليلة مات مصرا ويبعث على نيته . والدليل القاطع فيه حديث « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال لانه اراد قتل صاحبه » رواه الشيخان ﴿ ووقع الاجماع على الاخذ ﴾ اى المؤاخذة ﴿ بالكبر والعجب والرياء ﴾ وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر ﴿ الا ان يمتنع ﴾ عن العمل السوء ﴿ بعد العزم ﴾ أى القصد والجزم على الفعل ﴿ له ﴾ أى يكون امتناعه لاجله ﴿ تعالى ﴾ رجاء أو خوفا ﴿ فيمحوه ﴾ أى فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والمعقوبة عليها (لرجحان تأثير الامتناع) عن العمل لاجله تعالى (فى تنوير الباطن لانه) أى الامتناع (يخالف الطبع) ويوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) أى قصد المعصية والعزم عليها فيكون مؤثراً (فى تسويده) أى تسويد الباطن وتغييره (لانه يوافقه) أى لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلائم الشرع *

وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعى أكيد وما كان جده أشد وسعيه أهم كان تأثيره أكمل وأتم فثبت بهذا ان تأثير الامتناع فى تنوير الباطن أشد من تأثير قصد المعصية فى تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعى

وورد فيه «إن تركها فاكتبوها حسنة» ثم الواجب الاحتراز عن الشيطان لأنه عدو كما نطق به القرآن ولأن العابد يغايظه فتشتد معاداته اياه

بليغ، ولما كان جده واجتهاده أقل كان التأثير أنقص فتأمل، وفى الخبر «أفضل الطاعات أحزها» أى أشقها وأصعبها ﴿ وورد ﴾ فى الخبر ﴿ فيه ﴾ أى فى الامتناع ﴿ ان تركها ﴾ أى العبد السيئة ﴿ فاكتبوها حسنة ﴾ وقد تقدم، ولابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا قال ثابت : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو، فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ماندرى، قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم، قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبى عليه السلام فينصرفون خائبين فيقولون ماصحبنا قوماً قط مثل هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فينمحى أثر ذلك فقال إبليس رويداً بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم، ومما يدل على ان حديث النفس لا يؤاخذ به ماروى عن عثمان بن مظعون حيث قال «يارسول الله ان نفسى تحدثنى ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتى النكاح، قال نفسى تحدثنى أن أجب نفسى، قال مهلا خصاء أمتى ذووب الصيام، قال نفسى تحدثنى أن أترهب، قال مهلا رهبانية أمتى الجهاد والحج، قال نفسى تحدثنى ان اترك اللحم، قال مهلا فانى أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنى» رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلا ﴿ ثم الواجب الاحتراز ﴾ أى الاحتراس ﴿ عن الشيطان ﴾ ومافيه من الوسواس ﴿ لانه عدو كما نطق به القرآن ﴾ حيث قال (ان الشيطان لكم عدو مبين) وقال (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) الاية ﴿ ولان العابد ﴾ العالم ﴿ يغايظه ﴾ أى يغالبه فى غيظه لاجل كونه فى سبيل الله ﴿ فتشتد معاداته ﴾ أى الشيطان ﴿ اياه ﴾ أى ذلك العابد، ولذا ورد «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» ثم من عداوته للانام أمره لهم بالآثام ووعده الامان من عذاب الله وعدم حسابه واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلا عن حجة، ويخوفهم بالفقر فى اعطاء الزكاة ويحثهم على الانفاق فى المحرمات، ويخيل لهم حصر اللذات فى الشهوات واللهوات، ويدعو من له ازواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة فى غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك فى الاحوال، ويامر الامراء بالظلم فى اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء مع

وَالطَّرِيقُ الاسْتِعَاذَةُ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا «وَلِأَنَّ الْكَلْبَ انْ حَارَبْتَهُ تَعِبْتَ وَرُبَّمَا غُلِبْتَ فَالرُّجُوعُ الَى رَبِّهِ أَوْلَى» وَالْمُجَاهَدَةُ بِالرَّدِّ

وفورها لهم ، ويقتل النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع فى الحال والاستقبال، وله ابواب فيها اطناب (والطريق) أى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى (لانه) أى العبد والاستعاذة (مأمور بها) فى قوله تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) الآية وسائر الآيات والاخبار الواردات. وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك ، وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وابعد بيننا و بينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير، وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال : كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : قل « اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماذرأ وبرأ فى الارض ومن شر مايخرج منها، وما ينزل من السماء ومايعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار، وطوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن ، فقال ذلك نطفئت شعلته وخر على وجهه ، رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ، ولمالك فى الموطأ نحوه عن يحي بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحي عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ، ورواه احمد والبزار من حديث عبد الرحمن ابن حبيش (ولأن الكلب ان حاربته تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه أولى) فى الخلاص عن البلوى . ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك ، فاذا لم يكن بين يديك لحم أوخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه ، وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر ؛ فأما الشهوة اذا غلبت على القلب رفعت حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب . ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لا مخلص لأحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من داخل خيمته فيفتر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بالرد) أى برد الوسوسة

وَقَلْعِ الْمُهْلِكَاتِ فَهُوَ انَّمَا سُلِّطَ لِلْامْتِحَانِ وَادَامَةُ ذِكْرِهِ تَعَالَى لِسَانًا وَقَلْبًا لِمَا سَبَقَ

ودفعها فى الحالة الآنسة ﴿ وقلع المهلكات ﴾ اى وازالتها من اصلها ، وهى الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين فى الثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام ، والطمع فى الانام واخذ كل مايزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال ، وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر فى ذات الله وسوء الظن بالمسلمين ، ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة ﴿ فهو ﴾ اى الشيطان ﴿ انما سلط ﴾ على الانسان ﴿ للامتحان ﴾ فى ميدان الطاعة والعصيان فحينئذ يكرم المرء أو يهان ﴿ وادامة ذكره تعالى لسانا ﴾ خفية اوجهرا ﴿ وقلبا ﴾ فهو أفضل وأكثر تاثيراً والجمع بينهما اكمل ﴿ لما سبق ﴾ من أن العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتاخر . وفى الخبر « ماسلك عمر فجا - اى طريقا - الا سلك الشيطان فى غير فجه » رواه الشيخان من حديث سعد بن ابى وقاص . قال فى الاحياء : وهذا لان قلبه هذا كان طاهرا عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات ، فمهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا ، كمن طمع فى أن يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ، ويطمع فى أن ينفعه الدواء كما نفع الذى يشربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة - فالذكر دواء والتقوى احتماء ، فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بنزول الدواء فى معدة خالية عن الأطعمة ، فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ، قلنا ان عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين . فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله ، فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت ، والصلاة محك القلوب فيها مساويها ومحاسنها . فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لاتطرد عنك الشيطان ، بل ربما يزيد عليك الوسواس فى ذلك الزمان كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فى الداء ، فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم

وَالاسْتِخْفَافُ بِدَعْوَتِهِ فَالكَلْبُ إنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ سَكَتَ وَإنْ اشْتَغَلْتَ مَعَهُ أتْعَبَكَ وَمَعْرِفَةُ مَكَائِدِهِ فَاللِّصُّ إنْ عَلِمَ احْسَاسَ صَاحِبِ الدَّارِ فَرَّ وَهِيَ كَالمَنْعِ عَنِ العَمَلِ وَالتَّسْوِيفِ وَالعَجَلَةِ وَالرِّيَاءِ وَالعُجْبِ وَرَجَاءِ الاظْهَارِ مِنْهُ تَعَالَى وَعَدَمِ الحَاجَةِ الَى العَمَلِ بِنَاءً عَلَى قِسْمَةِ الأزَلِ فِى السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالرَّدِّ بِالحَاجَةِ لِلتَّزَوُّدِ وَهُجُومِ الاجَلِ وَرُجْحَانِ

طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فالشرط فى الذكر تقدم التقوى أو كمال الحضور فى ذكر المولى، ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشيء من الدنيا غفرله ماتقدم من ذنبه» وقدقال وهب بن منبه : اتق الله ولاتسب الشيطان فى العلانية وانت صديقه فى السر أى مطيع له فى الباطن . وقال بعضهم : ياعجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه . وعن بعض الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى ، فان امتنع اتاه من قبل النصيحة حتى يلقيه فى البدعة ، فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ماليس بحرام ، فان أبى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه من العلم ، فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد لجاجه فانه آخر درجته ويعلم أنه لو جاوزها فات منه الى الجنة ﴿والاستخفاف بدعوته﴾ أى الاستحقار وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان ﴿فالكلب ان أعرضت عنه سكت﴾ عنك ﴿وان اشتغلت معه﴾ بالدفع ﴿اتعبك﴾ بالعواء ﴿ومعرفة مكائده﴾ الآتى بيانها ﴿فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر﴾ أى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن من القرار ﴿وهى﴾ اى المكائد سبعة ﴿كالمنع عن العمل﴾ من أصله ﴿والتسويف﴾ أى التأخير عن محله ﴿والعجلة﴾ فى فعله ﴿والرياء﴾ فى قصده ﴿والعجب﴾ بعد فراغه ﴿ورجاء الاظهار منه تعالى﴾ للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى ﴿وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة﴾ وهذا لف فى العبارة ونشر بالاشارة فى قوله ﴿والرد﴾ اى رد المكائد المذكورة ﴿بالحاجة﴾ الى العمل ﴿للتزود﴾ أى لزاد المعاد فى يوم التناد ، فقد قال تعالى ﴿ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾ ﴿وهجوم الاجل﴾ أى مجيئه بغتة قبل حصول العمل ﴿ورجحان

القَلِيل التَّامّ عَلَى الكَثِير النَّاقص وَ كِفَايَة رُؤْيَته تَعَالَى وَالتَّفْوِيض الَيْه فى الاظْهَار وَالاخْفَاء وَفَرضيَّة امْتثَاله وَحَقّيَة وعْده الأَدْنَى ثُمَّ الاقْتصَار عَلَى التَّكْذِيب وَتَرْك الجَدَال ثُمَّ الاسْتمْرَار عَلَى مَاكَانَ عَلَيْه ثُمَّ الزِّيَادَةُ فى ضِدّه فَفِيه اغْضَابُه وَاخْتلَف فى أَمْن الأَقْوِيَاء

﴿ القليل ﴾ من العمل ﴿ التام ﴾ اى الكامل بالتأنى ﴿ على الكثير ﴾ من العمل ﴿ الناقص ﴾ بالعجلة ﴿ وكفاية رؤيته تعالى ﴾ لقوله سبحانه (الم يعلم بان الله يرى) وقوله عز وجل (اليس الله بكاف عبده) ﴿ وذكر منته والتفويض اليه ﴾ أى التسليم بين يديه ﴿ فى الاظهار والاخفاء ﴾ فى العبادة ، بل ينبغى ان يميل الى الاخفاء لانه أبعد من الرياء . وفى الخبر « افضل امتى الاتقياء الاخفياء » ﴿ وفرضية امتثاله ﴾ أى امتثال امره على عبده ، ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الى العمل لكيلا الوم نفسى يوم القيامة فانى لو ادخلت النار وانا مطيع احب الى من ان ادخلها وانا عاص لخفة العذاب، وان كنت سعيدا فانا محتاج الى زيادة الثواب ﴿ وحقية وعده الادنى ﴾ اى الاقرب بالاثابة على الطاعة والاجابة ﴿ ثم ﴾ الافضل ﴿ الاقتصار على التكذيب ﴾ أى تكذيب الشيطان فيما يوسوسه ﴿ وترك الجدال ﴾ فانه يردد قلب العبد و يشوشه . ولان المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة ﴿ ثم الاستمرار على ما كان عليه ﴾ من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولاجدال لان التكذيب ايضا شاغل كالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلى هو الحضور مع المولى ﴿ ثم الزيادة ﴾ اى زيادة الاجتهاد ﴿ فى ضده ﴾ اى اضداد ماذكر من المكائد وفى ضد كيد الشيطان ﴿ ففيه اغضابه ﴾ اى اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن كما حكى عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة هاوية ولازاد معك ولا سبب ولا راوية ، فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك ، وان لا يقطعها حتى يصلى الف ركعة تحت كل ميل من اميالها هنالك ، وقام بما عزم عليه من الهمة وبقى عليه فى البادية اثنتى عشرة سنة . ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له : ان فلا نا ذكرك بسوء ، فقال : والله لاغيظن من امره قيل من امره؟ قال الشيطان ، ثم قال : اللهم اغفر له انى لاغيظنه بان اطيع الله فيه . ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان تزيد فى حسناته وهو خلاف ماله من الارادة ﴿ واختلف ﴾ اى اختلف العلماء ﴿ فى امن الاقوياء ﴾ كالانبياء

مِنْهُ وَالْحَقُّ عَدَمُهُ لِقِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُرُودِهِ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَفِى مُنَافَاةِ التَّرَصُّدِ التَّوَكُّلَ وَالْحَقُّ عَدَمُهَا فَأَخْذُ السِّلَاحِ وَجَمْعُ الْعَسْكَرِ وَحَفْرُ الْخَنْدَقِ مَا قَدَحَتْ فِى تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِى كَيْفِيَّةِ الْحَذَرِ

والأصفياء من الأولياء ﴿ومنه﴾ أي من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومحفوظون عنه لقوله سبحانه (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وقوله (الا عبادك منهم المخلصين) ﴿والحق﴾ من الأقوال ﴿عدمه﴾ أي عدم أمنهم من الشيطان في جميع الأحوال ﴿لقصة آدم عليه السلام﴾ فى أكل الشجرة فانه صريح فى الملام ونص فى الكلام حيث قال (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ولقوله تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روى أنه عليه السلام نظر الى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال «شغلنى عن الصلاة» ولقوله سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى) أي قرأ (القى الشيطان فى أمنيته) أي قراءته (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) ﴿وورد﴾ فى صحيح مسلم وغيره ﴿انه﴾ أي الشيطان ﴿ليغان﴾ أي ليحجب ﴿على قلبي﴾ فيمنعنى عن ذكر ربى مع أن شيطانه أسلم فلا يأمر الا بخير » وتمام الحديث « وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » وفيه انه ليس فى هذا الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فان المراد بالغين حجاب يقع من كثرة مشاهدة غبار الغير فى مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب اللائق به ، فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيعين الابرار ، ومادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار ﴿وفى﴾ اى وكذا اختلف فى ﴿منافاة الترصد﴾ اى التحفظ للحذر من الشيطان ﴿التوكل﴾ بالنصب مفعول منافاة ﴿والحق﴾ من الاقوال المختلفة ﴿عدمها﴾ اى عدم المنافاة ﴿فاخذ السلاح﴾ من الدرع والمغفر وسائر الاسلحة ﴿وجمع العسكر﴾ للمقاتلة ﴿وحفر الخندق﴾ فى المقابلة ﴿ماقدحت فى توكله﴾ اى وما طعنت فى توكله ﴿عليه السلام﴾ واصحابه الكرام ، بل ورد الامر من الله سبحانه بأخذ السلاح فى قوله تعالى (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) وقال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) وفى الحديث «الا ان القوة الرمى» ﴿وفى﴾ اى وكذا اختلف فى ﴿كيفية الحذر﴾ عن الشيطان فقوم قالوا اذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغى لنا ان نستغرق فى ترصده ولا يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره وفكره . وقال قوم : لا ينبغى لنا ان نجمع بين ذكر الله

فَالأَولَى تَقْرِيرُ عَدَاوَته عَلَى القَلْبِ وَالاسْتغْرَاقِ فى ذكْرِه تَعَالَى بِجَمْعِ الهمَّة وَالاشْتغَالِ بِالدَّفعِ عنْدَ الانْتبَاه بورُودِه أَمَّا الاسْتغْرَاق فى التَّرصُّدِ فَيُنَافى الذِّكْرَ وَهوَ اسْرارُه وَالجمعِ ينقصُ الحضُورَ ووَرد (قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فى خَوْضِهمْ يَلْعَبُونَ) وَعَنِ النَّفْسِ فَعِلاَجُهَا أَعْسَرُ

سبحانه و بين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا، ففى الخبر «من احب شيئا اكثر ذكره» وقال قوم: غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما سيأتى له البيان ﴿ فالاولى تقرير عداوته ﴾ اى احكام عداوة الشيطان واثباته ﴿على القلب﴾ فاذا تقررت عداوته فى القلب لزم ترك الالتفات اليه ﴿والاستغراق فى ذكره تعالى﴾ اى وتمام التوجه الى ذكر الرب ﴿ بجمع الهمة ﴾ من غير الالتفات الى ذكر الشيطان ومكره بسبب حضور القلب فى طاعة ربه ﴿ والاشتغال بالدفع ﴾ اى بدفع الشيطان ﴿ عند الانتباه بوروده ﴾ اى بدخول الشيطان فى القلب بالوسواس ونحوه لدخوله فى الانسان مجرى الدم فى لحمه ﴿ اما الاستغراق فى الترصد ﴾ أى فى التحفظ عن الشيطان للحذر ﴿فينا فى الذكر﴾ المطلوب لذاته ﴿وهو﴾ اى الاستغراق المذكور ونفى الذكر ﴿ اسراره ﴾ اى ايقاع الشيطان فى السرور وايثاره، لانه مراده فى مقام اختياره ﴿ والجمع ﴾ اى وينافى جمع الهمة اومقام الجمع اوجمع الجمع، وهو ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا تحجب الوحدة عن الكثرة، والجمع بين ذكر الرحمن وبين ترصد الشيطان ﴿ينقص الحضور﴾ فى ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال القلب بذكر الشيطان، فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره ﴿وورد﴾ فى التنزيل ﴿ قل الله ﴾ أى ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الا اياه ﴿ثم ذرهم﴾ اى اترك الخلق من الشيطان وغيره فهم ﴿ فى خوضهم ﴾ أى اباطيلهم من الاشتغال بغير الحق ﴿يلعبون﴾ كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال فى موضع آخر (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) اى جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اى ليوحدون اولا، ثم يطيعون ثانيا، ثم يذكرون على الدوام ثالثا، ثم يعرفون حق المعرفة رابعا ﴿وعن النفس﴾ عطف على قوله عن الشيطان أى ثم الواجب الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء ﴿ فعلاجها اعسر﴾ من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعضل الداء، ودواؤها اشكل الدواء

لأَنَّهَا مَحْبُوبَةٌ وَالْحُبُّ يُعْمِي عَنْ رُؤْيَةِ الْعَيْبِ وَيُصِمُّ عَنْ سَمَاعِ الْمَلَامَةِ وَعَدُوٌّ دَاخِلِيٌّ فَلِصُّ الْبَيْتِ تَعِزُّ فِيهِ الْحِيلَةُ وَلَا تَنْفَكُّ إِلَّا بِالْمَوْتِ وَلَا تَنْدَفِعُ بِالذِّكْرِ وَتَشْكُو النَّفْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّنْ وَافَقَهَا فِي الدُّنْيَا وَمِنْهَا نَشَأَ ذَنْبُ إِبْلِيسَ بِالْكِبْرِ وَالْحَسَدِ

لاربعة امور﴿ لانها محبوبة ﴾ لصاحبها مع انها اعدى عدوه﴿ والحب يعمى ﴾العين ﴿ عن رؤية العيب ﴾ فى محبوبه ﴿ ويصم ﴾ الاذن﴿ عن سماع الملامة ﴾فى مطلوبه، ففى الخبر « حبك الشيء يعمى ويصم » رواه احمد وغيره عن ابى الدرداء.

والحاصل ان للانسان عمى عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبا فى مطلوبه ، كما قال قائل فى شعره :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول انه مليح ، وهى فى عداوته مستقرة، وفى غوايته مستمرة، فما اوشك ان توقعه فى هلاك وفضيحة ، ويتوهم انه خلاص ونصيحة، وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضله وكرمه ﴿ وعدو ﴾ أى ولانها عدو ﴿ داخلى ﴾ أى باطنى ﴿ فلص البيت ﴾ أى ممن يدخل فيه ويخرج منه ﴿ تعز فيه الحيلة ﴾ أى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) ﴿ ولا تنفك ﴾ أى النفس عن الانسان ﴿ الا بالموت ﴾ بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة والمجاهدة ﴿ ولا تندفع ﴾ النفس وشرها ﴿ بالذكر ﴾ أى بذكر الله ، بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث « اذا ذكر الله خنس » ﴿ وتشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها فى الدنيا ﴾ فللحاكم عن انس مرفوعا « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يارب أليس وعدتنى ان لا تظلمنى؟ قال بلى ؛ قال فانى لا اقبل على شهادة شاهد الا من نفسى ، فيقول اوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانه بما كان يعمل، فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل » واما ما فى الاحياء من انه عليه السلام قال : « كف اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستر » فقال مخرجه لم اجده بهذا السياق ﴿ ومنها ﴾ اى من النفس ﴿ نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد ﴾ حيث قال (انا خير منه) وامتنع عن حكم

وَقَابِيلَ بِالشُّحِّ وَهَارُوتَ بِالشَّهْوَةِ وَالطَّرِيقُ مَنْعُ الشَّهَوَاتِ فَالْحَرُونُ يَلِينُ بِنَقْصِ الْعَلَفِ وَحَمْلِ اعْبَاءِ الْعِبَادَةِ فَالْحِمَارُ يَنْقَادُ بِزِيَادَةِ الْحَمْلِ ، وَالاسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ (اِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ الَّا مَارَحِمَ رَبِّي) وَالْأَصْلُ فِيهِ الرِّيَاضَةُ

ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق فى حقه فغرق فى بحر الضلال بعد عبادة ثمانين الف سنة فى بعض الاقوال، ولم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان آخر بل كانت النفس وحدها فعملت ماعملت من جهدها ﴿وقابيل بالشح﴾ أى بسبب بخله على اخيه فى اخته، فانكر على ابيه فوقع فى الكفر بسببه لا بسبب قتل اخيه ﴿وهاروت﴾ وصاحبه ماروت وقعا فيما وقعا من البلية ﴿بالشهوة﴾ التى ادت الى الزنا ونحوه من المعصية قيل: وآدم وحواء بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس (هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الفانية ، ولقى اولاده من الامور المهلكة ، ثم هلم جرا الى يوم القيامة لا تجد فى الخلق فتنة ولا فضيحة ولا محنة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق فى سلامة وخير فى مبدأ الامور ومنتهاها، واذا كان العدو بهذا الضرر كله فحق على العاقل ان يهتم بامرها فى حقه . فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال : ﴿والطريق﴾ أى طريق تذلل النفس وتكسر هواها، اوطريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة ﴿منع الشهوات﴾ ودفع اللهوات ، ورفع اللذات عنها ﴿فالحرون﴾ أى الصعب من الدواب ﴿يلين بنقص العلف﴾ عن عادته مع حبسه فى مربطه ﴿وحمل اعباء العبادة﴾ أى اثقالها واشغالها ﴿فالحمار﴾ الجموح ﴿ينقاد بزيادة الحمل﴾ على ظهره ﴿والاستعانة به تعالى﴾ والتضرع اليه ليهون امرها عليه والا فلا خلاص لديه ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى﴾ اى من رحمه او مدة رحمته ﴿والاصل فيه﴾ اى فى طريق الاحتراز اوفى طريق تذلل النفس ﴿ الرياضة ﴾ اى وفق الشريعة المرضية ففى تحفة الملوك : لا تحل الرياضة بتقليل الاكل الى أن يضعف عن اداء العبادة ، ولو واصل اربعين يوما فمات مات عاصيا، ولو مرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت عاصيا ، والتنعم بانواع الفاكهة يباح وتركه افضل ، والجمع بين الاطعمة حرام أى ممنوع ومكروه كراهة تنزيهية اوحرام فى طريق الصوفية ثم الاصل المهم المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة ،

وَهِيَ تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ فَوَرَدَ «إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاثِيًا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ فَجَاءَ حُسْنُ الْخُلُقِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى» «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ» وَهُوَ ضَبْطُهُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَهُوَ مُمْكِنٌ لِصَيْرُورَةِ الصَّيْدِ الْوَحْشِيِّ أَهْلِيًّا وَالْجَمُوحِ مُنْقَادًا وَالْكَلْبِ مُعَلَّمًا

فاذاعزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله فينبغي ان يصبر عنها ويستمر عليها ، فانه ان عود نفسه كسر العزم ألفت بعدذلك عدم الجزم وفسدت لفقد الحزم، واذا اتفق منه بعض العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه ﴿وهي﴾ اى الرياضة اوالمقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق ﴿ تهذيب الاخلاق فورد ﴾ فى الحديث ﴿انى رأيت البارحة عجبا﴾ اى امرا غريبا ﴿رأيت رجلامن امتي جاثيا﴾ أي جالسا على ركبتيه ﴿ وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق ﴾ من باب ﴿ فادخله على الله تعالى ﴾ من غير حساب ولا عقاب . والحديث رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبدالرحمن بن سمرة ﴿ اثقل مايوضع فى الميزان حسن الخلق ﴾ رواه ابو داود. والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء. ولابى داود والترمذى من حديث أبي الدرداء « مامن شيء في الميزان اثقل من حسن الخلق» وللطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر « حسن الخلق خلق الله الاعظم » ولاحمد والحاكم والبيهقى من حديث ابى هريرة « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ولاحمد من حديث عائشة « الشؤم سوء الخلق » ولابن حبان وغيره « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وللخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة « المؤمن حسن الخلق » وللطبرانى فى الصغير من حديث عائشة « مامن شيء الاوله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الا عاد فى شر منه » وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطى حديث « أحسن الحسن الخلق الحسن » رواه الحسن عن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن بسند حسن ﴿ وهو ﴾ أى حسن الخلق ﴿ ضبطه ﴾ أى حفظه وربطه ﴿ تحت الشرع والعقل ﴾ فى قضية الطبع ﴿ وهو ﴾ أى تحسين الاخلاق ﴿ ممكن ﴾ بالاتفاق ﴿ لصيرورة الصيد الوحشي اهليا ﴾ كالظبي والحمام ﴿ والجموح منقادا ﴾ كالفرس والبعير ﴿ والكلب معلما ﴾

وورد « حَسِّنوا أخْلَاقكُمْ »

وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد فى مقام القيد ﴿ وورد ﴾ فى الحديث ﴿ حسنوا اخلاقكم ﴾ رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث معاذ ويامعاذ حسن خلقك للناس » ولاحمد من حديث عائشة «اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى » وللطبرانى من حديث جابر « ان اقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا » هذا ، والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ، ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا حسنا ، وأن كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهوله سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا . وكما أن حسن الصورة الظاهرة لايتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا فى الباطن أربعة اركان لابدمن الحسن فى جميعها ، وهى قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه الثلاثة. ويعبر عن حسن القوة الغضبية بالشجاعة ، وعن حسن قوة الشهوة بالعفة. والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط . فان الامر المحمود فى كل شيء هو التوسيط. فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان، والشره والجوع مشغلان. وقد ورد « خير الامور اوساطها» رواه البيهقى فى شعبه . وقال تعالى فى ذم التبذير والتقتير (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وقال تعالى (كلوا واشربوا ولاتسرفوا) وقال (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) فالاعتدال مطلوب فى جميع الاحوال ، فان العقيدة الحميدة هى المتوسطة بين التشبيه والتعطيل، وبين القدر والجبر ، وبين النصب والرفض. وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذى لاعوج له ولاميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض ، بل هو ادق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط المستقيم في العقبي ، وقل ماينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ، اعني الوسط حتى

فَالْأَسْرَعُ عِلَاجًا مَنْ غَفَلَ عَنِ اعْتِقَادٍ وَتَمْيِيزٍ ثُمَّ مَنْ عَرَفَ القَبِيحَ ثُمَّ مَنِ اعْتَقَدَهُ حَسَنًا وَهُوَ أَصْعَبُ، وَالطَّرِيقُ عِنْدَ فَقْدِ الكَمَالِ الفِطْرِيِّ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالجَذْبَةِ

لايميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ، فلذا لاينفك عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا) ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله فى كل يوم سبع عشرة مرة بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ومن هنا قال عليه السلام « استقيموا ولن تحصوا » أي ولن تطيقوا حق الاستقامة وهى الموصوفة بنعت الاستدامة فينبغي للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فان مالايدرك كله لايترك كله ، والمقصود عجز الانسان كما يشير اليه قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) هذا، وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الكتانى : التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال يحيي بن معاذ سوء الخلق سيئة لاينفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لايضر معها كثرة السيئات، ثم قال الحسن: حسن الخلق بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الاذى . وقال الواسطى : هو ان لايخاصم ولايخاصم من شدة معرفته بالمولى . وقال الحسين بن منصور : هو ان لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ﴿ فالاسرع علاجا ﴾ أي الاهون مداواة ﴿ من غفل عن اعتقاد وتميز ﴾ من جهة اعتقاد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة التركمان ، ومن هنا ورد « اكثر اهل الجنة البله» ﴿ ثم من عرف القبيح ﴾ أى واعتقده سيئا فانه قابل للعلاج فى تركه ﴿ ثم من اعتقده ﴾ اى القبيح ﴿ حسنا ﴾ وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) ﴿ وهو اصعب ﴾ لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ، وفى مثله قيل : من التعذيب تهذيب الذيب ﴿ والطريق ﴾ مبتدأ اى طريق تهذيب الاخلاق ﴿ عند فقد الكمال الفطرى ﴾ أى الجبلى الذى لايحتاج الى التكلف الطبيعي ﴿ كما للانبياء عليهم السلام ﴾ وكذا لبعض الاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام ﴿ والجذبة ﴾ أي وعند فقد

الالٰهِيَّةَ كَمَا لِلسَّحَرَةِ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التَّكَلُّفُ فِي اعْتِيَادِ الاضْدَادِ بِالتَّدْرِيجِ وَالْمُجَاهَدَةُ فِيهِ حَتَّى يَعْتَادَ الطَّاعَةَ وَيَلْتَذَّ بِهَا الْتِذَاذَ الْمَرِيضِ بِالطَّعَامِ بَعْدَ الْعِلَاجِ وَالْمُتَعَلِّمِ بِالْعِلْمِ عَلَى الدَّوَامِ لَا أَحْيَانًا

الجذبة ﴿ الالهية كما للسحرة ﴾ أي سحرة فرعون ﴿ وعمر رضى الله عنه ﴾فانه آمن بغتة ﴿ التكلف ﴾ خبر المبتدأ اى تكلف السالك﴿فى اعتياد الاضداد﴾أي تعود اضداد الاخلاق السيئة ﴿ بالتدريج ﴾ أى بالتأنى فى المعالجة﴿ والمجاهدة ﴾ بالرفع عطف على التكلف ويجوز جره عطفا على التدريج ، أى المبالغة فى المعالجة﴿ فيه ﴾أى فى الاعتياد ﴿ حتى يعتاد ﴾ السالك ﴿ الطاعة ﴾ بوصف الدوام﴿ ويلتذ بها ﴾أى بالطاعة﴿ التذاذ المريض بالطعام بعد العلاج ﴾أى بعد علاج المريض﴿ والمتعلم ﴾أى والتذاذه﴿ بالعلم على الدوام ﴾ متعلق بالتكلف كذا قيل ، والاظهر انه متعلق بيلتذ﴿ لا احيانا ﴾ أى متساوية ، نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان فى اكثر الاحوال الواردة ، وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات فى الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات .

هذا وقد توهم عبارة المصنف أن صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة ، وليس كذلك ، فان الجهاد لابد لجميع العباد ، غاية ما فى الباب ان ارباب السلوك على نوعين: منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ، ومنهم مجذوب سالك وهو قليل من بين المرادين ، ويشير الى الطائفتين قوله تعالى : (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) واختلفوا فى ايهما افضل؟ والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل .

هذا والانبياء عليهم السلام أيضا فى مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة اكمال المشاهدة فقد قال تعالى (وقل رب زدنى علما) وفى دعائه عليه السلام «اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى» أى زد فى تحسين خلقى ، والا فكان عليه السلام على خلق عظيم ، ثم كان خلقه القرآن وقد قال له تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك . وكان من دعائه عليه السلام «اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدينى لاحسنها الا انت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا انت» رواه مسلم من حديث

فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ رُسُوخُ حُبِّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَقَلْعُ حُبِّ الدُّنْيَا عَنْهُ وَهُوَ بِالاِسْتِفَادَةِ مِنْ شَيْخٍ بَصِيرٍ بِالْعُيُوبِ مُطَّلِعٍ عَلَى الْخَفَايَا وَهُوَ عَزِيزُ الْوُجُودِ

على ﴿ فالمقصود منه ﴾ اى من حسن الخلق اومن رياضة الخلق ﴿ رسوخ حبه تعالى ﴾ أى ثبوته ﴿ فى القلب وقلع حب الدنيا عنه ﴾ أى عن القلب فانهما لا يجتمعان كما يشير اليه قوله تعالى : (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وورد « من احب آخرته اضر بدنياه ومن أحب دنياه اضر باخرته فآثروا مايبقى على مايفنى » وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت الاخرى ، وبكفتى الميزان اذا اثقلت واحدة خفت الاخرى ، و بالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس ، فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب الشيء لكونه معينا له على حب الله ودينه ، قال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) قال على رضى الله عنه : الايمان يبدو لمعة فى القلب بيضاء وكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض ، فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء ، فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد ، فاذا استكمل النفاق أسود القلب كله . وفيه تنبيه على ان الخلق الحسن من نتيجة الايمان والعرفان ، والسيء من ثمرة النفاق والكفران .

ثم أعلم أن اصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذى جعلها اشياء هو الله تعالى ، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئا ، وعلامة المعرفة المحبة ، فمن عرف الله أحبه ومن احبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات ، كما قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) إلى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) الآية ، فمن كان عنده شيء احب اليه من الله ورسوله فقلبه مريض ، كما أن كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة الى الدواء ﴿ وهو ﴾ أى الطريق الذى يتعرف به الانسان عيوب نفسه اوالتكلف باعتبار الاضداد أنما يحصل بخمسة اشياء ﴿ بالاستفادة من شيخ ﴾ أى ولو شاب تائب من الذنوب ﴿ بصير بالعيوب ﴾ أى الظاهرة والباطنة ﴿ مطلع على الخفايا ﴾ من أحوال المريد كالعجب والرياء ﴿ وهو عزيز الوجود ﴾ فى ميدان الشهود كما يشير اليه قوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وقوله (وقليل من عبادى الشكور) وورد

أَوْ صَدِيقٍ يُنَبِّهُ عَلَيْهَا كَمَا رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ أَوْعَدُوٍّ فَعَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِيهَا أَوْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وَتَرْكِ مَارَآى مَذْمُومًا.

«الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة » واخبر تقله » وقال الشاعر »

اتمنى على الزمان محالا   أن ترى مقلتاى طلعة حر

والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه، فالاطباء هم العلماء، وقد استولى المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم ، فلا يفيد السالك التردد اليهم ، بل اندرس هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلية، واقبل الخلق على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات. نعم كان يكثر وجودهم فى الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسرى. والجنيد. والشبلى رضى الله عنهم اجمعين وقد قال الشبلى للحصيرى: أن كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التى تأتى شىء غير الله عز وجل فحرام عليك ان تأتينى ﴿ اوصديق ﴾ أى صاحب صديق ﴿ ينبه ﴾ صديقه ﴿ عليها ﴾ أى على عيوبه ﴿ كما روى عن السلف ﴾ ومنهم عمر رضى الله عنه حيث قال : رحم الله من أهدى إلى بعيوبى . وكان يسأل سلمان عن عيوبه كما قدم عليه ، وقال: ماالذى بلغك عنى مما كرهته ؟ فاستعفى ، والح عليه فقال: سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة. وأن لك حلتين : حلة بالنهار وحلة بالليل. فقال هل بلغك غير هذا ؟ فقال : اما هذا أن فقد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول: أنت صاحب سر رسول الله فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق ؟ وقد قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال بعضهم كن مع الله ، فان لم تطق فكن مع من يكون مع الله وهذا أيضا عزيز فيقل فى الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ، ولذا كان داود الطائى قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس ؟ فقال : ما اصنع باقوام يخفون عنى عيوبى ، فكان شهوة ذوى الدين من السلف المجتهدين ان يتنبهوا على عيوبهم تنبيه غيرهم، وقد آل الامر الى امثالنا ، أن ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوب احوالنا ، ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التى ثمرتها كثرة العصيان، واصل ذلك كله ضعف الايمان ﴿ اوعدو ﴾ حاذق عاقل ﴿ فعين السخط ﴾ بفتحتين وبضم فسكون أى عدم الرضاء ﴿ تبديها ﴾ أى تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم فى قول الشاعر »

فعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدى المساويا

فلعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه ﴿ او مخالطة الناس ﴾ اماما او ماموما ﴿ وترك ماراى مذموما

أَوِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ الْأَنْفَعُ، وَالْأَصْلُ تَرْكُ التَّمَتُّعِ بِمَا لَا يَنَالُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِئَلَّا يَحْصُلَ الْأُنْسُ بِالدُّنْيَا الْمُؤَدِّي إِلَى حُبِّهَا فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ٥

لئلا يكون مذموما ، وما يراه محمودا يطالب نفسه به ليصير مسعودا فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب لانفسهم ، وقيل لعيسى عليه السلام من ادبك ؟ فقال : ما ادبني احد ، رأيت جهل الجاهل فجانبته ﴿او الكتاب والسنة﴾ اى العمل بهما ﴿وهو﴾ اى الاعتصام بهما ﴿الانفع﴾ بل هو النافع ، ويؤيده قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم مالا يعلم ﴿ والاصل ﴾ فى تهذيب الاخلاق اوفى رسوخ حبه سبحانه ﴿ترك التمتع بما لا ينال﴾ اى لا تحصل منفعته ﴿فى القبر﴾ الذى هو البرزخ بين الدنيا والاخرى ، فينبغى ان لا يتمتع ﴿الا بقدر الضرورة﴾ فى معيشة الدنيا من اللقمة والخرقة ونحوهما ، ويتعين ترك التمتع باللذات والشهوات من غير الضرورات ، فقد قال وهب بن منبه . ماز يد على الخبز . فهو شهوة ، وقال يزيد الرقاشى : السلام على الماء البارد مادمت فى الدنيا لعلى لا احرمه فى الاخرى وقال السرى : منذ اربعين سنة . تطالبنى نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعتها ﴿ لئلا يحصل الانس بالدنيا المؤدى الى حبها﴾ والى نسيان الاخرى ، وذلك انه اذا تمتع بشىء منه انس به وألفه ، واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ، ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له فى الاخرى ﴿فهو﴾ اى حب الدنيا ﴿ راس كل خطيئة ﴾ كما رواه البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا ، وقال تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قيل نزع عنهم محبة شهوات الدنيا . وقال عليه السلام : « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » رواه ابوبكر بن لال من حديث انس ، وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، فقالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله؟ « قال جهاد النفس » رواه البيهقى فى الزهد ، والترمذى فى اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد « المجاهد من جاهد نفسه » وقال سفيان الثورى ، ما عالجت شيئا اشد على من نفسى مرة لى ومرة على . وكان ابو العباس الموصلى يقول يا نفس لا فى الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ، ولا فى الآخرة مع طلاب العباد تجتهدين كأن بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس ما تستحين ،

وقال يحي بن معاذ الرازى جاهد النفس باسياف الرياضة ، والرياضة على اربعة اوجه . القوت من الطعام، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، واحتمال الاذى من الانام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفوة الارادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات . وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفا. والصبر على الاذى، فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام ، وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها فى سائر الأيام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها ، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ، ونورانية حقيقة ، فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسلك الطاعات والمبرات، كالفارس الفار فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان . وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة : دنياه. وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فى نعمتها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك شهواتها . وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء ان النعيم لايدرك الابترك النعيم ، وقال ابو يحى الوراق : من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامات . وقال وهب بن الورد : من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل فى العقبى . وقال الجنيد : ارقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد الحلاوة التى كنت اجدها ، فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود ، فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما احس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة . فقلت ياسيدى من غير موعد . قال بلى سألت الله محرك القلوب ان يحرك الى قلبك ، قلت قد فعل فما حاجتك ؟ قال متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها . فاقبل على نفسه فقال اسمعى قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد . قال فانصرف وما عرفته، وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه : اصبرى فوالله ما امنعك الا من كرامتك على . وقال ابراهيم الخواص : كنت فى جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير، فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم، فقلت كيف عرفتنى؟ قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء، فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير؟ قال: وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان الم

فى الآخرة، ولدغ الزنابير يجد الانسان ألمه فى الدنيا . فان قيل التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله ؟ فيقال هذا خيال ضعيف ، او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا «وحب الدنيا رأس كل خطيئة» كما ورد وكذا يؤيده حديث « اشبعكم فى الدنيا اجوعكم فى العقبى » وللطبرانى فى الكبير وابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس « ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة » وللديلمى من حديث أبى هريرة مرفوعا « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع » ولاحمد والحاكم والبيهقى باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاومأ الى بطنه باصبعه وقال : « لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » وللبيهقى فى الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها « اياك والاسراف فان اكلتين فى يوم من السرف » ولابى الشيخ عن ابن عمر مرفوعا « ايما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » .

ثم اعلم أن الدنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب، ومتشابهها عتاب، وورد « من نوقش فى الحساب عذب » كما فى الصحيحين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى . فترك الشهوة يثقل على المريد فى البداية ، ثم يتنعم فى النهاية . ونظيره الطفل فى الفطام عند الرعاية .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « ان المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة » وقال حاتم الاصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والامل . والمؤمن آيس من كل احد الا من الله ، والمنافق راج كل احد الا الله . والمؤمن آمن من كل احد الا من الله ، والمنافق خائف من كل احد الا من الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك . والمومن يحب الوحدة والخلوة، والمنافق يحب الخلطة والجلوة . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة . وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى . ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق . وقال عيسى عليه السلام : جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم . وقال سهل : ماصار الابدال ابدالا الا باربع خصال : اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس . وقد قيل فى صفة الابدال : أن اكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة *

﴿ اَلْبَابُ السَّادسَ عَشَــرَ فِى التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَطَةِ وَالتَّقْوى ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ *التَّوْبَةُ تَنْزِيهُ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ،وَقِيلَ الرُّجُوعُ مِنَ الْبُعْدِ الَى الْقُرْبِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ لِوُرُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى.(تُوبُوا إِلَى اللهِ)وَدَلَالَةِ الاجْمَاعِ

﴿ الباب السادس عشر فى التوبة والمرابطة والتقوى ﴾

قد ورد « التوبة ندم » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ومعنى التوبة ندم أى معظم اركان التوبة الندامة كما ورد « الحج عرفة » والافن اركانها ترك المعصية مباشرة ، والعزم على ان لايعود اليها ابدا ، والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ المستعان به فى امر الدنيا والاخرى ﴿ التوبة ﴾ فى اللغة الرجعة ، وفى الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة،وقال بعضهم هى (تنزيه القلب عن الذنب) أى عن اختياره ﴿ وقيل الرجوع من البعد ﴾ أى من كل مايبعد العبد عن المولى ﴿ الى القرب ﴾ أى الى قرب الرب فى الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله ،وبالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله فى دنياه وآخرته،فيعم الذنوب الظاهرة والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة ، وقيل فى حد التوبة : ذوبان الحشا لما سبق من الخطاء . وقيل هو نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لاينشعب. وقيل هو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة فكأنه اخذ من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) على ماذهب اليه بعض المفسرين . ومن معانيها ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال ، وتدارك ماسبق من التقصير فى ماضى الاحوال ﴿ وهى ﴾ أى التوبة ﴿ واجبة ﴾ أى فريضة لازمة لكل من المكلفين ﴿ لورود قوله تعالى توبوا الى الله ﴾ أى (جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون) وفى نسخة (توبة نصوحا) أى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة، والامر فى الآيتين للوجوب بناء على اصله ﴿ ودلالة الاجماع ﴾ المنعقد من الامة على ان

وَالعقلِ فَالْوَاجِبُ مَاتَعَلَّقَ بِفعلهِ السَّعَادَةُ وَبِتَرْكِهِ الشَّقَاوَةُ،وهُوَ مُتَحقِّقٌ فيهَا وَجَدْوَاهَا حُبُّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ،فورَدَ انَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ،التَّائِبُ حَبِيبُ اللهِ وَالتَّوْفِيقُ

التوبة من المعصية فريضة ﴿ والعقل ﴾ أى ودلالة العقل ﴿ فالواجب ﴾ من طريق العقل مع قطع النظر عن ورود النقل ﴿ ماتعلق بفعله السعادة ﴾ العظمى ﴿ وبتركه الشقاوة ﴾ الكبرى ، اذبها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى ﴿ وهو ﴾ أى التعلق بهما ﴿ متحقق فيها ﴾ أى ثابت فى التوبة بلا خلاف عند العقلاء ﴿ وجدواها ﴾ أى فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها ونتيجتها اربعة اشياء ﴿ حبه تعالى اياه ، فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ وفى الحديث ﴿ التائب حبيب الله ﴾ رواه ابن أبى الدنيا . وابو الشيخ من حديث انس بلفظ « أن الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن احمد فى زوائد المسند من حديث على « ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب » ولاحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر « يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة » ولابن ماجه من حديث ابن مسعود « التائب من الذنب كمن لاذنب له » وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس « لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليه طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش اوماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » زاد مسلم فى حديث انس « ثم قال من شدة الفرح : اللهم انت عبدى وانا ربك » أخطأ من شدة الفرح . هذا وأيضا من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قال عبد الله بن المبارك .

تعصى الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى الفعال شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

ويشير اليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ويفيد أيضا الملازمة بين المحبين كما يومى اليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة ﴿ والتوفيق ﴾ أى جعله تعالى اسبابا موافقة

عَلَى الطَّاعَة فَقَيدُ الذنوب يَمنعُ عَنهَا وَلأَنَّ الاصرَارَ يَقسِي القَلبَ وَيجرُّ الى الشَّقاوَة الكُبرَى وَلأَنَّ المُتَلطخَ بالنَّجَاسَة لَا يُقرب فَورد اذا كَذَبَ العَبدُ تَنحَّى المَلكَان عَنْ نَتنِ مَا يَخرُجُ مِنْ فِيه وَحلَاوتهَا فَالمُصرُّ لا يَجدُهَا وقَبُولُهَا فَرُبَّ الدين لَا يَقبلُ هَدِيَّةَ المَديُون المُمَاطل

للاعانة ﴿ على الطاعة ﴾ فى كل وقت وساعة ﴿ فقيد الذنوب ﴾ التى بمنزلة القيود والاغلال من العيوب ﴿ يمنع عنها ﴾ أي عن الطاعة وتوفيقها ﴿ ولان الاصرار ﴾ أي الاقامة على المعاصى من غير تخالل التوبة بالرجوع الى الرب ﴿ يقسى القلب ﴾ أى يسوده ويشدده ﴿ ويجر الى الشقاوة الكبرى ﴾ فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) ﴿ ولان المتلطخ بالنجاسة ﴾ اى المتلوث بنجاسة المعصية ﴿ لا يقرب ﴾ الى بساط الرب بل يبعد ويحجب ﴿ فورد اذا كذب العبد ﴾ وهو من اهون اسباب البعد ﴿ تنحى الملكان ﴾ أى يبعد اللذان معه من الكرام الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما ﴿ عن نتن مايخرج من فيه ﴾ أي من فمه وهو الكذب. والحديث رواه الترمذي وحسنه ، وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر ولفظه « اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به » ﴿ وحلاوتها ﴾ أى لذة الطاعة التى لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا مايجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة كما يشير اليه قوله تعالى (فلا تعلم نفس مااخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) الآية ، وفى الخبر القدسي « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وتقسيم هذه اللذة لا يكون في ابتداء التوبة بل التوبة فى اولها مرة كانفطام الصبي ثم تصير حلوة بعد ماصبر على مرارة العادة مدة مديدة ومعالجة شـــديدة والنفس قابلة ما عودتها تتعود ﴿ فالمصر لا يجدها ﴾ اى تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هى اللذة الباقية ﴿ وقبولها ﴾ اى قبول الطاعة قال تعالى ﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ ﴿ فرب الدين لا يقبل هدية المديون المماطل ﴾ الممتنع من اداء الدين فمن الفضول تضييع الاصول

وَلِأَنَّ الْغَضَبَ يُنَافِي الْقَبُولَ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكُلِّ فِي كُلِّ حَالٍ لِعُمُومِ الْأَدِلَّةِ وَعَلَى الْفَوْرِ لِوُجُوبِ الِانْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي كَذَلِكَ وَحُرْمَةِ التَّسْوِيفِ

﴿ ولان الغضب ﴾ المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلى صفة الجلال ﴿ ينافى القبول ﴾ اى قبول طاعته المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلى نعت الجمال ﴿ وهى ﴾ اى التوبة ﴿ واجبة على الكل ﴾ من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم عليه السلام حيث قال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى) بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الالهية التى لا مطمع فى تبديلها . فالرجوع فى حق كل أنسان يكون ضروريا نبيا كان او غبيا وليا أوغويا . قال ابوتمام :

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ويشير اليه حديث « كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون» كما رواه احمد فى غيره عن انس ﴿ فى كل حال ﴾ اى على الدوام ﴿ لعموم الأدلة ﴾ كقوله تعالى : (وتوبوا الى الله جميعا) وذلك لأن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الأنبياء والاخيار كما ورد فى القرآن والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم، فان خلا احد فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب فى القلب ، فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وبصفاته وافعاله، وكل ذلك نقص وله اسباب، وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق الى ضده ، وانما يتفاوتون فى مقادير النقصان لافى اصله ﴿ وعلى الفور ﴾ واجبة من غير تراخ ومهلة ﴿ لوجوب الانتهاء ﴾ اى الامتناع ﴿ عن المعاصى كذلك ﴾ اى على الفور من غير التراخى ﴿ وحرمة التسويف ﴾ اى ولحرمة تأخير التوبة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وليست التوبة الآية ﴾ اى (للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن) ﴿ اكثر صياح أهل النار من التسويف ﴾ كذا فى الاحياء، وقال مخرجه: لم اجد له اصلا، وقال لقمان لابنه يابنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة ، فكل ايمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم ينتشر فى الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك

فَوَرَدَ (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ) الآيَةَ أَكْثَرُ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ وَهِيَ مَقْبُولَةٌ

فَوَرَدَ (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ) الآيَةَ

الموت وسائر الاهوال ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، الاماسقى بماء الطاعات على توالى الايام والساعات . وأما قول العاصي للمطيع: أنى مؤمن كما انك مؤمن، فهو كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنى شجرة وأنت شجرة . وما احسن جواب الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجر مع الغفلة عن أسباب نبات الاشجار ❁

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية؛ ولقد صدق ابو سليمان الداراني فى قوله: لولم يبك العاقل فيما بقى من عمره الاعلى فوت مامضى منه فى غير طاعة الله وأمره لكان خليقا أن يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل مامضى من جهله فيما سبق من الحياة، وقال بعض العارفين: أن ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقى من عمرك ساعة وانك لاتستأخر عنها طرفة عين ، فيبدو للعبد من الاسف والحسرة مالو كانت له الدنيا بحذا فيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعد فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا . وهو اول مايظهر من معانى قوله تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) واليه الاشارة بقوله سبحانه (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى أجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) أى ولا نفسا. هذا ومامثال المسوف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لاتنقلع الا بمشقة شديدة جلية ، فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها ، وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف ، فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف ﴿ وهى ﴾ أى التوبة اذا استجمعت شرائطها ﴿ مقبولة ﴾ لا محالة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وهو الذى يقبل التوبة الآية ﴾ أى (عن عباده) فوعده حق وقوله صدق لايجوز خلفه ولا

(قَابِلُ التَّوْبِ) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَيْضًا

يتصور تبديله ﴿ قابل التوب ﴾ فهو من صفاته كقوله (غافر الذنب) ﴿ ان الله يبسط يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ﴾ وفى الاحياء «ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» قال مخرجه رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ «يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار» الحديث. وفى رواية الطبراني «لمسيء الليل ان يتوب بالنهار» وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة فى قبولها اذ الطالب ابلغ من القابل ، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل، ولابن ماجه من حديث ابى هريرة «لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم» اى قبل توبتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة، ولابن المبارك فى الزهد عن الحسن مرسلا «ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة» ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة «ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له» الحديث ولاحمد وابى يعلى والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد «ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال وعزتى وجلالى لا ازال اغفر لهم مااستغفرونى» وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى : (انه كان للاوابين غفورا) فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ، ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى لئن عدت لاعذبنك، فقال يارب أنت وانا انا، وعزتك لئن لم تعصمنى لاعودن، فعصمه الله. وقال بعضهم : ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ياليتنى لم اوقعه فى الذنب، يعنى لاهلكه بالعجب. ويروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك ، ثم قال : الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص : احببتنا، فاحببناك، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك. وقد قال تعالى : (وان عدتم عدنا) وورد «ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة» ﴿ وايضا ﴾ اى وفى العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لا محالة

تَزُولُ ظُلْمَةُ الذَّنْبِ عِنْدَ سُطُوعِ نُورِ التَّوْبَةِ زَوَالَ الدَّنَسِ بِالصَّابُونِ وَالصَّدَاءِ بِالصَّيْقَلِ

وَإِنَّمَا يَشُكُّ التَّائِبُ لِشَكِّهِ فِي تَحْقِيقِ الشُّرُوطِ وَالْأَرْكَانِ فَهِيَ دَقِيقَةٌ شَكَّ شَارِبِ الْمُسْهِلِ

فانها ﴿ تزول ظلمة الذنب ﴾ وبخارها ﴿ عند سطوع نور التوبة ﴾ وآثارها ﴿ زوال الدنس ﴾ اى كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن ﴿ بالصابون ﴾ ونحوه من الاشنان ﴿ والصداء ﴾ اى وكزوال الصداء الحديد من المرءاة ونحوها ﴿ بالصيقل ﴾ وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب، ونور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره، فكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول، كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول. والقبول له حسب القضاء السابق الازلى مبذول ٭

والحاصل أن من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع، وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وظله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله، ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب، فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب. هذا وقد ورد « ان للقلوب صداء كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار » رواه الحكيم الترمذى. وابن عدى عن انس. ثم لما كان المصنف استشعر سؤالا وهو ان يقال لا ينبغى ان يجوز الشك في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله ﴿ وانما يشك التائب ﴾ في قبول توبته وحصول اوبته ﴿ لشكه في تحقق الشروط ﴾ المعتبرة في باب التوبة ﴿ والاركان ﴾ اللازمة في حصول الاوبة كما سيأتى بيانها في محلها اللائق بها، ومجملها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم ﴿ فهى ﴾ أى الشروط والاركان ﴿ دقيقة ﴾ ادراكها فلا يجزم بكونها حقيقة ﴿ شك ﴾ أى مثل شك ﴿ شارب المسهل ﴾ في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الوقت والحال،

بِخِلَافِ القَصَّارِ اذْ شُرُوطُهُ جَلِيَّةٌ وَالذَّنْبُ مَا يُخَالِفُ أَمْرَهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ وَيَنْقَسِمُ الَى حَقِّهِ تَعَالَى وَحَقِّ العَبْدِ وَهُوَ أَغْلَظُ فَوَرَدَ أَنَّهُ لَا يُتْرَكُ وَأَيْضًا الَى كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ وَوَرَدَ فِى البَعْضِ أَنَّهُ مِنَ الكَبَائِرِ

وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقره وادويته ، والافلاشك فى تأثيره وخاصيته ﴿ بخلاف القصار اذ شروطه ﴾ من الماء والصابون والدلك ﴿ جلية ﴾ وليست فى نظر صاحبه خفية . ثم اعلم أن التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان مالا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة، ولذا قال المصنف ﴿ والذنب ما يخالف امره تعالى من فعل ﴾ للطاعات ﴿ اوترك ﴾ للسيئات ﴿ وينقسم الى حقه تعالى ﴾ وهو اقرب الى العفو كترك الصلاة والصوم ونحوهما ﴿ وحق العبد ﴾ أى والى حقه كترك الزكاة وقتل النفس وامثالهما ﴿ وهو ﴾ أى حق العبد ﴿ اغلظ ﴾ أى اشد وعن العفو ابعد ﴿ فورد ﴾ فى الحديث ﴿ انه ﴾ أى حق العبد ﴿ لا يترك ﴾ أى لا يعفى الا أن العبد يرضى ولذا قيل : حق الكافر اشد من حق المسلم واقوى ، وحق الحيوان أشد من الكافر كما لا يخفى. ولاحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر، وديوان لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، واما الديوان الذى لا يغفر فالشرك ، وأما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد أى لابد أن يطالب بها حتى يتخلص عنها ﴿ وأيضا ﴾ ينقسم ﴿ الى ﴾ معصية ﴿ كبيرة وصغيرة ﴾ كما جاء فى القرآن (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ﴿ وورد فى البعض ﴾ ﴿ أنه ﴾ أى ذلك البعض ﴿ من الكبائر ﴾ فى البخارى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هى قال الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» ولهما من حديث أبى بكرة « الا انبئكم با كبر الكبائر الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور . وقول الزور » ولهما من حديث ابن مسعود « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب

وَاخْتُلِفَ فِي حَصْرِهَا عَلَى مَا نُهِيَ مَخْصُوصًا فَالتَّخْصِيصُ لِلتَّعْظِيمِ وَمَا أُوعِدَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ لِعِظَمِ الْعُقُوبَةِ

اعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ؛ قلت ثم أي ؟ قال أن تزني بحليلة جارك » وللطبراني من حديث سلمة بن قيس « انما هي أربع لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا » وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس « الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر » وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن « أن رجلا قال ما الكبائر قال الاشراك بالله ، والاياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله » وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه « والكبائر تسع » فذكر منها استحلال البيت الحرام . وللطبراني من حديث واثلة « أن من اكبر الكبائر أن يقول الرجل علي : مالم اقل » وله أيضا من حديثه « وأن من اكبر الكبائر ان ينتفي الرجل من ولده » ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولابي داود من حديث سعيد ابن زيد « أن من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « أنه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير ، اما احدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله » الحديث ، ولاحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة « اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس » الحديث . ولابي داود والترمذي من حديث انس « عرضت علي ذنوب أمتي فلم ارذنبا اعظم من سورة من القرآن اوآية اوتيها رجل ثم نسيها » وللديلمي « من الكبائر السبتان بالسبة » وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى أحدى عشرة فما فوق ذلك . قال ابن مسعود هي أربع . وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع . وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع ﴿ واختلف ﴾ على اقوال ﴿ في حصرها ﴾ أي الكبائر ﴿ على مانهي ﴾ أي على ذنب ورد عنه نهي نهيا ﴿ مخصوصا فالتخصيص ﴾ بالذكر في القرآن ﴿ للتعظيم ﴾ أي لتعظيم العصيان . وقد قال ابن عباس : كل مانهي الله عنه فهو كبيرة ، ويشير اليه قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اذا كانت الاضافة بيانية ﴿ وما ﴾ أي وعلى ذنب ﴿ اوعد ﴾ أي ورد الوعيد ﴿ عليه بالنار لعظم العقوبة ﴾

وَمَا وَجَبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَالتَّعْجِيلُ لِلتَّغْلِيظِ وَمَا اسْتُصْغِرَ كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ فَوَرَدَ «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْاِسْتِغْفَارِ» وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا مُبْهَمَةٌ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَسَاعَةِ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهَا مَا لَا يُكَفِّرُهُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فَوَرَدَ «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يُكَفِّرْنَ مَا بَيْنَهُنَّ إِنِ اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»

فقد قال جماعة من الصحابة كل ماتو عد الله عليه بالنار فهو من الكبائر ﴿ وما ﴾ أى وعلى ذنب ﴿ وجب عليه حد ﴾ من رجم وجلد وقتل وقطع ﴿ فالتعجيل ﴾ لعقوبة المذنب ﴿ للتغليظ ﴾ فى حقه ذنب ، فقد قال بعض السلف : كل ما اوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة ﴿ وما ﴾ أى وعلى ذنب ﴿ استصغر ﴾ أى استحقر وعد صغيرا وحقيرا ﴿ كما أن الصغيرة ما استعظم ﴾ أى عد عظيما وكبيرا ﴿ فورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ﴾ رواه الديلمى عن ابن عباس به مرفوعا . وعن أنس موقوفا . وعن أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضى الله عنهم « انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر » رواه أحمد والبزار بسند صحيح . وقال ابن مسعود لما سئل عن الكبائر فقال : اقرأ من اول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله (أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) فكل مانهى الله عنه فى هذه السورة الى ههنا كبيرة . وقال قائلون : لاصغيرة ، بل كل مخالفة لله فهى كبيرة . وضعف هذا القول لقوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وقوله (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) أى الصغائر . وفى الحديث « ان تغفر اللهم فاغفر جما وأى عبد لك لا ألما » ﴿ وقيل الاصح أنها ﴾ أى الكبيرة ﴿ مبهمة ﴾ اذ ربما قصد الشرع بابهامها كون العباد على وجل منها ﴿ كليلة القدر وساعة الجمعة ﴾ وكذا الصلاة الوسطى ليعظم جد الناس فى طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها ﴿ لانها ﴾ أى والدليل على كون الكبيرة مبهمة أن المراد بها ﴿ ما ﴾ أى ذنب ﴿ لا يكفره الصلوت الخمس ﴾ أى ونحوها من المكفرات للسيئات ﴿ فورد ﴾ فى الحديث ﴿ الصلوات الخمس يكفرن ما بينهن ﴾ أى من الصغائر ، ولم يبق عليه شيء من الذنوب حينئذ ﴿ ان اجتنبت الكبائر ﴾ وليس المعنى أن اجتناب الكبائر شرط لكون الصلوات

أَوْ الَّا الكَبَائِرُ وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالآخِرَةِ فَالإِبْهَامُ أَوْلَى تَحْذِيراً عَنِ الكُلِّ وَلاَ تَكْلِيفَ
فَمُوجِبَاتُ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ وَرَدُّ الشَّهَادَةِ

ونحوها تكفر الصغائر ، بل أن كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والاكبائر فتخفف الكبائر ، وأن كان محفوظا من الكبائر والصغائر فتكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات الغالية ﴿ او الا الكبائر ﴾ شك من الراوى او اختلاف الروايات فالاخير رواية مسلم. وللحاكم من حديث أبي هريرة وصححه « الصلاة الى الصلاة كفارة، ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث : اشراك بالله ، وترك السنة، ونكث الصفقة، قيل وماترك السنة؟ قال الخروج من الجماعة ، ونكث الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله » ﴿ وهو ﴾ أى حكم الكبيرة أو التكفير وهو الاظهر ﴿ يتعلق بالآخرة فالابهام اولى ﴾ ﴿ تحذيرا عن الكل ﴾ أى كل المعاصى لئلا يقع أحد فى مخالفة المولى لاحتمال أن يكون كل ذنب أقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخاص من الكبائر والصغائر جميعهما، ومطلوب الرب من العبد أن لايقع فى مطاق الذنب ليحصل له كمال القرب ، وتوضيحه أن كل مالايتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الابهام ﴿ ولا تكليف فيها ﴾ أى لاتكليف بما لايطاق فى معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هى دار الدنيا ، والكبيرة على الخصوص لاحكم لها في الدنيا من حيث أنها كبيرة بل لها تعلق فى حكم العقبى ﴿ فموجبات الحدود معلومة ﴾ باساميها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها . وفى الاحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة ، كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها ، فان مجاهدة نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر من اظلامه ، فهذا معنى تكفيره . فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز، اوكان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لايصلح للتكفير أصلا ، فكل من لايشتهى الخمر لطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابها لايكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى والاوتار . نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها فى السماع ، فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع ﴿ ورد الشهادة ﴾ فى الحكومة

لَا يَخْتَصُّ بِهَا فَالْأَكْلُ فِى الطَّرِيقِ يُوجِبُهُ مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا اسْمٌ إِضَافِيٌّ وَالْمُطْلَقُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْجَمْعُ فِيمَا وَرَدَ (اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ـ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ)

﴿ لايختص بها ﴾ أى بالكبيرة بل ولا بالصغيرة ﴿ فالاكل فى الطريق ﴾ من السوق ونحوه ﴿ يوجبه ﴾ اى رد الشهادة ﴿ مع كونه مباحا ﴾ وفى الاحياء لاخلاف فى ان من يسمع الملاهى ويلبس الديباج وبخاتم الذهب ويشرب من اوانى الذهب والفضة لاتقبل شهادته، ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر، فكل الذنوب تقدح فى العدالة الا مالا يخلو الانسان عنه غالبا بالضرورة مجارى العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب فى بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائد على حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجرة والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه فى امر الدين، فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد بامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الاقول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات، وليس لبس الحرير ونحوه من قبيل هذه المذكورات ﴿ وقيل الاصح انها ﴾ اى الكبيرة ﴿ اسم اضافى ﴾ كان الزنا كبيرة بالنسبة الى المعانقة مع التجريد عن الثياب فى الجانبين، والمعانقة كبيرة بالنسبة الى اللمس، واللمس كبيرة بالنسبة الى النظر بالشهوة، والنظر كبيرة بالنسبة الى الهم والعزيمة، وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله ﴿ والمطلق ﴾ اى الفرد الذى اذا اطلق الكبيرة ينصرف اليه ﴿ هو الكفر ﴾ اذلا كبيرة فوقه . وقد قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) ولهذا لايغفر بالاجماع او الذنب المطلق . والكفر وباقى الذنوب مقيد بالاضافة، ولما كان هذا القول يفيد انه لاكبيرة الا الكفر وهو مفرد، وقد جاء فى القرآن بلفظ الجمع قال فى دفع هذه الاشكال ﴿ والجمع ﴾ مبتدأ اى وقوع لفظ الكبيرة جمعا ﴿ فيما ورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ وقد قرئ كبير ماتنهون عنه، فيكون المراد به الكفر او اريد به الجنس ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم ﴾

لِتَنَوُّعِهِ أَوْ تَعَدُّدِ الْمُخَاطَبِ فَالْمَغْفِرَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ لَا غَيْرُ، فُورِدَ (وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ثُمَّ هُوَ يَعْظُمُ بِالْاِصْرَارِ لِأَنَّهُ سَبَبُ تَرَاكُمِ الظَّلَامِ فُورِدَ «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْاِصْرَارِ» وَالْمُبَاهَاةِ وَالْاِسْتِحْقَارِ فَهُمَا سَبَبُ التَّأَلُّفِ وَوَرَدَ «الْمُنَافِقُ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَأَطَارَهُ»

لتنوعه ﴾ خبر المبتدأ اى لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها ﴿ اوتعدد المخاطب ﴾ فوقع مقابلة الجمع بالجمع اولان كفر زيد غير كفر عمرو ﴿ فالمغفرة ﴾ للصغيرة والكبيرة وهى العفو من غير التوبة ﴿ تتعلق بالمشيئة لاغير ﴾ اى لاغيرها من الاشياء المكفرة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ويغفر مادون ذلك ﴾ اى غير الشرك والكفر بجميع انواعه ﴿ لمن يشاء ﴾ اى لمن تعلقت مشيئة الله تعالى بمغفرته . وكان مطرف بن عبد الله يقول : اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله . والحاصل أن الرضاء يتعلق بالطاعة . والعفو والمغفرة بالمعصية ﴿ ثم هو ﴾ أى الذنب ولو صغيرة ﴿ يعظم ﴾ فى الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب أربعة اشياء ﴿ بالاصرار ﴾ وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار ﴿ لانه ﴾ أى الاصرار ﴿ سبب تراكم الظلام ﴾ أى ظلمات الآثام فى قلوب الانام ﴿ فورد لا صغيرة مع الاصرار ﴾ وتمامه « ولا كبيرة مع الاستغفار » وقد تقدم فكبيرة واحدة تنصرم ولا تتبعها بمثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها الا أن الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومطالبة ، وقلما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة ، فلكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة ﴿ والمباهاة ﴾ أى وبالمباهاة والمفاخرة ﴿ والاستحقار ﴾ بعدم المبالاة ﴿ فهما ﴾ لفان ونشرهما مرتبا ﴿ سبب التألف ﴾ أى تألف الذنب . والالفة شديدة الاثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمحذور تسويده بالسيئات ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها فى تسويد القلب ﴿ وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره ﴾ أى عن نفسه ، وتمامه « والمؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن

وَنسيان حلمه وَ كرمه تعالى فهو سبب الأَمن من المَكر وورد (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) والاظهار فهو يؤدي الى ذنوب أُخر كهتك السّتر وترغيب الغير وورد «كُلّ النّاس معافون الّا المجاهر بالذّنب»

يقع عليه» رواه البخارى من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا. ولا يخفى أن هذا الحديث يصلح أن يكون شاهدا لعدم المبالاة لا بوجود المباهاة فكان حقه أن يؤخر عن قوله ﴿ ونسيان حلمه ﴾ وهو بالجر عطف على التألف أى وسبب نسيان حلمه ﴿ و كرمه تعالى ﴾ وستره وعدم كشف حاله ﴿ فهو ﴾ أى ماذكر من النسيان ﴿ سبب الامن من المكر ﴾ الالهى من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبغتة للنقمة ﴿ وورد ﴾ فى التنزيل ﴿ انما نملى لهم ﴾ أى نمهلهم اياما ﴿ ليزدادوا اثما ﴾ أى آثاما وقال بعضهم : الذنب الذى لايغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا فانما يعظم الذنب فى القلب لعلمه بعظمة الرب ، فاذا نظر الى جلال من عصى رأى الصغيرة كبيرة . وقد اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء «لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها، ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها» وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين الابرار : لا صغيرة ، بل كل مخالفة فهى كبيرة. وبهذا السبب يعظم من العالم مالا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز عن العامى فى امور لا يتجاوز فى أمثالها عن العارف لان المخالفة تكثر بقدر معرفة المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما) فوزرهن مضاعف كاجرهن . ومن هنا قال تعالى خطابا لعلماء اهل الكتاب: (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) وقال: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم) الى أن قال: (اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية ﴿ والاظهار ﴾ أى وباظهار المعاصى للفجار ﴿ فهو ﴾ أى الاظهار ﴿ يؤدى الى ذنوب اخر كهتك الستر ﴾ بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الستار ﴿ وترغيب الغير ﴾ الى مثل فعله فيكون عليه ذنب التسبب فى عمله ، ففى حديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» الحديث ﴿ وورد كل الناس معافون ﴾ بضم الميم وفتح الفاء يقربون الى العفو ﴿ الا المجاهر بالذنب ﴾ فانه

وَحَقُّهَا أَنْ يَتَنَدَّمَ فَوَرَدَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»

بعيد عن العفو ، وتمامه « يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه » والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظه كل امتى وقال بعضهم : لا تذنب فان كان ولابد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبين ، ولذا قال تعالى:(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقال بعض السلف : ماانتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه، فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح . وقال تعالى (ونكتب ماقدموا وآثارهم) والآثار مايكتب بعد انقضاء العمل والعامل فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ المال الحرام ويدخل على الظلمة من بين الانام طمعا في المناصب العظام كثر له الآثام . وطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوزه الى غيره . فعن ابن عباس « ويل للعالم من الاتباع تزل بزلة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق، وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق أهلها وفي الاسرائيليات: أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا ، فاوحى الله الى نبيهم أن قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت من عبادي فادخلتهم النار ؟ ﴿ وحقها ﴾ أي حق التوبة على صاحب المعصية ﴿ ان يتندم ﴾ أي يظهر الندامة في القلب ﴿ فورد ﴾ في الحديث كما تقدم ﴿ الندم ﴾ وهو توجع القلب بمخالفة الرب ﴿ توبة ﴾ أي معظم اركانها هي الندامة على فعل المعصية من حيث أنها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قلع المعصية في الحال والعزم على تركها في الاستقبال . وفي الاسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته في مقام السعادة، فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والارض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فلابد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيلتذ بترك اللذة ، ويشير اليه قوله عليه السلام « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا » الحديث وينبغي أن يجد مثل هذه المرارة في جميع الذنوب وأن لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع . فتكون المعصية عنده كالسم والطاعة كالعسل هذا ، وفي حديث « الندم

وَقِيلَ هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَيَتَدَارَكُ وَهُوَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ مُحْتَاطًا

توبة ايماءالى انه مقدور مرغوب فيه وكذا فى قوله تعالى: (وتوبوا) والافيلون الامر بما لا يطاق وهو ماوقع فى الشرع بالاتفاق على خلاف فى جوازه وعدمه ﴿ وقيل هو ﴾ اى الندم ﴿ غير مقدور ﴾ للبشر ولا يدخل تحت التكليف فلا يكون توبة بل هو الباعث فاستعير لها وفى الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب واعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه فان ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة للقادر والكل من خلق الله وقوله (والله خلقكم وماتعملون) هذا هو الحق عند ذوى البصائر وماسوى هذا ضلال ﴿ ويتدارك ﴾ أى وحق التوبة أن يتدارك ويتلافي مافاته من الطاعة وماسبق له من المعصية ﴿ وهو ﴾ أى التدارك ﴿ فى حقه تعالى القضاء ﴾ بدل الاداء ﴿ والكفارة ﴾ بدل المعصية وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى المـــوت مع استدراك الفوت ﴿ محتاطا ﴾ أى حال كونه يحتاط فى امره من اوله الى آخره بردفكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن اوالاحتلام، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهراشهرا ويوما يوما ونفسا نفسا، وينظر الى الطاعات ماالذى قصر عليه فيها، والى المعاصى ماالذى قارفه منها، فان كان قدترك صلاة اوصلاها مع ثوب نجس، أوصلاها بنية غير صحيحة، او ترك فيها شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من آخرها، فان شك فى عدد مافاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه اداه ويقضى الباقى، وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحرى والاجتهاد، وكذا امر الصوم والزكاة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات. وأما بحثه عن السيئات فيتفكر من أول بلوغه الى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر فى جميع ايامه وساعاته، وينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها، ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود فى المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها *

وَفِى حَقِّ العَبْدِ رَدُّ المَالِ مُحْتَاطًا الَى المَالِكِ أو الوَارِثِ مُبَالِغًا فى التَّبْلِيغِ بِالطَّوْفِ فِى البِلَادِ انْ أمْكَنَ لَهُ وَالاَّ فَالتَّصَدُّقُ أوِ الصَّرْفُ الَى مَصَالِحِ المُسْلِمِينَ أوِ التَّسْلِيمِ الَى القَاضِى الأَمِينِ وَالدِّيَةُ وَالقِصَاصُ فِى النَّفْسِ

ثم اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، واثر اتباع الدنيا فى القلب السرور بها والالفة لها والحنين اليها، فلا جرم أن كل اذى يصيب المسلم ثم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لداء القلب يتجا فى بالغموم عن دار الهموم، فورد « من الذنوب ذنوب لايكفرها الاالهموم » وفى لفظ آخر الاالهم بطلب المعيشة رواه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة . ولاحمد من حديث عائشة « اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكون كفارة لذنوبه » ويقال الهم الذى يدخل على القلب والعبد لايعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها . وروى « أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام فى السجن فقال له يوسف : كيف تركت الشيخ الكئيب ؟ فقال قد حزن عليك حزن مابه ثكلى، قال فماله عند الله ؟ قال اجر مائة شهيد» والطبرانى والحاكم عن أبى الدرداء مرفوعا « ان الله يحب كل قلب حزين »، ﴿ وفى حق العبد ﴾ أى والتدارك فى حق العباد ثلاثة اشياء ﴿ رد المال محتاطا ﴾ أى وفى قدره ﴿ الى المالك ﴾ ان كان حيا ﴿ او الوارث ﴾ أن كان ميتا ﴿ مبالغا ﴾ أى غاية الاجتهاد ﴿ فى التبلغ ﴾ أى اتصال حق العباد ﴿ بالطوف ﴾ أى السير والتردد ﴿ فى البلاد ﴾ رجاء ان يلقى المالك هنالك فيرد اليه حقه اويستحل منه ﴿ ان امكن له ﴾ السفر ﴿ والا فالتصدق ﴾ على الفقراء والمساكين ﴿ اوالصرف الى مصالح المسلمين ﴾ من بناء مسجد وعمارة وجسر ومدرسة ﴿ اوالتسليم الى القاضى الامين ﴾ ليصرفه فى امور الدين ﴿ والدية ﴾ عطف على رد المال، اى وفى حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع خطأ ﴿ والقصاص ﴾ اذا وقع عمدا ﴿ فى النفس ﴾ وكذا فى الاطراف، فيجب عليه أن يعترف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله، ولاتسقط عهدته الابهذا، ولايجوز له الاخفاء، وليس هذا كما لوزنى اوسرق اوشرب اوقطع طريقا اوباشر مايجب فيه الحد لله، فانه لايلزمه فى التوبة ان

وَالاستعفاء نفساً كان أو مالاً وعند العجز فتكثير الحسنات بحسب المظالم وفى نحو الغيبة والسب والايذاء فالاستعفاء والذكر المفصل الا أن يزداد التأذى بالاظهار فالمبهم تحاميا عن ذنب آخر والجبر بالحسنات كما لو كان ميتاً أو غائباً والمبالغة فى الاستعفاء

يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استعفاء حق الله ، بل عليه ان يستر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة . فان رفع امره الى الوالى حتى اقام عليه الحد وقع فى موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله ﴿ والاستعفاء ﴾ اى طلب العفو ، والاستحلال عند العجز عن رد المال او الدية والقصاص ﴿ نفسا كان ﴾ حق العبد ﴿ او مالا وعند العجز ﴾ أي عدم القدرة على الاستعفاء ﴿ فتكثير الحسنات ﴾ متعين ﴿ بحسب المظالم ﴾ أى مراتبها فى مقام السيئات ، وذلك بان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ، ويحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة ، ويناقش نفسه قبل ان يناقش. وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى الفجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ، ولكن على كل منهم ان يفعل منه مايقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته فتوضع فى موازين ارباب المظالم، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره ﴿ وفى ﴾ اى والتدارك فى ﴿ نحو الغيبة ﴾ وكذا النميمة ﴿ والسب ﴾ اى الشتم واللعن ﴿ والايذاء ﴾ باللسان او بالاركان، ومنه الزنا بحليلة المسلم او جارته او بقرابته ﴿ فالاستعفاء ﴾ متعين لعدم وجوب المال وجواز القصاص فى امثالها ﴿ والذكر المفصل ﴾ بفتح الصاد او كسرها بان يذكر الغيبة ونحوها مبينة معينة ﴿ الا ان يزداد التأذى ﴾ اى لصاحب الحق ﴿ بالاظهار فالمبهم ﴾ اى فالاستعفاء المبهم متعين ﴿ تحاميا عن ذنب آخر ﴾ فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول ﴿ والجبر ﴾ اى جبر نقصان الاستعفاء المبهم ﴿ بالحسنات ﴾ ولو كان حيا موجودا حاضرا ﴿ كما لو كان ﴾ صاحب الحق ﴿ ميتا او غائبا ﴾ لم يمكن الاجتماع به ﴿ والمبالغة ﴾ اى حينئذ ﴿ فى الاستعفاء

بِالتَّلَطُّفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْاِحْسَانِ فَاِنْ عَفَا وَالْاَّفَيُحَاسَبُ فِى مُقَابَلَتِهِ فَالْكُلُّ مَاثُورٌ وَيَتْبَعُ الْحَسَنَةَ بِحَسَبِ السَّيِّئَةِ فَسَمَاعُ الْمَلَاهِى بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْقُعُودُ فِى الْمَعْصِيَةِ بِالْاِعْتِكَافِ وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِالتَّصَدُّقِ بِشَرَابٍ حَلَالٍ لَذِيذٍ وَالْقَتْلُ بِالْاِعْتَاقِ وَالْغِيبَةُ بِالثَّنَاءِ وَالْغَصْبُ بِالصَّدَقَةِ وَنَحْوِهَا

بالتلطف ﴾ فى طريق المحو ﴿ والتودد ﴾ اى اظهار المحبة بالقيام والاكرام ﴿ والاحسان ﴾ بالهدية والضيافة والانعام لا بالاكراه والابرام فانه غير مفيد عند الله ﴿ فان عفا ﴾ اى صاحب الحق ، وفى نسخة فان عفى اى عن المذنب بالاستعفاء فيها ﴿ والا فيحاسب ﴾ فى القيامة بحسناته ﴿ فى مقابلته ﴾ اى مقابلة سيئاته كما قدمنا ﴿ فالكل مأثور ﴾ وعن السلف مذكور ٭

والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة توددہ وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله ، فان ابى الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها فى القيامة جنايته وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه فى ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كمن اتلف فى الدنيا مالا فجاء بمثله وامتنع من هو له عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض والابراء عنه شاء ام ابى، فكذلك يحكم الله فى صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين ﴿ ويتبع ﴾ وهو مرفوع وقيل منصوب، اى وحق التوبة ان يتبع ﴿ الحسنة بحسب السيئة ﴾ اى بقدرها كمية وكيفية ﴿ فسماع الملاهى ﴾ من انواع الاوتار المناهى يتبع ﴿ بسماع القرآن ﴾ ومجالس الذكر الالهى ﴿ والقعود فى المعصية ﴾ كقعود فى المسجد جنبا ﴿ بالاعتكاف ﴾ فيه مع الاشتغال بالعبادة ، وكذا مس الصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة تقبيله ، وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ﴿ وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال لذيذ ﴾ اى حلو بارد ﴿ والقتل بالاعتاق ﴾ اى وقتل النفس عمدا اوخطأ باعتاق رقبة لان ذلك نوع احياء ، اذ العبد مفقود بنفسه موجود بسيده ، فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد ﴿ والغيبة ﴾ ونحوها من الايذاء ﴿ بالثناء ﴾ على صاحب الحق او على اهل الدين والخير فى الحضور او الغيبة ﴿ والغصب بالصدقة ونحوها ﴾ عطف على سماع الملاهي اي وكذا نحو المذكورات فعد جميع

فَوَرَدَ (اِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) اَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَيَسْتَغْفِرُ فَوَرَدَ
«مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَاِنْ عَادَ فِى اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَالسَّتْرُ أَحَبُّ وَلَوْ أَقَرَّ لِاِقَامَةِ الحَدِّ
فَلَا قَدْحَ فَوَرَدَ فِى مَاعِزٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَوَسِعَتْهُمْ»
وَيُؤَكِّدُ العَزْمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ

المعاصى غير ممكن فى العبادات ، والعاقل يكفيه بعض الاشارات ، والمقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده . فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هى المتناسبات ، فكذا ينبغى أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكى تضادها . فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو ، فالرجاء فيه اصدق ، والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا فى المحو ، هذا وسلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له فى الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ان الحسنات ﴾ اى جميع الطاعات ﴿ يذهبن السيئات ﴾ أى تمحوها ﴿ اتبع السيئة ﴾ أى وورد ؟ اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال أى اعقب السيئة ﴿ الحسنة تمحها ﴾ رواه الترمذى من حديث أبى ذر وصححه . وللبيهقى فى الشعب من حديث معاذ واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية » ﴿ ويستغفر ﴾ اى وحق التوبة ان يستغفر ﴿ فورد ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ﴾ رواه ابو داود والترمذى عن ابى بكر ﴿ والستر احب ﴾ اى من الاظهار فى حق الله ﴿ ولو اقر لاقامة الحد ﴾ اى فى حقوق الله الخالصة ﴿ فلا قدح ﴾ اى لا اذم ولا منع لما تقدم ﴿ فورد فى ماعز رضى الله عنه ﴾ حيث اعترف بالزنى ورجم ﴿ لقد تاب توبة لو قسمت بين الامة ﴾ وفى رواية بين الخلائق ﴿ لوسعتهم ﴾ اى لكفتهم وهو عبارة عن كثرة ثوابها . والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب ، وكذا حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها . وقوله عليه السلام : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ﴿ ويؤكد العزم ﴾ اى وحق التوبة ان يشدد العزم ويقوى الجزم ﴿ على ان لا يعود ﴾ بمثل الذنب الذى تاب منه ابدا ، قال بعضهم : من صدق فى ترك شهوة

وَيُخْلِصَ النِّيَّةَ فَمَن تَرَكَ لِذَهَابِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عَدَمِ أَسْبَابٍ لَا يَكُونُ تَائِبًا ثُمَّ أَنْ يَغْسِلَ الثِّيَابَ وَيَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ وَيَضَعَ الْوَجْهَ عَلَى الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ وَلِلتَّذَكُّرِ بِدَمْعٍ حَارٍّ وَقَلْبٍ حَزِينٍ وَصَوْتٍ عَلِيٍّ وَيَذْكُرُ الذُّنُوبَ وَاحِدًا وَاحِدًا وَيَلُومُ النَّفْسَ وَيُوَبِّخُهَا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيَحْمَدُ اللهَ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها . وقال آخر : من تاب من ذنب فاستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ﴿ ويخلص النية ﴾ اى وحقها ان يصحح النية ويخلص الطوية فى ترك المعصية الجلية والخفية ﴿ فمن ترك ﴾ المعصية ﴿ لذهاب مال ﴾ كما فى القمار ونحوه ﴿ اوجاه ﴾ من سقوط اعتباره عند الخلق ﴿ او عدم اسباب ﴾ معينة له على المعصيه ﴿ لايكون تائبا ﴾ وقيل من العصمة ألا تقدر ﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك حق التوبة على التائب ﴿ ان يغسل الثياب ﴾ التى عصى الله فيها ﴿ و يغتسل ﴾ فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن ، وفى رواية ويتوضأ واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل ﴿ ويصلى اربع ركعات ﴾ تنبيها على جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى: (يومئذ تحدث اخبارها بان ربك أوحى لها) ﴿ فى موضع خال ﴾ عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة فى بال ﴿ ويضع الوجه ﴾ أى وأن يضع جبينه ﴿ على الارض ﴾ تواضعا لله ﴿ والتراب ﴾ لزيادة الخشوع عند رب الارباب ﴿ وللتذكر ﴾ أى اصله ومرجعه فى هذا الباب كما يشير اليه قوله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) ﴿ بدمع حار ﴾ أى مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ، ولذا ورد قرة عين وقرى عينا ﴿ وقلب حزين ﴾ على ماسبق له من المعصية ﴿ وصوت على ﴾ اى رفيع فى البكاء ، والا فالدعاء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء ﴿ ويذكر الذنوب ﴾ أى وان يتذكر ذنوبه ﴿ واحدا واحدا ﴾ جنسا وفردا ﴿ ويلوم النفس ﴾ أى وأن يعيبها ويذمها ﴿ ويوبخها ﴾ أى يثربها ويقرعها ﴿ ويرفع يديه ﴾ الى كتفيه اواذنيه حتى يرى بياض ابطيه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه ﴿ ويحمد الله ﴾ على آلاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول . الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار ﴿ ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

وَيدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَ فِى الأَثَرِ . اِذَا أُتْبِعَ الذَّنْبُ بِعَزْمِ التَّوْبَةِ وَخَوْفِ العِقَابِ وَرَجَاءِ العَفْوِ وَأَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ فِى المَسْجِدِ وَالاسْتِغْفَارِ سَبْعِينَ مَرَّةً وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ مَائَةَ مَرَّةٍ وَالتَّصَدُّقِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَصَوْمِ يَوْمٍ فَالعَفْوُ أَرْجَى

لانه شفيع المذنبين ﴿ ويدعو لنفسه ﴾ لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة ﴿ ولوالديه ﴾ فيقول رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴿ وللمسلمين ﴾ فيقول (رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ويكثر الاستغفار لاسيما ماورد عن سيد الابرار نحو قوله (رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى ذنوبى) وكذا يكثر من سيد الاستغفار ﴿ وجاء فى الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة ﴾ أى بالتوبة على وجه العزم والجزم ﴿ وخوف العقاب ﴾ عند مناقشة الحساب ﴿ ورجاء العفو ﴾ من رب الارباب ﴿ واداء ركعتين فى المسجد ﴾ فانه افضل الاماكن واشرفها ، ويشهد له بماعرفه ﴿ والاستغفار سبعين مرة ﴾ لما ورد فى بعض طرق الاحاديث ولو زاد حتى صار مائة مرة فهو افضل واكمل ﴿ والتسبيح والتحميد مائة مرة ﴾ أى كل واحد منهما اويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، وينبغى ان يكون التكبير والتهليل كذلك لتجتمع الباقيات الصالحات ، بل ويضم اليها لاحول ولاقوة الا بالله كذلك ﴿ والتصدق سرا وعلانية ﴾ وكذا نهارا وليلا ليدخل فى قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) وليكون تصدقه مكفرا لجميع انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية ﴿ وصوم يوم ﴾ فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات ﴿ فالعفو ﴾ عن الذنب حينئذ ﴿ ارجى ﴾ أى اكثر رجاء . وفى الاحياء ان فى الآثار مايدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا ، اربعة من اعمال القلب وهى التوبة او العزم على التوبة ، وحب الاقلاع عن الذنوب ، وخوف العقاب عليها ، ورجاء المغفرة لها ، واربعة من اعمال الجوارح وهى ان يصلى عقيب الذنب ركعتين ، ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما ، وفى بعض الاخبار يصلى ركعات . قال مخرجه : اثران من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلى ركعتين ، رواه اصحاب السنن

وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ مَاوَرَدَ فِيهَا وَقُبْحِ الذَّنْبِ وَشِدَّةِ الْعُقُوبَةِ وَضَعْفِ النَّفْسِ عَنِ الاحْتِمَالِ

من حديث أبي بكر الصديق « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الاغفر الله له » هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا . وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال : « كان رجل يهوى امرأة - الحديث - وفيه « فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صلى اربع ركعات فانزل الله عزوجل (اقم الصلاة طرفي النهار) الآية » واسناده جيد ه

وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين ، صحيحة وفي الصحيحين « ان رجلا قال يارسول الله اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فامض علي بحكم الله فقال عليه السلام اوماصليت معنا صلاة الغداة فقال بلى ، فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على ان مادون الزنى من معالجة النساء صغيرة أذجعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام « الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر » كذا في الاحياء . وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله اوماصليت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث انس ، وفيه « هل حضرت معنا الصلاة قال نعم » ومن حديث أبي امامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم » الحديث ﴿ والطريق ﴾ الموصل الى التوبة عشرة اشياء ﴿ ذكر ماورد فيها ﴾ أي من الكتاب والسنة في فضل التوبة كقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) وكقوله عليه السلام « ليتمنين اقوام لوا كثروا من السيئات الذين بدل الله عزوجل سيئاتهم حسنات » رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، وهو مقتبس من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) ﴿ وقبح الذنب ﴾ فعن ابن مسعود : ينسى المرء بعض العلم بالمعصية ، وتلا آية (فنسوا حظا مما ذكروا به) ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب وآخره كفر ، وكذا قضية قابيل وبلعام بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة ﴿ وشدة العقوبة ﴾ أي وذكر شدتها الناشئة عن غضب الله وسخطه الذى لاطاقة لاحد به ﴿ وضعف النفس عن الاحتمال ﴾ أي تحمل اهوال يوم القيمة فقد قال تعالى (فما اصبرهم على النار) فان من لايحتمل حر شمس ولطمة شرطي كيف يحتمل غدا حر نار

وَشَرَف الآخرةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَاوقُرْبِ المَوْتِ ولَذَّةِ المعرفةِ والمُنَاجَاةِ ، وَخَوْفِ الإِمْلَاءِ بِعَدَمِ الأَخْذِ الحَالِيِّ وَالاسْتِدْرَاجِ بالإِحْسَانِ بَعْدَ الارْتِكَابِ وَقَلْعُ أَسْبَابِهِ وَهِيَ الغُرُورُ وحُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الأَمَلِ بِمَا في مَوْضِعِهَا، وَالتَّحقيقُ أَنَّ تَرَادُفَ المَعَاصِي سَبَبُ تَرَاكُمِ ظَلَامِ القَلْبِ وَبِهِ يَحْصُلُ

جهنم ، وضرب مقامع الزبانية ، ولسع حيات اعناقها كأعناق البخت ، وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخط الواحد القهار ﴿ وشرف الآخرة ﴾ أى وذكر شرفها فانها خير وابقى ﴿ وخساسة الدنيا ﴾ من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها ﴿ وقرب الموت ﴾ كما قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ه

كل امرىء مصبح فى اهله والموت ادنى من شراك نعله

﴿ ولذة المعرفة ﴾ فانها لا تجامع المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من عصى الله فهو جاهل ﴿ والمناجاة ﴾ لانها تختص باهل العبادات والمناداة ﴿ وخوف الاملاء ﴾ بالرفع عطف على ذكر ، أى وخوف الامهال ﴿ بعدم الاخذ الحالى ﴾ بتشديد الياء نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال ، فقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) ﴿ والاستدراج ﴾ أى وخوف الاستدارج ﴿ بالاحسان ﴾ أى باحسان الرب ﴿ بعد الارتكاب ﴾ أى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية ﴿ وقلع اسبابه ﴾ عطف على ذكر ما ورد ، أى وقطع اسباب الذنب ﴿ وهى ﴾ اى اسبابه ثلاثة ﴿ الغرور ﴾ قال تعالى (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى غفور ، فهذا تمن وغرور ، بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاء والحضور أو الجنة والحور والقصور ﴿ وحب الدنيا ﴾ فانه رأس كل خطيئة كما ورد ﴿ وطول الامل ﴾ فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل ، فقلع اسبابه ﴿ بما فى موضعها ﴾ من علاج هذه الاشياء بتمامها ﴿ والتحقيق ﴾ فى وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة أو فى قلع الاسباب عليك ﴿ ان ترادف المعاصى ﴾ أى تواردها وتتابعها باصرارها من غير تخلل توبة فى اثنائها ﴿ سبب تراكم ظلام القلب ﴾ أى تكاثف ظلماته ﴿ وبه يحصل

الرَّيْنُ وَالطَّبْعُ وَهُوَ دَاءٌ عُضَالٌ وَاخْتُلِفَ فِي صِحَّتِهَا عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْحَقُّ إِفَادَةُ نُقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا بِحَسَبِ الذَّنْبِ دُونَ النَّجَاةِ لِأَنَّهَا بِتَرْكِ الْكُلِّ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ

الرين ﴾ فى قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ﴿ والطبع ﴾ اى الختم فى قوله سبحانه (ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وقال مجاهد : القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيشتد عليه القفل فذلك هو القفل يعنى فيما قال تعالى (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) وقال بعض السلف : ليست اللعنة سوادا فى الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع فى مثله او اشر منه . وقال ابو سليمان الدارانى : لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخبر «ما انكرتم من زمانكم فيما تركتم من اعمالكم » رواه البيهقى فى الزهد من حديث ابى الدرداء ﴿ وهو ﴾ أى ترادفها ﴿ داء عضال ﴾ أى صعب فى غاية اشكال عجز عنه اطباء القلوب الا ان يريد دواءه علام الغيوب ﴿ واختلف فى صحتها ﴾ اى التوبة ﴿ عن بعض الذنوب ﴾ ففى الاحياء : ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه فى المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ، ثم ان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب ، كالذى يتوب عن الشرب والزنى واللواطة والغصب مثلا دون غيره ؛ وليست هذه توبة مطلقة . وقد قال بعض الناس : ان هذه التوبة لا تصح ، وقال قائلون تصح ولكن لفظ الصحة فى هذا المقام مجمل ﴿ والحق ﴾ أى الذى لا محيص عنه أن فى التوبة عن بعض المعاصى ﴿ افادة نقصان العقوبة لأنها ﴾ أى العقوبة ﴿ بحسب الذنب ﴾ كثرة وقلة ﴿ دون النجاة ﴾ أى دون افادة النجاة من النار ﴿ لأنها ﴾ أى النجاة انما تحصل ﴿ بترك الكل ﴾ أى جميع المعاصى وتوضيحه أن يقال لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كعدمه فما أعظم خطأك ، فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته . ويقال لمن قال تصح ان أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر فلسنا نتكلم فى خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر ﴿ فان قلت انما الترك ﴾ أي ليس مراد القائل الأول بعدم الصحة عن البعض الا ترك بعض الذنب وهو شرب الخمر

لِكَوْنِهِ ذَنْبًا لَا بِعَيْنِهِ وَهُوَ مُشْتَرَكٌ فِيهِ فَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ عَنِ الْبَعْضِ قُلْتُ يَجُوزُ التَّرْكُ لِكَوْنِهِ أَفْحَشَ وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ أَصْعَبُ أَوِ التَّدَارُكُ أَشَقُّ أَوْ مَيْلُ النَّفْسِ إِلَيْهِ أَقَلُّ

مثلا ﴿ لكونه ﴾ أى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب ﴿ ذنبا لابعينه ﴾ أى لا لكونه شرب الخمر بذاته ﴿ وهو ﴾ أى كونه ذنبا أو علة تركه ﴿ مشترك فيه ﴾ أى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى ، لأن من ترك الخمر لكونها معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه أن يترك سائر المعاصى لكونها معصية وتوقعه فى العقوبة ﴿ فكيف تتصور ﴾ التوبة ﴿ عن البعض ﴾ دون البعض ، فاذا ثبت انها لا تصح عن البعض بهذا المعنى فوجب أن يتوب عن الجميع دون البعض ﴿ قلت ﴾ التوبة عن بعض الذنوب لا تخلوا اما ان تكون من الكبائر دون الصغائر أو بالعكس أو عن كبيرة دون كبيرة اما الأول فانه ممكن ويقال ﴿ يجوز الترك ﴾ لبعض الذنوب ﴿ لكونه ﴾ أى ذلك البعض ﴿ أفحش ﴾ أى اغاظ وأعظم وأجلب لسخط الله وغضبه ﴿ والعقاب عليه أصعب ﴾ أى أشد وأقوى وأبقى ، والصغيره أقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحل ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته اظن أن السيد ربما يسامحه فى ذلك ، وكالمريض يحذره الطبيب عن أكل الحلو تحذيرا شديدا فيتوب المريض عن العسل دون السكر . وأما الثالث وهو أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد عند الله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه مفتاح الشر ، ولأنه اذا زال عقله ارتكب سائر المعاصى فيجتنبها دون الزنا ﴿ أو التدارك ﴾ أو يكون تدارك ذلك البعض ﴿ أشق ﴾ أى اتعب كالذى يترك القتل أو النهب ومظالم العباد لعلمه ان التدارك فيه أصعب ، ولأن ديوان العباد لا يترك يوم المعاد ، ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة فانه يتسارع العفو اليه وأما الثانى وهو أن يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة وهذا أيضا ممكن كالذى يترك الغيبة او النظر الى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس اليها اكثر ﴿ او ميل النفس اليه ﴾ أى الى ما ترك من الصغائر ﴿ أقل ﴾ فيكون تركه اهون واسهل . ووجه امكان ذلك انه مامن مؤمن الا وهو خائف على المعاصى نادم على فعله ندما ضعيفا اوقويا ، ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ، وباسباب توجب

هَذَا وَلَمْ يُشْتَرطِ الكُلِّ فِيمَا وَرَدَ وَفِي صِحَّتِهَا عَنِ العَاجِزِ كَالعِنِّينِ عَمَّا زَنَى قَبْلَ العُنَّةِ وَالأَقْرَبُ العَدَمُ لامْتِنَاعِ التَّرْكِ فِي غَيْرِ المَقْدُورِ لَكِنْ لَوْ تَنَدَّمَ وَتَأَلَّمَ القَلْبُ بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتِ الشَّهْوَةُ لَقَهَرَهَا فَالرَّجَاءُ القَبُولُ عَلَى حَسَبِ اطِّلَاعِهِ تَعَالَى عَـــلَى الضَّمَائِرِ

قوة الشهوة ، فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب ، فان سلم من شهوة هي اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه ، فهو أى ذلك الخوف الضعيف ملك الشهوة التي هى اضعف منه ودفعها ، وان لم يسلم من شهوة هى اقوى منه كشرب الخمر لم يقدر على الدفع ، فمثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى ، فاذا واجه الضعيف غلب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ، ولان التوبة على حسب المعصية ، وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب آخر ، وهذا لان توبة ذنب احسان فى العبودية . وتوبة ذنب آخر احسان آخر ، وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان آخر ﴿ هذا ﴾ هو التحقيق ، أو خذ هذا على طريق التوفيق ﴿ ولم يشترط الكل ﴾ أى لم يشترط التوبة عن جميع المعاصي ﴿ فيما ورد ﴾ من الكتاب والسنة فى التوبة كقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) حيث لم يقل عن جميع الذنوب ، وكقوله عليه السلام « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله : « الندم توبة » ولم يقل عن جميع المعاصى ، وأيضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا ﴿ وفى صحتها ﴾ أى وكذا اختلف فى صحة التوبة ﴿ عن العاجز ﴾ الذى لم يقدر على المعصية ﴿ كالعنين ﴾ بوزن سكين وهو من لم يقدر على الجماع ﴿ عما زنى ﴾ أى كتوبته عما قارفه ﴿ قبل العنة ﴾ أى حدوثها ﴿ والاقرب ﴾ أى القول الاقرب الى الصحة او الصواب ﴿ العدم ﴾ أى عدم صحته ﴿ لامتناع الترك فى غير المقدور ﴾ لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ، وأما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ﴿ لكن ﴾ قد يقال ﴿ لو تندم ﴾ العنين ﴿ وتألم القلب ﴾ بالزنى ﴿ بحيث لو فرضت الشهوة ﴾ أى قدرت شهوة الزنى ﴿ لقهرها ﴾ أى لغلبها وتركها ﴿ فالرجاء ﴾ أى المأمول من كرمه سبحانه ﴿ القبول ﴾ أى قبول توبته ﴿ على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر ﴾ أى على ما يخفى على غيره من

كَمَا لَوْ تَابَ قَبْلَ طَرَيَانِ العُنَّةِ وَمَاتَ قَبْلَ هَيَجَانِ الشَّهْوَةِ وَتَيَسُّرِ أَسْبَابِ قَضَائِهَا وَفِي «أَنَّ الأَفْضَلَ مَنْ يُجَاهِدُ شَهْوَتَهُ أَوْ مَنِ انْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ» وَالحَقُّ أَنَّ الثَّانِي أَسْلَمُ مُطْلَقاً وَأَفْضَلُ إِنْ كَانَ انْقِطَاعُهَا لِقُوَّةِ اليَقِينِ وَسَبْقِ المُجَاهَدَةِ فَالمُظَفَّرُ أَوْلَى مِنَ المُجَاهِدِ وَإِنْ كَانَ لِضَعْفِهَا فِي نَفْسِهَا فَالأَوَّلُ أَفْضَلُ لِأَنَّ التَّرْكَ بِالمُجَاهَدَةِ مِنْ قُوَّةِ اليَقِينِ وَاسْتِيلَاءِ الدِّينِ

السرائر ﴿كما لو تاب﴾ العنين عن الزنى ﴿قبل طريان العنة﴾ أى حدوثها ﴿ومات قبل هيجان الشهوة﴾ أى شهوة الزنى او الجماع ﴿وتيسر اسباب قضائها﴾ اى قضاء الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تندم بما تقدم لكان من التائبين أيضا حيث لا فرق بينهما ﴿وفى﴾ أى واختلف أيضا فى ﴿ان الافضل من يجاهد شهوته﴾ ويمنع معصيته ﴿أو من انقطعت شهوته﴾ وسكنت نفسه عن الميل الى معصية، فقال أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى: ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده ما أخرجه الامام أحمد فى الزهد عن مجاهد أنه قال كتب الى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ويقويه ان جنس البشر أفضل من جنس الملك لما تقدم والله أعلم، وقال علماء البصرة ذلك الآجر أفضل لانه لو فترفى تربته كان أقرب الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة القصور عن المجاهدة ﴿والحق ان الثانى أسلم مطلقا﴾ سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة أو ضعف البنية ﴿وأفضل﴾ أى الثانى مقيدا بقيد وهو انه ﴿ان كان انقطاعها﴾ أى الشهوة ﴿لقوة اليقين﴾ فى مقام المشاهدة ﴿وسبق المجاهدة﴾ مع النفس فى دفع الشهوة على سبيل المعصية ﴿فالمظفر﴾ أى المنصور على العدو ﴿أولى من المجاهد﴾ المشغول فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم فى الاستقبال ﴿وان كان﴾ انقطاعها ﴿لضعفها﴾ أى لفتور الشهوة ﴿فى نفسها﴾ أى فى أصل خلقتها ﴿فالأول﴾ وهو الذى يجاهد شهوته ﴿أفضل﴾ ﴿لان الترك بالمجاهدة من قوة اليقين واستيلاء الدين﴾ ولقد زل فى هذا البحث فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى، ولم يعلموا ان ذلك طالب للخلاص من عوائق الطريق وعلائقها الشاغلة عن المولى، وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود بالذات

وَفِى نَفْعِ الاسْتِغْفَارِ مَعَ الاصْرَارِ وَالحَقُّ النَّفعُ لِمَا سَبَقَ وَكَوْنِهِ حَسَنَةً تَصْلُحُ لِلتَّكْفِيرِ
وَعَدَمِ ضَيَاعِ الأَجْرِ فَوَرَدَ انَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ وَانْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا
وَمَا وَرَدَ انَّ المُسْتَغْفِرَ بِلِسَانِهِ المُصِرَّ عَلَى ذَنْبِهِ كَالمُسْتَهْزِىءِ بِرَبِّهِ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ العَادَةِ
مِنَ الغَفْلَةِ دُونَ الابْتِهَالِ وَالصِّدْقِ فِى السُّؤَالِ

حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه،فقال : هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل فى اتباع الشهوات ، وكل ذلك جهالةوضلالات ﴿وفى﴾أى وكذا اختلاف فى ﴿نفع الاستغفار﴾ باللسان ﴿مع الاصرار﴾ على الذنوب الكبار أو الصغار ﴿ والحق النفع﴾ لثلاثة أوجه ﴿لما سبق﴾ من الأخبار فى فضل الاستغفار من غير قيد بعدم الاصرار ﴿وكونه﴾ أى ولكون الاستغفار باللسان ﴿حسنة تصلح للتكفير﴾أى لتكفير العصيان ﴿وعدم ضياع الأجر﴾أى ولعدم ضياع أجر عامل عبده سبحانه ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿ ان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾ (ولا يضيع أجر من أحسن عملا) ﴿وان تك حسنة يضاعفها﴾ تمامه (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ﴿وما ورد﴾مبتدأ أى وما جاء فى حديث ﴿ان المستغفر بلسانه المصر على ذنبه ﴾أى بجنانه ﴿ كالمستهزىء بربه﴾وفى الاحياء بلفظ «والمستغفر من الذنب وهو مصر كالمستهزىء بآيات الله» قال مخرجه: هو حديث ابن عباس عند ابن أبى الدنيا. ومن طريق البيهقى فى الشعب ولفظه «المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بربه» ﴿ محمول عليه ﴾ خبر المبتدأ اى حمله العلماء على الاستغفار ﴿بحكم العادة من الغفلة ﴾عن الارادة ﴿دون الابتهال ﴾أى التضرع فى الحال ﴿والصدق فى السؤال﴾ أى سؤال المغفرة فى الاستقبال ، فهذا حسنة تصلح ان تدفع بها السيئة . وكذا ما نقل عن بعضهم انه كان يقول : استغفر الله من قولى استغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين،وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير أن يكون للقلب فيه شركة العمل. وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ،فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب ، فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه لا من حركة لسانه ، فان من سكت عن الاستغفار باللسان أيضا يحتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد : فهكذا ينبغى ان يفهم حمد ما يحمد وذم ما يذم،والا جهلت معنى

قول القائل الصادق : حسنات الابرار سيئات المقربين ، فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغى ان تؤخذ من غير اضافة ، بل ينبغى ان لا يستحقر ذرات الطاعات والسيئات. ولذا قال الامام جعفر الصادق : ان الله تعالى خبأ ثلاثا فى ثلاث : رضاه فى طاعته، فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه ، وسخطه فى معاصيه ، فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ، وخبأ وليه فى عباده فلا تحقروا من عباد الله احدا فلعله ولى الله . وزادوا وخبأ اجابته فى دعائه واسمائه ، فلا تتركوا شيئا منهما فربما كانت الاجابة فيه . وقال سهل : لابد للعبد فى كل حال من مولاه . فاحسن احواله أن يرجع اليه فى كل شىء مما قدره وقضاه ، فان عصاه قال يارب استر على ، فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب على فاذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة، واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل منى . وسئل أيضا عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب فقال : اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة، فالاستجابة اعمال الجوارح ، والانابة اعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ، ثم التنقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان، ثم القرب ، ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاة ، ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا فى قلب عبد حتى يكون العلم غداءه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل عن معنى قوله عليه السلام « التائب حبيب الله » فقال : انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله فى قوله تعالى (التائبون العابدون) الآية . وقال الحبيب هو الذى لا يدخل فيما يكرهه حبيبه . وفى الاحياء : فاياك ان تستحقر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصى فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر فى كل ساعة الا على خيط واحد، فتقول وأى غنى يحصل فى خيط واحد ؟ وما وقع ذلك فى الثياب ؟ ولا تدرى المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا ، وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة، فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا ، بل اقول : الاستغفار باللسان أيضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الحالة بغيبة اوفضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه ، فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه، وأنما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ، ولذا قال بعضهم لشيخه أبى عثمان المغربى: ان لسانى فى بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل ، فقال اشكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك فى خير وعوده الذكر، ولم يستعمله فى الشر ولم يعودها الفضول.

وَفى نسيان الذنب بعد التوبة وهو الأولى للمبتدىء تحاميا عن تحريك الميل
وما روى من كثرة نوح المنتهين وبكائهم فلا يقاس الملائكة بالحدادين وأفضل
التائبين المستقيم الى الموت مبالغا فى اجتناب غير الزلات فهو سابق بالخيرات

انتهى . فاياك أن تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك فى العبادات ، فهذه مكيدة روجها الشيطان بلعبه على المغرورين ، وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل التفطن فى الخبايا والسرائر ، فاى خير فى ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان ﴿ وفى ﴾ أى وكذا اختلاف فى ﴿ نسيان الذنب ﴾ وذكره ﴿ بعد التوبة ﴾ ايهما اولى ، وانما قيد بما بعد التوبة فان النسيان قبلها مذموم اجماعا قال تعالى: (ونسى ماقدمت يداه) فقال قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك ﴿ وهو ﴾ أى نسيان الذنب ﴿ الاولى للمبتدىء تحاميا عن تحريك الميل ﴾ أى احتراسا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولان المذنب اذا نسيه لم يكثر احترازاته ، ولا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله ، فهو بالاضافة الى الغافل كمال ، ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق ﴿ وماروى ﴾ مبتدأ أى وما نقل ﴿ من كثرة نوح المنتهين ﴾ من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ﴿ وبكائهم ﴾ حال كثرة دعائهم والخبر ﴿ فلا يقاس ﴾ فى سلوك طريق الدين ﴿ الملائكة بالحدادين ﴾ فان صدور البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء انما كان لتعليم امتهم حتى لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء . هذا وقد اخرج ابن المبارك وابن أبى حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول : يا ابن آدم اذا عملت حسنة فاله عنها فانها عند من لا يضيعها ، واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك ﴿ وافضل التائبين المستقيم ﴾ على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات ﴿ الى الموت ﴾ أى انقضاء الحيا من غير نقصان الفوت ﴿ مبالغا فى اجتناب غير الزلات ﴾ التى لا ينفك البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات ، وانما المبالغة مطلوبة فى جانب المحظورات لما ورد « اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » ﴿ فهو ﴾ أى المستقيم ﴿ سابق بالخيرات ﴾ ومسارع الى المبرات

وَالنَّفْسُ مُطْمَئِنَّةٌ وَيَزْدَادُ الفَضْلُ بِطُولِ العُمُرِ وَالمُجَاهَدَةِ فَوَرَدَ «أَفْضَلُ السَّادَاتِ طُولُ العُمُرِ فِى طَاعَةِ اللهِ» وَالسَّلَامَةُ بِقُرْبِ المَوْتِ ثُمَّ المُعَاوِدُ فِى بَعْضِ الذَّنْبِ المُجَدِّدُ لِلتَّوْبَةِ مُبَالِغًا وَهُوَ المُفْتَتَنُ التَّوَّابُ وَالنَّفْسُ لَوَّامَةٌ

مستبدل لسيئاته بالحسنات . وفى الكلام ايماء الى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا التائب الموصوف بهذه الصفات ﴿ مطمئنة ﴾ راضية مرضية فى رياض التوبة ، واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم فى القوة ، فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك ضراعها ، ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها . ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر . ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده فى أمره ، وتكثر حسناته وتستمر استقامته . ومنهم من يقصره عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره فى الطاعات وقصوره ، وهذا معنى قوله ﴿ ويزداد الفضل ﴾ أى فضل التائب ﴿ بطول العمر ﴾ أى ان طال عمره فى مكابدة الطاعة ﴿ والمجاهدة ﴾ مع النفس فى العبادة ﴿ فورد أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله ﴾ أى فى العبادات ، والحديث لم اعرفه . وقد ورد « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » رواه الطبرانى وأبو نعيم عن عبد الله بن بسر ﴿ والسلامة ﴾ عطف على الفضل ، أى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع فى المعصية والملامة ﴿ بقرب الموت ﴾ وقصر العمر وتمام الامر ونقصان الاجر . وقد طلب بعض الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة ، وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة ، والتسليم اسلم ، فى الدعاء المأثور « اللهم احينى ما كانت الحياة خير الى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى واجعل الموت راحة لى من كل شر واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير » ﴿ ثم المعاود ﴾ عطف على المستقيم أى ثم الافضل المعاود ﴿ فى بعض الذنب المجدد للتوبة ﴾ رجوعا الى الرب ﴿ مبالغا ﴾ فى تجديد التوبة ﴿ وهو ﴾ أى كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة ﴿ المفتتن التواب ﴾ أى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقى عن على مرفوعا « خيار كم كل مفتن تواب » ﴿ والنفس ﴾ اى نفس هذا التائب المعاود فى بعض الذنوب ﴿ لوامة ﴾ تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التى فيها سلامة وهو المقتصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهى أغلب احوال التائبين لان الشر

ثُمَّ التَّائِبُ عَنِ البَعْضِ المُسَوِّفُ فِى الآخَرِ المُتَنَدِّمُ بَعْدَ الارْتِكَابِ القَاصِدُ لِلتَّوْبَةِ فَهُوَ المُخَالِطُ وَالنَّفْسُ مُسَوِّلَةٌ وَهُوَ عَلَى الخَطَرِ فِى الخَاتِمَةِ فَإِنْ مَاتَ تَائِبًا فَازَ وَإِلَّا فَفِى مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى بِخِلَافِ الأَوَّلِينَ فَهُمَا فَائِزَانِ، وَأَمَّا المُرْتَكِبُ المُصِرُّ النَّاسِى لِلتَّوْبَةِ وَعَزْمِهَا فَهُوَ الغَافِلُ

معجون فى طينة البشر ، وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات . واما أن تخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية العبد من حيث العادات، فهؤلاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) أى الصغائر (ان ربك واسع المغفرة) وفى الخبر .

ان تغفر اللهم فاغفر جما . وأى عبد لك لا ألما

وقد قال عز وعلا فى مقام المدح والثناء (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله) الآية ، فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسرهم ﴿ثم التائب﴾ عطف على المعاود او المستقيم اى الافضل بعدهما التائب ﴿عن البعض﴾ أى بعض الذنوب ﴿المسوف﴾ اى المؤخر بالتوبة ﴿فى الآخر﴾ أى فى البعض الآخر من الذنوب ﴿المتندم﴾ أى مظهر الندامة ﴿بعد الارتكاب﴾ اى اكتساب المعصية ﴿القاصد﴾ اى الناوى ﴿للتوبة فهو المخالط﴾ الداخل فيمن قال الله فى حقه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم) وهو ظالم لنفسه ﴿والنفس﴾ أى نفس هذا الغافل ﴿مسولة﴾ أى مزينة للمعصية ومسهلة لتأخير التوبة وقد قال تعالى (أولئك هم الغافلون لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) فالخسارة مترتبة على الغفلة ﴿وهو على الخطر فى الخاتمة فان مات تائبا فاز﴾ بالجنة وظفر بالمثوبة ﴿والا﴾ أى وان لم يتب ومات ﴿ففى مشيئة الله تعالى﴾ ان شاء عفا عنه بلطفه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه ﴿بخلاف الاولين﴾ أى صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة ﴿فهما فائزان﴾ بالجنة والسلامة فى العاقبة ﴿واما المرتكب﴾ للمعصية ﴿المصر﴾ عليها من غير التوبة ﴿الناسى للتوبة﴾ اى التارك لها بنفسها ﴿وعزمها﴾ اى والعزم عليها ﴿فهو﴾ الذى اسمه ﴿الغافل﴾

وَالنَّفْس أَمَّارَة بِالسُّوء يَخْشَى عَلَيْه سُوء الخَاتِمَة وَيَجُوز شُمُولُ العَفْو إِيَّاهُ كَنَيْلِ الكَنْزِ بِلَاطَلَب لَكِن التَّوَقُّع حَمَاقَة فَوَرَد (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعَى)

عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمى « ان لله ملكا ينادى فى كل يوم وليلة ابناء الاربعين زرع قددنا حصاده » الحديث وفيه « ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فيتذاكروا » الحديث ﴿ والنفس ﴾ أى نفسه ﴿ امارة ﴾ أى كثيرة الأمر ﴿ بالسوء ﴾ اى بالمعصية ﴿ يخشى عليه سوء الخاتمة ﴾ من الموت على الفسق اوالكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك ﴿ ويجوز شمول العفو ﴾ من الله ﴿ اياه ﴾ أى الغافل ولكنه نادر لايقع فى الاغلب بلا سبب ﴿ كنيل الكنز ﴾ اى كوصوله للكنز ﴿ بلا طلب ﴾ وكمن يحصل له العلم اللدنى بمجرد الجذب الالهى ﴿ لكن التوقع ﴾ للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان الطاعة ﴿ حماقة ﴾ اى غرور وجهالة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وان ليس للانسان الا ماسعى ﴾ وفق ماقدره الله له وقضى ، فلابد من فعل الطاعة وترك المعصية اوالرجوع عنها بالتوبة ، والافما قبته خطرة ، فربما يختطف قبل التوبة و يقع امره فى المشيئة ، فان تداركه الله بالرحمة وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ، وأن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ماسبق عليه من القول الاول فى قضاء الازل ، لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين ، فيضعف الرجاء فى حقه من ذلك الحين ، واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له فى الازل أن يكون من جملة العالمين ، فكذا ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب ، كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى تستحق به المناصب العلية فى الدنيا بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والموظبة على طلب العلم ، فكما لايصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة الانفس صارت فقيهة بطول التفقه ، فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الاقلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير ، هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال تعالى (ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب

وَلَا يَتْرُكُهَا لِخَوْفِ الْعَوْدِ لِجَوَازِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ وَغُفْرَانِ السَّالِفَةِ فَوَرَدَ «خِيَارُكُمْ الْمُفْتَتَنُ التَّوَّابُ» أَيْ كَثِيرُ الابْتِلَاءِ بِالذَّنْبِ وَكَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَسَبَبُ الاسْتِقَامَةِ الرِّيَاضَةُ وَالْمُرَابَطَةُ فَوَرَدَ . (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

من دساها) فالمخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ماقبله ، اذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والاوقع فى المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج من دار الغرور. فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخاصون . والمخاصون كلهم على خطر عظيم ﴿ ولا يتركها ﴾ أى التوبة ﴿ لخوف العود ﴾ أى لمخافة الرجعة الى المعصية ﴿ لجواز الموت قبله ﴾ اى قبل عوده الى ذنبه ﴿ وغفران السالفة ﴾ اى السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب الى ربه . وهذا الترك من خدوع الشيطان . فانه من اين له هذا العلم ، فعسى أن يموت تائبا عن الذنب ويصير حبيبا للرب مع أن الخوف من العود لاضرر فيه بل فيه منفعة ، فعلى العبد العزم والصدق فى الجزم ، وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرم ، فان اتم فهو المطلوب الاعلى ، وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى ، فالعبد من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين ﴿ فورد ﴾ عن على مرفوعا ﴿ خياركم المفتتن ﴾ بصيغة المجهول . وفى رواية المفتن بالادغام ﴿ التواب ﴾ رواه البيهقى فى شعبه ﴿ أى كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه ﴾ أى طاعة الرب وفى خبر آخر «المؤمن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا» رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث انس . وللبيهقى والطبرانى من حديث ابن عباس باسانيد حسنة «لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الهيئة بعد الفيئة» أى الحين بعد الحين . فالفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من العثرات ومقارفة السيئات المختطفات ، فللترمذى والحاكم وصححه من حديث أنس «كل بنى آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون» وللطبرانى والبيهقى من حديث جابر «المؤمن واه راقع فسعيدهم من مات على رقعه» أى واه بالمعصية والملامة راقع بالتوبة والندامة ﴿ وسبب الاستقامة الرياضة ﴾ وهى تهذيب الاخلاق ﴿ والمرابطة ﴾ وهى الاقامة بالمجاهدة والاستدامة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ياايها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات وعن السيئات ، وفى المصيبات ﴿ وصابروا ﴾ أى وغالبوا

وَرَابِطُوا) أَيْ أَنْفُسَكُمْ بِالْمُشَارَطَةِ وَهُوَ وَصِيَّةُ النَّفْسِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ نَحْوَ أَنْ لَا بِضَاعَةَ لَكَ سِوَى الْعُمُرِ وَالْأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ وَالْمَاضِي لَا يَعُودُ وَالْوَقْتُ ضَيِّقٌ وَالتَّمَنِّي غَيْرُ نَافِعٍ وَتَوْظِيفُ الْعَمَلِ وَشَرْطُ الشُّرُوطِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ فَالْأَعْلَى أَنْ يَصِيرَ مَغْلُوبًا بِالِاسْتِغْرَاقِ بِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الِالْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ

الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر وحدة الامر ﴿ ورابطوا أى انفسكم بالمشارطة ﴾ أى مع النفس بالمداومه على الطاعة والمواظبة على العبادة فى كل يوم وساعة خوفا عليها من ضياع البضاعة . والتحقيق ان المرابطة ربط النفس على الارتحال والفناء؛ والقلب على اغتنام العبادات والتأهب ليوم الجزاء ، وهو معنى قوله ﴿ وهو ﴾ أى ربطها بالمشارطة ثلاثة اشياء : منها ﴿ وصية النفس ﴾ أى وصيته بها ﴿ فى أول النهار ﴾ بل فى كل نفس من الاعمار ﴿ نحو ان لا بضاعة لك ﴾ اى ليس لك رأس مال ﴿ سوى العمر ﴾ وهو ايام غير ممدودة ﴿ والانفاس ﴾ أى والحال أن انفاسه ﴿ معدودة ﴾ لا تزيد ولا تنقص ﴿ والماضى لا يعود ﴾ فى الوجود ﴿ والوقت ضيق ﴾ فى ميدان الشهود ﴿ والتمنى ﴾ بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا ، او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب العلمية والعملية ﴿ غير نافع ﴾ بعد الورود ﴿ و ﴾ منها ﴿ توظيف العمل ﴾ بان يجعل فى كل وقت عملا ينفعه فى العقبى او يعينه على الطاعة فى الدنيا ﴿ و ﴾ منها ﴿ شرط الشروط عليه ﴾ أى على نفسه فحذف لفظ النفس فاتى الجار على ضميره فصار عليه ، ولا يبعد أن يكون الضمير راجعا الى العمل ، والمعنى يقول لها : ان كذبت فعليك صوم ثلاثة ايام ، وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما ﴿ ثم ﴾ المرابطة ﴿ بالمراقبة ﴾ وهى مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بفعاله ﴿ فى الحركات والسكنات ﴾ فلا يتحرك ولا يسكن الا بما يرضاه الحق فى تلك الساعات من العبادات والطاعات ﴿ فالاعلى ﴾ أى اعلى انواع المراقبة ﴿ ان يصير ﴾ العبد ﴿ مغلوبا بالاستغراق به ﴾ من ذكره وفكره ﴿ تعالى وعدم الالتفات الى ماسواه ﴾ أى سوى الله وما عداه ، وهذا مراقبة المقربين من الصديقين ، وهو مراقبة التعظيم والاجلال ، بان يصير القلب فى جميع الاحوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ، ومنكسرا تحت الهيبة والعظمة فى المشاهدة ، فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج

ثُمَّ أنْ يَكُونَ تَحتَ حُكْمِ الشَّرْعِ فَيَنظُرُ قَبْلَ العَمَلِ فِى أَوَّلِ خَاطِرٍ فَيُتِمُّ مَاهُوَ لَهُ تَعَالَى وَيَترُكُ مَاسِوَاهُ وَيَنْظُرُ عِنْدَهُ فَفِى الطَّاعَةِ يُخَلِّصُ النِّيَّةَ وَيُرَاعِى الْأَدَبَ وَفِى الْمَعْصِيَةِ يَستَحِى وَيَتُوبُ وَيُكَفِّرُ وَفِى الْمُبَاحِ يُرَاعِى النِّيَّاتِ وَالْآدَابَ ثُمَّ بِالمُحَاسَبَةِ فِى آخِرِ النَّهَارِ وَهُوَ النَّظَرُ بَعدَ العَمَلِ فَوَرَدَ «حَاسِبُوا أنْفُسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا» لِلْعَاقِلِ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا ثُمَّ بِالْمُعَاقَبَةِ فَبِالْجُوعِ انْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهَرِ

الى المجاهدة، وهذا الذى صارهمه واحدا وكفاه الله سائر همومه أبدا ، ومن نال هذه الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة الخلق ، فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه ، ولا يسمع مايقال له مع أنه لا صمم فى اذنيه ﴿ ثم ﴾ الاعلى من انواع المراقبة ﴿ ان يكون تحت حكم الشرع ﴾ خارجا عن تحكم الهوى والطبع ، وهذه مراقبة الورعين من اصحاب اليمين ﴿ فينظر ﴾ و يتأمل ويتفكر ﴿ قبل العمل فى اول خاطر ﴾ يخطر ﴿ فيتم ماهو له تعالى ﴾ وفيه رضاه ﴿ و يترك ماسواه ، وينظر ﴾ أيضا ﴿ عنده ﴾ أى عند الشروع فى العمل طاعة اوغيرها ﴿ ففى الطاعة يخلص النية ﴾ ويصفى الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير الرياء والسمعة ، ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد «الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه» ﴿ ويراعى الادب ﴾ فى حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط فى بساط الانبساط ﴿ وفى المعصية يستحيى ﴾ من الرب ﴿ ويتوب ﴾ من الذنب ﴿ ويكفر ﴾ بما يناسبه ان صدرت عنه ﴿ وفى المباح يراعى النيات ﴾ فان المباحات بتحسين النيات تصير عبادات ﴿ والآداب ﴾ بان لا يتجاوز عن الضرورات ﴿ ثم ﴾ مرابطة النفس ﴿ بالمحاسبة فى آخر النهار ﴾ اوفى آخر كل نفس وساعة ﴿ وهو النظر بعد العمل ﴾ من الحسنات والسيئات ﴿ فورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ﴾ وهو اثر عن عمر كما تقدم وقد قال تعالى «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله» ﴿ للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها ﴾ أى وساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يفضى فيها الى بعض اخوانه الذين يبصرونه بعيوبه ، وساعة يخلو فيها بينه و بين شهواته وقد تقدم ﴿ ثم ﴾ مرابطة النفس ﴿ بالمعاقبة ﴾ لها ﴿ فبالجوع ﴾ يعاقبها ﴿ ان اكل حراما والسهر ﴾ اى ويعاقبها

إنْ نَظَرَ حَرَاماً وَنَحْوَهُ فَلَوْ سَاهَلَ سَهُلَ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ ثُمَّ بِالْمُجَاهَدَةِ بِأَدَاءِ الْوِرْدِ عِنْدَ اسْتِثْقَالِ النَّفْسِ بَلْ بِالزِّيَادَةِ كَأَحْيَاءِ لَيْلَةٍ عِنْدَ التَّوَانِي عَنْ حِفْظِ جَمَاعَةٍ أَوْ أَدَاءِ نَافِلَةٍ . ثُمَّ بِالْمُعَاتَبَةِ بِمِثْلِ يَانَفْسُ أَلَا تَسْتَحِينَ مِنْهُ تَعَالَى أَلَكِ طَاقَةٌ بِعَذَابِهِ الأَلِيمِ وَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَالأَصْلُ الاسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى مُتَضَرِّعاً بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى مُتَبَرِّئاً عَنِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، قِيلَ مَنْ جَاهَدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ لَا يَبْتَلِي ثَامِنَةً وَقِيلَ مَنِ اسْتَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ لَا يَعُودُ

بالسهر ﴿ ان نظر حراما ونحوه ﴾ بان رقد عن التهجد ﴿ فلو ساهل ﴾ التائب فى هذه المعاقبة ﴿ سهل عليه الرجوع ﴾ اى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة ، فقد عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم ، وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة فى جماعة احيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ﴿ ثم ﴾ المرابطة ﴿ بالمجاهدة ﴾ وهى مخالفة النفس ﴿ باداء الورد ﴾ من أنواع الطاعات والعبادات ﴿ عند استثقال النفس ﴾ عن بعض المأمورات ﴿ بل بالزيادة ﴾ على المواظفات ﴿ كاحياء ليلة ﴾ فى عبادة ﴿ عند التوانى ﴾ اى التساهل والتكاسل ﴿ عن حفظ جماعة ﴾ كان يحفظها ﴿ أو اداء نافلة ﴾ كان يفعلها ﴿ ثم ﴾ المرابطة ﴿ بالمعاتبة بمثل يانفس ﴾ بالضم او بالكسر اى يانفسى ﴿ الا تستحين منه تعالى ﴾ فى ترك طاعته او فعل معصيته ﴿ الك طاقة بعذابه الاليم ﴾ المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم ﴿ والكل ﴾ اى جميع ما ذكر من انواع المرابطات ﴿ مأثور ﴾ عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس ، والرياضات فى مقام الطاعات ﴿ والاصل ﴾ المعتبر فى تحصيل الاستقامة ﴿ الاستعانة به تعالى ﴾ والاستعانة بكرمه سبحانه ﴿ متضرعا بين يديه تعالى ﴾ اى حال عبادته وطاعته ﴿ متبرئا عن الحول والقوة ﴾ من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فاياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفى الجملة الأولى رد على الجبرية وفى الثانية على القدرية ﴿ قيل ﴾ اى فى باب الاستقامة ﴿ من جاهد ﴾ فى ترك المعصية ﴿ سبع مرات لا يبتلى ﴾ بالذنب ﴿ ثامنة ﴾ أى مرة ثامنة ، وبه تحصل الاستدامة ﴿ وقيل من استقام ﴾ على التوبة ﴿ سبع سنين لا يعود ﴾ الى المعصية فى جميع عمره

ثُمَّ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَوَرَدَ (تُوبُوا الى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ) وَالانَابَةُ مِنَ الغَفْلَةِ وَهِيَ لِلْمُقَرَّبِينَ فَوَرَدَ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وَالْأَوْبَةُ مِنْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ وَهِيَ لِلْمُرْسَلِينَ فَوَرَدَ (نِعْمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ أَوَّابٌ) ثُمَّ التَّقْوَى أَعَمُّ مِنْهَا فَالْمُمْتَنِعُ عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ قَبْلُ مُتَّقٍ لَا تَائِبٌ *

وهو قول فرقد السنجي ﴿ثم التوبة﴾ في عرف المحققين ﴿من الذنب وهي للمؤمنين﴾ خاصة حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) او عامة ﴿فورد﴾ في التنزيل (توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) لعلكم تفلحون ﴿والانابة من الغفلة﴾ الى الحضور ﴿وهي للمقربين فورد﴾ في التنزيل (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) وقوله خر راكعا وأناب ﴿والاوبة من رؤية التقصير﴾ في الطاعة ﴿وهي للمرسلين فورد﴾ في التنزيل (ووهبنا لداود سليمان) ﴿نعم العبد انه اواب﴾ وكذا في حق ايوب (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) وقد يستعمل في حـــق المؤمنين المقربين كقوله تعالى (ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا) ﴿ثم التقوى اعم منها﴾ اي من التوبة وهي اخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا ﴿فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل﴾ اي قبل وقته ﴿متق لا تائب﴾ والمجتنب بعد ارتكابه تائب ومتق، اما كونه تائبا فظاهر، واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب. والله سبحانه اعلم. وأما ما في الاحياء من انه يجب على كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم، ويميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما يشغلهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه، بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه، فان العلماء ورثة الانبياء و الانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا بعد واحد فيرشدونهم، فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه مالم يعرفه غيره. وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف في الكتاب والسنة انه فرض عين

بل ولا فرض كفاية وانما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوه لاهله وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال تعالى (فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقال (واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) لتبيننه للناس ولاتكتمونه واما معنى قوله عليه السلام «العلماء ورثة الانبياء» فهو انهم لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون فى مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة ، هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء فى زماننا صاروا مرضى بالداء الذى ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ، ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهى الدهياء المعضلة والعلماء العاملون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسأل الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء.

ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء ، وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصنى ، فقال انا اوصيك بان تكون ملكا فى الدنيا والآخرة ، فقال : كيف لى بذلك ؟ فقال الزم الزهد فى الدنيا، وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك ، اما بعد فانى سمعت رسول الله عليه السلام يقول: من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، والسلام عليك . والحديث رواه الترمذى والحاكم، وكتبت اليه مرة اخرى : أما بعد فاتق الله فانك أن اتقيت الله كفاك الناس، وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام . وهو مقتبس من قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) ومن قوله سبحانه (انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا) وقال لقمن لابنه : يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولاتجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك ، وانفق فضول كسبك لآخرتك ، ولاترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا ، وعلى اعناق الرجال كلا ، وصم صوما تكسر شهوتك، ولاتصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم . وقال أيضا يابنى لاتضحك من غير عجب ولا تمش فى غير ارب ، ولاتسأل عما لايعنيك ، ولاتضيع مالك . وتصلح مال غيرك فان مالك ماقدمت ، ومال غيرك ماخلفت . يابنى من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم اوصنى، فقال: كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه، وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة

﴿ البَابُ السَّابع عَشَرَ فى الصَّبْرِ وَالرِّضَاء وَالشُّكْر ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الصَّبْرُ ثَبَاتُ بَاعِثِ الدِّينِ فى مُقَابَلَةِ بَاعِثِ الهَوَى

فاجتنبه. وقال رجل لحامد اللفاف . اوصنى، فقال: اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات. قال : وماغلاف الدين؟ قال : ترك طلب الدنيا الى مالابدمنه ، وترك كثرة الكلام الا فيما لابدمنه وترك مخالطة الناس الا فيما لابد منه ، وكتب الحسن الى عمر ابن عبد العزيز . أمابعد نخف ماخوفك الله ، واحذر ماحذرك الله وخذ ماقى يديك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز : امابعد فان الدنيا دار عقوبة، ولها يجمع من لاعقل له، وبها يغتر من لاعلم عنده ، فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة : امابعد فان الدنيا عدوة اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله، اما أولياء الله فغمتهم ، واما أعداؤه فغرتهم. ومجمل الكلام فى هذا المقام من المرام أن من اعطى قلبه حسن الاصغاء ، واستشعر الخوف واتقى، وانتظر المثوبة الاسنى ، وصدق بالحسنى ، فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ، ثم لايغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى ، وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى، وانما لله الآخرة والاولى.

﴿ الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على ثلاثة وابتلائه ، والرضاء بحكمه وقضائه ، والشكر على نعمائه وآلائه . وقد أجتمع الثلاثة فى حديث عطاء عن ابن عباس « لما دخل عليه السلام على الانصار فقال أمؤمنون انتم؟ فسكتوا ، فقال عمر نعم يارسول الله، قال وما علامة ايمانكم؟ فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه السلام : مؤمنون ورب الكعبة » رواه الطبرانى فى الاوسط ﴿ الصبر ﴾ وهو حبس النفس عن الامر ﴿ ثبات باعث الدين ﴾ من قصد الامتثال، ثم خوف النار، ثم طمع الجنة، ثم رجاء اللقاء، وهذا كله طريق أهل الهدى وهو اسم لجميع مايقرب العبد الى المولى ﴿ فى مقابلة باعث الهوى ﴾ من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة فالهوي هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد

فَأَمَّا بِالجِسْمِ عَنِ الشَّاقِّ كَالعِبَادَةِ أَوْ عَنِ المَصَائِبِ وَأَمَّا بِالنَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ فَعَنِ الشَّهْوَتَيْنِ عِفَّةٌ وَعَنِ احْتِمَالِ المَكْرُوهِ صَبْرٌ مُطْلَقًا

هوى النفس والطبع ، وقيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو صبر النفس على ماتكره ، وصبر الخواص وهو تجرع المرارات من غير تعبس ، وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء ، وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب فى الثبات على الولاء وتلقى مراقضيته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة ه وينقسم اقساما صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجره ، وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه ، وصبر على الله وهو الركون الى وعده فى كل شىء من أمره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذؤم كما قيل ه

الصبر يحمد فى المواطن كلها الاعليك فانه مذموم

أى الاعنك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضاء فى جميع ابواب القضاء كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ماارید لما يريد

وقال الجنيد : المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد وحكى عن بعض العارفين أنه سئل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله قال لا فقال الصبر مع الله قال لا فقال فاى شىء ، قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة ، كادت روحه تتلف وقد قيل فى معنى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا) اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء * وانشد

الصبر عنك مذموم عواقبه والصبر فى سائر الاشياء محمود

﴿ فاما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالجسم عن ﴾ الامر ﴿ الشاق ﴾ على البدن ﴿ كالعبادة اوعن المصائب ﴾ البدنية ﴿ وأما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالنفس ﴾ طالبا للثواب أوهربا من العقاب ﴿ عن الشهوة ﴾ أى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما ﴿ فعن الشهوتين ﴾ المذكورتين يقال له ﴿ عفة وعن احتمال المكروه ﴾ بموت الاقارب ونحوه يقال له ﴿ صبر مطلقا ﴾ أى وهو الفرد الكامل فى هذا الباب كما اطلق

وَضِدُّ الصَّبرِ الجَزَعُ وَالْهَلَعُ وَفى الغنَى ضَبْطُ النَّفس وَضِدُّه البَطَرُ وَفى الحَرْب شَجَاعَةٌ وَضِدُّه الجُبنُ وَفى كَظْم الغَيظ حِلْمٌ وَضِدُّه التَّهورُ وَفى نَوَائب الزَّمَان سَعةُ الصَّدر وَضِدُّه ضِيقُه والتَّضجرُ والتَّبرمُ وفى اخْفَاء الأمر كِتْمَانٌ وَضِدُّه الاظْهَارُ وَفى فُضُول العَيْش زُهدٌ وَضِدُّه الحِرْصُ وَفى اليَسِير مِنَ الدُّنيَا

فى منزل الكتاب (وبشر الصابرين) الآية فاقتصر حينئذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم خاص ﴿ وضد ﴾ أى نقيض ﴿ الصبر الجزع ﴾ وهو محركة الفزع ﴿ والهلع ﴾ بفتحتين الخش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها ومنه قوله تعالى(أن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) وظاهر الآية أن الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما ﴿ وفى الغنى ﴾ أى ويقال فى احتمال الغنى وتحمله من البلوى ﴿ ضبط النفس ﴾ تحت الشرع والعقل والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى ﴿ وضده البطر ﴾ بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة ومنه قوله تعالى(كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ﴿ وفى الحرب ﴾ أى والصبر فى مواطن الحرب يقال له ﴿ شجاعة ﴾ وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة ﴿ وضده الجبن ﴾ وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقابلة ﴿ وفى كظم الغيظ ﴾ أى تحمل الغضب ﴿ حلم ﴾ وعفو ﴿ وضده التهور ﴾ صوابه ما فى الاحياء من جعل ضده سفها وأما التهور فهو التجاوز عما يقتضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم فى الشريعة قال تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) فان الخلق الحسن هو المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط (والتدمر) وهو المترتب على التهور هو قبول الدمار وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شىء بامر ربها ﴿ وفى نوائب الزمان ﴾ أى حوادث الدهر وآفات الدوران ﴿ سعة الصدر ﴾ وهو كناية عن كمال التحمل فى الامر ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى (الم نشرح لك صدرك) ﴿ وضده ضيقه ﴾ أى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) قرىء بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) فالثلاثة الفاظ مترادفة او متقاربة ﴿ وفى اخفاء الامر كتمان وضده الاظهار ﴾ والافشاء ﴿ وفى فضول العيش زهد ﴾ وهو عدم الرغبة وقلة المحبة ﴿ وضده الحرص ﴾ على الزيادة ﴿ وفى اليسير من الدنيا ﴾ أى فى القليل من فضول

قَنَاعَةٌ وَضِدُّهُ الشَّرَهُ وَوَرَدَ (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الإِيمَانُ هُوَ الصَّبْرُ وَهُوَ لِدُخُولِ أَكْثَرِ أَخْلَاقِهِ فِيهِ الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ وَهُوَ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْمَعَارِفِ

الدنيا ﴿قناعة وضده الشره﴾ بفتحتين وهو الحرص على طلب الكثير ﴿وورد﴾ في التنزيل ﴿انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب﴾ وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون، وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير، وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد أنه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه كما يشير اليه قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله) ﴿الايمان﴾ أي معظم خصال أهل الايمان ﴿هو الصبر﴾ لم اعرفه وفي رواية الديلمي عن أنس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقي عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له ﴿وهو﴾ أي كون الايمان هو الصبر ﴿لدخول اكثر اخلاقه﴾ أي اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع في المصيبة ﴿فيه﴾ أي في الصبر وللاكثر حكم الكل أمر مقرر، وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء أي المصيبة والضراء أي الفاقة وحين البأس أي الحاربة ﴿الصبر نصف الايمان﴾ رواه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود. وللديلمي والبيهقي في الشعب عن انس «الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر» وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان: نسك وورع، فالنسك ما امرت به الشريعة، والورع ما نهت عنه. انتهى، والحديث مقتبس من قوله تعالى (أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن. وفي تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم، وأنه افضل كما تقدم والله أعلم ﴿وهو﴾ أي وكون الصبر نصف الايمان ﴿لاطلاقه﴾ أي الايمان ﴿على المعارف﴾ اليقينيات من الاعتقادات

وَالْأَعْمَال وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ الَّا بِثَبَات بَاعِث الدِّين فَهُوَ نصْفُ الايمَان وَلَاطلَاقه عَلَى الْأَحْوَال الْمُثْمِرَة لِلْاعْمَال وَانَّ مَا أصَابَ امَّا نَافِعٌ وَامَّا ضَارٌّ وَفِيهِمَا الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ فَهُمَا نِصْفَانِ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِابْتِنَاء الْعِبَادَة عَلَيْه فَالدُّخُولُ فِيهَا لِقَمْعِ النَّفْس وَالاتْمَامُ أشَدُّ وَلِأنَّ الدُّنْيَا دَارُ محْنَة وَالْجزَعُ شَاغِلٌ وَلِأنَّ طَلَبَ الْآخرَة أشَدُّ ابْتلَاء فَوَرَدَ «أشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ

﴿ والاعمال ﴾ الصالحات من العبادات ﴿ ولا تتم الاعمال ﴾ للمجتهدين ﴿ الا بثبات باعث الدين ﴾ من الهدى فى مقابلة باعث الهوى ﴿ فهو ﴾ أى الصبر ﴿ نصف الايمان ﴾ بهذا الاعتبار ، والترتيب بين النصف الاول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع ﴿ و ﴾ أيضا ﴿ لاطلاقه ﴾ أى الايمان ﴿ على الاحوال ﴾ من استيلاء تلك المعارف وهى الرضاء والهيبة والانس والشوق ﴿ المثمرة للاعمال ﴾ لا على المعارف والعوارف من مقامات الرجال . وفى الاحياء : أن جميع مقامات الدين ومنازل السالكين أنما ينتظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال ؛ فالمعارف هى الاصول فهى تورث الاحوال ، والاحوال تثمر الاعمال ، فالمعارف كالاشجار ، والاحوال كالاغصان ، والاعمال كالاثمار ﴿ وأن ما ﴾ اى لاجل أن ما ﴿ أصاب ﴾ السالك من النعم الدنيوية ﴿ اما نافع ﴾ فى الدنيا والآخرة كالطاعات والمباحات ﴿ واما ضار ﴾ فيهما كالمصائب والسيئات ﴿ وفيهما ﴾ أى النافع والضار ﴿ الشكر ﴾ للعبد بالاضافة الى ماينفعه ﴿ والصبر ﴾ بالنسبة الى مايضره وهما لا يحصلان الا بتلك الاحوال ﴿ فهما نصفان ﴾ لتلك الاحوال باعتبار ماذكر من الاقوال ﴿ ولا بد ﴾ للعبد ﴿ منه ﴾ أى من الصبر ﴿ لابتناء العبادة ﴾ من الصلاة والصوم وسائر أسباب السعادة ﴿ عليه ﴾ أى على الصبر ﴿ فالدخول فيها ﴾ أى فى العبادة ﴿ لقمع النفس ﴾ لتكميلها ونفعها ﴿ والاتمام ﴾ أى اتمام العبادة بعد الدخول فيها ﴿ أشد ﴾ من دخولها فى باب الارادة والقمع والاتمام أنما يتأتى بالصبر فى المقام ﴿ ولان الدنيا دار محنة ﴾ فمن كان فى الدنيا فلا بدله من الابتلاء بشدائدها ومصائبها والصبر على جميع مراتبها لتحصل العبادة ومناقبها ﴿ والجزع شاغل ﴾ عن العبادة التى هى غاية المنحة ﴿ ولان طلب الآخرة أشد ابتلاء فورد : أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ﴾

ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ وَهُوَ عَنِ الحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَنِ المَكْرُوهِ نَفْلٌ ثُمَّ هُوَ فِي النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِتَرْكِ المَيْلِ وَرِعَايَةِ حَقِّهِ تَعَالَى وَهُوَ الشُّكْرُ

ثم الامثل ﴾ كالعلماء ﴿ فالامثل ﴾ كالصلحاء رواه الترمذى وقال: حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم، لكنه بدون لفظ الاولياء. وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين: هذه قسمة ما اريد بها وجه الله، فاخبر به عليه السلام فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام «رحم الله أخى موسى قد اوذى با كثر من هذا فصبر» متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه السلام «صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك» وقد تقدم. وقال عيسى عليه السلام: لقد قيل لكم من قبل - يعنى فى التوراة - ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالانف، وانا اقول لكم: لا تقاوموا الشر بالشر، بل من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين. انتهى. ولا يخفى أن عيسى عليه السلام كان مظهرا للجمال، كما أن موسى عليه السلام كان مظهر الجلال، ونبينا ﷺ كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال، فاحكامه فى غاية الاعتدال، والله سبحانه أعلم بحقائق الاحوال ﴿ وهو ﴾ أى الصبر ﴿ عن الحرام واجب ﴾ أى فرض لازم ﴿ وعن المكروه ﴾ أى كراهة تنزيه ﴿ نفل ﴾ بل مستحب، أما عن المكروه كراهة تحريم فواجب، وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم. وفى الاحياء أن الصبر ينقسم أيضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم، فالصبر عن المحظورات فرض، وعن المكاره نفل، والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيهيج غيرته فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على اهله فهذا الصبر محرم، والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذى هو نصف الايمان، ولا ينبغى ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع مخصوصة ﴿ ثم هو ﴾ اى الصبر ﴿ فى النعم الدنيوية ﴾ انما يحصل ﴿ بترك الميل ﴾ اليها ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه فى تحصيلها ﴿ ورعاية حقه تعالى ﴾ فيها لصرفها الى طاعته وعبادته ﴿ وهو الشكر ﴾ اى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل.

ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والآخر ما لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج الى الصبر فى كل واحـــد

وَفى الطَّاعَة بِصَوْن النِّيَّةِ وَالأَدَاء وَالثَّوَاب عَن الرِّيَاء وَالتَّكَاسُل وَالافْشَاء وَنَحْوهَا وَفى الْمَعْصِيَة بِالرِّيَاضَة وَفى مُصِيبَة يُمْكِن الْمُجَازَاة بِالتَّحَمّل بِتَرْك الْمُكَافَأَة قَوْلاً وَفعلاً

منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا ، وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور ، فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان ، ويجر انه الى أنواع من العصيان كما قال تعالى (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وقال بعض العارفين: البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لايصبر عليها الا الصديق . ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة قالوا : ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا ؛ وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وقال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة محزنة » رواه أبو يعلى الموصلى من حديث أبى سعيد ،ولاصحاب السنن من حديث بريدة باسناد حسن أنه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال . صدق الله (انما اموالكم واولادكم فتنة) أنى لما رأيت ابنى يتعثر لم املك نفسى أن اخذته » فى ذلك عبرة لاولى الابصار ﴿ و ﴾ الصبر ﴿ فى الطاعة ﴾ أى العبادة ﴿ بصون النية ﴾ أى بحفظها عن السمعة والرياء فى حال الابتداء ﴿ والاداء ﴾ أى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص أو عن الغفلة ودواعى الفترة فى الاثناء ﴿ والثواب ﴾ اى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ، ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال ﴿ عن الرياء ﴾ وفى معناه السمعة ولو فى الخلاء ﴿ والتكاسل ﴾ اى وعن التثاقل فى الاعضاء ﴿ والافشاء ﴾ بالاملاء فى الملاء ﴿ ونحوها ﴾ من العجب و الغرور و الندامة عن الطاعة، ورؤية الحول والقوة ، والامن من مكر الله، واستدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى (نعم أجر العاملين الذين صبروا) أى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل واخلاصه عن الآفات ﴿ و ﴾ الصبر ﴿ فى المعصية ﴾ المبتلى بها ﴿ بالرياضة ﴾ أى برياضة النفس عن مخالفة هواها ﴿ و ﴾ الصبر ﴿ فى مصيبة ﴾ من شأنها أنها ﴿ يمكن المجازاة ﴾ أى يمكن فيها المكافاة ﴿ بالتحمل ﴾ أى الحلم والعفو ﴿ بترك المكافاة ﴾ أى المجازاة ولو بالمماثلة فى المعاقبة ﴿ قولا ﴾ كمن سبه ﴿ وفعلا ﴾ كمن ضربه ، ومنه قوله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وَفى غَيْرِهَا بِتَرْكِ الجزَعِ وَالشِّكَايَةِ وَاسْتِمْرَارِ العَادَةِ فى الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ أمَّا التَّأَلُّم وَجَرَيَانُ الدَّمعِ فَلَا يُنَافِيهِ لِعَدَمِ الدُّخُولِ تَحْتَ الاخْتِيَارِ وَالكَمَالُ تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنْهُ تَعَالَى وَجَاءَ الصَّبْرُ عَلَى الفَرَائِضِ ثَلَاثُمَائَةِ دَرَجَةٍ وَعَن

واصلح فاجره على الله) وقد قال بعض الصحابة : ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذالم يصبر على الاذى . وقال تعالى حكاية عن الانبياء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) وقال تعالى (ودع اذاهم وتوكل على الله) وقال (واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا) وقال (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بمايقولون) وقال (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وأن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) ﴿ وفي غيرها ﴾ أي وفي مصيبة غير ممكن المجازاة ﴿ بترك الجزع ﴾ والفزع ﴿ والشكاية ﴾ الى الخلق ﴿ واستمرار العادة ﴾ أي وباستقرارها على حالها ﴿ فى الطعام واللباس ﴾ وكذا الكلام مع الناس وقد قيل : ان الصبر هو أن لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره. وقال داود عليه السلام . ماجزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه أبدا ، وقال نبينا عليه السلام من آجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك. ذكره فى الاحياء وقال مخرجه لم أجده مرفوعا وأنما رواه ابن أبى الدنيا من رواية سفيان عن بعض الفقهاء، قال من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك انتهى. وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة، وفى الاثر وأن ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات، فاذن مجارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلية من جهة الخلق او الخالق ﴿ أما التألم ﴾ أى الحزن للقلب ﴿ وجريان الدمع ﴾ من العين ﴿ فلا ينافيه ﴾ أى الصبر ﴿ لعدم الدخول تحت الاختيار ﴾ بل هما مستحبان لما ورد عن سيد الابرار أنه بكى عند موت ولده وقال « القلب يحزن والعين تدمع وأنا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون » رواه الشيخان من حديث أنس ﴿ والكمال ﴾ أى كمال الصبر ﴿ ترك مايشغل عنه ﴾ أى عن الله ﴿ تعالى ﴾ من أمور الدنيا فمن غفل عن الله ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية، وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ماهو؟ قال : هى نفسك أن لم تشغلها شغلتك ﴿ وجاء ﴾ فى الاثر عن ابن عباس ﴿ الصبر على الفرائض ﴾ أى اداؤها ﴿ ثلاثمائة درجة ﴾ أى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل ﴿ وعن

الْمَحَارِمِ سِتُّمِائَةٍ وَفِي الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى تِسْعُمِائَةٍ وَالطَّرِيقُ تَضْعِيفُ بَاعِثِ الْهَوَى بِالرِّيَاضَةِ

المحارم ستمائة ﴾ لانه اصعب على النفس ، فان فى فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية ﴿ وفى المصيبة عند الصدمة الاولى ﴾ أى فورتها وشدتها وحدتها ﴿ تسعمائة ﴾ لانه اقوى واشق على النفس ، فلا بن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز « أفضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس » والحديث الذى فى المتن رواه ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب عن على مرفوعا بلفظ « الصبر ثلاثة . فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش » .

فالحديث يدل على أن الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ماسبق من اثر عمر رضى الله عنه حيث قال الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وأما « الصبر عند الصدمة الاولى » لحديث رواه البزار وأبو يعلى عن أبى هريرة مرفوعا وفى رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفى رواية البخارى فى تاريخه عن أنس « الصابر الصابر عند الصدمة الاولى » ﴿ والطريق ﴾ فى تحصيل الصبر بعد التوفيق منها ثلاثة ﴿ تضعيف باعث الهوى ﴾ أى تقليله ﴿ بالرياضة ﴾ الكثيرة بان يقول داعى الهدى ويقهر داعى الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة فى الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة . وعند هذا يقال : من صبر ظفر . والواصلون إلى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون والمقربون (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهؤلاء لزموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم . وأما من يغلب عليه دواعى الهوى ويضعف عنده بواعث الهدى فهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم شقوتهم ، وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الحمق كما قال عليه السلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى » وفى رواية « والعاجز » بدل الاحمق كما رواه أحمد والترمذي

وَذِكْرُ قِلَّةِ قَدْرِ الشِّدَّةِ وَوَقْتِهَا وَاضْرَارِ الْجَزَعِ وَتَقْوِيَةِ بَاعِثِ الدِّينِ بِذِكْرِ فَضَائِلِ الْمُجَاهَدَةِ ثُمَّ اِنْ كَانَ بِتَعَبٍ قَوِيٍّ فَتَصَبُّرٌ وَاِنْ

وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس . ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذى وغيره من العلماء . واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعي الهوى اخرى فهذا من المجاهدين الذين قيل فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وأما التارکون للمجاهدة فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) وقال بعض الشعراء :

دع المكارم لاترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وقد قال تعالى (اولئك كالانعام بل هم اضل)اذالبهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها تجاهد مقتضى الشهوة ، وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا وصدقا ولذا قال أبو العتاهية .

ولم ارفى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وهو مقتبس من قوله عليه السلام « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب العلم فى الدنيا فلم يطلبه، ورجل علم علما فانتفع به دونه » رواه ابن عساكر . وأما من علم وعمل وعلم فيدعى فى الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام ﴿ و ﴾ منها ﴿ ذكر قلة قدر الشدة ﴾ فى مخالفة النفس حال المجاهدة لأن شدائد الدنيا وأحوالها سهل بالنسبة الى شدائد الآخرة واهوالها ﴿ ووقتها ﴾ أى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) ولذا قيل « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة » ﴿ واضرار الجزع ﴾ أي وذكر اضرار الجزع والفزع من غير حصول الدفع والنفع ﴿ و ﴾ منها ﴿ تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة ﴾ الواردة فى الكتاب والسنة فى حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) وقوله عليه السلام « المجاهد من جاهد هواه » رواه النسائي « ورجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وقد تقدم ﴿ ثم ان كان ﴾ الصبر والتحمل اوذلك الثبات والتحمل حاصلا ﴿ بتعب قوى ﴾ أي شديد وجهد جهيد ﴿ فتصبر ﴾ أى فيقال له تصبر لان صاحبه متكلف فى الصبر كما يقال زاهد ومتزهد وصوفى ومتصوف ﴿ وان

كَانَ بِيَسِيرٍ فَصَبْرٌ وَإِنْ كَانَ دُونَ جَهْدٍ فَرِضًى وَوَرَدَ «أَعْبُدِ اللهَ عَلَى الرِّضَاءِ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ» وَإِنْ كَانَ بِتَلَذُّذٍ فَشُكْرٌ وَهُوَ بِالْغَيْبَةِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ وَالشُّهُودِ مَعَهُ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ «إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي هُوَ وَيَسْقِينِي» وَعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَلَمِ وَاللَّذَّةِ

كان﴾ ماذكروا قعا ﴿بيسير﴾ أي بتعب سهل وغير عسير ﴿فصبر﴾ أي فيخص باسم الصبر فاذا دام التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى (فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) ﴿وان كان﴾ الصبر ﴿دون جهد﴾ اى من غير تعب ﴿فرضى﴾ اى فهو رضى بما يفعل المولى ﴿وورد اعبد الله على الرضاء﴾ فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم ﴿فان لم تستطع﴾ على عبادته فى مقام الرضاء من غير جهد ﴿البلاء ففى الصبر على ما تكره﴾ بمقتضى البشرية ﴿خير كثير﴾ فى الامور الدنيوية والاخروية ، فاعبده على الصبر فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ، والحديث رواه الترمذى من حديث ابن عباس . وقال ابو سليمان : والله ما نصبر على ما تحب فكيف نصبر على ماتكره ﴿وان كان﴾ الصبر على البلاء بتلذذ كتلذذ النعماء ﴿فشكر﴾ اى فهو شكر ينشأ عن كمال المحبة والصدق وغاية الرضاء عن الحق ، فقد قال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات . الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين ، والثانية الرضاء بالمقدور وهذه درجة الزاهدين ، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين ﴿وهو﴾ أى التلذذ بالبلاء انما يكون بستة أشياء ﴿بالغيبة عن حظوظ النفس﴾ ولذات الهوى ﴿والشهود﴾ اى وبالحضور ﴿معه تعالى﴾ ليلا ونهارا ﴿كما ورد﴾ عنه عليه السلام انه قال ﴿انى ابيت عند ربى﴾ اى حاضر الديه كالواقف بين يديه ﴿يطعمنى هو﴾ اى لا غيره ﴿ويسقينى﴾ اى يغنينى عن الطعام والشراب ويقوينى بدلهما بما يلتذ به الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسى وشهود قلبى مع ربى ، فهذا المعنى يصلح ان يكون استئناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب . واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقينى من طعام الجنة وشرابها فلا يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على أولى الالباب ﴿وعدم التمييز﴾ أى وبعدم الفرق ﴿بين الالم واللذة﴾ الطبيعيين . ولقد قال بعض المحبين

كَمَا فِي حَدِيثِ حَارِثَةَ «مَا أُبَالِي عَلَى أَيِّ الحَالَيْنِ وَقَعْتُ عَلَى غِنًى أَوْ فَقْرٍ» وَالْأَعْلَى التَّمْيِيزُ وَاخْتِيَارُ الْأَلَمِ فِي مُوَافَقَتِهِ تَعَالَى وَالِالْتِذَاذُ بِهِ» فَوَرَدَ «أَخْتَارُ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا وَجَاءَ يَا حَبَّذَا المَكْرُوهَانِ المَوْتُ وَالفَقْرُ

فليس لي في سـواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني

لكن لما كان في هذا شائبة من الدعوة ابتلي بنوع من البلوى { كما في حديث حارثة ما ابالي على أي الحالين } اى المقامين { وقعت } أي سقطت وثبت { على غنى او فقر } وكذا صحة او مرض ، وكذا وصل أو هجران . وقيل . الفقر بلاء ومحنه ، والغنى هم ومشقة . وكل ذلك قادح في كمال الرضاء والمحبة ، بل ينبغي ان يفوض التدبير لمالكها ويسلم الامر الى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضي الله عنه : لا ابالي اصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، وفيه اشارة الى قوله (ن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) ، وفي الحديث القدسي « ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ، ومنهم من لا يصلحه الا الغنى» الحديث وقد قال عزوجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالتسليم اسلم والله اعلم { والاعلى } اى أعلى مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كحال اهل السكر { التمييز } بين النفع والضر والحلو والمر { واختيار الالم في موافقته تعالى } حيث جعله مختارا { الالتذاذ به } أي بالامر فهو الاولى { فورد } عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وتركها بأن يكون ملكا نبيا أو عبدا نبيا فقال . { اختار ان أكون عبدا نبيا } وفي رواية زيادة (أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر) ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين لانه كان في غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال { وجاء } في الخبر { يا } قوم { حبذا المكروهان } أي نعم المكروهان في طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان { الموت } على الايمان { والفقر } المقرون برضى الرحمان رواه ابن أبي الدنيا وغيره . واخرج احمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»

ثُمَّ الرِّضَاءُ بِتَرْكِ الاعْتِرَاضِ وَقِيلَ تَرْكُ السَّخَطِ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِلْفَرَاغِ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّحَامِي مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَالتَّعَبِ فِيهَا وَغَضَبِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ»

﴿ثم الرضاء بترك الاعتراض﴾ بالقلب فى جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث حدث: لولم يحدث لكان أولى، أولو حدث فى غير هذا الموضع كان أحسن وأعلى، اذ ليس فى الامكان ابدع مما كان كما فى الاحياء. وأعترض عليه من لم يفهم معناه من العلماء ﴿وقيل ترك السخط﴾ أى الكراهة وهو ضد الرضاء، والرضاء غاية الغايات ونهاية العنايات، ففى الحديث «ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك» ويؤيده قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أى من النعيم الذى يتم فيه، فهذا فضل رضى الله، وهو ثمرة رضى العبد، كما يشير قوله تعالى (رضى الله عنهم) اولا (ورضوا عنه) أخرا ﴿ولابد﴾ للعبد ﴿منه﴾ أى من الرضاء عن الله تعالى لاربعة أشياء ﴿للفراغ﴾ أى فراغ الخاطر ﴿للعبادة﴾ وقد ورد «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» ﴿والتحامى﴾ أى والتحافظ ﴿من هموم الدنيا﴾ بالقلب ﴿والتعب﴾ ومن غموم النصب بالبدن والقلب ﴿فيها﴾ أى فى الدنيا، وقد ورد «من جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاه الله هم الدنيا والاخرى» ﴿وغضبه﴾ أى التحامى من غضبه ﴿تعالى فورد﴾ فى الحديث القدسى والكلام الانسى ﴿من لم يرض بقضائى﴾ فى احكام ارضى وسمائى ﴿ولم يصبر على بلائى﴾ أى ابتلائى فى سرائى وضرائى وفى رواية زيادة ولم يشكر على نعمائى ﴿فليطلب ربا سواى﴾ أى غيرى وما عداى من اعدائى «وروى أنه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه الكرام فقال: ما انتم؟ فقالوا مؤمنون، فقال ما علامة ايمانكم؟ قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال مؤمنون ورب الكعبة، وفى لفظ آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء» وفى مناجاة موسى عليه السلام قال: يارب أى خلقك أحب اليك؟ قال من اذا اخذت عنه محبوبه سالمنى، قال فاى خلقك أنت ساخط عليه؟ قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيته له سخط قضائى، وفى الخبر «قدرت المقادير ودبرت التدابير من رضى فله الرضاء منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى»

وَيَحْصُلَ رِضْوَانُهُ فَوَرَدَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

فى الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف » وفى الاخبار السالفة « أن نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصيب الا ماراد ، ثم اوحى الله اليه لم تشكو؟ هكذا كان بدوك عندى فى ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك منى ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد أن ابدل ما قدرت عليك فيكون ماتحب فوق ماأحب ، او يكون ماتريد فوق ما اريد ، وعزتى وجلالى لئن يابج هذا فى صدرك مرة أخرى لامحونك من ديوان النبوة » ويروى « ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام: ياداود تريد واريد وانما يكون ماأريد ، فان سلمت لما اريد كفيتك ماتريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد » ولله در من قال من أهل المزيد :

تريد النفس أن تلقى مناها ويأبى الله الا مايريد

﴿ ويحصل رضوانه ﴾ أى وليحصل رضاء الله عنه ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فعلامة رضى العبد عن الله رضاء الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضى الله فى المرتبة الأولى وليسبق رضاه فى الازل الاعلى. وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضاء بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضى لايتمنى فوق منزلته. وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل؛ وحسن الرضاء فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات. وروى عن بعضهم قال، مررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى وبه رمق فقلت له : اسقيك ماء؟ فقال : جرنى قليلا الى الاعداء واجعل الماء فى الترس فانى صائم فان عشت الى الليل شربته ، وفى الخبر « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » وفى خبر آخر « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وللترمذى « من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله » وفى خبر آخر « أرض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » وفى اخبار موسى عليه السلام : أن بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا، فقال موسى: الهى قد سمعت ماقالوا ، فقال ياموسى قل لهم : يرضون عنى حتى ارضى عنهم؛ ويشهد لهذا ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن ينظر ماله

وَالسَّبَبُ ادْهَاشُ غَلَبَةِ الْحُبِّ عَنِ الاِحْسَاسِ بِالأَلَمِ كَمَا بِالعَاشِقِ وَالحَرِيصِ

عند الله فلينظر مالله عز وجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه، وفى اخبار داود عليه السلام: ما لا وليائى والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ، ياداود ان علامة محبتى من أوليائى ان يكونوا روحانيين لا يغيمون . وروى أن موسى عليه السلام قال . يارب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فاوحى الله اليه أن رضائى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره ، قال يارب دلنى عليه ، فقال أن رضائى فى رضاك بقضائى . وعن عمر بن عبد العزيز : ما بقى لى سرور الا فى مواقع القدر . وقيل له ما تشتهى ؟ قال مايقضى الله تعالى ﴿ والسبب ﴾ لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئان أحدهما ﴿ ادهاش غلبة الحب ﴾ أى اغمائها واغفالها ﴿ عن الاحساس بالالم ﴾ فى المحن وأهوالها ﴿ كما بالعاشق ﴾ بالدنيا ﴿ والحريص ﴾ فى جمع مالها وأحوالها ، وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له فى ذلك ، فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وقال الجنيد . سألت سريا السقطى هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وأن ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شىء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخولها . وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف صوت فى شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لانى عاشق . فقلت ولم سكت ، فال لان معشوقى كان بحذائى ينظر الى ، قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر ، فزعق زعقة وخر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى: اذا نظر أهل الجنة الى الله سبحانه ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر : قصدت عبادان فى باديتى فاذا أنا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى دخل بينى وبين ربى ، لو قطعنى اربا اربا ما ازددت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها . وروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دلنى على اعبد اهل الارض ، فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول : الهى متعتنى بهما ما شئت وسلبتنى ماشئت

وَالعِـــلْمُ بِجَزَالَةِ الثَّوَابِ

وأبقيت لى فيك الامل يابر ياوصول : ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجبين بفـــالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام ياهـذا أى شيء من البلاء اراه مصروفا عنك ؟ فقال ياروح الله آناخير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته ، فقال صدقت ، هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنـه ما كان به وصحب عيسى وتعبد معه ❊ وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وأبقى أخرى ، لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة ❊ وقال أبو سليمان الدارانى : قد نلت من كل مقام حالا الا الرضاء فما لى منه الا مشام الريح ، وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلنى النار كنت راضيا ❊ ولما قدم سعد بن أبى وقاص مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفنى وقال أنت قارىء اهل مكة ؟ قلت نعم ، فذكر قصة قال فى آخرهـا فقلت له : ياعم أنت تدعـو للناس فلو دعوت لنفسك فـــرد الله عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يابنى قضاء الله عنـدى أحسن مـن بصرى : وقال بعض السلف : ولو قرض جسمى بالمقاريض لكان أحب الى من أن اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه ﴿ والعلم ﴾ أى وثانيها المعرفة بشيئين ﴿ بجزالة الثواب ﴾ اى عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقد ينال الجزاء فى الدنيا أيضا قبل العقبى كما روى (عن الرميصاء ام سليم انهـا قالت : توفى ابن لى وكان زوجى أبو طلحة غائبا ، فقمت فسجيته فى ناحية من البيت ، فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل ، فقال كيف الصبى ؟ فقلت فى أحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ، ثم تصنعت له باحسن ما كنت أتصنع من قبل ذلك حتى أصاب منى حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ؟ فقال ومالهم ؟ فقلت أعيروا عارية فلمـا طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال بئس ما صنعوا ، فقلت هكذا أبنك كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله وأثنى عليه واسترجـــع

كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ وَالسَّفَرِ وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ حِكْمَةٌ يَتَعَجَّبُ الذَّاهِلُ عَنِ السِّرِّ كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَا يَرِدُ التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُغْضِ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَالْمَعْصِيَةُ مَقْضِيَّةٌ وَلِأَنَّ الرِّضَاءَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَقْضِيٌّ لَا يُنَافِي الْبُغْضَ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ

ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام: «اللهم بارك لهم في ليلتهم» قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن، رواه الطبراني في الكبير من طريق أبي نعيم في الحلية، والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف، وللنسائي في الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر «دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة أبي طلحة» فقد روى ان امرأة فتح الموصلي عثرت فقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدي من الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي حرارة وجعه وعذابه. وقد ورد في الترمذي وغيره حديث *

«هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت»

وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها ولله در المتنبي اذ يقول *

أن كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح اذا أرضاكم ألم

﴿كما للمريض والتاجر﴾ المسافر ﴿المتحملين شدة الحجامة﴾ رجاء الصحة ﴿والسفر﴾ أي ومحنته طمعا للزيادة ﴿وبان له تعالى في كل صنع حكمة﴾ كما قال تعالى (صنع الله الذي اتقن كل شيء) وقال (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) بل حكما كثيرة ﴿يتعجب الذاهل﴾ الغافل ﴿عن السر﴾ أي سر تلك الحكمة في تلك الصنعة وما يترتب عليها من الحكم ﴿كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام﴾ وما وقع بينهما من الملام والكلام في تحقيق المقام وتدقيق المرام ﴿ولا يرد التناقض بينه﴾ أي بين الرضاء بالقضاء، فقد ورد في الدعاء «اللهم اسألك الرضاء بالقضاء» ﴿وبين بغض المعصية﴾ الواقعة بحكم القضاء ﴿لان الرضاء﴾ انما هو ﴿بالقضاء﴾ الذي هو فعل الرب وخلقه ﴿والمعصية مقضية﴾ على العبد صادرة عن فعله وكسبه، ولو كان بتقدير الرب وحكمه، ولان قضاء الشر ليس بشر، أنما الشر هو المقضي فلا يكون الرضاء بالشر، وبهذا يتحقق معنى الخبر «الخير كله بيديك والشر ليس اليك» ﴿ولان الرضاء﴾ بالقضاء ﴿من حيث أنه مقضي لا ينافي﴾ أيضا ﴿البغض للمعصية من حيث أنها معصية﴾

وَهُوَ لَا يُوجِبُ تَرْكَ الْأَسْبَابِ وَتَحْقِيقُهُ يَأْتِي فِي التَّوَكُّلِ وَلَا الدُّعَاءَ بِشَرْطِ الصَّلَاحِ قَلْبًا فَوَرَدَ «اللَّهُمَّ زِدْنَا فِي اللَّبَنِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ فِي غَيْرِهِ»

فالحيثية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة ، كالولد العاق يحب من حيثية الولدية ويبغض من جهة العقوقية ﴿ وهو ﴾ أى الرضاء بالقضاء ﴿ لا يوجب ترك الاسباب ﴾ أى اسباب البقاء وغيره من الابواب ﴿ وتحقيقه ﴾ أى تحقيق ترك الاسباب ﴿ يأتى فى التوكل ﴾ الموضوع لهذا الباب ﴿ ولا الدعاء ﴾ أى ولا يوجب الرضاء ترك الدعاء لقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء مع أنه فى أعلى مقامات الرضا ﴿ بشرط الصلاح قلبا ﴾ ولو لم يشرطه لسانا ﴿ فورد «اللهم زدنا » فى اللبن « اللهم أرزقنا خيرا منه » فى غيره ﴾ والحديث رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس أنه عليه السلام قال « من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قال وقال عليه السلام « ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن » هذا ، وقد قال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء ، وقال الفضيل : اذا لم تصلح على تقدير الله فلم تصلح على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : وليس الشأن فى أكل خبز الشعير والخل ، ولا فى لبس الصوف والشعر ، لكن الشأن فى الرضاء بالقضاء والقدر . وقال عبد الله بن مسعود : لئن ألحس جمرة أحرقت ما احرقت وابقت ما أبقت أحب إلى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن ، أو لشيء لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال : أنى لارحمك من هذه القرحة ، فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عينى . وقال الثورى يوما عند رابعة العدوية : اللهم ارض عنا ، قالت : أما تستحى من الله أن تسأله الرضاء وأنت عنه غير راض . فقال أستغفر الله . فقال جعفر بن سلمان : متى يكون العبد راضيا عن الله ؟ قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ، وعن الفضيل إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى ، عن احمد بن أبى الحوارى قال أبو سليمان الدارانى أن الله من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى به العبيد من مواليهم قلت كيف ذلك؟ قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم ، قال أن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه ، وقال بعض السلف : من حسن الرضاء بالقضاء ان لا

ثُمَّ الشُّكْرُ يَجْمَعُهُ عِرْفَانُ النِّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ وَالْفَرَحُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ

يقول هذا يوم حار أو يوم بارد فى معرض الشكاية . وقول القائل : الفقر بلاء ومحنة . والعيال هم وتعب . والاحتراف كد ومشقة وكل ذلك قادح فى كمال الرضاء بالقضاء . فعن عمر رضى الله عنه لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فانى لا أدرى أيهما خير لى . وعن ابن مسعود أنه قال الفقر والغنى مطيتان لا أبالى أيهما اركب إن كان الفقر ففيه الصبر ، وان كان الغنى ففيه البذل وانما لم يقل ففيه الشكر ايماء الى ان الفقر أفضل من الغني واشارة الى أن الغنى من غير البذل مذموم عند أهل الفضل والعدل هذا .

وقد اختلف العلماء فى الافضل من أهل المقامات الثلاثة : رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وأرضى بما يختاره الله لى . ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين فقال : صاحب الرضاء أفضل لانه أقلهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن اسباط، فقال سفيان الثورى : كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم ، واليوم وددت أنى مت ، فقال له يوسف لم؟ قال : لما اتخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكنى لا أكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال لعلى اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا . فقال لوهيب أى شيء تقول ؟ قال انا لا اختار شيئا ، أحب ذلك الى الله أحبه الى فقبل الثورى بين عينيه فقال : روحانية ورب الكعبة . ويؤيده الدعاء المأثور «اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر» ﴿ ثم الشكر يجمعه ﴾ ثلاثة اشياء ﴿ عرفان النعمة من المنعم ﴾ وهذا علم يصدر عن اعتقاد ان كل ما فى العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وفى دعائه عليه السلام « اللهم ما اصبح بى من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر » ﴿ والفرح به ﴾ أى بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الادنى ، بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه الاعلى، فهذا هو الرتبة العليا ، وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرى ، ويحزن بكل نعمة تلهيه عن طريق الهدى وهذا حال ﴿ واستعمالها ﴾ أى صرف النعمة ﴿ فى طاعته ﴾ أى طاعة دون معصيته للمنعم ، وهذا عمل . وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك اهلا للنعمة . وقال الخواص : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهي رتبة

وَلَابُدَّ منهُ لاستدامة النِّعمة فورد (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وان النِّعم أوابد فقيِّدوها بالشُّكر واستزادتها فورد (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ - وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى)

لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات الحواس من الالوان والاصوات ، وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات ، فان القلب السليم لا يلتذ فى حالة من الصحة القويم الا بذكر الله ومعرفته من حيث الذات والصفات ، وأنما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين ويختاره على السكنجبين ، وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلى الاشياء المرة حتى قيل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

﴿ ولا بد ﴾ للعبد ﴿ منه ﴾ أى من الشكر ﴿ لاستدامة النعمة ﴾ أى لطلب دوام النعمة وبقائها ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وكفرت ﴾ صوابه فكفرت كما فى نسخة وصدر الآية (وضرب الله مثلا قرية) أى مكة (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا) أى واسعا (من كل مكان فكفرت) أى أهلها ﴿ بانعم الله ﴾ أى بتكذيب رسوله ﴿ فاذاقها الله لباس الجوع ﴾ أى القحط سبع سنين ﴿ والخوف ﴾ أى الرعب من المسلمين ﴿ بما كانوا يصنعون وان ﴾ أى وورد فى الحديث ﴿ أن النعم اوابد ﴾ أى وحشيات متنفرات كصيود شوارد ﴿ فقيدوها بالشكر ﴾ وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المفقودة ، كما يشير اليه قوله ﴿ واستزادتها ﴾ أى ولطلب زيادة النعمة ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ﴾ تمامه (ولئن كفرتم أن عذابى لشديد) ﴿ والذين اهتدوا ﴾ بالايمان وترك الكفر واداء الشكر ﴿ زادهم هدى ﴾ أى هداية على هدايتهم وعناية على رعايتهم .

ثم أعلم أن لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكرا يليق به من عمل الطاعة وترك المعصية ، واعظمها شكر الجنان ، واظهرها شكر اللسان . وقد قال عليه السلام لرجل « كيف اصبحت؟ فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله واشكره ، فقال عليه السلام هو الذى اردت منك » رواه الطبرانى فى الدعاء من رواية الفضل بن عمرو مرفوعا ، وهذا معضل . وفى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن

وَأَيضاً إذَا أرسَلَ مَلِكٌ فرساً وثوباً وزاداً الى عبدٍ ليجيء اليه وينال حظّ القربة مع استغناء الملك عنه فاستعمل فى البعد عنه أو أهمل أو مكّن عبداً على بساط القربة فاشتغل العبد عن خدمته ملتفتا الى خسيس فى حرفته يسأله

عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك. وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، فكل عبد يسأل عن حاله فهو بين ان يشكر وبين أن يشكو ، وبين أن يسكت ، فالشكر طاعة صحيحة ، والشكوى معصية قبيحة . وكيف لاتقبح الشكوى من المولى وهو مالك الملوك ؛ وبيده كل شيء الى عبد مملوك لايقدر على شيء فالاحرى بالعبد أن لم يصبر على البلوى ويفضيه الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى المولى ، فهو المبلى وهو القادر على ازالة البلاء ؛ وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى الى غيره ذل ، واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر الكبير الكبير ، فقال ياامير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو اكبر منك ، فقال تكلم ، فقال لسنا وفدا لرغبة ولا وفد الرهبة ، اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك ، واما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك . وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف ﴿ وايضا ﴾ مما يدل على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل مثال ، وهو ان يقال ﴿ اذا أرسل ملك ﴾ عظيم ﴿ فرسا وثوبا وزادا الى عبد ﴾ بعيد عن قربه ﴿ ليجيء اليه ﴾ راكبا لابسا منعما عليه ﴿ وينال حظ القربة ﴾ اى وليلقى حظ قرب الملك لديه ﴿ مع استغناء الملك عنه ﴾ وكمال احتياج العبد منه ﴿ فاستعمل ﴾ الفرس والزاد ﴿ فى البعد عنه ﴾ أى عن حكمه وفى سفر المخالفة من قربه ﴿ أو أهمل ﴾ أمره ونسى قدره ، وجلس فى محله ، ولم يستعمل لافي قربه ولا فى بعده ﴿ او مكن ﴾ اى او اذا اقدر ﴿ عبدا على بساط القربة ﴾ وامكنه من الانبساط فى بساط عدم الكربة ﴿ فاشتغل العبد عن خدمته ﴾ اى خدمة الملك وعن المأتى الى حضرته ﴿ ملتفتا الى خسيس فى حرفته ﴾ من دباغ وكناس . وسيس دابة ﴿ يساله ﴾ اى يطلب العبد من ذلك الخسيس

كِسْرَةَ رَغِيفٍ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ وَسَلْبَ النِّعْمَةِ

﴿ كسرة رغيف ﴾ باظهار فاقته وحرفته فى حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منهما ﴿ يستحق المقت ﴾ اى كمال الغضب ﴿ و ﴾ يقتضى ﴿ سلب النعمة ﴾ وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرد عن الخدمة والبعد عن الحضرة. وتوضيحه مافى الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة ، وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك أن تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان ، أحداهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى فى خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه ، بل حضوره لا يزيد فى ملكه ، كما ان غيبته لا تنقص من ملكه ، فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه أن يحظى العبد بالقرب منه فى مقابلة خدمته ، وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به بانتفاعه . فتنزل العباد من الله فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الاولى ، فان الاولى محال على الله والثانية غير محال *

ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقم بخدمته التى ارادها الملك منه ، وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا أو كافرا ، فيكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه ، وكفره بان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ، فهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه ، اذ استعمل نعمته فى سبيل محبته أى فيما أحبه لعبده لا لنفسه ، وأن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه ، وان جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون مالو بعد منه ، فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى إستعمال الشهوات لتكمل أبدانهم بها فيبعدون عن حضرته بسببها ، وإنما سعادتهم فى القرب منه ، فاعد لهم من النعم ما يقدرون

وَالفَارِقُ بَيْنَ مَحْبُوبِهِ تَعَالَى وَمَبْغُوضِهِ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ العِلْمُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالاسْتِبْصَارُ وَالضَّابِطُ أَنَّ المُوصِلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ وَالشَّاغِلَ عَنْهُ مَبْغُوضٌ لِلَّهِ ثُمَّ النِّعْمَةُ إِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ كَالخِلْقَةِ السَّوِيَّةِ وَالمَلَاذِّ الشَّهِيَّةِ وَصَرْفِ المَفَاسِدِ وَالمَضَارِّ وَإِمَّا دِينِيَّةٌ كَالتَّوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالعِصْمَةِ وَالحِفْظِ

على استعماله فى نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى فقال (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية فاذا أنعم الله بالات يترقى بها العبد عن أسفل سافلين خلقها الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادات القرب ، والله سبحانه غنى عنه قرب أو بعد منه ، والعبد فيه بين أن يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين أن يستعملها فى المعصية فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وان عطلها فلم يستعملها لا فى طاعة ولا فى معصية فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى فى الدنيا انما خلقه آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب من المولى ، فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله فى الاسباب التى استعملها ، وكل كسلان ترك الاستعمال ، أو عاص استعمل ذلك فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله ، فالمعصية والطاعة تشملها المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه صونا للحقيقة ﴿ والفارق بين محبوبه تعالى ومبغوضه ﴾ عز وعلا ﴿ للفعل ﴾ محبوبا ومبغوضا ﴿ والترك ﴾ كذلك العلم بالكتاب والسنة فانهما كفتا ميزان العدالة ﴿ والاستبصار ﴾ أى برؤية كما فى نسخة ، أى والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتامل فى النقل ﴿ والضابط ﴾ لما يحبه الله وما يبغضه ﴿ أن الموصل ﴾ للعبد ﴿ الى معرفته ﴾ اى الله تعالى ﴿ ومحبته محبوب لله ﴾ فينبغى استعمال النية فيه ﴿ والشاغل عنه ﴾ أى والمانع عما ذكر من المعرفة والمحبة ﴿ مبغوض لله ﴾ فيجب عدم استعمال النية فيه ﴿ ثم النعمة اما دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية ﴾ من المطالبات النفسية ﴿ وصرف المفاسد والمضار ﴾ البدنية بالات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر أو يهرب من الشر ﴿ واما دينية كالتوفيق على الطاعة والعصمة ﴾ فى حق الانبياء ﴿ والحفظ ﴾ فى حق الاولياء

عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهِىَ أَعْظَمُ لإِيصَالِهَا الَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالانْجَاءِ عَنِ الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ وَاشْتِرَاكِ الْكُفَّارِ فِى الدُّنْيَوِيَّةِ وَاغْتِنَامِ الْأَبْرَارِ زَوَالَهَا وَطَلَبُ الْإِحْصَاءِ تَوَقُّعُ الْمُحَالِ فَوَرَدَ (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) وَالطَّرِيقُ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّفَكُّرُ فِى صَنَائِعِهِ تَعَالَى وَالنَّظَرُ الَى الْأَدْنَى فَوَرَدَ «مَنْ نَظَرَ فِى الدُّنْيَا الَى مَنْ دُونَهُ وَنَظَرَ فِى الدِّينِ الَى مَنْ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللهُ صَابِراً وَشَاكِراً»

﴿ عن المعصية ﴾ مع القدرة أو عدمها فان من العصمة أن لا يقدر ﴿ وهى ﴾ أى النعمة الدينية ﴿ أعظم ﴾ قدرا من النعمة الدنيوية ﴿ لايصالها ﴾ أى لتبليغ النعمة الدينية ﴿ الى السعادة الابدية ﴾ التى لا غاية لها ﴿ والانجاء ﴾ أى الخلاص ﴿ عن الشقاوة السرمدية ﴾ التى لا نهاية لها ﴿ واشتراك الكفار ﴾ مع الابرار ﴿ فى الدنيوية والدنيا مبغوضة لسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها ﴿ واغتنام الابرار زوالها ﴾ أى فقد النعمة الدنيوية خوفا من نقصان النعمة الاخروية كما قال بعض المجتهدين: ورود الفاقات اعياد المريدين. و ﴿ طلب الاحصاء ﴾ لنعم الله وعدها ﴿ توقع المحال ﴾ وتمنية لعدم طاقة البشر فى ذلك الحال ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وأن تعدوا ﴾ أى تريدوا أن تحصوا ﴿ نعمة الله لا تحصوها ﴾ أى لا تطيقوا احصاءها وعدها فضلا عن القيام بحقها من شكرها. وقد قيل : الانفاس فى اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا، وفى كل نفس نعمتان فى حصولها باعتبار طلوعها ونزولها ﴿ والطريق ﴾ المفضى الى الشكر ثلاثة ﴿ المعرفة ﴾ لنعمه سبحانه فانه مامن عبد الاولو أمعن النظر في احواله لرأى من الله نعمة اونعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها عامة الناس ، بل يشاركه عدد يسير منهم ، وربما لا يشاركه فيها أحد ﴿ والتفكر فى صنائعه تعالى ﴾ من الانفسية والآفاقية ، واحساناته سبحانه عليه من بين البرية ﴿ والنظر الى الادنى ﴾ فى المرتبة المعيشية والامور الدنيوية ﴿ فورد من نظر فى الدنيا الى من دونه ﴾ فى المرتبة من الجاه والمال ﴿ ونظر فى الدين الى من فوقه ﴾ من العلم والعمل والحال ﴿ كتبه الله صابرا ﴾ بالنظر الثانى ﴿ وشاكرا ﴾ بالنظر الاول فتأمل . والحديث رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو، وهو فى الصحيحين بلفظ «انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » أي لا تحتقروها . وللعسكري عن أنس مرفوعا « من نظر الي ما في ايدي الناس

طال حزنه ولم يشف غيظه » وحكى عن بعضهم أنه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما اعطاه من نعمه ، فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة ، لاسيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ، ثم بالفراغ والصحة والامان ، ولذا قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيب به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا ولينظرن الى من دونه مـالا

وقال عليه السلام «أن القرآن هو الغنى الذى لاغنى بعده ولا فقر معه» رواه أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس . وقال عليه السلام « من آتاه الله حفظ كتابه فظن أن احدا اوتى أفضل مما اوتى فقد صغر اعظم النعم » رواه البخارى فى تاريخه . ومنه «فقد استهزأ بآيات الله» وعن الصديق «من أوتى القرآن فظن أن احدا اوتى أفضل منه فقد حقر عظيما وعظم حقيرا » وقال عليه السلام « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى لم يستغن ، وقد سبق . والكل مقتبس من قوله سبحانه (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم) وقال بعض السلف: يقول الله أن عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتى ، عن سلطان يأتيه ـ فيه احتمالان ـ وطبيب يداويه ، وعما فى يد اخيه ، وعبر الشاعر عن هذا بقوله :

اذا القوت عندك والصحة والامن ٭ وأصبحت محزونا فلا فارقك الحزن

بل أفصح العبارات وأملح الاشارات كلام أفصح من نطق بالضاد ، حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله « من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » اى جمعت . والحديث قد تقدم . قال فى الاحياء : ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث ، مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم ، بل البصير ينبغى أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال وأتباع وأنصار ، وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضى به الى قربه سبحانه فى الآخرة ، بل لو قيل له: لك ما ترجوه فى الآخرة بكماله فخذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمْكِنُ الشُّكْرُ وَالْعَبْدُ يَعْجِزُ عَنْهُ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا إِلَى أَنْ يَتَسَلْسَلَ قُلْتُ التَّحْقِيقُ لِمَنْ بَلَغَ مَقَامَ الْفَنَاءِ أَنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمَشْكُورُ فَوَرَدَ « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »

به قبل العقبى لكان لا يأخذه ، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع ، وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقلع ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولالذاتها بالمها ، ولا فرحها بغمها هكذا يرى إلى الان ، وهكذا يكون الى آخر ما بقي من الزمان، اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة ، حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليهم وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزين للشاب العشيق الغبي حتى اذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه ، فلا يزال معها فى عناء دائم وتعب قائم ، وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها فى لحظة ، ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم فى جميع عمره ، فهكذا وقع ارباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغى أن يقول أن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها . وتألم المعرض عنها يفضى الى اللذة فى الآخرى وتألم المقبل عليها يفضى الى العسر فى المعاقبة. فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى (ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) ، ﴿ فان قلت كيف يمكن الشكر ﴾ لله ﴿ والعبد يعجز عنه ﴾ أى عن شكر الله ﴿ الا بتوفيقه ﴾ لشكره ﴿ وهو ﴾ أى والحال ان توفيقه لشكره ﴿ نعمة تستدعى شكراً ﴾ آخر ﴿ الى ان يتسلسل ﴾ فيصير الشكر محالا ﴿ قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء عن نفسه والبقاء بربه ﴿ أن الشاكر ﴾ الذى ﴿ هو ﴾ الشكور ﴿ المشكور ﴾ وأن المثنى هو المثنى عليه ﴿ فورد ﴾ فى الحديث المشهور ﴿ لا احصى ثناء عليك ﴾ أى لا اطيق الحمد والشكر على نعمك ﴿ أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ وحاصله أن الاعتراف بالعجز عن الشكر عين الشكر ، وأنشد العجز عن درك الادراك ادراك :

كما حقق فى توحيد الذات حيث قال تعالى: (ولا يحيطون به علما) (ليس كمثله شيء) وقال على : ما خطر ببالك فالله غير ذلك . وقالت الملائكة (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا) وقيل

فى معنى قول بعض السلف : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أى من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . وتوضيح السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذى هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب : هو أن جميع ماتتعاطاه باختيارنا من أنواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هى نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر اخرى ، اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر أمورنا التى هى أسباب سكوننا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه. فكيف نشكر نعمته بنعمته ، ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا آخرله وركبناه ، او اعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا ، بل كان الثانى يحتاج الى شكر آخر كما يحتاج الاول، ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى، فيؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من هذين الوجهين، ولسنا نشك فى الامرين، وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع *

فاعلم أن هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليهما السلام فقال : يارب كيف اشكرك وانا لا استطيع أن اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك، وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك ، فاوحى الله تعالى اليه : اذا عرفت هذا فقد شكرتنى . وفى خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضيت بذلك منك شكرا . والتحقيق فى مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين : نظرا بعين التوحيد المحض، وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وانه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس فى الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك الا وجهه ، ومن هنا قول لبيد

الا كل شيء ماخلا الله باطل

وقول بعض ارباب الشهود: سوى الله والله مافى الوجود، وقول بعض الابرار

ليس فى الدار غيره ديار

وذلك أن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد ، اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود ، بل قائم بغيره فهو موجود بغيره ، فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة ، وانما الموجود هو القائم بنفسه، والقائم بنفسه هو الذى اذا قدر عدم غيره بقى موجودا . فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت فى هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره ، واليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكور ، وهو المحب

وهو المحبوب ، ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ
(انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فقال واعجباه اعطى وأثنى. اشار الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه. ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرىء بين يديه (يحبهم ويحبونه) فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه ، اشار به الى ان المحب هو المحبوب ، وهذه رتبة عالية ومنزلة غالية لانفهمها الا بمثال على حد عقلك ، فيقال ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد أحب نفسه ، والصانع اذا احب صنيعته فقد أحب نفسه ، وكل ما فى الوجود ســوى الله فهو تصنيفه وصنعته ، فان أحبه فـما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب . وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق التفريد . وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه عن غير الله فلم يرفى الكون الا الله ، وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية لنص المعية كما بينته فى رسالة المرتبة الشهودية فى المنزلة الوجودية ، فهذا احد النظرين * وأما النظر الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ، ولو عرف اعلم انه من حيث هو لاثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث أوجد لا من حيث وجد ، وفرق بين الموجود وبين الموجد ، وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد . فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل ، والموجود قائم وقيوم ، والموجد هالك وفان ، فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة فى مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ، ومعناه ان لاترى الا الله الواحد القهار . فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون ، والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى (ومايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اذعبدة الاوثان قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى) وكانوا داخلين فى اوائل التوحيد دخولا ضعيفا . والمتوسطون وهم الكثيرون ففيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح لهم حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لايثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز كما قيل :

كل الى شأو العلا حركاته ولكن عزيز فى الرجال ثباته

ولما أمر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه (واسجد واقترب) قال فى سجوده « اعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك لا احصى ثناء

وَاخْتُلِفَ فِي وُجُوبِهِ فِي الْمَصَائِبِ وَالْحَقُّ الْوُجُوبُ عَلَى أَنْ لَا يُصِيبَ أَكْبَرَ مِنْهَا وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي الدِّينِ

عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقوله عليه السلام : اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، وكأنه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ، ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات ، فقال . اعوذ برضاك من سخطك ، ثم رأى ذلك نقصا ما فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال : اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ، ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ، ومستعيذا به ومثنيا عليه ، ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا ما في مقام أنسه فاقترب فقال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك . فقوله : لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها . وقوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنه هو المثنى وهو المثنى عليه ، وأن الكل منه بدا واليه يعود ، ولقد كان عليه السلام لا يرقى من مرتبة الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ، كما قال « أنه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة » فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض فى مقام الوحدة ومشاهدة الكثرة : هذا وما من مقبول الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه ، وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه ، فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ، ولا قاهر الا الله الواحد القهار ، ولا قادر الا الملك الجبار . وهذا معنى قوله « خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى » ﴿ واختلف فى وجوبه ﴾ أى الشكر ﴿ فى المصائب والحق الوجوب ﴾ بناء على ستة اشياء ﴿ على أن لا يصيب أكبر منها ﴾ أي من تلك المصيبة التي أصابته اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يردها عما ارادها . وكان يقول شيخنا العالم النقى على المتقى : اذا اخذ عمامتك فتصدق بالحلاوة بسلامة رأسك . فالمصيبة المالية أهون من المصيبة البدنية ﴿ وأن لا تكون ﴾ المصيبة ﴿ فى الدين ﴾ فقد قال رجل لسهل : دخل اللص بيتي وأخذ متاعى ، فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد فى دعائه عليه السلام « لا تجعل مصيبتنا فى ديننا » وقال عمر

وَأَنْ تُعَجَّلَ عُقُوبَتُهَا وَلَا تُدَّخَرَ لِلْآخِرَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ آتِيَةً فَفُرِغَ مِنْهَا وَأَنَّ ثَوَابَهَا خَيْرٌ مِنْهَا

رضى الله عنه : ما ابتليت ببلاء الا كان لله على فيه أربع نعم : اذ لم تكن فى دينى، ولم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضاء وازدجوت الثواب عليها ﴿ وان تعجل عقوبتها ﴾ بصيغة المجهول أى عقوبة المعصية فى الدنيا ﴿ ولا تدخر للآخرة ﴾ فلعذاب الآخرة أشد وأبقى، اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى . اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين . وأيضا مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة ، ومن تعجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانية فى العقبى، لقوله عليه السلام « اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء فى الدنيا فالله اكرم أن يعذبه ثانيا فى العقبى » كذا فى الاحياء . وقال مخرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده » ولاحمد والطبرانى باسناد صحيح من رواية الحسن البصرى « عن عبد الله بن مغفل أن رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فاثر فى وجهه ، فاتى النبى عليه السلام فاخبره ، فقال عليه السلام : اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا » وقال على كرم الله وجهه : الا أخبركم بارجى آية فى كتاب الله تعالى؟ قالوا بلى فقرأ عليهم (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) ولله در القائل

لعمرك ما كالشكر داع زيادة ولا عوضا كالصبر عند المصائب

﴿ وانها ﴾ أى ولان المصيبة الماحية ﴿ كانت ﴾ فى التقدير ﴿ آتية ﴾ لابد من وصولها اليه وقد وصلت ﴿ ففرغ منها ﴾ وتخلص عنها فهى نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى (ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) ﴿ وأن ثوابها ﴾ أى المصيبة ﴿ خير منها ﴾ أى من عدمها فما من شىء يقع للعبد الا ويتصور أن يكون له فيه ذخيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبتليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلاء اذا رأوا ثواب البلاء . ويتمنوا أنه كان يقرض ابدانهم فى الضراء فقد روى أن رجلا قال له عليه السلام اوصنى ، فقال « لا تتهم الله فى شىء قضاه عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة . وقال عليه السلام « عجبا لامر المؤمن أن أمره كله

وَأنّها تَنْقُص من القلب حُبَّ الدّنيا فهِي في التحقيق نعمٌ إذ لاتخلو عن تكفير للخطيئة أو رياضة للنفس أو رفع للدرجة وقراءة سورة الواقعة في أيام العسرة لطلب القناعة أو العدة على العبادة دون وسعة الدنيا وانما قرئت لما ورد فيها من الأخبار

له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن أن اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه مسلم ﴿ وانها ﴾ أى ولان المصيبة ﴿ تنقص من القلب حب الدنيا ﴾ فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﴿ فهى ﴾ أى المصائب ﴿ فى التحقيق نعم ﴾ يجب لأهل التوفيق الشكر عليها ﴿ اذ لاتخلو ﴾ المصيبة ﴿ عن تكفير للخطيئة ﴾ ان كان من المبتدئين ﴿ أو رياضة للنفس ﴾ لما فيها من المحنة والبلية ان كان من المتوسطين ﴿ أو رفع للدرجة ﴾ أن كان من المنتهين . والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله عليه السلام « من يرد الله به خيرا يصب منه » رواه البخارى من حديث أبي هريرة « ولابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد الخدرى « أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسدى » فقال لاخير فى عبد لايذهب ماله ولا يسقم جسده » أن الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره » ولابي داود « أن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك » ﴿ وقراءة سورة الواقعة ﴾ مبتدأ و ﴿ فى أيام العسرة ﴾ ظرفه والخبر ﴿ لطلب القناعة ﴾ أى قناعة القلب ، وهو أن لايشغله شاغل عن حضرة الرب ؛ وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم أوصيتم بالشكر على المصيبة وأثبتم انها فى التحقيق من النعمة ، فقراءة السلف سورة الواقعة كل ليلة فى أيام العسرة لاى معنى كانت ؟ فاجاب بما تقدم . وقد اخرج ابن عساكر فى فضائل القرآن ، وأبو يعلى وابن مردويه فى تفسيره والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة » واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « سورة الواقعة سورة الغنى فاقرءوها وعلموها اولادكم » ﴿ او العدة ﴾ أى الاستعداد ﴿ على العبادة دون وسعة الدنيا ﴾ لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها ﴿ وانما قرئت ﴾ السورة ﴿ لما وردفيها ﴾ أى فى فضلها ﴿ من الاخبار

وَالآثَار وَالاَّ فَلاَمُبَالاَةَ بِحَمْدِه تَعَالَى بِالشِّدَّة فَهُمْ كَانُوا يَغْتَنِمُونَهَا وَأَمَّا نِدَاءُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلِبَيَانِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الصَّبْرِ وَجَزِيلِ جَزَائِه لِقَرِينَةِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَوْ لِبُلُوغِ الْمَرَضِ الَى الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ الْمُفَوِّت لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ أَوِ الْعَجْزِ عَنْ اقَامَة الصَّلاَة أَوْ لاِنْقِطَاعِ الْوَحْي أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَانَّمَا وَرَدَ الأَمْرُ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَالنَّهْيُ عَنْ سُؤَالِ الْبَلِيَّةِ

والآثار ﴾ كما سبق ﴿ والا ﴾ أى وأن لم يحمل على ما تقدم ﴿ فلامبالاة بحمده تعالى ﴾ للسلف ﴿ بالشدة ﴾ أى بالبلاء والمحنة ﴿ فهم ﴾ أى السلف ﴿ كانوا يغتنمونها ﴾ أى الشدة والبلاء اكثر مما كانوا يغتنمون الراحة والنعماء ﴿ وأما نداء ايوب عليه السلام ﴾ (رب انى مسنى) الضر ﴿ فلبيان الشكر ﴾ واظهاره ﴿ على نعمة الصبر ﴾ لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) ﴿ وجزيل جزائه ﴾ أى وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه ﴿ لقرينة وأنت ارحم الراحمين ﴾ وذلك لان الله تعالى ساط بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة اصفيائه فهو فضل من الله ومن جملة عطائه ، فشكر عليه وتبجح لديه وأشار اليه بقوله مسنى الضر الذى تخص به انبياءك واولياءك بلا استحقاق منى بل بكرم منك فانك ارحم الراحمين ﴿ او لبلوغ المرض الى العقل ﴾ أى القلب ﴿ واللسان المفوت ﴾ ذلك المرض ﴿ للمعرفة ﴾ بالجنان ﴿ والذكر ﴾ باللسان ﴿ او العجز عن اقامه الصلاة ﴾ بتمام اركانها ﴿ او لانقطاع الوحى اربعين يوما ﴾ ومقام الفترة فى غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام أن يرمى نفسه عن الصخرة ، ولذا قيل : الحجاب أشد العذاب ﴿ وانما ورد الامر بسؤال العافية ﴾ فى الاحاديث الثابتة الوافية لما رواه الترمذى من قوله عليه السلام « ماسئل الله شيئا احب اليه من أن يسئل العافية » ولابن ماجه عن انس مرفوعا « سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة فاذا اعطيت العافية فى الدنيا واعطيتها فى الآخرة فقد افلحت » ولاحمد والترمذى عن أبى بكر « سلوا الله العفو والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية » ﴿ والنهى عن سؤال البلية ﴾ فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين فقال « أما هؤلاء كانوا يسألون الله العافية » رواه الترمذي ، وقال علي رضي الله عنه : اللهم انى اسئلك الصبر ، فقال عليه السلام

لأنَّ الأولى سُؤَالُ تَمَامِ النِّعْمَةِ فى الدُّنْيَا وَثَوَابِ الشُّكْرِ فى الآخرَةِ لقُدْرَتِه تعالَى عَلَى أنْ يُعْطِى الأجْرَ الجزِيلَ عَلَى الشُّكْرِ مَا يُعْطِى عَلَى الصَّبْرِ، وَأمَّا مِثْلُ :

فَلَيْسَ لِى فِى سِوَاكَ حَظٌّ * فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِى

وَقَوْلِ الآخَرِ: أُرِيدُ وِصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِى * فَأتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

فَكَلامُ العُشَّاقِ فِى حَالِ الغَلَبَةِ وَهُوَ يُطْوَى وَلَا يُرْوَى

« لقد سألت الله البلاء فسله العافية » رواه الترمذى ولابن ماجه والنسائى باسناد جيد عن أبى بكر الصديق أنه عليه السلام قال « سلوا الله العافية فما أعطى عبد أفضل من العافية الا اليقين » واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك ، فعافية القلب اعلى من عافية القالب ﴿ لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا ﴾ فان تمامها بعافية البدن فيها ﴿ وثواب الشكر ﴾ اى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء ﴿ فى الآخرة لقدرته تعالى على أن يعطى الاجر الجزيل على الشكر ﴾ على نعمة رفع البلاء ﴿ ما يعطى على الصبر ﴾ على محنة البلاء ، ومن هنا قال عليه السلام « ولكن عافيتك اوسع » كما رواه ابن أبى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف . وقال مطرف بن عبدالله: لان اعا فى فاشكر احب الى من أن ابتلى فاصبر . ﴿ وأما ﴾ ما يرد على قوله والنهى عن سؤال البلية ﴿ مثل ﴾ قول سمنون المحب :

فليس لى فى سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرنى

وقول الآخر اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد

﴿ فكلام العشاق فى حال الغلبة ﴾ من الاشواق ﴿ وهو ﴾ أى مثل هذا الكلام حين يجرى ﴿ يطوى ولا يروى ﴾ لان صاحب الحال لا يقتدى ه

ومن اللطائف ما حكى أن فاختة كانت يراودها زوجها فتمنعه، فقال ما الذى يمنعك عنى ولو اردت أن اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك ، فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه على ماجرى ، فقال يا نبى الله : كلام العشاق يسمع ولا يحكى *

ثم اعلم أنه حكى أن سمنون بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر، فكان بعد ذلك يدور على أبواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ؛ ومن هذا القبيل ما قال

وَفِى أَنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلُ أَمِ الصَّابِرِ ؟

بعضهم : اودان أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أناف النار ، لأن محبة الانسان ليكون هو فى النار دون سائر الخلق غير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلو زايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى، وأما قول الشاعر : أريد وصاله البيت فهو أيضا محال اذ معناه انى أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذى لم يرده كذا قرره الامام حجة الاسلام، ولا يبعد أن يقال فى البيت الثانى انه أراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله ، وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصلا اوهجرا قربا اوبعدا كما يشير اليه قوله تعالى (وماتشاؤن الا ان يشاء الله) وقول السلف : ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وفى هذا المقام قال أبو يزيد البسطامى لما قيل له ماتريد : أريد ان لا اريد غايته انه قال صاحب منازل السائرين : هذه ايضا ارادة، ونوقش بان هذه ارادة مطلوبه وبانها داخلة فى قوله لا اريد . والحاصل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء، واما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه، ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ اوشظية لذة ولو كان فى ضمن الدعوى لهذه الحالة التى اظهرها بتلك المقالة ﴿وفى﴾ أى واختلف أيضا فى ﴿ان الشاكر﴾ الغنى ﴿افضل أم الصابر﴾ الفقير، وأما الفقير الصابر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقا فقد قال قائلون : الصبر افضل من الشكر، وقال آخرون : الشكر افضل من الصبر ، وقال جماعة : هما سيان لقوله عليه السلام : الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان اذ العلم خير من العمل. وقالت طائفة : يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختاره الجلال السيوطى والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم : ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر، ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم ، وانما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وانقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ مَاكَانَ بِتَلَذُّذٍ فَلَا تَعَدُّدَ وَهُوَ عَلَى الْبَلَاءِ خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى الرَّخَاءِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ. مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيتُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَشْكَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَجْزِيهِ اللهُ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَيُؤْتَى بِأَصْبَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ نَجْزِيَكَ كَمَا جَزَيْنَا هَذَا الشَّاكِرَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَارَبِّ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَعَلَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ فَشَكَرَ وَابْتَلَيْتُكَ فَصَبَرْتَ لَأُضْعِفَنَّ لَكَ الْأَجْرَ

ماالذى كان آلم صفته وازعجها اتم خالا ممن متع صفته ونعمها . ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك فقال . الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر، فدعا عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قبل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة ، ويقول دعوة الجنيد اصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر . هذا والشاكر الذى يشكر على الموجود، والشكور الذى يشكر على المعبود ، ومن هنا قوله سبحانه (وقليل من عبادى الشكور ـ انه كان عبدا شكورا) وقوله عليه السلام «افلا أكون عبدا شكورا » واما الشكور من اسمائه عز وجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل ﴿والحق﴾ فى المسألة ﴿انه﴾ أى الشأن ﴿ان أريد﴾ بالصبر ﴿ماكان﴾ من الصبر ﴿بتلذذ فلا تعدد﴾ كما سبق بيانه ان الصبر حينئذ هو الشكر ﴿وهو﴾ أى الصبر المطلق من غير التلذذ الملحق ﴿على البلاء خير منه على الرخاء﴾ كما مر فى كلام الجنيد من طريق الايماء. ﴿وهو﴾ أى وهذا الصبر هو ﴿المراد بما ورد من افضل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر﴾ وقد تقدم ﴿يوتى يوم القيمة باشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر أهل الارض فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول نعم رب، فيقول الله عز وعلا انعمت عليه﴾ وفى نسخة الاحياء كلما انعمت عليه ﴿ فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر﴾ كذا فى الاحياء. وقال مخرجه: لم أجد له اصلا اه لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى «يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض

وَالَّا فَالشُّكْرُ لِابْتِنَائه عَلَى الْمَحَبَّة وَهِى أَعْلَى الْمَقَامَات ٭

﴿ الباب الثَّامن عَشَر فى الْخَوْف وَالرَّجَاء ﴾

مما يذهب به اهل البلاء من الفضل كذا فى تفسير البغوى ﴿والا﴾ أى وان لم يرد بالصبر ما كان بتلذذ ﴿فالشكر﴾ الذى يضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة أفضل من الصبر ﴿لابتنائه﴾ أى الشكر هذا ﴿على المحبة وهى﴾ أى المحبة ﴿اعلى المقامات﴾ وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذى غير تام ، والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ ، وأما قوله عليه السلام « الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر » كما ذكره الترمذى من حديث أبى هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ؛ ومن المعلوم ان المشبه به ينبغى ان يكون اعلى رتبة فى القدر . ومما يدل على فضيلة الفقر ما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل « يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة باربعين عاما » وروى البزار من حديث انس « آخر من يدخل الجنة من اغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف » ٭

﴿ الباب الثامن عشر فى الخوف والرجاء ﴾

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقتطع كل عقبة كؤود ، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء الا ازمة الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الا سياط التخويف وسطوات التعنيف ، وقد دخل عليه السلام عـــلى رجل وهو فى النزع فقال عليه السلام : كيف تجدك فقال اجدنى اخاف ذنوبى وارجو رحمة ربى ، فقال عليه السلام « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف » رواه الترمذى وغيره باسناد جيد ، ومن هنا قال تعالى : (نبىء عبادى أنى انا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) ليكونوا بين الرجاء والخوف ٭ وفى تقديم الرجاء ايماء الى أن الوصول به ارجى كما لا يخفى ، وكذا قوله تعالى (وأن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وأن ربك لشديد العقاب) فكان حق المصنف أن يقدم الرجاء ، وانما اخره كما فى الاحياء لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام أهل الانتهاء . ومـــا يدل على استواء الامرين حديث « القلوب بين اصبعين » ومما يدل على ترجيح الرجاء حديث « غلبت

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ خَاطِرَانِ فَلَا تَكْلِيفَ الَّا فِى مُقَدِّمَاتِهِمَا
مَبْنِيَّانِ عَلَى انْتِظَارِ مَا يُسْتَقْبَلُ فَالْمُسْتَغْرِقُ بِذِكْرِهِ تَعَالَى ابْنُ الْوَقْتِ فَبِعَدَمِهِمَا

رحمتي غضبي » وفى الجملة لابد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما. فلا بن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى شعبه ، وابن المبارك فى زهده من رواية الحسن مرسلا « لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين »ه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ رجاء كل خائف من العذاب الاليم ﴿الخوف﴾ للسائرين ﴿والرجاء﴾ للطائرين فى منازل السالكين ﴿خاطران﴾ عاطران ، وفى اصلهما عارضان ، وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين ، وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت ؛ واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زوالا ، فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب ، وهو جار فى كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب الرب . ثم اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له ، والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء ثوابه ؛ واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما ﴿فلا تكليف الا فى مقدماتهما﴾ وهى ذكر الآيات والاحاديث التى تبعث الانسان على الخوف والرجاء ، فمقدمات الخوف اربع : ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التى لا طاقة للانسان بها فى العاقبة ، وذكر ضعف النفس عن احتمالها ، وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء و كيف شاء فى احوالها ، ومقدمات الرجاء اربع ايضا . ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل ، وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته فى بابه دون استحقاقك اياه بالخدمة فى جنابه ، وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى ، وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه ، فهو بالرجاء أولى واحرى ثم هما ﴿مبنيان على انتظار ما يستقبل﴾ من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب ﴿فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت﴾ بل ابو الوقت ، فانه الغالب عليه ، وانما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه ، والحاصل انه مشتغل بما هو أولى فى الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت ﴿فبعدمهما﴾ أى

فَالرَّجَاءُ الفَرَحُ لِانْتِظَارِ مَحْبُوبٍ فَلَا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ فَإِنْ حَصَلَ أَكْثَرُ الأَسْبَابِ فَالأَصْدَقُ اسْمُ الرَّجَاءِ كَتَوَقُّعِ الحَصَادِ مِمَّنْ أَلْقَى بَذْرًا جَيِّدًا فِي أَرْضٍ صَالِحَةٍ يَصِلُهَا المَاءُ وَإِنْ فُقِدَ فَالغُرُورُ وَالحَمَاقَةُ كَمَا لَوْ أَلْقَى بَذْرًا فِي غَيْرِ صَالِحَةٍ لَا يَصِلُهَا المَاءُ وَإِنْ شَكَّ فِيهَا فَالتَّمَنِّي كَمَا إِذَا أَصْلَحَتِ الأَرْضُ وَلَا مَاءَ

الخوف والرجاء، وفى نسخة فيفقدهما ﴿ فالرجاء الفرح لانتظار محبوب فلا بد من سبب ﴾ وباعث لتحقيق انتظار المطلوب ﴿فان حصل اكثر الاسباب﴾ اى اسباب حصوله لديه ﴿ فالاصدق اسم الرجاء ﴾ ووصوله عليه كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا ﴾ نقيا غير عفن ولا مسوس ﴿ فى ارض صالحة ﴾ للزراعة بان تكون غير سبخة ﴿ يصلها الماء ﴾ على سعة ﴿وان فقد﴾ اكثر الاسباب ﴿فالغرور والحماقة﴾ اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه فى هذا الباب ﴿ كما لو القى بذرا ﴾ تالفا ﴿فى غير صالحة ﴾ من ارض ﴿ لا يصلها الماء ﴾ الا مرة ﴿وان شك فيها ﴾ أى فى كثرة الاسباب للحصاد بان حصل بعضها دون بعضها ﴿ فالتمنى ﴾ اصدق عليه من اسم الرجاء ﴿ كما اذا صلحت الارض ﴾ مع القاء البذر الجيد ﴿ولا ماء﴾ لاحتمال وصول ماء من السماء. وتوضيحه أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالارض، والايمان كالبذر، والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها. والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرهـــا كالارض السبخة التى لاينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الحصاد ولايحصد أحد الامازرع ولاينمو زرع الامن بذر الايمان، وقل ماينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى العصيان، فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق الامااليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع. فالعبد اذا بث بذر الايمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية، وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الممات، وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره رجاء حقيقيا، وأن قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات، وترك القلب مشحونا بالاخلاق السيئات، وانهمك فى طلب اللذات والشهوات واللهوات، ثم انتظر المغفرة

فَوَرَدَ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَكَمَا وَرَدَ «الأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ أَمَّا حُسْنُ الظَّنِّ

وعلو الدرجات فانتظاره حمق وغرور فى الحالات ﴿ فورد أن الذين آمنوا والذين هاجروا ﴾ السيئات واللذات ﴿ وجاهدوا فى سبيل الله ﴾ بتكثير الطاعات ﴿ اولئك يرجون رحمت الله ﴾ أى هم الذين يستحقون أن يرجوا رحمة ربهم ، بخلاف من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع اليه ، فرجاؤه المغفرة حمق وغرور كما قيل : الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته عز وجلا . ﴿ وكما ورد : الاحمق من اتبع نفسه هواها ﴾ وتابعها فى طلب مشتهاها ﴿ وتمنى على الله ﴾ أن يدخل الجنة ومأواها . والحديث تقدم . وقال يحيى بن معاذ الرازى . من اعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء من غير عمل ، والتمنى على الله عزوجل مع الافراط فى الامل.قال عبد الله بن المبارك الحنظلى ٭

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ٭ وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ٭ إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقد ورد «أن زيد الخيل الذى غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام وقال : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ، فقال كيف اصبحت ؟ قال أصبحت احب الخير وأهله واذا قدرت على شىء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه ، واذا فاتنى شىء منه حزنت عليه وحننت اليه ، فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو هيأك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى اوديتها هلكت» رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود ٭ فمن ارتجى أن يكون مرادا للخير من غير هذه العلامات فهو مغرور فى وادى الملامات . وعن على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة تبتل عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ﴿ أما حسن الظن ﴾ بالله حيث يقول «أنا عند ظن عبدى بى» كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان «فليظن بى ما شاء» وعنه عليه السلام «لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله» كما رواه مسلم من حديث جابر ، أنما يكون

بِالحَذَرِ عَنِ المَعْصِيَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِلسَّالِكِ فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُهَوِّنُ احْتِمَالَ المَشَقَّةِ وَالقُنُوطُ كُفْرٌ فَوَرَدَ (لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ) وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِهِ

﴿بالحذر عن المعصية والاجتهاد فى الطاعة فلا بد منه للسالك﴾ أى من حسن الظن وغلبة الرجاء ﴿فهو يبعث على الطاعة﴾ وترك المعصية ﴿ويهون احتمال المشقة﴾ فى ورود المصيبة والمحنة ﴿والقنوط﴾ وهو ضد الرجاء ﴿كفر﴾ قال تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) وهو بمعنى اليأس ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون﴾ وورد أنه عليه السلام قال « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم ، فهبط جبريل فقال : أن ربك عز وجل يقول : لم تقنط عبادى ؟ فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم » رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ؟ وأوله متفق عليه من حديث أنس . وقال على كرم الله وجهه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وعنه رضى الله عنه : انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله . وللبيهقى فى الشعب عن زيد بن أسلم « أن رجلا من بنى أسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم ، قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم اؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها » وفى الخبر « أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى ، فقال يارب كيف أحببك إلى خلقك ؟ فقال اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل » ولابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعبه من حديث أنس مرفوعا « أن رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادى ياحنان يامنان ، فيقول الله تعالى لجبريل أذهب فأتنى بعبدى ، قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك ؟ قال فيقول شر مكان فيقول بما قدمت يداك وما أنا بظلام للعبيد ردوه إلى مكانه ، قال فيمشى فيلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أى شىء تلتفت ؟ فيقول رجوت أن لا تعيدنى اليها بعد أن أخرجتنى منها ، فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة » فدل هذا على أن رجاءه أنجاه ﴿والطريق﴾ الموصل الى تحصيل الرجاء ذكر ستة اشياء ﴿ذكر سوابق فضله﴾ فى ايجاد

دُونَ شَفِيعٍ وَمَا وَعَدَ اللهُ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقٍ وَمَا أَنْعَمَ بِمَايُعَدُّ فِي الدَّارَيْنِ دُونَ سُؤَالٍ وَسَعَةَ الرَّحْمَةِ وَسَبْقَهَا الغَضَبَ فَوَرَدَ «رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِثْلُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ) الآيَة «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

العبد وأمداده من جوده و كرمه ﴿دون شفيع﴾ أى بلا شفيع من عنده ﴿ وما وعد الله من جزيل ثوابه﴾ فى كتابه ﴿ دون استحقاق﴾ سابق فى بابه مع أنه لا استحقاق للمملوك على المالك بشىء من حسابه ﴿ وما انعم ﴾ على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة ﴿ بما يعد﴾ نفعه ﴿ فى الدارين ﴾ من عنده ﴿ دون سؤال ﴾ أى من غير مسألة سابقة من عبده ﴿ وسعة الرحمة ﴾ قال الله تعالى: (ورحمتى وسعت كل شىء) وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «ولو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ﴿ وسبقها الغضب فورد رحمتى سبقت غضبى ﴾ وفى رواية غلبت. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتى تغلب غضبى» ﴿ وما ورد فيه ﴾ أى فى فضل الرجاء من الكتاب والسنة ﴿ مثل لا تقنطوا من رحمة الله الآية ﴾ أى (أن الله يغفر الذنوب جميعا) وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالى كما رواه الترمذى من حديث اسماء بنت ابى يزيد وحسنه ﴿ انا عند ظن عبدى بى ﴾ كما تقدم والله اعلم وكان ابو جعفر محمد بن على يقول : انتم اهل العراق تقولون ارجى آية فى كتاب الله عز وجل (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ونحن اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انتهى وذلك لما ذكر فى تفسيره انه عليه السلام قال «لا يرضى محمد وواحد من امته فى النار» اى مؤبدا . وكان بعض العارفين يرى آية المداينة فى سورة البقرة من اقوى اسباب الرجاء فقيل له : وما فيها من الرجاء؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الانسان فيها قليل ، والدين من رزقه قليل ، فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليهتدى بها عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينه ، فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له منه فى دنياه وعقباه ، وروى فى تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) ان الله أوحى الى نبيه عليه السلام انى أجعل حساب أمتك اليك ، فقال لا يارب أنت خير لهم مني فقال اذن لا آخزيك فيهم » رواه ابن أبى الدنيا في كتاب

وَالْخَوْفُ وَهُوَ الْحُزْنُ لِانْتِظَارِ مَكْرُوهٍ

حسن الظن بالله تعالى . وللبيهقي في شعبه من رواية عقبة بن الوليد «ان الخليل قال يوما يا كريم العفو، فقال جبريل أتدرى ما تفسير يا كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه» ولابن أبي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه » وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه، وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك » وللترمذى من حديث أنس وصححه وابن ماجه من حديث جابر «شفاعتي لاهل الكبائر من امتي » وقال الثوري: ما احب أن يجعل حسابي الى ابوى ، لاني أعلم أن الله تعالى ارحم بي منهما . وقال ابن ادهم: خلالى المطاف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب، فقلت يارب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا، فهتف هاتف من البيت : يا ابرهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك ، فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ، ويؤيده حديث «لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » رواه مسلم من حديث أبي هريرة وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب، ويؤيده حديث «لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو شر من الذنوب، فقيل ماهو؟ قال العجب »رواه البزار وابن حبان والبيهقى من حديث أنس. وقال الجنيد : أن بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين . ويؤيده قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال يحيى بن معاذ في مناجاته : يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص، وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لاتغفرها وأنت بالجود موصوف . وكان بعض السلف يقول في دعائه: يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابغة ، وارزاقك عليهم دارة سائغة ، سبحانك ما احلمك ، وعزتك أنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك يا ربنا أنما تطاع، وسبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكانك يا ربنا لاتغضب ﴿ والخوف ﴾ عطف على الرجاء ﴿ وهو الحزن لانتظار مكروه ﴾ وهو تألم

فَأَمَّا مِنَ العِلْمِ بعَدَمِ مُبالاتِه تعالى فوَرَدَ هؤلاء في الجَنَّة ولا أُبالي وهؤلاء في النّار ولا أُبالي من مَلامةِ أحد أو من الطّاعةِ والمعصيةِ أو لعدمِ تأثيرِ الاثابةِ والتَّعذيبِ في زيادةِ مُلكي ونُقصانه

القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه الظام، وصار ابن وقته ويشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها، ولهذا اشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد، وقال أيضا: اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر. ويؤيده ظاهر قوله تعالى (الا أن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام، وأما بالنسبة إلى الصلحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى، وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصانا في شهوده، وانما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات، لكن الكلام الآن في اوائل الحالات، فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال ﴿ فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى ﴾ فانه عز وجل لا يسأل عما يفعل، ومن عزته في صفاته أنه لو أهلك العالمين لم يبال من أحد ولم يمنعه مانع لوحدة ذاته ﴿ فورد ﴾ في حديث مشهور: ان الله تعالى لما خلق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال ﴿ هؤلاء في الجنة ولا ابالي ﴾ وقبض اخرى فقال ﴿ هؤلاء في النار ولا ابالي ﴾ أي لا ابالي ﴿ من ملامة أحد ﴾ اذ لا يجب على الله شيء لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي ﴿ أو من الطاعة والمعصية ﴾ أي او المعنى لا ابالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاص، فانه لما ورد « لو عذب أهل سمواته وارضه لكان عادلا في حكمه غير ظالم في امره » ﴿ أو ﴾ لا ابالي ﴿ لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه ﴾ كما في حديث مسلم عن أبي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه « ياعبادي أنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ياعبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا. ياعبادي

أَوْ لأَنِّي مُتَصَرِّفٌ فِي مِلْكِي أو مُتَفَضِّلٌ غَيْرُ مَائِلٍ عَادِلٌ غَيْرُ جَائِرٍ أَوِ الجَهْلُ بِالخَاتِمَةِ وَهُوَ لِلْمُتَّقِي أَغْلَبُ وَالأَعْلَى مِنْ سَابِقَةِ الأَزَلِ وَإِمَّا مِنَ المَعَاصِي

لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل وأحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا» ﴿ او ﴾ لا ابالي ﴿ لاني متصرف في ملكي ﴾ افعل ماشاء وأحكم ما اريد بالعدل ﴿ او ﴾ لاني ﴿ متفضل غير مائل ﴾ في ادخال الجنة ﴿ عادل غير جائر ﴾ في ادخال النار لما تقدم ﴿ او الجهل ﴾ أي او الخوف هو الحزن للجهل ﴿ بالخاتمة وهو ﴾ أي خوف الخاتمة ﴿ للمتقي أغلب ﴾ لانه بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه ، فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ، ولذا قال عليه السلام: «والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له» رواه البخاري من حديث انس وللشيخين من حديث عائشة «والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية» وقد قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ﴿ والاعلى ﴾ من انواع المخافة وادلها على كمال المعرفة ان يكون الخوف ﴿ من سابقة الازل ﴾ لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة . فالخاتمة في هذا الباب تظهر بما سبق به القضاء في ام الكتاب ، فالالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوفيقه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد بعد ما كان في حيز العدم ، واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل المـــوت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم» رواه الترمذي من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه» رواه البزار وغيره بسند حسن، ومن هنا خوف الكاملين حيث لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي قوله عزوعلا (فمنهم شقي وسعيد) وقوله عزوجل (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقوله سبحانه (اما شاكرا واما كفورا) ﴿ واما ﴾ بالكسر عطف على قوله اما من العلم الخ ، والمعنى أن الحزن لانتظار مكروه اما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظمته واما ﴿ من المعاصي ﴾ أي من جهة

وَيَخْتَصُّ بِمَوْضِعِ الْغُرُورِ عِنْدَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَمَامَنَ السُّؤَالِ

كثرة المعصية الصادرة عن العبد فى حال غفلته وغرته ﴿ ويختص ﴾ الخوف من المعصية ﴿ بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الأول ﴾ أى يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم أن هذا كان من المعاصى لامن عدم المبالاة لأن خوف عدم المبالاة لايزول قط وخوف الثانى يزول عند المواظبة على الطاعة * وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلالته فهذا أعلى رتبة وأعلى منزلة ، ولذا يبقى خوفه وان كان فى طاعه الصديقين ، وأما الآخر فهو فى عرضة الغرور والأمن ان واظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله ، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ماهو جدير بان يخاف من غير جنايته ، بل العاصى لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته ، اذ لولا انه يخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام أسبابها ، فان تيسير أسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجرى عليه أسبابها . ولاسبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبل القربات ، فالعاصى قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى فكذا المطيع حسب ماقدره الله وقضى . فالذى رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع أبا جهل فى أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله أطاع بأن سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة ، وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذى عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ماالذى اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه ، وما الذى اوجب اهانة الآخر وتبعيده بتسليط دواعى المعصية لديه ، وكيف يحال ذلك على العبد وينسب اليه . واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بماشاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مريد طالب للمزيد ﴿ ثم ﴾ الخوف عند سكرات الموت وشدته ومابعده ﴿ امامن السؤال ﴾ فى القبر من منكر ونكير ، اوعند

أَوِ العَذَابِ أَوْفَوْتِ الجَنَّةِ وَنَحْوِهَا، وَتَخْتَلِفُ الآثَارُ فَمَنْ خَافَ اسْتِيلَاءَ العَادَةِ وَاظَبَ عَلَى تَرْكِهَا وَمَنْ خَافَ اطِّلَاعَهُ تَعَالَى اشْتَغَلَ بِتَنْقِيَةِ السِّرِّ فَاعْتَبِرْ وَيُؤَثِّرُ فِي البَدَنِ بِالهُزَالَةِ وَالصُّفْرَةِ وَالضَّعْفِ وَالبُكَاءِ وَإِذَا كَمُلَ يُؤَدِّي إِلَى الجُنُونِ وَالمَوْتِ وَهُوَ شَهَادَةٌ لَكِنْ الأَفْضَلُ مَنْ عَاشَ وَجَاهَدَ

الموقف من نقير وقطمير ﴿ او العذاب ﴾ فى القبر، او من هول المطلع، او هيبة الموقف، والحياء من كشف الستر، اومن مزلة الصراط، اوحدته وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال، او العذاب فى النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال ﴿ اوفوت الجنة ﴾ دار النعيم والملك المقيم ﴿ ونحوها ﴾ من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات، واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب، فانه أشد العذاب عند ارباب الالباب، وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين. ومن لم تكمل معرفته، ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق، فاذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وأنما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا فى باطنه وتعجب منه فى نفسه. قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى ﴿ وتختلف الآثار ﴾ للخوف بحسب اختلاف أنواعه فى الاسرار ﴿ فمن خاف استيلاء العادة ﴾ فى اتباع الشهوات المألوفة بالارادة ﴿ واظب على تركها ﴾ وداوم على خلافها ﴿ ومن خاف اطلاعه تعالى ﴾ على السرائر ﴿ اشتغل بتنقية السر ﴾ وتطهير القلب من الوساوس فى الضمائر ﴿ فاعتبر ﴾ وقس على هذا مخاوف اخرو هى من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها. ومن خاف هجوم الموت قبل التوبة بادر اليها ﴿ ويؤثر ﴾ الخوف ﴿ فى البدن بالهزالة ﴾ أى النحول باذابة اللحم والشحم ﴿ والصفرة ﴾ باللون المصحوب بالكدرة ﴿ والضعف ﴾ فى القوى ﴿ والبكاء ﴾ الصادر عن الخشية ﴿ واذا كمل ﴾ الخوف ﴿ يؤدى الى الجنون ﴾ بان يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أ ﴿ و ﴾ يقوى فيورث القنوط واليأس او يفضى الى ﴿ الموت ﴾ بان تنشق به المرارة ﴿ وهو ﴾ أى الموت من خوف الله ﴿ شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد ﴾ لقوله عليه السلام « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » وقد تقدم. واعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت، لا بسبب الخوف

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَوَرَدَ «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفِرُّ مِنْ ظِلِّ عُمَرَ» وَالأَعْلَى أَنْ يُدْهِشَهُ عَنِ الأَشْيَاءِ فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ لِلْغَيْبَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَصَدَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَاحْتَرَقَ فَلَا بُدَّ

فهو بالاضافة اليه فضيلة ، واما بالاضافة الى بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبيل أمره فليس بفضيلة، بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقى فى درجات المجاهدة فى كل لحظة رتبة شهيد ، ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » ولولا هذا لكان رتبة صبى يقتل ، اومجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبى اومنزلة ولى يموت حتف انفه ، وهو محال . والحاصل أن اقصى درجات الخوف أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله ، وذلك مع بقاء الصحة والعقل ، فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه أن كان قدرة لديه ،ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة : احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولى ناقص العقل . ويؤيده ما اشتهر فى لسان العامة : مااتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه، وكذا يؤثر الخوف فى الجوارح فيكفها عن السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط فى الماضى واستعدادا للمستقبل ، ولذا قيل: ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك مايخاف أن يعاقب عليه. وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه . وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام ﴿ ومن غلب عليه ﴾ خوف الله ﴿ خافه كل شىء ﴾ عما سواه. ولابى الشيخ بن حيان وابن أبى الدنيا حديث « من خاف الله خافه كل شىء » ﴿ كما كان ﴾ هذا المقام المعمر ﴿ لعمر رضى الله عنه فورد : أن الشيطان ليفر من ظل عمر ﴾ كما مر، وكذا يؤثر فى الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف سما فيه ﴿ والاعلى ﴾ فى مراتب الخوف ﴿ أن يدهشه ﴾ الخوف ويذهله ﴿ عن الاشياء ﴾ أى رؤيتها ويغفله عما يجرى على الاعضاء من حركتها ﴿ فلم تؤثر ﴾ الاشياء ﴿ فيه ﴾ أى فى الخائف ﴿ للغيبة عنها ﴾ أى لغيبة الخائف عن الاشياء والغفلة عنها ﴿ كما كان له عليه السلام حيث قصده الشيطان وهو فى الصلاة فاحترق ﴾ أى الشيطان فاذا كان الامر كذلك ﴿ فلابد ﴾

مِنْهُ فَهُوَ يَزْجُرُ النَّفْسَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَيَنْفِي الْعُجْبَ عَنِ الطَّاعَةِ. وَالأَمْنُ كُفْرٌ فَوَرَدَ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ الآيَةَ، وَالطَّرِيقُ النَّظَرُ فِي صِفَاتِهِ تَعَالَى وَأَفْعَالِهِ

للسالك ﴿ منه ﴾ أى من الخوف هنالك ﴿ فهو ﴾ أى الخوف ﴿ يزجر النفس ﴾ ويمنعها ﴿ عن المعصية ﴾ وارتكابها ﴿ وينفى العجب ﴾ ويدفعه ﴿ عن الطاعة ﴾ واكتسابها فاقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال المورثة للاحوال أن يمتنع من المحظورات، ويسمى الكف الحاصل عنها ورعا، فاذا زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن أيضا تحريمه، ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه الى مالا يريبه، وقد يحمله على أن يترك مالا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق فى التقوى، فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى مالا يسكنه، ولا يجمع مالا يأكله، ولا يصرف الى غير الله نفسا من أنفاسه فو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا، وأما الخوف الذى يجرى مجرى رقة النساء كما يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء، وكذا عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة عن خوف الرب، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى. وهذا حال الناس كلهم الا العارفين والعلماء الراسخين. ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور، بل العلماء بآيات الله وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته وذلك مما قد عز وجوده الآن كالكبريت الاحمر فى سالف الزمان ولذا قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فانك أن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت. وأما الخوف المفرط وهو الذى يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط فهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل، والمراد من الخوف هو الحمل على العمل، وإذا تحقق الياس له فهو كفر منه لانه أعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه فى زلته ﴿ والأمن ﴾ وهو ضد الخوف ﴿ كفر ﴾ أيضا لانه يدل على عتقاد عدم قدرته وفقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ فلا يأمن مكر الله الآية ﴾ أى (الا القوم الخاسرون) أى الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة بالكفر والمعصية ﴿ والطريق ﴾ الموصل الى تحصيل الخوف شيئان ﴿ النظر فى صفاته تعالى ﴾ الجلالية كالقهار والمنتقم والجبار ﴿ وأفعاله ﴾ فى مصنوعاته من معاملاته مع طوائف الكفار، فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشيته

فَوَرَدَ (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَذِكْرُ الذُّنُوبِ وَالْخُصُومِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ

بمشاهدة عظمة الله وعزته ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ لانهم العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته ﴿ انا أعلمكم بالله واخشاكم له ﴾ حديث متفق عليه ﴿ وذكر الذنوب ﴾ السابقة ﴿ والخصوم ﴾ المتعلقين به يوم القيامة فى الاحوال اللاحقة ﴿ وشدة العذاب ﴾ بعد مناقشة الحساب ﴿ وضعف النفس ﴾ عن العقاب والحجاب ﴿ وما ورد فيه ﴾ أى فى فضل الخوف من الكتاب والسنة وأقوال السلف وأحوالهم فى هذا الباب ، أما الكتاب فقوله تعالى (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (وخافونى ان كنتم مؤمنين) (سيذكر من يخشى) (وهم من خشية ربهم مشفقون) ه

وأما السنة فقوله عليه السلام «رأس الحكمة مخافة الله» رواه البيهقى فى شعبه من حديث ابن مسعود وقوله لعائشة لما قالت : يارسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة: هو الرجل يسرق ويزنى ، قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ، رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم . وقوله عليه السلام «مامن مؤمن تخرج من عينه دمعة وأن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا وحرمه الله على النار» رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود ، وقوله « اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها» رواه الطبرانى والبيهقى فى شعبه من حديث العباس. وقوله «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» رواه الترمذى وقال حسن صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سال : ما النجاة يارسول الله قال «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» وقد تقدم . وقوله «مامن قطرة أحب الى الله من قطرة دمع جرت من خشية الله أو قطرة دم اهريقت فى سبيل الله» رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وحسنه ، وقوله « اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جمرا» رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن وقوله «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله» وذكر منهم «رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه» رواه الشيخان ، وعن حنظلة قال «كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلى فدنت منى المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عليه السلام وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت فى نفسى قد نافقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت انادى نافق حنظلة ، فاستقبلنى أبو بكر فقال كلا لم تنافق ،فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا اقول نافق حنظلة ، فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة ، فقلت يارسول الله كنت عندك فوعظتنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا ، فرجعت الى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك ؛ فقال ياحنظلة لو انتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ؛ ولكن ياحنظلة ساعة فساعة ، رواه مسلم * وأما الآثار فقال أبو بكر الصديق : من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك . وكأنه اخذه من قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) ومن قوله (يبكون ويزيدهم خشوعا) ومن قوله (افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ومن قوله (خروا سجدا وبكيا) وكان محمد بن المنكدر اذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ؛ وقد تقدم فى الحديث ما يساعده . وقال عبد الله بن عمرو : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، فو الذى نفسى بيده لو يعلم أحدكم ما وراءه اصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه ، وقال أبو سليمان الدارانى : ما تغرغرت عين بمائها من خشية الله الالم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة ، فان سالت دموعه اطفأ باول قطرة منها بحار من النيران ، ولو ان رجلا بكى فى أمة ما عذبت تلك الامة . وقال كعب الاحبار : والذى نفسى بيده لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب الى من أن اتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر : لان ادمع دمعة من خشية الله أحب الى من ان اتصدق بالف دينار . وقال الفضيل : من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير ، أى وحفظه عن كل شر وضير. وقال الشبلى: ماخفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكم والعبر ما رأيته قط . وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه أى عقله . وقال ذو النون ينبغى أن يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب. وكان أبو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده ،فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين، وقيل ليحيي بن معاذ : من آمن الناس غدا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

وَاختلف فى أنَّ الرَّجاء أفضل أم الخوف والحق عدم الانفكاك اذ لو عدم أحدهما لصار أمنا أو قنوطا فشرطهما عدم القطع فلا يقال أرجو طلوع الشمس وأخاف هجوم الأجل والرَّجاء أفضل من حيث هو هو فهو طريق المحبة وورد سبقت رحمتي غضبي

لاتجد الخوف حتى تأكل الحلال · وقال أبو سليمان الدارانى مافارق الخوف قلبا الاخرب ﴿ واختلف فى أن الرجاء ﴾ للعبد ﴿ أفضل ﴾ من الخوف ﴿ أم الخوف ﴾ افضل له من الرجاء ﴿ والحق ﴾ من القول ﴿ عدم الانفكاك ﴾ أى انفكاك أحدهما عن الآخر ﴿ اذ لو عدم احدهما لصار أمنا ﴾ عند عدم الخوف ﴿ اوقنوطا ﴾ عند عدم الرجاء فان الرجاء بلا خوف امن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن والحق الاعتدال فى غالب الاحوال وأيضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى (يدعوننا رغبا ورهبا) (ويدعون ربهم خوفا وطمعا) نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه ﴿ فشرطهما ﴾ أى شرط وجودهما ﴿ عدم القطع ﴾ فى كليهما فالأمن والقنوط ينافى عدم القطع ﴿ فلا يقال ارجو طلوع الشمس وأخاف هجوم الأجل ﴾ لأن أمرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على مشكوك يتردد منه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لامحالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقديره عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لامحالة يتقابلان نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحصول بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالاضافة وكذا بالعكس ﴿ والرجاء أفضل من حيث هو هو ﴾ أى مع قطع النظر عن صاحبه انه فى أى مقام هو من مقامات المبتدئين والمنتهين من المريدين فى طريق المجتهدين أو المريدين فى أمر الدين ﴿ فهو ﴾ أى الرجاء ﴿ طريق المحبة ﴾ وسبيل المحبين وهو أفضل المقامات وأكمل الحالات ﴿ وورد سبقت رحمتي غضبي ﴾ وقد تقدم، وفيه تنبيه نبيه على أنه ينبغى أن يكون الرجاء أغلب على الخوف وتوضيحه أن الخوف والرجاء دواء ان تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب

وَهُوَ الأَفْضَلُ إن امْتَنَعَت النَّفْسُ عَن التَّوبَة لِكَثْرَة المَعَاصي أو اقْتَصَرَت عَلَى الفَرائض أَوْ ضَعُفَ وَأَشْرَف عَلَى المَوْتِ لِيَمُوتَ عَلَى المَحَبَّة، وَالخَوْف ان غَلَبَ التَّمَنِّي وَاعْتَادَ المَعَاصِي وَالاعْتِدَالُ ان اتَّقَى ظَاهِرَ الاثْمِ وَبَاطِنَهُ وَلَا يُعرِض بِمُعَارَضَة كَثْرَة أَسْبَابِ الرَّجَاء فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْه يَقُولُ لَوْ لَمْ يَدْخلِ الجَنَّةَ الَّا وَاحِدٌ

على القلب داء الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل وان كان الأغلب على العبد هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لأن الاغترار اغلب على القلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام فى طلب الرب وأما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التى تقتضى العنف والنقمة فلا تمازجه المحبة ممازجة الرجاء ﴿ وهو ﴾ أى الرجاء ﴿ الافضل ﴾ من الخوف والمفهوم من الاحياء انه الأصلح كما فى بعض النسخ هنا ولعله المصلح وانما يكون الرجاء أولى من الخوف ﴿ ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصى ﴾ الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة ﴿ واقتصرت ﴾ النفس ﴿ على الفرائض ﴾ دون الواجبات والسنن المؤكدات ﴿ أو ضعف ﴾ بالمرض والكبر ﴿ وأشرف على الموت ﴾ أى قاربه الفوت فان الأفضل حينئذ هو الرجاء ﴿ ليموت ﴾ بزيادة وصف الرجاء ﴿ على المحبة ﴾ الناشئة من كثرة الرجاء ﴿ والخوف ﴾ أفضل وأصلح واولى من الرجاء فى مقام الدواء ﴿ ان غلب التمنى واعتاد ﴾ صاحبه ﴿ المعاصى ﴾ لقلة خوفه ﴿ والاعتدال ﴾ بين الخوف والرجاء انسب واقرب ﴿ أن اتقى ظاهر الاثم وباطنه ﴾ أى جليه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بنى خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك ﴿ ولا يعرض ﴾ من الاعراض أى ولا يعدل المتقى المذكور عن الاعتدال ﴿ بمعارضة كثرة أسباب الرجاء ﴾ من الاعمال ﴿ فكان عمر رضى الله عنه ﴾ مع كمال تقواه وكثرة أعماله لله ﴿ يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد ﴾ من

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ إِيَّاهُ وَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا وَاحِدٌ أَخَافُ أَنْ أَكُونَ إِيَّاهُ وَتَعَسُّرُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْمَعَاصِي الْبَاطِنَةِ حَتَّى كَانَ عُمَرُ يَسْأَلُ حُذَيْفَةَ عَنْ وُجُودِ أَثَرِ النِّفَاقِ فِيهِ وَاحْتِمَالُ زَوَالِ الْأَسْبَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَوَرَدَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

المؤمنين ﴿ أرجو أنا كون اياه ﴾ اى ذلك الرجل ﴿ ولو لم يدخل النار الا واحد ﴾ من الخاق ﴿ أخاف أن أكون اياه ﴾ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى أن يساوى خوفه رجاءه فاما العاصى اذا ظن أنه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا على مافيه من الاغترار ﴿ وتعسر التحرز ﴾ عطف بالمعنى لان الفاء فى قوله فكان عمر لتعليل المعنى فالتقدير لانه كان عمر ولتعسر الاحتراز ﴿ عن المعاصى الباطنة ﴾ ويجوز عطفه على قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر لا ينبغى أن يساوى خوفه رجاءه بل ينبغى أن يغلب رجاؤه خوفه فاشار الى أن شروط صحة الايمان على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب أن يكون نظيفا من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق بها من اللذات واللهوات كثيرة وان سلم القلب فى الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها فى الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى فى أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر يبالغ فى تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصى حتى كان يقول رحم الله من أهدى الى بعيوب نفسى وكذا يخاف من النفاق وخصال أهله ﴿ حتى ﴾ غاية التعسر اى الى أن ﴿ كان عمر يسأل حذيفة ﴾ بن اليمان ﴿ عن وجود اثر النفاق فيه ﴾ أى عمر اذ كان حذيفة قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين، وكان يسمى صاحب سر النبى عليه السلام ﴿ واحتمال زوال الاسباب ﴾ أى ولاحتمال زوال اسباب الرجاء ﴿ فى المستقبل ﴾ من الزمان ﴿ فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ﴾ وفى الاحياء زيادة خمسين سنة ﴿ حتى لا يبقى بينه وبين الجنه الا شبر ﴾ قال فى الاحياء وفى رواية الا قدر فواق ناقة ﴿ فيسبق عليه

الـكـتَابُ فَيَخْتِمُ لَه بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ سُوءُ الْخَاتِمَةِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ امَّا بِالشَّكِّ أَوِ الْجُحُودِ

الكتاب ﴾ أى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى اللوح المحفوظ او عند تولده فى صحائف الملائـكة الموكلة على حفظه ﴿ فيختم له بعمل أهل النار ﴾ فيدخل النار وكـذا من يعمل عمل اهل النار، والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة أن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وللبزار والطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن، وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود «أن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع» الحـــديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة ﴿ ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه ﴾ أى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وأن اعتقد نقاء قلبه وصفاء لبه عن مثله فمن يأمن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذن اقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه اماغلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر، فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لايخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافى عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لايؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة ذوى الاستبصار، وقال مكحول النسفى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صديق ثم سوء الخاتمة ﴿ اما بالشك ﴾ والتردد فى قبول الايمان ﴿ او الجحود ﴾ أى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران

عِنْدَ النَّزْعِ لِظُهُورِ بُطْلَانِ بِدْعَةٍ كَانَ يَعْتَقِدُهَا تَقْلِيدًا أَوْتَعْوِيلًا عَلَى مُجَادَلَتِهِ الْكَلَامَ فَهُوَ حَالَةُ الْانْكِشَافِ وَاعْتِقَادُ بُطْلَانِ كُلِّ مَااعْتَقَدَهُ أَوْ شَكِّهِ لِهَذَا السَّبَبِ

﴿ عند النزع ﴾ أى نزع الروح حال سكرات الموت وظهور أهواله الموجبة لتغير أحواله فتقبض روحه فى حالة شك القلب اوجحود الرب وذلك يقتضى البعد الابد والعذاب المخلد وذلك الشك أو الجحود انما يقع ﴿ لظهور بطلان بدعة ﴾ يعتقدها فى ذاته سبحانه اوصفاته أوافعاله فى مصنوعاته اوبتأولها فى آية من آياته ﴿ كان يعتقدها ﴾ أى البدعة ﴿ تقليدا ﴾ عن هذا حاله ﴿ اوتعويلا ﴾ أى اعتمادا ﴿ على مجادلته الكلام ﴾ أى مجادلته الخصام بما يعول عليه من أصول علم الكلام ويغتر به فيما بين الانام ﴿ فهو ﴾ أى وقت النزع ﴿ حالة الانكشاف ﴾ أى انكشاف كل شيء على ماهو عليه كما قال تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فقوله هو علة لظهور بطلان البدعة، وأما قوله ﴿ واعتقاد بطلان كل مااعتقده ﴾ فمبتدأ وقوله ﴿ اوشكه ﴾ بالجر عطف على بطلان الثانى ، وقوله ﴿ لهذا ﴾ خبر المبتدأ أى واعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة اواعتقاد شك كلها لهذا ﴿ السبب ﴾ وهو ظهور النزع أى صار هذا الظهور سببا لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة ، اوسببا لاعتقاد شك الجميع . ويجوز كون قوله أوشكه مرفوعا عطفا على قوله واعتقاد ، قيل وهو الارجح يعنى اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب أوشك الجميع لهذا الباعث . والاظهر عندى انه فعل ماض عطفا على اعتقده فتأمل ، ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال ، فان قلت : ظهور بطلانها بما يوجب الشك او الجحود فى نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة أو الشك فيها كلها ، فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما فى بدعة واحدة ؟ فاجيب بما تقدم . وتوضيحه : ان المبتدع مهما كان بطل عنده ماكان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا فى هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه الى رأيه الكاسد وعقله الفاسد ، بل ظن أن كل مااعتقده لااصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أوباعثا لشكه فيها ، فاذا اتفق زهوق روحه فى

وورد (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية والمعاملة لاتنافيه والبله بمعزل عنه ومن ثم ورد «أكثر أهل الجنة البله»

هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الايمان نقدختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه ، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) ﴿ وورد ﴾ فى التنزيل ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية ﴾ أى (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) ﴿ والمعاملة ﴾ أى حسنها ﴿ لاتنافيه ﴾ أى لاتعارض سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لاتكفى لدفع هذا الخطر بل لاينجى منه الاالاعتقاد الحق ﴿ والبله ﴾ جمع الابله ﴿ بمعزل عنه ﴾ أى عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر أيمانا مجملا راسخا كالاعراب والعجائز وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر العقلى استدلالا ، ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ، ولا اصغوا إلى أصناف أهل الكلام فى تقليد آرائهم المختلفة التى تقتضى ضلالا واضلالا ﴿ ومن ثم ورد أكثر أهل الجنة البله ﴾ رواه البزار من حديث أنس ، ولذا منع السلف الكرام من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتمام ، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله جميعه وبكل ماجاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفى التشبيه ، ومنعوهم من الخوض فى التأويل لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما ألقى اليها فى ابتداء النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالرأى والمعقول وفى تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبايعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال والاحاطة بكنه ذى الجلال انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وأنسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت

أَوْ بِمُعَادَاتِهِ تَعَالَى لِعِلْمِهِ بِتَفْرِيقِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ وَتَأَلُّمِ الْقَلْبِ بِفَوَاتِهَا وَكَانَ يَسْتَوْلِي حُبُّهَا عَلَيْهِ وَلِضَعْفِ إِيمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى فِيهِ الْأَحَادِيثُ النَّفْسِ وَهُوَ أَسْوَدُ مِنْ تَرَاكُمِ ظَلَامِ الرَّذَائِلِ فَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ) الْآيَةَ أَوْ بِأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ كَانَ يُحِبُّهُ فَاحْتَجَبَ عَنْهُ تَعَالَى شُغْلًا بِهِ

سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد أسترخى العنان وفشا الهذيان وترك كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنهم صفو ايمان وعرفان ويظن أن ماقنع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمن نبأه بعد حين كما قيل

سوف ترى إذا أنجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

وينشد فى حق هؤلاء عند كشف الغطاء :

احسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل ما فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما فى الاحياء ﴿ او ﴾ سوء الخاتمة يقع ﴿ بمعاداته تعالى ﴾ وهو من اضافة المصدر إلى مفعوله ﴿ لعلمه ﴾ أى لمعرفة العبد ﴿ بتفريقه تعالى اياه ﴾ أى للعبد من الدنيا ﴿ وتألم القلب ﴾ أى ولتوجعه ﴿ بفواتها ﴾ أى بفوات الدنيا ولذاتها ﴿ وكان يستولى حبها عليه ﴾ أى على قلبه ﴿ ولضعف ايمانه ﴾ بالله وبماديه ﴿ ولا يكون من ذكره تعالى فيه الاحديث النفس ﴾ المحظور اليه ﴿ وهو ﴾ أى والحال أن قلبه ﴿ اسود من تراكم ظلام الرذائل ﴾ من سوء الاخلاق والشمائل فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمدا وهلك هلاكا مؤبدا ولا يظلم ربك أحدا ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية ﴾ أى وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿ أو ﴾ سوء الخاتمة يحصل ﴿ بامر دنيوى كان يحبه ﴾ العبد ﴿ فاحتجب عنه تعالى شغلا ﴾ لذلك العبد ﴿ به ﴾ أى بالامر الدنيوي

فَمَا اعْتَادَ وَتَرَسَّخَ فِى القَلْبِ لَا يُنْسَى كَمَا فِى النَّوْمِ وَهُوَ لِكَثْرَةِ المَعَاصِى مَعَ قُوَّةِ الإيمَانِ أَوْ قِلَّتِهَا مَعَ ضَعْفِهِ وَهَذَا لَا يُوجِبُ الخُلُودَ فِى النَّارِ وَمِنْ ثَمَّ تُكْرَهُ الفُجَاءَةُ لِجَوَازِ اتِّفَاقِهَا عَلَى خَاطِرِ سُوءٍ وَتُغْبَطُ الشَّهَادَةُ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّهِ تَعَالَى عَلَى القَلْبِ

﴿فما اعتاد وترسخ﴾ أى ثبت ﴿فى القلب لا ينسى كما فى النوم﴾ ويعرف هذا بمثال وهو لا يخفى عليك أن الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة فان المراهق الذى لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذين مضى عمره فى التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذى مضى عمرهم فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر له فى حالة النوم ما حصل له من مناسبته مع القلب بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم، وأما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضى بذلك تذكر المألوفات من الطاعات او السيئات أو اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والصالحات وقد قيل كما تعيشون تموتون و كما تموتون تحشرون ويشير اليه قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) وطول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه، ولذا قيل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة أربعة زيادة ﴿وهو﴾ أى الاحتجاب المذكور وسائر الامور ﴿لكثرة المعاصى مع قوة الايمان أو قلتها مع ضعفه﴾ أى لقلة المعاصى مع ضعف الايمان ﴿وهذا﴾ الحجاب المذكور أو القسم المسطور من اقسام سوء الخاتمة ﴿لا يوجب الخلود فى النار﴾ بخلاف الاولين من اقسام سوء الخاتمة فانهما يوجبان الخلود فى دار البوار ﴿ومن ثم﴾ أى ومن اجل أن سوء الخاتمة يتحقق عند النزع ﴿تكره الفجاءة﴾ من الموت والبغتة المقتضية لبعض الفوت ﴿لجواز اتفاقها﴾ أى اتفاق وقوع الفجاءة ﴿على خاطر سوء﴾ يكون سببا لسوء الخاتمة ﴿وتغبط الشهادة﴾ أى تحب وتتمنى ﴿لاستيلاء حبه تعالى﴾ حينئذ ﴿على القلب

وَإِعْرَاضه عَن الدُّنْيَا وَهُوَ لِمَنْ يُخْلِصُ وَلَا يَقْصِدُ الْغَلَبَةَ وَالْغَنِيمَةَ وَالصِّيتَ وَالْعِلَاجُ الْمَعْرِفَةُ وَلُزُومُ الطَّاعَةِ وَتَعْجِيلُ التَّوْبَةِ وَالنَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَنْقِيَةُ الْقَلْبِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَطَلَبُ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَالْأَمْرُ صَعْبٌ وَمِنْ ثَمَّ يُرْوَى عَنِ السَّلَفِ كَثْرَةُ النَّوْحِ وَالْبُكَاءِ .

وأعراضه عن الدنيا ﴾ واقباله بكليته على الرب ﴿ وهو ﴾ اى هذا المقام ﴿ لمن يخلص ﴾ فى النية ﴿ ولا يقصد الغلبة ﴾ من اخذ البلاد وقهر العباد ﴿ والغنيمة ﴾ من الاموال النفيسة والخدام الانيسة ﴿ والصيت ﴾ بالجاه والرياء والسمعة ﴿ والعلاج ﴾ للخلاص عن سوء الخاتمة ﴿ المعرفة ﴾ التامة من العلم النافع ﴿ ولزوم الطاعة ﴾ من العمل الصالح ﴿ وتعجيل التوبة ﴾ عن المعصية ﴿ والنوم على الطهارة ظاهرا ﴾ وهو ظاهر ﴿ وباطنا ﴾ بان لا يكون فى قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد « من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا » رواه ابن السنى عن أنس ﴿ وتنقية القلب ﴾ اى تصفيته وتخليته عن حب غير الرب ﴿ وتلاوة القرآن ﴾ غيبا ونظرا مع مراعاة المبانى وملاحظة المعانى ﴿ وطلب العلم النافع ﴾ من التفسير والحديث والفقه والتصوف ﴿ فالامر ﴾ اى امر سوء الخاتمة ﴿ صعب ﴾ اى شديد ومر ﴿ ومن ثم يروى عن السلف ﴾ من الصحابة والتابعين ﴿ كثرة النوح والبكاء ﴾ مع زيادة التضرع والدعاء فى السراء والضراء فقد قال الحسن البصرى: يخرج رجل من النار بعد الف عام ياليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف سوء الخاتمة ، وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكى أحدا غير رسول الله ولا أبى الذى ولدنى فثارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان فقد امنتكما فقالا ومن يأمن مكرك رواه الطبرانى وغيره وكأنهما اذا علما أن الله علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا أن يكون قوله فقد أمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما هذا ، ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم وأسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه ؛ وكان أبو الدرداء يحلف بالله

ما أحد أمن على أيمانه أن يسلب عند الموت الا سلبه، وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال (وقلوبهم وجلة) ولما احتضر سفيان جعل يبكي فقيل يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا، وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فالآن بكاؤنا على الاسلام، وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر، وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر، وفيه تنبيه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتقد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل، وقد قيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول ياجبريل أني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، وعن الحسن لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، وقد قال الحسن أن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة: ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا انى لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد، وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهده عليه السلام من الكبائر رواه البخاري وغيره، وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق، وقيل من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام رواه احمد، وسمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام، واشد من ذلك ما روى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

يتكلمون فى شيء من شانه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما انتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام ، وكان حذيفة يقول أنه يأتى على القلب ساعة يمتلىء بالايمان حتى لايكون للنفاق فيه مغرزابرة ويأتى عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لايكون للايمان فيه مغرزابرة ،ولعلهم ماعنوا به النفاق الذى هو ضد الايمان بل المراد به مايجتمع مع أصل الايمان من بعض العصيان، والحاصل أن العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ماالله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه فو الذى نفسى بيده مابعد الموت من مستعتب ولابعد الدنيا من دار الاالجنة أوالنار ذكره البيهقى وغيره، وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعد ان من الدنيا وبحق أقول لكم أن اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل ويروى عن الصديق أنه قال لطائر ليتنى كنت مثلك ياطائرا ولم اخلق بشرا، وقال أبو ذرودت لو أنى لشجرة تعضد وكذا قال طلحة، وقال عثمان وددت أنى اذامت لم ابعث وقالت عائشة وددت أنى كنت حيضة ونسيا منسيا وروى أن عمر كان يسقط من الخوف فاذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض وقال ياليتنى كنت مثل هذه التبنة ياليتنى لم اك شيئا مذكورا ياليتنى كنت نسيا منسيا ياليت أمى لم تلدنى وكان فى وجه عمر خطان أسودان من الدموع ولما قرأ عمر (إذا الشمس كورت) فانتهى الى قوله (وإذا الصحف نشرت) خر مغشيا عليه، ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى (أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) نزل عن حماره واستند الى حائط فمكث زمانا ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولايعرفون مرضه، وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحابه عليه السلام فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا وذكروا مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح فهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأنى بالقوم باتوا غافلين يعنى من حوله ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم، وقال عمران بن حصين لوددت أنى كنت رمادا تسفينى الرياح فى يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت انى كبش فيذبحنى

أهلي فيأكلون لحمي ويحتسون مرقي، وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدي من اريد أن اقوم، وقرأ حضر القاري يوما (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا) الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه وقال وعزتك وجلالك لاعصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتي، وكان المسور بن مخرمة لايقوى على أن يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف او الآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القاري فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة، وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ (فاذا نقر في الناقور) خر مغشيا عليه فحمل ميتا، وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى ربنا موقفنا، وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله، وقال الفضيل اني لااغبط نبيا مرسلا ولاملكا مقربا اليس هؤلاء يعاتبون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق، وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام: جهزوا ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده» رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد، وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر، وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال تسألني عن حالي ماظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم، وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار، وقال معاذ بن جبل أن المؤمن لاتسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وخلاصة الكلام في هذا المقام أن غلبة الخوف حال الصحة أصلح ليبعثه على ترك الغفلة وغلبة الرجاء في تلك الحالة أصلح لانه اجلب للمحبة ولذا قال عليه السلام: «لايموتن

﴿ البَابُ التَّاسِعُ عَشَــرَ فِى الفَقْرِ وَالزُّهْدِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الفَقْرُ فَقْدُ مَايَحْتَاجُ اِلَيْهِ فَاِنْ فَرِحَ بِالفَقْدِ وَكَرِهَ الزَّائِدَ عَلَى الضَّرُورَةِ فَزَاهِدٌ وَاِنْ لَمْ يَكْرَهْ

أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه، رواه مسلم من حديث جابر ، ومن هنا لما حضر الوفاة سليمان التيمى قال لابنه يابنى حدثنى بالرخص واذكرلى الرجاء حتى القى الله حسن الظن به ، وكذلك لما حضر الوفاة الثورى واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه ، وقال الامام أحمد عند الموت لابنه اذكرلى الاخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن، والمقصود من ذلك أن يحبب الله إلى نفسه وأن يموت مع المحبة التى هى مقام أنسه رزقنا الله من فيض قدسه ۞

﴿ الباب التاسع عشر فى الفقر والزهد ﴾

الفقر فخر الانبياء وذخر الاولياء والزهد زاد الاتقياء ، وقدم الفقر على الزهد بناء على تقدم وجود أصله فى كل مخلوق ونسله كما يشير اليه قوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ افتقر إلى غنى ربى الكريم وأزهد عن غير لقاء مولاى العظيم ﴿ الفقر ﴾ عند الصوفى ﴿ فقد مايحتاج اليه ﴾ فى ظن الفاقد عما لديه أما فقد مالاحاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج اليه فقيرا وإذا فهمت هــــذا لم تشك فى أن كل موجود سوى الله سبحانه فهو فقير لانه محتاج إلى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده وان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولايتصور أن يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس فى الوجود الا غنى واحد وكل ماعداه محتاج اليه فى ايجاده وامداده، وإلى هذا الحصر اشير فى قوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال على الخصوص والافقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لاينحصر ﴿ فان فرح ﴾ السالك ﴿ بالفقد ﴾ المذكور أو بحصول مايحتاج اليه ﴿ وكره الزائد على الضرورة ﴾ فيما لديه ﴿ فزاهد ﴾ أى فهو زاهد وهذه الحالة حالة علياء ﴿ وان لم يكره ﴾

وَلَمْ يَرْغَبْ فَرَاضٍ وَوَرَدَ يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَعْطُوا اللهَ الرِّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ فَقْرِكُمْ وَإِنْ تَرَكَ الطَّلَبَ مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَهُ أَحَبُّ فَقَانِعٌ وَإِنْ رَغِبَ وَتَرَكَهُ لِلْعَجْزِ فَحَرِيصٌ وَإِنِ اضْطُرَّ إِلَيْهِ وَفَقَدَهُ فَمُضْطَرٌّ وَالْأَعْلَى تَسْوِيَةُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله ﴿ ولم يرغب ﴾ في الزائد على الضرورة رغبة يفرح بحصوله ﴿ فراض ﴾ أى فاسمه راض ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة فى فعل مولاه فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر فى عقباه ﴿ وورد يامعشر الفقراء ﴾ أى جماعتهم ﴿ اعطوا الله الرضاء من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ﴾ وتتمة الحديث والافلا رواه الديلمى عن أبى هريرة، ويكاد مفهوم الحديث يشعر بان الحريص لاثواب له على فقره لكن العمومات الواردة فى فضل الفقر والقناعة والزهد تدل على أن له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضاء هو الكراهة بفعله سبحانه فى حبس الدنيا عنه ﴿ وأن ترك الطلب ﴾ أى طلب الزائد على الضرورة وهو قادر على طلبه ولكن تركه ﴿ مع أن الوجود ﴾ أى وجود المال الزائد ﴿ عنده أحب ﴾ من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يكون من طلبته بل أن اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر إلى تعب فى طلبه لم يشتغل به ﴿ فقانع ﴾ أى فيقال له قانع اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك طلب المفقود مع مافيه من الرغبة الضعيفة فى الوجود ﴿ وان رغب ﴾ فى الزائد لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه ﴿ وتركه للعجز ﴾ أى وترك الطلب لعجزه عن طلبه أو هو مشغول بالطلب وتعبه ﴿ فحريص ﴾ أسمه ﴿ وأن اضطر اليه ﴾ أى افتقر إلى مايحتاج اليه ﴿ وفقده ﴾ أى وفقده مضر عليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ﴿ فمضطر ﴾ وصفه كيف ماكانت رغبته فى الطلب ضعيفة اوقوية وقل ماينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة فى الجملة ﴿ والاعلى ﴾ من الفقر او من الزهد أو أعلى الاحوال الخمس ﴿ تسوية الوجود ﴾ أى وجود مايحتاج اليه من المال ﴿ والعدم ﴾ أى وفقد مايحتاج اليه فان وجده لم يفرح من ثباته ولم يتأذ عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمتها لوابقيت منها درهما تشترى لنا به لحما نفطر به فقالت لو ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذا فيرها فى يده وخزائنها فى تصرفه

فَهوَ اسْتغنَاءٌ دُونَ الغنيِّ لاختِصَاصِه به تَعَالَى وَهوَ المُرَادُ بمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الفَقْرِ

لم تضره اذهو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لافى يدنفسه فلا يفرق بين أن تكون فى يده اوفى يدغيره وقد حملت خزائن الارض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبى بكر وعمر فاخذوها ووضعوها فى مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال ﴿ فهو استغناء دون الغنى ﴾ المطلق ﴿ لاختصاصه ﴾ أى الغنى المطلق ﴿ به ﴾ أى بالحق ﴿ تعالى ﴾ شأنه وينبغى أن يسمى صاحبه المستغنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا، وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس، ثم هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذى زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذى اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية فى اوقات متقاربة لانها بين أصبعين من أصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا ﴿ وهو ﴾ أى الاستغناء ﴿ المراد بما ورد ﴾ من الكتاب والسنة ﴿ فى فضل الفقر ﴾ والفقراء كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين) الآية (وللفقراء الذين أحصروا) الآية ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار، وكقوله عليه السلام لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا، رواه الحاكم من حديث بلال والطبرانى من حديث أبى سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا، وقوله يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح، وقوله الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبرانى من حديث شداد بن أوس، وقوله اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجد محبوسون وقوله تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيف الشيرازى فى شرف الفقراء، والديلمى من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، وقوله آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى رواية رأيته دخل الجنة زحفا، وللديلمى عن أبى الدرداء مرفوعا

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وروى أن عيسى عليه السلام مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فايقظه وقال يانائم قم فاذكر الله فقال ماتريد منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبى نم، وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى احبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل أن يكون الثانى تأكيدا وان يكون المراد به شديد الفقر، وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له يامسكين، ولابى الشيخ من حديث انس يقول الله عزوجل يوم القيامة ادنوا منى احبائى فتقول الملائكة ومن احباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول اما انى لم ازو الدنيا عنكم بهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمنوا على ماشئتم، ولابى نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن على اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة يوم القيامة وللطبرانى من حديث أبى امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال فنظرت إلى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها فاذا فيها الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ماشأنهم قال أما النساء فاضرتهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب فتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ماخلفك عنى فقال أما والله يارسول الله ماخلصت اليك حتى لقيت المشيبات ظننت أنى لا اراك قلت لم قال كنت احاسب بمالى، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لايؤبه به لواقسم على الله لابره، وللحاكم والترمذى من حديث عائشة أنه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولاتنزعى درعك حتى ترقعيه، وعن ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقير، وقال لقمان لابنه لاتحقرن احدا الخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد، وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين، وقال المؤمل مارأيت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجلس الثورى، وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفافا ولابن ماجه من حديث أنس مامن أحد غني ولافقير الا ود يوم القيامة أنه كان اوتي قوتا فى الدنيا، وللديلمي يقول الله

أَمَّامَا وَرَدَ أُعوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ وَنَحْوِه فَمَحْمُولٌ عَلَى الاضْطِرَارِ، وَاخْتُلِفَ فِي أَنَّ الفَقْرَ أَفْضَلُ أَمِ الغِنَى؟

تعالى يوم القيامة اين صفوتى من خلقى؟ فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائى الراضين بقضائى ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون منها والناس فى الحساب يترددون ﴿ أماما ورد اعوذبك من الفقر ﴾ كالذى للنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام كان يقول أعوذ بالله من الكفر والفقر وفى رواية للحاكم من الفقر والكفر ﴿ ونحوه ﴾ من حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وقد تقدم ﴿ فمحمول على الاضطرار ﴾ بلا انضمام زهد فى الاختيار وهو أن يضطر الى الشيء ويفقده لان هذه الحالة لاشك أنها مشوشة او محمول على فقر القلب فمن ذى النون اقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لاصبر له ، وفى الجملة كل ماهو شاغل عن المولى فهو شؤم فى الدنيا والاخرى ، ومن هنا ورد اعوذ بك من شرفتنة الفقر وشرفتنة الغنى فان الفقر يكون منسيا كما أن الغنى يكون مطغيا هذا وسنذكر فضل الزهد فى محله الآتى.

وأما الآثار فى الرضى والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه أن الطمع فقر واليأس غنى وأنه من يئس عما فى ايدى الناس وقنع بما فى يده استغنى عنهم وفى دعائه عليه السلام اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لاتضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ... أن الغنى من استغنى عن الناس

وقال ابن مسعود مامن يوم الا وملك ينادى من تحت العرش ياابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ، وقال أبو الدرداء مامن أحد الا وفى عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين فى هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ، ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا و بقلا فقال له ياابا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال أفلا ادلك على من رضى بشر من هذا؟ قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن العقبى،وروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب المنزلة ياابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها إلى غيرك فانا محسن اليك ﴿ واختلف فى أن الفقر ﴾ مع الصبر ﴿ أفضل ﴾ من الغنى مع الشكر ﴿ أم الغنى ﴾ مع الشكر افضل

وَالحَقُّ الاخْتِلَافُ بِحَسَبِ الأَشْخَاصِ فَالْفَضْلُ بِقَدْرِ الفَرَاغِ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالدُّنْيَا إِنَّمَا حَــــذَّرَ عَنْهَا

من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والاكثرون إلى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب فانقطع ولم ينطق فى هذا الباب، واجيب أيضا بان التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على أن الفقر افضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لاينبغى أن ينازع فيها لما ورد الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته، وقال سهل حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ولامنازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى (والله الغنى وانتم الفقراء) ثم التحقيق ان الفقر والغنى إذا اخذا مطلقا لم يشك من قرأ الاخبار والآثار فى تفضيل الفقر وانما يتصور التردد فى مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة إلى غنى ينفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص اذ لايخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله فى الخير خير من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما تساويا فى ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه، وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فى غالب الظن فأما الغنى المتمتع بالمال وان كان فى مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ماسيأتى من سؤال الفقراء عما يوهم ترجيح الأغنياء (والحق الاختلاف بحسب الأشخاص) بل وتفاوت الأحوال كما يشير اليه قوله تعالى (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وفى الحديث القدسى «ان من عبادى من لايصلحه الاالفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادى من لايصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله» وفى دعائه عليه السلام «اللهم وسع لى فى رزقى عند كبر سنى» ومن هنا قيل التسليم أسلم ومقام الرضاء اتم والله أعلم ويؤيده قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون) (فالفضل) أى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن الشواغل) أى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) أى عن حبها

لِلشُّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَ كَمْ مِنْ فَقِيرٍ شَغَلَتْهُ وَ كَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمْ تَشْغَلْهُ كَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَمَّا فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ فَالْفَقْرُ إِذْ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْأُنْسِ بِالدُّنْيَا وَالْقُدْرَةِ عَلَى الشَّهْوَةِ

﴿ للشغل عنه تعالى ﴾ بسببها وتوضيحه أن مالا يراد بعينه بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول إلى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه ﴿ وكم من فقير شغلته ﴾ الدنيا وحبها وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد كاكثر ابناء الدنيا ﴿ وكم من غني لم تشغله ﴾ الدنيا ولوا كثر في مالها وجاهها ﴿ كسليمان عليه السلام ﴾ وداود وإبراهيم ﴿ وعبد الرحمن بن عوف ﴾ وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الابعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل كما يشير اليه قوله عليه السلام « أعوذ بك من شر فتنة الفقر وشر فتنة الغنى » كما تقدم وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع معه حب الله في القلب ، والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله ، وربما يكون شغله في الفراق اكثر ، وربما يكون في الوصال اكثر . والدنيا معشوقة للغافلين فالمحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها ﴿ اما في حق الاكثر فالفقر ﴾ افضل ﴿ اذ هو ابعد عن الخطر ﴾ في الشغل عن المولى ﴿ والانس ﴾ اى وعن الاستيناس ﴿ بالدنيا والقدرة ﴾ اى وعن القوة ﴿ على الشهوة ﴾ اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ، ومن العصمة ان لا تقدر ، ولذا الصحابة : بلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر . ومن هنا قال عيسى عليه السلام : لا تنظروا إلى اموال أهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم . وفي الخبر « ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم » رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة . وكان أصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا . فاستواء المال والماء والذهب والحجر أنما يتصور للانبياء والاولياء ، ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك اذ كان عليه السلام يقول للدنيا « اليك عني اليك عني » إذ كانت تتمثل له بزينتها ، رواه الحاكم . وكان

الا في المضطر لانه يموت جبرا والواجد يحصل المعرفة الا من لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له وكذا في نفس الأمر فورد اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية

علي كرم الله وجهه يقول : ياصفراء غري غيري ، يابيضاء غري غيري ، وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه ﴿ الا في المضطر ﴾ فليس الفقر افضل في حقه ﴿ لانه ﴾ أي المضطر ﴿ يموت جبرا ﴾ اى خاليا عن الخير قهرا ، وقد يكون ذلك كفرا ﴿ والواجد ﴾ بالنصب عطفا على الضمير وبالرفع على انه مبتدا خبره ﴿ يحصل المعرفة ﴾ والجملة حال ﴿ الا من ﴾ استثناء من المستثنى اى الا مضطر ﴿ لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له ﴾ اى فالفقر الموجب للموت خير له ، اذ تقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن الم الاضطرار ﴿ وكذا في نفس الامر ﴾ أي وكما ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر ﴿ فورد اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ﴾ رواه الترمذي من حديث انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد . وفيه مبالغة عظيمة في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم في زمرتي ، وهو اما تواضع منه عليه السلام واما اراد بهم الانبياء والمرسلين ، لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين ، وفي رواية للترمذي زيادة يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال « انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا » ﴿ بلغ عني ﴾ خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة ﴿ الفقراء ﴾ من أصحابه الكرام والمعنى اخبر من قبلي الفقراء تسلية لهم حيث ما جعلوا اغنياء ﴿ أن لمن صبر ﴾ على الفقر ﴿ واحتسب ﴾ أي طلب من الله الاجر ﴿ منكم ﴾ ومن أمثالكم ﴿ ثلاث خصال ﴾ مختصة لكم ﴿ ليست للاغنياء ﴾ واحدة منها فضلا عن جميعها ﴿ أما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا ﴾ اى قصورا عالية ﴿ ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير ﴾ وهو من لا يكون صاحب نصاب ﴿ والثانية

يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالثَّالِثَةُ إِذَا قَالَ الغَنِيُّ سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَقَالَ الفَقِيرُ مِثْلَ ذَلِكَ لَمْ يَلْحَقِ الغَنِيُّ بِالفَقِيرِ وَإِنْ أَنْفَقَ مَعَهَا عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ البِرِّ كُلُّهَا لِمَنْ جَاءَ بِرِسَالَةِ الفُقَرَاءِ أَنَّ الأَغْنِيَاءَ يَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ

يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ﴾ وهذه الجملة رواها الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه ﴿ والثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وأن انفق معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها لمن جاء ﴾ متعلق ببلغ عنى أى قال النبى عليه السلام لمن جاء ﴿ برسالة الفقراء أن الاغنياء ﴾ يجوز فتح أن وكسرها ﴿ يحجون ويعتمرون ويتصدقون ﴾ بفضول اموالهم ﴿ ونحن عاجزون عن ذلك ﴾ فى تمام احوالهم . وفى الاحياء : روى فى الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات ، والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات فى التسبيح وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء بذلك فكانوا يقولونه ، فعادوا إلى رسول الله ﷺ فاخبروه فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » قال مخرجه متفق عليه من حديث أبى هريرة ونحوه انتهى . وقال فى الاحياء أيضا . وقد استشهد ابن عطاء بهذا أيضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد ، مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى ، وأن فوزهم بذلك الثواب هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال « بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أنى رسول الفقراء اليك ، فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم احبهم الله ، قال قالوا يارسول الله أن الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال عليه السلام بلغ عنى الفقراء » الحديث قال مخرجه : لم أجده هكذا بهذا السياق . والمعروف فى هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال يامعشر الفقراء ألا ابشركم أن فقراء المهاجرين

وَلأَنَّ الغَنِى سَبَبُ طُول الحِسَاب وَالغُرُور فَانْ عُورِضَ بأَنَّ الغنى صِفَتُه تَعَالى وَالتَّخَلُّقُ بأَخْلاَقِه مَنْدُوبٌ الَيْهِ وبأَنَّ الغَنِى قَادِرٌ عَلَى العِبَادَات المَالِيَّة دُونَ الفَقِير لَمْ يُعتَرَضْ لأَنَّ الغَنى بالأَسْبَاب وَالأَعْرَاض لَيْسَ مِنْ خُلُقِه تَعَالَى كالتَّكَبُّر دُونَ اسْتِحْقَاق

يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » ﴿ ولان ﴾ عطف على ورد فهو دليل ثان على أن الفقر أفضل فى نفس الامر وذلك لان ﴿ الغنى سبب طول الحساب ﴾ وهو نوع من العذاب ، ولذا قال أبو الدرداء: ما أحب أن لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى صلاة ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا ، واتصدق بها في سبيل الله ، قيل وماتكره ؟ قال سوء الحساب . ومن هنا قال شقيق : اختار الفقراء ثلاثة اشياء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفة الحساب . واختار الاغنياء ثلاثة اشياء : تعب النفس، وشغل القلب ، وشدة الحساب ﴿ والغرور ﴾ أى وسبب طول الغرور فى الامور الموجبة للحجاب ، فقد قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا كمثل من يطفىء النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك ، وقال أبو سليمان الدارانى : تنفس فقير فى شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى الف عام ، وعن الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله عز وجل . وقال رجل لبشر بن الحارث : ادع الله لى فقد أضرنى العيال ، فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائى . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسناء . وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء ﴿ فان عورض ﴾ ماذكر من ادلة تفضيل الفقر على الغنى ﴿ بان الغنى صفته تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه ﴾ كما ورد « تخلقوا باخلاق الله » ﴿ وبان الغنى قادر على العبادات المالية ﴾ من الزكاة والحج والعمرة ﴿ دون الفقير ﴾ أى بخلافه ﴿ لم يعترض ﴾ أى لم يقبل اعتراضه فى الامرين فيه الف ونشر مرتبا قوله ﴿ لان الغنى بالاسباب والاعراض ﴾ الواقعة من غير الا كتساب ﴿ ليس من خلقه ﴾ أى صفته ﴿ تعالى كالتكبر ﴾ بهما ﴿ دون استحقاق ﴾ للغنى والكبرياء وذلك لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفاته

وَالعِبَادَةُ المَالِيَّةُ إِنَّمَا تُوجِبُ الثَّوَابَ لِتَرْكِ الدُّنْيَا كَالتَّوْبَةِ لِتَرْكِ الذَّنْبِ فَلَوْ فَضَلَ الغَنِيُّ عَلَى الفَقِيرِ لَفَضَلَ العَاصِي عَلَى المُتَّقِي وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكْرَهَهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فِعْلُهُ تَعَالَى بَلْ يَتَقَلَّدُ مِنْهُ المِنَّةَ كَتَقَلُّدِ المَحْجُومِ مِنَ الحَاجِمِ وَإِلَّا يَأْثَمُ وَيَسْتُرُ أَمْرَهُ بِالتَّجَمُّلِ وَالتَّعَفُّفِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

اللائقة بذاته كما اوضحناه فيما تقدم ﴿ والعبادة ﴾ أى ولان العبادة ﴿ المالية أنما توجب الثواب ﴾ فى العقبى ﴿ لترك الدنيا ﴾ الاشتغال بخدمة المولى ﴿ كالتوبة ﴾ فى الدنيا توجب المثوبة فى الاخرى ﴿ لترك الذنب ﴾ أى مخالفة المولى ﴿ فلو فضل الغنى على الفقير ﴾ بهذا الاعتبار ﴿ لفضل العاصى على المتقى ﴾ أى الطائع من الابرار وهو لا يصح عند اولى الاستبصار ﴿ وحقه ﴾ أى حق الفقير الواجب عليه عشرون حقا ﴿ ان لا يكرهه ﴾ أى الفقر ﴿ من حيث أنه فعله تعالى ﴾ شرعا وأن كان كارها للفقر طبعا ، كالمحجوم يكون كارها للحجامة ولا يكره فعل الحجام الا كارها للحجامة ﴿ بل ﴾ ربما ﴿ يتقلد منه ﴾ سبحانه ﴿ المنة كتقلد المحجوم ﴾ أى كتقلده المنة ﴿ من الحاجم ﴾ ثم عدم الكراهة من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر . وهذا معنى قوله ﴿ والا يأثم ﴾ أى وأن لم يحبه من حيث أنه فعله تعالى يأثم لعدم الرضاء بالقضاء وهو واجب على العباد شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من هذا المقام أن لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه أن لا يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قدر ضرورته انه يأتيه الرزق لا محالة عند المولى ، ويكون كارها للزيادة على الكفاف ، وقد قال على كرم الله وجهه : أن لله عقوبات للفقر ومثوبات بالفقر ، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره . ومن علامته إذ كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية والتسخط بالقضاء ، وهذا آداب باطنه مع ربه ﴿ ويستر ﴾ أى وحق الفقير فى ادب ظاهره أن يستر ﴿ امره ﴾ ويكتم فقره ويستر أيضا سره فقد قال بعضهم : ستر الفقر من كنوز البر . وروى من كنوز البر كتمان المصائب ، ﴿ بالتجمل ﴾ أى باظهار الجمال كأنه صاحب المال كما قال صاحب هذا الحال ، واذا تصبك خصاصة فتجمل ❁ وقال سفيان : افضل الاعمال التجمل عند شدة الاحوال ﴿ والتعفف ﴾ عن السؤال واظهار الحال ، وقد وصف الله اصحاب الصفة من ذلى الرجال بقوله ﴿ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ﴾ اى اظهار

فورد ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ولا يتواضع لغنى للغنى فورد فيه «من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه» بل يترفع عليه فورد أنه صدقة ولا يتوانى فى العبادة ويتصدق بالفاضل فورد فيه «ان درهما أفضل من مائة ألف»

العفة حال المحنة ﴿ فورد ان الله يحب الفقير المتعفف اباالعيال ﴾ رواه ابن ماجه من حديث عمران بن الحصين ﴿ ولا يتواضع ﴾ أى وحق الفقير ان لا يتواضع ﴿ لغنى ﴾ بالمال ﴿ للغنى ﴾ أى لاجل ماله من مال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والاعمال ﴿ فورد فيه ﴾ أى فى ذمه ﴿ من تواضع لغنى ﴾ لاجل غناه ﴿ ذهب ثلثا دينه ﴾ رواه البيهقى وغيره . وروى الديلمى من حديث أبى ذر بلفظ «لعن الله فقيرا تواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» انتهى . وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان وجوارح ، وفى تعظيم الغنى لابدمن استعمال اللسان والجوارح ، وفيه تنبيه نبيه على أنه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه ﴿ بل ﴾ حق الفقير ان ﴿ يترفع عليه ﴾ أى على الغنى استغناء بربه الغنى المغنى ﴿ فورد أنه ﴾ أى التكبر على الغنى المتكبر ﴿ صدقة ﴾ أى ثوابه صدقة اوصدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه فى باب الفقر ، وفى رواية «التكبر مع التاهى فانه صدقة». وعن على كرم الله وجهه : ما احسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله ، وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله ، فهذه رتبة واقل منها أن لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك مبادى الطمع . قال الثورى: إذا خالط الفقير الاغنياء ورغب فى مجالستهم فاعلم أنه مراء ، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته ، فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته ، واذا سكن اليهم ضل سعيه ومحنته ﴿ ولا يتوانى ﴾ أى وحقه أن لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل ﴿ فى العبادة ﴾ بسبب فقره وقلة صبره ﴿ ويتصدق بالفاضل ﴾ أى وحقه أن لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ويدفع عنه حره وبرده ، وبيت يكنه ويستره فان ذلك جهد المقل ، وفضله اكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى ﴿ فورد فيه ﴾ أى فى حقه ﴿ ان درهما ﴾ من الفقير ﴿ أفضل من مائة الف ﴾ أى مائة الف درهم من الغنى ، وفى رواية «سبق درهم مائة الف درهم» وعن أبى هريرة قال عليه السلام «درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة

وَيَسْتَقْرِضُ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ تَعَالَى لَا تَعْوِيلًا عَلَى السُّلْطَانِ الظَّالِمِ فَيَقْضِي إِنْ وَجَدَ حَلَالًا وَإِلَّا يَقْضِيهِ تَعَالَى وَيُرْضِي الْخُصَمَاءَ وَيَكْشِفُ الْحَالَ عَنِ الْمُقْرِضِ وَلَا يَخْدَعُ بِالْمَوَاعِيدِ وَيَجِبُ الْقَضَاءُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَالصَّدَقَاتِ وَلَا يَسْأَلُ فَهُوَ فِي الْأَصْلِ حَرَامٌ لِتَضَمُّنِهِ الشِّكَايَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَإِذْلَالَ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ لِغَيْرِهِ

الف ، قيل وكيف يارسول الله ؟ قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة الالف» رواه النسائي ﴿ ويستقرض ﴾ أي وحقه أن يستقرض ﴿ تحسينا للظن به تعالى ﴾ أن يقضيه من خزائن كرمه وجوده ﴿ لا تعويلا ﴾ أي اعتمادا ﴿ على السلطان الظالم ﴾ وأعوانه وجنوده ﴿ فيقضي ﴾ دينه بنفسه ﴿ ان وجد حلالا ﴾ بعده ﴿ والا ﴾ أي وان لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ ﴿ يقضيه تعالى ﴾ في الدنيا ﴿ ويرضى الخصماء ﴾ في العقبى اما بفضله أو بعدله بأن يعطي الخصم بمنزلة برضى بها عن حقه ﴿ ويكشف الحال ﴾ أي وان يظهره ولا يخفيه ﴿ عن المقرض ﴾ لئلا يدخل تحت وعيد «من غشنا فليس منا» ﴿ ولا يخدع ﴾ أي وأن لا يخدع المقرض ﴿ بالمواعيد ﴾ الكاذبة ﴿ ويجب القضاء ﴾ أي قضاء دين الفقير حيث صرفه في الطاعات ﴿ من بيت المال ﴾ الموضوع لمهمات المسلمين من الملمات ﴿ والصدقات ﴾ أي الزكاة ﴿ ولا يسال ﴾ أي وحقه أن لا يسال من الناس أصلا ﴿ فهو ﴾ أي السؤال من الخلق ﴿ في الأصل ﴾ أي أصل وضع الشرع ﴿ حرام ﴾ وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما كان الاصل فيه التحريم لثلاثة أمور محرمة ﴿ لتضمنه الشكاية منه تعالى ﴾ اذ السوال اظهار للفقر وفقد للمال وذكر لقصور نعمة الله عنه في الحال ، وهو عين الشكوى من المولى وكما أن العبد المملوك اذا سال غير سيده كان سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سوال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة ﴿ واذلال النفس ﴾ أي ولتضمنه اهانة النفس ﴿ المومنة لغيره ﴾ سبحانه وقد قيل السوال ذل ولو أين الطريق وورد «لا يحل لمومن أن يذل نفسه» يعني لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه فقد قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي

وَإيذَاءِ المَسْؤُولِ فَرُبَّمَا يُعطِي حَيَاءً فَوَرَدَ مَا أَحَلَّ مِنَ الفَوَاحِشِ غَيْرَ مَسْأَلَةِ النَّاسِ

أن يذل لهم الا اضرورة فى أحواله ففى السوال ذل السائل بالاضافة الى المسؤل ، ومن دعاء الامام أحمد : اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسالة غيرك ﴿ وايذاء المسئول ﴾ اى ولتضمنه ايذاءه غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه ﴿ فربما يعطى حياء ﴾ من السائل او رياء اذا كان السؤال فى المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحي وتاذى فى نفسه بالمنع اذ يرى نفسه فى صورة البخلاء ، ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب فى الايذاء والايذاء حرام الا اضرورة ﴿ فورد ﴾ فى كون السوال فى الاصل حراما ﴿ ما احل من الفواحش غير مسالة الناس ﴾ ولفظ الاحياء مسالة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى ، فورد « من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ، ولمسلم من حديث أبى هريرة « من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا » وللشيخين من حديث ابن عمر « مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » ولاصحاب السنن من حديث ابن مسعود « من سأل وله مايغنيه كانت مسألته خدوشا وكدوحا فى وجهه » ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعى « أنه عليه السلام بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ، ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناوله ولا يقول لاحد ان يناوله » ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى « من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسالنا فهو أحب الينا » وللبزار والطبرانى من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » واسناده صحيح وفى رواية فتعنموا ولو بحزم الحطب . فهذه الاحاديث صريحة فى تحريم السؤال الا للفقير . قال فى الاحياء : وتقديره عسير اذ ليس الينا وضع التقدير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقرير ، وقد ورد فى الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا وما هو؟ قال غداء يوم وعشاء ليلة » كذا فى الاحياء قال مخرجه : هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا مايغنيه ؟ قال مايغديه او يعشيه » ولاحمد من حديث على باسناد حسن « قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته » وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية . وفى حديث آخر « من سال وله خمسون درهما

الاَّ لِضَرُورَةٍ تُمِيتُ أَوْ تُمْرِضُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الكَسْبِ أَوِ اسْتَغْرَقَ فِي طَلَبِ العِلْمِ أَوْ تَعِبَ وَفِيهِ التَّرْكُ أَوْلَى

اوعدلها من الذهب فقد سال الحافا، وفى لفظ آخر واربعون درهما » ولعل هذه الاحاديث محمولة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب اوالبيت ونحوهما من ضروريات معيشته . وقيل يجوز للسائل أن يسال معيشة سنة لاسيما اذا كان معيلا اولا يعطى العطاء الافى وقت واحد ، والله سبحانه أعلم ﴿ الا ﴾ أى وحقه ان لا يسال احدا الا ﴿ لضرورة تميت ﴾ أى تقتله ﴿ او تمرض ﴾ أى تجعله مريضا أو تجعله عريانا ونحوها فالسؤال حينئذ مرخص فيه لكن ﴿ لمن عجز عن الكسب ﴾ بحرفة ونحوها ﴿ او استغرق ﴾ وقته ﴿ فى طلب العلم ﴾ الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى، لا من استغرق فى طلب العبادة ، فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك متعد ، ولان زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم فريضة ﴿ او تعب ﴾ أى اولمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة ﴿ وفيه ﴾ أى فى حصول التعب ﴿ الترك ﴾ للسؤال ﴿ أولى ﴾ مع جواز السؤال . وفى الجملة ورد ما يدل على الرخصة فى السؤال حيث قال عليه السلام « للسائل حق وأن جاء على فرس » رواه أبو داود من حديث الحسين بن على، ولابى داود والترمذى وقال حسن صحيح « ردوا السائل ولو بظلف محرق » وقد سأل ثلاثة من الانبياء فى موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام . وروى : أن بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده ويسأل الناس فى بعض المواطن ، قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له، فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك ، فان الثورى لم يسال الناس لتعظيمهم ، أنما يسالهم ليثيبهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره، ثم قال الجنيد : هات الميزان فوزن مائة درهم ، ثم قبض قبضة والقاها على المائة، ثم قال احملها اليه ، فقلت فى نفسى : انما يوزن الشيء ليعلم مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ،فاستحييت أن اساله ، فذهبت بالبصرة الى الثورى ، فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه ، وقال : قل له انا لا اقبل منك انت شيئا ، واخذ مازاد على المائة ،قال فزاد تعجبى ،فسالته فقال : الجنيد رجل حكيم يريد أن ياخذ الحبل بطرفيه ، وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عزوجل فاخذت ماكان لله ورددت ماجعل لنفسه ، قال فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال : أخذ ماله ورد مالنا الله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم ، وكيف خاصت لله أعمالهم ، حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير

وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشِّكَايَةِ فَيَقُولُ اِنِّى مُسْتَغْنٍ لَكِنِ النَّفْسُ تُرِيدُ الشَّهْوَةَ وَعَنِ الْاِذْلَالِ فَيَسْأَلُ قَرِيبًا أَوْ كَرِيمًا لَايَمُنُّ بَلْ يَقْبَلُ الْمِنَّةَ وَعَنِ الْاِيذَاءِ فَلَايَسْأَلُ فِى الْجَمْعِ اِلَّا عَمَّنْ يَسْتَحِى عَنِ الرَّدِّ فَيَحْرُمُ اِنْ أَعْطَى حَيَاءً مِنْهُ أَوْ مِنْ حَاضِرٍ كَمَا لَوْ أَخَذَ عَنْفًا وَالْفَارِقُ الْقَرَائِنُ وَفَتْوَى الْقَلْبِ وَيَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ الْقَبْضِ بِالْاِشْتِغَالِ بِالطَّاعَةِ وَالْاِنْفَاقِ فِيهَا

مناطقة باللسان ، ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار ، وذلك نتيجة اكل الحلال، وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة ﴿ ويحترز ﴾ أى وحقه أن يحترس ﴿ عن الشكاية ﴾ من الله فى سؤاله ﴿ فيقول ﴾ كاتما لحاله ﴿ أنى مستغن ﴾ بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال ﴿ لكن النفس تريد الشهوة ﴾ فتوقعنى فى السؤال ﴿ وعن الاذلال ﴾ أى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنبيا لئيما من ارباب الاموال ﴿ فيسال قريبا ﴾ أى ذا قرابة حميما من اهل الكمال من وصفه أنه لاينقصه ذلك فى عينه ولايزدريه بسبب فقره و كذا حكم صديقه ، فكان ابراهيم النخعى يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلاياخذه ﴿ اوكريما ﴾ من ذوى الجمال من نعته أنه ﴿ لايمن ﴾ على السائل بالعطاء والنوال ﴿ بل يقبل المنة ﴾ للسائل عليه فى اخذ المال ولو بالسؤال . فقد قال بشر الحافى : ماسالت احدا قط شيئا الا السرى السقطى لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا ، فهو يفرح بخروج الشىء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على مايحب ﴿ وعن الايذاء ﴾ أى ويحترز عن ايذاء المسؤل ﴿ فلايسال فى الجمع الاعمن يستحي عن الرد ﴾ والمنع وأن لم يكن فى الجمع ﴿ فيحرم ﴾ حينئذ ما اخذ ﴿ ان اعطى ﴾ المسؤل ﴿ حياء منه ﴾ أى من السائل ﴿ أو من حاضر ﴾ آخر ﴿ كما لو اخذ عنفا ﴾ أى غصبا ، اذ لافصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء ، بل ضرب الباطن اشد نكاية عند العقلاء ﴿ والفارق ﴾ بين عطاء لله او حياء من الخلق ﴿ القرائن ﴾ الموجودة فى تلك الحالة ﴿ وفتوى القلب ﴾ الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء، أن يلقى الكلام تعريضا فى الصحبة بحيث لايقدم على البذل الامتبرع بصدق الرغبة ، وأن لايعين شخصا للسؤال لئلا يشوش له البال ﴿ ويشكره ﴾ أى وحق الفقير أن يشكر الله ﴿ سبحانه بعد القبض ﴾ أى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء ﴿ بالاشتغال بالطاعة ﴾ قولا أو فعلا مثل أن يقول الحمد لله اويصلى ركعتين لله ﴿ والانفاق فيها ﴾ أى وبصرف

فهو الأحب أو فى المباح ومعرفة فضل الفقر وشكر المعطى بكونه سببا فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله ويدعو له فورد من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له ولا يستصغر ولا يفزع بالمنع ويحترز عن الشبهة فورد (ومن يتقى الله يجعل له مخرجا

العطاء فى طاعة المولى ﴿ فهو ﴾ أى الانفاق فى الطاعة ﴿ الاحب ﴾ أى الافضل من غيره المستفاد من قوله ﴿ او فى المباح ﴾ ينفق مثل فضول الحلال ﴿ ومعرفة فضل الفقر ﴾ أى وبمعرفته المثمرة لترك التواضع المفرط للمعطى ﴿ وشكر المعطى ﴾ أى وبثنائه لجزائه ﴿ بكونه سببا ﴾ فى عطائه ﴿ فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﴾ رواه أحمد والترمذى وحسنه عن أبى سعيد ، وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله ، أما اذا غفل عن الله فى اخذ العطاء أو اثنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حينئذ شكرا لله ﴿ ويدعو له ﴾ أى وحقه أن يدعو بالخير للمعطى فيقول : طهر الله قلبك فى قلوب الابرار ، وزكى عملك فى عمل الاخيار ، او يقول : بارك الله لك فيما اعطيت وفيما ابقيت ﴿ فورد من اسدى ﴾ أى أوصل ﴿ اليكم معروفا ﴾ أى احسانا ﴿ فكافئوه ﴾ أى جازوه بمثله لقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ﴿ فان لم تستطيعوا ﴾ على المكافاة فى العطاء ﴿ فادعوا له ﴾ باظهار الثناء واسرار الدعاء ، فللترمذى والنسائى وابن حبان عن اسامة « من صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء » وللشيرازى عن ابن عباس « من اسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب » ولابن عساكر عن على « من صنع إلى أحد من اهل بيتى يدا كافأته عليها يوم القيامة » ﴿ ولا يستصغر ﴾ أى وحقه أن لا يستحقر العطاء ولا يترك الدعاء والثناء ؛ لحديث « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر » رواه عبد الله بن احمد فى زوائد المسند عن عثمان بن بشير ﴿ ولا يفزع ﴾ أى وان لا يجزع ﴿ بالمنع ﴾ فان العطاء والمنع والضر والنفع بيد الله سبحانه . فورد « لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت » وفى الحكم لابن عطاء : ربما اعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك وقال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وما منع عبد عن باب الا وفتح له عن ابواب ﴿ ويحترز ﴾ أى وحقه أن يحترز ﴿ عن الشبهة ﴾ أى تناولها ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ أى من الشدائد

وَيرزقه من حيث لَا يحتسب) وَلَا يَاخذ أكثر من قوت يومه وَليلته فهو العزيمة وَالرخصة قوت سنة لتجدد سبب الدخل بعدها وكان عليه السلام لا يأخذ للعيال أكثر منه بل يؤثر شيئا منه حتى ينتهي قبل مضي السنة وهو الوسط المرضي من الروايات فورد أربعون أو خمسون ونصاب الزكاة وقيمة الضيعة أو البضاعة المحصلة للغنى

الدنيوية والاخروية ، و يجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ رزقا حلالا طيبا من غير حساب ﴿ ولا ياخذ ﴾ أي وان لا يقبل ﴿ اكثر من قوت يومه وليلته ﴾ أن كان من الاقوياء ﴿ فهو ﴾ أي أخذ قوت اليوم ﴿ العزيمة ﴾ التي ياخذبها الانبياء والاولياء ﴿ والرخصة ﴾ للضعفاء، ومن له العيال والنساء ﴿ قوت سنة لتجدد سبب الدخل ﴾ وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعته ﴿ بعدها ﴾ أى بعد تمام سنته ﴿ وكان عليه السلام لا ياخذ ﴾ اى لا يدخر ﴿ للعيال اكثر منه ﴾ اى من قوت سنة ﴿ بل يؤثر شيئا منه ﴾ اى من قوت سنته للفقراء ﴿ حتى ينتهي ﴾ اى يفرغ ما ادخره ﴿ قبل مضي السنة وهو ﴾ اى ادخار قوت السنة ﴿ الوسط ﴾ اى الافضل المتوسط بين الحالات ﴿ المرضي من الروايات، فورد اربعون ﴾ يوما ﴿ او خمسون ﴾ يوما في مدة جواز الادخار، وا وللشك او التنويع ﴿ ونصاب الزكاة ﴾ وهو عشرون دينارا او اربعمائة درهم ﴿ وقيمة الضيعة ﴾ اى المزرعة فيستغنى بها طول عمره، وفي معناها قيمة البيوت والحوانيت المستقلة لفوائد الغلة ﴿ او البضاعة ﴾ اى قدر رأس مال التجارة ﴿ المحصلة للغنى ﴾ بسبب الربح الكافى للمعيشة ، فيتجر بها ويستغنى عن غيرها . وفي الاحياء: ان في الادخار ثلاث درجات : أحدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين . وثانيتها ان يدخر لاربعين يوما ، فاما زاد عليه دخل في طول الامل. وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى عليه السلام، ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين ، ثالثها ان يدخر لسنة وهي أقصى المراتب ، وهي رتبة الصالحين . ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف لطما نينة قلبه في قوت سنة ، وغنى الخصوص في أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة . وقد قسم النبي عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

وَيستر تحاميًا عن هتك المروءة وكشف الحاجة والحسد والغيبة وسوء الظن به وعن إعلان عبادة المعطي ومذلة النفس المؤمنة فهو حرام وشبهة الشركة فورد من أهدى إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ويعرف بكراهة ظهور أخذ غيره كأخذه

حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة ، منهن عائشة وحفصة . وقد سكت عنه مخرجه ﴿ ويستر ﴾ أي وحقه أن يستر السؤال أو أخذ النوال ويكتمه فيسال في الخلاء دون الملاء ﴿ تحاميا عن هتك المروءة ﴾ أي تحفظا عن خرق الفتوة فإنها تقتضي عدم السؤال في حال يوجب الإيذاء أو مروءة المسؤول أن رد السائل مع القدرة والقوة ﴿ وكشف الحاجة ﴾ أي وتحاميا عن إظهار الفقر والفاقة وقد تقدم أن من كنوز البر كتمان الفقر ﴿ والحسد ﴾ أي وعن إظهار الحسد الذي لا يخلو من الجسد ﴿ والغيبة ﴾ بالطعن عليه بالغيبة ﴿ وسوء الظن به ﴾ في كونه غنيا ، ويظهر الفقر الذي يقتضي خلقا دنيا ، وهذا كله من الكبائر فصيانتهم عن هذه الجرائم أولى ، وذا إنما يحصل بستر السؤال والأخذ كما لا يخفى ﴿ وعن إعلان عبادة المعطي ﴾ فإن الإخفاء أفضل في الصدقة لقوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي ستر السؤال وأخذ النوال إعانة للمعطي على أسرار والعمل وإخفائه الذي هو الأكمل والإعانة على إتمام المعروف معروف عند الكمل ﴿ و ﴾ عن إعلان ﴿ مذلة النفس المومنة فهو حرام ﴾ من غير الضرورة ﴿ وشبهة الشركة ﴾ أي وتحاميا عنها ﴿ فورد من أهدى إليه هدية وعنده قوم ﴾ أو واحد ﴿ فهم شركاؤه فيها ﴾ والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون أموره ، لا كل من كان جالسا في ذلك الوقت عنده كذا في أصول الترمذي . والحديث رواه الطبراني من حديث الحسن بن علي بلفظ « جلساؤه شركاؤه فيها » وعليه البخاري بصيغة تمريض . قال السيوطي : وأخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى . وأما حديث « الهدايا تشترك » فلا أصل له وكذا « الهدية لمن حضر » إلا من حيث المعنى من غير اعتبار المبنى ﴿ ويعرف ﴾ من ستر سؤاله وأخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة إلى آخره ﴿ بكراهة ظهور أخذ غيره كأخذه ﴾ أي ككراهة ظهور أخذ نفسه ؛ فورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

وَيُظْهِرَ قَصْدَ الاخْلَاصِ وَاسْقَاطَ الجَاهِ وَهَضْمَ النَّفْسِ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ فَوَرَدَ (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُعْرَفُ بِإِرَادَةِ ظُهُورِ عَطَاءِ السَّاتِرِ لَهُ كَعَطَاءِ المُظْهِرِ لَهُ وَأَمَّا انْ بَلَغَ حَدّاً يَسْتَوِي فِيهِ السِّرُّ وَالعَلَانِيَةُ فَكَبْرِيتٌ أَحْمَرُ وَيَتْرُكُ مَا فِيهِ السُّمْعَةُ وَالرِّيَاءُ تَحَامِياً عَنِ الاعَانَةِ عَلَى الاثْمِ وَالأَوْلَى أَنْ لَا يَأْخُذَ الَّا لِلْحَاجَةِ

ويكره لاخيه ما يكره لنفسه» ﴿ و يظهر ﴾ أي وحقه أن يظهر السؤال و اخذ النوال ﴿ قصد الاخلاص ﴾ فى تصحيح الحال ، والمعنى أن من ترك السؤال فى الملأ لئلا يعيب عليه الخلق فى الخلاء فهذا نوع من الرياء ، فيصح له أن يظهر اخذ العطاء ليتخلص من شائبة الرياء ﴿ و اسقاط الجاه ﴾ واسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا ﴿ وهضم النفس ﴾ أى ولرياضتها فى طريق المولى النافعة له فى العقبى ﴿ واداء الشكر ﴾ أى ولادائه لنعمة الفقر ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل لبيان مدح اظهاره ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ ولبيان ذم اسراره ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ وهذا انما يصلح لمن يتلذذ بالفقر والبلاء كما يتلذذ غيره بالسعة والنعماء بل يكون ممن يقتدى به الصلحاء ، و ينفق على فضله العلماء فيظهر الشكر على الفقر ، ليعلم أن موجب فضله الفقر المقرون بالشكر ﴿ و يعرف ﴾ من يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر فى نعمة الفقر ﴿ بارادة ظهور عطاء الساتر له ﴾ أى المعطى ﴿ كعطاء المظهر له ﴾ بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار و يقبله على طريق الاظهار عكس فعل بعض الابرار ﴿ وأما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلانية ﴾ فى حقه ﴿ فكبريت أحمر ﴾ أى فهو كبريت أحمر عزيز الوجود فى دائرة الشهود بل كعنقاء مغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم ﴿ ويترك ﴾ أى وحقه أن يترك ﴿ ما ﴾ أى سؤال ما أو اخذ ما يدخل ﴿ فيه ﴾ أى عطائه ﴿ السمعة والرياء ﴾ وكذا المنة والايذاء ﴿ تحاميا عن الاعانة على الاثم ﴾ قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى و يقول : لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت ، وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة قال : انما ارد صلتهم اشفاقا عليهم و نصحا لهم ، لانهم يذكرون ذلك و يحبون أن يعلم بهم فتذهب اموالهم و تحبط اجورهم ، وتفسد احوالهم ﴿ والاولى أن لا يأخذ الا للحاجة

إِلَيْهِ فَوَرَدَ مَا الْمُعْطِي مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْرًا مِنَ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ أَوِ التَّفْرِيقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيُعَجِّلُ تَحَامِيًا عَنِ الْأُنْسِ بِالدُّنْيَا أَوِ الْأَخْذِ فِي الْمَلَاءِ وَالرَّدِّ فِي الْخَلَاءِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ وَيَخْتَارُ التَّطَوُّعَ إِنْ شَكَّ فِي شَرَائِطِ الْوَاجِبِ أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّقُ

اليه ﴾ فيما لابد منه ، وهو مفسر فى حديث رواه الترمذى وصححه عن عثمان مرفوعا « لاحق لابن آدم الا فى ثلاث : جلف الخبز والماء ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ويكنه فما زاد فهو حساب » ﴿ فورد ما المعطى من سعة ﴾ فى ماله ﴿ باعظم أجرا من الآخذ اذا كان ﴾ الآخذ ﴿ محتاجا اليه ﴾ رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ﴿ او التفريق ﴾ أى اولا ياخذ الا لاجل تفريقه ﴿ على الفقراء ﴾ المحرومين من خيرات الاغنياء ﴿ فيعجل ﴾ فى التفريق ولا يهمل ﴿ تحاميا عن الانس بالدنيا ﴾ فلا يدخر فان أمساكه ولو ليلة واحدة فيه اختبار وفتنة ، فربما يحلو فى قلبه فيمسكه . ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن أنه قال فى مرضه الذى مات فيه « ياعائشة مافعلت بالذهب ؟ فجاءت مابين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول : ماظن محمد بربه لو لقى الله وهذه عنده ؟ انفقيها » وفى رواية سبعة او تسعة دنانير . وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو ساهم الوجه - أى متغيره - قالت فحسبت ذلك من وجع ، فقلت يانبى الله مالك ساهم الوجه ؟ فقال من اجل الدنانير السبعة التى اتانا أمس ، امسينا وهى فى خصم الفراش » وفى رواية « امسينا ولم ننفقها » ﴿ او الاخذ ﴾ اى ولا ياخذ الا لاجل اخذه ﴿ فى الملأ والرد فى الخلاء فهو اقرب إلى السلامة ﴾ من السمعة والرياء ، ومن خجالة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء ، وأما أن اخذه فى الملأ وفرقه فى الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء ، وهذا أمر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة . هذا ويجوز له أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو احوج اليه منه ، او ياخذ العطاء ويوصله إلى من هو احوج اليه من الفقراء فيفعل كلاهما فى السر او كلاهما فى الملاء ﴿ ويختار التطوع ﴾ أى وحقه أن يختار أخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكاة والفطرة ﴿ أن شك ﴾ الفقير ﴿ فى شرائط الواجب ﴾ أى فى وجود شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة أم لا ، فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة ﴿ او علم ﴾ الفقير ﴿ أنه ﴾ أى الغنى ﴿ لا يتصدق ﴾ بصدقة

عَلَى غَيْرِه انْ لَمْ يَأخذْ أَوْ قَصَدَ التَّوسِيعَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالوَاجِبُ انْ قَصَدَ الاعَانَةَ عَلَى أَدَائِهِ أَوْ مُوَافَقَةَ الْفُقَرَاءِ أَوْ هَضْمَ النَّفْسِ فَأَمْثَالُهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّةِ

التطوع ﴿ على غيره أن لم يأخذ ﴾ الفقير بعينه ﴿ او قصد ﴾ الفقير ﴿ التوسيع على الفقراء ﴾ بإيثار مال زكاة الاغنياء فانه يختار اخذه . فانه محض الخير ونفع الغير ﴿ والواجب ﴾ أى و يختار اخذ صدقة الواجب ﴿ أن قصد الاعانة على ادائه ﴾ أى اداء الواجب وقضائه ﴿ او ﴾ قصد ﴿ موافقة الفقراء ﴾ ومرافقة الضعفاء ﴿ أو هضم النفس ﴾ اى رياضته فى مقام الابتلاء ﴿ فامثاله ﴾ اى امثال ما ذكر ﴿ يختلف باختلاف النية ﴾ اى نيات الصلحاء وجاءت الى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما ، فقال ، حدثنا عطاء عن النبى ﷺ انه قال : من اتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله عز وجل » ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها . وكان الحسن يروى هذا الحديث ايضا ، ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق فرد ذلك وقال : من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق . وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد فى قبول العطاء ، وكان الحسن يقبل من اصحابه ، كذا فى الاحياء . وقال مخرجه حديث عطاء لم اجده مرسلا بكذا . ولاحمد وأبى يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى « من بلغه من اخيه معروف من غير مسالة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه » وجاء خراسانى بمال إلى الجنيد وسأله أن يأخذه ويأكله ، فقال افرقه على الفقراء ، فقال ما اريد هذا ، قال ومتى اعيش حتى آكل هذا ؟ فقال ما أريد أن تنفقه فى الخل والبقل ، بل فى الحلوى والطيبات فقبل ذلك منه ، فقال الخراسانى : ما اجد ببغداد آمن على منك . فقال الجنيد : ولا ينبغى أن يقبل الامن مثلك . وقيل من اعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط . قال العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع اودخول فى شبهة اوغيره . وفى الاحياء قال بعض العلماء المجاورين بمكة : كانت عندى دراهم اعددتها للانفاق فى سبيل الله ، فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول ، بصوت خفى . جائع كما ترى ، عريان كما ترى ، فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى . فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه ، فقلت فى نفسى لا اجد لدراهمى أحسن من هذا ، فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال : اربعة ثمن مئزرين ، ودرهم انفقه ثلاثا ، ولا حاجة لى إلى الباقى

ثُمَّ الزُّهْدُ عُزُوفُ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ طَوْعًا

فرده . قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديد ان فهجس فى نفسى منه شىء فالتفت الى واخذ بيدى فاطافنى معه سبعا كل شوط منها فى جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت اقدامنا إلى الكعبين ، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلوء وجوهر ، ولم يظهر للناس ، فقال هذا كله اعطانيه ربى فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه اثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود أن الزيادة على الحاجة أنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وعن موسى عليه السلام أنه قال : يارب جعلت رزقى هكذا على ايدى بنى اسرائيل يغدينى هذا يوما ويعشينى هذا ليلة ، فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائى ، اجرى ارزاقهم على ايدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم ، فلا ينبغى ان يرى المعطى الامن حيث أنه مسخر مأجور . وقيل فى تفسير قوله تعالى (لينفق ذوسعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) معناه ليبع أحد ثوبيه ، وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ، ولله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم . ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف : الاقوياء والاسخياء والاغنياء ، فقيل من هولاء ؟ فقال : أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله ، وأما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله ، واما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله . وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وان أعطى لا ياخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين ، وفقير لا يسال وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس ، وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق البلخى حين قدم عليه من خراسان . كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا ، وظن انه لما وصفهم بترك السوال اثنى عليهم غاية الثناء . فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا . فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم ياأبا اسحق ؟ فقال الفقراء عندنا أن منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال : صدقت ياأستاذ (ثم الزهد عزوف القلب) أى ميله وانصرافه (عن الدنيا الى الآخرة طوعا) أى اختياراً وجعله طاعة ، فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة

وَلَا يُعبأُ بِاليَدِ لِوُجُودِهَا لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَوْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْلَى يَدًا مِنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أى باعوه طمعا فى أن يخلولهم وجه ابيهم وكان ذلك أحب عندهم من يوسف، فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد فى الآخرة، لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخصص اسم الالحاد بمن يميل إلى الباطل، واسم الحنيف بمن يميل الى الحق وأن كان الكل بمعنى الميل فى وضع اللسان، فالذى يرغب عن كل ماسوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو أيضا زاهد لكن دون الاول، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس، او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا، ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين، وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة، لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض. ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات، ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا، ويشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه، ولذا قيل لابن المبارك: يازاهد، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها. أما انا ففيماذا زهدت. وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: الا ترى إلى هذا ابن الحائك لا نفتى فى مسألة الارد علينا يعنى ابا حنيفة، فقال ابن شبرمة: لا ادرى اهو ابن الحائك أو ماهو، ولكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها انتهى. فمن عرف أن ماعند الله باق وأن الآخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا إلى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى، وإلى هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبأ باليد) أى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة إذا حصل الزهد فيها (لوجودها) أى الدنيا جاها ومالا (لسليمن عليه السلام) مع أنه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) أى ولكونه (عليه السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم

مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ وَهُوَ يُثْمِرُ الْمُكَاشَفَةَ كَمَا سَبَقَ فِي حَدِيثِ التَّجَافِي وَحَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مع أنه) أي نبينا (افضل) وزهده أتم وأدل ، على أنه لا بدع أن يوجد في المفضول بعض ما لا يوجد في الافضل . فتأمل . ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك أهل الترهب ، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع امته أن يتبعوه ، ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحاء ، وليس في دينه من حرج ، ولكونه مظهرا لمرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله : اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع أن الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبى . ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وأبقى ، لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا . اما لضعف علمه ويقينه بالمآل ، واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال ، وأما لاغتراره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت . والى تعريف خساسة الدنيا اشار قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والى تعريف نفاسة الآخرة قوله تعالى (وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) وأما قول ابن مسعود : ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة) فرواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن ، لكن حمل على أن منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبى ، ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر . تركك الدنيا أبر . (وهو) أي الزهد (يثمر) خمسة أشياء (المكاشفة) لاحوال الاخرة (كما سبق في حديث التجافي وحارثة رضي الله عنه) أما حديث التجافي فهو أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فقيل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا دخل القلب إنشرح له الصدر وانفسح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، رواه الحاكم ، وأما حديث حارثة فهو أنه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال : وما حقيقة ايمانك ؟ قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني بالجنة عن يميني والنار عن يساري ، وكأني بعرش ربي بارزا ، فقال عليه السلام « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان»

وَالفراغُ لِلْعِبادَةِ فَوِرْدُ مَنْ أَحَبَّ آخرتهُ أَضَرَّ بِدُنياه وتعظيمُ قدرِها فَوِرْدُ «رَكْعَتانِ مِنْ عالِمٍ زاهِدٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَمَحَبَّتُهُ تَعالَى وَمَعْرِفَتُهُ فَهُما

رواه البزار من حديث أنس، والطبرانى من حديث الحارث بن مالك ﴿ والفراغ ﴾ أي ويثمر الزهد فراغ خاطر أرباب الارادة ﴿ للعبادة ﴾ التى هى سلوك سبيل السعادة ﴿ فورد من أحب آخرته اضر بدنياه ﴾ تمامه ومن احب دنياه اضر باخرته فآثروا ما يبقى على مايفنى» رواه احمد والطبرانى من حديث أبى موسى ﴿ وتعظيم قدرها ﴾ اى ويثمر تعظيم مقدار العبادة ﴿ فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ﴾ لم اجده اصلا بهذا السياق، وانما هو لابن مسعود موقوفا، وللشيرازى فى الالقاب عن على مرفوعا «ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله» وللديلمى عن أنس «ركعتان من رجل ورع أفضل من الف ركعة من مخلط» ولابن النجار عن محمد بن على مرسلا «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وقد صح «لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد» ﴿ ومحبته تعالى ﴾ أى ويثمرها الزهد، فقد ورد فى الخبر «أن اردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا» رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس» ﴿ ومعرفته ﴾ أى ويثمرها، ففى الخبر قد ورد «اذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا وزهدا فى الدنيا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة» رواه ابن ماجه من حديث أبى خالد، وقد قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) ولذا قيل : من زهد فى الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه . كذا فى الاحياء وقد وجد معناه من حديث «من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه» رواه أبو نعيم من حديث أبى أيوب : ومن المعلوم أنه لا يكون العبد عابدا مخلصا الا اذا كان زاهدا . وفى الخبر أيضا «من زهد فى الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه، وانطق بها لسانه، وعرفه داء الدنيا ودواءها، واخرجه منها سالما إلى دار السلام» رواه ابن أبى الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا، ولابن عدى من حديث أبى موسى «من زهد فى الدنيا اربعين يوما واخلص فيها العبادة اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ﴿ فهما ﴾ أي المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد

لَا يَحْصُلَانِ الَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ وَالفِكْرِ الْمُمْتَنِعَيْنِ مَعَ الشُّغْلِ بِالدُّنْيَا

﴿ لايحصلان الابدوام الذكر ﴾ اى ذكر المولى ﴿ والفكر ﴾ لزادالعقبى ﴿ الممتنعين مع الشغل بالدنيا ﴾ وقد قال تعالى (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اى على الزهد فى الدنيا كما جاء فى التفسير ، وقال تعالى (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) قيل معناه ايهم ازهد فيها . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) وقال عز وعلا (لاتمدن عينيك إلى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وللطبرانى من حديث ابن مسعود بسند حسن « من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها ـ اى ابتلى ـ بثلاث : شقاء لاينفذعناه ، وحرص لايبلغ غناه ، وامل لايبلغ انتهاه » وللديلمى من رواية على بن ابى طلحة مرسلا « لايستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته » وله من حديث أنس « من زهده فى الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقهه فى الدين ، وعن عيسى عليه السلام. الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها، ولابن حبان من حديث على « من اشتاق إلى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن يرقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات» وجاء فى الآثار « لاتزال لااله الاالله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل مالم يبالوا بمانقص من دنياهم » وفى لفظ « مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فاذافعلوا ذلك وقالوا لااله الاالله قال تعالى: كذبتم لستم بها صادقين » وعن بعض الصحابة قال: تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى امر الآخرة ابلغ من زهد فى الدنيا . وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم اكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا خيرا منكم ، قيل ولم ذلك؟ قال كانوا ازهد فى الدنيا منكم : وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد . وقال ابن سعد: كفى به ذنبا أن الله تعالى زهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها : وقال رجل لسفيان : اشتهى أن ارى عالما زاهدا ، فقال ويحك تلك ضالة لاتوجد . وقال يوسف ابن أسباط . انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ، أن اموت حين اموت وليس فى ملكى درهم ، ولايكون على دين ، ولايكون على عظمى لحم ، فاعطى ذلك كله ، ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء الجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة

ثُمَّ الأَدْنَى بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ يُجَاهِدَ فِيهِ لِمَيْلِ النَّفْسِ إِلَى الدُّنْيَا وَهُوَ تَزَهُّدٌ ثُمَّ أَنْ يَتَنَفَّرَ عَنْهَا فَهُوَ زُهْدٌ ثُمَّ عَدَمُ المَيْلِ وَالتَّنَفُّرِ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ سَرِقَةِ مَالِهِ وَمَالِ غَيْرِهِ ثُمَّ عَدَمُ الاعْتِبَارِ بِزُهْدِهِ

آلاف درهم فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد وأنت على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال : أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبرسني موتوا يا أهلي جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا ﴿ثم الادنى﴾ من مراتب الزهد ﴿باعتبار نفسه﴾ أي نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه ومامنه وفيه كما سيأتي ﴿أن يجاهد فيه﴾ أي في تحصيل الزهد ﴿لميل النفس الى الدنيا﴾ والتفاتها اليها ولكنه يجاهدها ويكفها عنها ﴿وهو تزهد﴾ وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والجهد ﴿ثم﴾ الاعلى منه ﴿أن يتنفر﴾ طبعه ﴿عنها﴾ أى عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها ﴿فهو زهد﴾ فالمتزهد في الدنيا يذيب أولا نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر لأنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليلها أو كثيرها ﴿ثم﴾ الاعلى منه ﴿عدم الميل﴾ اليها ﴿و﴾ عدم ﴿التنفر﴾ عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة إلى ما طمع فيه من غيرها خيرا منها ، ولكن هذا الزاهد يرى لامحالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ، ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه ، وهذا أيضا نقصان عند من له عرفان ﴿ويعرف﴾ صاحب هذا المقام ﴿بتسوية سرقة ماله ومال غيره﴾ لعدم ميله إلى كل منهما ، ولقوله عليه السلام « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه » بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره ﴿ثم﴾ الاعلى ﴿عدم الاعتبار بزهده﴾ لغنائه في الله وبقائه به ، فقد انطوى في نظره وجود كل شيء فضلا عن زهده ، وهي المرتبة العليا بان يزهد في الدنيا طوعا ، ويزهد في زهده أيضا فلا يري زهده أصلا ، اذ لا يري أنه ترك شيئا اذ عرف أن الدنيا لاشيء ، وسببه كال

وَبِاعْتِبَارِ مَا مِنْهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ ثُمَّ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ الَى الْجَنَّةِ لاقْتِضَائِهِ الْمَحَبَّةَ ثُمَّ مِنْ رَفْعِ الالْتِفَاتِ الَى مَاسِوَاهُ تَعَالَى وَبِاعْتِبَارِ مَافِيهِ فِى بَعْضِ الدُّنْيَا كَالْمَالِ دُونَ الْجَاهِ وَهُوَ كَالتَّوْبَةِ

المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، ومن هنا قال ابو يزيد لابى موسى عبدالرحيم : فى أى شيء تتكلم ؟ قال فى الزهد ، قال فى أى شيء؟ قال فى الدنيا، فنفض يده وقال : ظننت أنك تتكلم فى شيء الدنيا لاشيء أى شيء تزهد فيها ، فاذن لايلتفت الزاهد إلى زهده الااذا التفت إلى مازهد فيه ولايلتفت إلى مازهد فيه الالانه يراه شيئا معتدا به ، ولايراه شيئا معتدا به الالقصور معرفته ، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة ﴿ وباعتبار مامنه ﴾ أى والادنى فى الزهد باعتبار مامنه الزهد أن يكون زهده للنجاة ﴿ من خوف النار ﴾ ومافيها من أنواع العقاب ﴿ ثم ﴾ الاعلى أن يكون زهده ﴿ من اجل الرجاء إلى الجنة ﴾ ومافيها من انواع الثواب ، وأنما يكون اعلى عاقبله ﴿ لاقتضائه المحبة ﴾ أى زيادتها ، والمحبة أعلى المقامات كما سيأتى فى خاتمة الكتاب ﴿ ثم ﴾ الاعلى أن يكون زهده ﴿ من رفع الالتفات ﴾ لخواطره ﴿ الى ماسواه تعالى ﴾ فلا تكون له رغبة الافى الله وفى لقائه ورضائه ولايلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ، وإلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى ، وهو الذى يصبح وهمه هم واحد ، وهو الموحد الحقيقى الذى لايطلب غير الله ، ومن طلب غير الله فقد عبده ، سواء وجده اوفقده . وهذا زهد المحبين وهم العارفون ، لانه لايحب الله تعالى خاصة الامن عرفه ولاتظنن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم فى قلوبهم ، بل تلك اللذة بالاضافة إلى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ، فالطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة كالصبى الطالب للعصفور التارك للذة الملك وذاك لقصوره عن ادراك لذة الملك لالان اللعب بالعصفور فى نفسه اعلى والذمن الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق ، ومن هنا روى « اكثر أهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب » ﴿ وباعتبار مافيه ﴾ أى ادنى الزهد باعتبار مافيه الزهد أن يكون زهده ﴿ فى بعض الدنيا كالمال دون الجاه ﴾ أو عكسه ﴿ وهو كالتوبة

عَنْ بعضِ الذُّنُوبِ ثُمَّ فِي كُلِّهَا ثُمَّ فِيمَا سِوَاه تَعَالَى

عن بعض الذنوب ﴾ وقد اختلف فى صحتها ، لكن الصحيح اعتبارها فى الجملة على ماتقدم ، بخلاف الزهد فانه لاخلاف فى صحة بعضه ﴿ ثم ﴾ الاعلى أن يكون زهده ﴿ فى كلها ﴾ أى فى جميع الدنيا مالها وجاهها ﴿ ثم ﴾ الاعلى وهى المرتبة العليا أن يكون زهده ﴿ فيما سواه تعالى ﴾ حتى يزهد فى نفسه أيضا وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم أجمله فى آية اخرى ورده إلى خمسة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) إلى أن قال (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) ثم رده الى اثنين فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وقال فى موضع آخر (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ثم رد الكل الى واحد فى موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا .

والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء فى الدنيا ، واذا رغب عنها لم يردها ، ولذا لما كتب عليهم القتال (قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ؟ لولا اخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى لستم تريدون البقاء الالمتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح المنافقون . أما الزاهدون المحبون فى الله فقاتلوا فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين ، وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله اونيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : كم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة ، والآن أموت موت العجائز ، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات ، وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت ، فقيل لهم (إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) الآية هذا . واجمع ماقيل فى حد الزهد قول أبى سليمان الدارانى : قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرأ

وَبِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَرْضُ وَهُوَ فِى الْحَرَامِ ثُمَّ السُّنَّةُ وَهُوَ فِى الشُّبْهَةِ ثُمَّ النَّفْلُ
وَهُوَ فِى فُضُولِ الْمُبَـــاحِ

أبو سليمان قوله تعالى (الا من أتى الله بقلب سليم) فقال: هو القلب الذى ليس فيه غير الله ، وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للاخرى ﴿ وباعتبار الحكم ﴾ أى و الزهد الأدنى باعتبار حكم الزهد ﴿ الفرض ﴾ أى يجب على السالك أن يزهد فيه ﴿ وهو ﴾ أى الزهد الفرض أن يكون زهدا ﴿ فى الحرام ﴾ وهو لابد منه لكمال الاسلام وجمال الأحكام ﴿ ثم السنة ﴾ أى الزهد الذى يسن للمريد أن يزهد فيه ﴿ وهو ﴾ أى الزهد السنة أن يكون زهدا ﴿ في الشبهة ثم ﴾ الزهد ﴿ النفل ﴾ المندوب المستحب ﴿ وهو ﴾ أى الزهد النفل أن يكون زهدا ﴿ فى فضول المباح ﴾ وقال قوم: الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والحرام ، فليس ذلك من درجاته فى شيء . ثم رأوا انه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن ، ويؤيده قول الحسن : رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفى خبر آخر: كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالرخاء ، وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول : اخاف ان يفسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف على فساده ، والذين قد أمات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال (ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) وقال تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال عز وعلا (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة ، فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ماسوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم ، فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكراً وفكرا ، ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت فى الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله ، فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه ، كذا فى الاحياء. وقد يقال المراد بالاشتغال بالمولى أن يكون بالقلب دون القالب ، فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الأمور ، فقلبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة

وَيخرجُ عنه القَصدُ الى الكَسب ان كَانَ للَذّة دونَ العُدَّة عَلَى العبادة وَالادِّخَارُ انْ زَادَ عَلَى قوتِ السَّنَة الاّ لمَنْ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الأَيْدِي كَدَاوُدَ الطَّائِي وَهُوَ مَلَكَ عِشْرِينَ دِينَارًا قَنَعَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً

كما يشير اليه قوله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية كما أن قلب أهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قالبهم فى المسجد والطاعة والقراءة ونحوها بل أهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو أرادوا أن يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدروا على ذلك كما أن أهل الغفلة لو اجتهدوا أن يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما أشار اليه العارف ابن الفارض بقوله:

ولو خطرت فى سواك ارادة ٭ على خاطرى يوما حكمت بردتى

فالحاضرون على الدوام هم الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اتباعهم الكرام والغافلون الكاملون هم الكافرون المشبهون بالأنعام، وأما المخلطون فهم فى أحوالهم مختلفون فتارة يحضرون وأخرى يغفلون وهم الذين قال الله تعالى فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) الآية ﴿ويخرج﴾ السالك ﴿عنه﴾ أى عن الزهد ويدخل فى حب الدنيا خمسة أشياء ﴿القصد الى الكسب ان كان﴾ القصد ﴿للذة﴾ أى بشهوة النفس بالمكسوب ﴿دون العدة﴾ أى بخلاف ما اذا كان القصد من الكسب الاستعداد والاستعانة ﴿على العبادة﴾ التى هى المندوب والمطلوب، وهذا محمل قول أبى سليمان الدارانى: من تزوج اوسافر فى طلب المعيشة ، او كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا ، وذلك لانه نقل عنه أيضا أنه قال: كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو عليك شؤم ﴿والادخار﴾ يخرج السالك عن الزهد أيضا ﴿ان زاد﴾ الادخار ﴿على قوت السنة﴾ كما ثبتت الرخصة فى السنة ﴿الا لمن لا يكسب﴾ أى لا يقدر على الكسب لعدم حرفة او لاشتغاله بتحصيل وجوه معرفة ﴿ولا يأخذ من الايدى﴾ مع هذه الحالة أيضا فانه لا يخرجه الادخار عن الزهد وأن كان زائدا على قوت السنة ﴿كداود الطائى وهو ملك عشرين دينارا﴾ ورثها من ابيه ﴿قنع بها عشرين سنة﴾ ثم اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك ، فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد ، بل لابد من الزهد فى المال والجاه جميعا فى مقام الكمال هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف ، وآخرون بالتكلف . ومن الخواص قوم ادعوا

وَالتَّغَذِّى مِن بِرٍّ

الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم ؛ ولئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين، ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة ، وأن الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها ، وأن ما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طوابوا بالحقائق والجئوا إلى المضائق . وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين ، لم يعباؤا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم ، فهم مائلون الى الدنيا متبعون الهوى ، فهذا كله كلام الخواص ، فاذا معرفة الزهد مشكل حتى على الزاهد نفسه ، فينبغى أن لا يتعبد بلبس خاص موافقا للسنة ، وإن يعول فى باطنه على ثلاث علامات . الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أى لا تحزنوا حزن فزع ولا تفرحوا فرح بطر وإلا فلا يخلو تأثيرهما فى النفس باعتبار أصل الطبع ، ثم الكمال أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب وجود صحة الحال . والثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه ، بل ينبغى أن يفرح بذمه ويحزن بمدحه . والثالثة أن يكون أنسه بالله ونسيانه عما سواه ، ولذا قيل لبعضهم: الى ماذا أفضى بهم الزهد فقال الى الآنس بالله ، وأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان كالماء والهواء فى القدح ، فالماء إذا دخل خرج الهواء وقد قال أهل المعرفة : إذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما ، واذا بطن الايمان سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم يعمل لها ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام «اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى» وقال أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس، وهذا مقام العابدين . ومن شغل بربه شغل عن نفسه ، وهذا مقام العارفين. وقال السرى: لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ، ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه. وقال النصرابادي: الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرى وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر، ثم لا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده فى مقام الكمال ، كما لداود الطائى ، فان مدار الزهد فى الدنيا عدم محبتها . وقد قال الفضيل . جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها ﴿والتغذى﴾ بالذال المعجمة أى الاكل ﴿من بر﴾ أى دقيق

مَنْخُول وَالمُوَاظَبَةَ عَلَى الادام وَاتِّخَاذُ ثَوبَيْن وَأَثَاثَيْن، وَجِنس رَفِيع

حنطة ﴿منخول﴾ يخرجه من الزهد أيضا ﴿و المواظبة على الادام﴾ تخرجه أيضا منه ﴿و﴾ كذا ﴿اتخاذ ثوبين﴾ كقميصين ﴿وأثاثين﴾ أى متاعين من أمتعة البيت كصحنين وابريقين أحدهما زائد عن استعماله ﴿وجنس رفيع﴾ أى مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاثاث . والأولى فى المقام الأعلى عدم التقيد بالادنى والأعلى كما كان طريق المصطفى . وقد قال يحي بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوته ما وجد، ولبسه ماستر، ومسكنه حيث أدركه المساء، الدنيا سجنه. والقبر مضجعه والخلوة مجلسه . والأعتبار فكرته. والقرآن حديثه. والرب أنيسه. والذكر رفيقه. والزهد قرينه. والحزن شعاره والحياء دثاره، والجوع ادامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسيبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه ان شاء الله وحده ه

ثم اعلم أن المهمات الضرورية فى الامور الدنيوية ستة : المطعم، والملبس، والمسكن والاثاث ، والمنكح، ومايكون وسيلة إلى هذه الخمسة: أما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما ورد فى حده، واقل جنسه مايقوته ولو خبز نخالة ، واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول وأقل ادامه الملح او البقل او الخل، واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم. وذلك فى الاسبوع مرة او مرتين ووقته الاقل فى ثلاثة ايام واوسطه فى اليوم والليلة مرة واقصاه فى اليوم والليلة مرتين، ويشير اليه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وكان يعيش عليه السلام بالاسودين أى التمر والماء وماشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفى رواية عنه عليه السلام أنه قال «من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير ، وكان عيسى عليه السلام يقول : يابنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى ، وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره . ولما أتى عليه السلام اهل قبا أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح فى يده وقال « أما انى لست احرمه ، ولكنى اتركه تواضعا لله » واما الملبس فاقل درجاته مايدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال ، واقل جنسه المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن ، واعلاه القطن الغليظ . قال ابو بردة : اخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا

وقالت قبض عليه السلام في هذين » رواه الشيخان . ولابن ماجه من حديث ابي ذر باسناد جيد « مامن عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه » وقد اشترى عليه السلام سروالا باربعة دراهم لما رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة . ولابي الشيخ من رواية عروة بن الزبير مرسلا « كان رداؤه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف » وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة « كان له ازار من نسج عمان طوله اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر » وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل ، فلما نظر اليها بكى وقال « يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد » فانزل الله سبحانه (ولسوف يعطيك ربك فترضى)وقال عليه السلام لعائشة « ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ، ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه » رواه الترمذي والحاكم وصححه من حديث عائشة . ولابي نعيم والحاكم والبيهقي في شعبه « أن من خيار أمتي فيما انبأني الملى الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ، ويبكون سرا من خوف عذابه ، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ، ويتبعون الرهبان ، اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش » وعد على قميص عمر اثني عشر رقعة بعضها من ادم . واشترى علي كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة ، وقطع كميه من الرسغين وقال : الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه . وقال بعضهم : قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق . ولاحمد من حديث معاذ « أن عبادا لله ليسوا بالمتنعمين » وأما المسكن فالاعلى أن يقنع بزاوية من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية أما بشراء اوكراء . وللطبراني من رواية أبي العالية « أن العباس بنى غرفة فقال له عليه السلام اهدمها » ولابي داود من حديث أنس بسند جيد « رأى عليه السلام قبة مشرفة فقال لمن هذه ؟ قالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبره بذلك فذهب فهدمها فمر عليه السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير ، ولابن حبان في الثقات وأبي نعيم في الحلية عن الحسن مرسلا « مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة » وقال عبدالله بن عمرو « مر علينا عليه السلام ونحن نعالج خصا ، فقال ماهذا ؟ فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك » رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله

ولأبي داود من حديث أنس بسند جيد « كل بناء وبال على صاحبه الا مالا » يعني ما لا بد منه ، وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه ، وكان منهم إذا حج اوغزا نزع بيته اووهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده ، قال الحسن: كنت إذا دخلت بيوته عليه السلام ضربت بيدي إلى السقف .وقال عليه السلام للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله « اتسع في السماء» يعني في الجنة رواه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني.وقال ابن مسعود « يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ،يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم » وأما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحب الامشطا وكوزا ، فرأى أنسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط،ورأى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز . ثم الظرف ينبغي أن يكون من الخزف ولو مكسور الطرف ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء متعددة كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها،وقالت عائشة رضي الله عنها « كان ضجاعه أي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف» رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح،وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة « ان فراشه عليه السلام كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف » ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترا فهتكه ، وقال: كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلي به الى فلان» رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها، وقال الحسن «أدركت سبعين من الخيار ما لا حدهم الا ثوبه ، وماوضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وأما المنكح فقال قائلون لازهد في أصل النكاح ولا في كثرته ، والى هذا ذهب سهل بن عبد الله،وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله أربع نسوة وبضع عشرة سرية، والصحيح ماقاله أبو سليمان الداراني ان كل ماشغلك عن الله من أهل أو مال أوولد فهو عليك شؤم ، وهو مستفاد من قوله تعالى : (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون) وقوله(ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال أبو سليمان: الزهد في النساء أن يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة،وقال الجنيد : أحب للمريد المبتدي أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حالة الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي ان لايكتب ولا يقرأ لانه أجمع لهمه وأما مايكون وسيلة الى هذه الخمسة فهو المال والجاه أما الجاه فانه قد يفتقر الي خادم له فينفعه ، وقد يحتاج الى دفع ظلم

وَالأَولَى الْمُبَالَغَةُ فِي التَّشْدِيدِ تَحَامِياً عَنِ الْأُنْسِ بِالدُّنْيَا وَطُولِ الْمُكْثِ لِلْحِسَابِ وَالْحَبْسِ عَنِ الجَنَّةِ وَاللَّوْمِ وَالتَّعْيِيرِ وَالحِرْمَانِ عَنِ الدَّرَجَاتِ العَالِيَةِ وَهُوَ المَأْثُورُ

عن نفسه أو غيره، والغالب أن من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الأذى، ولو كان بين الكفار فكيف بين الأبرار، وأما المال فقدر الضرورة كاف في المعيشة، فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي أن يتركه ويشتغل بأمر يهمه، وقد قال أبو سليمان لا ينبغي للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد، بل يدعوهم اليه فان أجابوه والا تركهم وفعل بنفسه ماشاء. وروى أن ابراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه، فرجع مهموما فأوحى الله اليه لو سألت خليلك لأعطاك، فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك شيئا منها، فأوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا. فتبين من هذا أن تحصيل قدر الحاجة من أمر الدين، ﴿والأولى المبالغة في التشديد﴾ أي التضييق على نفسك أن كنت من المريدين المجتهدين ﴿تحاميا﴾ أي تحافظا عن ستة أشياء ﴿عن الانس بالدنيا﴾ ونسيان العقبى والاشتغال بغير ذكر المولى ﴿و﴾ عن ﴿طول المكث للحساب﴾ المتضمن لعذاب الحجاب ﴿و﴾ عن ﴿الحبس﴾ والتوقف ﴿عن الجنة﴾ وما فيها من الثواب ﴿واللوم﴾ أي وعن الملامة في اكتساب السيئات ﴿والتعيير﴾ أي التوبيخ في تقصير الطاعات ﴿والحرمان عن الدرجات العالية﴾ والمقامات الغالية ﴿وهو﴾ أي المبالغة على المنهج المذكور كله ورد فيه ﴿المأثور﴾ عن السلف الصالحين. فعن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقيل له: لو خففت لنلت الجنة أيضا، فما هذه الشدة؟ فقال: كيف لا أشدد على نفسي وقد ورد «أن جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور أسنانها فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين، فنودوا أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون، انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها» وأما ما حكى ان داود الطائي كان له جب مكسور فيه ماؤه، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار، ويقول: من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا، فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفته النفس في شهوته، والا فبعد من الزهد البارد لانه عليه السلام كان يستعذب الماء ويقول في دعائه «اللهم اجعل حبك أحب إلى من حب الماء البارد» وقد دخل بستانا فقال لصاحبه «أن كان عندك ماء بارد في شن والا كرعنا فأتى به فشرب» وكان

وورد «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعدلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعوضَة مَاسَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» الدُّنيَامَلعونَةٌ مَلعونٌ مَافِيهَا الَّا مَا كَانَ لله · ثُمَّ الحَالَاتُ الَّتِي قَبْلَ المَوْتِ دُنْيَا وَالَّتِي بَعْدَهُ آخِرَةٌ لَكِنِ العِبَادَةُ وَمَا لَابُدَّ مِنْهُ فِيهَا مَعْدُودَةٌ مِنَ الآخِرَةِ بِخُرُوجِهَا عَمَّا جُمِعَ فِيمَا وَرَدَ (اِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)

بعض العارفين يقول. اذا شربت الماء البارد أحمد الله من صميم قلبي. وأيضا أنما خلق الله اللذات الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخروية وقدقال تعالى: (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال تعالى (ياايها الذين آمنوا كلوا امن طيبات مااحل الله لكم ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين) أى المتجاوزين عن الحدفى أمر الدين كالرهبانيين﴿ وورد ﴾فى الحديث﴿لو كانت الدنيا تعدل عندالله﴾ أى تساوى وتماثل ﴿ جناح بعوضةماسقى كافرا منها شربة ماء ﴾ رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد . ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل تعدل ، وقال قطرة ابدا بدل شربة ماء رواه الحاكم وصححه ﴿ الدنيا ملعونةملعون ﴾ وفى نسخة وملعون ﴿ مافيها الا ماكان لله ﴾ وهو العبادة ومايعين عليها . وفى رواية الطبرانى من حديث أبى الدرداء « الا ما يبتغى به وجه الله عز وجل » واسناده لابأس به ورواه الترمذى من حديث أبى هريرة وحسنه. ولفظه « الا ذكر الله وماوالاه وعالماومتعلما» يعنى ومايجرى مجراه فانه سبحانه خاق الاشياء كلها لعباده لما يشير اليه قوله تعالى (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) وخاق عباده لعبادته لما قال (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون)فشكر نعمته أن يصرفها فى طاعته، وكفرانها أن يصرفها فى معصيته اوغفلته ﴿ ثم الحالات التى قبل الموت ﴾ خيرا وشرا تسمى ﴿ دنيا والتى بعده ﴾ أى بعد الممات تكون ﴿ آخرة ﴾ فان من مات فقد قامت قيامته . وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه الواسطة بين الدنيا والاخرى ﴿ لكن العبادة ومالابدمنه فيها ﴾ ممايعين عليها كالاكل والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة ﴿ معدودة من الآخرة بخروجها عماجمع ﴾ من أمورها ﴿فيما ورد ﴾ فى التنزيل ﴿ أنما الحياة الدنيالعب ﴾ وهو مايتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له ، وهو فعل الصبيان والمجانين ﴿ ولهو ﴾ وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل أهل الغفلة من الشباب

الآيَةَ ، فَهِيَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا وَمَتَاعُهَا مَاجُمِعَ فِيمَا وَرَدَ (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) الآيَةَ وَالشَّغْلُ بِهَا حُبُّ حُظُوظِهَا بَاطِنًا وَتَحْصِيلُهَا ظَاهِرًا وَعِلَاجُ حُبِّهَا مَعْرِفَةُ الرَّبِّ وَالنَّفْسِ وَشَرَفِ الآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا ،

وارباب المال والجاه، كما يشير اليه قوله تعالى (ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ﴿الآية﴾ أي (وزينة) وهي الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء (وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) وهو حال اكثر أهل الدنيا من الاغنياء والامراء ﴿فهي﴾ أي الاشياء التي جمعت في الآية السابقة ﴿الدنيا باجمعها﴾ أي بتمامها ﴿ومتاعها﴾ مبتدأ خبره ﴿ماجمع﴾ من أنواعها ﴿فيما ورد﴾ في التنزيل ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ أي اللذات ﴿الآية﴾ أي (من النساء والبنين) أي دون البنات ولذا قيل في قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات) أن البنات داخلة في الباقيات الصالحات (والقناطير المقنطرة) أي الحمول الكثيرة (من الذهب والفضة) وقد ورد «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب» (والخيل المسومة أي المعلمة او المرسلة (والانعام) من الابل والبقر والغنم (والحرث) للزراعة والاشجار والاثمار والازهار (ذلك متاع الحياة الدنيا) اى (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) (والله عنده حسن المـآب) وجزيل الثواب (وما عند الله خير للابرار) ﴿والشغل بها حب حظوظها﴾ اى لذاتها وشهواتها ﴿باطنا وتحصيلها ظاهرا﴾ واما الانبياء والأصفياء فاختار الله لهم الدرجات العليا في العقبى والمحن والبلايا في الدنيا، فعن ابي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لقد كان الانبياء قبلى ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء، وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتلهم القمل ، وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم» رواه ابن ماجه باسناد صحيح ، وعن ابن عباس قال «لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال » ﴿وعلاج حبها معرفة الرب﴾ فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ولانه سبحـانه يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها ﴿والنفس﴾ اى ومعرفة قدرها حتى لا يضيعها في طلبها الدنية ، ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية ﴿وشرف الآخرة﴾ ودرجاتها العاليـة الباقيـة ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيفة ﴿وخساسة الدنيا﴾

﴿ البَابُ العِشْرُونَ فِى التَّوْحِيد . وَالتَّوَكُّلِ وَاليَقِين ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَدْنَى رُتَبِ التَّوْحِيد مَحْضُ القَوْلِ وَهُوَ النِّفَاقُ وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنْهُ وَلَا يُفِيدُ الَّا عِصْمَةَ الدَّمِ وَالمَالِ فَوَرَدَ فَاذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ثُمَّ التَّصْدِيقُ كَالْعَامِّيِّ وَالمُتَكَلِّمِ

من خسةشركائهاوسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ، ويكفيك فى ذمها ماورد فى حقها من «ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب» فقدروى ابو الشيخ فى تفسيره عن على موقوفا «الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب» واخرج الديلمى عن على مرفوعا «اوحى الله تعالى الى داود ياداود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم» ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» وفى صحيح مسلم والترمذى عن ابى هريرة مرفوعا «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة «فاذا فارق الدنيا فارق السجن» ثم الدنيا فتنة وبلية كما فى صحيح مسلم «الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى فى الدنيا والاخرى ، وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم ٭

﴿الباب العشرون فى التوحيد والتوكل واليقين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقون الموقنون ﴿ادنى رتب التوحيد﴾ من مراتبه الاربع ﴿محض القول﴾ بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به أو منكر له كتوحيد المنافق ﴿وهو﴾ اى قوله ﴿النفاق والعياذ بالله منه﴾ أى من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد فى الحال ﴿الا عصمة الدم والمال﴾ أى حفظ دم الموحد وماله ﴿فورد﴾ فى الحديث الصحيح وصدره «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ﴿فاذا قالوها﴾ أى كلمة التوحيد ﴿عصموا منى دماءهم وأموالهم﴾ تمام الحديث «الا بحقها وحسابهم على الله» ﴿ثم التصديق﴾ معه وهو أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده ﴿كالعامى﴾ أى كما هو اعتقاد العوام ﴿والمتكلم﴾ وهو الخائض

فَهُوَ لَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ الدَّافِعَةِ لِتَشْوِيشِ الْمُبْتَدِعَةِ وَيُفِيدُ النَّجَاةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ثُمَّ مُشَاهَدَةُ صُدُورِ الْكُلِّ مِنْهُ تَعَالَى وَيُفِيدُ اعْتِمَادَ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَانْقِطَاعَهُ عَمَّا سِوَاهُ وَهُوَ التَّوَكُّلُ

فى علم الكلام ﴿فهو﴾ أى المتكلم ﴿لا يتميز﴾ عن العامى فى هذا المقام ﴿إلا بالحيلة﴾ أى الصنعة الجدلية ﴿الدافعة لتشويش المبتدعة﴾ المانعة من انخرام قواعد أهل السنة والجماعة ﴿ويفيد﴾ التصديق الجنانى مع الاقرار اللسانى ﴿النجاة من الخلود فى النار﴾ ولو كان صاحبه من الفساق والفجار ﴿ثم مشاهدة صدور الكل﴾ أى ظهور جميع مايقع فى الكون ﴿منه تعالى﴾ وفى الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال فى المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتنوير الأسرار وهو مقام المقربين الأبرار وذلك بان يرى أشياء كثيرة ظاهرها الأغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار ، فيقول المشاهد حينئذ ليس فى الدار غيره ديار ﴿ويفيد﴾ هذا التوحيد ﴿اعتماد القلب عليه﴾ فى أمور الدنيا والاخرى ﴿وانقطاعه عما سواه﴾ فلا يرى أحدا يضر وينفع أو يعطى ويمنع الا اياه ﴿وهو التوكل﴾ أى الاعتماد على الله وعدم الالتفات إلى ما عداه، وتوضيحه أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع وضر ونفع، وحلو ومر ، وخير وشر، وغنى وفقر ، وحياة ومات، الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الوجود فى دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره ، بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وماسواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض ، وإذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر . وأنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد فى مقامين ، ويبتغى به أن يتطرق إلى قلبك شائبة الشرك بشيئين: أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثانى الالتفات إلى الجمادات . أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر فى خروج الزرع ونباته ونمائه ، وإلى الغيم فى نزول المطر ، وعلى البرد فى اجتماع الغيم ، وعلى الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا كله

ثُمَّ رُؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ وَيُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ

شرك فى التوحيد وجهل بحقائق أمر التفريد، ولذا قال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا . ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك، وكذا محركه وهكذا ينتهى إلى المحرك الاول الذى لا محرك له ولا هو متحرك فى نفسه، ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وأما الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره، فان شاء اعطاك وأن شاء قطع عنك، وهذا الشخص هو الذى يحز رقبتك بسيفه، وهو قادر عليك أن شاء حز رقبتك وأن شاء عفا عنك. فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده ؟ فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه، وعنده هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين، فشاهدوا بنور البصائر أن جميع ما فى السموات وما فى الارض: من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر، وكل حيوان وملك وبشر مسخرات فى قبضة القدرة الالهية الصمدانية؛ والقوة السبحانية الربانية .

ثم اعلم أنه سبحانه قال (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) وأجمع السلف على أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد أو لم يشأ فليست المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة فى القلب، فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض، وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها، ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة، فهو مضطر في الجميع، فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبرا مختارا اجيب بانه لو كشف لك الغطاء لعرفت انه فى عين الاختيار مجبور، لانه عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين. لا تختر فان كنت تختار فاختر ان لا تختار، وربك تخلق ما يشاء ويختار، والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم رؤية عدم ماسواه) اى مشاهدته بجنب وجود مولاه، فلا يرى فى الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين الاحرار (ويفيد) هذا التوحيد (الاستغراق به تعالى) أي بشهوده (والغيبة عن الغير) اى الغفلة عن وجود غيره

وَهُـــوَ الفَنَاءُ

(وهو) عند الصوفية (الفناء) فى التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤية فنائه ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له البقاء فى مشاهدة اللقاء ، فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان ، والثانى موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لشانه ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا . والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر فى نظر شهوده غير الواحد الواجب فى وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع فى حال التوحيد وهو ان لا تحجزه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطلق . فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهى كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام «لو تعلمون ما اعلم» وقالوا ايضا : افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الاشارة إلى كشف ما فيه ستر بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار ، وهذا كما أن الانسان كثير اذا التفت إلى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وأعضائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد . وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو فى حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق ، وكانه فى عين الجمع والملتفت الى الكثرة فى تفرقه ، فكذا كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير . ثم هذه المشاهدة التى لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهى الاكثر والدوام نادر عزيز يغلب فى المجاذيب وإلى هذا المقام أشار الحسين بن منصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الاسفار فقال فيما ذا أنت ؟ قال ادور فى الاسفار لاصحح حالى فى التوكل وقد كان من المتوكلين

فقال الحسين : قد افنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد؟ فكان الخواص فى تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد . فان قلت: فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ؟ اذ معنى التوحيد أن لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ؟ وأن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وأن كان له معنيان ويكون الفعل مجملا مرددا بينهما لم يتناقض، كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ، لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر ، فمعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذى خلقت فيه القدرة بعد أن خلق الله فيه الارادة ، بعد أن خلق الله فيه العلم، ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال فى القرآن مرة إلى الملائكة واخرى الى العباد ، ونسبها بعينها مرة إلى نفسه فقال تعالى (قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم) وقال (ثم توفته رسلنا) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا ولكن معناه مارميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذرميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فانهما لغتان مختلفتان فالمعنى ومارميت حقيقة اذرميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة الرمى أوخلق فى مرمى الوصول إلى عين العدو . وقيل مارميت خلقا اذرميت كسبا ، ولكن الله قدر رميك از لا . و كذا ذكر الله تعالى فى القرآن الادلة والآيات فى الارض والسموات ثم قال (اولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) وقال (شهد الله أنه لااله الاهو) فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف، فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات كما قال بعضهم: مانظرت شيئا الاورأيت الله بعده ، وهذا طريق المريد السالك . وكم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم: مانظرت شيئا الاورأيت الله قبله، وهذا مسلك المريد المجذوب

ومن هنا قال من قال عرفت ربى بربى ، ولو لاربى لما عرفت ربى ه

فالحاصل أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعانى اذا فهمت حقائق المعانى ، ولذا قال عليه السلام للذى ناوله التمرة « خذها لو لم تأتها لاتتك » رواه ابن حبان والطبرانى فاضاف الاتيان اليه و إلى التمرة ومعلوم أن التمرة لاتأتى على الوجه الذى يأتى الانسان به اليها ، وكذا لما قال ذلك التائب: اتوب إلى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه

وَالالْتِفَاتُ الى الْغَيْرِ إِمَّا لِضَعْفِ الْيَقِين لِتَطَرُّقِ الشَّكِّ وَعَدَمِ الاسْتِيلَاءِ عَلَى الْقَلْبِ وَامَّا لِلضَّعْفِ الْجِبِلِّيِّ كَالْجَبَانِ مُطِيعِ الْوَهْمِ لَا يُطِيقُ الْبَيْتُوتَةَ فِي بَيْتٍ خَالٍ أَوْفِيهِ مَيِّتٌ

السلام «عرف الحق لاهله» وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذى عرف الحق لاهله، ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز فى مرامه المستعير فى كلامه ومن هنا قال عليه السلام «اصدق بيت قالته العرب قول لبيد: الا كل شيء ما خلا الله باطل» متفق عليه من حديث ابى هريرة. والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيته لغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وكما قال تعالى (كل شى هالك الا وجهه) ومن هنا قال سهل: يامسكين كان ولم تكن، ويكون ولا تكون، فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كما لم تكن، فانه اليوم كما كان. وهذا تفصيل ما اجمل فى قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء، وهو الآن على ما عليه كان. هذا واذا ثبت فى نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، ولا وراء منتهى علمه علم، لا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه، ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله، فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة ﴿والالتفات الى الغير﴾ حينئذ لاحد الامرين ﴿اما لضعف اليقين﴾ وذلك ﴿لتطرق الشك﴾ وخطوره فى امور يجب عدم الالتفات اليها ﴿وعدم الاستيلاء﴾ اى ولقلة غلبة اليقين واستملائه ﴿على القلب﴾ ودخول اليقين فى سويدائه ﴿واما للضعف الجبلى﴾ اى الخلقى الطبيعى وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان فى اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله ﴿كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة فى بيت خال او فيه ميت﴾ فلو كلف العاقل ان يبيت مع الميت فى قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد فى الحال، وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن

وَأَدْنَى رُتَبِ التَّوَكُّلِ أَنْ يَعْتَمِدَ اعْتِمَادَ الْمُوَكِّلِ عَلَى الْوَكِيلِ لِلْعِلْمِ بِشَفَقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ ، ثُمَّ اعْتِمَادَ الطِّفْلِ عَلَى الْأُمِّ وَتُفَارِقُ الْأُولَى بِعَدَمِ الِالْتِفَاتِ عَلَى الِاعْتِمَادِ

ولا يحييه، ولو احياه لعاد كما كان واحبه وابقاه وعانقه وارتضاه، كما أن سنته سبحانه مطردة بان القلم الذى فى يده لايقلبه حية وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك فى هذا اليقين فلينفر قلبه عن مضاجعة الميت فى فراش بل الميت معه فى بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات . وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قل مايخلو الانسان عن شىء منه وان قل، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه . فاذن لايتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى (اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالتمس أن يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين .

هذا وقد قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان، ولذا قيل: الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلفين على الطلب والكسب غلب سوء ظنه وضعفت قوة توكله . وعنه عليه السلام : أن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ﴿ وادنى رتب التوكل ﴾ على الله ﴿ ان يعتمد ﴾ عليه ﴿ اعتماد الموكل ﴾ من المخلوق ﴿ على الوكيل ﴾ مثله ﴿ للعلم ﴾ أى لعلم الموكل ﴿ بشفقته تعالى وقدرته وعلمه ﴾ كما قدمناه وهذه الدرجة الاولى . ﴿ ثم ﴾ التوكل الاعلى منه أن يعتمد عليه سبحانه ﴿ اعتماد الطفل على الام ﴾ فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع أمه ، فانه لايعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد الا اياها ، فاذا راها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يتركها ، وأن نابه أمر فى غيبتها كان اول سابق الى لسانه ياأماه ياأماه واول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فمن كان تألهه إلى الله ونظره الى مولاه واعتماده عليه فى دنياه واخراه كلف به كما تكلف الصبى بامه بل أقوى منه ، فالله سبحانه أرحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما أن الطفل متوكل على أمه صدقا ﴿ وتفارق ﴾ هذه الرتبة الثانية الدرجة ﴿ الأولى ﴾ بشيئين ﴿ بعدم الالتفات على الاعتماد

اسْتِغْرَاقًا بِالْأُمِّ وَتَرْكِ التَّدْبِيرِ فَتِلْكَ لَا تُنَافِيهِ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَسَمَهُ الْوَكِيلُ ثُمَّ أَنْ يَكُونَ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَسَّالِ

استغراقا بالام ﴾ فى باب الاستناد اذ الصبى اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف أن التوكل ماهو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه فى مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ماأدناه فقال ترك الأمانى قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الامن بلغ أوسطه ﴿ وترك التدبير ﴾ أى وتفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان فى مقام الحضور ﴿ فتلك ﴾ الرتبة الاولى ﴿ لاتنافيه ﴾ أى أصل التدبير ﴿ بالطريق الذى رسمه ﴾ أى بينه ﴿ الوكيل ﴾ به وعينه بأن يفعله تصريحا أو تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التى مارسمه بها ولا كلفه فى تحصيلها ، وذلك كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لايترك التدبير الذى أشار اليه وكيله أو التدبير الذى عرف من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه باشارته بأن يقول لست أتكلم الا بحضورك فيشتغل لامحالة بالتدبير للحضور ولايكون هذا منا قضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها فى اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله أن يفعل مارسمه له اذ لولم يكن متوكلا ولا معتمداً له فى قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته أنه لايحاج الخصم الا من السجل ، فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووفائه بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لايستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى احضار السجل ونحوه من الشهود فى الامور ﴿ ثم ﴾ أعلى رتب التوكل على الله تعالى ﴿ أن يكون ﴾ المتوكل بين يدى الله سبحانه فى حركاته وسكناته ﴿ كالميت بين يدى الغسال ﴾ حال تقلبه وسائر تصرفاته لايفارقه الا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى

وَتُفَارِقُ الثَّانِيَةَ بِتَرْكِ السُّؤَالِ مُطْلَقًا فَتِلْكَ اِنَّمَا تُنَافِيهِ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى وَهِيَ أَنْدَرُ وُقُوعًا وَبَقَاءً، ثُمَّ الثَّانِيَةُ ثُمَّ الأُولَى

قوي يقينه بانه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات، وأن كله يحدث جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجرى عليه ﴿ وتفارق ﴾ هذه المنزلة الثالثة الدرجة ﴿ الثانية بترك السؤال مطلقا ﴾ سواء كان السؤال من الله اومن غيره فى جميع الاحوال كما روى عن الخليل أنه لما قال له جبريل الك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى، فقال سل ربك فانك فى مقام البلاء المورث للولاء، فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى *

وحاصله أن صاحب هذا المقام يفارق الصبى فيما له من المرام، فان الصبى يفزع الى أمه ويصيح وراءها، ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها، بل مثال هذا مثال صبى فرض أنه يعلم أمه وإن لم يزعق بامه فالام تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله رانه وإن لم يطلب منها اللبن فالام تبتدى وترضعه. وهذا المقام فى التوكل يثمر ترك الدعاء. والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وأنه يعطى ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى (وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ﴿ فتلك ﴾ اى الرتبة الثانية ﴿ انما تنافيه ﴾ اى السؤال ﴿ من غيره تعالى ﴾ فقط ﴿ وهى ﴾ اى الدرجة الثالثة ﴿ اندر ﴾ اى اقل ﴿ وقوعا و ﴾ اعز ﴿ بقاء ثم الثانية ثم الاولى ﴾ لذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع، وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم، فاذا رجع حال المتوكل الى التبرى من الحول والقوة، وهذا هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة الا بالله حقـا صـدقا، وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى انه تدقق فى الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهى مهلكة مخطرة، ومزلقة قدم عظيمة هلك فيها الظالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك فى التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته، وعظمت نسبته، ورفعت درجته، وارتفعت همته، وهو الذى يصدق بمعنى قوله: لا حول ولا قوة الا بالله. وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه : اسأت

وَلَا بُدَّ مِنْهُ فَوَرَدَ (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) « وَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ »

بالذنب واعتذرت منه الى الرب ، مع ان اعتذارى عند قلبي اسوأ من ذنبي لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل . وهذه كلها مخصوصة بربي ﴿ولا بد منه﴾ اى من التوكل فى امر الرزق وغيره لثمانية اشياء ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿وعلى الله﴾ اى لا على ماسواه ﴿فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ كاملين. أو اذا صرتم مؤمنين والامر للوجوب. وفى آية اخرى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ اى كافيه فيما تمناه وقال (أليس الله بكاف عبده) فمن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الآية. وقال (ان الله يحب المتوكلين) وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى حماه وزمامه وبابه ، حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص ﴿ولو توكلتم﴾ وفى رواية لو أنكم تتوكلون ﴿على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير﴾ تمامه « تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر وهو مقتبس من قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم) وفى رواية زيادة « ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » وفى رواية للبيهقى « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال » وعن ابن مسعود مرفوعا « أريت الامم بالموسم فرأيت امتى قد ملأت السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم وهيئاتهم ، فقيل لى افرضيت ؟ فقلت نعم ، فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل من هم يارسول الله ؟ قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة » رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس . وللحاكم وغيره من حديث ابن عباس « من سره أن يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما فى يديه » وللطبرانى وغيره من رواية

الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه أنه قال عليه السلام «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها» ويروى أنه لما قال جبريل لابراهيم الخليل ألك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل انزل الله فيه (وابراهيم الذى وفى) وقد اوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام «مامن عبد يعتصم بي من دون خلقي فيكيده أهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا» وقال سعيد بن جبير: لدغتني عقرب فاقسمت علي أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما كتبه الله لك. وقال هرم بن حيان لاويس القرني: اين تأمرني أن اكون؟ فأومأ الى الشام، فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس: اف لهذه القلوب قد خالطتها الشكوك فما تنفعها الموعظة. وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا، وقال ابو موسى الديلي قلت لابي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول انت؟ فقلت ان اصحابي يقولون: لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك، فقال ابو يزيد: نعم هذا قريب، ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال فى الاحياء مماذكره أبو موسى خبر عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان مافعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالاضافة الى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قل ما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات، وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل، فقد احترز الصديق فى الغار اذ سد منافذه، الا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره، او يقال إنما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه، وإنما يزول التوكل بحركة سره ولغيره لامر يرجع الى نفسه. وللنظر فى هذا مجال لان أمثال ذلك واكثر منه لا يناقض أحوال التوكل، فان حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن لا يخاف تسلط الحيات، اذ لا حول للحيات ولا قوة الا بالله. وإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير، ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى لموسى (لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وقال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الاعلى) لانك فى المنظر

وَأَيْضًا فِيهِ التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ عَنِ الِالْتِفَاتِ، وَأَيْضًا لَا يَتَغَيَّرُ الْمُقَدَّرُ الْمَقْسُومُ فَوَرْدُ «الرِّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوغٌ»

الاعلى ﴿ وأيضا ﴾ أى كما لابد من التوكل لوجوبه لابد منه لما يحصل ﴿ فيه التفرغ للعبادة عن الالتفات ﴾ الى تحصيل الاقوات كالمنع عن ارادة طريق السعادة ، فقد سئل ذو النون المصرى عن التوكل فقال : خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد ، وقطع الاسباب الى الاعمال فى مقام التفريد ، فقيل له زدنا فقال القاء النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية ، يعنى بالتبرى من الحول والقوة ﴿ وايضا ﴾ لابد من التوكل فانه كما هو المعلوم ﴿ لايتغير المقدر المقسوم ﴾ قال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) الآية وقد سئل حمدون القصار عن التوكل فقال : إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ، وإن كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء فلا تيأس من الله ان يقضيها عنك ، ويقرب منه قول صاحب المنازل : ما بيدى لم اعرف يصيب من وما يصيبنى لم اعرف بيد من ، وفى هذا إشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات أسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروغ) ليس له أصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى . فللبيهقى فى الشعب مرفوعا عن أم الدرداء « ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » ويشير اليه قوله سبحانه (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم) بل فيه تنبيه نبيه على أن مابقى له شيء من رزقه لم يتأت له طلب أجله . وقد قال بعض العلماء : لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه ، وأنه لو سأل الله أن لايرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ، ويقال له ياجاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، ولذا قال ابن عباس : اختلف الناس فى كل شيء الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لارازق ولا مميت الا الله . وقال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لاتزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم . فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش كيف قيض الله لها الرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم : العبيد كلهم فى رزق الله لكن بعضهم يأكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار

أَرْبَعٌ فُرِغَ مِنْهُنَّ الْخَلْقُ وَالْخُلُقُ وَالْأَجَلُ وَالرِّزْقُ» وَأَيْضًا الْمَطْلُوبُ هُوَ الْعُدَّةُ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِهِ لِسَبَبٍ حَاصِلٍ بِالطَّلَبِ أَوْ دُونَ السَّبَبِ

كالتجار ، وبعضهم بامتهان كالصناع ، وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ، ويشير الى هذا المقام قوله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) الى أن قال : (ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون) ﴿أربع فرغ منهن الخلق﴾ بالفتح ﴿والخلق﴾ بالضم ﴿والاجل والرزق﴾ رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود ولفظه « فرغ الى ابن آدم من أربع : الخلق والخلق والرزق والاجل » ورواه أحمد والطبرانى عن أبي الدرداء بلفظ « فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره - أى عمله - ومضجعه - أى محل موته - وشقى او سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون .

جرى قلم القضاء بما يكون ٭ فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق ٭ ويرزق فى غشاوته الجنين

﴿وايضا﴾ لابد من التوكل اذ ﴿المطلوب﴾ من العبد ﴿هو العدة﴾ أى الاستعداد ﴿على الطاعة﴾ لزاد المعاد ﴿وهو تعالى قادر على اعطائه لسبب حاصل بالطلب او دون السبب﴾ اى او حاصل بغيره من انواع الكسب، فقد قال يحيى بن معاذ فى وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عليه السلام للسائل بعد اعطائه التمرة « خذها ولو لم تأتها لأتتك » وقد تقدم مبناه ومايؤيده من معناه . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله فى كل حال . فقال السائل : زدنى فقال ترك كل سبب موصل إلى سبب حتى يكون الحق المتولى لذلك . فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة ، والثانى اشارة إلى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا ، اذ كان سؤاله سببا يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له ، فتركه ثقة بأن الله ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك . وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره ، وهو حال عزيز فى نفسه ، ودوامه ان وجد أبعد منه وأعز

وَالمَوتُ جُوعاً مُقَدَّرٌ أَيْضاً كَالمَوْتِ شِبَعاً

﴿والموت جوعا مقدر أيضا كالموت شبعا﴾ فلا بد من التوكل سواء كان شبعانا أو جيعانا، وقد قال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، فالاول إشارة إلى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه، والثانى إشارة الى كمال توكله عليه. فعن أبي علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده، والمسلم يكتفي بعلمه؛ والمفوض يرضى بحكمه.

ثم اعلم أن الشخص اذا كان بطالا فعليه أن يصير كاسبا وعمالا، ولا معنى للتوكل فى حقه الا ما يليق بمقامه وفق مرامه، فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين، إما من العلماء الزاهدين وإما من الصلحاء العابدين، فما للبطال والاتكال واذا كان مشتغلا بالله وملازما لمسجده أو بيته، ومواظبا على علمه وعبادته بتحسين نيته وتزيين رعايته فالله سبحانه يقرر حبه فى قلوب خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته، فما روى الى الآن من قديم الزمان عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وتعالى وهو فى وسط الديار من القرى والامصار فمات جوعا بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يعولهم لقدر عليه، فمن كان لله كان الله له، لكن ينبغي أن يكون نظره الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب. نعم لا يطمع فى الحلوى والطير السمانى والثياب الرفيعة والبيوت المنيعة مع انه لو قدر له شيء من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك كما يشير اليه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) (وربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وفى الخبر أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب. فالاهتمام الكثير بأمر الرزق قبيح من ذوى الدين، وهو أقبح من العلماء المجتهدين، لان من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة الا اذا أراد أن لا يأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل، ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالبا فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ المولى واعانة للمعطى على نيل الثواب فى العقبى، ومن نظر الى مجارى سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولا على كد الاكتساب ولذا سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال: اراد الصانع أن يدل

وَأَيْضًا الصَّلاحُ مَسْتُورٌ، وَأَيْضًا انَّهُ ضَمِنَ الرِّزْقَ بِلَا تَعْلِيقٍ فَوَرَدَ (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ الَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا) فَمَا أَقْبَحَ مَنْ يَثِقُ عَلَى سُوقٍ بَعْدَ الاقْرَاضِ أَوِ الضِّيَافَةِ وَلَا يَثِقُ عَلَى ضَمَانِهِ تَعَالَى

على نفسه ، اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن أن العقل رزق صاحبه ؛ فلما رأوا خلافه علموا ان الرزق من غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم ، فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا : نطلب الرزق فقال ان علمتم فى اى موضع هو فاطلبوه ، فقالوا نسأل الله تعالى فقال إن علمتم انه ينساكم فذكروه ، فقالوا ندخل البيت ونتوكل على الله تعالى وننظر مايكون ، فقال التوكل على التجربة شك، قالوا فما الحيلة؟ قال ترك الحيلة . وقال احمد بن عيسى الخراز كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فغلبتنى نفسى ان اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين ، فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول :

وتزعم انه منـــا قريب وانا لانضيع لمن اتانا
ويسألنا القوى جهدا وصبرا كأنا لانراه ولا يرانا

﴿ وايضا ﴾ لابد من التوكل اذ ﴿ الصلاح ﴾ فى الامور ﴿ مستور ﴾ لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لايدرى اى الاسباب خير له لذا قال عمر رضى الله عنه : لاابالى اصبحت غنيا اوفقيرا فانى لاادرى ايهما خير لى ﴿ وايضا ﴾ لابد من التوكل حيث ﴿ انه ﴾ اى الله سبحانه ﴿ ضمن الرزق بلا تعليق ﴾ اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ﴾ أى ولو لم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم فى نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه ، فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من اين تاكل ؟ فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى مرة من اين يطعمنى ﴿ فما اقبح من يثق ﴾ أى يعتمد ﴿ على سوق ﴾ مع أن الغالب عليه الكذب وخلف الوعد ﴿ بعد الاقراض او الضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى ﴾ مع كمال صدقه وجمال وعده . وقد قيل : مكتوب فى التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وفى الحديث « من اعتز بالعبيد أذله الله » رواه أبو نعيم فى الحلية عن عمر وقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الامام بالمسجد لو اكتسبت

وَأَيْضًا لَافَائِدَةَ فِى الطَّلَبِ الاَّ المَذَلَّةُ وَضِيَاعُ الوَقْتِ ؛وَأَيْضًا الحَيَاةُ فِى الاِسْتِقْبَالِ مَشْكُوكٌ وَالمَوْتُ مُتَيَقَّنٌ وَالاِسْتِعْدَادُ لِلْمُتَيَقَّنِ أَوْلَى بِخِلَافِ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ لِوُرُودِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِى وَتَعْلِيقِهِمَا عَلَى العَمَلِ ،وَأَمَّا مَاوَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) فَالْعِلْمُ وَالثَّوَابُ أَوْهُوَ أَمْرُ إِبَاحَةٍ وَلَايُنَافِيهِ الكَسْبُ لِأَنَّهُ عَمَلُ البَاطِنِ

كان أفضل لك .فلم يجبه حتى اعادها ثلاثا ، فقال فى الرابعة : يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين ، فقال إن كان صادقافى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك، فقال : ياهذا لولم تكن إماماتقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد خيرا لك ، يعنى فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى الرزق ﴿ وأيضا ﴾ لابد من التوكل اذ ﴿ لا فائدة فى الطلب ﴾ حيث لايزيد بطلبه ولاينقص بتركه فلامنفعة فى طلبه ﴿ الاالمذلة ﴾ لمخلوق مثله،ولايحل للمؤمن أن يذل نفسه ﴿ وضياع الوقت ﴾ أى وتضييع العمر فى غير عبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر ﴿ وأيضا ﴾ لابد من التوكل اذ ﴿ الحياة فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن ﴾ مسلوك ﴿ والاستعداد للمتيقن اولى ﴾ من الاستعداد للمشكوك ﴿ بخلاف الثواب والعقاب ﴾ فانهما ولوكانا مقدرين كسائر الاسباب، لكن لابد للانسان أن يسعى فى اكتساب مايوجب الثواب وفى اجتناب مايقتضى العقاب ﴿ لورود الاوامر والنواهى ﴾ فى الكتاب ﴿ وتعليقهما على العمل ﴾ حيث قال (ومن يعمل من الصالحات) (ومن عمل صالحا) الآيات . وقال تعالى (جزاء بماكانوا يعملون) (وأن ليس للانسان الاماسعى) ﴿ وأماماورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ فقد يتوهم منه أن المعنى اطلبوا من رزق الله، وليس كذلك ﴿ فالعلم والثواب ﴾ هما المرادان من فضل الله ﴿ او هو أمر اباحة ﴾ بقدر الحاجة ، او امر بطلب الحلال دون الشبهة هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين ولاينال بمحظور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله ﴿ ولاينافيه ﴾ اى التوكل اربعة اشياء منها ﴿ الكسب لانه ﴾ اى التوكل ﴿ عمل الباطن ﴾ فيجتمع مع عمل الظاهر بل هو اتم عند بعض ارباب السرائر ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب

فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ مَقْطُوعًا بِهِ بِارْتِبَاطِ الْمُسَبَّبِ لِسُنَّتِهِ تَعَالَى كَمَدِّ الْيَدِ لِلطَّعَامِ وَالْوِقَاعِ لِلْوَلَدِ وَبَثِّ الْبَذْرِ لِلْحَصَادِ فَالتَّرْكُ خَطَأٌ فَوَرَدَ (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا) وَإِنْ كَانَ مَظْنُونًا بِعَدَمِ حُصُولِ الْمُسَبَّبِ دُونَهُ غَالِبًا كَحَمْلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الْبَوَادِي فَكَذَلِكَ لِأَنَّهُ

﴿ فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب ﴾ بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب ﴿ لسنته تعالى كمد اليد للطعام ﴾ اى لا كله ﴿ والوقاع ﴾ اى وكالجماع ﴿ للولد ﴾ اى لخلقه ﴿ وبث البذر للحصاد ﴾ بالفتح والكسر اى لقطعه ﴿ فالترك خطأ ﴾ بل جنون محض ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (ولن تجد لسنة الله تحويلا) وتوضيحه أنه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج اليه ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ، ومد اليد الى الطعام سعى وحركة ، وكذا مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالى الحنك على أسافله ، فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل فى شىء ، فانك ان انتظرت أن يخلق الله شبعا دون أكل الخبز ، او يخلق فى الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله نباتا من غير بذر ، او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم ، فهذا وامثاله جنون وليس التوكل فى هـــذا المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف فى الحال . وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضورها لطعام وربما يسلط الله عليك من يقلبك عليه . واذا كان هذا علمه وحاله فليمد اليد اليه فانه متوكل على الله ومعتمد عليه ﴿ وإن كان ﴾ السبب ﴿ مظنونا ﴾ اى مشكوكا فيه ﴿ بعدم حصول المسبب دونه ﴾ أى من غير السبب ﴿ غالبا كحمل الزاد للسفر فى البوادى ﴾ التى لا يطرقها الناس الا نادرا ﴿ فكذلك ﴾ تركه خطأ وجنون وإيقاع للنفس فى التهلكة ﴿ لأنه ﴾

سُنَّةُ الأَوَّلِينَ لَكِنَّهُ يَجُوزُ إِنِ ارْتَاضَتِ النَّفْسُ وَصَبَرَتْ عَنِ الطَّعَامِ أُسْبُوعًا أَوْ مَاقَرُبَ مِنْهُ دُونَ الشُّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَقَدَرَتْ عَلَى الاقْتِيَاتِ بِالْحَشِيشِ

أي حمل الزاد في السفر ﴿سنة الاولين﴾ أي عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ﴿ لكنه ﴾ أي ترك حمل الزاد ﴿ يجوز ﴾ ولذا كان يفعل الخواص وهو من الخراص لكنه بالنسبة إلى العوام القاء للنفس في التهلكة وهو حرام. وإنما يجوز ﴿ إن ارتاضت النفس ﴾ في مقام المرام ﴿ وصبرت عن الطعام اسبوعا ﴾ أي سبعة ايام ﴿ اوماقرب منه ﴾ أي من الاسبوع . واقله أن يكون ثلاثة ايام ولياليها . وقد روى عن أبي تراب النخشبي رأى صوفيا مديده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام ، فقال له : لايصلح لك التصوف ، أي لاتصوف الامع التوكل ولا يصح التوكل الالمن يصبر على الطعام اكثر من ثلاثة ايام، وعن أبي علي الروذباري : إن قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ، ومروه بالعمل والكسب ﴿ دون الشغل عنه تعالى ﴾ بان يعبده من غير ضيق قلب وتشويش خاطر ، كما حكى أن رجلا قال دخل أبو تراب النخشبي مكة طيب النفس ، فقلت اين اكلت ايها الاستاذ ؟ فقال اكلة بالبصرة واكلة بالنباج، واكلة ههنا، كذا في الرسالة القشيرية ﴿ وقدرت ﴾ أي وإن قدرت وظاهر كلام الاحياء أن يقال اوقدرت ﴿ على الاقتيات بالحشيش ﴾ فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالبا مايخلو في البوادي في كل أسبوع من ان يلقاه آدمي، او ينتهي إلى قرية او إلى حشيش يكون سببا لحياته . وقد يكون له ثبات على الرضى هنالك إلى الموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضل بعيره فيموت جوعا. فذلك ممكن مع الزاد كما أنه ممكن مع فقده . وأما لوانحاز إلى شعب من الشعاب حيث لاماء ولاحشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روى: أن زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لااسال أحدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي، فقعد سبعا فكاد أن يموت ولم ياته شيء ، فقال يارب : إن أحييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والافاقبضني ، فاوحى الله تعالى اليه : وعزتي لاارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس ، فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب ، فاوجس في نفسه من ذلك ، فاوحى الله تعالى اليه . اردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أن ارزق عبدي بيد عبادي أحب إلي من أن ازرقه بيد قدرتي . فاذن التباعد عن الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة

وَأَمَّا مَاوَرَدَ وَتَزَوَّدُوا فَزَادُ الآخِرَةِ بِقَرِينَةِ (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) أَوْهُوَ أَمْرٌ لِقَوْمٍ يَقْصُدُونَ الحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى النَّاسِ وَيُؤْذُونَ بِالْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ وَإِلَّا فَحَرَامٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ سَعْيٌ فِي الهَلَاكِ وَإِنْ كَانَ مَوْهُومًا كَالْاسْتِقْصَاءِ فِي دَقَائِقِ التَّدْبِيرِ فَهُوَ يُنَافِيهِ لِأَنَّهُ غَايَةُ الحِرْصِ وَيَسْتَفْتِي الْعَزَبُ قَلْبَهُ فَيَخْتَارُ الكَسْبَ بِنِيَّةِ التَّصَدُّقِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى البِرِّ وَالتَّحَامِي عَنِ الشُّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى بِالْالْتِفَاتِ اِلَى غَيْرِهِ

﴿وأماماورد﴾ فى التنزيل ﴿وتزودوا﴾ وهو أمر بطلب الزاد أو أخذ الزاد ﴿فزادالآخرة﴾ هو المراد ﴿بقرينة﴾ مابعده ﴿فان خير الزاد التقوى﴾ النافعة فى المعاد ﴿اوهو﴾ أى تزودوا ﴿امر لقوم﴾ خاص من أهل اليمن وغيرهم ﴿يقصدون الحج بلا زاد اتكالا على الناس﴾ أى اعتمادا على اعطائهم من أزوادهم ﴿ويؤذون﴾ الناس ﴿بالالحاح فى السؤال﴾ ومنهم جمع يدعون انهم متوكلون والحال انهم متأكلون ﴿والا﴾ اى وان لم ترتاض النفس ولم تصبر عن الطعام ﴿فحرام عليه﴾ ترك السبب من الكسب والطلب ﴿لانه سعى فى الهلاك﴾ للبدن والله لايحب الفساد ورؤف بالعباد ﴿وان كان﴾ السبب ﴿موهوما كالاستقصاء فى دقائق التدبير﴾ من امر الزراعة والتجارة وسائر انواع الصناعة ، ومنه الكى والرقية والطيرة ﴿فهو﴾ اى الاستقصاء فى هذا الباب ﴿ينافيه﴾ اى التوكل عند اولى الالباب ﴿لانه غاية الحرص﴾ ونهاية الاتكال على الاسباب ، فمن سهل التوكل ترك التدبير . وقال : ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه ، وانما حجابهم تدبيرهم ﴿ويستفتى العزب قلبه﴾ اى دون المعيل فانه يتعين عليه طلب الحلال لاجل العيال ، فانهم لايكلفون بالتوكل وفق ماله من الحال ﴿فيختار﴾ العزب ﴿الكسب﴾ بسبب ثلاثة اشياء ﴿بنية التصدق﴾ بما فضل عن قوته على سائر الفقراء لاسيما ذوى القربى ﴿والاعانة على البر﴾ اى للمساعدة على أهل المجاهدة فى العلم والعمل لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) ﴿والتحامى﴾ أى المحافظة ﴿عن الشغل عنه﴾ أى عن ذكره وفكره ﴿تعالى بالالتفات إلى غيره﴾ سبحانه ولو من حوله وقوته ، فاذا كان المكتسب مكتسبا لعياله او لتفريق مال من ماله فهو بيديه مكتسب ومنتفع ، وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله فى مقام

وَالتَّرْكَ لِشُغْلِ الْكَسْبِ عَنْهُ تَعَالَى وَانْقِطَاعِهِ الَيْهِ وَيعرفُ بِعَدَمِ التَّغيرِ لِفَقْدِ الْمَالِ وَ كَذَا التَّزَوُّدُ وَنَحْوِهِ وَيكتَسبُ الْمُعِيلُ كَمَا رُوِىَ عَنِ الصِّدِّيقِ رَضِىَ اللهُ عنه

كماله ﴿ والترك ﴾ اى ويختار العزب ترك الكسب ﴿ لشغل الكسب عنه تعالى ﴾ اى عن القيام بحقه كما هو حقه ﴿ وانقطاعه اليه ﴾ اى ولكمال انقطاع العبد إلى حضور سيده عملا بقوله تعالى (وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لااله الاهو فاتخذه وكيلا)

والحاصل ان الكسب لاينافى حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة ﴿ ويعرف ﴾ صاحب هذا الحال ﴿ بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه ﴾ من الادخار للاستقبال ، ومن النكاح واختيار العيال اختيارا وتركا. فيختاره بنية التصدق والاعانة ويتركه لشغله عن الحق والعبادة ﴿ ويكتسب المعيل ﴾ لاجل العيال ﴿ كما روى عن الصديق رضى الله عنه ﴾ انه لما بويع للخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، فكره المسلمون ذلك ، فقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت لخلافة النبوة ؟ فقال لاتشغلونى عن عيالى فانى ان اضعتهم كنت لماسواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهله من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته لمصالح المسلمين اولى . ويستحيل أن يقال لم يكن أبو بكر فى مقام التوكل فمن اولى بهذا منه . فدل على أنه ما كان متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعى ، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته . والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب، وبشروط كان يراعيها من طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ، ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره . فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ، ولايصح التوكل الا مع الزهد فى الدنيا . نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق ، كنت أكتسب فى كل يوم دينارا لاأبيت منه دانقا ، ولا أستريح منه الا قيراطا ادخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل . وكان الجنيد لايتكلم فى التوكل بحضرته ، وكان يقول : استحيي أن أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى .

والحاصل أن التوكل مقام شريف ومرام لطيف ، ولذا قال أبو سليمان الدارانى لاحمد بن أبي الحوارى : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فانى

وَلَا يُكَلِّفُ العِيَالَ إِلَّا أَنْ تُسَاعِدَهُ وَلَا الادِّخَارَ لِمَا دُونَ الأَرْبَعِينَ مِنَ العَزَبِ وَاخْتُلِفَ فِيهِ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الفَضْلَ لِقَصْرِ الأَمَلِ

ماشممت منه رائحة . هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه . ولعله أراد اقصى ادراك وهو مشاهد ان لافاعل الا الله ولا رازق سواه ، وان كل مايقدره مولاه على عبده من فقر وغنى ، وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه . وقال الخواص ـ وقد سئل عن أعجب شيء رآه فى اسفاره ـ فقال : رأيت الخضر عليه السلام ورضى بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن اليه نفسى فيكون نقصانا فى توكلي ﴿ ولا يكلف العيال ﴾ بالاتكال ﴿ الا ان تساعده ﴾ فيماله من الحال بالتوكل مع عدم المال ، وإلا فيجب عليه الكسب بقدر نظام الكمال . فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد ، فسبحان من أقام العباد فيما أراد . ومع هذا الحال لايخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال ، فقد قال الحسن البصري : وددت أن أهل البصرة فى عيالى ، وأن حبة بدينار ، وقال وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقى لظننت أنى مشرك بربى ﴿ ولا الادخار ﴾ أى ولاينفى التوكل وضع الذخيرة ﴿ لما دون الاربعين ﴾ يوما ﴿ من العزب ﴾ وللسنة من المعيل كما سيأتى ﴿ واختلف فيه ﴾ أى في الادخار هل يكون منافيا للتوكل أم لا ، فذهب سهل الى أنه يخرج به عن التوكل مطلقا ، وذهب الخواص الى أنه لايخرج عن التوكل بأربعين يوما ويخرج بما زاد على الاربعين . وقال أبو طالب المكى : لايخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين أيضا ، وهذا اختلاف لامعنى له بعد تجويز أصل الادخار كما فى الاحياء على ماسيأتى بيانه فى الاثناء ﴿ والتحقيق ﴾ فى مقام التوفيق ﴿ أن الفضل ﴾ فى قلة الادخار ﴿ لقصر الامل ﴾ فى التعلق بهذه الدار ، وتوضيحه أن كل ثواب موعود على مقام محمود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه مما يوافقه وينافيه ، ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين اللاحقين . ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعالى درجات أصحاب اليمين اللاحقين تلاصق اسافل درجات السابقين ، كما قيل : نهاية الاولياء بداية الانبياء ، فلا معنى للتقدير فى مثل هذا التقرير ، بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لايتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل . وأما عدم أمل البقاء فيبعد

وَمِيقَاتُ الْكَلِيمِ لَيْسَ لِلْأَمَلِ بَلْ لِاسْتِحْقَاقِ نَيْلِ الْمَرَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا هُوَ السُّنَّةُ الْإِلٰهِيَّةُ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ كَمَا فِي صَيْرُورَةِ الْجَنِينِ نُطْفَةً وَعَلَقَةً وَمُضْغَةً، وَوَرَدَ «خَمَّرْتُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا» وَمِنْهُ يُؤْخَذُ فِي الرِّيَاضَةِ وَلِلسُّنَّةِ مِنَ الْمُعِيلِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الضُّعَفَاءِ كَمَا هُوَ الْمَرْوِيُّ

اشتراطه ولو فى نفس ، فان ذلك كالممتنع وجوده ، ثم الناس متفاوتون فى طول الامل وقصره ، وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات ، وأقصاه مايكون عمر الانسان بحسب غالب العادات ، وبينهما درجات لاحصر لها فى الاوقات فمن لم يامل أكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يأمل سنة فى الوجود ﴿ وميقات الكليم ﴾ اى ميعاد موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى (وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة) ﴿ ليس للامل ﴾ اى لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل ؛ فان تلك الواقعة ماقصد بها بيان مايرخص فيه الامل ﴿ بل لاستحقاق نيل المرام ﴾ اى وصول موعود موسى ﴿ عليه السلام ﴾ بعد اربعين يوما الى مقام الكلام ﴿ على ماهو السنة الالهية ﴾ السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية ﴿ فى تدبير الامور ﴾ الانسانية ﴿ كما فى صيرورة الجنين ﴾ اى تطوير الطفل فى بطن امه من الاطوار الانسانية الايجادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية ﴿ نطفة ﴾ اربعين يوما ﴿ وعلقة ﴾ كذلك ﴿ ومضغة ﴾ كذلك ﴿ وورد : خمرت طينة آدم بيدى ﴾ اى بصفتى من نعوت الجمال والجلال او بقدرتى وارادتى على وجه الكمال ﴿ اربعين صباحا ﴾ رواه الديلمى من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى باسناد ضعيف ، وذلك لان استحقاق تلك الطينة لتتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ماذكر ﴿ ومنه ﴾ اى مما ذكر من الكتاب والسنة ﴿ يؤخذ فى الرياضة ﴾ على اختيار المشايخ للاربعين ويؤيده حديث « من اخلص لله اربعين يوما ظهرت له ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد تقدم «ومن حفظ على أمتى اربعين حديثا حشر مع العلماء » وله طرق يقوى بعضها ببعض فيصير حسنا ﴿ وللسنة ﴾ اى ولا ينافى التوكل الادخار للسنة الكاملة ﴿ من المعيل ﴾ أى صاحب العيال من الاطفال والنساء ﴿ تطييبا لقلوب الضعفاء كما هو المروى ﴾ فى سنة سيد الانبياء ، ففي الصحيحين انه عليه السلام ادخر لعياله قوت

بِخِلَافِ مَافَوْقَهَا وَيَتْرُكُ الْمُضْطَرِبُ طَرِيقَ الْمُتَوَكِّلِ بِالْإِدِّخَارِ لِأَنَّ الْغَرَضَ صَلَاحُ الْقَلْبِ

سنة ﴿ بخلاف مافوقها ﴾ فان ماوراء السنة لايدخر له الا بحكم ضعف القلوب والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والكسب ﴿ و يترك المضطرب ﴾ أى المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر ﴿ طريق المتوكل ﴾ غير المضطرب ﴿ بالادخار ﴾ فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو أولى فى الاختيار ، بل لو أمسك صنعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لايفرغ الا برعايته فذلك أولى فى مقام عنايته ﴿ لأن الغرض ﴾ وهو مدار المقصود ﴿ صلاح القلب ﴾ فى عبادة الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله عدمه لحصول شتات البال، والمحذور مايشغل العبد عن الحضور والا لجميع ما فى الدنيا ليس فى عينه محذور ، ولا فى وجودها وعدمها محظور ، ولذا بعث الله رسوله الى أصناف الخلق ومنهم أهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات ، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ، ولا المزارع بترك زراعته ، ولا المحترف بترك حرفته ، ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته وارشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال فى عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته . كما ان صواب القوى ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت سنة . ونهى أم ايمن وغيرها أن تدخر شيئا لغد كما تقدم ، ونهى بلالا عن الادخار وقال « انفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا » رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبى هريرة ، وذلك حين دخل عليه النبى عليه السلام وعنده صبر من تمر والطبرانى والحاكم من حديث ابى سعيد أنه عليه السلام قال لبلال « الق الله فقيرا واذا سئلت فلا تمنع ، واذا أعطيت فلا تخبأ » وقد أخبر عليه السلام « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما رواه أحمد وغيره من حديث عمر تطيبا لقلوب الضعفاء حتى لا يأتى بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور عليهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء . فما ارسل سيد الانبياء الا رحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم، واذا فهمت هذا علمت أن الادخار

وَلَا مُبَاشَرَةَ أَسْبَابٍ تَدْفَعُ الضَّرَرَ إِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِهِ أَوْ مَظْنُونًا كَالتَّحَرُّزِ عَنِ النَّوْمِ فِي مَكْمَنِ السِّبَاعِ وَمَمَرِّ السَّيْلِ وَتَحْتَ الْحَائِطِ الْمَائِلِ

قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ،ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلى «أن بعض اصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين فى داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان » رواه أحمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا فلا يقول ذلك فى حقه ، فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضى امرين أحدهما أنه اراد كيتان من النار، كما قال تعالى (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس منه فهو نوع تلبيس، وثانيهما أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه أثر كيتين فى الوجه . فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته فى العقبى ، اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره فى الاخرى . واما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ماروى عن بشر ، قال الحسين المغازى من أصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال مارأيته قام الى أحد غيره ، قال ودفع الى كفا من دراهم وقال : اشتر لنا بها من اطيب ماتقدر عليه من الطعام والطيب ، وما قال لى قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه فى ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له ، فقال لى بشر لعلك أنكرت فعله ؟ قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن ، فقال ذلك أخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل ، وانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار . والله سبحانه أعلم بحقائق الاسرار ﴿ولا مباشرة أسباب﴾ أى ولا ينفى التوكل مباشرة أسباب هى (تدفع الضرر) المتعرض للخوف فى نفس أو مال (ان كان) الضرر ﴿مقطوعا به أو مظنونا كالتحرز عن النوم فى مكمن السباع﴾ أى فى الارض المسبعة (وممر السيل) أى وفى مجرى السيل من الوادى لا سيما فى الليل فانه أدعى للويل ﴿وتحت الحائط﴾ أى الجدار ﴿المائل﴾ الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذى يخاف منه الهبوط

لِأَنَّ التَّعَرُّضَ لِلْهَلَاكِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ فَوَرَدَ فِي وَصْفِ الْمُتَوَكِّلِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ إِلَّا فِي أَذَى النَّاسِ فَالْأَوْلَى فِيهِ الصَّبْرُ فَوَرَدَ (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا. وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) بِخِلَافِ أَذَى السِّبَاعِ فَيَأْخُذُ السِّلَاحَ فَوَرَدَ. وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

﴿ لان التعرض للهلاك منهى عنه ﴾ فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة منه ﴿ بخلاف الموهوم ﴾ أى بخلاف ماإذا كان الضرر موهوما فان مباشرته تنفى التوكل ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهى التى نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكى والرقية ، فان الكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ماوقع ﴿ فورد فى وصف المتوكلين ﴾ انهم ﴿ لايكتوون ولايسترقون ﴾ على ماتقدم فما وصفهم عليه السلام الا بترك الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع ﴿ الا فى اذى الناس ﴾ استثناء من قوله : ولامباشرة اسباب تدفع الضرر ، أى الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ، ويكون مما لااثر له فى الخارج كالشتم والملامة والتعيير والتوبيخ والمذمة فانه اذا أمكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفى ﴿ فالاولى فيه الصبر ﴾ وترك الاسباب تدفع الضرر ، وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب الاحياء : فشرط التوكل الاحتمال والصبر ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ فاتخذه وكيلا واصبر على مايقولون ﴾ تمامه (واهجرهم هجرا جميلا) ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا ﴾ آخره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) ﴿ ودع أذاهم ﴾ أى اترك مدافعته ومعاقبته فى الحال ، او مكافأته ومجازاته فى الاستقبال ﴿ وتوكل على الله ﴾ فان من توكل عليه كفاه ﴿ بخلاف اذى السباع ﴾ فانهم مجبولون على الاضرار ، وفى معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل فى الدرجات ، اذ لافائدة فيه فى حال من الحالات ﴿ فيأخذ ﴾ المتوكل ﴿ السلاح فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وليأخذوا اسلحتهم ﴾ فى صلاة الخوف وهو أمر ايجاب اواستحباب ، وقد اختفى عليه السلام عن اعين الاعداء فى الغار خوفا من ضرر الكفار ، وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : (فاسر

وَيعقِلُ البَعِيرَ فورد أعقلها وتوكل ويسد البابَ غير مستقص في الحفظ ولا يحفظ متاعا يحرص فيه السارق بل يقتصر على ما لا بد منه ككوز وركوة وجراب وسلاح ويغتم إن سرق لمعصية السارق وتعرضه للعقاب لا لنقص المال بل يفرح به لما فيه من صلاحه تحسينا للظن به ويشكره تعالى على جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه لا دينه

بعبادى ليلا) فهذا وماقبله له فى حق النفس ، وأما فى حق المال فأشار بقوله ﴿ ويعقل البعير ﴾ أى يربط رجله لئلا يفارق رحله ﴿ فورد ﴾ أنه قال عليه السلام للاعرابى لما اهمل البعير وقال توكلت على الله ﴿ اعقلها وتوكل ﴾ أى على الله ، رواه الترمذى من حديث أنس وضعفه يحي القطان ورواه الطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى باسناد جيد بلفظ قيدها ﴿ ويسد البـاب ﴾ أى يغلقه ﴿ غير مستقص ﴾ أى مبالغ ﴿ فى الحفظ ﴾ كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه ، وكجمعه اغلاقا كثيرة فى محله، فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلا بشريط ويقول : لولا الكلاب ماشددته ، وفيه لطافة اذ الدنيا جيفة وطالبها كلابها كما ورد وقد تقدم ﴿ ولا يحفظ متاعا يحرص فيه ﴾ أى فى اخذه ﴿ السارق ﴾ ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث مصيته ، اويكون امساكه موجب هيجان رغبته ﴿ بل يقتصر على مالا بد منه ككوز ﴾ يشرب منه ﴿ وركوة ﴾ يتطهر بها ﴿ وجراب ﴾ يضع زاده فيه ﴿ وسلاح ﴾ إذا كان من أهل الجهاد ، أو سلاح كل احد بحسب مقامه ووفق مرامه ، كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء ، والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء . وكان بعض المتجردين لم يكن فى خلوته شىء فاذا دخلها أغلقها واذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لى اليها ، قال لم؟ قال يوسوس الى العدو أن اللص قد اخذها ، فكأنه احترز من أن يعصى السارق ، ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها فى اللاحق ، ولذا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها ﴿ ويغتم ﴾ المتوكل ﴿ إن سرق ﴾ أى جعل مسروقا ﴿ لمعصية السارق وتعرضه للعقاب ﴾ اللاحق ﴿ لا ﴾ يغتم ﴿ لنقص المال بل يفرح به ﴾ أى بنقص المال ﴿ لما فيه من صلاحه ﴾ أى لما فى نقص المال من كمال صلاح الحال ﴿ تحسينا للظن به ﴾ فيما قدره وقضاه من أزل الآزال ﴿ ويشكره تعالى على جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه ﴾ من ماله ﴿ لا دينه ﴾ الذى من ماله ، فقد

وَلَا يُبَالِغُ فِى الطَّلَبِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ وَالْأَوْلَى أَنْ يَعْفُو وَيُحِلَّ فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنْ كَانَ فَقِيرًا وَإِلَّا فَاغْنَاءٌ لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَمَلٌ بِمَا وَرَدَ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

شكى بعض الناس الى عالم أنه قطع الطريق عليه وأخذ ماله ، فقال: إن لم يكن غمك أنه صار فى المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فاتصحب المسلمين. وسرق من على بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن، فقال له أعلى الدنيا تبكى ؟ فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولم تكن له حجة . وقيل لبعضهم : أدع على من ظلمك، فقال إنى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه ﴿ ولا يبالغ فى الطلب ﴾ أى طلب المسروق او السارق ﴿ وسوء الظن بالمسلم ﴾ أى وفى التهمة للجيران اوغيرهم من اقاربه وأصحابه ﴿ والاولى أن يعفو ﴾ اولا ﴿ ويحل ﴾ ثانيا ﴿ فهو ﴾ أى ماذكر من العفو والاحلال ﴿ صدقة إن كان ﴾ السارق ﴿ فقيرا والا ﴾ أى وان لم يكن السارق فقيرا ﴿ فاغناء له عن المعصية ﴾ التى هي السرقة ﴿ وعمل بما ورد انصر اخاك ظالما او مظلوما ﴾ وتوضيحه مافى الاحياء فان قلت: كيف يتصور أن لا يحزن إذا اخذ متاعه الذى هو محتاج اليه ولا يأسف عليه، وذلك لانه إن كان لا يشتهيه ولا يريده لم امسكه لديه واغلق الباب عليه ، وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقده وقد حيل بينه وبين مايشتهيه ؟ فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن أن الخيرة له فى أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه مارزقه الله ولما أعطاه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على أسباب دينه ، ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن يكون خيرته فى أن يبتلى افقد ذلك حتى ينصب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب أكثر ، فلما أخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه فى جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به . فيقول لولا أن الله علم لى الخيرة الآن فى عدمها لما أخذها منى ، فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له . وهو كالمريض بين يدى الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله ، فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قربه الى ، وإن أخذ عنه الغذاء فرح أيضا وقال : لولا أنه عرف أن الغذاء يضرنى لما حال بيني وبينه ، فكل من لا يعتقد في لطف الله مايعتقده المريض فى الوالد المشفق

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لايدرى أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لاأبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فانى لاأدرى أيهما خير لى ، فلذلك ينبغى أن لايبالى المتوكل بسرقة متاعه أو بقائه فانه لايدرى أيهما خير له فى الدنيا ولافى الاخرى . فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتنى كنت فقيرا ويتمناه أن مايضطر المتوكل الى تركه فى البيت ، فينبغى أن ينوى عند خروجه منه الرضا بما يقضى الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ، ويقول ماياخذه السارق هو منه فى حل أو هو فى سبيل الله أوان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو أولى ، ويكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير ، إحداهما أن يكون ماله مانعاله من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده ، وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله فى حل ، والثانية أن لايظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر . ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام «انصر اخاك ظالما او مظلوما» على مافى الصحيحين وتمامه : قيل كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصرة » فنصرة الظالم منعه عن الظلم ، وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له . والتحقيق أن هذه النية لاتضره بوجه من الوجوه اذليس فيها مايسلط السارق ويغير القضاء الازلى السابق ، ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامران يكون فى هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال : اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته فى اغلاق الباب بل بدفع الله سبحانه اياه لما سبق فى الكتاب . فكم من بيت يغلق ولاينفع ، وكم من بعير يعقل ويموت اويفلت . وكم من أخذ سلاحه يقتل اويغلب فلايتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب . واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به فى نفسه وبيته ، ويقول : اللهم ان سلطت على مافى البيت من يأخذه فهو فى سبيلك وانا راض بحكمك فانى لاادرى انما اعطيتنى هبة فلا تسترجعها اوعارية او وديعة فتستردها ، ولاادرى انها رزقى قبل خلقى اوسبقت مشيئتك فى الازل انها رزق غيرى ، وكيف ماقضيت فانا راض به ، وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا به على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يامسبب الاسباب . ثم اذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى ان يكون

وَ يَنْوِيهِ لِيُثَابَ وَإِنْ لَمْ يُسْرَقْ كَمَا فِى تَرْكِ الْعَزْلِ فَوَرَدَ فِيهِ ثَوَابُ وَلَدٍ كَبِرَ وَقُتِلَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ تَعَالَى فَلَا يَأْخُذُ لَوْ أُتِيَ بِهِ وَإِنْ جَازَ الْأَخْذُ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا تُخْرِجُ الْمِلْكَ

ذلك عنده نعمة جديدة من الله ، وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا اوفرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه فى الدنيا الا ليزيد رزقه فى العقبى فقد صح مقامه فى التوكل وظهر به صدقه ، وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه ، بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه وأكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة معيبة له فى دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبته فى جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغى ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعواها ولا يتدلى بجهل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير فى اورها ﴿ وينويه ﴾ اى العفو ابتداء ﴿ ليثاب وان لم يسرق ﴾ انتهاء ﴿ كما فى ترك العزل ﴾ فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد فى سبيل الله يثاب به ولو لم يولد ﴿ فورد فيه ﴾ اى فى ترك العزل ﴿ ثواب ولد كبر وقتل فى سبيل الله تعالى ﴾ وفى الاحياء كما روى عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها : ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل فى سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الوقاع ، واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم ، فكذلك أمر السرقة ، لكن مخرجه قال لم اجد له اصلا . هذا واذا جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه ﴿ فلا يأخذ ﴾ أى فالاولى أن لا يقبله ﴿ لو أتى به ﴾ أى بالمال المسروق ﴿ وان جاز الاخذ ﴾ والقبول فانه ملكه فى ظاهر العلم ﴿ لان النية ﴾ بمجردها ﴿ لا تخرج الملك ﴾ عن يد المالك لكن أخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى أن ابن عمر رضى الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيي ثم قال فى سبيل الله ، فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن إن ناقتك فى مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ، ثم قال استغفر الله وجلس ، فقيل له الا تذهب فتأخذها؟ فقال إني كنت قلت في سبيل الله ، وكذا من

وَلَا إِزَالَةَ الضَّرَرِ الْمَقْطُوعِ بِهِ كَالشُّرْبِ لِدَفْعِ الْعَطَشِ وَالْمَظْنُونِ كَالْحِجَامَةِ وَالْاسْهَالِ بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ كَالرُّقْيَةِ وَالطِّيَرَةِ

أخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له أن يرده الى البيت بعد إخراجه منه فيعطيه فقيرا آخر، وحكى عن رجل من العباد بمكة أنه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه فيه فقال له كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلمه أصحابه بانهم كانوا اخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو وأصحابه اليه فردوا الذهب اليه فابى عليهم وقال خذوه حلالا فما كنت لأعود فى مال اخرجته فى سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابناله وجعل يصره صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم أقل درجات المتوكل أن لا يدعو على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل ابطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على مافات وبطل زهده، وفى الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفى رواية أن العبد ليظلم المظلم فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ماظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم، وحكى أن الربيع بن خيثم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا ورقا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما انى كنت قد رأيته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره؟ قال كنت فيما هو احب الى من ذلك يعنى الصلاة فى مقام الاحسان وكمال التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لاتفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه، وقيل لبعضهم فى شيء كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما احب أن اكون عونا للشيطان عليه قيل افرأيت لوردت عليك السرقة؟ قال لا آخذها ولا انظر اليها لانى كنت قد احللتها له .وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ماظلمنى احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا ﴿ ولا ازالة الضرر ﴾ اى ولا ينافى التوكل دفع الضرر ﴿ المقطوع به ﴾ اى بالسبب المقطوع به ﴿ كالشراب لدفع العطش ﴾ وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد ﴿ والمظنون ﴾ اى والضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك ﴿ كالحجامة والفصد والاسهال ﴾ اى شرب الدواء المسهل وسائر أسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة ﴿ بخلاف الموهوم ﴾ وهو الطرف المرجوح من المشكوك ﴿ كالرقية والطيرة ﴾ والكي فروي أن عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم

وَالتَّرْكُ حَرَامٌ فِى الْمَقْطُوعِ بِهِ دُونَ الْمَظْنُونِ

يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوي فكان يقول كنت أرى نورا واسمع صوتا وتسلم على الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك واناب الى الله فرد عليه ما كان يجده من امر الملائكة، وقال لمطرف بن عبد الله الم ترالى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد ردها الله على بعد أن كان قد اخبره بفقدها ﴿ والترك ﴾ لمباشرة السبب ﴿ حرام فى المقطوع به ﴾ عند خوف الموت ﴿ دون المظنون ﴾ فان تركه ليس بحرام، واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذا وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الكى وتليه الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية ففى البخارى « وانهى امتى عن الكى » وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة ثم الطيرة آخر درجاتها «الاعتماد عليها والاتكال اليها فى هذا الباب غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويدل على أن التداوى غير مناقض للتوكل من فعله عليه السلام وقوله وامره أما قوله فحديث « ما من داء الا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام - يعنى الموت » رواه الطبرانى وغيره وحديث « تداووا اعباد الله » رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن شريك وسئل عليه السلام « عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله » رواه الترمذى وصححه وابن ماجه ، والحديث المشهور « ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة » رواه الترمذى من حديث ابن مسعود ، وحديث « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لايتبيغ بكم الدم فيقتلكم » رواه الترمذى من حديث ابن عباس ، فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل باذن الله تعالى ، وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب . وأما امره عليه السلام فقد أمر غير واحد من أصحابه الكرام بالتداوى والحمية ، وقطع لسعد بن معاذ عرقا أى فصده كذا فى الاحياء ، ورواه مسلم من حديث جابر قال « رمى سعد فى اكحله فحسمه النبى عليه السلام بيده بمشقص » الحديث ، وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبرانى . ويؤخذ منه أن سبب الكى

فَتَرْكُ الدَّوَاءِ أَيْضًا مَأْثُورٌ

إذا كان موهوما فالاولى تركه ، فينافى التوكل فعله . وقد قال لعلى كرم الله وجهه وكان وجع العين « لاتأكل من هذا » يعنى الرطب « وكل من هذا فانه اوفق لك » يعنى السلق الذى طبخ بشعير . وقال لصهيب وقد رآه آخرا يأكل التمر وهو وجع العين « اتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال انما آكل بالجانب الآخر ، فتبسم عليه السلام » وأما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق أهل البيت « أنه كان يكتحل كل ليلة ، ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة » رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال أنه منكر انتهى . وحديث الاكتحال ثابت فى الترمذى كما لايخفى وللطبرانى باسناد حسن « أنه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس » الحديث وله فى الاوسط « عن انس أنه عليه السلام كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا » ولابى يعلى وللطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر « أن النبى عليه السلام احتجم بعد ماسم » وللبزار وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « انه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحى صدعه رأسه فيغلفه بالحناء » وللترمذى وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء » فكما أن التداوى مروى ومشهور ﴿ فترك الدواء أيضا مأثور ﴾ عن السلف مسطور . فروى عن الصديق أنه قيل له : لودعونا لك طبيبا فقال قد رآنى الطبيب ، وقال إنى افعل ماأريد . وقيل لابى الدرداء فى مرضه : ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قيل فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى . قالوا : ألا ندعوا لك الطبيب قال الطبيب أمرضنى . وقيل لابى ذر ـ وقد رمدت عيناه ـ لو داويتهما ؟ فقال : انى مشغول عنهما ، قيل لو سألت الله ان يعافيك ؟ فقال اسأله فيما هو أهم على منهما ، وكان قد اصاب الربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قدهممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا من الداء . وكان أحمد بن حنبل يقول : احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق أن يترك التداوى من شرب الدواء وغيره ، وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله ، وينظر الى قيام الله تعالى . فوجه الجمع انه عليه السلام و بعض اصحابه الكرام تداووا توسعة للانام ورخصة فى الاحكام ، وتركه بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة لما لهم من المقام ، والا فالتداوى لايضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق

لَمعرفَة عَدَم النَّفعِ بِالْمُكاشَفَةِ أَولِكَوْن الْمَرَض مزمنًا وَالعلاَج مَوْهُومًا كَالكَيِّ أَو لِلشَّغل عَنْهُ بخَوْف العَاقِبَة وَعلْمه تَعَالَى أَوْ لِقَصْدِ تَطْويله لِنَيْل الأَجْر بِالصَّبْر

الدواء ، فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث أنه جعله الله سببا لنفعه ، كما لا يرى الماء مرويا ، ولا الخبز مشبعا، وفى الاحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وأفعال التاركين من الاعلام الا بحصر الصوارف عن التداوى فى ذلك المقام فترك الدواء المذكور والمأثور انما هو لاحد اسباب سبعة ﴿لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة﴾ وهو أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى اجله وأن التداوى لا ينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة، وتارة بحدس وظن، وتارة بكشف محقق، ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال لعائشة فى أمر الميراث انهما أختاك، ولم يكن لها الا أخت واحدة ، ولكن كانت امرأته حاملا فوضعت انثى فعلم أنه قد كوشف بانها حامل بانثى. ولا يبعد أيضا أن يكون قد كوشف بانتهاء أجله والا فلا يظن به إنكار التداوى ، وقد شاهده عليه السلام تداوى وامره كذا فى الاحياء . وفرق بين انكار التداوى وعدم مباشرته كما لا يخفى ﴿أو لكون المرض مزمنا والعلاج موهوما﴾ فى النفع ﴿كالكى﴾ والرقية ونحوهما وعليه حمل كلام الربيع ﴿أو للشغل عنه﴾ أى لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه ﴿بخوف العاقبة وعلمه تعالى﴾ بما وقع له فى السابقة فينسيه ذلك ألم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله وتأملا فى مآله وعليه يدل كلام أبى الدرداء وأبى ذر فى ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفا من ذنبه اكثر من تألم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، اوكالخائف الذى يحمل إلى ملك من أجل سياسته اذا قيل له ألا تأكل وانت جائع فيقول إنى مشغول عن الاكل وعن ألم الجوع بما هو أهم منه . ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ماالقوت ؟ فقال هو الحى القيوم فقيل له إنما سألناك عن القوام ؟ قال القوام هو العلم ، قيل سألناك عن الغذاء ؟ قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد؟ قال : مالك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا، اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها ﴿أو لقصد تطويله﴾ أى لارادة استبقاء المرض ﴿لنيل الاجر بالصبر﴾ على بلائه تعالى فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر

أَوْ تَكْفِيرِ الذَّنْبِ

ذكره ومن ذلك « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ، فنهم من يخرج كالابريز ، ومنهم من يخرج دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة . وقال ابن مسعود . تجد المؤمن من أصح شىء قلبا وأمرضه جسما ، وتجد المنافق من أصح شىء جسما وأمرضه قلبا ويشير اليه قوله تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه وتركوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ، ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى وما فيه من الحكمة . ويعلم أن ذكر الحق اغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع المرض جوارحه ، وعلموا أن صلاتهم من قعود مثلا مع الصبر على قضائه سبحانه من العلة أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة . وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات أفضل من التداوى لاجل القوة على العبادات . وكانت به علة عظيمة ولم يتداولها وكان يداوى الناس منها ، وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شىء من الدواء فانما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف ، ومن لم يدخل فى شىء منه فهو أفضل لانه إن اخذ شيئا من الدواء وإن كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ذلك؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم أن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان الم غالبا مدهشا . وقال سهل : علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ﴿أو تكفير الذنب﴾ بان يرى طول المرض تكفيرا لخطاياه فلأبى يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة « لا يزال الحمى والصداع بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه خطيئة » وللطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه . وله فى الاوسط من حديث أنس « مثل المريض اذا صح وبرىء من مرضه كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها » وللقضاعى من حديث ابن مسعود « حمى يوم كفارة سنة » وفى رواية « حمى ليلة » ولاحمد وأبى يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد « أن رجلا من المسلمين قال : يارسول الله أرأيت هذه الامراض التى تصيبنا ما لنا فيها؟ قال كفارات ، قال أبى وإن قلت قال وإن شوكة فما فوقها ، قال فدعا أن لا يفارقه الوعك حتى يموت » الحديث . والوعك الحمى او شدة ألمها . وللطبرانى فى الاوسط من حديث

أَوِ امْتِحَانِ النَّفْسِ أَوْ طُغْيَانِهَا فِى الصِّحَّةِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِالتَّنَعُّمِ وَتَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ لِتَطْوِيلِ الْأَمَلِ

أبي بن كعب أنه قال : يارسول الله ماجزاء الحمى؟ قال تجرى الحسنات على صاحبها ماالختلج عليه قدم اوضرب عليه عرق ، فقال « اللهم إنى اسألك حمى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك » الحديث . وقال عيسى عليه السلام: لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه؛ وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه ، فقال كيف أرحمه مما به ارحمه ؟ أى به ا كفر ذنوبه وازيد فى درجته ﴿أو امتحان النفس﴾ أى لتجربتها فى القدرة على الصبر فى المحنة بعدم الجزع والفزع والشكاية فقد ورد « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى إيمانه ضعف خفف عليه البلاء » رواه أحمد وابو يعلى والحاكم وصححه ﴿أو طغيانها﴾ أى تجاوز النفس عن حدها ﴿فى الصحة﴾ أى فى أيام الصحة والعافية ﴿بتضييع الوقت بالتنعم﴾ فى الشهوات واللهوات ﴿وتاخير الخيرات﴾ أى وبتأخير الطاعات والعبادات والمبرات ﴿لتطويل الامل﴾ وتبعيد الاجل وتوضيحه أن يستشعر العبد فى نفسه مبادىء البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أوطول الامل وتسويف العمل بتاخير الخيرات والمبرات ، فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى والسيئات ، واقلها أن تدعو الى التنعم فى المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة أوذلة وروى أن الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى احبس به من أشاء من خلقى . وقال بعض العارفين لانسان : كيف كنت بعدى ؟ قال فى عافية ، قال ان كنت لم تعص الله فانت فى عافية ، فان كنت عصيته فاى داء ادوى من المعصية ؟ ماعوفى من عصى. وعن على كرم الله وجهه أنه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيدهم قال ماهذا الذى اظهروه؟ قالوا ياأمير المؤمنين هذا يوم عيدلهم فقال كل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد وما أحسن من قال من ارباب الحال وليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن أمن من الوعيد ، وقال تعالى:(كلا

وَالأَوْلَى الإِخْفَاءُ صَبْرًا وَرِضَاءً وَتَحَامِيًا عَنِ الشَّكَايَةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الحِكَايَةِ لِقَصْدِ العِلَاجِ لِلطَّبِيبِ أَوْ تَعْلِيمِ حُسْنِ الصَّبْرِ بِالشِّكَايَةِ وَهُوَ مِنَ المُقْتَدَى بِهِ أَوْ إِظْهَارِ العَجْزِ عَنِ الصَّبْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ القَوِيِّ

أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى) قيل أى بالعافية ، وقال بعضهم انما قال فرعون (أنا ربكم الاعلى) لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول الدنيوية فضلا عن دعوى الالوهية، وروى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها ، وفي الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها و نعتها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل له انها ما مرضت قط فقال «لا حاجة لى فيها» ه

رواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد ، وذكر عليه السلام الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل ما الصداع ما اعرفه ؟ فقال عليه السلام «عنى اليك من اراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا» رواه أبو داود وذلك الورد «أن الحمى حظ كل مؤمن من النار» رواه أحمد من حديث أبى امامة . ولابن ماجه من حديث أبى هريرة أنه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال «ابشر ان الله عز وجل يقول هى نارى اسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى العقبى» ﴿ والاولى الاخفاء ﴾ أى اخفاء مرضه وسوء حاله ﴿ صبرا ﴾ على بلائه تعالى ﴿ ورضاء ﴾ بقضائه سبحانه ﴿ وتحاميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية ﴾ وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض ﴿ لقصد العلاج للطبيب ﴾ اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به علل لا يخبر بها الطبيب اذا سأله عنها وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول : انما اصف قدرة الله فى ﴿ أو تعليم حسن الصبر ﴾ أى او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره ﴿ بالشكاية ﴾ على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بأن يظهر أن المرض بلية يصبر عليها أو نعمة يشكر لديها فيتحدث به كما يتحدث بالنعمة ، وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى ﴿ وهو ﴾ أى صاحب هذا المقام يكون ﴿ من المقتدى به ﴾ فى أمر الرعاية ﴿ أو اظهار العجز ﴾ والافتقار ﴿ عن الصبر اليه تعالى وهو ﴾ انما يستحسن ﴿ من القوى ﴾ فى مقام الصبر كما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى مرضه كيف أنت؟ فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أتجلد على الله فاحب أن يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة

فَالنِّيَّةُ مُرَخِّصَةٌ

والاقتدار ﴿فالنية﴾ أى تحسينها واصلاحها ﴿مرخصة﴾ لاظهار علله واسبابها أو المعنى أن النية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الأعمال بالنيات وأما من ترك التداوى توكلا فلا وجه له للاظهار أصلا فان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الانشاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام (انما أشكوا بثى وحزنى الى الله) وقيل فى معنى قوله (فصبر جميل) لاشكوى فيه ، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك؟ قال مر الازمان وطول الأحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت بشكواى الى عبيدى فقال يارب أتوب اليك ، وروى عن طاووس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض أنينه فى مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب ابليس من أيوب عليه السلام الا أنينه فى مرضه فجعل الانين حظه منه ولعله محمول على انين كان يمكنه أن لا يظهر عند عواده والا فقد سبق أنه تسبيح ويثاب عليه مع أنه أمر طبيعى لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وإن كان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وإنما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية فى المقام وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم ، منهم الفضيل بن عياض . ووهيب بن الورد . وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول : اشتهى المرض بلا عواد ، وقال لا أكره العلة الا لاجل العواد .

هذا ومما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجىء الرزق وفق الرفق ان يسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق إلى صاحب التوكل فى سائر الاوقات ، كما روى عن حذيفة المرعشى وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له : ما اعجب ما رأيت منه ؟ فقال : بقينا فى طريق مكة اياما لم نجد طعاما ، ثم دخلنا الكوفة فآوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن أدهم وقال : ياحذيفة أرى بك الجوع ، فقلت هو ما رأى الشيخ ، فقال على بدواة وقرطاس ، فجئت بها فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى . وقال :

انا حامد انا شاكر انا ذاكر   انا جائع انا نائع انا عارى

هى ستة فأنا الضمين لنصفها   فكن الضمين لنصفها يا بارى

مدحي لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من لهيب النار

ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك ، فخرجت فاول من لقيني كان على بغلة ، فناولته الرقعة فاخذها ، فلما وقف عليها بكى ، وقال : مافعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو فى المسجد الفلانى، فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصرانى ، فجئت إلى ابراهيم فاخبرته بالقصة ، فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة ، فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم. وقال أبو يعقوب الاقطع البصرى: جعت بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج ، فخرجت إلى الوادى لعلى اجد شيئا يسكن ضعفى، فرأيت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى نفسى منها وحشة ، وكأن قائلا يقول لى : جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرجعت ودخلت المسجد وقعدت، فاذا انا برجل أعجمى قد اقبل حتى جلس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك ، فقلت كيف خصصتنى بها ؟ فقال أعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق ، فنذرت إن خلصنى الله أن اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت اول من لقيته ، فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميد مصرى ، ولوز مقشر ، وسكر كعاب، فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا ، وقلت رد الباقى الى صبيانك هدية منى لهم وقد قبلتها ، ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه فى الوادى وقال ممشاد الدينورى : كان على دين فاشتغل قلبي بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يابخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء ، فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم ، وحكى عن بنان الحمال قال: كنت فى طريق مكة اجيء من مصر ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة وقالت : يابنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل ، فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتي يجيء صاحبه فربما يعطينى شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت : أنت تاجر تقول عسى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت: انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر، وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا إذا جاء النفير فنشترى مايوافقك ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له ، وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية ؟ فقال انها ليست للبيع ، فألحوا عليه ، فقال

انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند ، فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان فى الزمن الاول رجل فى سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت. فوكل الله به ملكا فقال ان أكله فارزقه ، وان لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه الى أن مات ولم يأكله وبقى القرص بعده . ويقرب منه مافى حياة الحيوان أن دودة أكلها التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه ، وكذا طير على ساحل البحر يموت عطشا خوفا من نفاد مافيه من الماء ، وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحلة فسررت بأن وصلت ، ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره سبحانه ، فآليت أن لا أدخل المرحلة الا أن أحمل اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها ، فسمعوا صوتا عاليا فى نصف الليل: يا أهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه فى الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى الى القرية. وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر انى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا؟ فقال إنى قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وآل عمر، فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه؟ قال وجدت فيه (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض، فبكى عمر وقال صدقت ، وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه ، وقال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث، ثم قلت لا والله لا أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد، فأتوا بقصب وبارية وطموا البئر على رأسه فهممت ان اصيح ثم قلت فى نفسى الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذ انا بشىء كشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة له كنت اعرف له ذلك، فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع فمر وتركنى فهتف بى هاتف فقال : يا ابا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول :

اهابك ان ابدى اليك الذى اخفى ... وانت عليم ما يلاحظه طرفى
نهانى هواى منك أن اكتم الحيا ... واغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فابديت شاهدى ... الى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراأيت لى بالغيب حتى كأنما ... تبشرنى بالغيب انك فى الكهف
اراك وبى من هيبتى لك وحشة ... فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْيَقِينُ. وَوَرَدَ مَنْ كَانَ غَرِيزَتُهُ الْعَقْلَ وَسَجِيَّتُهُ الْيَقِينَ لَمْ تَضُرَّهُ الذُّنُوبُ. مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيتُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ

وتحيى محيا كان فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من الفوت. وفى هذا المقام قال من قال : دع نفسك وتعال . وبيان ذلك الحال ان تطييب نفس السالك لهـــذه المسالك بالموت ان لم يأته رزقه علمـا بان رزقه هو الموت . والجـوع وان كان نقصانا فى الدنيا فهو زيادة كمال فى العقبى، فيرى انه سيق اليه من خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين ﴿والاصل﴾ الذى عليه مدار امر الدين خصوصا ﴿فيه﴾ اى فى التوكل هو ﴿اليقين﴾ وقد قال تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى عين اليقين فانه كان عليه السلام واتباعه الكرام فى مقام علم اليقين، ولذا تفسيره بالموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين . وقال عز وعلا (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب)إلى ان قال (وهم بالآخرة هم يوقنون) وقول على كرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ماازددت يقينا ، لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا ، كما ان الذى يرى انسانا فى وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان فى صورته وهيأته ، بل يزداد وضوحا فى عرفان تفصيل خلقته .

والحاصل أنه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين، ونظيره ان خبر الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك، فله علم اليقين فى سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تأييد ثم اذا قبل الحجر الاسعد والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين فى الحرم المحرم، والله سبحانه أعلم ﴿وورد﴾ عنه صلى الله عليه وسلم ﴿من كان غريزته العقل﴾ أى طبيعته ﴿وسجيته اليقين﴾ أى خلقته وطويته ﴿لم تضره الذنوب﴾ أى ارتكابها لانهما يدعوان الى سرعة التوبة عن اكتسابها ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فى اجتنابها ﴿من أفضل ما أوتيتم اليقين﴾ فى أمر الدين ﴿وعزيمة الصبر﴾ فى مقام المجتهدين . قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال: (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ولابى نعيم فى الحلية والبيهقى عن أبى سعيد مرفوعا «ان من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ؛ وأن تحمدهم

وَهُوَ عَدَمُ الشَّكِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَالاسْتِيلَاءُ عَلَى الْقَلْبِ فِى عِلْمِ الآخِرَةِ قِيلَ ضَعُفَ يَقِينُ فُلَانٍ عِنْدَ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ الشَّكِّ فِيهِ وَقَوِىَ فِى الرِّزْقِ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ وَمَجَارِيهِ كُلُّ مَاجَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَالأُصُولُ . التَّوْحِيدُ وَبُلُوغُ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءُ وَاطِّلَاعُهُ تَعَالَى عَلَى الأَحْوَالِ وَالْجَدْوَى عَدَمُ الالْتِفَاتِ الَى الْمُسَخَّرَاتِ وَالاجْمَالُ فِى الطَّلَبِ مَعَ تَرْكِ التَّأَسُّفِ عَلَى الْفَوَاتِ وَالاقْدَامُ عَلَى الطَّاعَاتِ

على رزق الله وان تذمهم على مالم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ﴿وهو﴾ اى اليقين ﴿عدم الشك﴾ فى امر الدين ﴿عند المتكلم﴾ اى فى علم الكلام ﴿والاستيلاء﴾ للامر ﴿على القلب﴾ باستعلاء الرب ﴿فى علم الآخرة﴾ المنتج للعمل فى مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفه والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا ﴿قيل﴾ لمن جزع وقت الموت ﴿ضعف يقين فلان عند الموت﴾ كان الاظهر أن يقال فى الموت اى فى حال وقوعه ﴿مع عدم الشك﴾ لاخذ من المسلم والكافر ﴿فيه﴾ اى فى وجود الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك ﴿وقوى فى الرزق﴾ أى ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب قوى فلان فى امر الرزق ﴿مع الشك فيه﴾ أى فى وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا فى مقامه ﴿ومجاريه﴾ اى محال اليقين ومجاليه ﴿كل ماجاء به الشرع﴾ المبين ﴿والاصول﴾ لليقين اربعة ﴿التوحيد﴾ للحق ﴿وبلوغ الرزق﴾ للخلق ﴿والجزاء﴾ على الاعمال ﴿واطلاعه تعالى على الاحوال﴾ سرا وعلانية فانه يعلم السر واخفى ﴿والجدوى﴾ اى فائدة اليقين اربعة ايضا ﴿عدم الالتفات الى المسخرات﴾ من العلويات والسفليات ﴿والاجمال فى الطلب﴾ أى طلب الرزق ففى الحديث واجملوا فى طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها، رواه ابن ماجه وغيره من حديث أبى حميد الساعدى والمعنى اكسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعى وتصحيح النيات والمقامات ﴿مع ترك التأسف على الفوات﴾ قال تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم) اى من الدنيا وورد «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ، ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة» اخرجه البزار فى مشيخته عن أبى عمرو ﴿والاقدام على الطاعات﴾ أى واكتساب العبادات

مَعَ الامْتِنَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُبَالَغَةُ فى إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ ۞

﴿ الْخَاتِمَةُ فى الْمَحَبَّةِ وَالسُّلُوكِ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ وَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»

﴿ مع الامتناع عن المعصية ﴾ أى مع الاجتناب عن جميع السيئات ﴿ والمبالغة فى إصلاح الظاهر والباطن ﴾ بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل ۞

﴿ الخاتمة فى المحبة والسلوك ﴾

أى وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ، ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة . وقال لامعنى لها الا المواظبة على الطاعة ، ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق ، والمحو والصحو ، والفناء والبقاء ، والقبض والبسط ، وسائر لوازم المحبة وتوابع المودة ، وسائر مقامات أهل المعرفة . وسيجىء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة ۞

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ تنجلى الامور وتنشرح الصدور · والامة مجمعة على أن الحب لله ورسوله فرض ، فكيف يفترض مالاوجود له ، وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ﴿ وورد ﴾ فى التنزيل مايقوى هذا التأويل ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ﴾ أى تدعون محبته ﴿ فاتبعونى ﴾ فانى رئيس المحبين فى سلوك المودة ﴿ يحببكم الله ﴾ كما احبنى وسمانى حبيب الله ، وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع · ومما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وجلا (يحبهم ويحبونه) ثم فى قوله سبحانه (والذين آمنوا أشد حبا لله) دليل على إثبات الحب ومناقبه والتفاوت فى مراتبه ﴿ لايؤمن أحدكم ﴾ ايمانا كاملا اوايمانا أصلا ﴿ حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ﴾ من الولد والوالد وما عداهما · والحديث رواه الشيخان من حديث أنس بلفظ « لايجد احد حلاوة الايمان حتى » الحديث . وعن أبى رزين العقيلى أنه قال يارسول الله ما الايمان؟ قال « الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما » وفى الصحيحين من حديث أنس أيضا « لايؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين »

وفى رواية لهما «ومن نفسه» . وللبخارى من حديث عبدالله بن هشام «قال عمر يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا نفسى ، فقال لا والذى نفسى بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك ، قال عمر أنت الآن والله احب الى من نفسى ، فقال الآن ياعمر» يعنى آمنت وهو خبر ؛ ويحتمل أن يكون استفهاما . ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموهـا وتجارة تخشون كسادها ومسا كن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار، والقصد به الاثبات والاقرار ، ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه فى هذا المقام بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، واحبونى لحب الله إياى» فأشار الى أن محبة الله اصالة ومحبته عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية. ويروى «أن رجلا قال يارسول الله إنى أحبك قال فاعد للفقر تجفافا» رواه الترمذى وحسنه، وعن عمر رضى الله عنه أنه عليه السلام نظر إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام: انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذيانه باطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون، رواه أبو نعيم فى الحلية باسناد حسن. وفى الصحيحين من حديث أنس وابن مسعود وأبى موسى «قال اعرابى يارسول الله متى الساعة ؟ قال ما أعددت لها؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا أنى أحب الله ورسوله ، فقال له عليه السلام : المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك» وقال الصديق : من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر أى من أرباب الدنيا. وقال الحسن: من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها . والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الدارانى . إن من خلق الله تعالى خلقا مايشغلهم الجنان ومافيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . ويروى : أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم، فقال لهم : ماالذى بلغ بكم ماأرى؟ فقالوا الخوف من النار، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيراً ، فقال ماالذى بلغكم الى ماأرى ؟ فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ماترجون . ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيرا كأن وجوههم المرايا من النور ؛ فقال ماالذى بلغ بكم ماأرى؟ فقالوا الحب لله

وَالمَحَبَّةُ أَعْظَمُ المَقَامَاتِ وَأَهَمُّ المُهِمَّاتِ وَهِيَ مَيلُ النَّفسِ الَى المُوافِقِ

عز وجل ، فقال أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون. وقال هرم بن حيان اذا عرف المؤمن ربه أحبه واذا أحبه أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بجسده فى الدنيا وبروحه فى الآخرة وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه، وحبه يدهش العقل فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب، وقال أيضا : إلهى انى مقيم بفنائك مشغول بثنائك أخذتنى اليك وسربلتنى بقربك وامكنتنى من لطفك وتقلتنى فى الأحوال وقلبتنى فى الأعمال ستراو توبة و زهدا وشوقا ورضا وحبا تسقينى من حياضك وتحملنى فى رياضك ، ملازما لأمرك مشغوفا بقولك ، ولما طر شاربى ولاح طائلى فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ، ولى مابقيت حولك دندنة ، وبالضراعة اليك همهمة لأنى أحبك ، وكل حبيب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف ﴿ والمحبة أعظم المقامات وأهم المهمات ﴾ فقيل : المحبة محو المحب بصفاته ، واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب . وقيل مشاهدة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك فى مقام المطلوب . وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراك نهايته وتمنع الألسن عن عبارتها وقال الجنيد: حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال : كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة، وعن ذى النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تركن إلى غير الله ﴿ وهى ﴾ أى المحبة ﴿ ميل النفس الى الموافق ﴾ أى الى مايوافق هواها ولاينافى مشتهاها ، وتوضيحه ان المدركات تنقسم إلى مايوافق طبع المدرك ويلذه ويلائمه والى مالاينافيه وينافره ويؤلمه والى مالايؤثر فيه بايلام ولا التئام فكل مافى ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان فى ادراكه ألم ومحنة فهو مبغوض عنده ومايخلو عن استعقاب لذة وراحة وألم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولامكروها ، فاذن كل لذيذ محبوب عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ، ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشىء الملذ ، فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة

وَلَا لَذَّةَ أَعْظَمُ مِنْ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، فَالْأَدْنَى الْمَطْعَمُ ثُمَّ الْمَنْكَحُ ثُمَّ الْجَاهُ ثُمَّ الْعِلْمُ ، وَيُعْرَفُ بِتَرْكِ الْأَدْنَى وَاسْتِحْقَارِهِ عِنْدَ وِجْدَانِ الْأَعْلَى

الطبع عن المؤلم المتعب ، فاذا قوى سمى مقتا . ويقال سحقا، ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس ، فلكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، فلذة العين في الأبصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة ، ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الأطعمة المستلذة ، ولذة اللمس في اللينة والنعومة ، ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما تميز به عن الحيوان من الحس ، السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل وإما بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه (فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب أشد ادراكا من العين ولذا قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) و(إلا من أتى الله بقلب سليم) وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) و(ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فتكون لامحالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ادراكها الحواس ابلغ واتم ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه اقوى واهم ، ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ﴿ ولا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته ﴾ فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم غفلا ، فلم يجاوز ادراكه الحواس أصلا ﴿ فالادنى ﴾ من اللذات ﴿ المطعم ﴾ أى لذة الاكل والشرب من المستلذات ﴿ ثم المنكح ﴾ من المشتهيات، وذلك بالنسبة الى المكلف والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته اللهو واللعب ﴿ ثم الجاه ﴾ الصورى ﴿ ثم العلم ﴾ بالامر الضرورى ﴿ ويعرف ﴾ الترقى ﴿ بترك الادنى واستحقاره عند وجدان الاعلى ﴾ واستقراره ، كما أن المرأة الثيب إذا ارادت زوجا فخيرت بين غنى عنين وفقير رجول فالغالب أنها لاتختار الغنى ، لاسيما اذا كانت غنية ولها قوة شهية. فعلم أن

وَاسْتِكْرَاهُ الْبَعْضِ لِلعِلْمِ لِلنَّقْصِ كَاسْتِكْرَاهِ الْمَرِيضِ الْمَطْعَمَ وَالصَّبِيِّ الْمَنْكَحَ ، وَالعِلْمُ بِهِ تَعَالَى أَشْرَفُ الْعُلُومِ فَشَرَفُهُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ الْفَتْوَى أَشْرَفَ مِنَ الْخِيَاطَةِ ، وَالرُّؤْيَةُ لَهُ سُبْحَانَهُ أَلَذُّ مِنْهُ لِازْدِيَادِ الْكَشْفِ فِيهَا ، فَاللَّذَّةُ بِاعْتِبَارِ هَذَا وَسَبَبُهَا الْكَمَالُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ طَبْعًا وَمِنْ ثَمَّ أُحِبَّ الْعَالِمُ وَالصَّالِحُ

لذة المنكح أعلى من لذة المطعم. ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم ، وفرض أن الرجولية زالت من الناس الا من اراذلهم كالكناسين والدباغين فالغالب أنها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفى الشهوة قويا ، فعلم أن لذة الجاه اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس فى البلد عالم الا من اراذل القوم المذكورين فالغالب أنه لا يأنف أن يحضر فى مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم ، فعلم أن لذة العلم أعلى من لذة الجاه ، وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى حسن الصورة علم به أن الصور الجميلة عنده ألذ من الروائح الطيبة ، وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشطرنج علم أن لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل ﴿ واستكراه البعض العلم للنقص ﴾ فى ذاته ﴿ كاستكراه المريض المطعم ﴾ لعلة فى حاله ﴿ والصبى المنكح ﴾ لعدم بلوغ مثله ، والا فلا يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة حتى أن الذى ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيمياء والسيمياء وأمثاله يفرح به ، والذى ينسب الى الجهل ولو فى شيء حقير يغتم بسببه . ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلوم ﴿ والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه ﴾ أى العلم ﴿ بشرف المعلوم ﴾ وليت شعرى هل فى الوجود شيء أجل واعلى واكمل واغلى من خالق الاشياء ومكملها ، ومزينها ومبديها ، ومعيدها ومدبرها ومرتبها فألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته وتدبيره فى ارضه وسمواته ﴿ ومن ثم تكون الفتوى ﴾ بل الكتابة ﴿ اشرف من الخياطة ﴾ ونحوها من الصياغة والصباغة ﴿ والرؤية له سبحانه ألذ منه ﴾ أى من العلم به ﴿ لازدياد الكشف ﴾ فى معرفة ذاته وصفاته ﴿ فيها ﴾ أى فى الرؤية حال تجلياته ﴿ فاللذة باعتبار هذا ﴾ المعلوم وازدياد الكشف المفهوم ﴿ وسببها ﴾ أى موجب المحبة وباعثها ﴿ الكمال ﴾ فى الجمال ﴿ فهو ﴾ أى الكمال ﴿ محبوب طبعا ﴾ ولو فى زيادة الجاه والمال ﴿ ومن ثم أحب العالم ﴾ لما له كمال فى العلم ﴿ والصالح ﴾ لما له كمال فى العمل لا لصورتهما

وَالوَجْهُ الجَمِيلُ وَالكَلَامُ البَلِيغُ وَالاحْسَانُ فَإنَّ الانْسَانَ عُبَيْدُهُ وَلَا كَمَالَ إلَّا لَهُ تَعَالَى

الظاهرة بل لسيرتها الباطنة الباهرة ، فان الطباع مجبولة على حب الأنبياء والعلماء والأولياء مع أنهم لم يشاهدوا لهم شيئا من الأشياء ، ومنه حب أرباب المذاهب كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من المشايخ ، حتى أن الرجل قد يتجاوز به حبه لصاحب مذهبه أو مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى إمامه أو شيخه فكم من دم أريق فى نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعرى من يحب متبوعا من عالم أو صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهيأته فاستحسانه الذى حمله على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهى صورته الباطنة لا صورته الظاهرة ﴿ والوجه الجميل ﴾ لما له من صورة الجمال ﴿ والكلام البليغ ﴾ لما له من سيرة أهل الكمال ﴿ والاحسان فان الانسان ﴾ أى جنسه ﴿ عبيده ﴾ أى عبيد الاحسان . وفى نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو أظهر لحمله على الانسان، والمعنى أنه قد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء عليها كما ورد، وقد ورد أيضا «اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي» كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته ، وهذا من عوارض صفاته ، بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك وأصحاب المال فى اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائى الديار ، فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه فقط ، بل المحسن فى نفسه محبوب وإن كان لا ينتهى احسانه قط الى المحب ، لان كل جمال وحسن فهو محبوب ، فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر ، والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذبها ولا يحبها ولا يميل اليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة اكثر من حبه للمعانى الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة ﴿ ولا كمال ﴾ فى الجمال والجلال ﴿ إلا له تعالى ﴾ شأنه وهو الملك

وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ وَالْأَعْلَى أَنْ يُحِبَّ لِذَاتِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَاهِبِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ ثُمَّ لِلْكَمَالِ ثُمَّ لِلْإِحْسَانِ وَهُوَ مَحَبَّةُ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ

المتعال ﴿ ولا احسان إلا منه ﴾ كما يشير اليه قوله تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله) ﴿ والاعلى أن يحب ﴾ أى الله ﴿ لذاته ﴾ مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من رجاء الجنة ، ونعوته الجلالية من خوف العقوبة، وما توجبه صفات الافعال من الاكرام والاحسان والانعام ﴿ وهو ﴾ أى الحب الذى لذاته ﴿ من المواهب ﴾ اللدنية والمراتب العندية دون المكاسب العبدية كما ورد « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » ﴿ بخلاف غيره ﴾ أى غير الحب لذاته من انواع الحب الآتية المعبر عنها بقوله ﴿ ثم للكمال ثم للاحسان وهو ﴾ أى الحب الذى للاحسان ﴿ محبة النفس ﴾ أى نفس المحب ﴿ فى الحقيقة ﴾ وإن كان يطلق عليه محبة الله فى ظاهر الشريعة والطريقة ، فاذاً يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه . فكل من أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقيقا ، أى بل أحب احسانه ، وهو فعل من أفعاله لو زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ، وتتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه . وفى الاحياء إن الانسان لا يخفى أنه يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قد يحب غيره لاجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه ، هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنوا أن لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته . فالحق أن ذلك متصور وموجود ، ولاهل الكمال مدرك ومشهود ، وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال ، وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ، ولا يظن أن الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء الشهوة ، فان قضاءها لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها ، وادراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولا تؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ، فقد كان عليه السلام يحب الخضرة والماء الجارى كما روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس « أنه عليه السلام كان يحب أن ينظر الى الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة من العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان

والآثار حتى أن الانسان لتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر اليها ، فاذا ثبت ان الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله، كما ورد « أن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم من حديث ابن مسعود . هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب، اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لابسبب جمال او حظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون تشاكل الاشباح ، كما ورد « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم من حديث أبي هريرة . والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين .

ثم اعلم أن المستحق للمحبة إنما هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة ربه، وإنما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم أحباء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ، ولان أسباب المحبة المتقدمة مجتمعة فى حقه سبحانه بجملتها على وجه الدوام والكمال ، وأما فى حق غيره تعالى فلا يوجد الا آحادها على وجه النقصان والزوال ، وانها حقيقة فى حقه عز وجل وفى حق غيره مجاز محض ، بل وهم وتخيل صرف لاحقيقة لها فى شهودهم كما فى وجودهم فان العبد لاوجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالايجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها؛ ولذا قال الحسن من عرف ربه احبه ، ومن عرف النار بعد منها، ومن عرف الدنيا زهد فيها، ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض ، بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه أيضا من جملة احسان الملك المنان، بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال ، فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان . ثم العلم من اسباب المحبة فأين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض، ولقد خاطب الخلق كلهم فقال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) بل لو اجتمع أهل الارض والسماء أن يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيرة كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فالقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى (خلق الانسان علمه البيان) ثم لاقدرة ولاقوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا،

وأما ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه ، بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه ، والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى ملك لأهلكته ، فليس للعبد قوة إلا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث «لاحول ولاقوة الا بالله» وكما قال فى أعظم ملوك الارض (إنا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا) (والسموات مطويات بيمينه) والارض ومن عليها جميعا فى قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة ، وان خلق أمثالهم ألف ألف مرة لايزيد فى ماله سبحانه ذرة ، وليس مال لغير الله الا بقدر ما أعطاه . واما ماله وكمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام «لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته . فالواجب على العبد أن يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لالغرض ولالعوض مما يلائم قلب العبد من حالاته ولذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام «إن أود الأوداء إلى من عبدنى لغير نوال ولكن ليعطى الربوبية حقها . وفى الزبور : ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لولم أخلق جنة ونارا ألم أكن أهلا ان أطاع . ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم . ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله ، فقال أنتم أولياء الله معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم انى أستحى أن أعبد الله للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل أو كالأجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل . ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه أمران يتخلق بأخلاقه فى اكتساب محامد الصفات التى هى من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق ، فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير إلى تلك المناسبة قوله تعالى (انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق) اذ لم يستحق داود خلافة الله إلا بتلك المناسبة ، واليه يومى قوله عليه السلام « ان الله خلق آدم على صورته » أى صفته الكمالية من النعوت الجمالية والجلالية . وقد ظن القاصرون أن لاصورة الا الصورة الظاهرة فشبهوا وجسموا وصوروا تصويرا كثيرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، واليه الاشارة بقوله تعالى فى الحديث القدسى «مرضت فلم يعدنى

وَآثَارُهَا الشَّوْقُ فَوَرَدَ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِى

قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتنى عنده » وهذه المناسبة لاتظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض واتمام الشمائل كما قال تعالى « لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهذا موضع يجب فيضان العلم عنه ، فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر ، والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد، وقالوا بالحلول، حتى قال بعضهم : انا الحق . وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله . وقال آخرون تدرعت الناسوت باللاهوت . وقال آخرون اتحد به كما تقول الوجودية وهم طائفة ابن عربى بالمعية . وأما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتمثيل والاتحاد والحلول، واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا، ولعل ابا الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام ه

لازلت انزل فى ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله

﴿ وآثارها ﴾ أى نتائج المحبة وآثمارها خمسة ﴿ الشوق ﴾ وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق ﴿ فورد طال شوق الابرار الى لقائى ﴾ قال أبو الدرداء لكعب : اخبرنى عن اخص آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى : طال شوق الابرار الى لقائى، وإنى الى لقائهم أشد شوقا . وقال : مكتوب فى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى . فقال أبو الدرداء : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه . ومن دعاء نبينا عليه السلام كما اخرجه النسائى والحاكم «اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر الى وجهك ، وشوقا الى لقائك » وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين ، قال فقلت يوما يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد اضر بى القلق . قال فرأيت فى النوم أنه اوقفنى بين يديه وقال : ياابراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن اعطيك مايسكن به قلبك قبل لقائى، وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه ؟ فقلت يارب تهت فى حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لى وعلمنى مااقول ، فقال قل : اللهم رضنى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، واوزعنى شكر نعمائك . وأوحى الله الى داود عليه السلام : ياداود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقى بهم

وَهُوَ غَلَبَةُ التَّطَلُّعِ مِن وَرَاءِ حُجُبِ الغَيْبِ الَى الجَمَالِ وَانْبِعَاثُ القَلْبِ الَى الطَّلَبِ وَبِالمَوْتِ شَوْقُ اللِّقَاءِ لِحُصُولِهِ وَلَا يَرْتَفِعُ شَوْقٌ زِيَادَةِ الانْكِشَافِ ، فَلِلرُّؤْيَةِ مَرَاتِبُ لَاتَتَنَاهَى

وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى ،وتقطعت اوصالهم من محبتى . ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين علي . ياداود احوج مايكون عبدى الى اذا استغنى عنى وارحم ما أكون بعبدى اذا ادبر عنى واجل مايكون عبدى اذا رجع الى ﴿ وهو ﴾ أى الشوق ﴿ غلبة التطلع ﴾ أى الاشراف ﴿ من وراء حجب الغيب الى الجمال ﴾ أى جمال الحق وسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار لشدة ظهوره ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد ٭ الا على اكمه لايبصر القمرا
لكن بطنت بما ظهرت محتجباً ٭ فكيف يعرف من بالعزة استترا

فهو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴿ وانبعاث القلب الى الطلب ﴾ أى وقيام قلب العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى ولا أراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها مافى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فيكونوا من خلاصة أصفيائه ﴿ و ﴾ يرتفع ﴿ بالموت شوق اللقاء ﴾ أى الملاقاة ﴿ لحصوله ﴾ حال النزع والاشراف ﴿ ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف ﴾ وهى الرؤية المعبر عنها بالزيادة فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ﴿ فللرؤية مراتب لاتتناهى ﴾ لعدم تناهى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات الجمالية لاهل الجنة قال تعالى (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) فتتزايد النعم ساعة فساعة كما يشير اليه قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى صورة (وأتوا به متشابهاً) أى سيرة لان الثانى يزيد على الاول لذة وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) فلا يدخل تحت الحصر دركات أهل النار كما لايدخل فى حيز الحصر درجات اهل الجنة فكل عارف فى جنة عرضها السموات والارض من غير ان تضيق على مثله

اصلا إلا انهم يتفاوتون فى سعة متنزهاتهم بقدر درجاتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم فى مقاماتهم فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى ألذ الاشياء ولذا لايفوز بدرجة الظر والرؤية الا العارفون فى الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله فى الدنيا لايراه فى العقبى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلى ايضا على درجات مختلفة ولذا قال عليه الصلاة والسلام «ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة» كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك لأنه أفضل الناس بسر وقر فى صدره فضل لامحالة بتجل انفرد به فى سره، وتوضيحه أن طيبة الجنة ان لكل واحد فيها مايشتهيه، فمن لم يشته الا لقاء الله فلالذة له فى غيره بل ربما يتأذى به، فاذاً نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هى المعرفة التى عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان. فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم لمناجات الله لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواصلون الى رتب المعرفة ينقسمون الى الأقوياء المرادين المجذوبين فيكون أول معرفتهم لله تعالى، ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المريدين من المجتهدين فيكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها إلى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) وبقوله (شهد الله أنه لاإله إلاهو) ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك؟ قال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى والى الثانى الاشارة بقوله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الآية وبقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض) وبقوله (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين والاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن المبين. فالعارف لايرى غير الله ولايعرف سواه ويعلم انه ليس فى الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة فلا وجود لها بالحقيقة، وانما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الافعال كلها، ومن هذا حاله فلا ينظر فى شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه أرض وسماء وشجر وماء بل ينظر فيه من حيث أن له صانعا فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذى لايرى الا الله بل لاينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذى يقال انه فنى فى التوحيد وانه فنى عن نفسه

وَالْأُنْس وَهُوَ غَلَبَةُ الفَرَحِ بِالْقُرْبِ إِلَى الرَّبِّ وَقَصْرُ النَّظَرِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ

واليه الاشارة بقول من قال: كنا بنا فغيبنا عنا فبقينا نحن بلا نحن ، ولذا قال أبو سليمان الدارانى : ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ، وفى أخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ، وقال أبو سليمان أيضا : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغولا بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغولا بربه وقال الثورى لرابعة : ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حباً له وشوقا اليه . وقالت فى معنى المحبة :

احبك حبين : حب الهوى وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها ، وبانعامه عليها بالحظوظ العاجلة ، وبحبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجماله الذى انكشف لها ، وهو اعلى الحبين واقواها. وقد قيل لرابعة: ماتقولين فى الجنة ؟ قالت : الجار ثم الدار ، فبينت أن ليس فى قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة ، وبذلك يشير قول آسية (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) .

هذا ومن عرف الله عرف أن اللذات المفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال :

كانت بقلبى اهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

وقال بعضهم: وهجره اعظم من ناره ، ووصله اطيب من جنته

وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب فى معرفة الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها . فان الجنة معدن تمتع الحواس ، فاما القلب فلذته فى لقاء الله فى مقام الايناس ﴿ والانس ﴾ أيضا من آثار المحبة ﴿ وهو ﴾ أى الانس ﴿ غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة ﴾ أى مراقبته ومشاهدته ، ومن هنا قيل : الاستيناس

وَيُفَارِقُ الشَّوْقَ بِكَوْنِهِ حَالَةَ الاضَافَةِ إِلَى الحَاضِرِ وَذَلِكَ إِلَى النَّائِي

بالناس علامة الافلاس ، ومن أنس بالله توحش عن خلق الله . وفي اخبار داود عليه السلام : أن الله تعالى قال : ياداود ابلغ أهل ارضي أني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ، وانيس لمن انس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ، ومختار لمن اختارني ، ومطيع لمن اطاعني ، ماأحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لايتقدم اليه أحد من خلقي ، من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا ياأهل الارض ماأنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وسدوها فأنسوا بي اونسكم واسارع الى محبتكم ، فاني خلقت طينة أحبابي من طينة ابراهيم خليلي ، وموسى نجيي ، ومحمد صفيي . واني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ، ورقمتها بجلالي وفي اخبار داود عليه السلام أيضا : أن الله أوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى محبتي : ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم ؟ وما ضركم مازويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتي ؟ وماضركم سخط الخلق اذا التمستم رضائي . وفي اخباره أيضا : ان الله أوحى اليه ان كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب ياداود خالص أحبتي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة . ومن هنا قيل : علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشرة الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر ولذاذة الفكر فان خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر ، وحاضر في سفر ، وشاهد في غيبة ، وغائب في شهود ، ومخالط بالقالب ومباين بالقلب ﴿ ويفارق ﴾ الانس ﴿ الشوق بكونه ﴾ أي الانس ﴿ حالة الاضافة الى الحاضر وذلك ﴾ أي الشوق حالة الاضافة ﴿ الى النائي ﴾ أي البعيد الغائب ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : انت مشتاق ؟ فقال لا انما الشوق الى الغائب ، فاذا كان الغائب حاضرا فإلى من اشتاق ، فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضي التوحش من غير الله ، بل كل مايعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب . كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لايسمع كلام أحد من الناس الا اخذه الغشيان ، لان الحب يوجب

وَيُجْدِي الانْبِسَاطَ كَمَا وَرَدَ (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى - رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) أُنْجِحَ فِي الأَوَّلِ لِوُجُودِ الشَّرْطِ، وَاعْتَذَرَ فِي الثَّانِي لِفَقْدِهِ، وَلَوْلَا الأُنْسُ لَعُوتِبَ كَمَا احْتَرَقَ قَوْمُ الْكَلِيمِ

غذوبة كلام المحبوب وغذوبة ذكره المطلوب . فتخرج غذوبة ما سواه من القلوب، وقال بعض الحكماء في دعائه: يامن آنسني بذكره وأوحشني من خلقه . قال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سوائي متوحشا، وقيل لرابعة: بم نلت هذه المنزلة؟ قالت بتركي مالا يعنيني وانسي بمن لم يزل. وقيل من ذاق حلاوة الوحدة استوحش من أنسه الوحدة. وكأنه يشير الى قول من قال: «وجودك ذنب لايقاس به ذنب»

وعن علي كرم الله وجهه في وصف أهل الانس من خواص الانس: هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفهون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل:

الانس بالله لايحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

﴿ ويجدي ﴾ أي يثمر الانس ﴿ الانبساط ﴾ أي النشاط على حاشية البساط بالأقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال ﴿ كما ورد ﴾ في التنزيل: (وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) وقال موسى: ﴿ رب ارني أنظر اليك انجح في الاول ﴾ أي اجيب لابراهيم بقوله: خذ أربعة من الطير الآية ﴿ لوجود الشرط ﴾ فيما طلب ﴿ واعتذر في الثاني ﴾ فيما طلبه أي جواب موسى بقوله: (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) ﴿ لفقده ﴾ أي لفقد الشرط وعدمه كما بينه قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ﴿ ولولا الانس ﴾ أي وجوده المقتضي للانبساط لموسى عليه السلام ﴿ لعوتب ﴾ على ما صدر منه من السؤال والكلام ﴿ كما احترق قوم الكليم ﴾ عليه التسليم حيث قالوا (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة، ولكنه يحتمل ممن أقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر بسببه كما في قوم موسى .

ومثاله مناجات برخ الاسود الذى امر الله تعالى موسى كليمه عليه السلام أن يسأله ان يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين . وخرج موسى عليه السلام يستسقى بهم فى سبعين الفا ، فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم ، وسرائرهم خبيثة ، يدعونى على غير يقين ، ويأمنون مكرى ، ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه ، فبينما موسى يمشى ذات يوم في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه ، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه ، وقال ما اسمك ؟ قال اسمى برخ ، فقال أنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا ، فقال فى كلامه : ماهذا من فعالك ، ولا هذا من حلمك ، وما الذى بدالك ؟ انقصت عليك غيومك ؟ ام عاندت الرياح عن طاعتك ؟ ام نفد ماعندك ؟ ام اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت بالرحمة وامرت بالعطف ، ام ترينا انك ممتنع ، ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر ، وانبت الله العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف انصفنى ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فاوحى الله اليه ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال : احترقت اخصاص البصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق . وابو موسى امير يومئذ بالبصرة فاخبر بذلك ، فبعث الى صاحب الخص ، فاتى بشيخ فقال له ياشيخ مابال خصك لم يحترق ؟ قال اقسمت على ربى عز وجل لا يحرقه ، فقال أبو موسى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون فى امتى قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم » رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الاولياء . قال الحسن ايضا : ووقع حريق بالبصرة فجاء ابوعبيدة الخواص فجعل يتخطى النار ، فقال له امير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال انى اقسمت على ربى عز وجل لا يحرقنى بالنار ، قال فاعزم عليها أن تطفأ فعزم عليها فطفئت . وكان ابو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاقى مدهوش ، فقال له ابو حفص : ما اصابك ؟ قال ضل حمارى ولا املك غيره ، فوقف ابو حفص فقال : وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره ، قال فظهر الحمار فى الوقت ، ومر أبو حفص رحمه الله . فهذا وامثاله يجرى لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد : اهل الانس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم اشياء هى كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم

وَالْأَعْلَى التَّرْكُ اسْتِغْنَاءً كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْبُ وَهُوَ زَوَالُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ وَالْخَلْقُ

وهم يجدون المزيد فى احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم، واليه اشار القائل بقوله

قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له ياحسن رؤيتهم فى عز ماتاهوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام (ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) وقوله فى الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال (ولهم على ذنب فاخاف أن يقتلون) ﴿ والاعلى الترك ﴾ أى الاولى من المراتب فى مقام الانس هو ترك الانبساط فى حضرة المولى ﴿ استغناء ﴾ عن السؤال فى مراتب انتقال الاحوال ﴿ كما كان له عليه السلام فى تحويل القبلة ﴾ حيث كان متأدبا فى مقام الانس والدلال فاكتفى بالحال عن السؤال تبعا للخليل حيث قال: حسبى من سؤالى علمه بحالى، كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها) أى تحبها وتهواها ﴿ والقرب ﴾ ايضا من آثار المحبة كما يشير اليه حديث « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » ﴿ وهو ﴾ أى القرب ﴿ زوال كل معترض ﴾ أى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره ﴿ وهو ﴾ أى المعترض امام اهو ﴿ النفس ﴾ أى المتابعة هواها ومطاوعة مشتهاها قال تعالى (افرأيت من اتخذ إلهه هواه) وورد « ابغض اله عبد فى الأرض الهوى » وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ﴿ والشيطان ﴾ لانه يدعو حزبه الى الطغيان فى الدنيا والى النيران فى العقبى، ولان نسبة الاضلال اليه أيضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من أسباب الضلالة، كما أن النبى سبب الهداية فاضافة الهداية إلى النبى فى قوله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) مجاز و (إنك لا تهدى من أحببت) حقيقة ومن المجاز فى جانب الاضلال قول الخليل (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فالله سبحانه هو الهادى والمضل من يهد الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له، وهو يضل من يشاء وهو يهدى من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين كما هو أعلم بالضالين ﴿ والخلق ﴾ لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة والبعد عن قرب الرب لا سيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار من البساتين والمنتزهات من الدار فى الديار حتى النوح بطيب أصوات الاطيار وروح

وَالدُّنيَا ، وَكَمَالُه الْغَيْبَةُ فى رُؤْيَة فعله حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ فَاعِلَة كَمَا وَرَدَ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) وَالاتِّصَالُ

نسيم الاشجارفبقدر أنسه وقربه الى غير الله يبعد عن أنسه وقربه الى مولاه كما أنه لايتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الامن وصل إلى مقـام جمع الجمع بحيث لاتحجبه الوحدة عن الكثرة ولاالكثرة عن الوحدة ﴿ والدنيا ﴾ فان قطع علائقهـا ودفع عوائقها وإخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذى لايتسع للخل أو الهواء مالم يخل منه الماء (وماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) و كمال الحب المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه ومادام يلتفت الى غيره فزاوية فى القلب مشغولة بغيره ، فبقدر مايشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه ، و بقدر مايبقى فى الاناء من الماء ينقص من الخل أو الهواء ويشير الى هذا التفريد و التجريد قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وقوله (ان الذين قالوا ربنا الله) أى فى مقام التوحيد (ثم استقاموا) على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه ﴿ وكماله ﴾ أى القرب ﴿ الغيبة فى رؤية فعله ﴾ أى غيبة العبد فى رؤية أفعال ربه ﴿ حتى لا يرى نفسه ﴾ أيضا ﴿ فاعلة ﴾ فى الحقيقة ﴿ كما ورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وما رميت ﴾ خلقا أو حقيقة ﴿ اذ رميت ﴾ كسبا أو مجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه .

وحاصل المرام فى هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله ، والقريب من الله هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان ، التخلق بمكارم الاخلاق التى هى أخلاق الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما يتوهم بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال فى حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال فى نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ماكان عليه فى أزل الآزل فكلما كان العبد أكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة فى قهر النفس والشيطان صار أقرب الى الرحمن فنتهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله فى التخلق باخلاق الله وافعاله ﴿ والاتصال ﴾ أيضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا

وَهُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ كَمَا فِى قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا كُنَّا نَتَرَاءَى اللهَ تَعَالَى فِى ذَلِكَ الْمَكَانِ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ رَدِّ السَّلَامِ فِى الطَّوَافِ ، وَحَارِثَةَ كَمَا سَبَقَ ، وَمَا وَرَدَ «اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَمَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى الْعَبْدَ

قال ﴿ وهو ﴾ أى الاتصال يراد به ﴿ المكاشفة والمشاهدة ﴾ فى مقام المراقبة والمشاهدة أقوى من المكاشفة إذ يتصوروهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة .
والحاصل أن المكاشفة أول نتائج المجاهدة ، والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير اليه قوله عليه السلام بعد ذكر الايمان والاسلام « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وقبل المحاضرة ابتداء ، والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعدوراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر . والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تأمل دليل وتطلب سبيل . والمشاهدة هى وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة من برج شوق الانوار ، كذا فى ارشاد المريدين ، وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

عباراتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

﴿ كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كنا نتراءى الله تعالى فى ذلك المكان ﴾ أى نتكلف فى مشاهدته أو نجتهد حتى نصل إلى مرتبة رؤيته ومنزلة حضرته فى ذلك الحال الذى هو على الشان جلى البرهان ، وإنما قال هذا الكلام حال كونه ﴿ معتذرا عن ترك رد السلام ﴾ لبعض الصحابة الكرام ﴿ فى الطواف ﴾ أى فى حال طواف بيت الله الحرام ﴿ وحارثة ﴾ أى وكما فى قول حارثة للنبى عليه السلام ﴿ كما سبق ﴾ فى تحقيق المقام ﴿ وما ورد ﴾ أى وكما ثبت ﴿ اعبد الله ﴾ وهذا نقل بالمعنى ، والصواب أن ينقل بالمبنى وهو أن تعبد الله ﴿ كأنك تراه ﴾ وهذا أعلى مقام للعبد وأقصاه وأما أدناه فكما يشير اليه آخر الحديث ﴿ فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ وقد بسطنا القول فيه فى شرح الاربعين وهو خير معين ﴿ ومحبة الله تعالى العبد ﴾ أى للعبد أيضا من آثار محبة

وَوَرَدَ (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً ابْتَلَاهُ فَإِنْ أَحَبَّهُ الْحُبَّ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى بَلَائِهِ اجْتَبَاهُ وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ» وَوَرَدَ «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ»

العبد لله سبحانه ﴿وورد﴾ فى التنزيل مايدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وفى تقديم يحبهم إيماء إلى أن الاصل هو المحبة الازلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الابدية وورد فى الحديث ﴿إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه﴾ بالمصائب على قدر ماله من المراتب فان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ﴿فان أحبه الحب البالغ اقتناه﴾ واقتناء المال وغيره اتخاذه قنية ، فالمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه، وفى رواية «فقيل وما اقتناه؟ قال لم يترك له اهلا ولا ولدا» أى فى قلبه فعلامة محبة الله أن يوحشه من غيره ويحول بينه و بين غيره كما يشير اليه قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) رواه الطبرانى وفى رواية «اذا أحب الله عبدا ابتلاه» ﴿فان صبر على بلائه اجتباه﴾ فى مقام ولائه ﴿وان رضى﴾ باعطائه ﴿اصطفاه﴾ لمقام لقائه، وعن بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد ان يصافيك، والحديث الثانى ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده وقد يتوهم من المتن أنهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه ﴿وورد﴾ ايضا ﴿اذا احب الله عبدا﴾ من عبيده ﴿جعل له واعظا من نفسه﴾ اى يبصره بعيوب نفسه و يعرفه طريق انسه ﴿وزاجرا من قلبه﴾ بامر ربه ﴿يامره﴾ بالخير ﴿وينهاه﴾ عن الشر، والحديث رواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ام سلمة باسناد حسن لكن بلفظ «اذا اراد الله بعبد خيرا» الحديث وله من حديث انس «اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه» وورد من حديث انس كما رواه الديلمى «اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب» والتائب من الذنب كمن لاذنب له ثم تلا : ان الله يحب التوابين ، ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لايضره الكفر الماضى قبل الاسلام وإن كبر. وقال عليه السلام «ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولا يعطى الايمان إلا من يحب» رواه احمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . ولاحمد وابى يعلى من حديث أبى سعيد ومن اكثر ذكر الله احبه الله» وعن رابعة : من احب شيئا كثر

وَمعنَاهَا أَنْ يبليَه به فَلا يَصلح لغَيرِه كَمَا وَرَدَ (وَاصْطَنعتُكَ لنَفسى) وَعَلامَاتها كتمَانها ، وَحُبُّ المَوْت

ذكره ، فذكر الله علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه . وفى الصحيحين « من احب لقاء الله احب الله لقاءه » وقال زيد بن اسلم : ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر ﴿ ومعناها ﴾ أى معنى محبة الله للعبد ﴿ ان يبليه به ﴾ أى من علامة حب العبد للمولى أن يبليه بالبلاء المورث لزيادة الولاء . واما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شأنه ظاهره وباطنه سره وجهره ، فيكون هو الميسر عليه والمدبر لأمره ، والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه ، والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه هما واحدا من ذكر ربه ، والمبغض للدنيا فى قلبه ، والموحش له من غيره ، والمونس له بلذة المناجاة فى خلوته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته. فانظر فى تحقيق هذا المبنى فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى . وقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ، ولا فى جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . وقد جاء من بعض المتبحرين من المفسرين فى قوله سبحانه (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة ﴿ فلا يصلح ﴾ العبد ﴿ لغيره ﴾ أى لغير مولاه فيما قدره وقضاه ﴿ كما ورد ﴾ فى التنزيل ﴿ واصطنعتك ﴾ أى اخترتك بالرسالة ﴿ لنفسى ﴾ أى لمعرفة ذاتى وصفاتى .

﴿ وعلاماتها ﴾ أى امارات محبة العبد لله ثمانية ﴿ كتمانها ﴾ لانه قد يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فى المبنى ، وتنتظم عليه العقوبة فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا ، ويكون ذلك من الافتراء على الله من غير الامتراء (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) نعم قد تكون للمحب سكرة فى حبه حتى تدهش عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه ، والا فصدور الاحرار قبور الاسرار . ولقد قال بعض الابرار :

من اطلعوه على سر فنم به　　لم يامنوه على الاسرار ما عاشا

﴿ وحب الموت ﴾ فانه سبب اللقاء ، ولذا قال عليه السلام « لن تروا ربكم حتى

وَالاطَاعَةُ وَالتَّلَذُّذُ فِي العِبَادَةِ

تموتوا » وقال حذيفة : حبيب جاء على فاقة لاافلح اليوم من يندم . وفى وصية ابى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء، والباطل خفيف وهو مع خفته وبىء فان حفظت وصيتى لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك، وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه . وكان الثورى وبشر الحافى يقولان : لايكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لايكره لقاء الحبيب. نعم من يكون فى ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه ، وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم فى استعداد زاد المعاد، وان يكون مؤثرا ما احبه الله على مايحب نفس العبد ويهواه ، فان من بقى مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه مايهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد

﴿ والاطاعة ﴾ أى بمداومة الطاعة قدر الاستطاعة ، فمن احب الله لايتبع هواه كما قال ابن المبارك :

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لوكان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفى هذا المعنى من بديع المبنى *

واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان هلكت نفسى

﴿ والتلذذ فى العبادة ﴾ بالمواظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة ، فقد حكى عن بعض المريدين قال: كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى شدة الارادة ، فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ، ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة . قال فسمعت قائلا يقول فى منامى : ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كلامى؟ اما ترى ما فيه من لطيف عتابى وشريف خطابى، فانتبهت وقد اشرب قلبى تلاوة القرآن ، فعاودت الى حالى، وقال ابن مسعود : لا ينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل ، وإن لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله ، وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى عليه السلام وعلامة حب النبى حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا يبلغه إلى العقبى. وعن مطرف ان المحب

لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام : قد كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه ، فها أنا ذا موجود لمن طلبنى، وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه ، أى لأنها مما سواه، وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق، ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق. ثم اعلم أنه ليس فى الوجود غيره سبحانه فى عين أهل الشهود من ذاته وصفاته ومصنوعاته، ولذا ذكر عن الشيخ أبي سعيد الميهنى لما قرىء عليه قوله (يحبهم ويحبونه) قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه ، على معنى انه الكل وان ليس فى الوجود غيره ، فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو اذاً لا يحب الا نفسه ، كما أن العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث آثار قدرته وانوار ذاته واسرار صفاته . وما ورد من الالفاظ فى حبه عبارة يؤول مبناه ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه ، والى تمكنه اياه من قربه ، والى ارادته ذلك به فى ازله ، محبة لمن حبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الالهية الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب ، واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذى يقتضيه كما قال « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » فيكون قربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه ، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه . وجملة الكلام فى هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ، ونتيجة حب ربه الابدى . فحب العبد مكتنف بين حب الرب كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) مع قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ثم لا يخفى ان مراتب الحب وما فيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات. ويدل على تفاوت المقامات ماروى ان اباحذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا : انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى ، فقال والله لقد انكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها ، فكان قوله اشد عليهم من فعله ، قالوا فكيف وهى اختك وهو مولاك ؟ فقال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم » كذا فى الاحياء . وقال مخرجه لم اره من حديث حذيفة . وروى أبو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر وان سالما يحب الله حقا من قلبه » . فى رواية « ان سالما شديد الحب لله عزوجل لو لم

وَالْمُصِيبَةِ ، وَالْحِرْصُ فِى الْخَلْوَةِ، وَالْمُنَاجَاةُ ، وَبُغْضُ الدُّنْيَا

يخف الله عز وجل ماعصاه» فهذا يدل على أن من الناس من لايحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره أيضا فلاجرم ان يكون تنعمه بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وغناه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها، وقد قال بعض العارفين: اذا كان الايمان فى ظاهر القلب أحب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصى، وقال الجنيد: الناس فى محبة الله عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم فى دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان أحبوه ، الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر نعمتهم ، قلت ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) بل إيماء إلى رجائهم الجنة وخوفهم النار فى دار القرار ومن هنا قال الشبلى لما سمع قوله تعالى: (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الخ : أين من يريد الله؟ وقد أجبت عن هذا فى بعض مؤلفاتى ﴿والمصيبة﴾ أى والتلذذ فى البلية لما يرى فيها من فعل المبتلى سواء يكون فى مقام الصبر أو الرضاء أو الشكر ﴿والحرص فى الخلوة﴾ عن الخلق دون الجلوة لأنها غالبا تمنع عن مشاهدة الحق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا ألذ عنده من العبادة وأطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته ؟ فعلامة الحب كمال الانس بمناجات المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل مايبغض عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس أن يصير العقل والفهم كله مشغوفا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة إلى بعضهم حتى كان فى صلاته فوقع الحريق فى داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو فى الصلاة ولم يشعر بها ، وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر ﴿والمناجاة﴾ أى والحرص فى الدعاء والنداء والثناء فى جميع الحالات والمقامات فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت عن الخلائق بانقطاع العلائق وانفصال العوائق ﴿ وبغض الدنيا ﴾ بان لايأخذ منها الا الزاد العقبى من سلوك طريق المولى، وفى اخبار داود عليه السلام: لاتستأنس الى أحد من خلقى فانى إنما اقطع عنى رجلين رجل استبطأ ثوابى فانقطع ورجل نسينى فرضى بحاله وعلامة ذلك ان أكله الى نفسه وأن ادعه فى الدنيا حيران ثم مهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا

وَالوَحشَةَ مِنَ الخَلقِ وَاتِّحَادُ الهَمِّ وَطَرِيقُهَا السُّلُوكُ فَوَرَدَ «لَا يَزَالُ العَبدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ لَهُ سَمعاً وَبَصَراً وَقَلباً وَيَداً وَرِجلاً»

من الله ساخطاً عن درجة محبته ، وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى: إن برخا نعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه ؟ قال يعجبه نسيم الأسحار فيسكن اليه ومن أحبني لم يسكن إلى غيري ﴿ والوحشة من الخلق ﴾ لأن محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان ﴿ واتحاد الهم ﴾ هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحداً كفاه الله هم الدنيا والآخرة » وقال بعض العارفين: ان لله تعالى عباداً أحبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ أنفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وماشاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق المحب إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول: يارب باى ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي ومتابعة الشيطان ؟ ﴿ وطريقها ﴾ أي طريق تحصيل المحبة ﴿ السلوك ﴾ أي سير مسالك أهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل: ان الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على أن كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه إلا من هو أقرب منه اليه ، وعن هذا قال تعالى: (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ثم أقرب الطرق الى الله تعالى هو المحبة وهي حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة ، وتمامه باجتناب السيئات من المحرمات والمكروهات ، واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات ﴿ فورد لا يزال العبد يتقرب الى ﴾ أي بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب ﴿ بالنوافل ﴾ من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنه العلماء ﴿ حتى أحبه ﴾ حبا يليق بأرباب المناقب ﴿ فاذا أحببته ﴾ حبا بليغا ﴿ كنت له سمعا ﴾ يسمع بي ﴿ وبصرا ﴾ يبصر بي ﴿ وقلبا ﴾ يعقل بي ﴿ ويداً ﴾ يبطش بي ﴿ ورجلا ﴾ يتقوى بي رواه البخاري وغيره بالفاظ مختلفة ، فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم

يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بماوقع من القضاء ، وعلم أن المحبوب لم يقدر له الامافى خيرته ويتذكرقوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاوهوخيرلكم) ولعله عليه السلام قال فى هذا المقام: «انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين مرة» كما فى الصحيحين وإنما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثانى كما قيل: حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لأهل التوفيق على الفتور فى الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق ، كما يروى عنه عليه السلام بما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال: «فى بعض الكتب المنزلة ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى أن اسلبه لذة مناجاتى» فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ماظهر من مبادى اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه الا القوى من ذوى الاقدام الراسخة ، وقد سمع ابراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو فى سياحته وكان على جبل لبنان ه

كل شيء لك مغفور ه سوى الاعراض عنا ه قد وهبنا لك مافا ه ت بقى مافات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال وغلبة ثم قال سمعت النداء من الجبل ياابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب لانهاية لها فى مقام القرب ، فحق العبد أن يجتهد فى كل نفس مايفيد حبا حتى يزداد فيه قربا ، ولذا قال عليه السلام: «من استوى يوما فهو مغبون، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون كذا فى الاحياء. وقال مخرجه: لا أعلم هذا الافى مقام لعبد العزيز بن أبى رداد قال: رأيت النبى عليه السلام فى المنام فقلت: يارسول الله أوصنى فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى ولعل تلك الزيادة مافى بعض الروايات ومن لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان وقد قال الشيخ البستى :

زيادة المرء فى دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

وقال بعض العارفين: من عبدالله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف، والخائف لا يخلو عن محبة ، ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو فى مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل فى طريق السير من الطائرين المجذوبين المحبوبين وقد قيل فى وصف حال العارفين :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الأحرار منهم والعبيد
لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
غريب الوصف ذو علم غريب كأن فؤاده زبر الحديد
ترى الاعياد فى الأوقات تجرى له فى كل يوم ألف عيد
وللاحباب افراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد

وكان الجنيد ينشد أبياتا يشير بها الى أسرار العارفين وان ذلك لايجوز اظهاره للغافلين وهى هذه :

سرت بناس فى الغيوب قلوبهم بما قد حباها الماجد المتفضل
عراضا بقرب الله فى ظل عرشه تجول بها أرواحهم وتنقل
موار دهم فيها على العز والبها ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته وما كتمه اولى لديه وأعدل
سأكتم من علمى به مايصونه وابذل منه ماأرى الحق يبذل
فأعطى عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ماأرى المنع أعدل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله فى السر والصون أجمل

فأمثال هذه المعارف التى أشير اليها لايجوز أن يشترك الناس فيها ولا ينبغى أن يظهرها من أنكشف له شىء منها لمن لم ينكشف له عنها ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا ولم تبق على نظامها ، فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتمامها ولذا قيل : الغفلة عن الله رحمة ولولا الحمقى لخربت الدنيا بل لو أكل الناس الحلال أربعين يوما لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها ، وبطلت الأسواق والمعايش منها . ولو أكل العلماء من مال الحلال لاشتغلوا بأنفسهم لتحصيل الكمال ولوقفت الألسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الأنام ، ولكن لله فيما هو شر ظاهر حكم وأسرار على مالا يخفى كما أن له فى الخير أسرارا وحكما لاتحصى لانهاية لحكمته ولا غاية لقدرته هذا ، وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لأنه مقهور إذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه ، وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه ولا ينطفى لمعانه ، فيقول القادر على كتمانه :

فقالوا قريب قلت ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لوكان فى حجرى
فالى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق فى صدرى

والعاجز عنه يقول :

تخفى فيبدى الدمع أسرازه   ويظهر الوجـد عليـه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله   ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وكأن صاحب البردة أخذ من هذه الزبدة فى قوله :

أيحسب الصب أن الحب منكتم   ما بين منسجم منه ومضطرم

وقال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم اشارة به أى الى مقام قربه وقد دخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال : لا يحبه من وجد ألم ضر به ، فقال الرجل : لكنى اقول لا يحبه من لم يتنعم بضر به ، فقال ذو النون : ولكنى أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه ؛ فقال الرجل : استغفر الله واتوب اليه أى من دعوى حبه . وقد قال ابو تراب النخشبي فى علامة الحب ابياتا هي

لا تخدعن فللمحب دلائل   ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمـــر بلائه   وسروره فى كل ماهو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة   والفقر اكرام وبر عاجل

ومن الدلائل ان يرى من عزمه   طوع الحبيب وان الح العاذل

ومن الدلائل ان يرى متبسما   والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهما   لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متقشفا   متحفظا من كل ماهو قائل

وقال يحيي بن معاذ الرازى فى هذا المعنى من المبنى :

ومن الدلائل ان تراه مشمرا   فى خرقتين على شطوط الساحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه   خوف الظلام فماله من عاذل

ومن الدلائل أن تراه مسافرا   نحو الجهاد وكل فعل فاضل

ومن الدلائل زهده فيما ترى   من دار ذل والنعيم الزائل

ومن الدلائل ان تراه باكيا   ان قد رآه على قبيح فعائل

ومن الدلائل ان تراه مسلما   كل الامـــور الى المليك العادل

ومن الدلائل ان تراه راضيا   بمليكه فى كل حـــكم نازل

ومن الدلائل ضحكه بين الورى   والقلب محزون كقلب الثاكل

وَهو بلزوم الوضوء فهو ينور القلب ، والخلوة فهى تفرغ عن الشواغل ، والأولى أن يكون فى بيت مظلم ، أو يلف رأسه ويغمض عينيه لتركد الحواس ، والسكوت فهو يلقح العقل ويقوى القوى ، والجوع والسهر فهما ينوران القلب

﴿ وهو ﴾ أى السلوك او طريقه بلزوم عشرة اسباب تكون رفيقه ﴿ بلزوم الوضوء ﴾ أى الطهارة الظاهرة ﴿ فهو ﴾ أى الوضوء وما فى معناه ﴿ ينور القلب ﴾ بسبب تأثير صفاء الظاهر اصفاء الباطن ﴿ والخلوة ﴾ أى وبلزومها عن الجلوة ﴿ فهى ﴾ أى الخلوة ﴿ تفرغ عن الشواغل ﴾ المانعة من تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة . ثم القوم مختلفون فى طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى مجمع الخلق كما يشير اليه قوله تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال فى حقهم انهم غريبون قريبون ، وكائنون بائنون، وعرشيون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تهوينا للمبتدى وتسهيلا للمنتهى وكان المصنف منهم ولذا قال ﴿ والاولى أن يكون ﴾ السالك الذاكر ﴿ فى بيت مظلم ﴾ ضيق ليس فيه متاع إلا ما لا بد منه ﴿ أو يلف رأسه ﴾ اذا كان فى مسجد ونحوه ﴿ ويغمض عينيه ﴾ حال ذكره وفكره لا حين صلاته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته ، وانما يختار البيت المظلم ولف الرأس وتغميض العين ﴿ لتركد الحواس ﴾ أى لتسكن وتستقر ، وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل إيراده بصيغة الجمع لتوارد النظر ﴿ والسكوت ﴾ أى وبلزومه من غير ذكر ربه فقد ورد «من صمت نجا» «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت» «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» ﴿ فهو ﴾ أى السكوت المشتمل على الفكر ﴿ يلقح العقل ﴾ أى ينتج ثماله ﴿ و يقوى القوى ﴾ من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان ﴿ والجوع ﴾ أى وبلزومه للصيام أو للصبر على فقده والا فهو ليس مطلوبا بنفسه ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام «وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع» ، فانه إذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه ﴿ والسهر ﴾ فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة ، وإلا فهو أيضا ليس بمطلوب فى حد ذاته ﴿ فهما ﴾ أى الجوع والسهر ﴿ ينوران القلب ﴾ اذا كان مشتغلا

بِتَقْلِيلِ دَمِهِ وَذَوَبَانِ شَحْمِهِ عَلَى الاعْتِدَالِ فَالْافْرَاطُ شَاغِلٌ كَالتَّفْرِيطِ وَنَفْيِ الْخَوَاطِرِ فَالتَّمَيُّزُ شَاغِلٌ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ وَنَصْبِ مُتَفَقِّدٍ يَبْلُغُ الْقُوتَ الْحَلَالَ فَهُوَ الْأَصْلُ

بذكر الرب ﴿ بتقليل دمه وذوبان شحمه ﴾ فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله ووصوله فيختارهما ﴿على الاعتدال﴾ فيهما ﴿فالافراط﴾ والمبالغة منهما ﴿شاغل﴾ عن العبادة ﴿ كالتفريط ﴾ والتقصير عن قدر الحاجة لأرباب الارادة وأصحاب السعادة ﴿ونفى الخواطر﴾ أى وبلزوم نفيها ودفعها إذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لى فى سواك ارادة   على خاطرى سهوا حكمت بردتى

أى بارتدادي عن مقام ولى وحال ودادي وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر والا فلا عبرة لها وأشار اليها بقوله ﴿فالتميز ﴾ بين الخاطر الالهي والملكى والشيطانى والنفسي ﴿ شاغل ﴾ للسالك عما هو بصدده من حصول ذكر ربه ووصول سير قربه فى مقام حبه ﴿ والتسليم ﴾ أى وبلزوم التسليم والتفويض ﴿ له تعالى فى كل حال ﴾ من جميع أموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع أحواله الى ما دبره الحق له فى ازله ﴿ونصب متفقد﴾ أى وبلزوم تعيين خادم متفقد للوازمه ﴿ يبلغ القوت الحلال ﴾ أى يوصل اليه مأكوله ومشروبه من مال الحلال وإلا فشبهه أقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف من الطيبات ﴿فهو﴾ أى الحلال ﴿الأصل﴾ فى محافظة الأعمال والأحوال كما يشير اليه قوله تعالى: (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقوله سبحانه: (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال ، وقد امر الله المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين واللاحقين ، ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص ، والحرام يبطل ثواب عبادة فعلها . وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال ، وكانت له وظيفة عبادة فى الليل من الاعمال ، ففات منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل . فلا شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة . ومن اكل الحرام او لبس الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه ، كما ورد « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه منه شيء »

وَتَرْكُ غَيْرِ الفَرَائِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَالذِّكْرِ الدَّائِمِ مُسْتَقْبِلاً مَعَ الحُضُورِ بِاللِّسَانِ قِيلَ هُوَ اللهُ وَوَرَدَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

رواه الامام احمد عن ابن عمر . بل قوله تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين) يعم أكل الحرام وسائر المحرمات على الانام ﴿وترك غير الفرائض﴾ القطعية والظنية ﴿والرواتب﴾ أي وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس، وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدىء حيث الافضل في حقه مجرد الذكر، وأما نسبته الى المتوسط فالاكمل في حقه التلاوة، وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف الحالة كما في عوارف المعارف ﴿والذكر الدائم﴾ أي ولزوم الذكر على سبيل الدوام ﴿مستقبلا﴾ لبيت الله الحرام ﴿مع الحضور﴾ أي حضور القلب في مشاهدة الرب، ولعله اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة، وأما الذكر قائما يكون ﴿باللسان﴾ أي بلسان البيان او بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكمل، وان كان الذكر الخفي افضل لقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) وهو يحتمل أنه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهي السر مع الحق كما لا يخفى، وكذا ماورد «خير الذكر الخفي» وورد «ان الذكر الذي لا تعلمه الحفظة افضل مما تعلمه بسبعين ضعفا» ولذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فيأمرونهم بان يلصقوا لسانهم الى حنكهم، ويقولون بلسان قلوبهم: لا اله الا الله ويشيرون في (لا اله) الى نفي ماسوى الله، وفي (الا الله) الى اثبات ذاته وصفاته، ويريدون بالكلمة معنى لا اله معبودا وموجودا ومشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم. واما أهل الذكر الجلي باللسان فيشيرون بالنفي الى جانب اليمين، وفي الاثبات الى جانب اليسار وهو القلب. وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم في مقام الاظهار والاسرار، والا فما ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق مصافحة، انما الثابت بالتواتر الصحبة ومتابعة الكتاب والسنة. اذا عرفت هذا ﴿قيل﴾ افضل الذكر ﴿هو الله﴾ لانه المقصود لا سواه، الا انه لا يحصل التوحيد في مقام التفريد اذ اثبات وجوده لا شك لاحد في شهوده، ولذا (قالت رسلهم أفي الله شك) وقال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فلا بد من كلمة التوحيد لتحقق صفة التفريد؛ وقدام جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم واشياعهم ﴿وورد﴾ عن نبينا ﷺ ﴿افضل الذكر لا اله الا الله﴾ تمامه «وافضل الدعاء الحمد لله» كما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر

وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فَوَرَدَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآلِ عِمْرَانَ وَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ

مرفوعا ﴿ وقيل لااله الاهوالحى القيوم ﴾ وهو لاينافىماتقدم لما فيهمن زيادة الحى القيوم ، ولانهآية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادةالبرهان ، فالحى الازلى الابدى يشير الى ان غيره لايصلح للالوهية ، لانه اما لاحياةله اوحياته حادثة، والقيومهو الذى يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادتهوحكمتهفىمصنوعاته، وفى هذا تلويح الى بطلان مايقوله الوجودية من المعية فى المراتب الشهودية حيث قال ابن العربى : سبحان من اوجد الاشياء وهو عينها ، وقد وقع التناقض في عين كلامه المنافى لمرامه ، فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحدثها كيف يتصور انيكون عينها ، فما للتراب ورب الارباب ، فهو ابعدمن قوله من قال بالاتحادفىمقام الالحاد والله رؤف بالعباد ﴿ فورد ﴾ فى بعض الروايات تقوية لما تقدم ﴿ الاسم الاعظم ﴾ ثابت ﴿ فى آية الكرسى ﴾ أى فى اولها ﴿ وآل عمران ﴾ أىفى صدر سورتها ﴿ وهما يشتركان فيه ﴾ أى فى وجود لفظ الله لااله الاهو الحى القيومفيهما دونغيرهما من السور ، فانها خالية عنهما . والحديث رواه ابو داود والترمذى وابن ماجهوابنابى شيبة عن اسماء بنت يزيدمرفوعا بلفظ «اسمالله تعالى الاعظمفىهاتينالآيتين:والهكم الهواحد لا اله الاهو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران : الم الله لااله الاهو الحى القيوم) والظاهر انه فى الآيتين كلتيهمامعا على سبيل الاجتماع،ويحتمل الانفراد،و كذا الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة « اسم الله الاعظمفى ثلاث سور :البقرةوآل عمران وطه » قال القاسم التابعى : فالتمسته فوجدته انه الحى القيوم لوجوده فيها : ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم « ان الاسم الاعظم ياحىياقيوم»،وهو المناسبلماتقدم والله اعلم . وأما ماأورده المصنففما رأيته فىحديث.ثم فىالمستدرك للحاكم عن سعد بن ابى وقاص « اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » وهو دعوة ذى النون يونسعليه السلام ، ويؤيده قوله سبحانه (فاستجبناله ونجيناهمنالغم وكذلكننجى المؤمنين) وقيل هو هو حيث صدر به وختم به فى قوله (هو الله الذى لااله الا هو) ويقال

وَالأَوْلَى فِيهِ الاسْتِفْتَاءُ مِنَ القَلْبِ وَيُوَاظِبُهُ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ وَيَجْرِي دُونَ اخْتِيَارٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى القَلْبِ، ثُمَّ تَنْمَحِقُ الحُرُوفُ وَيَبْقَى المَعْنَى ثُمَّ يَرْتَفِعُ العَدَدُ وَتَصِيرُ حَالَةً مُسْتَدِيمَةً وَحِينَئِذٍ تَحْدُثُ المَحَبَّةُ فَلَا يَنْسَى المَذْكُورُ،

اعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ومن هنا قيل أن فى كلمة الجلالة أنواعا من الجالة اذ لو حذف الفه بقى لله ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض، واذا حذف لامه الاولى بقى له وله ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الكبرياء فى السموات والارض، واذا حذف لامه الثانية بقى هو لااله الا هو قل هو الله احد الى آخره وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فسبحان من لايعرفه ما هو الا هو، وقد جاء فى الاسم الاعظم روايات اخر كما بينته فى شرح الحصن الحصين والجمهور على أن الاسم الاعظم هو الله وقد قال القطب الربانى السيد عبد القادر الجيلانى: أن الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط أن تقول الله وليس فى قلبك سوى الله، ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن البكرى قدس الله سره السرى فى أول حزبه استغفر الله مما سوى الله وتعقبه بعض علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ماسواه وقد شرحته فى جوابه وبينت القول بصوابه ﴿ والاولى فيه ﴾ أى فى المختار من الاذكار ﴿ الاستفتاء من القلب ﴾ فيختار ما يلهمه الرب ﴿ ويواظبه ﴾ ليلا ونهارا وسرا وجهارا ﴿ حتى تسقط حركة اللسان ﴾ أى كلفتها ﴿ ويجرى ﴾ الذكر على اللسان ﴿ دون اختيار ﴾ أى من غير تكلف تذكار واحضار ﴿ ثم يرجع ﴾ الذكر ﴿ الى القلب ﴾ أى ينتهى اليه ويستولى عليه ﴿ ثم تمحق ﴾ وتمحى ﴿ الحروف ﴾ من المبنى ﴿ ويبقى المعنى ثم يرتفع العدد ﴾ من المائة والالف ونحوها مما لابدله من احضار المبنى ﴿ وتصير ﴾ مداومة تصور الذكر ﴿ حالة مستديمة ﴾ دالة على رتبة مستقيمة ﴿ وحينئذ تحدث المحبة ﴾ وتظهر المودة ﴿ فلا ينسى المذكور ﴾ فى حال من احوال الذاكر كالاكل والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والمنام فقد قال المحبة دوام الذكر ويؤيده حديث من أحب شيئا اكثر ذكره، وقال سفيان المحبة اتباع صاحب النبوة ويؤيده آية « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى » ولله در القائل

ثُمَّ يَغِيبُ عَنْ مُشَاهَدَةِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ظَاهِراً وَبَاطِناً حَتَّى عَنِ النَّفْسِ وَعَنْ مُحَاضَرَاتِهَا فِي الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْقُرْبُ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنِ الذِّكْرِ أَيْضاً فِي شُهُودِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْفَنَاءُ ثُمَّ يَحْدُثُ الْاتِّصَالُ وَيُشَاهِدُ مَا يُشَاهِدُ لِظُهُورِ النُّورِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الشَّوَاغِلِ

عجبت لمن يقول ذكرت ربى　　وهل انسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا　　ولو لا حسن ظنى ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا　　فكم احيا عليك و كم أموت
فليت خيـــاله نصب لعينى　　فان قصرت فى نظرى عميت
شربت الحب كأساً بعد كأس　　فما نفد الشراب ولا رويت

وقال ابن الجلاء: اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطلعت على سر عبدى فلم اجد فيه الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظى ❁ ﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا ﴾ في مكنوناتها من ارضها وسمواتها ﴿ حتى عن النفس ﴾ وجودها واجزائها ﴿ وصفاتها ﴾ أى وعن شهود صفاتها الذميمة والمحمودة وسائر حالاتها ﴿ و ﴾ يغيب ﴿ عن محاضراتها فى المذكور وهو القرب ﴾ أى المأثور عن الجمهور، فعن الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات ﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكـــر ﴿ عن الذكر ﴾ أى عن وجوده وشهوده ﴿ أيضا ﴾ كما غاب عما عداه من المسطور ﴿ فى شهود المذكور ﴾ أى حضوره بطريق الفرح والسرور ﴿ وهو الفناء ﴾ فى بحر النور ﴿ ثم يحدث الاتصال ﴾ وهو كمال البقاء فى القرب الناشى من جمال الحب ﴿ ويشاهد ﴾ الذاكر ﴿ مايشاهد ﴾ من عالم الوصال ﴿ لظهور النور ﴾ من اشعة الجمـال ولمعة الجلال فى مقام الـكمال ﴿ والغفلة ﴾ أى وللغفلة والذهول ❁ ﴿ عن الشواغل ﴾ والموانع من حصول الوصول الى تحقيق الفروع والاصول وقالت رابعة العدوية يوما: من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن شغل الدنيا عنه قطعنا، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى ، وهو معكم اينما كنتم ، وقوله شغلتنا اموالنا واهلونا ❁ وقال السرى: من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكأنه مقتبس من قوله تعالى، (فلنحيينه حياة طيبة) ، وقال هرم بن حبان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة

وَيَصِيرُ مِنْ مُلُوكِ الدِّينِ * وَقَدِ انْتَهَى الْكِتَابُ مُتَحَلِّيَ الْمَقْطَعِ بِالدُّعَاءِ

بعين الرغبة وبقى بجسده فى الدنيا وبروحه فى العقبى مع المولى فى المقام الاعلى و ، اقال الشبلى اوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين ﴿ ويصير ﴾ الذاكر حينئذ ﴿ من ملوك الدين ﴾ ومن الائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خبير المعين لتحقيق علم اليقين فكمل ايمانه واسلامه واحسانه فى عين اليقين واستغرق فى بحر التوحيد ونهر التفريد وغاص فى عين العلم وغاب عن عين غيره فى زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكأنه اشار الى أنه مجذوب ومطلوب وأنه بسبب لذته فى خدمة محبوبه غير متعوب، ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع إلى سهل أخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد فى هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات فى ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم؟ قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باى شىء بلغت هذه المنزلة؟ فقال كنت اكاتم الله حالى يعنى أسأله ان يكتم على ويخفى أمرى، وروى أنه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها وفى الاخبار أن الله تعالى أوحى إلى انبيائه انما اتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شيئا من خلقى وأن أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وأن قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد المافمن لم يبلغ الى دارة غلبة الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان والله المستعان ، ومما يؤيد هذا الشان من البرهان ماروى أنه عليه السلام قال لابى بكر الصديق أن الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم رواه الديلمى عن على ﴿ وقد انتهى الكتاب ﴾ الذى هو لب اللباب لكل فصل وباب عند ارباب الالباب ﴿ متحلى المقطع ﴾ المشير الى أن ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿ بالدعاء

المَأْثُورِ اللَّهُمَّ انَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا

المأثور ﴾ عن سيد الابرار وسند الاخيار ﴿ اللهم انا نسألك الهدى ﴾ بالايمان ﴿ والتقى ﴾ عن العصيان ﴿ والعفاف ﴾ بالكفاف للانسان ﴿ والغنى ﴾ عن الخلق فى جميع الاحيان، والحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ «اللهم انى اسألك الحديث» فلعل ما ذكره رواية فى المبنى أو نقل بالمعنى، واختار صيغة الجمع لندخل معه ويدخل معنا كما فى قوله ﴿ ونعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ وهو يحتمل احتمالين، احدهما انه فى نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ماورد ان من العلم جهلا، وثانيهما أنه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ماقال ذو الحالة الفاخرة:

يامن تباعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الذاخرة
من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينتفع بعلومه فى الآخرة

﴿ وقلب لايخشع ﴾ بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة واسباب المعرفة كما قال تعالى «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» وقال عز وعلا «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم» وقال عز وجل «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة» ﴿ ونفس لاتشبع ﴾ من الدنيا فتكون حريصة عليها ومقبلة بكليتها اليها أو كناية عن كثرة أكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها ﴿ ودعاء لايسمع ﴾ أى لا يقبل فى حال دعوتها والحديث رواه ابن أبى شيبة عن ابن عمر والطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس وزاد اللهم إنى أعوذ بك من هؤلاء الأربع ورواه الحاكم وابن أبى شيبة عن ابن مسعود بلفظ «اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع» وفى رواية لابن حبان وغيره عن أنس اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفى رواية لأبى داود عن أبى هريرة اللهم انى أعوذ بك من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففى هذه الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع الصادر عن استقامة الطبع كما حكى أنه قيل لصاحب المنازل اترك السجع فقال رجعت عما سجعت ﴿ وآخر دعوينا ﴾ بتوفيق مولانا

أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَتْقِيَاءِ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *

﴿ان الحمد لله رب العالمين﴾ فيما أولا نافي أولا ناو أخرا ناو فيه ايماء الى قوله سبحانه اخبارا عن أهل الجنة انهم يقولوا فيها هذا الكلام وهو (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وفيه تنبيه نبيه على أن أخر مقامات أهل الجنة فى درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بمزيد النعمة وازالة المحنة كما يومى اليه قوله سبحانه (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب -أى تعب- ولا يمسنا فيها لغوب -أى كلال وكسل، وفسر الحزن بانواعه بحسب ما كان كل أحد مبتلى بفرد من أصنافه فقيل حزن الفقراء كراء البيت أو التحويل منه أو حزن الفراق وحجابه وهو لأهل الاشتياق الى مشاهدة الله ورفع نقابه وهو أعلى مراتب أرباب الكمال وأعلى مناصب أصحاب الجمال المتزايد المترقى ساعة فساعة الى أزل الآزال والله سبحانه أعلم بحقائق الاحوال ﴿وسلام على عباده الصالحين﴾ من الانبياء والمرسلين السابقين ﴿والصلاة على محمد رسوله﴾ سيد الاولين والآخرين ﴿خاتم النبيين وعلى أتقياء أمته﴾ من أهل بيته وصحابته وأتباعهم وأشياعهم أجمعين ﴿الى يوم الدين﴾ امين يارب العالمين، وكان الفراغ منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلفه أخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب احد الاشهر الحرم من شهور عام أربعة عشر بعد الألف من هجرة خير البشر وشافع المحشر من مكة الامنية إلى المدينة الامينة النازل فيها للمؤمنين أنواع السكينة ، حامدا ومصليا

ومسلما ومفوضا ومتوكلا ومؤمنا ومسلما ، والصلاة والسلام

على سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين * وعلى اله وأصحابه

وأتباعه إلى يوم الدين امين امين بحرمة سيد المرسلين

فهرست

﴿الجزء الثانى من شرح عين العلم وزين الحلم لمنلا على القارى﴾

﴿محتويات الجزء الثانى من شرح عين العلم وزين الحلم﴾


iSkysoft